من سورة الأعراف
إلى آخر سورة الرعد

صحف زيد
نصف حا
عثمان و
رسول

ملكه العبد المفتقر الى الله [illegible]
[illegible] ١٢٧١

جلد ثالث از شرح تأويلات از اعراف تا آخر رعد

المجلد الثالث من تأويلات الشيخ ابي منصور الماتريدي في التفسير

الجلد الثاني من تفسير التفسير

من الاعراف الى آخر الرعد

الحمد لله غفر الله له

ملكه العبد الفقير الى عفو الله اسماعيل ...

والجلد الاول والثاني بفضل

الله تعالى سنة ثمان عشر وثمانمائة

(818)

سورة الاعراف قيل مكية

بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر ولا تعسر

الحمد لله العليم بخلقه اللطيف لرشد عباده ضرب لهم الايات والبيان لتعقلهم حكمته
وتدبيره من الجهالة الى العلم ومن الضلالة الى الهدى ووفق بعد رسوله محمدا صلى الله
عليه ان يدعو عباده الى سبيله بالحكمة والموعظة الحسنة فبعثه الى الناس كافة
وانزل اليه الكتاب كتب الاولين ليتبين لاهل الكتاب
والمشركين ان النبي الامي العربي لم يعلم ما في الكتب الاعجمية الا من عند الله ليكون
ذلك اوضح لهم في الحجة وكان صلى الله عليه وسلم قبل الرسالة معروفا عند الفريقين
انه لم يتل كتابا ولا خطه بيمينه ولا كان عندهم من شعرائهم ولا المعروف بعلم
انسابهم وعلم ابائهم وذلك ابلغ في البرهان فاخبر فيه عن علم الغيوب وفرض الفرائض
وحكم فيه الاحكام وانزل فيه الحجج ما ليف يعجز عنه من دون الله ليتبين لهم انه
من عند الله فانف قومه فابوا ان يستمعوه واستكبروا عليه وقالوا لولا نزل هذا
القران على رجل من القريتين عظيم وقالوا لا تسمعوا لهذا القران والغوا
فيه لعلكم تغلبون فاتيهم العليم الخبير من قبل انفسهم وكبرهم فانزل في الكتاب كلاما
افتتح به السورة لم يكن من كلام قومه فلما سمعوا ظنوا انه بديع ابتدع محمد كابتداعهم
البلاغات والاوابد وانفوا ان يكون محمد يقدر من ذلك ما لا يقدرون فتدبروا
الكتاب ليعلموا صدوره بما بعده من الكلام فسمعوا كلاما مجيدا حكيما ونبأ عظيما
وعجائب ومواعظ شافية فدخل اكثرهم في الاسلام وقعد عنه رجلان معاند
متعمد وجاهل مقلد وفيما انزل بما وصف قوله المص وكهيعص وطسم وما
اشبهها فقال المص ليعطف بها على النظر فيما بعدها ثم ابتدا فقال كتاب انزل
اليك اي كتاب من ربك انزل اليك فلا تكن في صدرك حرج منه الاية ويحتمل ان
تكون هذه الحروف المقطعة خطابات من الله خاطب بها رسله وهم خواصه ليفهموا
بها ولا يفهمها غيرهم تفضيلا لهم على غيرهم ثم وجه فهمهم نوعان احدهما ان اخبرهم الله
بوحي غير متلو على لسان الملك فيقول اذا انزلت اليكم كذا فمرادي من ذلك كذا
او كان المراد والبيان منها مقرونا بها وقت انزالها فهموا من ذلك بما افهم الله تعالى
واريهم ما لم يرِ غيرهم ذلك وذلك قوله انا انزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس
بما اراك الله والله تعالى ارى رسوله اشياء لم يرِ ذلك غيرهم ولا اطلعهم على ذلك

فهي من المتشابه على غيرهم فاما على الرسل عليهم السلام فليس من المتشابه والله اعلم
قال الفراء يحتمل ان تكون هذه الحروف المقطعة المفرقة انزلها من ا ب ت ث
الى اخرها اذ الكلام يأتلف من الكلم والكلم من الحروف كانه قال اني جمعت
هذه الحروف المتفرقة فجعلتها كتابا فانزلته من نحو الم ذلك الكتاب والم الله
والمص والمر ونحو ذلك والله اعلم بما اراد ذلك وقد ذكرنا هذا في صدر الكتاب
مقدار ما حفظنا وفهمنا من اقاويل العلم في ذلك والله اعلم بما اراد بها
قوله تعالى فلا تكن في صدرك حرج منه قيل الحرج هو الضيق في الصدر
وقيل الحرج هو ضيق الضيق بحيث لا يجد منفذا وقيل الحرج ههنا الشك
فمن حمله على ضيق الصدر فيحتمل ضيق الصدر وجوها احدها يحتمل ضيق
الصدر عن الشدائد والخطرات التي تكون فيما فرض عليه من تبليغ الرسالة
الى قومه والبراءة منهم ومما يعبدون من دون الله ودعواهم الى عبادة الله والنزوع
عن عبادة الاوثان وهم قوم نشؤا على الكفر والشرك وعبادة الاوثان وخاصة
الفراعنة والملوك الذين همتهم القتل والاهلاك لمن استقبلهم بالخلاف
وكان الرسول يخاف على نفسه ما خافت الرسل من بين يديه كما اخبر عن موسى
بقوله فاخاف ان يقتلون لما كان قومه موصوفين بالتسرع الى قتل من يخالفهم
فيما هم عليه فامنه الله تعالى بقوله فلا تكن في صدرك حرج منه اي فلا يضيقن صدرك
من الشدائد التي يتوهمها في تبليغ ما فرض الله عليك من العقيدة والعبادة والحكم
الذي يخالف فيه قومك وهو كما قال في اخر هذه السورة قل ادعوا شركاءكم
ثم كيدون فلا تنظرون اعلمه الله تعالى انهم لا يصلون الى ما هو يخاف منهم من القتل
والاهلاك وهو كقوله والله يعصمك من الناس وعلى هذا جاء في الخبر ان الله
تعالى لما ارسله الى قومه فقال اي رب اذا يثلغوا راسي كما يثلغ الخبزة فامنه الله
تعالى من ذلك فقال فلا يكن في صدرك حرج منه اي من البلاغ الى قومك بما خالفهم
فيه والله اعلم ويحتمل ضيق الصدر بما يوسوس الشيطان في صدره ان ما انزل
اليك ليس من الله او ان يقول له من اساطير الاولين على ما قال اولئك الكفرة
ان هذا الا اساطير الاولين فامنه الله تعالى عن ذلك بقوله فلا تكن في صدرك
حرج منه وقد روي ان الله تعالى امنه من وساوس الشيطان على ما روي في الخبر
انه قيل لرسول الله الك شيطان فقال كان ولكن اعانني عليه فاسلم والله اعلم

ثم قوله فلا يكن في صدرك حرج منه يحتمل وجهين احدهما على النهي بطريق المغايبة
اي لا يضيق به صدرك بما حمل عليك من التبليغ وما يتضمنه من الشدايد
والاهوال او فلا يكن في صدرك شك ان ما انزل اليك من عند الله وقد
ذكرنا ان العصمة لا تزيل النهي والمحنة بل النهي مما يعوز العصمة والثاني يحتمل
ان يكون على سبيل التسكين لقلبه لا على النهي اي لا يحمل على نفسك ما فيه هلاك
نفسك كقوله ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون وقوله فلا تذهب
نفسك عليهم حسرات ليس على النهي ولكن على ان يحمل على نفسه ما فيه
هلاكها فعلى ذلك هذا والله اعلم قوله تعالى لتنذر به يحتمل انه امره
لينذر به الكفرة ويبشر به المومنين كقوله لينذر الذين ظلموا وبشرى
للمحسنين فعلى ذلك قوله لتنذر به وذكرى للمومنين اي لتنذر به الكفرة وذكرى
للمومنين اي بشرى لهم او يكون في الانذار بشرى للمومنين لان الانذار اذا
قبل يكون بشرى والكافر وان هو لم يقبله فيكون لهم انذارا وبشرى للمومنين
ويحتمل قوله لتنذر به اي لتنذر الكل المخالف والموافق جميعا قوله تعالى
وذكرى للمومنين اي يكون نفع ذلك التذكير للمومنين بما يتدبرونه فيعلمون به
الحق من الباطل ويعرفون ما فرض عليهم من الاحكام والله اعلم قوله تعالى
اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم امر المومنين ان يتبعوا ما انزل اليهم من ربهم
على ما امر رسوله ان يتبع ما انزل اليه من ربه بقوله اتبع ما اوحي اليك من
ربك ليعلم ان ما انزل الى رسول الله هو منزل الى المومنين جميعا الا ما خص
بدليل مخصص والله اعلم ثم قوله ما انزل اليكم من ربكم فيما ذكر فيه ما يحل ويحرم
عليهم وما يامر وينهى قوله تعالى ولا تتبعوا من دونه اولياء قيل
اي لا تتبعوا من دون الله الرؤساء والاحبار في التحليل والتحريم والامر
والاستحلال ما احل لهم فاما انشاء التحليل والتحريم فلا وقال بعض اهل
التاويل ولا تتبعوا من دونه اولياء اي في التحليل والتحريم من حيث الصورة
ولكن يحتمل ما ذكرنا لانهم كانوا يتبعون عظماءهم في التحليل والتحريم وهو كقوله
اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله وكانوا لا يتخذون الاحبار
اربابا في الحقيقة لكن كانوا يتبعونهم فيما يحلون ويحرمون ويصدرون عن
رايهم فسموا بذلك لشدة اتباعهم اولئك في التحليل والتحريم والامر والنهي

6

فعلى هذا والله اعلم قوله تعالى قليلا ما تذكرون قال اهل التاويل عني
بالقليل المومنين ولكن يحتمل قوله قليلا ما تذكرون اي فلا يتذكرون اصلا
وراسا لان الخطاب جرى به لاولئك الكفرة وفيهم نزلت الاية وليس احد منهم
ممن يتذكر والله اعلم قوله تعالى وكم من قرية اهلكناها قال اهل التاويل
كان يخوف اهل مكة بتكذيبهم الرسول باهلاكه الامم الخالية بتكذيبهم الرسل
كانه يقول وكم من اهل قرية اهلكناهم بتكذيبهم الرسل فانتم يا اهل مكة تهلكون
بتكذيبهم الرسل ان لم تمتنعوا وتصرون على ذلك فان قيل ان اهل مكة ليسوا
اهل كتاب فلا يعرفون اهلاك الامم الماضية بتكذيبهم الرسل فكيف يقع الانزجار
والاعتبار بهذا قيل ان كانوا لا يعرفون بانفسهم لانه ليس عندهم كتاب
لكن يصلون الى علم ذلك لمن عرفهم من الكتب وهم اهل الكتاب فيلزمهم الحجة
باعتبار قيام سبب العلم وطريق الوصول اليه وهذا كما ان العجم وان كانوا لا يعرفون
الكتاب الذي انزل بلسان العرب فان الحجة تلزمهم بذلك لما كان لهم سبيل الوصول
الى علم ذلك بالعرب الذين اسلموا فعلى ذلك هولاء وان لم يكن عندهم علم
اهل الكتاب اولئك فيلزمهم الحجة باعلام اهل الكتاب اياهم ثم في الاية دلالة
اثبات رسالة محمد لانه اخبر عن اهلاك الامم الخالية بتكذيبهم الرسل وهو لم
ينظر في كتبهم ولا اختلف اليهم ليعلموه عن ذلك ثم اخبر عنهم بذلك فدل انه انما
عرف ذلك بالله قوله تعالى فجاءها باسنا بياتا او هم قايلون قال ابو بكر
الكيساني الباس كل امر معضل شديد من المرض والجرح وغيرهما وروي عن
عمر رضي الله عنه انه لما طعن قيل له لا باس عليك فقال ان كان في القتل
باس ففي ذلك واما غيره من اهل التاويل فقالوا الباس العذاب وقوله
باسنا اي عذابنا وقوله بياتا او هم قايلون البيات بالليل والقيلولة بالنهار عند
الظهيرة وهما وقتا الغفلة او وقتا الامن اخبر انه انما ياتيهم عذابه في حالة
الغفلة او في حال الامن لئلا يكونوا غافلين عن امره ولا امنين عن عذابه
قوله تعالى فما كان دعويهم اذ جاءهم باسنا اي ما كان دعويهم قبل نزول العذاب
الا ان قالوا نحن على الحق وان غيرهم على الباطل فلما جاءهم باسنا اعترفوا بظلمهم
كقوله الا ان قالوا انا كنا ظالمين قوله تعالى فلنسالن الذين ارسل اليهم
ولنسالن المرسلين والاشكال انه ذكر في هذه الاية انه يسالهم جميعا يوم القيمة

الرسل والمرسل اليهم وذكر في اية اخري فيومئذ لا يسال عن ذنبه انس ولا جان
وقال في موضع آخر لا يسال عما يفعل وهم يسالون وهذا يشبه التناقض والجواب
عن هذا من وجوه احدها ان قوله لا يسال عن ذنبه انس ولا جان اراد
نفي السوال عن نفس الفعل اي لا يسال عن عين ما فعل وعن نفس ما ارتكب وفي
قوله فلنسالن الذين ارسل اليهم وقوله وهم يسالون المراد هو السوال عن الحجة
علي ما فعل وان كان من حيث الظاهر اللفظ السوال عن عين الفعل فانه لا
يقال للمرء افعلت كذا ولكن يقال له لم اذنبت ولم فعلت كذا وليس بين السوال
عن الحجة علي الفعل وبين نفي السوال عن نفي الفعل تناف لان التنافي انما يتحقق
بين السلب والايجاب في الشي الواحد لا في شيين مختلفين والله اعلم والثاني يحتمل
ان المراد منه ان يسال في وقت ولا يسال في وقت فانه قيل انه يسال في اول
البعث ولا تنافي بين النفي والاثبات في وقتين لشي واحد والله اعلم والثالث
ما قال بعضهم قوله فيومئذ لا يسال عن ذنبه انس ولا جان اي لا يسال عن ذنب
غير الذي فعله وهو كقوله ولا تزر وازرة وزر اخري وقوله فلنسالن اي نسالن
فاعله وصاحبه فلا تناقض بينهما خبر والله اعلم ان امر الآخرة علي خلاف امر الدنيا
لان في الدنيا قد يواخذ المرء بذنب غيره ويسال احضار قرينه ويطالب بسببه
قرينه واما في الآخرة فانه لا يواخذ غيره بذنب آخر لذلك كان ما ذكر والله اعلم
والرابع يحتمل قوله لا يسال اي لا يسال عما اظهر وابدي من الاعمال القبيحة
ولكن يسال عما استر واخفي منها لان الملايكة قد كتبوا ما ابدوه واظهروه كقوله ما
يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد فيقع السوال عما استروا علي التقرير عندهم
لا علي الاستخبار ولا يسال عن الذي كتب والله اعلم ثم اختلف اهل التاويل في
تاويل قوله فلنسالن الذين ارسل اليهم ولنسالن المرسلين قال بعضهم يسال
الرسل عن تبليغ الرسالة الي الامم ويسال القوم هل بلغ الرسل اليهم الرسالة
ويكون السوال عن الرسل بمعني الشهادة لقوله لتكونوا شهدآء علي الناس ويكون
الرسول عليكم شهيدًا انه قد بلغ الرسالة وقال بعضهم اي يسال الملايكة عن تبليغ
الرسالة الي الانبيآء ويسال الانبيآء عن تبليغ الرسالة الي القوم الذين ارسلوا
اليهم ويحتمل ان يكون سوال الرسل عما اجيبوا والسوال للامم عما اجابوا كقوله
يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم ويحتمل ان يكون سوال القوم سوال

تقدير عندهم وطلب الاقرار منهم لما كانوا ينكرون التبليغ اليهم كقوله واذ قال الله
يا عيسي ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله هذا
سوال تقرير وتعيير للقوم لان الله تعالي عالم انه لم يكن قال لهم ذلك وان القوم
كانوا ادعوا ان عيسي قال لهم فبهذا السوال طلب الاقرار منهم ليقروا بذلك
لئلا يقولوا هو قال لهم ذلك فعلي ذلك الاول والله اعلم قوله تعالي فلنقصن
عليهم بعلم وما كنا غايبين اي فلنقصن عن علم وما كنا غايبين عن عملهم وصنيعهم ولكن
يسال علي التقرير وطلب الاقرار منهم لا علي الاستخبار وطلب العلم وانما
ذكر قوله فلنقصن عليهم بعلم وما كنا غايبين عقيب قوله فلنسالن الذين ارسل
اليهم ولنسالن المرسلين والله اعلم لما يحتمل ان يظن جاهل الخفاء به بما ذكر
من المسالة لهم والسوال في قوله ولنسالن وهو في الوضع للاستخبار عما يستر
ويكتم ليظهر للمستخبر بالاخبار عن ذلك وهو معني السوال في الشاهد فاخبر
فلنقصن عليهم بعلم ليعلم ان سواله ليس سوال استخبار واستظهار ولكن
سوال توبيخ وتعيير او سوال شهادة من الله علي ما اتوا من التكذيب لا سار
وعلي هذا يخرج الابتلآء والامتحان من الله لتقدير الامر والنهي لا لاظهار
شي خفي عليه وان كان في الشاهد يكون او ان يكون الابتلآء والامتحان من الله
لاظهار ما خفي عند الخلق عليهم فسمي لذلك الامر والنهي منه امتحانا وابتلآء
لما انه عند الخلق ابتلآء وامتحان وان كان عند الله لا يحتمل ذلك فسمي بالذي
فيما بينهم والله اعلم قوله تعالي والوزن يوميذ الحق فمن ثقلت موازينه
فاوليك هم المفلحون ومن خفت موازينه فاوليك الذين خسروا انفسهم بما كانوا
باياتنا يظلمون اختلف اهل التاويل قال الحسن يكون ميزان له كفتان يوزن
فيه الحسنات والسيات فمن ثقل ميزانه دخل الجنة ومن خف ميزانه دخل النار
الا ان ما قاله يحتمل ظاهر الآية لانه قال فمن ثقلت موازينه فاوليك هم المفلحون
ومن خفت موازينه فاوليك الذين خسروا انفسهم والميزان اذا ثقل احدي الكفتين
منه تخف الاخري واذا خفت احديهما ثقل الاخري فكل واحد ممن يثقل ميزانه
ويخف فيكون مفلحًا وخاسرًا وظاهر الآية مطلق ليس فيها انه يثقل ويخف بما ذا
فدلت ان ما قاله لا يحتمل الا ان يكون مراد الآية والمراد من تاويله ان من
يثقل ميزانه بالطاعة او خف بان يثقل احدي الكفتين بالطاعة ويخف الاخري

بالمعصية فيكون محتملا فيرد علي تاويله اشكال آخر علي ما نذكر والله اعلم وقال اكثر
اهل التاويل بان المراد بالموازين الحسنات والسيات نفسها فمن رجحت حسناته
علي سياته اي كثرت حسناته دخل الجنة ومن رجحت سياته علي حسناته اي كثرت
سياته دخل النار ولا يقال ما قالوا لان الآية عندهم في المومنين والكافرين
جميعا ولا يتصور في حق الكفرة مقابلة الحسنات بالسيات لانه لا حسنه يتحقق
في حق الكفرة لانها اسم لما يفعل لوجه الله ولا يتحقق ذلك مع الجهل بالله والكفر به
علي انه ان يتحقق منهم الحسنات في الجملة والاحسان والبر في حق الناس لكن
مع هذا افاسد لانه لا يتصور في حق المومن رجحان سياته علي حسناته مع ايمانه
ولا يتصور في حق الكافر رجحان حسناته علي سياته مع كفره وبهذا ابطل ايضا
تاويل الحسن فانه لا يتصور ان يخف ميزان المومن في حق الحسنات مع الايمان
في الكفة الاخري ولا يتصور ان يثقل ميزان حسنات الكافر مع كفره في الكفة
الاخري الا ان يكون مراد اهل التاويل بهذا الكلام ان يوزن حسنات المومن
ويقابل سياته بدون ايمانه وكذلك في حق الكافر يقابل سياته بحسناته دون
كفره ثم في حق الكافر متي رجحت سياته بحسناته دون كفره سوي الكفر علي حسناته
لا يجازي لحسناته في الدنيا لان المرجوح ساقط العبرة ومتي رجحت حسناته
علي حسناته دون الكفر يعجل له جزآء حسناته في الدنيا بما انعم عليهم في الدنيا من
انواع النعم او يجازي لحسناته الحالين في الدنيا من النعم ثم عاقبة امره مصيره الي
النار ولا محالة واما في حق المومن ان رجحت حسناته سوي ايمانه علي سياته
يتجاوز عن سياته ويجازي به احسن ما عمل فذلك قوله اوليك الذين يتقبل عنهم
احسن ما عملوا ويتجاوز عن سياتهم وان رجحت سياته علي حسناته دون ايمانه
فهو في مشية الله تعالي ان شآء غفر له سياته بما معه من الايمان والحسنات تفضلا
منه وان شآء عذبه في النار بقدر ذنبه ثم عاقبته ومصيره الجنة لا محالة والله
الموفق والذي يبطل هذا التاويل الذي قاله اكثر اهل التاويل وما قاله
الحسن ايضا ان قوله فمن ثقلت موازينه في حق المومنين ومن خفت موازينه
في حق الكافر الا تري انه قال ومن خفت موازينه فاوليك الذين خسروا
انفسهم بما كانوا بآياتنا يظلمون والكافر هو الظالم بآيات الله حيث وضعها في غير موضعها
دون المومنين واذا كان هذا في حق الكافرين كان الذي بمقابلته وهو قوله

فمن ثقلت موازينه في حق المومنين فلا يستقيم ما ذكر من التاويلين ويكون
قوله فمن ثقلت موازينه في حق اهل الفلاح ان عاقبته الجنة لا محالة وقيل
المراد بما ذكر من الميزان والوزن هو الكتاب الذي ذكر في آية اخري
بقوله فاما من اوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا وينقلب
الي اهله مسرورا واما من اوتي كتابه وراء ظهره فسوف يدعوا ثبورا ويصلي
سعيرا وكما قال فاما من اوتي كتابه بشماله فيقول يا ليتني لم اوت كتابيه
واعطآء الكتاب باليمين علامة اهل الجنة والاخر علامة النار وانما يوزن والميزان
عبارة عن الكتاب بطريق المجاز لما ان كل واحد منهما سبب العلم والله اعلم وقال
بعضهم المراد من الوزن هو العدل لان الله تعالي قال ونضع الموازين القسط
ولم يقل ونضع الموازين بالقسط والقسط هو العدل فهو اخبار عن العدل
انه يعدل بينهم يوميذ وقال بعضهم قوله والوزن يوميذ الحق اي الجزآء
يوميذ الحق سمي الجزآء وزنا لما ان الجزآء علي وزن الطاعات والمعاصي
عدلا لا ينقص جزآء الحسنة عنها ولا يزاد جزآء السية عليها لكن يزاد جزآء
الطاعة فضلا عشرة وضعفا واضعافا مضاعفة والله اعلم وقال بعضهم
قوله والوزن يوميذ الحق اي الطاعة حق كل مطيع يوميذ فمن كانت طاعته
مقبولة فهي التي هي حق وثابتة يوميذ وما لم يكن ثابتة يوميذ فقد حبطت وصارت
هدرا فلا يكون طاعة والله اعلم ويحتمل ان يكون المراد من الوزن التقدير
والتحديد كقوله وانبتنا فيها من كل شي موزون اي محدود مقدر فعلي ذلك
قوله والوزن يوميذ الحق لا يزاد علي السيات ولا ينقص عن الحسنات
التي عملوا في الدنيا بل يكون الجزآء مقدرا محدودا علي قدر العمل لا انه اريد به
حقيقة الوزن والله اعلم بما اراد بالوزن فيجب القول بالميزان والوزن باصله
دون كيفيته احترازا عن الوقوع في الخطاء والشهادة علي الله تعالي بما ليس فيه
نص من جهة الكتاب والسنة المتواترة اذ لا نص في بيان كيفيته وان ورد
في حق اصله والله الموفق ويشبه ان يكون قوله فمن ثقلت موازينه ومن خفت
موازينه علي التمثيل ليس علي تحقيق الميزان بالثقل والخفة ولكن علي الوصف بالعظم
لاعمال المومنين من القرب والطاعات والخفة والتلاشي لاعمال الكافرين فان الله
تعالي ضرب لاعمال المومنين المثل بالشي الثابت والطيب ووصف اعمالهم بالثبات

والقرار فيه وضرب لاعمال الكافرين المثل وشبهها بالشي التافه التالف ووصفها بالبطلان والتلاشي
كقوله الم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة اصلها ثابت وفرعها في السماء وقال مثل
كلمة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الارض ما لها من قرار وصف الامرين بما ذكرنا وقال في
آية اخرى والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذي خبث لا يخرج الا نكدا وقال والذين
كفروا اعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمان ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا وكقوله فاما الزبد
فيذهب جفاء واما ما ينفع الناس فيمكث في الارض ونحو ذلك من الآيات فيها وصف اعمال
المومنين بالثبات والقرار ووصف اعمال الكفرة بالبطلان والذهاب والتلاشي فعلى ذلك
قوله فمن ثقلت موازينه فاولئك هم المفلحون وصف لاعماله بالعظم والقدر والقرار والثبات
ومن خفت موازينه وصف لاعمال الكفرة بالبطلان والتلاشي اي لا يكون لهم من الحيوة
شي ينتفعون بها في الآخرة فيكون صدر الآية في وصف اعمال المومنين والآخرة
في وصف اعمال الكفرة وانه لا صل الوعد والله اعلم وقوله ومن خفت موازينه فاولئك
الذين خسروا انفسهم قال اهل التاويل خسروا انفسهم اي غبنوا وذلك انه ما
من احد من مومن وكافر الا في الجنة والنار منزل واهل فيرث المومن المنزل الذي
كان للكافر في الجنة ويرث الكافر المنزل الذي كان للمومن في النار فذلك الخسران
الذي خسروا ولكن هذا لا يحتمل ان يكون الله تعالى يجعل للكافر منزلا في الجنة واهلا
مع علمه انه لا يومن ويختم على كفره وكذلك في حق المومن لا يحتمل ان يجعل له منزلا
في النار مع علمه انه يختم على ايمانه ولا معصية له فدل ان هذا التاويل فاسد
ثم يحتمل ان يكون المراد من الخسران الذي ذكر في الآية هو انهم خسروا في الدنيا
والآخرة لما فات عنهم النعم التي كانت لهم في الدنيا ولم يصلوا الى نعيم الآخرة فذلك
الخسران المبين في الدنيا والآخرة والله اعلم قوله تعالى بما كانوا باياتنا
يظلمون قال الحسن باياتنا اي بديننا يكذبون وقيل باياتنا اي بحججنا يظلمون
اي يضعونها في غير موضعها لان الظلم هو وضع الشي في غير موضعه ثم المسئلة فيمن
ارتكب كل كبيرة في حال كفره من الكبائر معفو له معفوا عنه غير مواخذ به
ومن ارتكب في حال ايمانه وختم على الايمان لم يعمل الايمان في تكفيره وكان مواخذا
به وذلك لوجهين احدهما ان ليس على الكافر انفس الاعمال واعينها التي هي
عبادات وقرب انما عليه قبول تلك الاعمال فاذا اسلم قبلها الان فعليه الاداء
في المستقبل فاما المومن فعليه انفس افعال الطاعات والقرب لما وجد منه

القبول لها بعقد الاسلام فيواخذ بما كان منه من التفريط في تلك الاعمال وتضييع
تلك الامانات والله اعلم والثاني وهو ان الكافر اذا اسلم بعد ارتكاب الكبائر
فوجد منه الاسلام بحده وما فرط فيه من الجنايات وجد قبل الاسلام فلا
يوجب حرجا وقدحا في ذلك اذ لا يعد خلافا وتركا لما التزم بالاسلام وما
التزم ذلك وما قبله بخلاف ما اذا ارتكب الكبائر في حال الايمان لانه بالايمان
التزم الامتناع من المحظورات وقبل ذلك فيكون ذلك مخالفة لما التزم بعقد
الاسلام فيكون مواخذا بها والله اعلم قوله تعالى ولقد مكناكم في الارض
وجعلنا لكم فيها معايش قال ابو بكر الكيساني مكناكم اي مكناكم الارض وجعلنا لكم
فيها معايش تتعيشون بها يذكرهم نعمه ومننه بما ملكهم الارض وجعلنا لهم فيها منافع
ومعايش ليشكروا عليها وقال الحسن مكناكم اي جعلناكم مستخلفين عمن تقدمهم
في اماكنهم يذكرهم ايضا نعمه عليهم بما خلفهم خلفاء الاولين وجعل لهم فيها معايش
ثم يخوفهم زوال ذلك عنهم بما صار ذلك لهم بعد زوالها عن الاولين ليعلموا انها
تزول عنهم الى غيرهم فلا يطمئنوا عليها ويجعلوها مطايا للدار الآخرة والله اعلم
ويحتمل ان يذكرهم هذا بما جعل لهم الارض مكان القرار وموضع الانتشار
والتقلب والتعيش وهو كقوله اولم يروا انا جعلنا حرما آمنا اي جعلنا الحرم مامنا
لكم بحيث تامنون وتتقلبون وتتعيشون فيه ويتخطف الناس من حولهم فيذكر عظيم
نعمه ومننه التي جعلها فهذا امثل ذلك هذا اذا كان الخطاب لاهل مكة خاصة
بقوله ولقد مكناكم في الارض للناس كافة فيخرج على تذكير النعم لهم وحيث جعل
لهم الارض بحيث يقرون فيها ويتقلبون والله اعلم قوله تعالى قليلا ما تشكرون
هذا وقوله قليلا ما تذكرون يحتمل وجوها احدها انهم كانوا يقرون انه خالقهم
بقوله ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله كانوا يقرون بالوهيته
ويصرفون العبادة الى غيره فذلك قوله قليلا ما تشكرون والثاني يحتمل قوله
قليلا ما تشكرون اي لا تشكرونه ولا تذكرونه البتة لا قليلا ولا كثيرا والثالث
يحتمل قوله قليلا ما تشكرون اي تشكر المومنون ولا تشكر اولئك والمومنون قليل
وهم اكثر والرابع اي ليس في وسعهم القيام بشكر جميع ما انعم عليهم لكثرة نعمه لا يتهيا
لهم القيام بشكر واحدة منها فكيف بشكر الجميع فيكون ذلك الشكر قليلا لا محالة والله اعلم
قوله تعالى ولقد خلقناكم ثم صورناكم قال الحسن اراد بقوله ولقد خلقناكم

ثم صورناكم ادم خاصة لانه قال ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملايكة اسجدوا لادم اخبر
انه امر الملايكة بالسجود لادم بعد التخليق والتصوير ولو كان المراد بقوله خلقناكم ثم
صورناكم بني آدم لم يكن لقوله ثم قلنا للملايكة اسجدوا لادم معنى لانه ما امرهم بالسجود
لادم بعد خلقنا وتصويرنا وانما امرهم بالسجود له بعد خلقه وتصويره وقال غيره من
اهل التاويل المراد منه الجنس كله لانه قال ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملايكة
اسجدوا لادم ولو كان المراد آدم بقوله خلقناكم ثم صورناكم لكان لا يصرح بذكر آدم
بعد ذلك بقوله ثم قلنا للملايكة اسجدوا لادم لان الاصل في كلام العرب ان من سبق
ذكره بالكناية لا يذكر بعده بالصريح بل الكناية فكان من حق الكلام ان يقول ثم قلنا
للملايكة اسجدوا لكم لو كان المراد بقوله خلقناكم آدم والله اعلم وقال بعضهم المراد بقوله
خلقناكم آدم والمراد بقوله ثم صورناكم بنو آدم اي ثم صورناكم في ارحام امهاتكم والله اعلم
ويحتمل وجها آخر وهو ان قوله ولقد خلقناكم اي قدرناكم من ذلك الاصل وهو نفس آدم
لان الخلق هو التقدير تقول اناخلقته اي قدرته كانه تعالى تقول وهو اعلم ولقد خلقناكم
اي قدرناكم جميعا من ذلك الاصل والكاتب ومنه صورناكم وقوله ثم قلنا للملايكة اسجدوا
لادم معناه اي الاصل وقلنا للملايكة اسجدوا لادم او يكون هذا ترتيبا في التكلم لا
في وجود المخبر به وذلك جايز في اللغة وكذلك قال بعض اهل الكلام ان النطفة
هي انسان بالقوة ثم تصير انسانا بالفعل وقال بعضهم هي كيان الانسان فجايز
ان يكون اضافها الى ذلك الطين بما هو كيان واصل والله اعلم قوله تعالى
فسجدوا الا ابليس لم يكن من الساجدين قال الحسن ان ابليس اللعين لم يكن من
الملايكة وذلك ان الله تعالى وصف الملايكة جمله بالطاعة له والخضوع بقوله لا
يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون وقال لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون
ما يومرون وغير ذلك من الايات ولم يكن من ابليس الاكل شر ولان الله تعالى
خلق الملايكة من النور وابليس من النار والنار ليست من النور فدل انه ليس
من الملايكة ويحتمل ما قال الحسن وقال بعضهم من الملايكة واستدلوا بالاستثناء
في قوله واذ قلنا للملايكة اسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس وحقيقة الاستثناء ان
يكون من جنس المستثنى منه فدل ان ابليس من جنس الملايكة لكن الحسن يقول
هذا استثناء من الجنس لكن الاستثناء يدل على ان الامر بالسجود لادم لم يكن للملايكة
خاصة بل لهم ولغيرهم من الجن فسجد الكل الا ابليس فيكون الاستثناء دليلا

على اضمار المستثنى منه من جنسه والاضمار جايز في اللغة ومثل هذا مستعمل
في باب الاستثناء شايع يقال دخل هذه الدار اهل البصرة الا رجلا من الكوفة
يكون الاستثناء صحيحا ودل الاستثناء على ان دخل هنالك اهل الكوفة مع
اهل البصرة لكن اهل الكوفة مضمر وتقديره دخل هذه الدار اهل الكوفة
واهل البصرة الا رجلا من الكوفة فههنا كذلك فدل ان هذا محتمل ولكن ليس
لنا الى معرفة ذلك حاجة انه كان من الملايكة او من غيره انما علينا ان نعرف
انه عدو لنا لنحترز عنه وعن وسواسه وقد ذكرنا هذا فيما تقدم قوله تعالى
قال ما منعك ان لا تسجد اذ امرتك قيل اي ما منعك ان تسجد وحرف
لا زايد على ما ذكر في آية اخرى ما منعك ان تسجد اذ امرتك والله اعلم
قوله تعالى انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين فنقول هذه دعوى
منه لم علم عدو الله ان المخلوق من النار خير من المخلوق من الطين الا ان
يقال بان النار خلقت لمصالح الاغذية فمن هذا وقع عنده انها خير من الطين
ولكنا نقول هذا فاسد وذلك ان النار وان جعلت لمصالح الاغذية فالطين
جعل لوجود الاغذية والذي جعل لوجود الشي هو انفع واكبر من الذي جعل
لمصالحه لعل الاغذية تصلح للاكل بغير النار من الشمس وغيرها وبعد
فان الطين ما تقوم للنار ويطفوها ويبلغها والنار لا تقوم للطين ولا يبلغه فكيف
يكون النار افضل وخيرا من الطين والله اعلم ثم اختلف في الوجه الذي يقع به كفر
ابليس عدو الله وما ذلك المعنى الذي يضاف كفره اليه قال بعضهم انما لان اللعين
لم ير لله على نفسه طاعة بامر السجود لادم ومن انكر امر الله ولم يره مفترض الطاعة
يكون كافرا وقال آخرون انما كفر عدو الله لانه لم ير الامر من الله لمن له علو
رتبة بالخضوع والطاعة لمن هو دونه حكمة فاعتقد انه ما وضع الامر بالسجود موضعه
بل وضع امره غير موضعه فيعتقد في الله السفه والظلم وهو كفر وقال اخرون
انما كفر اللعين بالاستكبار والتكبر على آدم لا لمعنى آخر والتكبر عليه تكبر على من امره
بذلك حيث لم يقبل امره والتكبر على الله كفر والله اعلم بما اراد من ذلك ولذلك
قيل اول من اخطا في القياس وزل فيه ابليس لعنه الله قوله تعالى فاهبط
فما يكون ان تتكبر فيها قال بعضهم اهبط منها اي من السماء لان ابليس كان في السماء
فامره بالهبوط لان السماء جعلت للخاضعين فامر بالهبوط منها الى مكان جعل معدنا

للخاضعين والمتكبرين جميعًا وهو الارض اذ الارض معدن الفريقين جميعًا وقال
بعضهم هذا امر بالخروج من الارض الي جزاير البحور لان الارض هي قرار
اهلها وجزاير البحور ليست بمكان قرار لاحد ليكون ابليس فيها علي الخوف
يقرر وهذا ان ذكر الارض مطلقًا لا يقع علي البحار الا تري الي قوله وجعلنا في
الارض رواسي ان تميد بهم والبحار مما لا تميد باهلها وهذا علي قول الحسن
لان عنده ابليس لم يكن من الملايكة ولم يكن في السماء وانما كان يوسوس آدم
عليه السلام من الارض ويحتمل ان يكون الامر بالهبوط منها امرًا بالخروج من
الصور التي كان فيها الي صورة اخري قبيحة لا يعرف ابدًا ولا يري عقوبة له لتركه
امر الله تعالي وركوبه نهيه وقيل اي اخرج من الجنة قوله تعالي فما
يكون لك ان تتكبر فيها اي ما يكون لك ان تتكبر في تلك الصورة التي تحولت اليها
قبيحة او في ذلك المكان الذي تحول اليه حتي لا يقر ابدًا ويكون علي خوف
ووجل ابدًا والله اعلم قوله تعالي فاخرج منها انك من الصاغرين يحتمل
وجه صغاره انه ما من احد يذكره الا ويلعنه ويدعوا عليه باللعن فذلك صغاره
ويحتمل ان يكون صغاره لما صيره الله تعالي بحال يغيب عن الابصار ولا يقع
عليه الابصار ويحتمل ان يكون صغاره لما ترد من رحمة الله وصار ملعونًا والله اعلم
قوله تعالي قال انظرني الي يوم يبعثون اختلف فيه قال بعضهم انظره الله
تعالي الي النفخة الاولي ليذوق الموت ولا يصل حيوة الدنيا الي حيوة الآخرة
ولذلك قال في آية اخري انك من المنظرين الي يوم الوقت المعلوم وقال بعضهم
انظره الي يوم القيمة لانه سال ربه ان ينظره الي يوم البعث حيث قال انظرني
الي يوم يبعثون قال انك من المنظرين خرج ذلك جوابًا لسواله فدل ان
الانظار الي الوقت الذي ساله بظاهر الآية وما ذكر من الوقت المعلوم في اية
اخري يحتمل ان يكون هو يوم القيامة والله اعلم وقال غيره انظره ولم يبين له ذلك
الوقت الذي انظره اليه حتي يكون ابدًا علي خوف ووجل يدل عليه ان ابليس اللعين
كان يخاف الهلاك علي نفسه كما قال الله تعالي خبرًا عنه في غزوة تبوك فلما تراءت
الفيتان نكص علي عقبيه وقال اني بري منكم اني اري ما لا ترون اني اخاف الله
والله شديد العقاب ولو كان الوقت الذي انظره معلومًا عنده لكان لا يخاف
الهلاك بدون ذلك الوقت دل انه كان غير معلوم عنده ولكن كان مجهولًا

عند الله فلذلك قال انك من المنظرين الي يوم الوقت المعلوم قوله تعالي
قال فبما اغويتني لاقعدن لهم صراطك المستقيم قوله لاقعدن لهم ليس علي
حقيقة القعود ولكن علي المنع عن السلوك في الطريق او علي تلبيس الطريق المستقيم
عليهم لان العدو متي قعد علي الطريق لمنعهم عن السلوك حقيقة ان قدر عليه والا
يستر عداوته ويلبس عليهم الطريق المستقيم ويوقعهم في المهالك ثم الآية حجة علي
المعتزلة فانه اضاف الاغواء الي الله تعالي بقوله فبما اغويتني ولم يرد
عليه الانكار والرد من الله تعالي في ذلك دل ان خالق الغواية هو الله تعالي
فيكون الآية بظاهرها حجة عليهم قال الحسن في تاويل هذه الآية فبما اغويتني
اي فبما لعنتني والاغواء هو اللعن وهو كما قال في صفة ابليس فانك من المرجومين
اي من الملعونين فعلي ذلك قوله فبما اغويتني اي لعنتني واللعن هو الطرد
من الرحمة وهذا مما لا يمتنع اضافته الي الله تعالي وقال ابو بكر الكيساني اضاف
الاغواء اليه وما انكر عليه لان سبب ذلك الاغواء من الله وهو الامر له
بالسجود لآدم عليه السلام والخضوع له فانه لولاه لما وقع في هذه الغواية
ويجوز اضافة المسبب الي السبب وان كان وجوده لانه كما قال الله تعالي ومنهم
من يقول ايذن لي ولا تفتني سال النبي صلي الله عليه وسلم الاذن بالقعود
عن الجهاد وقال لا تكلفني بالاقوام فتفتنني بذلك اضاف الافتتان الي الامر
بالجهاد لانه اذا كلفه بذلك فيقعد عنه ويتخلف يقع في الفتنة والعذاب ولو
لا الامر بذلك منه لم يقع فيه فاضاف اليه لوجود السبب وان كان وجود
ذلك بالتخلف منه عن اختيار فكذلك هذا وقال بعض المعتزلة قوله فبما
اغويتني هذا قول ابليس اللعين وقد كذب عدو الله في اضافة الاغواء
الي الله بل لم يغوه الله وانما هو اغوي نفسه ولكنا نقول ظاهر الآية وحقيقتها
حجة عليهم لان حقيقة الاغواء هو ايجاد الغواية وخلق فعل الغواية والضلال
علي ما ذكرنا في غير موضع وفيما قالوا عدول عن الحقيقة فلا يسمع من غير
دليل ثم ما قاله الحسن لا يصح لان الاغواء لو كان هو اللعن لكان اللعن هو
الاغواء فيجب ان يكون كل لاعن علي غيره مغويًا له ومن لاعن علي ابليس لا
يكون مغويًا له وكذلك الله تعالي لعن عليه بقوله وان عليك لعنتي الي يوم الدين
فيكون مغويًا له فلا ينفع هذا التاويل والله اعلم وما قاله ابو بكر الكيساني فاسد

فانه لو جاز اضافة الاغوآء الي الله لسبب الامر لجاز ان يضاف الاغوآء الي الرسل والانبياء
لانه كان منهم الامر لقومهم بالايمان والدعاء الي توحيد الله ثم كذبوا في ذلك فكان
سبب اغوآء اوليك هو امر الرسل ودعاهم اياهم بالتوحيد وذلك بعيد لم يقل به
احد وقول من قال فبما اغويتني حكايه فعل ابليس وقد كذب فاسد ايضا فان
نوحا عليه السلام قال لقومه ولا ينفعكم نصحي ان اردت ان انصح لكم ان كان الله
يريد ان يغويكم فان كان ابليس كذب في اضافة الاغوآء الي الله فما ظنكم بنوح انه
كذب في اضافة الاغوآء الي الله فدل ان ابليس لم يكن كاذبا في اضافه الاغوآء
الي الله لما ذكرنا من تحقيق خلق الغواية منه ولما ذكرنا ان الله تعالي لم يرد علي ابليس
اللعين في اضافته الاغوآء اليه ولو كان لخلاف ما قال لرد عليه والله الموفق
وقال بعض اهل التاويل اغويتني خذلتني اي منعتني اللطف الداعي الي الهدي
ولكن الوجه فيه ما ذكرنا انه خلق في ابليس فعل الغواية والضلال وكذلك خلق
فعل كفر كل كافر لما علم انه يختار الغواية والضلال والله الموفق وقوله ثم لاتينهم
من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمآئلهم اختلف في تاويله قال الحسن
من بين ايديهم اي ياتيهم من قبل الاخرة ويدخل عليهم من هذا الوجه فيقول
لهم لا بعث ولا جنه ولا نار فما هذا التعب وقوله ومن خلفهم اي ياتيهم من قبل دنياهم
فيزينها لهم ويشهيها اليهم وقوله وعن ايمانهم قال ياتيهم من قبل الحسنات فيبطوهم
عنها ويمنعهم عن تحصيلها ويستهل ذلك الامر عليهم ويقول ان الله لا ينفعه طاعة المطيعين
ولا يضره معصية العاصين وقوله وعن شمآئلهم قال ياتيهم من قبل السيات
فيامرهم بها ويحثهم عليها ويزينها في اعينهم وقال مجاهد لاتينهم من بين ايديهم
اي من حيث يبصرون ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمآئلهم من حيث لا يبصرون
اي يوسوسهم ويوقعهم في المعاصي ظاهرا وباطنا وقال بعضهم من بين ايديهم من قبل
اخرتهم فلا خبرتهم انه لا جنه ولا نار ولا بعث علي ما ذكر الحسن ومن خلفهم من قبل
دنياهم لامرتهم بجمع الاموال فيها لمن بعدهم من ذرياتهم واخوفهم الضيق والضنك في العيش
فلا يصلون في اموالهم رحما ولا يعطون حقا وعن ايمانهم من قبل دينهم فازين لكل قوم
ما يعبدون فان كانوا علي ضلالة زينتها لهم وان كانوا علي هدي شبهته عليهم حتي اخرجهم
منه وعن شمآئلهم من قبل اللذات والشهوات فازينها لهم والاصل عندنا انه يخرج
علي وجهين احدهما ليس علي ارادة بين وخلف وايمان وشمايل ولكن علي ارادة الجهات

لجملتها كانه قال لاتينهم من كل جهة والثاني ما ذكر الحسن واهل التاويل من
بين ايديهم الاخرة نكذبنا بها ومن خلفهم الدنيا نزينها اياها عليهم وعن ايمانهم الحسنات
وعن شمايلهم السيات فان قيل ما معني ذكر الامام والخلف واليمين والشمال
دون ذكر الفوق والتحت قيل من وجوه يحتمل انه يدخل ما فوق وما تحت في
ذكر الامام والخلف واليمين والشمال كقوله اولم يروا الي ما بين ايديهم وما خلفهم
من السماء والارض ان نشا نخسف بهم الارض او نسقط عليهم كسفا من السماء دخل
ما فوق بذكر ما بين ايديهم ودخل ما تحت بذكر الخلف فعلي ذلك ههنا فيصير كانه
قال لاتينهم من كل وجه والثاني يحتمل انه لم يذكر هذا لما انه لا سلطان له علي
منع ارزاق الخلق عنهم وارزاق الخلق والبركات مما ينزل من السماء من المطر
ويخرج من الارض النبات وليس سلطان علي منع انزال المطر واخراج الانزال
والنبات من الارض وله سلطان علي غير ذلك فلذلك لم يذكر الفوق والتحت
وذكر غيرهما من الجهات والثالث انه ذكر هذه الجهات لا غير لما يشغلهم ويلهيهم
من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمايلهم باللذات والشهوات حتي
اذا راي الانسان شيا اعجبه اتبع النظر اليه واحدا بعد واحد من امام وورآء
ويمين وشمال ولا كذلك من فوق ومن تحت والله اعلم والرابع يحتمل ما روي عن
ابن عباس رضي الله عنهما انه كان اذا تلي هذه الاية قال ان الله تعالي منعه
ان ياتيهم من فوقهم ولو كان كذلك لما نجا احد فاعمالهم تصعد الي الله ورحمته تنزل
عليهم والله اعلم وكذلك قال قتادة اتاك اللعين من كل نحو يا ابن آدم غير انه لم
يستطيع ان يحول بينك وبين رحمة ربك انما تاتيك الرحمة من فوقك والاصل ما
ذكرنا ان هذا علي التمثيل انه ياتيه من كل جانب والله اعلم وقوله ولا تجد اكثرهم
شاكرين هذا من عدو الله ظن ظنه لا حقيقه ولكن الله اخبر انه صدق ظنه
بقوله ولقد صدق عليهم ابليس ظنه فاتبعوه الا فريقا من المومنين قوله تعالي
قال اخرج منها مذموما مدحورا قيل اخرج من السماء ويحتمل من الارض
ويحتمل من الصورة التي كان عليها ويحتمل من الجنة علي ما ذكرنا في قوله قال اهبط
منها وقوله مذموما مدحورا قيل مذموما ملوما عند الخلق كلهم مدحورا
اي مقصيا مبعدا من كل خير قال ابو عوسجة مذوم ومذموم واحد ومدحورا
اي مبعدا مطرودا قوله تعالي لمن تبعك منهم لاملان جهنم منكم اجمعين

اخبر عز وجل انه يملأ جهنم من ابليس ومن تبعه واطاعه لانهم انما يتبعونه ويطيعونه
بالشرك والكفر بالله وتعلق الخوارج بظاهر قوله لمن تبعك منهم لاملأن جهنم
منكم اجمعين على ان كل مرتكب معصية تابع له لذلك قالوا بان كل مرتكب معصية
صغيرة او كبيرة مستوجب للخلود ومستحق اسم الكفر والشرك واحتج المعتزلة
بالآية في مرتكب الكبيرة بوعيد هذه الآية وخصوا صاحب الصغيرة بدليل آخر
وعندنا ليس في الآية حجة للفريقين جميعا في استحقاق الخلود واستحقاق
اسم الكفر لان هذه الآية انما ذكرت على اثر نقض الدين ورد التوحيد بقوله
لاقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لآتينهم من بين ايديهم الاية فكانه قال تعالى لمن
تبعك منهم في نقض الدين والتوحيد لاملأن جهنم منكم اجمعين وبه نقول والله اعلم
قوله تعالى ويا آدم اسكن انت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما كان
السكون في موضع من القرار فيه والامن كقوله هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا
فيه اي لتقروا فيه وتامنوا فيه فقوله لادم اسكن انت وزوجك الجنة اسكنهما الجنة
ليقرا فيها ويامنا من كل ما ينغصها تلك النعم التي انعم عليهما لان الخوف مما ينغص النعم
ويذهب بلذتها فلما اسكنهما الجنة امنهما من ذلك كله ثم في الآية دلالة ان اول المحنة
والابتلاء من الله لعباده انما تكون بالافضال والانعام عليهم ثم بالجزاء والعدل
لسوء ما ارتكبوا لانه امتحن آدم بالافضال والانعام عليه حيث اسجد ملائكته له
واسكن جنته ووسع عليه نعمه ثم امتحن بالشدائد وانواع المشقة جزاء ما
ارتكب من التناول من الشجرة التي نهاه عن قربانها ولذلك قال وما اصابكم
من مصيبة فبما كسبت ايديكم اخبر ان ما يصيبنا هو من كسب ايدينا وهو
جزاء ما كسبنا والله اعلم ثم في هذه الآية دلالة اثبات رسالة محمد صلى الله عليه
حيث اخبر بهذه القصة من غير ان اختلف الى احد ممن يعرف ذلك ولا
نظر في الكتب التي فيها ذكرها دل انه انما عرف ذلك بالله تعالى ثم اختلف
اهل التاويل في الجنة التي اسكن الله تعالى آدم فيها وزوجته قال بعضهم هي
الجنة التي يكون عود اهل الاسلام اليها في الآخرة ولهم وعد بقوله تلك الجنة
التي نورث من عبادنا من كان تقيا وقال بعضهم هي جنة انشاها لادم في السماء
ليسكن فيها ولكن لا ندري ما تلك الجنة التي كان فيها آدم وحواء وليس بنا الى معرفة
تلك الجنة حاجة انما حاجتنا الى معرفة ما ذكر من الامتحان له واختلف ايضا في الشجرة

التي نهي آدم عن قربانها قال بعضهم هي شجرة العلم وقال بعضهم هي شجرة الحنطة
وقال بعضهم هي شجرة العنب وقد ذكرنا اقاويل اهل التاويل في صدر الكتاب
على قدر ما حفظناه وكذلك اختلفوا في وسوسة الشيطان لادم وحواء بانه
كيف وسوس اليهما ومن اين كان قال الحسن انما وسوس اليهما من الدنيا
الا ان كان دخل الجنة وقال بعضهم وسوس اليهما من راس الحية ومن فيها
فكلمهما وقد ذكرنا هذا ايضا والله اعلم قوله تعالى ولا تقربا هذه الشجرة
لم يرد الدنو منها ولكن اراد الذوق والاكل منها لكن ذكر القرب بان مجانبة الاكل
وفي الآية دلالة ان الامتحان من الله يكون مرة بالحل ومرة بالحرمة لانه اذن
له التناول مما في الجنة من انواع النعم وحرم عليه التناول من واحدة منها وذلك
محنة منه قوله تعالى فوسوس لهما الشيطان ليبدي لهما ما وري عنهما من
سوآتهما قد ذكرنا الاختلاف في كيفية الوسوسة وقوله ليبدي ما وري عنهما من سوآتهما
اي عوراتهما والسوأة العورة في اللغة في الآية بيان انه يجب ان يكون على حذر
من شر ابليس اللعين ابدا ليلا يجد فرصة علينا فانه ابدا على سلب نعمة انعمها الله
تعالى على عباده الا ترى انه كيف احتال كل حيلة حتى ابدى ما وري وستر عنهما
من العورة وعمل في اخراجهما من النعم واللذات واوقعهما في الشدائد والمشقة
وفي الآية بيان ايضا انه ليس عليه حال اشد مما اذا راى احدا في النعمة والسعة
والله اعلم قوله تعالى وقال ما نهيكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين
او تكونا من الخالدين قد ذكرنا معنى هذا ايضا في صدر الكتاب ثم قوله الا ان
تكونا ملكين قرا بعضهم بكسر اللام من الملك ذهب في ذلك الى قوله هل ادلك على
شجرة الخلد وملك لا يبلى وقراءة العامة الا ان تكونا ملكين بنصب اللام والكاف
من الملائكة وقد ذكرنا جهة رغبة آدم في ان يصير ملكا اذا تناول منها في صدر الكتاب
لان الملك افضل من النبي من البشر على قدر الكفاية والله اعلم ثم النهي عن التناول
عن الشي يخرج على وجوه احدها ينهى لحق الحرمة لنفسه فيكون حراما لعينه ومنها
لحق ايثار الغير عليه فيكون الحرمة لحق الغير لا ان عين ذلك الفعل حرام
ومنها ما ينهى لداء وآفة فيما يتناوله فيكون نهي شفقة لما عسى يتضرر به وبجله انه
ومنها ما ينهى عن التناول لما كان التناول منه لحق الجزاء في دار الجزاء ودار
الدنيا ليس بدار الجزاء من نحو الذهب والحرير في حق الرجال والتناول

او الي الذهب والفضة ونحوها فيجوز ان يكون النهي عن تلك الشجرة لآدم لما كانت
معدة للتناول بطريق الجزاء في الآخرة والله اعلم قوله تعالى وقاسمهما
ربهما اني لكما لمن الناصحين وهذا الذي يقوله الحسن يومي الي ان آدم عليه السلام
قد علم انه الشيطان وقال ابو بكر الكيساني انه قد وقع عند آدم ان الشجرة التي
نهاه ربه ان يتناول منها هي المفضلة علي جميع الشجرة فلما وسوس اليه الشيطان
وقال له هل ادلك علي شجرة الخلد وملك لا يبلى فوافق ظنه قول اللعين وما
دعاه اليه ثم اشتغل آدم عليه السلام بامر آخر فنسي ذلك فتناول علي النسيان
والنسيان علي وجهين في اللغة وفي استعمال الناس نسيان الترك علي طريق
العهد بقوله نسوا الله فنسيهم والثاني نسيان السهو ولا يحتمل ان يكون آدم عليه السلام
ترك ذلك عمدا فهو علي نسيان السهو الي هذا يذهب ابو بكر الاصم ومن قال
المراد من النسيان هو الترك يقول انه علم انه شيطان ولكن لما قاسم ووقع عنده
انه اقسم صادقا لما لم يخطر بباله ان احدا يستشهد الله كاذبا او صرف النهي
الي الندب او زعم انه انتهى مدة النهي اذ يحتمل ان يكون موقتا وقد ذكرنا هذا
فيما تقدم والله اعلم قوله تعالى فدلاهما بغرور قال ابو عوسجة اي اوردهما
الي الشجرة حتى تناولا منها على الغرور بهما وقيل اي زين لهما التناول من تلك
الشجرة يقال دلاني فلان بحبل غرور اي انه زين لك القبيح حتى تركبه يقال
دلى يدلي تدلية واصل التدلية من التدليل وهو التفعيل الا انه اسقط الواو
واقيم الواو مقامه ومعنى التدلية الدعاء قوله فدلاهما بغرور اي دعاهما بغرور
ثم دعاؤه اياهما بغرور وتزيينه لهما ما قال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان
تكونا ملكين او تكونا من الخالدين وقوله هل ادلك علي شجرة الخلد وملك لا يبلى
وفايدة تغريره آدم وحواء ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين لان الملك كما ذكر
انه لا يفتر عن العبادة ولا يعصي ربه ولا يحتاج الي شي من المؤنة ومن قرا ملكين
لان الملك يكون نافذ القول والامر في مملكته وذلك مما يرغب فيه او ان يكون
اراد بذلك ان يشغلهما عن نهي ربهما حتى ينسيهما ذلك فتناولا عن تلك الشجرة
كما فعلا لكن الاشبه ان يقال انه لم ينس نهي الله اياهما عن التناول منها ولكن
نسي قوله فتكونا من الظالمين لذلك تناولا ولو ذكرا قوله فتكونا من الظالمين
ما تناولا وانما ذكر الخلود لانه ليس شي الذ واشهى من الحيوة والله اعلم

قوله تعالى فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سواتهما والاشكال انه لما ذا خص السوءة بالذكر
وقد بدا لهما جميع البدن ومنة الله تعالى في اللباس في كل البدن لا في السوءة خاصة
لما يكون في ذلك انعام ستر العورة وفي غيرها من البدن انعام دفع الحر والبرد وغير
ذلك وذلك هذا الاشكال في قوله يا بني آدم قد انزلنا عليكم لباسا يواري سواتكم
خص السوءة بالذكر مع شمول منته علينا في ستر جميع البدن والجواب من وجوه
احدها ان كشف العورة ليستقبح في الطبع والعقل جميعا فاما كشف غيرها من البدن
فليس بمستقبح في الطبع ولا في العقل وربما يبدي المرء من البدن سوى العورة عند
الحاجة ويستر عند غير الحاجة فاما العورة فانه لا بد بها الا في حال الضرورة
لذلك كان التخصيص والله اعلم والثاني يحتمل ان التخصيص بالذكر باعتبار ان
المفروض من الستر هو قدر العورة واما ستر ما وراء العورة اما لحق دفع الحر
والبرد والاذى او لحق التجمل والتزين لذلك كان تخصيصها بالذكر والا المنة
والنعمة عظيمة في لباس كل البدن وراء العورة والله اعلم والثالث انما خص
السوءة بالذكر لان قصد الشيطان الي ابداء عورتهما لا غير كما قال فوسوس لهما
الشيطان ليبدي لهما ما ووري عنهما من سواتهما ولذلك لم يجعل لغير البشر عورة
من الدواب وغيرها تستر ولذلك خص البشر بالقبر لاجل عورته دون غيره
من ساير الحيوانات فخرج ذكر تخصيص السوءة لهذا والله اعلم فان قيل ان الله
تعالى كنى عن الجماع مرة باللمس ومرة بالغشيان وعن الخلاء بالغايط وهو المكان
المطمين الذي يقضى الحوايج فيه وكذلك جميع ما لا يستحسن ذكره علي التصريح ذكره بالكناية
فكيف ذكر ههنا السوءة والعورة علي التصريح قيل السوءة والعورة هما كناية ايضا
والمصرح في الباب هو الذكر والفرج والدبر ونحو ذلك قوله تعالى وطفقا
يخصفان عليهما من ورق الجنة قال ابو عوسجة طفقا اي اخذا تقول طفقت
افعل كذا اي اخذت والخصف الخياطة في النعل والخف وهو مستعار ههنا
وقيل يخصفان يغطيان وقال مجاهد يخصفان اي يرقعان كهية الثوب ثم وطفقا
يخصفان عليهما من ورق انما سترا انفسهما بورق الجنة اما حياء كل واحد منهما من الآخر
او حياء من الله تعالى اما الحياء من الله تعالى فلما روي في الخبر عن بهز بن حكيم
عن ابيه عن جده قال قلت يا رسول الله عوراتنا ما ناتي وما نذر قال احفظ
عورتك الا من زوجتك او ما ملكت يمينك قلت يا رسول الله فاذا كان بعضنا

في بعض قال فان استطعت ان لا تظهر عورتك قلت يا رسول الله فان كان احدنا
خاليًا قال فالله احق ان يستحيا منه وكذلك يكره للرجل في الخلوة ان ينظر الى
عورته وان يكشفها ولذلك كره ابو حنيفة رحمه الله ان ينظر الرجل الى فرج زوجته
او المرأة الى فرج زوجها الا ترى انه قال ليبدي لهما ولم يقل ليبديهما وهذا يدل
انه لا ينبغي للرجل ان ينظر الى فرج زوجته ولا الزوجة الى فرج زوجها والله اعلم
قوله تعالى وناديهما ربهما الم انهكما عن تلكما الشجرة واقل لكما ان الشيطان لكما عدو
مبين يحتمل قوله وناديهما ربهما وحيًا اوحى اليهما على يدي ملك لكنه اضاف الى نفسه كقوله
فنفخنا فيه من روحنا اضاف الى نفسه نفخ الروح لما ان الملك نفخ فيه باذنه وامره فعلى
ذلك هذا ويحتمل ان يكون المراد بذلك الهامًا الهمهما كقوله اذ اوحينا الى امك ما
يوحى ان اقذفيه في التابوت وقوله واوحى ربك الى النحل وانما المراد الالهام فعلى
ذلك هذا والله اعلم قوله تعالى قالا ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا
لنكونن من الخاسرين اي ظلمنا انفسنا حيث اوقعناها في الشدائد وكد العيش في
الدنيا والظلم هو وضع الشيء في غير موضعه وقال بعض اهل العلم ان آدم عليه السلام
اكل من الشجرة وهو ناس لنهي الله اياه عن اكله منها وكان اكله منها ظلمًا لنفسه وعصيانا
لربه وان كان فعل ناسيًا فان النسيان جائز المواخذة عقلًا فكان جائز المواخذة
شرعًا الا ان الله تعالى تفضل على امة محمد عليه السلام فرفع عنهم الخطاء والنسيان
وما استكرهوا عليه وقال قوم انه ترك امر ربه عمدًا من غير نسيان لكنه تركه
متاولًا على ما عرف ولا ندري كيف كان ذلك وقال بعض اهل العلم ان الخطاء
والنسيان في الاحكام موضوع لهذا الحديث رفع عن امتي الخطاء والنسيان وما
استكرهوا عليه فيقال لهم ما تقولون في قتل الخطاء هل فيه الدية والكفارة وما
تقولون في رجل افسد متاع رجل واحرقه ناسيًا او مخطئًا هل يضمن فان قالوا نعم ذلك
لازم عليه قيل كيف قلتم ان الحديث جاء في الاحكام وانتم توجبون الضمان والدية
والكفارة وقال بعضهم وجه الحديث عندنا ان الامم السالفة قبل امتنا كانت
ماخوذة بالخطاء والنسيان فيما بينها وبين ربها فرفع الله الحرج عن هذه الامة
في ذلك تفضلًا منه علينا من بين سائر الامم فاما الغرامات والضمانات
والاحكام التي بين الناس فهي لازمة لهم خطاء فعلا او عمدًا والله اعلم وقال الحسن
في قوله ربنا ظلمنا انفسنا الى آخر الآية هي الكلمات التي تلقاها آدم من ربه

بقوله

بقوله فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه ثم قال آدم ربنا ظلمنا انفسنا الآية
وقال نوح رب اني اعوذ بك ان اسألك ما ليس لي به علم والا تغفر لي وترحمني
اكن من الخاسرين وقال ابرهيم ربنا اغفر لي ولوالدي وللمومنين يوم يقوم
الحساب وقال نوح ايضًا رب اغفر لي ولوالدي ولمن دخل بيتي مومنا الآية
بعض ما ذكرنا من الآيات خرج على الامر وبعضه خرج على السوال وكله على
الدعاء والسوال ليس على الامر وان خرج ظاهره بخروج الامر لان الامر
ممن هو دونه لمن هو فوقه دعاء وسوال وممن هو دونه امر لو ان ملكًا من الملوك
اذا امر بعض خدمه او بعض رعيته بفعل من الافعال وهو امر واذا امر بعض
خدمه او بعض رعيته للامير شيئًا فهو ليس بامر ولكنه سوال ودعاء فكذلك
ما صدر من الانبياء بصيغة الامر في حق الله تعالى يكون سوالًا ودعاء فان
قيل ان الرسل سالوا ربهم المغفرة لزلاتهم فلا يخلو اما ان احيب في ذلك
او لم يجابوا فان لم يجابوا فيما سالوا فهو عظيم وان اجيبوا في ذلك والمغفرة هي
الستر كيف لم تستر زلاتهم حيث ذكرت وتذكر والى يوم القيامة والى يكون
مغفرة بلا ستر قيل في ذلك من وجوه احدها ان المغفرة قد تكون في ستر
الذنب عن الخلق بحيث لا يذكر فيما بينهم ولا يظهر عندهم وقد تكون في ستر
اثره وحكمه وهو ان لا يواخذ به صاحبه ويتجاوز عنه والانبياء عليهم السلام
لما ارتكبوا تلك الزلات عظمت هي عندهم واشتغلت قلوبهم لذلك لعظيم تلك عندهم
لم يخطر ببالهم عند سوالهم المغفرة سترها عليهم في حق الناس وكتمانها عنهم بل كانه
خطر ببالهم ستر اثرها وهو التجاوز عنهم فاجاب الله تعالى التجاوز عنهم ورفع
المواخذة لها والله اعلم والثاني يحتمل ان تعالى اراد بافشاء ذلك واظهارها
ايقاظ لغيرهم والتنبيه لهم في ذلك ليعلموا ان الرسل مع جليل قدرهم وعظيم منزلتهم
عند الله لم يوح بهم في العتاب والتوبيخ لما ارتكبوا فمن دونهم احق بذلك ويحتمل انما
اظهرها ليعلموا انه ليس بغافل عن ذلك ولا يخفى عليه شيء والله اعلم ثم في قوله
ربنا ظلمنا انفسنا الآية دلالة على نقض قول المعتزلة لانهم يقولون الصغاير
مغفورة باجتناب الكباير ثم من قولهم ان الرسل والانبياء معصومون عن الكباير
وزلة آدم لا شك انها صغيرة لما ذكرنا ثم قال فان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن
من الخاسرين فاذا كانت الصغيرة مغفورة عندهم ولم يكن له ان يعذب عليها

من حيث الحكمة حتى لو عذبه يكون جائزاً فقول آدم وان لم تغفر لنا كانه قال ان جرت
وظلمت علينا لنكونن من الخاسرين وهذا وحش من القول نعوذ بالله قوله تعالى
قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو عن ابن عباس رضي الله عنهما قال هم آدم وحواء
وابليس وحية وقال الحسن آدم ووسوسة الشيطان وانما قال ووسوسته
لا نفس الشيطان لان من قوله ان الشيطان لم يكن في السماء وانما وسوس آدم
وحواء من بعيد فالامر بالهبوط لوسوسته ولذلك بقيت الوسوسة في اولاده
من البعد الى يوم القيمة وقوله اهبطوا الايفهم منه الهبوط لامحالة الا ترى انه
قال في آية اخرى اهبطوا مصرا اي انزلوا مصرًا وقال بعضهم كانوا في السماء
والامر بالهبوط انما كان من السماء من حيث ظاهر الاستعمال على مقابلة الصعود
يدل عليه قوله ولكم في الارض لم يكن لقوله بعد الامر بالهبوط ولكم في الارض
مستقر فائدة اذ مستقره هو الارض قبل ذلك ثم في قوله اهبطوا بعضكم
لبعض عدو ان ليس في الجمع بالذكر دلالة وجوب الحكم والامر مجموعا الا
ترى ان الله تعالى جمعهم بالامر بالهبوط بقوله اهبطوا ولم يدل على الهبوط
معا ولا على الامر به معا فان ابليس اللعين امر بالهبوط حين ابى السجود
لادم وآدم وحواء حين تناولا من الشجرة فدل به ما ذكرنا ثم انما سمي بعضهم
عدوا لبعض لان ابليس عدو لنا اما بالكفر واما بما يسعى لهلاكنا وكل من يسعى
في هلاك الغير فهو عدو له وكذلك نحن اعداء له نبغضه ونعتقد مخالفته
وعداوته ومن خالف من المسلمين شيئا من امر الله لم يكن ذلك لولاية ابليس
وموافقته لكن يقع فيه لغلبة هواه وطبعه وقضاء شهواته والله اعلم قوله تعالى
ولكم في الارض مستقر ومتاع الى حين قيل الى منتهى آجالكم وابليس
الى النفخة الاولى ويحتمل ان يكون هذا ليس على التوقيت ولكن على الدوام
والقرار فيها وهو الاشبه قوله تعالى قال فيها تحيون وفيها تموتون
ومنها تخرجون قيل في الارض تعيشون وفيها تموتون عند آجالكم ومنها
تخرجون في القيامة قوله تعالى يا بني آدم قد انزلنا عليكم لباسا يواري
سوآتكم قال ابن عباس والحسن انزل ماء القراح من السماء ليتخذ منه اللباس
ما يواري به عوراتهم ويتخذ منه الطعام والاشياء التي بها قوام انفسهم ويحتمل
قوله قد انزلنا عليكم لباسا اي انزلنا الماء والاسباب التي بها يتخذ اللباس

والاطعمة والاشربة وفيه دليل اثبات الرسالة لانهم لم يعرفوا هذه الاسباب
الا بوحي من السماء ولن يكون ذلك الا على رسول من الرسل ويحتمل قوله
قد انزلنا عليكم لباسا يواري سوآتكم اي جعلنا وانشانا لكم ما تتخذون اللباس
والطعام والشراب ليس على الانزال ولكن على ان جعل ذلك وهو كقوله
الله الذي جعل لكم الانعام لتركبوا منها ومنها تاكلون قوله تعالى وجعل
لكم سرابيل تقيكم الحر وسرابيل تقيكم باسكم وهو ان خلق لنا ذلك وانشا
فعلى ذلك هذا وفيه دلالة خلق الافعال لانه انما صار طعاما ولباسا وما لا بفعل من العباد
لا انه انزل من السماء هكذا ثم اخبر انه جعل ذلك دل انه خلق الافعال التي بها
يحصل ويوجد هذه الاشياء والله الموفق قوله تعالى وريشا وقرئ ورياشا
قال بعضهم مالا وقال بعضهم معاشا وقال القتبي والريش والرياش ما
ظهر من اللباس مثل الرداء والقباء ونحوهما وريش الطائر ما ستره قوله تعالى
ولباس التقوى اختلف فيه اهل التاويل قال الحسن لباس التقوى الدين
وقال ابو بكر الاصم هو القرآن وقيل الحياء وقيل العفاف وقيل الايمان
وقال بعضهم لباس التقوى هو اللباس الذي يتقى به الحر والبرد قال
في صدر الآية ذكر لباس العورة وفي الآخر ذكر لباس سائر البدن ثم قال
ذلك خير اي اللباس والاذى كقوله وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر
وسرابيل تقيكم باسكم ثم قراءة العامة ولباس التقوى بالنصب وفي حرف ابن
مسعود رضي الله عنه ولباس التقوى بالنصب وفي حرف ابن مسعود
بالرفع على الابتداء منقطعا عن الاول فذكر في الاول لباس العورة ثم ذكر
وقال ولباس التقوى اي لباس التقوى خير من اللباس الذي ذكر لان الدين
والقرآن والايمان والعفاف والحياء كله يمنعه ويزجره عن المعاصي فيكون خيرا
من ذلك لانه لباس في الدنيا والآخرة لان المؤمن التقي العفيف الحيي لا تبدو
له عورة وان كان عاريا من الثياب وان كان الفاجر لا يزال يبدو منه عورته
وان كان كاسيا من الثياب وهو كقوله فان خير الزاد التقوى وعلى هذه القراءة
يكون قوله ذلك زيادة في الكلام واما قراءة العامة بالنصب فهي بناء على قوله
قد انزلنا عليكم لباسا يواري سوآتكم وريشا ولباس التقوى اي وانزلنا عليكم
ايضا لباس التقوى على اختلاف اهل التاويل فانه هو الذي انزل الدين والحياء

وَالعفاف ونحوها وكذلك اللباس الذي به يتقي الحر والبرد فكون في صدر الآية
ذكر لباس العورة وفي الآخر ذكر لباس سائر البدن ثم بين وقال ذلك خير
اي لباس التقوي خير من لباس العورة وعلي التاويل الثاني ذلك خير ٢٧
اي لباس العورة خير من اللباس الذي به يتقي الحر والبرد والله اعلم
قوله تعالي ذلك من آيات الله يحتمل قوله ذلك اي الذي اتخذ منه
اللباس والاطعمة والاشربة من آيات الرسالة لان كل ذلك انما عرف
بالرسل بوحي من السمآء وهو ما ذكرنا ان فيه دليل اثبات الرسالة ويحتمل
ذلك من آيات الله اي من آيات وحدانيته وربوبيته لما جعل منافع
السمآء متصلة بمنافع الارض مع بعد ما بينهما وذلك دليل علي ان منشئهما
ومدبرهما واحد اذ لو كان اثنين ما اتسق تدبيرهما لاتصال منافع احدهما
بالآخر وكل واحد يمتنع عن معاونة الآخر قوله تعالي لعلهم يذكرون
اي لعلهم يوفقون للتذكير ولعلهم يتقون لعلهم يوفقون للتقوي ولعلهم يوفقون
للشكر لانه حرف ترجية ويحتمل ان يقال لكي يلزمهم التذكر ويلزمهم الشكر
والله اعلم قوله تعالي يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما اخرج ابويكم من
الجنة قال بعضهم خاطبه به اهل مكة في تكذيبهم رسول الله ومخالفتهم امره
في ان لا يخرجكم من الامن والسعة كما اخرج ابويكم من دار الامن والسعة وقال
بعضهم لا يفتننكم الشيطان الآية احذروا دعاءه الي ما يدعوكم اليه وانه يمنع
عنكم في الآخرة الكرامة والثواب كما اخرج ابويكم من دار الكرامة والمنزلة
وقال اهل التاويل لا يفتننكم الشيطان اي لا يضلنكم الشيطان ويغوينكم كما فعل
بابويكم اخرجهما من الجنة وقال آخرون اي لا يفتننكم الشيطان بما هوت به
انفسكم ومالت الي شهواتها فان السبب الذي كان به اخراجهما هو النفس والميل
الي الشهوات والاماني والمفتون بالشئ المشغوف به والمولع به يقول لا يمنعنكم عن
دخول الجنة كما اخرج ابويكم من الجنة وكان قصد اللعين ما ذكر علي اثره من نزع
اللباس وابدآء العورة وهو قوله ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما يحتمل
قوله ينزع عنهما لباسهما اي نزع عنهما وهذا في القرآن كثير يفعل بمعنى فعل
ويحتمل علي الاضمار كانه قال اراد ان ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما
وقد ذكرنا ان المفروض من الستر هو ستر العورة لا غير احتيج اليه

او لم يحتج فاما غيره من الستر فانما هو لدفع الاذي من الحر والبرد او التجمل
قوله تعالي انه يريكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم قيل جنوده واعوانه
حذرنا عن ابليس واعوانه بما يروننا ولا نراهم فان قيل كيف كلفنا محاربتهم ٢٨
وهم بحيث لا نراهم وهم يروننا وفي غيرهم من الاعدآء لا يكلفنا محاربة من لا نراه
اذ لا نقدر القيام بمحاربته وليس في وسعنا ذلك قيل انه لم يكلفنا محاربة انفسهم
اذ لم يجعل للشيطان وجنوده السلطان علي انفسنا وافساد مطاعمنا ومشاربنا
وملابسنا ولو جعل لهم ذلك لاهلكوا انفسنا وافسدوا اغذيتنا انما جعل
لهم علينا السلطان في الوساوس فيما يوسوسون في صدورنا وقد جعل
لنا السبيل الي معرفة وساوسه بالنظر والتفكر وجعل لنا الوصول
الي دفع وساوسه بحجج واسباب جعل لنا وكذا امكننا من دفع ذلك بالاستعاذة
بالله كما قال واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله وقال وقل رب
اعوذ بك من همزات الشياطين الآية وهذا يدل علي انه يجوز في الحكمة ان الله
تعالي يكلفنا باشيآء لم يعطنا اسباب تلك الاشيآء بعد ان جعل في وسعنا الوصول
الي تلك الاسباب وان لم يكن وقت ذلك التكليف تلك الاسباب من نحو الامر
بالصلاة وان لم يكن علي الطهارة اذ جعل في وسعنا الوصول الي الطهارة ونحو
الامر بادآء الزكوة وان لم يكن وقت الامر من يؤدي اليه حاضرا ونحو
الحج وغيره من العبادات وان كان لا نصل الي ادآء ما افترض عليه الا
بعد اوقات مع احتمال الشدآئد وهذا ايضا يرد علي من يقول ان
لا يلزم الاوامر والنواهي من جهل بها ولا يكلف الا بعد العلم بها وهو قول
المعتزلة وذلك لانه لو لم يلزمه الامر الا بعد العلم فلم يكتسب اسباب العلم
بالاوامر والنواهي والفرآئض ويتكلف حتي لا يبلغه ذلك فلا يلزمه فرض
من فرآئض الله من العبادات وغيرها وهذا بعيد محال ان يتمكن البالغ
العاقل علي اسقاط الفرآئض عن نفسه والله الموفق قوله تعالي انا
جعلنا الشياطين اوليآء للذين لا يؤمنون هذه الآية حجة لنا علي اهل الاعتزال
حيث اضاف جعل الشياطين اوليآء للذين لا يؤمنون الي نفسه وذلك بان
خلق منهم فعل الولاية لهم لما علم منهم انهم يختارون ولايتهم ويتولونهم وهو كقوله
انما سلطانه علي الذين يتولونه الآية فدل علي ان خالق افعال العباد هو الله تعالي

وَاختلف اهل الاعتزال في تاويل هذه الآية قال ابو بكر الاصم الجعل
من الله تعالي علي وجوه احدها بطريق التسبيب اي اعطيناهم السبب
الذي به صاروا اولياءهم وهو القدرة التي تحصل بها الولاية التي هي فعلهم
عن اختيار ويجوز الاضافة بالسبب كما يقول الرجل لآخر جعلت لك الدار
والعبيد والمال وانه لم يجعل له اعيانها ولكن الوصول اليها فيضاف اليه
فعلي ذلك ما اضاف الجعل الي نفسه لما انه اعطاه السبب والله اعلم
وقال جعفر بن حرب الجعل هو التخليه فخلي بينهم وبين اوليائهم حتي يعملوا
ما شاءوا ولم يمنعهم عن ذلك فاضاف الجعل الي نفسه بسبب التخلية فانه لولا
التخلية منه وترك المنع والا لما قدروا علي الموالاة كما يقال للرجل انك
جعلت عبدك فاجرا اذا خلي بينه وبين ما يفعله وهو قادر علي منعه
عن ذلك فلم يمنعه فاضيف كونه فاجرا اضافه اليه لم يحصل ذلك بتخليته وذلك
الفعل فعلي ذلك هذا وقال الحسن من حكم الله تعالي ان من عصاه يكون
عدوا له ومن اطاعه يكون وليا له ومن اطاع الشيطان فهو وليه ومن عصاه
يكون عدوا له فعلي هذا يكون تاويل قوله انا جعلنا الشياطين اولياء اي
حكمنا بكون الشياطين اولياء للذين لا يومنون لطاعة الكفار اياهم في
اتيان الكفر وقال عامة المعتزلة قوله جعلنا الشياطين اولياء للذين
لا يومنون اي وجدناهم اولياءهم عبادة للجعل عن الوجود ولكنا نقول
لو جاز اضافة الجعل الي الله لما ذكروا من التخلية والتسمية لهم بذلك
والحكم والتسبيب والوجود لجاز اضافة ذلك الي الانبياء فقال ان الانبياء
جعلوا الشياطين اولياء للذين لا يومنون لانه قد كان منهم التخلية في ذلك
والتسمية لهم بذلك والحكم وذلك لم يقل به احد فدل ان الاضافة الي الله
لما قلنا لا لما قلتم والله الموفق قوله تعالي واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا
عليها آباءنا والله امرنا بها قال ابن عباس رضي الله عنهما كل معصية فاحشة
لكن الفاحشة كل ما عظم فيه النهي فاذا ارتكبوا ذلك فهي فاحشة وقال
مجاهد فاحشتهم انهم كانوا يطوفون بالبيت عراة وقال غيره من اهل
التاويل الفاحشة هي ما حرموا علي انفسهم من الحرث والانعام والنبات
وغيره من نحو البحيرة والسائبة والوصيلة والحامي لكن الاصل عندنا

ان كل ما عظم فيه النهي والزجر فهي فاحشة اذ الفاحشة ما عظم فيه الامر تعرف
عظم الامور بوجهين احدهما ان يعظم ذلك في العقول والثاني بورود السمع
فيه والله اعلم وقوله والله امرنا بها ادعوا في ذلك امر الله ورضاه فيه
ويقولون لو لم يرض بذلك ولم يامر لكان ينكل اباءنا وينتقم منهم وما وسع
عليهم النعم فاستدلوا بتركه آباءهم وما فعلوا علي ان الله كان قد رضي بذلك
وانه امرهم بذلك والثاني كانهم اخذوا ذلك من المسلمين لما سمعوا من
المسلمين قالوا ما شاء الله كان ظنوا ان ما كان من اباءهم كان بامر من الله
ورضاه كما كان بمشيه الله ولم يفصلوا بين المشية والرضا ولكنا نقول دعواهم
هذه فاسدة اما قولهم انه لم ينكل اباءهم بل وسع عليهم الدنيا فكان ذلك منه
دلالة الامر والرضا فاسد فان فيهم من فعل علي خلاف فعلهم وضد صنيعهم
وذلك منهم معصية لما اعتقدوه الهنا ومع ذلك لم ينكلهم ولم يضق عليهم النعم وكذلك
راوا كثيرا من المسلمين وكثيرا من اليهود والنصارى في عيش رغد ونعمة
خالصة وهم في زعمهم عاملون علي خلاف امر الله ورضاه ولم ينكلهم الله ولا
انتقم منهم ولا ضيق عليهم العيش دل ان ما اعتمدوا عليه من المعني فاسد
وكذلك تسويتهم بين المشيه والارادة وبين الامر والرضا فاسد فان المشية
والارادة هي الواصفة فعل كل فاعل يفعله علي الاختيار بخلاف الامر والرضا
الا تري انه يجوز ان يقال شاء من نفسه فعل كذا واراد كذا ولا يجوز ان يقال
امر نفسه بكذا او نهي نفسه عن كذا فدل ان التسوية بين الامرين فاسد
والله الموفق قوله تعالي قل ان الله لا يامر بالفحشاء اي قل لهم يا محمد ان الله
لا يامر بالفحشاء اتقولون علي الله ما لا تعلمون ان الله امر بهذا وحرم هذا
قد ذكرنا ان الفحشاء ما عظم النهي فيه او كل ما يشتد فيه النهي فيغلظ او ما
يكثر الا تري انه يقال لكل شي يكثر انه فحش من نحو الكلام وغيره لما انه
خرج عن حده وجاوز فعلي ذلك الفحشاء ههنا هو ما جاوز حده في القبح
او جاوز الحد في الكثرة وهم قد اكثروا الافتراء علي الله تعالي قوله
تعالي اتقولون علي الله ما لا تعلمون انه امر بذلك وقيل اتقولون علي الله
ما لا تعلمون اي انكم لا تعلمون لانهم لم يكونوا مومنين بالرسل ولا كان لهم
كتاب فكيف تعلمون ان الله تعالي امركم بهذا وهو كقوله قل اتنبئون الله

بما لا يعلم في السموات ولا في الارض لا يجوز ان لا يعلم الله ولكن على النفي لذلك
اي ليس يعلم كما تقولون وتنبؤن ولكن يعلم على خلاف ذلك وضده ويكون
في نفي ذلك اثبات غيره فعلى ذلك يعلمون انهم يقولون على الله ما لا يعلمون
واسباب العلم هذا اما الرسل تخبرهم بذلك على الله او الكتاب الذي يجدون
فيه مكتوبا فيعلمون فيسع لهم الشهادة بذلك وهم قوم لا يصدقون الرسل ولا
يؤمنون بهم وليس لهم كتاب ايضا يقرؤن به فما بقي الا وحي الشيطان اليهم
وذلك قوله وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم الآية قوله تعالى قل
امر ربي بالقسط القسط هو العدل في كل شي في القول والفعل وغيره كقوله
واذا قلتم فاعدلوا وقوله كونوا قوامين بالقسط شهداء لله واصل العدل
هو محاذاة الشي على الحد الذي جعل له ووضعه موضعه قوله تعالى
واقيموا وجوهكم عند كل مسجد اختلف في تاويله قيل اقيموا اي سووا وجوهكم
نحو الكعبة عند كل مسجد اي في كل مكان تكونون فيه وهو كقوله واجعلوا بيوتكم
قبلة اي اجعلوا بيوتكم نحو الكعبة وهو كقوله فولوا وجوهكم شطره وقيل
اقيموا وجوهكم اي اجعلوا عبادتكم لله لا تشركوا فيها غيره والوجه يكون كناية
عن العبادة وقيل اقيموا دينكم لله لا تشركوا فيه غيره كقوله مخلصين له الدين
ويشبه ان يكون الوجوه كناية وعبارة عن الانفس كانه قال اقيموا انفسكم
لله لا تشركوا فيها لاحد شركا وهو كقوله ومن يسلم وجهه الى الله اي
يجعل نفسه سالمة لله قوله تعالى وادعوه مخلصين له الدين يحتمل
الدعاء نفسه اي ادعوه ربا خالقا رحمانا مخلصين له بالوحدانية والربوبية
والالوهية ويحتمل قوله ادعوه اي اعبدوه مخلصين له العبادة لا تشركوا
غيره فيها ويحتمل اي دينوا بدينه الذي دعاكم الى ذلك وامركم به قوله
تعالى كما بداكم تعودون قال قايلون هو صلة قوله فيها تحيون وفيها تموتون
ومنها تخرجون كانهم سالوا انهم يعودون اذا بعثوا فقال كما بداكم تعودون
اي كما خلقكم تعودون مثله اي نعيدكم بالخلق بعد الفناء ويحتمل ان يكون هو
صلة قوله فمنكم كافر ومنكم مومن فكانت الآية تخرج على وجهين احدهما
اي كما كنتم في الدنيا على الايمان او الكفر فكذلك تعودون في الاخرة على الايمان
او على الكفر والثاني كما انشاكم في الدنيا وخلقكم لا من شي فعلى ذلك يعيدكم

كذلك

كذلك لا يعجزه شي وقيل قوله كما بداكم تعودون هو من البداية ليس من البدو
والابتداء لانه لا يجوز ان يقال للصبي كافرا ومومن اذا لم يات به حقيقة
في حال قيام عقله لكن المراد هو الدوام والمقام فيه الى وقت الموت
وهو البداية وفي الاخرة الاعادة وهو كقوله وهو الذي يبدا الخلق ثم
يعيده ليس يريد بقوله ابتداء نشوه ولكن كونه في الدنيا فعلى ذلك قوله
كما بداكم تعودون قوله تعالى فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة
بما اختاروا من فعل الضلال فاضلهم وخلق منهم فعل الضلال كقوله يضل من
يشاء وقوله ومن يضلل الله فما له من هاد قوله تعالى انهم اتخذوا
الشياطين اولياء من دون الله ويحسبون انهم مهتدون في الآية دليل لزوم
الحجة والدليل في حال الحسبان والظن اذا كان بحيث الادراك
والوصول اليه لانه قال ويحسبون انهم مهتدون فيه انهم عند انفسهم مهتدون
ولم يكونوا كذلك وقد عوتبوا على ذلك دل ان الدليل والحجة قد تلزم وان
لم يعرف بعد ان يكون سبيل الوصول الى ذلك ويرد قول من يقول بان
فرايض الله لا تلزم الا بعد العلم بها والمعرفة والله الموفق قوله تعالى
يا بني ادم خذوا زينتكم عند كل مسجد يحتمل ان يكون الخطاب وان خرج مخرج
الامر باخذ الزينة واللباس فهو على النهي عن نزعها لان الناس يكونون
آخذين الزينة وساترين العورة غير مبدين لها فاذا كان كذلك فهو على النهي عن
نزع لباسهم وابداء عوراتهم وهو ما ذكر في بعض القصة عن ابن عباس رضي الله
عنهما ان اهل الشرك كانوا اذا طافوا بالبيت نزعوا ثيابهم ويقولون لا نطوف
في ثيابنا التي اذنبنا فيها وكذا اهل التاويل قالوا مثل الحسن وقتادة وغيرهما
انهم كانوا يستعيرون من اهل مكة ثيابا يطوفون فيها فان لم يجدوا طافوا
عراة مبدين عوراتهم فنهاهم الله عن ذلك وقال خذوا زينتكم عند كل مسجد
اي لا تنزعوا ثيابكم التي على عوراتكم فهو على النهي عن نزع الثياب وابداء العورة
فان كان التاويل ما قاله ابن عباس وهولاء فيكون فيه اضمار كانه قال خذوا
زينتكم عند هذا المسجد كما تاخذون عند كل مسجد سواه وامتنعوا عن نزع الثياب
في هذا المسجد كما في غيره من المساجد وعلى ذلك قوله وكلوا واشربوا يخرج
على النهي عما حرموا على انفسهم من انواع المنافع والنعم التي احل الله لهم من نحو البحيرة

والصابية والوصيلة والحامي ومن نحو ما حرموا من الزروع والطعام كقوله
وحرث حجر لا يطعمها الا من نشاء بزعمهم وانعام حرمت ظهورها الآية
خرج قوله وكلوا واشربوا على النهي عما حرموا مما احل لهم لا على الامر بالاكل
والشرب لان كل احد ياكل ويشرب ولا يدع ذلك فدل انه خرج على النهي
لما حرموا كانه قال لا تحرموا ما تحرمون ولكن كلوا واشربوا وانتفعوا
بها والله اعلم وان كان على ابتداء الامر باخذ الزينة كما هو ظاهر الآية
فهو والله اعلم امر باخذ الزينة والتجمل عند كل مسجد والمسجد هو مكان كل
عبادة ونسك على ما كانوا يتزينون ويتجملون عند اجتماع الناس فعلى ذلك
امرهم باخذ الزينة في مكان العبادة والنسك فانما امرهم بذلك لما في المسجد
من اجتماع الناس للعبادة فامروا بستر عوراتهم وهذا لما ذكرنا ان المفروض
من الستر هو ما يستر به العورة والله اعلم وعلى هذا يكون قوله وكلوا واشربوا
ولا تسرفوا اي كلوا واشربوا واحفظوا الحد في ذلك ولا تجاوزه وهو نهي
عن الكثرة والعرق على الشبع او ما نهاهم عن التحريم وترك الانتفاع بها في
تحريم ما احل الله وترك الانتفاع به اسراف انه لا يحب المسرفين لانه لا يحب
المسرفين لانه لا يحب الاسراف والله اعلم ويحتمل قوله خذوا زينتكم عند كل
مسجد اي صلوا في كل مسجد ذكر هذا لمن لا يرى الصلاة الا في المسجد الذي
هو مسجد حيه على ما روي عن النبي صلى الله عليه انه قال لا صلوة لجار المسجد
الا في المسجد ويحتمل ايضا اي صلوا في كل مسجد وبكل مكان كقوله جعلت لي
الارض مسجدا وطهورا ويحتمل ان يجعل الزينة للعبادة نفسها بقوله خذوا
زينتكم والله اعلم قوله تعالى قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده
والطيبات من الرزق قال ابو بكر الاصم الزينة ههنا هو اللباس لانه
ذكر على اثر ذكر اللباس وهو قوله خذوا زينتكم عند كل مسجد والطيبات
من الرزق ما حرموا مما احل الله لهم من البحيرة والوصيلة والحامي وغير
ذلك مما كانوا يحرمون الانتفاع به كقوله وحرث حجر لا يطعمها الا من نشاء
بزعمهم وقال الحسن زينة الله هي المركب كقوله والخيل والبغال والحمير
لتركبوها وزينة جعل الله تعالى ما يركب زينة للخلق وهم كانوا يحرمون
الركوب والانتفاع بها فقال قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده

اي المراكب والطيبات من الرزق البانها ولحومها وقال بعضهم من اهل
التاويل زينة الله ههنا النبات وما يخرج من الارض مما هو رزق للبشر
والدواب جميعا كقوله انا جعلنا ما على الارض زينة لها وقوله حتى اذا
اخذت الارض زخرفها وازينت سمى ما اخرج من الارض زينة
ويحتمل قوله قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده خرج على النهي
والانكار على ما كان يفعله اهل الشرك من تحريم البحيرة والصابية والوصيلة
والحامي فقال قل من حرم ما حرمتم اذا لم يحرمه الله الا ترى انه قال قل انما
حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن يقول والله لم يحرم ما حرمتم
من هذه الاشياء ولكن حرم الفواحش وما ذكر ولم يذكر جوابهم انهم ما ذا
يقولون للرسول حين قال لهم من حرم زينة الله التي اخرج لعباده فهو
على وجهين يخرج ان قالوا حرم الله فيقال لهم وبم عرفتم انه حرم الله وانتم
قوم لا تؤمنون بالرسول والكتب فان قالوا اخبرنا بتحريم الله فلان فيقال
لهم كيف صدقتم فلانا في تحريم ذلك ولا تصدقون الرسل فيما يخبرون عن
ذلك مع ظهور صدقهم وقيام المعجزات في حقهم يذكر سفههم في ذلك وان قالوا
انه حرم كبراؤنا او الاصنام ونحو ذلك ففيه نفي لقولهم كانه يقول ليس لاحد
تحريم ما ذكروا انما التحريم الى الله وانما حرم ما ذكر وقد يحتمل ما ذكرنا ايضا
من نزعهم الثياب عند الطواف ويطوفون عراة فيكون نهيا عن نزع الثياب
عند الطواف وعن الطواف عريانا وعلى ذلك يخرج ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال الا لا يطوفن بهذا البيت عريان ولا محدث والله اعلم قوله
تعالى قل هي للذين آمنوا في الحيوة الدنيا خالصة يوم القيمة اختلف في تاويله
قال الحسن قوله هي كناية عن الطيبات اي حلال للمؤمنين في الاخرة
لا يشاركهم الكفرة فيها فاما في الدنيا فقد شاركوهم واما على التاويل الاول
الذي قاله الحسن ان الطيبات من الرزق البان الابل ولحومها تكون الآية
على التقديم والتاخير كانه قال قل هي للذين آمنوا خالصة يوم القيامة
وفي الحيوة الدنيا لهم جميعا وهو كقوله ومن كفر فامتعه قليلا ثم اضطره
الى عذاب النار ويحتمل قوله قل هي للذين آمنوا في الحيوة الدنيا لانهم لم
يحرموا الطيبات التي احل الله لهم بل انتفعوا بها وحرم اولئك ولم ينتفعوا

بها فكانت هي للذين آمنوا في الحيوة الدنيا لما انتفعوا بها في الدنيا وتزودوا بها
للآخرة وكانت لهم خالصة يوم القيمة وانما كانت خالصة يوم القيمة لما لا تكون
لاهل الشرك ذلك لما لم يتزودوها وقد كانت لهم في الدنيا لو لم يحرموها
وانتفعوا بها ثم قوله قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات
من الرزق دليل اباحة الزينة والتناول من الطيبات والله اعلم وفي قوله
زينة الله انه اذا لم يفهم من قوله زينة الله ما يفهم من زينة الخلق لان زينة
الخلق ما يتزينون به ويتجملون ولا يفهم ذلك من اضافة الزينة الى الله فكذا
ان لا يفهم من استوائه ما يفهم من استواء الخلق ولا من مجيئه مجيء الخلق
لان استواء الخلق هو الانتقال من حال الى حال ولا يجوز ان يفهم من
استوائه ما يفهم من استوائهم كما لم يفهم من زينة الله قوله تعالى قل
انما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغي بغير الحق يشبه
ان تكون هذه الآية خرجت مقابل قوله ان الله يامر بالعدل والاحسان
وايتاء ذي القربى كما خرج آخر الآية وهو قوله وينهى عن الفحشاء والمنكر
والبغي مقابل الاول وهو قوله ان الله يامر بالعدل والاحسان والنهي
هناك نهي تحريم كالتنصيص على التحريم ههنا وتكون الفحشاء الذي ذكر ثمه
هي الفواحش التي ذكرت في هذه الآية والاثم الذي ذكر ههنا هو الاثم
الذي ثمه وذكر البغي ههنا وهنالك ثم الفحشاء هي التي ظهر قبحها في العقل والسمع
والمنكر هو الذي ظهر الانكار فيه على مرتكبه والاثم هو الذي ياثم المرء فيه والبغي
هو من مظالم الناس بظلم بعضهم على بعض وقال بعضهم الفواحش من الكبائر
والاثم من الصغائر والبغي هو اخذ ما عصم من مال او نفس بعقد السلام
على ما روي عن رسول الله صلى الله عليه انه قال امرت ان اقاتل الناس
حتى يقولوا لا اله الا الله فاذا قالوها عصموا مني دماءهم واموالهم الا بحقها
فكل ما صار معصوما من ذلك من مال او نفس فاخذ ذلك بغي وظلم الا ما ذكر
بحقها وقال بعض اهل الفواحش هي الزنا ما ظهر منها علانية وما بطن منها
سرا لكن الصحيح ان الفواحش ما ذكرنا ما قبح فعله في العقل والسمع وفحش فيهما
فهو فاحشة واصل المنكر كل ما لا يعرف كقول ابراهيم قوم منكرون والمنكر
ما انكره العقل والسمع والله اعلم قوله تعالى وان تشركوا بالله ما لم ينزل

به سلطانا اي وحرموا ان تشركوا بالله ثم قوله ما لم ينزل به سلطانا ليس على
انه ينزل به سلطانا على الاشراك بحال ولكن بيان خاصية الاشراك انه ما لم
ينزل به السلطان ولم يقم الدليل على حسنه وشرعيته اصلا وراسا كقوله ولا
طائر يطير بجناحيه بيان خاصية الطائر لا بيان القسمة ان الطائر يطير بجناحيه
وقد يطير لا بجناحيه فكذلك ههنا لم يرد به ان الاشراك منقسم الى ما يقوم
السلطان والحجة والى ما لا يقوم لكن فيه بيان على انهم يشركون بالله من غير
حجة وسلطان بخلاف المسلمين لان اهل الاسلام يدينون بدين ظهر بالحجج
والآيات وهم يدينون بدين لم يكن ظهر بالحجج والآيات ولكن ظهر بما هوت
به انفسهم واشتهت ويحتمل قوله ما لم ينزل به سلطانا اي عذرا لانه
يجوز ان يعذر المرء بحال في اجراء كلمة الكفر على لسانه عند الاكراه ولا
يصير به كافرا اذا كان قلبه مطمئنا بالايمان منشرحا به كقوله الا من اكره
وقلبه مطمئن بالايمان اي يشركون بالله من غير ان ينزل بهم حال عذره
قوله تعالى وان تقولوا على الله ما لا تعلمون اي حرم عليكم ان تقولوا على الله
ما لا تعلمون ثم يخرج تاويله على وجهين احدهما على الجهل اي انهم يقولون على الله
ما لا تعلمون بذلك جهلا منهم والثاني على العلم اي انكم تعلمون انكم تقولون على الله
ما لا تعلمون انه امر بكذا او حرم بكذا كقوله اتنبئون الله بما لا يعلم في السموات
ولا في الارض اي تنبئون الله بما يعلم انه ليس ما تقولون والله اعلم قوله تعالى
ولكل امة اجل فاذا جاء اجلهم لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون اختلف
في تاويله قال بعضهم لكل امة اجل اي لكل امة وقت بعث الرسول اليها
اي لا يهلكون ولا يعذبون الا بعد بعث الرسل اليهم فاذا اتاهم الرسل فكذبوه
وعاندوه فعند ذلك يهلكون ويعذبون وهو كقوله وما كنا معذبين حتى نبعث
رسولا وكقوله وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في امها رسولا الآية
ويحتمل اي لكل امة اجل لا تهلك قبل بلوغ اجلها لا تستاخر ولا تستقدم
وهذا يرد على المعتزلة قولهم لانهم يقولون من قتل هلك قبل بلوغ اجله ويجعلون
القاتل مستقدما الاجل ذلك المقتول مستعجلا له والله تعالى يقول لا يستاخرون
ساعة ولا يستقدمون اي اذا جاء الاجل واذا لم يجئ الاجل لا يستقدمون
فيكون ما قالوا مخالفا لظاهر التنزيل قوله تعالى يا بني آدم اما ياتينكم

رسل منكم يقصون عليكم آياتي قال اهل التاويل اي سياتيكم رسل منكم يقصون
عليكم آياتي ويحتمل ان تكون حروف ما صلة وتقديره ان ياتينكم رسل منكم
يقصون عليكم آياتي فمن اتقى واصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ثم قوله آياتي
يحتمل اي هداي كقوله فاما ياتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم
ولا هم يحزنون فعلى ذلك قوله يقصون عليكم آياتي اي هداي ويحتمل الآيات
الحجج والبراهين التي تنفي الشبهة لاهلها عن قبولها فيقبلونها الا من عاند
وكابر قوله تعالى فمن اتقى واصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون يحتمل فمن
اتقى بها الرسل او اتقى المهالك واصلح ما امر به الرسل اي اذا اصلح امره وعمله
فلا خوف الفوت بما ينغص النعم ولا هم يحزنون تبعاته وآفاته يخبر ان نعيم
الآخرة على خلاف نعيم الدنيا ثم في قوله يا بني آدم اما ياتينكم رسل منكم بيان ان
لله تعالى على خلقه منا كثيرة ونعما عظيمة حيث بعث الرسل اليهم من جنسهم من
وجوه احدها ان كل ذي جنس وجوهر ليستانس لجنسه وجوهره ويستوحش
بغيره فمن عليهم حيث بعث الرسل من جنسهم وجوهرهم ليستانس بعضهم من بعض
ويالف بعضهم من بعض وذلك احذ الى القلوب وادعى الى الاتباع والاجابة
والثاني بعث الرسل اليهم من قومهم الذين نشاوا بين اظهرهم وعرفوا صدقهم
وامانتهم ليعرفوا انهم صادقين فيما يدعون من الرسالة حيث لم يظهر منهم
الكذب والخيانة قط والثالث لو كان الرسل من غير جوهرهم وجنسهم لم
يعرفوا ما اتوا من الآيات والبراهين انها آيات وحجج لما لا يعلمون ان وسعهم
لا يبلغ هذا وطوقهم لا يصل الى ذلك واذا كانوا منهم يعرفون ذلك اذا اتوا
بشيء خرج عن وسعهم انها آيات والله اعلم قوله تعالى والذين كذبوا
باياتنا واستكبروا عنها اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون قال الحسن باياتنا
اي بديننا واستكبروا عنه ويحتمل باياتنا حججنا اي كذبوا بحججنا فاذا كذبوا
بحججه كفروا به لانه تعالى لا يعرف من طريق العيان ولكن انما يعرف من طريق
الحجج والآيات والدلايل فيكون الكفر باياته وحججه كفرا به ويشبه ان تكون
آياته آيات الرسالة وحججها وقوله واستكبروا عنها اي استكبروا عن التدبر
فيها والنظر قوله تعالى اولئك اصحاب النار سماهم اصحاب النار لانهم
يصحبون النار والسبب الذي يوجب لهم النار ابدا فسموا اصحاب النار لذلك

كما يقال صاحب الدار وصاحب الدابة لانه يصحبها ابدا فعلى ذلك هولاء سموا اصحاب النار
لما هم يصحبونها ابدا دائما والله اعلم ويحتمل آياته ههنا رسله اي كذبوا برسلنا سمي
رسله آياته لان انفس الرسل كانت آيات للخلق تدلهم على وحدانيته لان الخبر
الصدق دليل على وجود المخبر له وقد اقام في انفسهم اعلاما وامارات تدل على صحة
دعواهم الرسالة من صدق اللهجة واداء الامانة والنفور عن التزوير والخيانة
ونحو ذلك والرسالة دليل صدق الخبر بيقين فدل ان الرسل من آيات الوحدانية
والله الموفق قوله تعالى فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب باياته
قد ذكرنا فيما تقدم ان قوله فمن اظلم انما هو حرف استفهام وسوال لم يخرج له
جواب لكن اهل التاويل عرفوا ذلك فقالوا لا احد اظلم ممن افترى على الله كذبا
جواب قوله فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا ثم قيل الافتراء هو اختراع الكذب
من نفسه من غير ان يسبقه احد بذلك وهو كقوله يفترينه بين ايديهن وارجلهن
واما الكذب فقد يكون مما انشاء هو بنفسه ومما قد سبقه به احد فسمع منه
واخبر به ثم افتراوهم على الله يكون بانواع بما قالوا ان له ولدا وبما قالوا ان له شريكا
وصاحبة وبما عبدوا غير الله وقالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وهولاء شفعاونا
عند الله وبما قالوا واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها اباءنا والله امرنا بها
وبما اضافوا الى الله تحريم اشياء حرموها على انفسهم ونحو ذلك من الافتراء فاخبر
عز وجل بقوله فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا سفههم وعنادهم وغاية جهلهم
اي لا احد افحش ظلما ولا اقبح ظلما ممن افترى على الله مع علمه انه خالقه وانه متقلب
في نعمه واحاطت به اياديه واحساناته قوله تعالى اولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب
اختلف فيه قال الحسن ان من اطاع الله في امره ونهيه فقد اطاع رسله فقد كتب له
الجنة خالدا فيها ابدا فذلك نصيبه وحظه من الكتاب الذي كتب له ومن عصى الله وخالف
رسله كتب له النار خالدا فيها ابدا فهو نصيبه من الكتاب وهذا بنى على مذهبه
ان العاصي صاحب الكبيرة منافق والمنافق يستحق الخلود واما عندنا العاصي
الذي ختم على الايمان لا يخلد في النار بل هو مشيئة الله بين ان يغفر له وبين ان
يدخله في النار فيعذبه بقدر ذنبه والعاقبة الجنة لا محالة وقال ابو بكر الكيسائي
ينالهم نصيبهم من الكتاب اي حظهم من الجزاء والعقاب في الآخرة وهو قول القطبي او
قيل اراد به الحظ والنصيب في الدنيا ما كتب لهم من الرزق وانواع النعم يستوفي الدنيا

كتب منهم يون ويحتمل غير هذه الوجوه اي ان الافترا على الله كذبا هو ما حرفوا من الكتب
وغيروها ثم اضافوا ذلك ونسبوه الى الله كقوله فويل للذين يكتبون الكتاب بايديهم
ثم يقولون هذا من عند الله الآية وقوله وان منهم لفريقا يلون السنتهم بالكتاب
لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله
ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون فصار ما حرفوه وغيروه سنة منهم يعملون
بها الى يوم القيمة فينالونهم جزا ذلك يوم القيامة والله اعلم قوله تعالى حتى
اذا جاتهم رسلنا وحتى تكون صلة وزايدة على تاويل من جعل النصيب هو الجزا
في الاخرة كانه قال اوليك ينالهم نصيبهم من الكتاب اذا جاتهم رسلنا يتوفونهم
وعلى تاويل من تقول بان المراد من النصيب المكتوب في الدنيا من الرزق تكون
حرف حتى ليس بصلة ولا زايدة وتكون للغاية ومعناه اوليك ينالهم نصيبهم من الكتاب
الى ان جاتهم رسلنا والله اعلم ثم قوله يتوفونهم على تاويل من صرف النصيب
الى النعم في الدنيا اي تقبضون ارواحهم وهو ظاهر وعلى تاويل من حمل ذلك على الجزا
في الآخرة فهو يجعل التوفي في النار شدة العذاب وان كانوا لا يموتون وهو كقوله
ويايته الموت من كل مكان وما هو بميت اي ياتيه اسباب الموت قوله تعالى
قالوا اينما كنتم تدعون من دون الله اي تقول لهم الملايكة هذا القول في النار على
هذا التاويل وعلى تاويل اوليك عند قبض ارواحهم او بعد قبض ارواحهم والله اعلم
وقوله اينما كنتم تدعون من دون الله اي اين اوليك الذين تدعون من دون الله
وتقولون هولاء شفعاونا عند الله ويقولون ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفا فتقول
للملايكة جوابالهم كما اخبر الله تعالى عنهم بقوله قالوا ضلوا عنا وشهدوا على انفسهم انهم
كانوا كافرين فان كان المراد بقوله اينما كنتم تدعون من دون الله الكبرا منهم والروسا
تكون المراد بقولهم ضلوا عنا اي ان هولاء الكبرا شغلوا بامرهم عنا وان كان المراد
بذلك الاصنام تكون قولهم ضلوا عنا اي بطل ما كنا نطمع من عبادتنا اياها وبطل عبادتنا
التي عبدناها وهو كقوله اذا ضللنا في الارض اي هلكنا وبطلنا والله اعلم قوله
تعالى قال ادخلوا في امم قد خلت من قبلكم من الجن والانس في النار ويحتمل قوله
في امم اي مع امم وهو جايز في اللغة يقال جا فلان في جنده اي مع جنده وقوله قد
خلت من قبلكم من الجن والانس في النار اي المتبوعين والاتباع جميعا اي ادخلوا
جميعا مع النار والعرب تضع حروف الخفض بعضها في موضع بعض كقوله فادخلي

في عبادي اي مع عبادي ويحتمل ان تكون حرف في يراد به حقيقته كان المتبوعين
يدخلون في النار قبل الاتباع فقيل لهولاء الاتباع ادخلوا في امم قد خلت من
قبلكم من الجن والانس في النار وفيه دليل ان الكفار من الجن يعذبون كما يعذب
الكفار من الانس قوله تعالى كلما دخلت امة لعنت اختها اي لعن الاتباع
المتبوعين لما دعوهم الى ذلك وصرفوهم عن دين الله وهو كقوله اذ تامروننا
ان نكفر بالله ونجعل له اندادا وكقوله وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا
لولا انتم لكنا مومنين وغير ذلك من الآيات وكذا لعن المتبوعين الاتباع لما
يزداد لهم العذاب بكثرة الاتباع فيلعن بعضهم بعضا وفيه دلالة ان اهل الكفر
وان اختلفوا في مذاهبهم فهم اخوة واخوات بعضهم لبعض كالمومنين بعضهم اخوة
واخوات لبعض قوله تعالى حتى اذا اداركوا فيها جميعا قال بعضهم هو
من التدارك اي حتى اذا تداركوا وتتابعوا فيها ولحق بعضهم بعضا وقيل هو من
الدرك لان للنار دركات لا يزال اهل النار يهوون فيها لا قرار لهم فيها لان
في القرار بعض التسلي والراحة فلا يزالون يهوون فيها دركا فدركا ولذلك
سمي جهنم هاوية لما يهوون فيها فان كان على التدارك فهو كقوله احشروا
الذين ظلموا وازواجهم وان كان على الاجتماع فهو للتضييق كقوله واذا القوا
منها مكانا ضيقا وقيل اجتمعوا ويلعن بعضهم بعضا ويتلاوم بعضهم بعضا والله اعلم
قوله تعالى قالت اخريهم لاوليهم يحتمل قالت اخراهم الذين كانوا في اخر
الضمان لاوليهم الذين شرعوا لهم ذلك الدين الباطل ربنا هولاء اضلونا فاتهم عذابا
ضعفا من النار ويحتمل قوله اخريهم الذين دخلوا النار اخيرا وهم الاتباع
قالوا لاوليهم اي الذين دخلوا النار اوليهم القادة المتبوعون ربنا هولاء يعني
القادة والسادة اضلونا فاتهم عذابا ضعفا من النار وهو كقوله يوم تقلب
وجوههم في النار يقولون يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسولا وقالوا ربنا انا
اطعنا سادتنا وكبرانا فاضلونا السبيلا ربنا اتهم ضعفين من العذاب والعنهم
لعنا كبيرا ويشبه ان تكون قوله قالت اخريهم لاوليهم ليس على القول لبعضهم لبعض
ولكن على الدعا عليهم واللعن كقوله والعنهم لعنا كبيرا وقوله قال لكل ضعف قال
بعضهم اي لكل ضعف من النار لانها لا تزال تزداد وتعظم وتكثر فذلك هو الضعف
وهو للاتباع والمتبوعين جميعا وقال بعضهم قوله لكل ضعف اي لكل متبوعين

والقادة ضعف ثم قوله قال لكل ضعف يحتمل ان يكون الذي قال لهم ذلك مالك
او خزنتها ومن كان ليس الي معرفة ذلك حاجة بعد ان يقال لهم ذلك وقوله ولكن
لا يعلمون اي ولكن لا يعلمون في الدنيا ان لهم ضعفا منها وقيل ولكن لا يعلمون
الحال بان لكل ضعفا للحال قوله تعالى وقالت اولىهم لاخرىهم قد ذكرنا
تاويل الاخرى والاولى قوله فما كان لكم علينا من فضل يحتمل وجهين يحتمل فما كان لكم
علينا من فضل يحتمل وجهين يحتمل فما كان لكم علينا من فضل في شي فقد ضللتم كما ضللنا
ولم يكن لنا عليكم فضل سلطان ولا كان معنا حجج وآيات فقهرناكم بها انما دعوناكم
الي ذلك فاستجبتم لنا وقد بعث اليكم الرسل مع حجج وآيات فلم تجيبوهم وهو كخطبة ابليس
اللعين كما اخبر تعالى وقال الشيطان لما قضي الامر ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم
فاخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي الآية فيقول هولاء
القادة للاتباع مثل قول الشيطان لجملة الكفار الاتباع والقادة جميعا وقيل قوله فما
كان لكم علينا من فضل يعني في تخفيف العذاب اي نحن وانتم في العذاب سوآء
لا فضل لكم علينا فيه فالتاويل الاول يرجع الي الدنيا والثاني الي الاخرة
والله اعلم قوله تعالى فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون اي بما كنتم تكسبون
من الشرك والتكذيب لآيات الله وهو كقوله جزآء بما كانوا يكسبون ويعملون
ونحو ذلك قوله تعالى ان الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها هذا قد ذكرنا
فيما تقدم قوله تعالى لا تفتح لهم ابواب السمآء قال بعضهم ابواب السمآء اي
ابواب الجنان لان الجنان تكون في السمآء اي في العلو الا ترى انه قال وفي السمآء
رزقكم وما توعدون وما يوعد لنا هو الجنة وقد اخبر انها في السمآء والا ترى انه
قال ولا يدخلون الجنة اي لا تفتح لهم ابواب الجنان ولا يدخلون الجنان
ايضا والله اعلم وقال بعضهم المراد من ابواب السمآء حقيقة الابواب ومعنى
ذلك ان اعمال المومنين ترفع الي السمآء وتصعد ارواحهم واعمال الكفرة وارواحهم
ترد الي اسفل السافلين وهو كقوله اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح
يرفعه وقال في الكافر ثم رددناه اسفل سافلين فاذا كانت اعمال المومنين
وارواحهم ترفع الي السمآء وتصعد اليها فاخبر ان لا تفتح لهم ابواب السمآء واعمالهم
ولكن يردون الي السجين ويحتمل ان يكون علي التمثيل ليس علي تحقيق السمآء
ولكن ذكر السمآء لما ان السمآء هي مكان الطيبات من الاشيآء لا مكان الخبائث

والاقذار واعمال الكفرة خبيثة فكنى عن اعمالهم الخبيث بالارض لما ان الارض
هي معدن الخبائث وكنى عن اعمال المومنين الطيبة بالسمآء وهو كما ضرب
مثل الايمان بالشجرة الطيبة الثابتة وفرعها في السمآء وضرب مثل الكفر
بالشجرة الخبيثة المجتثة من فوق الارض ليس علي ان يكون قوله وفرعها
في السمآء علي تحقيق السمآء ولكن علي الوصف بالطيب والقبول فعلي ذلك الاول
والله اعلم ثم قوله لا تفتح لهم ابواب السمآء لا يستقيم مثله ان يذكر علي
الابتدآء بل لا بد ان يخرج علي نازلة تسبق فيكون خرج علي سبيل الجواب
لها نحو قوله وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى فيشبه
ان يكون هذا اعني قوله لا تفتح لهم ابواب السمآء خرج جوابا لقولهم لن يدخل
الجنة الا من كان هودا او نصارى تكذيبا لهم وقطعا لاطماعهم الفاسدة ويحتمل
ايضا انهم كانوا ذكروا اعمال انفسهم انهم يعملون كذا وكذا فقال لا تفتح لهم
ابواب السمآء اي لا ترفع اعمالهم ولا يدخلون الجنة بسبب تلك الاعمال فان
قيل كيف خوفهم بما ذكر سد الابواب عليهم وجعل النار لهم مهادا وغواشي
وهم لا يومنون بذلك كله فكيف خوفوا به قيل ان المرء اذا خوف بشي
فانه يخاف ويهاب من ذلك وان لم يتيقن به ولا يحقق عنده ما خوف به
حتى يستعد لذلك ويتهيا وان كان علي شك من ذلك وظن فعلي ذلك هولاء
خوفوا بالنار والوان العذاب وان كانوا شاكين فيه غير مصدقين
لما يجوز ان يخافوه ويهابوا منه ويحتمل ان يكون التخويف بذلك للمومنين وهو
كقوله واتقوا النار التي اعدت للكافرين ويحتمل ان يكون التخويف بذلك
لمن آمن منهم بالبعث لان من الكفرة من قد آمن منهم بالبعث والجزآء والثواب
والله اعلم قوله تعالى ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط هذا
علي الياس انهم لا يدخلون الجنة ابدا كما لا يدخل الجمل في سم الخياط قال بعضهم
اي حتى يدخل البعير في خرق الابرة وقال ابن عباس رضي الله عنهما
حتى يدخل الحبل الذي يشد به السفينة في خرق الابرة وقال بعض القراة
هو الجمل ذو القوائم ولكنه الجمل يعني القلس وهو حبل السفينة وقال ابن
مسعود رضي الله عنه هو الجمل ذو القوائم الاربع وقال ابو عوسجة السم يعني
خرق الابرة او المسلة والجمل الحبل والخياط الابرة او المسلة والله اعلم بما اراد بذلك

قوله تعالى وكذلك نجزي المجرمين اي كذلك نجزي كل مجرم قوله تعالى لهم
من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش قيل المهاد الفرش والغواشي اللحف وقيل
الغواشي ما يتغشهم في النار لحيط بهم من تحت ومن فوق ومن امام وخلف كقوله
لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل اخبر ان النار تحيط بهم وكذلك قوله افمن
يتقي بوجهه سوء العذاب يوم القيمة اي لا يتقي لما يحيط بهم العذاب فعلى ذلك الاول
والله اعلم قوله تعالى والذين آمنوا وعملوا الصالحات لا نكلف نفسا الا وسعها
قال ابو بكر الكيسانى في قوله لا نكلف نفسا ليس من جنس ما ذكر من قوله والذين آمنوا
وعملوا الصالحات صلة قوله يا بني آدم اما يأتينكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي فمن
اتقى واصلح نقول لا نكلف نفسا الا وسعها ولكن اما عندنا فانه يستقيم ان يجعل صلة
ما قبله اي لا نكلف نفسا من الاعمال الصالحات الا وسعها بل نكلف دون وسعها
وطاقتها اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون وقال الحسن قوله لا نكلف نفسا
الا وسعها اي ما يسع ويحل وهو صلة قوله واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا
عليها اباءنا والله امرنا بها قل ان الله لا يأمر بالفحشاء الى آخر ما ذكر بقوله لا نكلف
نفسا الا وسعها اي لم يكلف نفسا الا ما يسع ويحل لا ما لا يسع ولا يحل والله اعلم
قوله تعالى ونزعنا ما في صدورهم من غل قال العتبي الغل الحسد والعداوة
قيل الغش والغل واحد وهو ما يضمر بعضهم لبعض من العداوة والحقد ثم
اختلف اهل التاويل ان نزع ما في صدورهم من الغل في اي موضع يكون قال
بعضهم ونزعنا ما في صدورهم من غل في الدنيا ينزع الله تعالى من قلوبهم الغل يعني
من قلوب المومنين العداوة التي كانت بسبب الكفر مع الذين يومنون ويجعلهم
اخوانا بالايمان وهو كقوله اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا
الآية اخبر انهم كانوا اعداء فالف بين قلوبهم بالايمان الذي اكرمهم به حتى صاروا
اخوانا بعد ما كانوا اعداء وقال بعضهم هذا في الآخرة ينزع الله تعالى من
قلوبهم الغل الذي كان فيما بينهم في الدنيا ويسرون جميعا اخوانا كقوله ونزعنا
ما في صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين وروي عن علي رضي الله عنه
انه قال اني لارجو ان اكون انا وعثمان وطلحة والزبير من الذين قال الله
ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين وعن ابن عباس رضي الله
عنهما قال نزلت الآية في علي وابي بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير وعبد الله بن

مسعود وعمار وسلمان وابي ذر فينزع في الآخرة ما كان في قلوبهم من غش
وعداوة فيما اختلفوا بعد رسول الله حتى كان بينهم من الاختلاف والقتال
والعداوة كان دنيا ويه لم يكن بحيث الدين ومكان المذهب وذلك يرتفع
في الآخرة ويزول فاما العداوة التي هي بيننا وبين الكفرة فهي لا تزول
ابدا في الدنيا والآخرة لانها عداوة الدين والمذهب وهي لا ترتفع ابدا
ويشبه ان يكون قوله ونزعنا على ابتداء النزع لا ان كان فيه وهو
كقوله يخرجهم من الظلمات الى النور وقوله يخرجونهم من النور الى الظلمات
على ابتداء المنع اي لولا اخراجه من ذلك والا كان فيه فعلى ذلك قوله
ونزعنا اي لم يجعل في قلوبهم الغش راسا ولو تركهم على ما هم لكان فيهم ذلك
والله اعلم ولذلك قال الحسن ليس في قلوب اهل الجنة الغل والحسد
اذ هما عار وسعر نار انما فيها المودة والمحبة وفي الآية دلالة ان لله تعالى في
فعل العباد صنعا لان الغل والغش من فعل العباد يذمون على ذلك ثم
اخبر انه نزع ذلك من قلوبهم واستادي منهم الشكر على ذلك بقوله وقالوا
الحمد لله الذي هدانا لهذا وقد ذم من طلب الحمد على ما لم يفعل فدل طلب الحمد
منهم على ان له فيه صنعا بذلك طلب الحمد والله اعلم قوله تعالى تجري
من تحتهم الانهار ذكر هذا والله اعلم من طباع الخلق الرغبة في هذه الانهار
الجارية في الدنيا فيما يقع عليها الابصار فرغبهم في الآخرة لما كانت طباعهم وانفسهم
تميل الى ذلك في الدنيا ليرغبوا في امره وينتهوا في نهيه وكذلك جميع ما ذكر
في القرآن من القصور والجواري والغلمان والاكواب والاباريق وغير
ذلك مما يرغب طباع الخلق في ذلك في الدنيا وتميل انفسهم الى ذلك وعدهم
في الآخرة ترغيبا لهم في ذلك والله اعلم قوله تعالى وقالوا الحمد لله الذي
هدينا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدينا الله قال الحسن وغيره هدينا لهذا
اي دلنا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدينا الله اي لولا دلنا الله واما عندنا
ليس المراد بالهداية ههنا هو هداية البيان والدلالة ولكن المراد هو الهداية
التي اكرمهم الله بلطفه وفضله وهو توفيقه اياهم على فعل الهدى وكسبه او خلق
الهدى منهم باختيارهم لانه خرج مخرج الامتنان والفضل ولو كان المراد هو
البيان والدلالة لكان لا معنى لذكر المنة والفضل لان اقامة الدلائل على توحيده

وصفاته واظهار الدين الحق عليه من حيث الحكمة ولا امتنان في فعل ما على الفاعل
والثاني ان الانبياء وغيرهم وجد منهم الهداية من حيث البيان والدلالة لو كان
المراد هو الهداية من حيث البيان والدلالة لم يكن للامتنان معنى وقد وجد ذلك
من غيره والثالث ان كلا يعرف من نفسه العلم بكون الذات مهتديا غير ضال
ولا زايغ وقت ما هداه الله ووفقه وقد يجوز ان يكون المرء ضالا زايغا عن
الهدى دل ان المراد من الهداية ما ذكرنا والله اعلم قال بعض اهل العلم بان
المعتزلة خالفوا الله فيما اخبر وخالفوا الرسل فيما اخبروا عن الله وخالفوا
اهل النار وخالفوا ابليس ايضا اما مخالفتهم الله ومخالفة اهل الجنة فان الله تعالى
اخبر عن اهل الجنة انهم قالوا الحمد لله الذي هدينا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان
هدينا الله ترغيبا لنا بان نقول ذلك في الدنيا ودعا لنا الى ذلك والمعتزلة
يقولون ما هدينا الله ولكنا نخلق ونحدث الهداية في انفسنا باختيارنا لا صنع لله في
ذلك واما مخالفتهم الرسل قوله ولا ينفعكم نصحي ان اردت ان انصح لكم ان كان الله
يريد ان يغويكم وهم يقولون ان الله لا يريد الاغواء واما مخالفة اهل النار
فانهم قالوا لو هدينا الله لهديناكم وهم لا يقولون بذلك واما مخالفة ابليس قال
رب بما اغويتني فهو اعلم من المعتزلة قوله تعالى لقد جاءت رسل ربنا بالحق
يحتمل هذا وجوها يحتمل جاؤا بالحق اي بالدين الذي هو الحق ويحتمل جاؤا بالاعمال
التي من عمل بها كانت صوابا ورشدا وكل حق هو صواب ورشد ويحتمل انهم
جاؤا بالذي هو حق وثواب في العقول ويحتمل انهم جاؤا بالحق الذي استحقه على
عباده من العبادة وغيرها والله اعلم قوله تعالى ونودوا ان تلكم الجنة
اورثتموها بما كنتم تعملون والاشكال ان لفظة تلك انما تستعمل اشارة الى الغايب
البعيد عن المخاطب له ومن خاطبهم في الجنة فهلا قال هذه التي هي اشارة الحاضر
فنقول تاويله والله اعلم ونودوا ان تلكم الجنة التي كنتم وعدتم في الدنيا واخبرتم
عنها هذه اورثتموها بما كنتم تعملون وفي الآية دلالة خلق الايمان فان فيها دلالة
ان الايمان من جملة اعمالنا حيث قال اورثتموها بما كنتم تعملون وانما نورث بالايمان
وساير الاعمال بل بالايمان اذ انما يصح ساير الاعمال بالايمان وانما ينال بالاعمال
الدرجات ثم ذكر انهم اورثوا الجنة بما عملوا وان كانوا نالوها بفضل منه الا ترى
انهم قالوا الحمد لله الذي هدينا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدينا الله لان نسبه

ذلك الى اعمالهم فضل من الله اياهم حيث لم يجعل سعيهم هدرا والله اعلم قوله تعالى
ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار ان قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم
ما وعد ربكم حقا قالوا نعم ما وعد الله تعالى المومنين هو الجنة وما فيها من النعم
واللذات والشهوات بقوله ولكم فيها ما تشتهي انفسكم وقوله وفيها ما تشتهي
الانفس وتلذ الاعين وقوله لذة للشاربين وما وعد الكفار هو النار وما فيها
من الشدايد وانواع العذاب فاقروا انهم وجدوا ما وعدهم ربهم ثم قوله فهل وجدتم
ما وعد ربكم حقا ان كان المراد بالحق الذي ذكر الوعيد الذي وعدهم فتفسيره الصدق
اي يكون وعده صدقا وان كان المراد بالحق هو الموعود من الجنة ونعيمها
فتاويله وجدتم كاينا حاضرا كما علمتم يقينا بالخبر وهو كما ذكرنا في قوله ليعلم الله
الذين آمنوا اي ليعلمه كاينا حاضرا كما علمه معدوما قوله تعالى فاذن
موذن بينهم ان لعنة الله على الظالمين اي وجبت لعنة الله على الظالمين الذين اوعدوا
في الدنيا ويحتمل قوله فاذن موذن بينهم يحتمل الملك ويحتمل غيره وليس يعرف
ذلك الا بالخبر وليس لنا الى معرفته حاجة فان قيل ذكر في الآية نداء
اهل الجنة اهل النار واهل النار اهل الجنة ونداء بعضهم بعضا لا يكون الا حيث
يكون بعضهم قريبا من بعض وقد جاء في الاخبار من وصف الجنة وسعتها ما روي
ان اقل ما يكون لواحد من الجنة مثل عرض الدنيا وما ذكر ان الحور العين
لو نظرت نظرة الى الدنيا لامتلات الدنيا من ضوئها ونورها وكذلك من
ريحها وعطرها وقد جاء في وصف النار ان شرارة منها لو وقعت في الدنيا
لاحرقتها او كلام نحو هذا فاذا كان بعضهم قريبا من بعض بحيث يسمع بعضهم
نداء بعض الا يتاذى اهل الجنة بالنار ولا ينتفع اهل النار بنعيم الجنة وان
كان بعضهم بعيدا من بعض كيف يسمع بعضهم نداء بعض وكيف يكون هذا
قيل وان بعضهم بعيدا من بعض فالله تعالى قادر ان يوقع نداء هولاء
في مسامع اوليك ونداء اوليك في مسامع هولاء مع بعد ما بينهما فيسمع كل
فريق نداء فريق آخر ويحتمل ان يكون الله تعالى ينقض بنيه هذا الخلق ويبنيهم
في الآخرة على غير هذه البنية من حيث العظم والاوصاف مع ارتفاع الآفات
والحجب التي تمنع ذلك فيسمع بعضهم نداء بعض مع البعد الذي ذكر وينظر بعضهم
الى بعض ويبصر مع البعد المفرط لان في الدنيا الآفات والحجب تمنع ذلك

فاذا ارتفع ذلك كان ما ذكر والله اعلم ويحتمل ان يقرب الجنة من النار والنار من الجنة
بحيث يسمع بعضهم من بعض ما ذكر من النداء وهو قادر مع ذلك ان يمنع اذى النار
عن اهل الجنة ويمنع ريح الجنة ونفعها عن اهل النار ويحتمل ان يكون في ذلك معنى يقع
ذلك في مسامعهم كيف شاء كتسبيح الجبال وخطاب النمل وجوابه والله اعلم قوله تعالى
الذين يصدون عن سبيل الله الصد قد يكون منع غير وقد يكون نفسه وقوله
سبيل الله دين الله وقال الحسن سبيل الله دين الله الذي ارتضى لعباده وامرهم
بذلك والى ذلك دعاهم رسله قوله تعالى ويبغونها عوجا اي يبغون الذين
الذي فيه عوج وهو دين الشيطان كقوله ولا تتبعوا السبل فتفرق بهم عن سبيله
والعوج التفرق الذي ذكر في تلك الآية ويحتمل ان يكون قوله ويبغونها عوجا
اي طعنا وقد كانوا يبغون طعنا في دين الله قوله تعالى وبينهما حجاب يشبه
ان يكون ما ذكر من الحجاب ههنا ما ذكر في آية اخرى وهو قوله فضرب بينهم بسور
له باب باطنه فيه رحمة وظاهره من قبله العذاب فامكن ان يكون الحجاب المذكور
بينهما هو السور الذي ذكر ثمه والله اعلم قوله تعالى وعلى الاعراف رجال يعرفون
كلا بسيماهم قال بعضهم هم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم لم يبشروا بالجنة
حتى لا يخافوا عفو الله ولا ايسوا حتى لا يطمعوا ولا يرجوا دخولهم فيها بل كانوا على
الخوف والرجاء وقال قايلون هم الملائكة لكن هذا ضعيف لان ملائكة الله
لا يسمون رجالا ولم يسمع ذلك والله اعلم وقال آخرون هم اهل كرامة والله
تعالى اكرمهم بذلك فرفعهم على ذلك السور لينظروا الى حكم الله في الخلق وعدله
فيهم وينظروا الى احسان الله تعالى فيمن يحسن اليهم وعدله فيمن يعاقبهم والله اعلم
وقيل هم الانبياء وهذا هو الاشبه وهو ان يكون على الاعراف ويشهدون
للامم وعليهم ويشفعون فيمن شفعهم الله قال الله تعالى فكيف اذا جئنا من كل
امة بشهيد وجئنا بك على هولاء شهيدا وقال بعضهم هم قوم نصبهم الله تعالى لمحاجة
اهل النار كقوله قالوا ما اغنى عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون فهذا وامثاله المحاجة
التي يحاجون بها اهل النار ويحتمل هم قوم نصبوا يترجمون بين اهل الجنة واهل
النار يؤدون كلام بعض الى بعض ويبلغون مخاطبات بعض الى بعض من ذلك
قوله ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة ان افيضوا علينا من الماء وقوله
ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار ان قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم

ما وعد ربكم حقا قالوا نعم ونحو ذلك والله اعلم من هم فلا نقطع القول بشي من ذلك ثم
اختلف في تسميتهم اصحاب الاعراف قال بعضهم سموا اصحاب الاعراف لانهم
على الاعراف وهو اسم سور بين الجنة والنار وسمي بذلك لارتفاعه وكل مرتفع
من الارض عند العرب اعراف وهو قول القتبي وقال بعضهم الاعراف من العرف
ولهم عرف كعرف الديك والفرس مثل التاج وهو ايضا من الارتفاع وقال الحسن
هم اصحاب التعريف يعرفون اهل النار عدل الله فيهم وحكمه وان ما حل بهم مما كان
منهم في الدنيا من صدهم الناس عن سبيل الله واستكبارهم على الرسل يعرفونهم ان
ما نزل بهم لخيانتهم فذلك عدل منه ويعرفون اهل الجنة فضل الله واحسانه اليهم
انما نالوا بفضل منه واحسان والله اعلم قوله تعالى يعرفون كلا بسيماهم
قيل المومن يعرف ببياض وجهه والكافر يعرف بسواد وجهه ويحتمل ما قال
الحسن وهو انهم يعرفون بالمنازل والاماكن قوله تعالى ونادوا اصحاب الجنة
ان سلام عليكم ثم قوله سلام عليكم ليس ان يقولوا سلام عليكم باللسان خاصة ولكن في
كل كلام سديد وقول حسن وصواب وهو كقوله لا يسمعون فيها لغوا الا سلاما
اي سديدا وصوابا وكذلك قوله واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما ليس على
ان يقولوا سلام عليكم ولكن يقولون له قولا وصوابا محكما فعلى ذلك الاول قوله تعالى
لم يدخلوها وهم يطمعون قال عامة اهل التاويل هم اصحاب الاعراف لم يدخلوا الجنة
وهم يطمعون دخولها وقيل هم الكفار اهل النار يطمعون ان ينالوا من الجنة كقوله
افيضوا علينا من الماء او مما رزقكم الله قالوا ان الله حرمهما على الكافرين الى هذا الوقت
كانوا يطمعون دخولها والنيل منها ثم ايسوا بهذا القول وقال بعضهم هم اهل الجنة يطمعون
دخولها قبل ان يدخل اهل الجنة الجنة وقبل ان يدخل اهل النار النار قوله تعالى
واذا صرفت ابصارهم تلقاء اصحاب النار قيل واذا صرفت اصحاب النار الى اهل
النار قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين من شدة ما يرون من العذاب وما نزل بهم
وقيل واذا صرفت ابصار اهل الجنة تلقاء اصحاب النار قالوا ذلك وفي حرف ابي رضي الله عنه
واذا قلبت ابصارهم نحو اصحاب النار قالوا عائذ بك ان تجعلنا ربنا مع القوم الظالمين
قوله تعالى قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين ان كان ذلك الدعاء من الانبياء
او من اهل كرامة الله الذين كانوا على الاعراف فذلك منهم شهادة انهم ظلمة وكفرة
ومعنى التعوذ منهم من النار لانهم لم يدخلوا الجنة بعد فخافوا لتقصير كان منهم

في شكر النعم ويحتمل انهم يتعوذون منها بالطبع وان كانوا متيقنين بانهم اهل الجنة كما يتعوذ
كل احد اذا راى احدا في البلاء منه والله اعلم قوله تعالى ونادى اصحاب الاعراف
رجالا يعرفونهم بسيماهم قالت عامة اهل التاويل يعرفونهم بسواد الوجوه وزرقة
العيون ويحتمل ايضا انهم يعرفونهم بالاعلام التي كانت لهم في الدنيا سوى سواد الوجوه
وزرقة العيون الا ترى انهم خاطبوهم بقوله ما اغنى عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون فلولم
يعرفوهم باثار كانت لهم في الدنيا لم يكونوا يعرفونهم بجمع الاموال والاستكبار في الدنيا
ولا يقال للفقراء ذلك انما يقال للاغنياء لانهم هم الذين يجمعون الاموال وهم المتكبرون
على الخلق كقوله وقالوا نحن اكثر اموالا واولادا وما نحن بمعذبين ويشبه ان خاطب
الكل وفيهم من قد جمع واستكبر وذلك جائز هذا على تاويل من يجعل اصحاب الاعراف
الذين استوت حسناتهم وسياتهم وقوله اهؤلاء الذين اقسمتم لا ينالهم الله برحمة
قالت عامة اهل التاويل اقسم اهل النار ان اصحاب الاعراف لا يدخلون الجنة
ولكن يكونون معهم فيقول الملائكة لاهل النار اهؤلاء الذين اقسمتم الاية ويحتمل
ان يكون القسم الذي ذكر في الاية كان منهم في الدنيا كانوا يقسمون ان لا يدخل هؤلاء
الجنة يعنون اصحاب رسول الله وهو كقوله لو كان خيرا ما سبقونا اليه كانوا
يقولون ان الذي هم عليه لو كان خيرا لنالوهم اذ نالوهم يعنون انفسهم كل خير
في الدنيا فعلى ذلك ينالون في الاخرة مثله ونحوه من الكلام الذي قالوا في الدنيا
فيقولون لهم في الاخرة اهؤلاء الذين اقسمتم في الدنيا لا ينالهم الله برحمة ويحتمل ان يكون
قوله ادخلوا الجنة لاهل الجنة قبل ان يدخلوها وقوله لا خوف عليكم ولا انتم
تحزنون قال ابو بكر الاصم يكون الحزن في فوت كل محبوب والخوف في نيل كل مكروه كقول
يعقوب اني ليحزنني ان تذهبوا به واخاف ان ياكله الذيب ذكر الحزن عند فوت
محبوبه والخوف عند نيل المكروه ولكن عندنا الحزن انما يكون بفوت الموجود من المحبوب
والخوف بما سيصيبه من المكروه قوله تعالى ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة
ان افيضوا علينا من الماء او مما رزقكم الله قال الحسن الماء مما رزقهم الله ولكن وقع
مكررا منا وقال ابو بكر طلبوا الماء والرزق وهو الاطعمة ونحوها وانما طلبوا
ليدفعوا عن انفسهم ما اشتد بهم من الظماء والعطش ثم يقع لهم الحاجة الى الطعام
لان الرجل اذا اشتد به الظماء لا يهنا له الاكل ويشبه ان يكون طلب بعضهم الماء
وبعضهم الطعام الذي رزقهم الله تعالى وهذا جائز وان لم يذكر وهو كقوله وقالوا

لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى لم يكن من الفريقين جميعا هذا القول لكن كان
من اليهود قوله الا من كان هودا ومن النصارى او نصارى فعلى ذلك هذا والله اعلم
قوله تعالى قالوا ان الله حرمهما على الكافرين قيل هذا مقابل قول الكفرة
للمؤمنين في الدنيا قيل امروا ان ادفع المال الى فقراء المومنين انطعم من لو يشاء الله اطعمه
فيقول لهم المومنون في الاخرة مقابل ما قالوا لهم في الدنيا ان الله حرمهما على الكافرين
ثم قوله ان الله حرمهما ليس على التحريم شرعا ولكن على المنع حقيقة لان الكفرة
لا ينالون بعد ان نالوا ذلك حراما كان او حلالا ولكن على المنع حقيقة كقوله وحرمنا
عليه المراضع من قبل ليس هو تحريم حرمة ولكن منع الارتضاع حقيقة ويحتمل ان
يكون المراد تحريم الاطعام على المومنين للكافرين من طعام الجنة ونعيمها والله اعلم
بذلك قوله تعالى الذين اتخذوا دينهم قال الحسن اي اتخذوا دينهم الذي
كلفوا وامروا ان يانوا به لهوا ولعبا وهو الدين الحق الذي جاء به الرسل واللهو
واللعب هو الذي لا عاقبة به وكل من عمل عملا لا عاقبة له فهو لهو ولعب وكل من عمل
لعاقبة فهو ليس بلهو ولعب وهم كانوا يعملون لا عاقبة لذلك كان لهوا ولعبا ويحتمل
ان يكون قوله اتخذوا دينهم لهوا ولعبا اي اتخذوا دينهم الملاهي التي كانوا يلهون
بها ويلعبون كقوله وما كان صلوتهم عند البيت الا مكاء وتصدية لانهم كانوا ينكرون
البعث وفي انكارهم البعث انكار الجزاء للحسنات والسيات وفي الحكمة ايجاب ذلك
فمن لم ير ذلك فهو لاه لاعب وقيل اتخذوا دينهم الذي دانوا به لهوا ولعبا لانهم يدينون
به لا لعاقبة قوله تعالى وغرتهم الحيوة الدنيا قال بعضهم ان الحيوة الدنيا لا تغر
احدا ولكن اضيف اليها التغرير لما كانت سببا من اسباب الاغترار بها فاضيف
اليها كقوله فلم يزدهم دعاءي الا فرارا اضاف الفرار الى الدعاء وقد يضاف الشيء
الى سببه كقوله والنهار مبصرا اي يبصر به لانه سبب ذلك وبعضهم قالوا اضيف
ذلك اليها لما كان منها من السبب والهيبة ما لو كان ذلك من ذي العقل والتمييز
كان ذلك غرورا من نحو التزيين وغيره ويحتمل ان يضاف التغرير اليها على ارادة
اهلها فيكون الاهل مضمرا اي غرتهم اهلها وهم القادة والروسا والله اعلم قوله تعالى
فاليوم ننسيهم كما نسوا لقاء يومهم هذا والاشكال ان النسيان افة فكيف يضاف الى الله
تعالى فيقول بان النسيان الذي هو افة لا يجوز نسبته الى الله ولكن تاويله ان
يقال انه يجزيهم جزاء النسيان فسمى الثاني باسم الاول وان لم يكن الثاني نسيانا

وهو كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها والثانية ليست لسيئة ولكن جزاء السيئة فسماها
باسم السيئة لما هي جزاؤها فعلى ذلك هذا وقوله فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل
ما اعتدى عليكم والثاني باعتداء ولكنه جزاء الاعتداء فسماه باسمه لما هو جزاؤه
فعلى ذلك سمى الثاني نسيانا لانه جزاء النسيان وان كان الله تعالى لا يجوز
ان ينسى شيئا او يسهو عن شيء او يغفل ويحتمل ان المراد منه الترك لان في النسيان
تركا وكل منسي متروك فمعناه نتركهم في العذاب والهوان كما تركوا امر الله ونهيه
في الدنيا وقال الحسن ان الله تعالى لا ينسى شيئا ولا يسهو عن شيء ولكن المراد
ان الكفرة يكونون على الكرامة والمنزلة في الآخرة كالشيء المنسي وعن العذاب
والهوان لا او كلام نحو هذا والله اعلم قوله تعالى وما كانوا باياتنا يجحدون قيل
ما ههنا صلة زائدة كانه قال وكانوا باياتنا يجحدون وقال بعضهم ليس بصلة بل هي على
ما ذكر اي اليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم وكما كانوا يجحدون باياتنا قوله تعالى ولقد
جئناهم بكتاب فصلناه يحتمل قوله فصلناه اي بيناه والتفصيل التبيين ويحتمل اي
فرقناه في انزاله لم ننزله جملة واحدة وهو كقوله وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس
على مكث اي فرقناه في الانزال على قدر النوازل بهم ليعلموا حكم كل آية نزلت بالنوازل
التي وقعت بهم لان ذلك اقرب الى الحفظ لحفظ النوازل عادة او انزاله متفرقا
لان معرفة ما فيه من الاحكام اذا كان منزلا بالتفاريق اهون وايسر على الطباع من
معرفة ما فيه اذا انزل جملة قوله تعالى على علم يحتمل وجوها يحتمل فصلناه على
علم اي بيناه بالحجج والبراهين على علم منه لمن يصدقه ويتبعه ولمن يكذب به ولا يتبعه ويحتمل
على علم منه بمصالح الخلق ان انزاله اصلح للخلق او على علم منه بمعاملة القوم اياه انزله
لان المنفعة في انزاله للمنزل عليهم لا للمرسل والمنزل فضرر الرد والمنفعة
لهم والله اعلم قوله تعالى هدى ورحمة لقوم يؤمنون قال ابو بكر الكيساني اي
هدى للكل للمؤمن والكافر جميعا ورحمة للمؤمنين خاصة فاما عندنا فهو هدى للمؤمنين
وعمى على الكافرين على ما ذكر قوله وهو عليهم عمى خص المؤمنين بالهدى لهم لانهم
هم المخصوصون بالانتفاع به دون اولئك فانه عليهم عمى وكقوله فزادتهم رجسا الى
رجسهم وصار ذلك للمؤمنين حجة على اولئك والله اعلم قوله تعالى هل ينظرون
الا تاويله اي ما ينظرون الا وقوع ما وعدهم رسول الله من نزول باس الله بهم اي العذاب
اي لا يؤمنون الا بعد وقوع الباس والعذاب بهم لكن لا ينفعهم ايمانهم في ذلك الوقت وهو

استفهام على سبيل النفي قوله تعالى يوم ياتي تاويله يقول الذين نسوه من قبل
والتاويل عاقبة الشيء وما ينتهي اليه الامر ويؤول اليه وما يقع بهم من الباس الموعود
فاذا اتاهم العذاب يقول الذين نسوا هذا اليوم من قبل ما اخبر الله عنهم بقوله
لقد جاءت رسل ربنا بالحق يعني بالحق الواقع بهم من باس الله الذي كانت الرسل
تعد لهم اي ما اوعد وامن وقوع الباس بنا كان حقا ويحتمل قوله لقد جاءت
رسل ربنا بالحق اي التوحيد الذي جاء به الرسل كان حقا ويحتمل اي الذي
اخبر الرسل عن هذا اليوم كان حقا والله اعلم قوله تعالى فهل لنا من
شفعاء فيشفعوا لنا كانهم اذا حل بهم ووقع ما اوعدهم الرسل تمنوا عند ذلك الشفعاء
الذين كانوا يعبدونهم في الدنيا كما اخبر الله تعالى عنهم بقوله ويقولون هؤلاء
شفعاؤنا عند الله وانما تمنوا ذلك لما كانوا شاهدوا في الدنيا طلب الشفعاء
اذا بدى لهم امر عظيم فيشفع بعضهم بعضا ويعين بعضهم بعضا فعلى ذلك تمنوا في الآخرة
ذلك فاذا ايسوا ذلك وايقنوا ان لا شفيع لهم فعند ذلك قالوا او نرد فنعمل غير الذي
كنا نعمل لا انهم قالوا مجموعا كقوله يا ليتنا نرد ولا نكذب بايات ربنا الى قوله
ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه ثم اخبر انهم قد خسروا انفسهم بعملهم الذي عملوا في
الدنيا وبعبادتهم غير الله وضل عنهم ما كانوا يفترون اي بطل عنهم ما كانوا يفترون
ان هؤلاء شفعاؤنا عند الله وقولهم ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وغير
ذلك من الافتراء فقد بطل ذلك كله عنهم وبقوا حيارى وانقطع رجاؤهم وطمعهم
وقيل خسروا من رحمة الله وقيل خسروا بما وعدوا لو اطاعوا اهلكوا والله اعلم
قوله تعالى ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض ذكر وما بينهما في مواضع ولم
يذكر وما بينهما في مواضع وذلك داخل في ذلك على ما جرى التقسيم في ذلك بقوله
قل اينكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين وتجعلون له اندادا ذلك رب
العالمين الذي صنع ذلك ثم قال وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها اقواتها
ثم جمع اليومين الاولين مع هذا الذي ذكر ذا فيه وقال في اربعة ايام سواء للسائلين
ليعلم ان ذا خلق في يومين ثم قال ثم استوى الى السماء الى قوله فقضيهن سبع
سموات في يومين فتصير الستة الايام التي ابهمها في غير ذلك والله اعلم ثم قد
بين عز وجل فساد قول كل من عبد غيره وعجز كل ذلك عما له يعبد وجهله بمعنى العبادة
وخروجه عن الاستحقاق بما فيه من آثار التدبير وعليه من دلالة التقدير

واستحقاق جميع معان الخليقه ودخوله تحت الصنعة وحاجته الي من احتاج اليه
كل بما هي التي تبعث علي العبادة وتوجب اظهار الذلة والخضوع لمن هو كذلك في الخلقة
والجوهر فالزمهم الفزع الي من يدلهم الي الرب الحق ويدعوهم الي المعبود المتعالي
عن الاشباه والاضداد بما يوجب الشبه والمشاكله وفي وجوب ذلك دليل جا عل
اخر جعل شكال وذلك آية الصنعة ودلالة الحدث وفي تحقيق الضد خوف ذهاب
وفساد فيضمحل الالوهية ويستوجب حق الدخول تحت التقدير والقيام علي ما شاء
من له التدبير جل الله سبحانه عن توهم ذلك فاكرم من بعثته الحاجة الي معرفته
ودفعته الحلقه الي العلم بمن انعم عليه واختصه من بين كثير من خلقه لما ركب فيه ما به
يدبر امر غيره وبه يعرف قدر النعم عليه لمن اكرمه به ليشكره فيما اولاه ونحمده
علي ما اعطاه فمن باظهار ذلك علي لسان رسوله الذي عرف خلقه بما نسب من ادلة
صدقه وانار من حجج عصمته عن الكذب صدقه فيما ينبا واصابته فيما اخبر فقال ان
ربكم الله اي الذي لا رب لكم سواه ولا احد من الخلايق هو الله الذي لا اله غيره لتوجهه
اليه العبادة في الحقيقه وتؤدوا اليه شكر ما انعم عليهم وان كانت نعمه اعظم من ان
تشكر بالعبادة وحقه اجل من ان يقوم به العباد ولو ان الله تعالي لم يرد من البيان
علي ربوبيته والدليل علي الهيته سوي ما انطق به لسان رسوله بعد الايضاح انه
لا ينطق الا بالحق ولا يقول الا الصدق لكان ذلك بيانا شافيا لكنه بفضل رحمته
بين الادلة التي تحقق ذلك وتعلم انه كما جاء به رسوله الا ان يعاند الحق ويكابر
العقل فقال عز وجل الذي خلق السموات والارض الي اخر ما ذكر من دلالة خلق
ما ذكر فيها ذكر من آثار التدبير وعجيب التقدير الذي به قوام كل بما من تحمل المنافع
والمضار والفضال ما بين السماء والارض علي تباعد بعض من بعض في المنافع مع جميع
الاضداد التي من طبعها التنافر في اصل ما ذكر حتي صارت كالاشكال بعد ان كانت
السموات والارض مستبهمة لا تشعر بما فيهما من الحكمة ولا بالذي فيهما من الاية
من اي وجه تقتضي الحاجة ليدل ان مدبر الكل واحد وانه عليم حكيم وضع كل شي
موضعه ودل كل ذي عقل علي الوجه الذي يظفر بحاجته ويقيم به اوده ويصل الي
بغيته وسخر الذي ذكر فصير كلا من ذلك حارثا دائبا بما لا ينفع هو به ولا مضره
عليه فيه ليعلم انه لغيره قدر ولحاجات غيره سير وكذلك جبل علي القرار وامسك
عن الزوال من غير ان كان له في حقيقة احد الوجهين نفع او ضرر ليعلم ان تدبير

ذلك

ذلك جري لا له ولكن لاهله الممتحنين الذين لهم يظهر العز والشرف وبهم الجود والكرم
ويعظم الملك والسلطان اذ عندهم تمييز الاحوال وتفريق الامور وتوجيه كل الي
حقه واعطاء كل ذي فضل فضله ليعلم من هذا وضعه لم ينشا عبثا ولا خلق باطلا
اذ به يعظم قدر كل خلق وليشرف جلاله كل جليل لم يجز ان يهمل مثله فيكون خلق
الجميع لغير شي مع ما في ذلك من فنايه وتبدده الذي في الحكمة والعقل قصد مثله
عبث ثبت انه خلق للمحنة ولدار البقاء ولكن جعل البقاء جزاء والفناء محنة ليكون
البقاء هو المنتهي فيعظم القصد في الابتداء اذ فاسد ان تجعل المحنه للبقاء فتدل
علي حاجة الممتحن مع ما في ذلك زوال الجزاء اذ محال تقديمه علي ما له الجزاء
والله الموفق ثم الاصل ان الله تعالي جعل العقل جزءا من عالمه وجعله دليلا
لاهله في معرفة المحاسن والمساوي وعلما للتمييز بين الحكمة والسفه وبين
الاتقان والعبث وجعله بالذي يعرف المحمود من المذموم والمرغوب فيه
من المزجور عنه فلم يجز ان يكون انشاء كل العالم علي غير الحكمة لانه سفه وهو
بالذي جزء من العالم يعلم الذميم من الجهل ثبت انه انشاء للحكمة وعلي ذلك تقدير كل
عاقل علي احتمال ما يضره وينفعه لحق الجزاء والمحنه ثبت ان ذلك
للمحنة وان المحنه بمهلاك بلا جزاء ولا نفع للممتحن عبث ايضا وسفه فلزم به القول
بالبعث واثبات دارين معا كان لكل شاهد دليل غايب لحمد عليه او يذم وكذا فعل
كل ذي عقل انما هو لعاقبة ليحمد عليه او يغفل عنه فيذم عليه فعلي ذلك امر تدبير هذه
الدار من اخري ولا يجوز ان تخلي الجملة عن الدلالة فلا تخلو كل جزء منها او جملة الافعال
عن العواقب والواحد منها اذا خرج ليصير عبثا وسفها فثبت بالذي ذكرت القول
بالتوحيد والدارين والرسالة اذ بها يعرف العواقب بما هي غايبة وحقايق كل غايب
تعرف بالاخبار عنها والدلالة عليها ثم لا دلالة علي ما ئية الجزاء ولا الشكر ولا العبادة
انما الدلالة من حيث التدبير علي العلم بها جملة لزم القول بالرسل ولا قوة الا بالله ثم قوله
في ستة ايام يحتمل وجهين احدهما خلق اصول الاشياء التي تكون عنها هذا التوالد عن ذلك
والانقلاب ويحتمل علي خلق كليه كل شي مما عليه تركيب هذا العالم الي ان يبدل بعالم
اخر لا يبيد ولا يفني فان كان علي الاول فهو الستة من السبعة التي عليها مدار المدد
والازمنة اذ جعل جل ثناوه جميع ما ذكر من الخلايق تحت الازمنة والاوقات
يزول بزوال مددها وكذلك عندنا كل الحوادث اذ لكل منها بدا يصير ذلك وقت

ابتدآئه وذلك ينقض علي الباطنية قولهم المبدع الاول لايقع في الزمان والمكان وانه
لاسيد ولا يفني ولو كان كذلك لم يكن مبدعا ولكن كان قديما لايقع عليه الابداع
فلما ثبت ثبت له البدي فصح وصفه بالوقت من حيث الابتدآء وهو ايضا معلول
عندهم وعلته فيه وهو الابداع مما لو زالت علته لباد واذا اثبت انه معلول ثبت ان
علة اوجبته فاحدثته بعد ان لم يكن فوجب له وقت به كان او كان فيه والله اعلم
ثم علي هذا كان ذكر انشآء ما ذكر من الايام الستة ولم يذكر في ذلك ممتحنا فيشبه
ان يكون وقت كون الممتحنين يوم السابع وبهم تم ظهور الملك واستوي علي العرش
وهو الملك اذ لم يكن قبل ذلك من له التمييز ومعرفة الملك والسلطان وقدر العلم
بالمحامد والمعالي واضداد ذلك انما يكون اوليك الذين ركبت فيهم العقول واكرموا
بالتمييز وبامثالهم جعل العالم وهم المقصودون من الانشآء اذ لكل جعل كل شي سواهم
مسخرة لمنافعهم داخلة تحت افهامهم تدبيرا اكثر ما احتمل ذلك ليعلم انهم قصد والانفسهم
اولمعرفة ما عليهم من النعم والعبادة وكان بهم ظهور تمام الملك وبلوغه النهاية فاخبر
بالاستوآء اذ هو وصف بالعلو والرفعة ووصف التمام في الرتبة والقدر وهو كقوله
ولما بلغ اشده واستوي آتيناه حكما وعلما وذلك معني الاستوآء علي العرش من حيث
ظهور الملك وبيان الحجة والربوبية للمستدلين والمعتبرين والله اعلم وان كان
التاويل هو الثاني فهو يخرج علي وجهين احدهما ما قال بعض اهل التفسير ان
كل يوم من ايام الاخرة وذلك الف سنة لم يبين لنا مقدار ذلك فجائز ان يكون
منتهي تدبير هذا العالم الي ذلك ستة ايام بمعني ستة الاف سنة علي القدر
الذي قدره الله تعالي ثم يكون اليوم السابع هو يوم القيامة لا ينتهي ابدا ولا ينقضي
فيه تبدل العالم ويتفرد كل ممتحن له بالملك والجلال وان كان كذلك في الاول ففي
ذلك اتفاق القول من طريق الاختيار والعلم بذلك من كل جبار وغيره علي نحو
ما قيل لمن الملك اليوم الاية وقيل وبرزوا لله جميعا وقيل الامر يوميذ
لله ونحو ذلك علي ان الملك له ابدا وكذلك لم يكن يخفي عليه شي لكن ذلك مما يعلم كل
انه كذلك فبذلك يتم ظهور كل معني من ذلك وان كانت حقيقته موجودة قبل ذلك
وبالله التوفيق وعلي ذلك القول حتي نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونحو ذلك
انه اذ ذلك يظهر لكل معلومة واضيف اليه بحرف الابتدآء وهو عن ذلك متعال
فعلي هذا جميع ما بينا وبذلك ظهور تمام شرايط الملك والاعتراف من الكل

بذلك والله اعلم والثاني ان تكون تلك الايام الستة علي ما في علم الله تقديرها
لايعلم احد سواه الا من طريق الجملة التي ادي وقد يبين يوما كخمسين الف
سنة ويوما كالف سنة حده لا يعلم غيره ثم كان يوم السابع يوم تبلي السراير
ويقع العقوبة والمثوبة وهو المقصود من خلق العالم الاول فيكون ما ذكرت
من تمام الظهور والله الموفق وعلي هذا الوقت قيل ان الله تعالي قال يحملون العرش ويحمل
عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية فكيف حملهم علي الملك فيقال لهم ليس المراد من هذا
العرش ما هو المراد في قوله الرحمن علي العرش استوي اذ جايز ان يكون هذا
هو السرير المعروف المنشا من النور ومما شآء ليكونه اوليآءه يوم القيامة والاول
هو الملك الذي ظهر تمامه وعلوه علي ما بينا والله اعلم ثم لو كان العرش المذكور في
قوله الرحمن علي العرش استوي هو ما فهمه اهل التشبيه من مكان لم يكن يجب
ان يفهم من الاستوآء عليه الاستقرار وان يكون لله تعالي مكان يوصف بالكون
فيه وعليه لانه ليس في كون احد في مكان وان جل قدره وعظم خطره رفعة
ولا نباهة فيما يتعارف من امر الملوك والاجلة بل كل منسوب الي مكان من جهة
التمكن فيه والقرار منسوب الي استغنائه وحاجة منه اليه جل الله عن ذلك
علي انه لا يخلو اما ان يكون العرش مثله او اعظم منه فيكون له عديلا في
العظمة واما ان يكون دونه ومن السخف الجلوس علي مكان لا يطمين به او يقصر
عنه مع ما قد يجوز ان يراد فيه اعظم منه جل الله عن هذا الوصف وتعالي بل كان
ولا مكان فهو علي ما كان يتعالي عن الاستحالة والتغير له اذ هذا اثر الحدث
وامارة الكون بعد ان لم يكن ولا قوة الا بالله ثم الاصل انه كان فهو باضافة الله
تعالي الي العلو عليه تعظيما له وعلي ذلك كل شي يضاف الي الله تعالي او اليه
من جهة الخصوص فهو علي تعظيم ذلك لا علي ان يفهم منه ما يفهم مثله من الخلايق
نحو القول بان المساجد لله وناقة الله وزينة الله وحدود الله ونحو ذلك فما بال
المشبهة فهمت من اضافة الاستوآء علي العرش المعني المكروه علي احتمال الاستوآء
معاني سوي الذي ذكروا اذ كان يقال استوي تم واستوي قصد واستوي
علا واستوي استقر واستوي استولي فاذا كان معناه يتوجه الي هذه الوجوه
لم يحتمل ان يكون احد يقدر من ذلك اذ ثم ما يتوجه اليه ويعتمد عليه لولا الجهل
بوهم الاصل ان الاضافات الي الاشيآء يفترق المقصود بها وان كان ظاهر المخرج

وَاحد باختلاف من اليه القصد بالاضافة و الاضافه جميعًا يقال لجار الحق وجار فلان
وبيت فلان وبيت الله وقيل في الملايكه وما جعلنا اصحاب النار الا ملايكة
وقال في الفسقه اوليك اصحاب النار ونحو ذلك لا على انهم في المعنى واحد فالاستوآ
الذي يتوجه الي وجوه احق بذلك والله الموفق ثم قيل في قوله ثم استوى على العرش
بوجوه احدها ما قال ابو بكر الاصم هو على التقديم والتاخير كانه قال ان ربكم
الله الذي استوي علي العرش ثم خلق ما ذكر فيكون معناه خلق كذا وقد استوي
علي العرش كقوله من نفس واحده ثم جعل منها زوجها بمعني قد جعل منها زوجها
وعلي هذا ليس في قوله ان ربكم الله الذي استوي علي العرش الشبهة التي في
الاول كما لم تكن في قوله ولو تري اذ وقفوا علي ربهم اذ اصرف الي عند شبهة فيكون
قوله وقد استوي الي خلق العرش كقوله ثم استوي الي السما بمعني ثم خلق السما
او قصد خلقه ونحو ذلك والله اعلم وقال الحسن ثم استوي علي العرش اي
استوي عليه امره وصنعه اي لم يختلف عليه صنع العرش وامره وان جل امر
غيره وصنعه وهو كقوله ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة علي استوآ الامر في
التدبير والصنع والله اعلم وقال الحسن معناه استولي علي العرش كما يقال
استوي فلان علي بغداد بمعني استولي والله الموفق وقال قوم معناه استوي
عليه وهو فوق كل شي في القدرة والعظمة تعظيمًا له علي غير اختلاف عليه
في التحقيق بينه وبين غيره كالذي ذكرنا بان الامر كله يوم القيمة له والمساجد
له علي التفضيل دون تخصيص له في ذاته من حيث ذلك والله اعلم وقال قوم
اذا كان العرش فوق كل شي في تقدير المعارف يقال هو علاه بمعني لا يوصف
في الخلق ولكن علي ما كان ولا خلق ولا قوة الا بالله ونحن نقول وبالله التوفيق
قد ثبت من طريق التنزيل القول بانه استوي علي العرش وقد لزم القول لانه
ليس كمثله شي وعلا ذلك اتفاق القول ان لا يقدر كلامه بما عرف من كلام الخلق
ولا فعله به ولا علمه ولا ما قيل هو رب كذا او مالك كذا لا يراد به المفهوم من الخلق
لكن الوجه الذي يليق به وما يوجبه حق الربوبيه فمثله في الاول ثم يلزم تسليم
المراد لما عنده اذ لم يبينه لنا وقد ثبت نفي ما يفهم من غيره وبعد فان القول
بالمكان يفسد بالذي يحتج بوجوه احدها ان قوله ثم استوي علي العرش اخبار
عن فعله الذي يضاف اليه في خلق الخلق علي اختلاف المخرج في القول وتفاوت

الالفاظ نحو ان ذكر مرة ابدع ومرة فطر ومرة جعل وانزل وانبت وكتب ونحو
واعطا وانشا ونحو ذلك من الالفاظ وحقيقه ذلك انه خلق اذ ذلك معني فعله
في الحقيقه وعلي ذلك كون وفعل وامر في بعض المواضع ثم يجب توجيه كل واحد
من هذه الالفاظ الي الوجه الذي يليق فيه القول بخلق وكذا في هدي واضل
وزين واتقن واحكم ونحو ذلك وكذلك في قوله ثم استوي علي العرش يجب
ان يقابل ذلك بخلق اذ هو اضافه الي فعله ثم يخرج علي وجهين احدهما خلق العرش
ورفعه واعلاه بعد ان كان العرش علي الما كقوله وكان عرشه علي الما وكقوله
ثم استوي الي السما وهي دخان وليس ثمة تنتقل من حال الي حال اذ لو كان كذلك لكان
يصير حيث اي من الموضع الذي ينتقل ثم ينتقل من خلق الي خلق فيما الخلق فيكون في الوقت
الذي يصير الي العرش صابرًا الي الثري وفي الوقت الذي يحدث خلق ما في الارض وما
في السما منتقلًا من ذا الي ذا وذلك متناقض فاسد وفي ذلك بطلان معني القول بالاستوآ
علي العرش بل يكون ابدًا غير مستو عليه حتي يفرغ من خلق جميع ما يكون ابدًا اذ هو في الانتقال
بعد وذلك متناقض فاسد جل الله عن هذا التوهم وبالله التوفيق والثاني ان يكون قوله
ثم استوي علي العرش اي الي العرش في خلقه ورفعه واتمامه ويحتمل ان يذكر علي ارادة
اي ادهما من حروف الخفض وقد يوضع بعض موضع بعض قال الله تعالى اذا اكتالوا علي الناس
يستوفون بمعني عن الناس وقال اذ وقفوا علي ربهم اي عند ربهم مع ما قال الله تعالى
ثم ان علينا بيانه اي الينا وقال وعلي الله قصد السبيل بمعني اليه فعلي ذلك قوله ثم استوي
علي العرش اي الي العرش وهو علي الما كما ذكر وكان عرشه علي الما فرفعه واتمه كما كان
ثم استوي الي السما وهي دخان لخلق ما ذكر والله اعلم والوجه الثاني ان المذكور
في الاية من اسم الرب بقوله ان ربكم وخلق ما ذكر بقوله الذي خلق السموات والارض
في سته ايام وتسخير ما وصف بقوله والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره وتغشية الليل
والنهار بقوله يغشي الليل والنهار يطلبه حثيثا لم يتوهم في شي من ذلك المعني الذي يضاف
الي الخلق في هذه الاشيا ان فلانا رب كذا او سخر كذا او فعل وصنع كذا المحدود والموجود
فكيف احتمل قلب المشبهي في قوله الرحمن علي العرش استوي لولا جهله بالله تقدير
بالذي عليه امر نفسه والله الموفق والثالث ان الناس في خلق الله تعالى الخلق مختلفون
فمنهم من جعل خلق الله تعالى هو نفس المخلوق دون ان يكون الله تعالى بذاته يلحقه وصف
سوي اضافة الخلق اليه في ان كان به اي لم يكن خالقا فصار خالقا لانه ليس يوصف

59

به حتى يكون صفة حادثة تقوم به بعد ان لم يكن وانما حدث اضافتنا المخلوق اليه فعلى ذلك
قوله ثم استوى على العرش انما هو ما ذكر من غير ان كان الله يلحقه وصف لم يكن له
فيجب انكاره لما يتضمن حدوث الاستوآء الذي هو صفته اذ آء الاستوآء ليس غير
المستوي عليه فلا يؤدي الى القول بحدوث صفته وتغيره وتبدله من حال الى حال
ومنهم من يراه خالقا بدايته في الازل ليكون جميع الخلائق الى الابد بتكوينه الذي يعبر
عنه بقوله كن من غير ان كان ثمه كاف او نون على كون كل شيء عليه به من غير تغير عليه
ولا زوال عما كان عليه اذ لا شيء غيره اذ كل معنى لو لحق اوجب تغيرا عليه او زوالا
ذلك فالله يجل عنه ويتعالى اذ ذلك علم الحدث وامارة الغيرية ولا قوة الا بالله والرابع
وهو ان الذي يرى فعله على ما عليه فعل الخلق من التحرك والزوال والسكون والقرار
فيكون اضافة العرش اليه بمعنى الاستقرار وتخصيصه بمكان دون مكان وحال دون
حال محالا فاسدا الى ذلك بطل القول بالمكان في جميع الاقاويل ولا قوة الا بالله وايد الذي
ذكرت ما ختم به الآية من قوله تبارك الله رب العالمين وصف ذاته بالربوبية بالتعالي
من جميع معاني المربوبين اذ من حيث التشاكل يوجب خروجه من ان يكون ربا والآخر
من ان يكون مربوبا فاذا ثبت ان كل شيء من وجه مربوب ثبت سبحانيته من كل وجه
والله الموفق ثم قوله خلق السموات والارض في ستة ايام على وجهين احدها باضمار ما بينهما
على ما جرى الذكر به في غيره نحو قوله ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما في ستة
ايام حتى يكون الآيات على الموافقة اذ الله تعالى نفى المخالفة والاختلاف عن كلامه بقوله
ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا والثاني فيه اخبار وبيان لابتدآء
وقت الكون للعالم وجميع الخلق بقوله خلق السموات والارض وما بينهما الى الانتهآء لا على
تحقيق ذلك كله في كل وقت كما يقال بنى فلان الدار في شهر كذا لا على احاطة كلية اجزآء
الشهر بكلية ذلك لكن على بيان ابتدآء كونه الى الانتهآء والتمام فمثله معنى قوله في ستة
ايام ومعنى التوقيت بالايام ليس الى الحاجة الى ذلك فان فعل الله تعالى لا تعلق له بالوقت
نظير افعالنا لان الوقت داخل في جملة الخلق لو كان خلقه الاشيآء يقتضي زمانا ووقتا
لكان خلقه الزمان يقتضي زمانا آخر فيؤدي الى ما لا يتناهى لكن ذكر التوقيت
يخرج لوجوه وان كان الله تعالى قادرا على انشآء جميع ما ذكر بدفعة واحدة وجهان
ما ذكرت احدهما انه ذكر الايام لما عليها مدار مدد الخلق واصول ما عليه بنى الاعمار
والثاني على بيان منتهى العالم وهو ستة ايام اريد لها ستة الاف سنة على ما ذكرنا

60

والثالث في ذكر الايام اخبار ان الخلق كله تحت قهر الزمان وداخل فيه مع علو
درجات كثير منهم وجلالة اقدارهم في الاعين حتى لا احد ينظر اليهم الا بعين
الاجلال والتعظيم وحتى قام بكثير منهم امر تدبير العالم وسياسة الخلق وحتى
عبد دون الله تعظيما معانيه من دلالة حدوثه عن الاستحقاق وهو سمات الحدث
وامارات النقص فصيرهم الله تعالى داخلين تحت الازمنة والمدد مقهورين
بها حتى لو اريد بكل جهد وحيل اخراج شيء من ذلك او تبديل بعض ببعض من
تبديل الشتآء بالربيع او الزيادة في البعض دون البعض او تخليص الجبابرة عن
بعض ذلك حتى لا يلحقهم ضرر حر الصيف او برد الشتآء لما تهيأ لهم ليعلم ذلة الخلقة
وامارة الحدث وعلامة الحاجة فكان بيان ذكر الايام لدخول الخلق في قهرها وانه
لا مخلص لاحد منهم عن ذلك ثم كانت الاوقات مترادفة متتابعة لو سقطت عنها
الاولية لبطل الكل ولما جاوز الحساب عن الواحد ولما انتهى الى ما هو بعد لما
مضى ليعلم به اولية كل شيء من العالم وحدثه مع ما جعلت الايام نذر على امر واحد
وسنن واحد بها حاجة لجميع المحتاجين ممن ذكرت ولذلك وضعت لها اسمآء
معروفة من الايام والشهور والسنين ونحوها حتى يتحقق قصد كل منهم على
الاشارة اليه باسمه المعروف به ليحفظ فيه المواعيد فينجزها ويعلم به ما يجب له من
الحقوق المؤجلة وما تبطل بانقضآء ذلك الوقت ووجوده ولو كان قديما لكان
واحدا لا يحتمل الانقضآء والتحدد لم يتحقق قضآء هذه الحوائج وبالله التوفيق
ثم الاصل اذا جعلت هذه الدار دار المحنة والمحنة انما تكون بمختلف الاحوال جعلت
الاحوال مختلفة من نحو موت وحيوة وصحة وسقم وغنا وفقر ولو في جميع الخلق على
حال واحدة منها يكون جهلا باضدادها فان من دام على الصحة يكون جاهلا
عن المرض فلا يتم له شكر الصحة وفي ذلك الجهل باللذات والآلام فيجب بذلك
اختلاف الاحوال تكميلا للشكر وعلى ذلك امر الارزاق من السعة والضيق
وغير ذلك فعلى ذلك امر خلق ما ذكر في ايام مختلفة تحقيقا للابتلآء ثم جمع الكل في البعث
بمرة واحدة وفي حال واحدة اما حال اللذة ان كان من اهل الجنة واما حال
الشدة والتعب ان كان من اهل النار دون اختلاف الحالين في حق كل فريق
كما في الدنيا اذ ليس ذلك وقت الامتحان انما هو وقت المجازات مع ما كان اختلاف
الاحوال اقرب الى الدلالة واوضح في الحجة وكذلك اراد ته من هذه الدار الزام الحجة

واظهار المحنة والكلفة فكذا من اختلاف الاحوال الذي هو بعض العالم اذ العالم هو اسم
جميع المحدثات والله الموفق والاصل ان العقول لنشات متناهية تقصر عن الاحاطة
بكلية الاشياء والافهام متقاصرة عن بلوغ غاية الامر اذ هي من اجزاء العالم
الذي هو بكليته متناهي واسباب الادراك التي يدرك بها المشاعر التي تعجز
عن كنه ما يقع عليها من الظواهر فضلا عما استتر منها واذا كان هذا وصف ما
يدرك به مبلغ الحكمة فهي قاصرة عن الاحاطة بالحكمة الموصوفة في البشر فمن
رام الاحاطة بها او بلوغ حكمة الربوبية من غير اشارة وتنصيص من الله تعالى
فهو يظلم العقل ويحمل عليه ما يعلم عجزه عنه ومعلوم ان مذكور من الايام في خلق
ما ذكر حكمة بالغة وان قصرت العقول عن الاحاطة اذ الذي قدرها هو الذي
حمد الحكمة واوجب لاهلها الفضل والمحمدة وذم السفه واهله فاوجب التدبير في ذلك
تحقيق الحكمة وان لم يبلغها الاعتقاد ما يكرم به وبالله التوفيق قوله تعالى يغشي
الليل النهار يطلبه حثيثا اي يذهب بضوء النهار ظلمة الليل اذا جاء هذا اذهب سلطان
الاخر قوله تعالى يطلبه حثيثا قيل سر تعالى من عجيب قدرته ثم هو ان الله يظهر
النور في ابتداء النهار من طرف من اطراف السماء والظلمة في اول الليل ثم ينشر ذلك
في اطراف السماء والارض وما بينهما من جميع الافاق والجوانب في قدر لحظة بصر وطرفة
عين ما لو اريد تقدير ذلك بالهندسة وجميع ما في الخلق من المقادير ما قدروا
عليه ليعلم ان الله تعالى على ما يشاء قدير وانه لو اراد ان يخلق ما ذكر انه خلق في
ستة ايام لقادر ان يخلق في طرفة عين لكنه خلق في ستة ايام بحكم في ذلك والله اعلم
وليعلم انه القادر على البعث وجميع ما جاءت الرسل بالخبر عنه على انه يلبس وجوه
كلية الاشياء الستر ويجليها بطرفة عين بالتدبير والعلم الذي له بما يوجب ذلك مما
يعجز عن توهم مثله جميع الحكماء فضلا عن ادراكه ليعلم انه عليم عزيز لا يعجزه شيء
حكيم لا يتفاوت صنعه ولا يتناقض تدبيره ولا قوة الا بالله وقرب من ذلك
ما جعل من جوهر الانسان من البصر الذي يبلغ به من غير ان يزول عن مكانه
منتهى مرجع الخلق من الجنة والنار ويبصر به المعاد والمعاش والعقل الذي
يعرف حقائق من غاب عنه وحضر مما له صورة او طينة او احدهما وما ليس
له واحد من الامرين على قصور الحواس عن ادراك صورة شيء لا طينه له ليعلم ان الذي
قدر على تقدير مثله في جوهر واحد وعلم وكيف يصنع ليعمل ذلك العمل قادر على كل شيء

حكيم عليم وهذا معنى ما قيل ان الانسان هو العالم الكبير مثال ولا قوة الا بالله قوله
يطلبه حثيثا لا يكون مما ذكر طلب حقيقة لكن ذكر الطلب لان ما كان من كل واحد منهما
للاخر لو كان ممن يكون له الطلب كان طلبا وهو ما من غلبة كل واحد منهما صاحبه وهو ما
ذكر في قوله وعن تهم الحيوة الدنيا انها انشات على هيئة وجهه لو كان ذلك ممن يكون
منه التعبير كان عنه وراء فعلى ذلك هذا والله اعلم قوله تعالى والشمس والقمر
والنجوم مسخرات بامره سخرهن بالسير فيما يرجع الى منافع الخلق وجعل فيهن اية
لولا العيان لم يكن يصدق به احد ممن يجحد البعث والرسل اذ خبر الواحد عن سيرهن
في اليوم الواحد مسيره اكثر من الف سنة وتولد جواهر معونه من تبعد عنه مقدار
خمسمائة عام ونضج كل شيء وصلاحه به ابعد عن احتمال العقول من اعادة شيء بعد
الفناء او ارسال الرسل باعلام ما خفي من المصالح والامور اذ ذلك امر ممتنع لم يكن في
صنيع الخلق معاين وذلك يبعث بعضهم بعضا بالرسل لاجوان مقاصده واغراضه
ومعاين عود الليل والنهار بعد الانقضاء والفناء لكن الله تعالى اظهر لهم من قدرته
وعظم حكمته عيانا بما بسط لهم الارض بغلظها وسعتها ورفع عليها السماء بغير عمد ترى
وافق كلا من ذلك لحاجة اهلها الى قرارها وشرفها بالتسخير ما ذكر من الشمس والقمر
والنجوم لحاجة اهل في التسيير ذلك ليعلم ان لا يعجزه شيء ولا يخفى عليه امر ولا يدخل
في تدبيره عوج في خلق تفاوت وان الذي اذا قوبل بالذي او عد ليضاعف عليه
بوجوه له معا كان الذي اظهر هو ابداع على غير احتذاء والاعادة لا والله الموفق
وقوله بامره قال ابو بكر يحتمل وجهين احدهما انه امره كما يقال اي امر الله اي الموت
والعذاب ونحو ذلك على ارادة ذلك الذي نزل به والثاني اي يطلعن ويغربن بامره
بتوحيد الله والايمان به اي طلوعها وغروبها بما فيهن من عجيب الحكمة ورفع التقدير
امارة ودلالة على توحيد الله والايمان به بمنزلة الامر لذلك قال بامره وقال
الحسن اي بامره الذي كون الاشياء به وهو قوله كن وهكذا قال بعضهم بامره
اي بتكوينه اي انشاها وكونها مسخرات لهم ينتفعون ابا هم قال الشيخ رحمه الله فالقول
الاول قول من لا يرى خلق الخلق غير الخلق والثاني قول من يرى ذلك وهو الصحيح
فان قوله كن عبارة عن التكوين الذي يكون به الخلق ابدا لا بد من غير ان كان ثم
في الحقيقة كاف ونون لكنه اقصر ما يفهم منه المراد من الكلام ذكر هذا عبارة دالة
على نفي الصعوبة عن نفسه في التخليق واجبارا عن تيسير ذلك عليه وذلك في الحقيقة

غير المكون والخلق اذ اخبر انه كان به الخلق حيث قال كن فيكون وكل شي يكون بشي
في المتعارف من القول وغيره يكون غيره قوله تعالى الا له الخلق والامر
في الامر وجهان احدهما هو اخبار عن تكوين الخلق الذي هو له والثاني عن حقيقة
الامر في خلقه بما يشاء لا يرد شي من امره عن الوجه الذي امر من ندب او وجوب
والله اعلم قوله تعالى تبارك الله رب العالمين اي تعالى الله عما فهمت المشبهة
من قوله ثم استوى على العرش قوله تعالى ادعوا ربكم تضرعا وخفية قال
بعضهم ادعوا ربكم اي اعبدوا ربكم وهو كقوله وقال ربكم ادعوني استجب لكم ان الذين
يستكبرون عن عبادتي ذكر في الابتدا الدعا وفي آخره العبادة فكان الامر
بالدعا امرا بالعبادة وقال بعضهم المراد ههنا حقيقة الدعا وقد جا في الحديث ان
الدعا مخ العبادة لان العبادة قد تكون بالتقليد والدعا لا يحتمل التقليد ولكن انما يكون
عند الحاجة لما راى في نفسه من الحاجة اليه والعجز عن القيام بذلك فعند ذلك يفزع
الى ربه فهو مخ العبادة من هذا الوجه وقال بعضهم ادعوا ربكم اي وحدوا ربكم تضرعا
وخفية تضرعا اي خضوعا وخفية اي اخلاصا وقيل تضرعا ظاهرا وخفية سرا
واصله اي ادعوا ربكم في كل وقت وساعة اي ادعوا خاضعين مخلصين وقوله انه
لا يحب المعتدين قيل اي المجاوزين الحد بالاشراك بالله وقيل لا يحب الاعتدا
في الدعا نحو ان يقول اللهم اجعلني نبيا او ملكا او انزلني في الجنة منزل كذا في موضع كذا
وروي عن عبد الله بن المغفل سمع ابنه يقول اللهم اني اسالك الفردوس واسالك
كذا فقال له عبد الله سل الله الجنة وتعوذ به من النار فاني سمعت النبي صلى الله عليه
قال سيكون قوم يعتدون في الدعا والطهور وعن الحسن قال في قوله ادعوا ربكم
تضرعا وخفية علمكم الله تعالى كيف تدعون ربكم وقال لعبده الصالح حيث رضي دعاءه
اذ نادى ربه ندا خفيا وقال انس رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
عمل البر كله نصف العبادة والدعا نصف العبادة ومنهم من صرف قوله ادعوا
ربكم تضرعا وخفية الى حقيقة الدعا وقال يكره للرجل ان يرفع صوته في الدعا
ويروون في ذلك حديثا عن نبي الله صلى الله عليه وسلم انه سمع قوما يرفعون اصواتهم
فقال ايها الناس انكم لا تدعون اصم ولا غايبا ولكن كذا ويحتمل الاعتدا في الدعا
ان يسال ربه ما هو المجاوز عن الحد الذي جعل به قوله تعالى ولا تفسدوا
في الارض بعد اصلاحها قال بعضهم بعد اصلاحها اي بعد ما بعث الرسل باصلاحها

من

من الدعا الى طاعة الله والعبادة له ويامرون بالحلال وينهون عن الحرام وقال بعضهم
ولا تفسدوا في الارض بعد اصلاحها اي بعد ما خلقها طاهرة عن جميع انواع المعاصي
والفواحش وسفك الدما وغير ذلك وقيل بعد اصلاحها اي بعد ما اعطاكم
اسبابا تقدرون على الاصلاح وبما به تملكون اصلاحها وجايز ان يكون المراد
باصلاح الارض اهلها اي لا تفسدوا اهلها وهو كقوله وكاين من قرية عتت عن
امر ربها والقرية لا توصف بالعتو ولكن اهلها قوله تعالى وادعوه خوفا
وطمعا وقال بعضهم خوفا لما كان من العبادة من التقصير وطمعا في النجاة والقبول
لانه لا احد يقدر ان يعبد ربه حق عبادته لا يقصر في ذلك وعلى ذلك روي
عن رسول الله صلى الله عليه انه قال لا يدخل الجنة احد الا برحمة الله قيل
ولا انت يا رسول الله قال ولا انا الا ان يتغمدني الله برحمته وعلى ذلك ما روي
ان الملايكة يقولون يوم القيمة ما عبدناك حق عبادتك ويجب على كل مومن ان يكون
في فعله خايفا راجيا الخوف للتقصير والرجا لكمال رحمته وقال بعضهم خوفا
من عذابه ونقمته وطمعا في جنته قوله تعالى ان رحمت الله قريب من
المحسنين قال اهل التاويل ان الجنة قريب من المحسنين ويقولون اراد بالقرب
الوقوع فيها والنزول ويحتمل ان يكون المراد بالرحمة صفته فيكون تاويله ان منفعة
رحمة الله قريب من المحسنين وقال الحسن ان رحمة الله وهي الجنة قريب من الخايفين
وقال بعضهم ان رحمة الله اي اجابة الله قريب الى من استجاب دعاءه ثم قوله من
المحسنين يحتمل المحسنين الى انفسهم او المحسنين الى خلقه او المحسنين الى نعم الله
اي احسنوا صحبة نعمه بالقيام بشكرها واجتناب الكفران بها ويحتمل ان يراد
بالمحسنين الموحدون والله اعلم قوله تعالى وهو الذي يرسل الرياح
بشرا بين يدي رحمته قرات بقرات نشرا ونشرا وبشرى فالنشر هو جمع
النشور وهو من الاحيا والنشر من التفريق اي يفرق الله تعالى ويسوق
ذلك السحاب وقيل الريح ترسل وتسوق ذلك السحاب والبشرى من
البشارة قوله تعالى حتى اذا اقلت سحابا ثقالا قيل اقلت حملت وقيل رفعت
الما وهي واحد قوله ثقالا اي ثقالا بما فيه من الما قوله تعالى سقناه
لبلد ميت اي الى بلد ميت قوله تعالى فانزلنا به الما اي انزلنا بالبلد الما
قوله تعالى فاخرجنا به من كل الثمرات قال بعضهم من كل الثمرات اي من كل نبات

تشاهدون من الثمرات قوله تعالى كذلك نخرج الموتى اي كما اخرج النبات والثمار
من الارض والنخيل بعد ما تفانوا وذهب اثرها كذلك نخرج الموتى بعد ما ماتوا وذهب
اثرهم حتى لم يبق منهم شيء قوله تعالى لعلكم تذكرون اي تتفكرون وتعرفون قدرته
وسلطانه على الاحياء بعد الموت وقيل تذكرون اي تتعظون ذكر الله تعالى في
هذه الاية حكمته وقدرته ونعمه ليحتج بها على الكفرة بالبعث والاحياء بعد الموت
اما حكمته فيما يرسل الرياح ويسوق السحاب الى المكان الذي يريد ان يمطر
فيه ما لم يعاينوا ذلك وشاهدوا وانما عرفوا ان يرسل المطر من السماء وكيف
يرسل الريح ويسوق السحاب وفي ذلك تذكير حكمته اياهم واما نعمه فهي ما يسوق
السحاب بالريح الى المكان الذي فيه حاجة الى المطر فيرسل على ذلك المكان المطر
وذلك من عظيم نعمه عليهم ليعلم ان ذلك كان برحمته لانهم كانوا مستوجبين ذلك
واما ما ذكرهم من قدرته هو ما ذكر من احياء الارض واخراج النبات والثمر
بعد موتها ليعلم انه قادر على احياء الموتى وبعثهم بعد موتهم كما قدر على احياء
الارض بالنبات فيها والثمار فاذا اخرج النبات منها والثمار من النخيل على ما اخرج
في العام الاول دل ذلك على وحدانيته وقدرته على احياء الموتى وبعثهم بعد ما
صاروا ترابا والله الموفق ثم في قوله بين يدي رحمته دلالة ان لا تفهم من اليدين
الخارجتان في قوله بل يداه مبسوطتان على ما تفهم من الخلق كما لم يفهم احد بذكر اليد
في المطر الخارجة في قوله بين يدي رحمته لانه لا خارجة له وكذلك في قوله لا
ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه لم يفهم من قوله لا ياتيه الباطل من بين يديه
الخارجة لانه لا خارجة في القران فعلى ذلك لا تفهم مما ذكر من اليدين المضافتين
الى الله تعالى ومن فهم ذلك فانما يفهم لسوء اعتقاده وغاية جهله اذا اقام الله تعالى الدلايل
العقلية والسمعية انه بريء عن مشابه الخلق ومعاسهم على ما قال ليس كمثله شيء
قوله تعالى والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذي خبث لا يخرج الا
نكدا ذكر المثل ولم يذكر المضروب له واهل التاويل قالوا ضرب المثل للمومن
والكافر ثم يحتمل ضرب المثل وجهين احدهما انه وصف الارض التي يخرج منها
النبات بالطيب ووصف الارض التي لا يخرج منها النبات بالخبث فعلى ذلك المومن
لما كان منه من الاعمال الطيبة من الطاعة لربه والايتمار بامره موصوف بانه
طيب وجعله من جوهر الطيب والكافر لما يكون منه من الاعمال الخبيثة من الكفر

والمعصية

والمعصية للرب موصوف بانه خبيث وجعله من جوهر الخبث كما ان الارض التي يخرج
منها النبات الذي ينتفع به موصوفة بطيب الاصل والجوهر والتي لا يخرج من النبات
او النبات الذي لا ينتفع به موصوفة بخبث الاصل والوجه الثاني ان الله تعالى جعل
هذا القران مباركا وشفاء للخلق على ما وصفه الله تعالى في غير موضع من الكتاب
ووصف الماء الذي ينزل من السماء بالبركة والرحمة فاذا نزل ذلك الماء المبارك
في الارض الطيبة الجوهر يخرج منها الانزال والنبات المنتفع به واذا نزل
في الارض السبخة الخبيثة الجوهر لم يخرج لخبث اصلها وعلى ذلك هذا القران
هو مبارك وشفاء ويسمعه المومن ويتبعه ويعمل به والكافر يسمعه ولا يتبعه
ولا يعمل به فصار مثل المومن الذي يدخل في الارض فيخرج منها النبات لطيب
جوهرها واصلها والكافر مثل الارض التي لا يخرج منها النبات لخبث اصلها
وجوهرها واصله انه ضرب المثل الذي هو مستحسن في العقل بالذي هو
مستحسن في الطبع لان معرفة ما حسن بالطبع يكون بالحس وما حسن
بالعقل فانما يعرف حسنه بالدلايل وهو غايب فضرب مثل ما يعرف حسنه
بالعقل وهو غايب بالذي يعرف حسنه بالحس والمشاهدة فلا بان حسنه
غايب ضرب مثله بالذي طريق معرفة حسنه الحس والمشاهدة وهو ما ذكر من
النبات الذي يخرج من الارض وذلك يدل على طيب اصلها وجوهرها والذي
لا يخرج شيئا وهو لخبث جوهرها واصلها فعلى ذلك المومن والكافر والله اعلم طاب
عمل المومن وحسن جميع ما يكون منه لطيب اصله وخبث عمل الكافر وقبح ما يكون
منه لخبث اصله كالارض التي ذكر والله اعلم ثم حسن عمل هذا وخبث عمل الاخر
وقبحه انما يظهر في الاخرة وذلك يقتضي وجود البعث لانهما جميعا استويا في هذه
الدنيا فدل على ان هنالك دارا اخرى فيها يظهر الطيب من الخبيث وقوله باذن ربه
يحتمل بعلمه وتكوينه وقوله الا نكدا قال الحسن اي خبيثا اي لا يخرج الخبيث
الا خبيثا وقال ابو بكر الاصم نكدا اي لا منفعة فيه وقيل الا نكدا اي عسرا
وقيل الا قليلا وهو واحد قوله تعالى كذلك نصرف الايات لقوم يشكرون
اي لقوم ينتفعون بالايات قوله تعالى لقد ارسلنا نوحا الى قومه اي لقد
ارسلنا نوحا الى قومه كما ارسلناك الى قومك ولست انت باول رسول
كقوله قل ما كنت بدعا من الرسل في الاية دلالة على ان الايمان يصح بالانبياء

والرسل وان لم يعرف انسابهم فانه ذكر الانبياء والرسل باساميهم ولم يذكر انسابهم
دل ان الايمان به صحيح من غير ان تعرف انسابهم وكذلك يصح الايمان بالانبياء
وان لم يعرف اسماءهم لان من الانبياء من لا يعرف اسماهم والله تعالى صحح الايمان
به ومنهم من لم نقصص عليك وقد وجب الايمان بالانبياء كلهم دل ان معرفة انسابهم
ليس بشرط وفي الآية دلالة اثبات رسالة محمد فانه اخبر عن رسالة نوح فدل
انه بالله عرف ذلك قوله تعالى اعبدوا الله قيل اعبدوا الله اي وحدوا الله
سمي التوحيد عبادة لان العبادة لا تصح الا بالتوحيد فيها لله خالصا سمي ذلك مجازا
ويجوز ان تكون المراد من العبادة ما هو عبادة حقيقة والله اعلم قوله تعالى
ما لكم من اله غيره اي ما لكم من الاله الحق الذي يثبت الوهيته وربوبيته بالدلايل
والحجج والبراهين من اله غيره قوله تعالى اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم
ان متم على هذا وقال بعضهم المراد حقيقة الخوف وهو خوف اشفاق وذلك
يحتمل ان تكون في الوقت الذي كان يطمع في ايمان قومه ثم ايأسه عن ايمان قومه
بقوله لن يومن من قومك الا من قد آمن وقوله يوم عظيم اي عظيم على الخلق
كقوله ليوم عظيم يوم يقوم الناس لرب العالمين وهو عظيم على الخلق كما وصف
قوله تعالى قال الملا من قومه اي اشراف قومه وسادتهم كقوله انا اطعنا
سادتنا وكبراءنا فاضلونا السبيلا وكانوا هم اضداد الانبياء والرسل لانهم كانوا
يدعون الناس الى ما يوحي اليهم الشيطان والرسل كانوا يدعون الى ما يوحي اليهم
الله ويثقل عليهم لذلك قالوا انا لنريك في ضلال مبين لانهم ظنوا ان ما اوحي اليهم
الشيطان هو الحق وان ما يدعوا اليه الرسل ضلال وباطل قوله تعالى
قال يا قوم ليس بي ضلالة ولكني رسول من رب العالمين اي لست بضال
لانه اذا نفى الضلالة عن نفسه فقد نفى ان يكون ضالا وهو حرف لين ورفق
وعلى ذلك امر الانبياء عليهم السلام ان يعاملوا قومهم لان ذلك انجع في القلوب
واقرب الى القبول ويحتمل قوله انا لنراك في ضلال مبين اي لفي خطاء
مبين ويخرج على وجهين احدهما انهم نسبوه الى الضلال والخطاء لما راوه خالف
الفراعنة والجبابرة الذين كانت همتهم القتل لمن خالفهم فنسبوه الى الخطاء
لما راوه يعرض نفسه للقتل ظاهرا والثاني نسبوه الى الخطاء لانه ترك دين
آبايه واجداده قوله تعالى ابلغكم رسالة ربي اي رسالته التي امرني بتبليغها

اليكم قبلتم او رددتم او عاديتم او وعدتم لاني ابلغها على اي حال استقبلتموني ويحتمل
ابلغكم رسالاته التي ارسلها الي وقوله وانصح لكم اي ادعوكم وآمركم الى ما فيه
صلاحكم وانهاكم عما فيه فسادكم والنصيحة هي الدعاء الى ما فيه الصلاح والنهي عما
فيه الفساد وتكون النصيحة لهم ولجميع المومنين روي عن رسول الله صلى الله
عليه انه قال الا ان الدين النصيحة قيل لمن قال لله ولرسوله وقال
ابو القاسم رحمه الله النصيحة هي النهاية في صدق العناية ثم اخبر عليه السلام
انه يبلغهم رسالات ربه ولم يبين في ماذا في كتاب انزل اليه او يوحي في غير
كتاب يوحي اليه وليس لنا الى معرفة ذلك حاجة سوى التصديق له فيما يبلغ
اليهم وقوله واعلم من الله ما لا تعلمون اخبر انه قد اتاه من الله العلم باشياء
لم ياتهم مثله بها وهو كقول ابراهيم لابيه يا ابت اني قد جاءني من العلم ما لم ياتك
ويحتمل قوله واعلم من الله اي العذاب ينزل بكم ما لا تعلمون انتم اذا دمتم
على ما انتم عليه وقوله او عجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم اي تعجبون بما جاءكم ذكر
من الله على يدي رجل منكم ما لا اقدر انا ولا انتم تقدرون على مثله وكانوا
يعجبون وينكرون ان يكون رسل الله من البشر كقوله خبرا عنهم ما هذا
الا بشر مثلكم يريد ان يتفضل عليكم ولو شاء الله لانزل ملايكة ونحو هذا
كانوا ينكرون رسالة البشر وما ينبغي لهم ان ينكروا ذلك لانهم كانوا قد راوا
تفضيلا لبعض البشر على البعض وفي وضع الرسالة في الرسل تفضيلهم وقد
راوا ذلك فيما بينهم ولله تعالى تفضيل بعض الخلق على البعض اذ له الخلق
والامر يتصرف في ملكه كيف يشاء ولكل ذي ملك وسلطان ان يصنع في ملكه
ما شاء او نقول او عجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم ولو كان جاء على من
هو من غير جوهركم كان في ذلك لبس واشتباه عليكم لما لا تعلمون احواله
لينذركم عذاب الله ولتتقوا معاصيه ولعلكم ترحمون ان اتقيتم ما نهاكم عنه
ويحتمل ان تكون في قومه من يجوز ان يرحم عليه قوله تعالى فكذبوه يعني
نوحا فيما دعاهم الى عبادة الله ووحدانيته ونهاهم عن عبادة غير الله او كذبوه
فيما اتاهم من آيات نبوته ورسالته قوله تعالى فانجيناه يعني نوحا
والذين معه في الفلك واغرقنا الذين كذبوا باياتنا اذا كان اهلاك القوم
اهلاك تعذيب وعقوبة نجى اولياءه ويبقيهم الى الآجال التي قدرها لهم ويكون

ذلك نجاة لهم من ذلك العذاب التي حل بالاعدآء وقوله بايتنا يحتمل باياتنا التي
جعلناها له لاثبات رسالته ونبوته ويحتمل كذبوا باياتنا التي اعطيناها اياه
لاثبات الالوهية والتوحيد قوله تعالي انهم كانوا قوما عمين اي عموا
عن الحق قوله تعالي والي عاد اخاهم هودا اي ارسلنا هودا الي عاد
وهو علي ما ذكر في نوح وهو قوله لقد ارسلنا نوحا الي قومه فعلي ذلك قوله ٦٩
والي عاد اخاهم هودا ثم يحتمل الاخوة وجوها اربعة اخوة النسب واخوة الجوهر
واخوة المودة والمحبة واخوة الدين ثم لم يكن بين هود وقومه اخوة الدين ولا
اخوة المحبة والمودة لكن يحتمل اخوة النسب لان البشر علي بعض من ادم كلهم اولاده
فاذا كان كذلك فهم فيما بينهم بعضهم اخوة لبعض كاولاد رجل واحد تكون بعضهم
اخوة لبعض نسبه ويحتمل اخوة الجوهر كما يقال هذا اخو هذا اذا كان من
جنسه وجوهره فاحتمل هذان الوجهان دون الوجهين الاخرين قوله تعالي
قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره اي اعبدوا الله الذي يستحق العبادة ما لكم
من اله غيره اي ليس لكم معبود سواه بل هو المعبود في الحقيقة افلا تتقون
عبادة غير الله او افلا تتقون الله في عبادتكم غيره وفي تكذيبكم هودا او افلا
تتقون عذاب الله ونقمته عليكم لمخالفتكم اياه قوله تعالي قال الملا الذين
كفروا من قومه قد ذكرنا قوله الملا من قومه اي اشراف قومه وسادته
انا لنريك في سفاهة وانا لنظنك من الكاذبين ذكرهها ظنهم في تكذيبهم الرسل وفي
موضع آخر قطعوا في التكذيب وهو قوله ان هو الا رجل افتري علي الله كذبا
وما نحن له بمومنين وقد اخبر الله تعالي بذلك كله وهذا في الظاهر اختلاف
وتناقض ولكن يخرج قوله وانا لنظنك من الكاذبين كانه في ابتدآء ما دعاهم
الي عبادة الله ووحدانيته كانوا يظنون فيه لما كان عندهم صدوقا امينا قبل
دعايه اياهم الي ما دعاهم فلما ان اقام عليهم آيات الرسالة والنبوة واظهر عندهم
عيب ما عبدوا غير الله وابطل ذلك وتحقق ذلك عندهم عند ذلك قالوا ان
هو الا رجل افتري علي الله كذبا وما نحن له بمومنين ليعلم انهم عن عناد كذبوا الرسل
قوله تعالي قال يا قوم ليس بي سفاهة ان الرسل عليهم السلام كانوا
امروا ان يعاملوا الخلق باحسن معاملة وهو علي ما امر رسوله حيث قال
له خذ العفو وامر بالمعروف الآيه وقوله تعالي ادفع بالتي هي احسن السيئة

وطي

٧٠

ونحوه فعلي ذلك الرسل الذين كانوا من قبل كانوا مامورين بذلك لذلك
قال لهم هود عليه السلام لما تلقوه بالتكذيب والتسفيه قال ليس بي ما تقولون
تنسبوني الي الله ولكني رسول من رب العالمين ابلغكم رسالات ربي شئتم ام
ابيتم ويحتمل ابلغكم رسالات ربي حرمتم او لم تحرموني قبلتم عني او لم تقبلوا ويحتمل ٧٠
ابلغكم رسالات ربي فكيف تنسبوني الي السفه والافترآء علي الله وقوله وانا
لكم ناصح امين اي ادعوكم الي وحدانية الله وعبادته والتمسك بالدين الذي
به نجاتكم وكل من دعا آخر الي ما به نجاته فهو له ناصح او يحتمل قوله وانا لكم
ناصح امين اي كنت لكم قبل هذا امينا ناصحا فيكم فكيف تكذبوني وتنسبوني
الي السفه ويحتمل امين علي الرسالة والوحي الذي وضع الله عندي والله اعلم
قوله تعالي واذكروا اذ جعلكم خلفآء يحتمل وجوها يحتمل انه جعلكم خلفاء
قوم اهلكهم بتكذيبهم الرسل ولم يهلككم فاحذروا اهلاككم بتكذيبكم الرسول المبعوث
اليكم كما اهلك اوليك بتكذيبهم الرسل ويحتمل ان يقال جعلكم من قوم صدقوا
رسولا من البشر وهو نوح فكيف كذبتموني في دعواي الرسالة ودعاي الي عبادة الله
ووحدانيته والي البشر هذا منكم تناقض ويحتمل ان اذكروا نوحا وهو كان
رسولا من البشر فكيف تنكرون ان تكون الرسول من البشر وكان الرسل
جميعا من البشر ويحتمل ان اذكروا نعمة الله التي انعمها عليكم من السعة في المال
والقوة في الانفس وحسن الخلق والقامة وكان لعاد ذلك كله كقوله الم
تر كيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد هذا
في السعة في المال واما في القوة في الانفس وطول القامة ما ذكر في قوله
فتري القوم فيها صرعي كانهم اعجاز نخل خاوية وقوله كانهم اعجاز نخل منقعر
فيه وصف لهم بالقوة وطول القامة وعلي ذلك فسر اهل التاويل قوله
وزادكم في الخلق بسطة يعني قوة وقدرة وقال بعضهم هي الطول والعظم
في الجسم ذكر الله تعالي في عاد اشيآء اربعة خصهم بها من بين غيرهم احدهما
العظم في النفس بقوله وزادكم في الخلق بسطة والثاني القوة بقوله وقالوا
من اشد منا قوة والثالث السعة في المال بقوله ارم ذات العماد والرابع فضل
العلم بقوله وكانوا مستبصرين قوله تعالي فاذكروا الآء الله قال بعضهم
الالاء في دفع البلايا والنعما في سوق النعم لكن هما واحد لانه ما من بلاء يدفع الا عن الجور

الا في ذلك سوق نعمة اخري اليه ولان الله تعالي ذكر في سورة الرحمن الآلاء في جميع
ما ذكر وانما سوق النعم بقوله الرحمن علم القرآن خلق الانسان علمه البيان الي آخر
ما ذكر دون دفع البلايا قوله تعالي لعلكم تفلحون اي تفلحون ان ذكرتم نعمه وشكرتم
له عليها ولم تصرفوا عبادتكم وشكركم الي غيره ويحتمل لكي يلزمكم الفلاح ويحتمل حتى تكونوا
من اهل الفلاح قوله تعالي قالوا اجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد
آباؤنا هذا يدل ان رسالته التي بلغها اليهم في دعايه اياهم الي عبادة الله وحده وترك
عبادة من دونه حيث قالوا اجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا من قبل
ولا شك انه انما جاءهم ليعبدوا الله وحده وليذروا ما كان يعبد آباؤهم ثم في فعلهم
تناقض لانهم كانوا ينكرون ان تكون من البشر رسول كقوله تعالي خبرا عنهم قالوا ما
هذا الا بشر مثلكم ياكل مما تاكلون منه ويشرب مما تشربون ثم تقلدون آباءهم
في عبادتهم الاصنام والاوثان وهم اذل الخلق واخسهم والثاني انهم كانوا يقلدون
آباءهم في عبادة غير الله وفي آبائهم من لعبد الله لا لعبد غيره وهم الذين نجوا مع
نوح فكيف لم تقلدوا من نجا منهم ولم يعبدوا غير الله دون ان قلدوا الذين عبدوا
غير الله فهذه مناقضة وسفه ايضا حيث اتبعوا من هلك منهم بتكذيبهم الرسل
وعبادتهم غير الله ولم يتبعوا من نجا منهم ذكر سفههم وتناقضهم في القول لكن علي
سبيل التعريض دون التصريح وكذا عامة ما ذكر في كتابه من سفههم بما ذكر
بالتعريض لما لم يومنوا برسالة البشر ورضوا بالالهية الاحجار والخشب وقوله
فاتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين كان يعدهم بالعذاب ان لم يصدقوه فيما
يدعوهم اليه ولم يتركوا تقليد ابائهم في عبادة غير الله قوله تعالي قال قد وقع
عليكم من ربكم رجس وغضب قال بعضهم الرجس العذاب اي قد وجب عليكم العذاب
بتكذيبكم هذا وتقليدكم اباكم في عبادتكم غير الله قوله تعالي وغضب اي العذاب
ايضا ويحتمل ان يكون الرجس ههنا الخذلان وحرمان التوفيق والمعونة اي قد
وقع عليكم ووجب الخذلان وحرمان التوفيق باختياركم ما اخترتم من الكفر
وقال بعضهم الرجس هو الاثم والخبث كقوله فاجتنبوا الرجس من الاوثان واجتنبوا
قول الزور وقوله رجس من عمل الشيطان وقوله عليه السلام اللهم اني اعوذ بك
من الرجس النجس الخبيث المخبث من الشيطان الرجيم قوله تعالي اتجادلونني
في اسماء سميتموها ويجادلتم ما قالوا اجئتنا لنعبد الله وحده الآية ويحتمل في اسماء

سميتموها اي باسماء سميتموها انتم وآباؤكم قوله تعالي ما نزل الله بها من
سلطان قيل من حجة اي لم ينزل بهم حجة في عبادة غير الله وتسميتهم الاصنام
الهة وشفعاء ونحو ذلك وقيل السلطان ههنا بمعنى العذر اي لم ينزل بها
عذرا في ذلك وقوله فانتظروا اي انتظروا انتم وعد الشيطان اني معكم من المنتظرين
وعد الرحمن وكذا قال الحسن فانتظروا انتم مواعيد الشيطان اني معكم من المنتظرين
مواعد الله قوله تعالي فانجيناه يعني هودا والذين معه برحمة منا اذ من حكم الله
تعالي انه اذا اهلك قوما اهلاك تعذيب استئصال اونجي انبياءه واولياءه الذين
فيما بينهم ونصرهم وقوله برحمة منا يحتمل برحمته التي هداهم بها ولولا رحمته ما اهتدوا
ولكنه رحمهم فهداهم وبرحمته اهتدوا ويحتمل انه انما انجاهم من العذاب برحمة
منه والا كانت لهم ذنوب وخطايا يستحقون بها العذاب لكنه انجاهم برحمة
منه وفضل والله اعلم وفيه ان من نجي انما نجي برحمته وفضله وان كان رسولا
لا باستيجاب النجاة بنفسه وعمله وهو علي ما روي حيث قال لا يدخل احد
الجنة الا برحمة الله قيل ولا انت يا رسول الله قال ولا انا الا ان يتغمدني الله
برحمته قوله تعالي وقطعنا دابر الذين كذبوا باياتنا قيل دابر الذين اي
اواخر الذين كذبوا باياتنا اي استاصلهم فلم يبق منهم احد وقيل دابر الذين
اي اصل الذين كذبوا باياتنا ولم يبين لنا اياته التي اعطاها هودا وليس لنا
الي معرفتها حاجة سوي ما اخبر ان ما حل بهم من العذاب انما حل بتكذيبهم
الرسل وذلك كان حكمه وسنته في الامم السالفة قوله تعالي والي ثمود
اخاهم صالحا قد ذكرنا انه صلة قوله لقد ارسلنا نوحا الي قومه كانه قال
وارسلنا الي ثمود اخاهم صالحا وقوله اخاهم قد ذكرنا فيما تقدم قوله تعالي
قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره قد ذكرنا ان الرسل باجمعهم انما بعثوا
ليدعوا الخلق الي وحدانية الله والعبادة له وان لا معبود سواه يستحق العبادة
من الخلق وقوله قد جاءتكم بينة من ربكم قيل فيه ذلك بوجهين قيل بينة من ربكم
ما ذكر من الناقة التي جعلها آية لرسالته وهو قوله هذه ناقة الله لكم آية
وقيل بينة من ربكم اي الايات التي ظهرت علي لسان صالح وجرت علي يديه
ما دلت علي رسالته ونبوته لكنهم كابروا تلك الايات بالتكذيب وعاندوا والله اعلم
قوله تعالي هذه ناقة الله يحتمل تخصيص اضافة تلك الناقة الي الله تعالي وجوها

وان كانت النوق كلها في الحقيقة له احدها انها خصت بتذكير عبادة الله اياهم
ووحدانيته تعظيما لها على ما خصت المساجد بالاضافة اليه بقوله وان المساجد
لله لما جعلت تلك البقاع لاقامة عبادة الله خصت بالاضافة اليه تعظيما بتلك
البقاع فعلى ذلك خصت الناقة بالاضافة اليه لما تذكرهم عبادة الله ووحدانيته
والثاني يجوز ان يكون تخصيص هذه الناقة بالاضافة اليه لما انه جعلها آية من
آياته خارجة عن غيرها من النوق مخالفة بنيتها بنية غيرها لما خلقه واما في
ابتداء احداثها وانشائها حيث خلقها بلا اصل حيوان التي تتولد منه على خلاف
سائر الحيوانات لذلك اضافها اليه والله اعلم ويحتمل الاضافة اليه وجها
آخر وهو انه لم يجعل منافع هذه الناقة لهم ولا جعل عليهم معونتها بل اخبر
ان ذروها تاكل في ارض الله جعل مونتها فيما يخرج من الارض ليست كسائر
النوق التي جعل مونتها عليهم ومنافعها لهم فمعنى التخصيص بالاضافة اليه لما هي
خالصة لله تعالى لم يجعل للعباد فيها حقا ولا ملكا ولا من منافعها ثم لا يجب ان يتكلف
المعنى الذي له جعل الناقة آية لانه جل وعلا لم يبين لنا ذلك المعنى فلو تكلفنا
ذكره فلعله يخرج على خلاف ما كان في الكتب الماضية فهذه القصص واخبار
الامم الماضية انما ذكرت في القرآن لتكون آية لرسالة محمد فلو ذكر على خلاف
ما كان في كتبهم لكان في ذلك مقال ثم في قوله فذروها تاكل في ارض الله
دلالة ان تلك الناقة كان غذوها مثل غذاء سائر النوق وان كانت خارجة
عن طباع سائر النوق من جهة الآية ليعلم انها وان كانت آية لرسالته
ودلالة لنبوته فتشابها لسائر النوق في تلك الجهة لا تخرجها عن حكم الآية
والدلالة فعلى ذلك الرسل وان كانوا اشاكلوا غيرهم من الناس في المطعم
والمشرب لا يمنع ذلك من ان يكونوا رسلا والله اعلم قوله تعالى ولا
تمسوها بسوء فياخذكم عذاب اليم يحتمل ان لا تتعرضوا لها قتلا ولا قطعا ولا
عقلا لما انها ليست لهم وذكر ههنا فياخذكم عذاب اليم وقال في موضع آخر
فياخذكم عذاب قريب فهذا يدل على انه انما اراد بالعذاب الاليم عذاب
الدنيا لا عذاب الآخرة لانه ياخذهم عذاب الآخرة بكفرهم فيكون هذا الوعيد
عذاب الدنيا والله اعلم قوله تعالى واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد
قد ذكرنا تاويله في قصة هود قوله تعالى وبوأكم في الارض قبل انكم

فيها تتخذون من سهولها قصورا وتنحتون الجبال بيوتا يذكرهم عز وجل ما انعم عليهم
من سعة المال وبسط الرزق لهم وما خصهم من اتخاذ البيوت من الجبال
دون غيرهم من الناس خص هولاء القوم بسعة الرزق وبسط الاموال
وقوم هود بالقوة والبطش وقوله وزادكم في الخلق بسطة وقال من اشد
منا قوة وقال واذا بطشتم بطشتم جبارين قوله تعالى فاذكروا آلاء الله
من السعة في الاموال وبسط الارزاق وما جعلكم خلفاء من بعد عاد وبما
اقدركم على اتخاذ البيوت من الجبال لم يقدر على مثله احد لان غيرهم انما
ينتفعون بالجبال على ما هي عليه واما هم فقد مكن لهم نحتها واتخاذها بيوتا
قوله تعالى ولا تعثوا في الارض مفسدين اي اذكروا ولا تشركوا في العبادة
غيره قوله تعالى قال الملا الذين استكبروا من قومه قد ذكرنا ان الملا
هم كبراؤهم استكبروا عليه لما راوه دون انفسهم في امر الدنيا ولم يتبعوه والله اعلم
قوله تعالى للذين استضعفوا لمن آمن منهم فيه دلالة ان من المستضعفين
من قومه من لم يكن آمن حيث خص لمن آمن منهم وفيه دلالة ان اول من اتبع
الرسل هم الضعفاء وكذلك كان الاتباع للرسل جميعا هم الضعفاء قوله تعالى
خبرا عنهم اتعلمون ان صالحا مرسل من ربه قالوا انا بما ارسل به مومنون والاشكال
ان قول هولاء الذين آمنوا بصالح وصدقوه في رسالته لم يخرج في الظاهر
جواب ما سيلوا لان الكبراء قالوا لهم اتعلمون ان صالحا مرسل من قومه وانما
سالوهم عن علمهم برسالته لم يسالوهم عن ايمانهم به وهم اجابوا عن السوال بالايمان
به بقوله انا بما ارسل به مومنون فدل انهم اجابوا من غير ما سيلوا فنقول
في الظاهر هكذا ولكن هذا جواب لما سيلوا من حيث المعنى والدلالة لانهم اخبروا
انهم آمنوا بما ارسل به والايمان بالرسالة له لا يكون الا بالعلم منهم برسالته فيكون
هذا اخبارا منهم عن العلم برسالته دلالة والثاني على الاضمار كانهم قالوا بلى علمنا
انه مرسل من ربه وانا بما ارسل به مومنون والثالث يحتمل الاستعارة
والمجاز فانه يجوز ان يكنى بالعلم عن الشي على التصديق والايمان بذلك فكانهم
انما سالوهم عن الايمان به والتصديق له لا بالعلم برسالته لان العلم بالشي قد
يقع بلا صنع والايمان لا يكون الا بصنع فكانهم قالوا لهم اتومنون بصالح وتصدقونه
لذلك قالوا انا بما ارسل به مومنون وفي الآية دلالة على ان من مكن له من العلم

بأسباب جعلت طريقًا للوصول الى العلم لم يعذر بالجهل في ذلك حيث قالوا اتعلمون
ان صالحًا مرسل من ربه اي لا تعلمون قوله تعالى قال الذين استكبروا انا
بالذي امنتم به كافرون فيه دلالة ان الايمان هو التصديق لانهم قالوا ذلك على مقابلة
قولهم انا بما ارسل به مومنون وهو لا ولم يعرفوا جميع الطاعات ايمانا انما عرفوه تصديقًا
على ما هو حقيقته اللغة قوله تعالى فعقروا الناقة اضاف ههنا العقر اليهم جميعًا
وفي موضع آخر اضاف الى الواحد بقوله فنادوا صاحبهم فتعاطى فعقر فيحتمل ان
تولى واحد منهم عقرها بمشورتهم جميعًا وتدبيرهم ومعونتهم وتراضيهم على ذلك
فاضيف ذلك اليهم لاجتماعهم على ذلك والى الواحد بمباشرة نفس الفعل منه وفيه
دلالة لمذهب اصحابنا ان قطاع الطريق اذا تولى بعضهم القتل واخذ الاموال
ولم يتول البعض انهم يشتركون جميعًا في حكم قطاع الطريق بعد ان يكون بعضهم عونا
لبعض وكذلك اذا اجتمع قوم على قتل واحد فتولى بعضهم القتل ولم يتول البعض
بعد ان كانوا اعوان اولئك فانهم يقتلون جميعًا وعلى ذلك يخرج قول عمر رضي الله
عنه حيث قال لو تمالأ عليه اهل صنعاء لقتلتهم واهل صنعاء اذا اجتمعوا لا سبيل
للكل ان يتولوا قتله فدل انه على العون والنصر لبعضهم بعضًا فيشتركون جميعًا
في القصاص على ما شارك اولئك جميعًا في العذاب من تولى عقرها ومن لم يتول
بعد ان كان ذلك العقر بمعونتهم وتراضيهم على ذلك والله اعلم قوله تعالى وعتوا
عن امر ربهم العتو هو النهاية في التمرد والخلاف لامره على العلم منهم بالخلاف لا على
الغفلة والجهل قوله تعالى وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا ان كنت من المرسلين
فاخذتهم الرجفة انما اخذهم العذاب بما استعجلوا منه العذاب وكذبوه فيما يوعدهم
العذاب ثم قال فاخذتهم الرجفة وقال في اية اخرى فاخذتهم الصيحة وقال في
موضع فاخذتهم الصاعقة والقصة قصة واحدة فجائز ان يكون المعنى في الكل واحدًا
وان اختلف الالفاظ وهو عبارة عن العذاب وجائز ان يكون صاح بهم فصعقوا
جميعًا فماتوا وهو واحد في المعنى وقيل الرجفة الزلزلة وقيل هي الصيحة والله اعلم
قوله تعالى فاصبحوا في دارهم جاثمين اي ميتين وقيل لازقين بالارض وماتوا
ويقال جثم الطائر بالارض اذا لزق بالارض يقال اجثمته اي الزقته بالارض والمجثمة
هي الطائر الذي يشد جناحاه ورجلاه ثم يوضع بالارض ثم يرمى بالنبل حتى يموت يقال
جثمت الطائر اي شددت رجليه وجناحيه ويقال جثم يجثم جثوما وجثما اذا فعل

ما ذكرنا والله اعلم قوله تعالى فتولى عنهم اي اعرض عنهم وخرج من بينهم حين علم
ان العذاب ينزل بهم قوله تعالى وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالة ربي ونصحت
لكم والنصيحة ما ذكرنا ان كل من دل اخر على ما به نجاته وسعى على دفع البلاء والهلاك
عنه فهو ناصح له فعلى ذلك صالح وغيره من الرسل قد دلوا قومهم على ما به نجاتهم
وسعوا على دفع الهلاك عنهم لكنهم لم يقبلوا النصيحة منهم قوله تعالى ولوطا
اذ قال لقومه اتاتون الفاحشة ذكر الله تعالى في غيره من الانبياء دعاهم قومهم
الى عبادة الله ووحدانيته على ما قال نوح يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره
وكذلك قال هود وصالح وشعيب وغيرهم من الانبياء ولم يذكر في لوط ذلك ههنا
ولا يحتمل ان لم يكن منه الدعاء الى ما كان من غيره من الانبياء من توحيد الله وعبادته
قبل النهي عن الفواحش والتغيير عليها وهو ما ذكر في آية اخرى كذبت قوم لوط
المرسلين اذ قال لهم اخوهم لوط الا تتقون اني لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون
وهذا منه دعاء لقومه الى عبادة الله وطاعته والاتقاء عن معاصيه فثبت انه
لا يخالف الانبياء في دعاء قومهم الى عبادة الله ووحدانيته اولا ثم النهي عن ارتكاب
الفواحش والتغيير عليها وقوله اتاتون الفاحشة ما سبقكم بها من احد من العالمين
يحتمل ان يكون منهم ما كان من سائر الاقوام من تقليد آبائهم في العبادة لغير الله كقولهم
اجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا وقوله انا وجدنا آباءنا
على امة وانا على آثارهم مقتدون وقوله انا وجدنا آباءنا كذلك يفعلون ونحو ذلك
فعلى ذلك كان من قوم لوط للوط لما دعاهم الى عبادة الله ووحدانيته واجابوه
بما اجاب الاقوام لانبيائهم من التقليد لآبائهم فقال ردا عليهم اتاتون الفاحشة
ما سبقكم بها من احد من العالمين اي انكم تعملون اعمالا لم يعملها اباؤكم ولا تقلدون
آباءكم في تركها من نحو ما ذكر من اتيان الفاحشة فقال ما سبقكم بها من احد
من العالمين على علم منهم ان ذلك فاحشة الا ترى انهم قالوا اخرجوا آل لوط من قريتكم
انهم اناس يتطهرون والفاحشة ما ذكرنا وهي كل قبيح في العقل والشرع وهذا
الفعل قبيح في العقل والشرع فيكون فاحشة بيان ذلك ان ما حرم الله تعالى من
المحرمات على الخلق وما احل من المحللات يكون محنة منه لهم على ذلك ثم جعل
فيما احل لهم من الاطعمة والاشربة والاستمتاع بالنساء والجواري دوامًا لهذا العالم
لانهم لو تركوا التناول من ذلك لهلكوا واذا هلكوا انقطع هذا العالم لما ينقطع نسلهم

ثم ركب فيهم الشهوات والحاجات التي تبعثهم على التناول مما احل لهم لبقاء هذا العالم
لا انه احل لهم للشهوة خاصة ولكن لما ذكرنا فاخبر ان ما يأتون من الفعل فاحشة
لما ليس اتيانهم اياه الا لنفس قضاء الشهوة اذ ليس في ذلك دوام العالم وبقاؤه وذلك
فاحش محرم في العقل لما لم يتعلق به عاقبة حامدة وقد ورد الشرع بالتحريم مؤكدا لما
في العقل والله اعلم قوله تعالى بل انتم قوم مسرفون الاسراف هو الاكثار
من الشيء والمجاوزة عن الحد كقوله والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان
بين ذلك قواما فالقتر هو التضييق والاسراف هو الاكثار حيث قال وكان بين
ذلك قواما فاذا كان الاسراف هو الاكثار من الشيء والمجاوزة من الحد وكان قوم
لوط اكثروا ذلك النوع من الفاحشة وجاوزوا الحد سماهم مسرفين لذلك والله اعلم
ويحتمل سماهم مسرفين لما ضيعوا ما انعم الله عليهم حيث اعطاهم الازواج فضلا
منه حيث قال ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها وقال
والله جعل لكم من انفسكم ازواجا الآية من الله تعالى عليهم بما اعطاهم من الازواج
ثم هم لم يشكروه على ما انعم عليهم بل ضيعوها واختاروا غير ما جعل لهم فذلك اسراف
منهم ويحتمل ان يكون الاسراف هو المجاوزة عن الحد الذي جعل لهم وقد جاوزوه
والله اعلم قوله تعالى وما كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوهم من قريتكم
انهم اناس يتطهرون والاشكال ان الله تعالى اخبر وقال وما كان جواب قومه
الا ان قالوا اخرجوهم من قريتكم وقد قال في موضع آخر فما كان جواب قومه الا
ان قالوا ائتنا بعذاب الله ونحو ذلك فهذا تناقض فنقول كان من قومه اجوبة
سوى هذا وقوله وما كان جواب قومه الا ان قالوا كذا ليس على انه لم يكن منهم
من اول الامر الى آخره الا هذا ولكن اراد لم يكن جواب قومه حين ما نهاهم
عن ارتكاب ما ارتكبوا من الفواحش وعيرهم عليها الا ما قالوا اخرجوا آل لوط من
قريتكم انهم اناس يتطهرون لما نهاهم وعيرهم على ذلك فيكون ذلك لاختلاف
المشاهد والمجالس ولم يكن في كل مجلس ومشهد الا ما اخبر ويحتمل وما كان جواب
قومه فيما بينهم بعضهم لبعض الا ما قالوا كذا في هذه الآية وقال في آية اخرى
فما كان جواب قومه الا ان قالوا ائتنا بعذاب الله ان كنت من الصادقين وهذا فيما
بينهم وبين لوط عليه السلام فلا يؤدي الى الاختلاف ثم قوله انهم اناس يتطهرون
يحتمل ما قال اهل التأويل يتطهرون من ادبار الرجال وقيل يتحرجون من ذلك

ويعيبون عليهم في ذلك والله اعلم قوله تعالى فانجيناه واهله الا امرأته
كانت من الغابرين قيل الغابر الغائب يقال غبرت اي غبت معناه كانت
من الغائبين عن لوط واهله وقت العذاب فان بعض قومه كانوا غائبين عن
قريات لوط فقلبت القريات على الحاضرين وامطرت الحجارة على الغائبين
وقيل من الغابرين اي الباقين في العذاب قوله تعالى وامطرنا
عليهم مطرا اختلف فيه قال بعضهم قلبت قريات لوط وجعل عاليها سافلها
على ما قال فجعلنا عاليها سافلها ثم امطر على من غاب منهم بالحجارة وقال بعضهم
قلبت القريات فامطرت على اهلها كالمطر ذكر على سبيل المجاز وقال بعضهم
قلبت القريات الارض وامطر عليها حجارة من سجيل لتستوي الارض كما كانت
او كلام نحو هذا والله اعلم ثم العذاب بالامم الماضية لم يأتهم في الدنيا بنفس الكفر
ولكن لما كان منهم من استحلال اشياء حرم الله عليهم ومن قتل الانبياء وايذائهم
والمكابرات التي كانت بينهم بعد علمهم انهم على باطل وعناد قوله تعالى فانظر
كيف كان عاقبة المجرمين يحتمل ان هذا الخطاب ليس لرسولنا عليه السلام
خاصة بل يكون لكل احد امر بالنظر فيما حل بالامم السالفة بتكذيبهم الرسل
وعنادهم ليكونوا على حذر من صنيعهم لئلا يحل بهم ما حل باولئك والله اعلم ويحتمل
ان يكون الخطاب للرسول خاصة فان كان الخطاب له فكأنه امره ان ينظر في
عاقبة المجرمين ليرحمهم فلا يدعوا عليهم بالعذاب والهلاك والله اعلم

قوله تعالى والى مدين اخاهم شعيبا قد ذكرنا فيما تقدم ان معناه ارسلنا
شعيبا الى مدين رسولا وقوله اخاهم قد ذكرنا تأويله قوله تعالى قال
يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره قد ذكرنا ان الرسل انما جاءوا وبعثوا بالدعاء
الى توحيد الله والعبادة له وان لا معبود يستحق العبادة سواه قوله تعالى
قد جاءتكم بينة من ربكم قال بعضهم كانت نفس شعيب صلوات الله عليه بينة
وحجة لقومه لكنا لا نعلم ذلك لعدم قيام دليل يوجب العلم غير انا نعلم انه كانت
معه آيات وبراهين لكن الله تعالى لم يبين لنا ذلك اما نفس محمد صلى الله عليه وسلم
كانت حجة وبينة بالاعلام التي جعلت له في نفسه من ذلك الخاتم الذي بين كتفيه
والنور الذي كان في وجه من كان هو في صلبه وقت كونه فيه والضوء الذي روي
انه وقت ولادته والغمام الذي اظله وقت غيبته عن اهله وحفظ نفسه عن جميع

ما كان يتعاطاه قومه من عبادة الاصنام والفواحش فهو صلى الله عليه كان بريًا من
ذلك كله ومالم يوخذ عليه كذب قط وكان نشا بين اظهرهم وغير ذلك من الاعلام التي
كانت في نفسه ظاهرة لقومه فلو لم يكن له آيات غيرها لكانت واحدة منها كافية
لمن لم يكابر فكيف وقد كانت له آيات حسية وعقلية سوي ما ذكرنا ما يقهر المنصفين
علي قبولها ويحتمل قوله قد جاءتكم بينه من ربكم اي حجة والله اعلم قوله تعالي
فاوفوا الكيل والميزان بالقسط ثم يحتمل الامر بايفاء الكيل والميزان وجوهًا
احدها انهم كانوا امناء فامرهم بايفاء الكيل والميزان وجوهًا احدها انهم كانوا امناء
فامرهم بايفاء الكيل والوزن بالعدل ليلا يذهب عنهم تلك الامانة التي كانت لهم
في قومهم والثاني ليلا يظلموا الناس في منع حقوقهم واموالهم والثالث امرهم
بذلك ليلا يقعوا في الربا لان ما منعوا منهم من الكيل والوزن واخسروا ونقصوا
يكون ربا دل قوله بالقسط اي بالعدل ولو كان يجوز تلك الزيادة والنقصان
اذا طابت انفسهم بالزيادة والنقصان لكان لا معني لذكر القسط فيه لان من
زاد آخر علي حقه لم يمنع ذلك ولم يذم فدل النهي عن ذلك علي انهم لاجل الربوا
منعوا عن ذلك والله اعلم وذكر قوله ولا تبخسوا الناس اشياءهم انما
سماها اشياءهم لان بالشراء صارت ملكًا لهم وان كان في قبض الباعة لعدوي
ايديهم فمتي لم يوفوا الكيل والوزن عند التسليم فقد نقصوا حقهم ومنعوا بعض ملكهم
وهذا دليل علي ان البيع قبل القبض يوجب الملك للمشتري ثم ليس في قوله
فاوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس اشياءهم انهم كانوا لا يوفون لان الامر
بالشي لا يدل علي مباشرة ضده من المامور قبل الامر وكذا النهي عن الشي
لا يدل علي مباشرة المنهي عنه انما يدل علي التصور لا غير ولكن انما عرفنا
ذلك في سياق قوله ويا قوم اوفوا المكيال والميزان بالقسط حيث قال خبرًا
عنهم قالوا يا شعيب اصلواتك تامرك ان نترك ما يعبد آباونا او ان نفعل في
اموالنا ما نشاء الاية قوله تعالي ولا تفسدوا في الارض بعد اصلاحها اي
لا تفسدوا في الارض بعد ان جعلها لكم صالحة لمعاشكم ومنافعكم منها ويحتمل اي
بعد ما بعث الرسل باصلاحها من الدعاء الي توحيد الله والعبادة له والطاعة
ويحتمل بعد ما امر وبين ما به صلاحكم وصلاح دينكم وقيل لا تفسدوا في الارض
بعد ما خلقت طاهرة عن جميع انواع المعاصي وقيل بعد ما اعطيتم ما تقدرون

به علي اصلاحها ويحتمل ان يكون المراد من اصلاح الارض اهلها كقوله وكاين من
قرية عتت عن امر ربها اي امرها قوله تعالي ذلكم خير لكم قال بعض اهل
التاويل ذلكم اي وفاء الكيل والوزن خير لكم من النقصان الذي تمنعون ولا يمنوا
شيئًا وهو كقوله بقية الله خير لكم ويحتمل ذلكم خير لكم اي امنكم في الاخرة خير لكم
من نقصان الكيل والوزن في الدنيا والله اعلم قوله تعالي ولا تقعدوا بكل
صراط توعدون الاية يحتمل ما قال اهل التاويل ان كبراء اهل الشرك
وروساءهم كانوا يقعدون في الطرق انا سا يصدون الذين كانوا يا تون
شعيبًا ليومنوا به من الآفاق والنواحي ويكون معني قوله وتصدون عن سبيل الله
من آمن به علي هذا التاويل اي تصدون عن سبيل الله من اراد ان يومن به
ويحتمل قوله ولا تقعدوا ليس علي القعود نفسه ولكن علي المنع عن اقامة الشرايع
التي شرع الله تعالي لشعيب اي لا تمنعوهم عن ذلك وهو كقول ابليس اللعين لاقعدن
لهم صراطك المستقيم ليس هو علي القعود نفسه ولكن علي منعه اياهم عن الصراط
المستقيم وعلي ذلك قوله ولا تقعدوا بكل صراط توعدون كانوا يمنعون من
آمن به عن اقامة الشرايع والعبادات التي دعوا الي اقامتها ويوعدون علي
ذلك ويخوفونهم نهاهم عن ذلك وعلي هذا التاويل يكون معني قوله من آمن به
علي وجود حقيقة الايمان منهم قوله تعالي وتبغونها عوجًا اي تلتمسون بها
اهل الزيغ وقيل تبغون هلاك الاسلام وبطلانه وقيل وتبغون السبيل
التي هي غير سبيل الحق وكله واحد قوله تعالي واذكروا اذ كنتم قليلًا
فكثركم يحتمل وجهين احدهما يحتمل اذ كنتم قليلًا في الاموال والسعة في الدنيا فكثركم
اي فكثر لكم الاموال ووسع عليكم الدنيا قوله تعالي وانظروا كيف كان عاقبة
المفسدين امر بالنظر فيما حل بالامم الخالية بافسادهم في الارض وتكذيبهم الرسل
لان من نظر في ذلك وتفكر ما حل بهم منعه ذلك عن الافساد في الارض والتكذيب
للرسل اذا علم ان ما حل بهم انما حل لما ذكر وكانهم والله اعلم امروا بالنظر في الاسباب
التي صادبها من تقدمهم اهل فساد وبها نزل بهم الهلاك والعذاب لينزجروا
عن مثل صنيعهم والا كانوا عند انفسهم وزعمهم انهم اهل صلاح لا اهل فساد
قوله تعالي وان كان طايفة منكم آمنوا بالذي ارسلت به وطايفة لم يومنوا
الاية عن ابن عباس رضي الله عنهما كان قوم شعيب قليلًا حين ذكر هذا القول

وقوم آخرون معه فقال لهم ذلك شعيب وان كان طايفة منكم آمنوا بالذي ارسلت
به رسولاً وطايفة لم يومنوا فاصبروا يا معشر المؤمنين حتى يحكم الله بيننا اي يقضي
عليهم بالهلاك ولم يكن شعيب امر بالقتال وقال بعضهم قوله وان كان طايفة منكم
يعني المومنين آمنوا بالذي ارسلت به من العذاب وطايفة يعني الكفار لم يومنوا
بالعذاب فاصبروا يا معشر الكفار حتى يحكم الله بيننا في امر العذاب في الدنيا
وهو خير الحاكمين ويحتمل غير هذا وذلك انهم كانوا يعبدون الاصنام ويقولون
ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ويقولون في اشيا يفعلون ان الذي نحن عليه
هو الذي امرنا الله بذلك فقال لهم اصبروا حتى يحكم الله بيننا بماذا امر بالذي عليكم
او بالذي نحن عليه قوله تعالى قال الملا الذين استكبروا من قومه
قد ذكرنا ان الملا من قومه هم كبراؤهم وقوله استكبروا اي استكبروا عن الخضوع
والطاعة لمن هو دونهم عندهم لانهم كانوا يستضعفون شعيبا فيما بينهم ويزدرون به
كقوله لهم انا لنريك فينا ضعيفا ولولا رهطك لرجمناك وما انت علينا بعزيز
ثم لم يروا الامر بالخضوع لمن دونهم في الدنيا عدلاً وحكمة وهم انما اخذوا ذلك من
ابليس اللعين واياه قلدوا حيث قال انا خير منه حين امر بالسجود لادم عليه السلام
لم ير اللعين الامر بالخضوع لادم من الله تعالى عدلاً وحكمة فاستكبر عليه وكفر به كذلك
هولاء لم يروا الخضوع لمن دونهم عندهم عدلاً فاستكبروا عليه فكفروا قوله تعالى
لنخرجنك يا شعيب قال الحسن اي لنقتلنك والذين آمنوا معك من قريتنا وقال
غيره لنخرجنك الاخراج نفسه اي لنخرجك ومن معك من المومنين من قريتنا
ان لم تتبع ديننا لكن قد كان للانبياء كلا المعنيين جميعا التوعد بالقتل والاخراج
جميعا كما قالوا ولولا رهطك لرجمناك ولقول قوم لوط له لين لم تنته يا لوط لتكونن
من المخرجين وكقوم قوم نوح له لين لم تنته يا نوح لتكونن من المرجومين وما اخبر عن
قول الكفرة لرسولنا صلى الله عليه بقوله واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك
او يقتلوك او يخرجوك فدل ان عادة الكفار في حق الانبياء صلوات الله عليهم
التوعد بهما جميعا فعلى ذلك يحتمل ان يكون التوعد في حق شعيب كذلك والله اعلم
وعلى ذلك اخبر الله تعالى انهم كانوا يقولون للرسل عليهم السلام جميعا ذلك بقوله
وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من ارضنا او لتعودن في ملتنا دل ان
عادة الكفار انهم كانوا يخوفون الرسل والانبياء بالاخراج مرة وبالقتل ثانيا

وقوله او لتعودن في ملتنا وانما قالوا له ذلك لما كان عندهم انه كان على دينهم
الذي هم عليه لما لم يروا منه عبادته لله فيما يعبده سرًا فقالوا لتعودن في ملتنا
على ما كان عندهم انه على ذلك وهو كما قالوا لصالح قد كنت فينا مرجوًا قبل هذا
كان عندهم انه على دينهم فعلى ذلك يحتمل قول هولاء لتعودن من العود الى
ما كان عندهم انه على ذلك والله اعلم ويحتمل ان المراد منه هو ابتداء الدخول
في الملة والاختيار لها دون العود على زعمهم وان ذكر بلفظة العود وهو كقوله
يخرجهم من الظلمات الى النور على منع الدخول فيها لا ان كانوا فيها ثم اخرجهم
وكقوله الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها اي رفعها ابتداء من غير ان كانت
موضوعة على فرعها فكذلك هذا قوله تعالى قال او لو كنا كارهين اي
نعود في ملتكم وكنا كارهين لذلك اي تابى عقولنا وتكره طباعنا العود الى ملتكم
قوله تعالى قد افترينا على الله كذبا ان عدنا في ملتكم بعد اذ نجينا الله منها
الاشكال ان كيف قال شعيب ذلك وكيف اخبر انهم افتروا على الله كذبا
لو عادوا الى ملتهم بعد ما نجيهم الله تعالى عنها اضاف الى نفسه الاعادة وذلك
بعد الابتداء يكون يحتمل وجوها ثلاثة احدها ان ذلك منه اخبار عن قومه
لا عن نفسه اي قد افتروا على الله كذبا ان عادوا في ملتكم بعد اذ نجيهم الله منها
وما يجوز لهم ان يعودوا فيها فاما جوابه عن نفسه ما ذكر في سورة هود ويا قوم
اعملوا على مكانتكم اني عامل فسوف تعلمون اخاف قومه كما اخاف غيره من الرسل
قومهم حين اوعدهم بالقتل والعقوبة نحو ما قال صلى الله عليه لقومه ثم كيدوني فلا
تنظرون وكقول هود اني بري مما تشركون من دونه فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون
ونحو ذلك من الجوابات التي كانت من الانبياء لاقوامهم والله اعلم والثاني يحتمل
ان يكون على الابتداء من غير ان كان فيها اي كيف ادخل في ملتكم بعد اذ نجانا الله
منها اي عصمنا الله تعالى منها ابتداء على ما ذكرنا من الامثلة ويحتمل انه انما
اجابهم بلفظة العود والنجاة منها بناء على ما عندهم انه على ذلك والله اعلم ٥
قوله تعالى وما يكون لنا ان نعود فيها الا ان يشاء الله ربنا اي وما يجوز
لنا ان نعود فيها ثم قول شعيب قد افترينا على الله كذبا ان عدنا في ملتكم بعد
اذ نجينا الله منها تعريض تسفيه منه اياهم انكم قد افتريتم على الله كذبا ولكن قال
قد افترينا على الله كذبا ان عدنا في ملتكم على شرط العود وذلك لين وتلطف

بهم ورفق كقوله وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين هذا تعريض معناه نحن
على هدى وانتم على ضلال قوله تعالى الا ان يشاء الله ربنا وسع ربنا كل شيء
علما والاية حجة لنا على المعتزلة في ان الله تعالى شاء وجود الكفر من الكافر قبيحا
حيث اعتقد شعيب ذلك واستثنى حالة المشية معناه ما ينبغي لنا ان نعود الى ملتكم
في حال من الاحوال الا ان يشاء الله ذلك منا فدل ان الكفر يدخل تحت
مشية الله فتكون حجة على المعتزلة واختلف اهل التاويل قال الحسن من حكم الله
عز وجل ان من قبل دينه واطاع رسوله باختياره ان تكون وليا له ويسمى مومنا
ومن رد دينه وعصى رسوله ان تكون عدوا له ويتخذه كذلك ويسمى كافرا فيكون
قوله الا ان يشاء الله الا ان يحكم الله اي ما ينبغي لنا ان نعود في ملتكم ونشرك بالله
باختيارنا او مستيقنا دون مشية الله الا ان يحكم الله ان يتخذنا عدوا ونكون من
اعدائه ويعلم ذلك منا ولا تبديل لعلمه فيعطي لنا قدره ذلك حتى نكفر باختيارنا
الا ترى انه قال على اثره وسع ربنا كل شيء علما اي لا نعلم الى ما ذا يصير عاقبة
امرنا في علم الله وما ذا حكمه علينا الولاية او العداوة وقال ابو بكر الكيساني
قوله الا ان يشاء الله ربنا الاستثناء ينصرف الى صدر الكلام فكان المراد من الملة
في صدر الكلام ليس هو الدين الذي هم عليه من الكفر لكن المراد بعض ما يقربون
في دينهم من الافعال وما يزعمون من الشرايع التي تحتمل ان يرد الشرع
بها وتحتمل التبدل من حال الى حال فالمراد من الملة هي الشريعة ههنا
فكان تقدير الاية وما ينبغي لنا ان نعود فيما دعانا الى بعض شرايعهم التي تحتمل
ان تصير شريعة الله اذا جاء الامر بذلك من الله اذا نهانا الله عن ذلك الا
ان يشاء الله ان يصير شريعة لنا ويبدل النهي بالامر وننسخه وبه نقول وقال
جعفر ابن حرب قوله الا ان يشاء الله الا ان يامرنا الله بذلك وانما قال ذلك
على الاياس لهم وقطع الرجاء اي لو امرنا الله تعالى بالعود الى ملتكم لعدنا اي لا
يامر الله بذلك ولا يشاءه البته كما يقال فلان يفعل كذا ان شاب الغراب
او ان صعدت السماء ربما يعلم انه لا يكون على مجرى الغاية او على الامتناع والاحالة
كقوله ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط فعلى ذلك هذا وما قالوه
بعيد اما قول الحسن ان من حكم الله تعالى ان من رد دينه وعصى رسوله يكون
من الكافرين ومن قبل دينه واطاع رسوله يكون من المومنين فليس فيه

سوى

سوى انه يقول انه يعلم من كفر به ومن آمن به فلا معنى للاستثناء ولان الاستثناء
ينصرف الى صدر الكلام وهو العود الى ملتهم لان سوالهم كان عن ذلك اي
وما ينبغي لنا ان نعود الى ملتهم الا ان يشاء الله لو صار المراد الا ان يحكم الله او
الا ان يعلم الله لكان قبيحا لان العود الى الكفر حرام لا ينبغي ذلك ولا يجوز شرعا
وان علم الله تعالى وجود ذلك او حكم بوجوده وبه يبطل قول الكيساني لانه
ذكر الملة التي هم كانوا عليها وكانوا يسالون منه العود اليها دون العود الى بعض
شرايعهم التي تحتمل التبدل من الحظر الى الاباحة فينبغي ان يرجع الاستثناء
اليها حتى يكون جوابا لسوالهم لا الى غير ما سالوا فيكون حيدا عن الجواب
والله اعلم واما قول جعفر من الاياس وقطع الطمع عن ذلك فبعيد ايضا لان
الاياس انما يكون فيما يعلم انه لا يكون البته من نحو ما ذكر ولا يدخلون الجنة حتى
يلج الجمل في سم الخياط ونحوه فاما في مثل هذا فانه لا يفهم منه الاياس وكانوا
يقولون ان الله تعالى امرهم بالشرك والفواحش فاذا كان الكفر عندهم مامورا
لا يستحيل الامر والاباحة فانى يقع لهم الاياس بذلك دل ان ما قالوه فاسد
واما عندنا فتجري الاية على حقيقتها في العمل بحقيقة المشية وذلك ان من علم الله
منه انه يختار فعل الكفر ويوثر ذلك على فعل الايمان والطاعة شاء ذلك على
ما علم انه يختار ومن علم منه انه لا يختار ذلك لم يشأ له ذلك بل شاء له ضده اذ
لا يجوز ان يعلم من المرء غير الذي يكون منه وان يفعل المرء غير الذي علم منه
كيلا ينقلب علمه جهلا ومتعال عن الوصف بالجهل فكذا لا يجوز ان يشاء منه غير الذي
علم انه يكون منه فيودي الى ان يصير مغلوبا فيما شاء فيكون عجزا تعالى الله عن ذلك
واصله ان شعيبا خاف ان يسبق منه زلة او تقصير يقع منه الاختيار بذلك
فشاء الله بذلك الزيغ والضلال وكذلك جميع الانبياء عليهم السلام خافوا كقول
ابراهيم ولا اخاف ما تشركون به الا ان يشاء ربي الاية وقول يوسف حيث
قال الا ان يشاء الله نرفع درجات من نشاء كان خوف الانبياء عليهم السلام اشد
من خوف غيرهم وقد ذكرنا وجه ذلك في موضعه وقوله وسع ربنا كل شيء علما
معناه والله اعلم اي لا نعلم الى ما ذا يصير عاقبة امرنا في علم الله وانما يعلمه ربنا لسعة
علمه وبلوغه كل شيء وقوله تعالى على الله توكلنا فتل على الله اعتمدنا فيما تخوفونا
من الاخراج واليه نلجا في سلطانه وملكه وبه نثق في وعده بما وعدنا من النصر

وَ الظفر علي الاعداء و قوله ربنا افتح بيننا و بين قومنا بالحق وَ انت خير الفاتحين قيل
افتح اي احكم بيننا و بين قومنا بالحق و روي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال ما
كنت اعلم ما معني الفتح في الآية حتي تزوجت امرارة من بني كذا فوقعت بيننا
مخاصمة فقالت لي تعال حتي افاتحك الي فلان فعند ذلك عرفت ان المفاتحة هي
المحاكمة و قوله بالحق قيل هو العذاب الذي كان اوعدهم به انزاله عليهم
بتكذيبهم شعيبا و بايذايهم اياه ثم للمعتزلة ادني تعلق بقوله ربنا افتح بيننا و بين
قومنا بالحق الآية في دفع سوال الزمناهم في مسلة الاصلح و اللطف ان الانبياء
عليهم السلام و الاخيار يقولون علي سبيل الدعاء و السوآل من الله تعالي اللهم
اعصمنا واصلح ديننا ولو كان اعطاهم ذلك كله ولم يبق في مقدوره ما هو صلاح
لهم لم يكن للسوآل معني و يكون ذلك سوال الامتناع عن الجور كانهم قالوا اللهم
لا تجر علينا فيقولون علينا علي سبيل الاحتجاج ان الله تعالي قال خبرا عنه
ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق علي سبيل الدعاء والسوآل من الله تعالي وان
كان لا يحكم الا بالحق ولا يودي الي ما قلتم انه خرج السوآل علي ترك الجور
والامتناع عنه اي لا تجر علينا وكذلك قال في آية اخري رب احكم بالحق ونحوه
لكن عندنا تخرج قوله احكم بالحق وافتح بيننا وبين قومنا بالحق علي وجوه احدها
تقول ربنا افتح بيننا بحكمك وهو الحق والثاني تقول رب احكم بالحق في حادث
الوقت كما حكمت في الوقت الماضي وهو كقوله اهدنا الصراط المستقيم وهو
النبوة والهداية والثالث يحتمل علي استعجال العذاب والله اعلم وقوله تعالي
وقال الملا الذين كفروا من قومه قد ذكرنا معني الملا وهم الاشراف والقادة
اخبر ان الروسآء قالوا للاتباع والسفلة لين اتبعتم شعيبا انكم اذا لخاسرون
قال ابو بكر لجاهلون ثم يحتمل قوله انكم اذا لخاسرون وجوها احدها ان
شعيبا كان يحذر قومه عن التطفيف في الكيل والوزن ويامرهم بايفاء حقوق
الناس بقوله اوفوا الكيل ولا تكن من المخسرين بقوله ويا قوم اوفوا المكيال
والميزان بالقسط ولا تبخس الناس اشياءهم فيقول الكبراء والروسآء للسفلة
لين اتبعتم شعيبا في دينه وما يامركم به من ايفاء الحق للناس فانكم اذا لخاسرين
للارباح والثاني انه كان يحذرهم ويمنعهم عن عبادة الاصنام والاوثان ويدعوهم
الي عبادة الله ويرغبهم في ذلك وهم كانوا يعبدون تلك الاصنام ليقرب عبادتهم

اياها

اياها الي الله زلفي و يكون لهم شفعاء في الآخرة فقالوا لين اتبعتم شعيبا فيما يدعوكم
اليه و ينهاكم عنه لكنتم من الخاسرين لا شفعاء لكم في الآخرة والثالث انهم كانوا
يوعدون شعيبا بالاخراج كقولهم لنخرجنك يا شعيب فقالوا لين اتبعتم شعيبا
وهو خرج لا محاله فيخرجون انتم فصرتم من الخاسرين وَ الله اعلم قوله تعالي
فاخذتهم الرجفة قيل الصيحة و قيل الزلزلة لما قيل انه اصابهم حر شديد
فرفعت سحابة فخرجوا يطلبون الروح تحتها فلما كانوا تحتها سال عليهم العذاب
ولحقت بهم الارض فهلكوا وهو ما ذكر في اية اخري فاخذهم عذاب يوم الظلة
وَ الله اعلم قوله تعالي فاصبحوا في دارهم جاثمين قد ذكرنا فيما تقدم والله اعلم
قوله تعالي الذين كذبوا شعيبا كان لم يغنوا فيها الذين كذبوا شعيبا كانوا هم
الخاسرين هو وَ الله اعلم مقابل قولهم لين اتبعتم شعيبا انكم اذا لخاسرون وجواب
لهم الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين لا الذين اتبعوه والله اعلم وقوله كان
لم يغنوا فيها اي كان لم يعيشوا فيها ولم ينعموا قط وقيل كان لم يقيموا فيها قال
القتبي يقال غنينا بمكان كذا وكذا اي اقمنا ويقال للمنازل مغان واحدها مغنا
ويقال كان لم يغنوا فيها اي كان لم يكونوا فيها قط وهو والله اعلم لما كانوا يستقلون
نعم ويستحقرونها حتي قالوا لبثنا يوما او بعض يوم وقوله كان لم يلبثوا الا ساعة
من النهار ونحوه وكل ذلك اخبار عن قطع اثارهم انه لم يبق منهم احد يحزن
عليهم او يبكي عليهم قوله تعالي فتولي عنهم اي حين راهم هلكي فقال شعيب
فكيف اسي علي قوم كافرين اي كيف احزن علي قوم قد كذبوني واختاروا عداوتي
وصاروا لي اعداء كيف احزن عليهم بالهلاك وهم اعداي وجايز ان يكون
شعيب حيث قال فكيف اسي علي قوم كافرين حيث علم انهم يهلكون وينزل بهم
العذاب اي لا احزن عليهم وعلمهم ما ذكرت وقال بعضهم هو علي التقديم والتاخير
قال ذلك في الوقت الذي قال ولا تقعدوا بكل صراط توعدون الآية تقول
كيف احزن علي قوم وعلمهم ما ذكر وقوله لقد ابلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم
قد ذكرنا هذا قوله تعالي وما ارسلنا في قرية من نبي الا اخذنا اهلها
بالباساء وَ الضراء لعلهم يضرعون في الآية اضمار وَ الله اعلم من وجهين احدها
قوله وما ارسلنا في قرية من نبي فكذبوه الا اخذنا اهلها المكذبين له بالباساء
وما ذكر والا لا يحتمل ان يرسل اليهم رسولا ثم ياخذهم بما ذكر من غير ان كان

منهم ردًّا وتكذيب بهم والثاني وما ارسلنا في قرية اهلكناها من نبي الا اخذنا
اهلها قبل الهلاك بالباسآء والضرآء لعلهم يضرعون ثم لم ياخذ الله قومًا بالهلاك
قبل ان بعث اليهم الرسول وقبل ان يغيروا هم ما انعم عليهم بانفسهم كقوله وما
كان ربك مهلك القري حتي يبعث في امها رسولًا الآية وقوله وما كنا معذبين
حتي نبعث رسولًا وقال ان الله لا يغير ما بقوم حتي يغيروا ما بانفسهم وقال
وما كنا مهلكي القري الا واهلها ظالمون وغير ذلك من الايات اخبر انه لا
ياخذهم بالعذاب والهلاك الا بعد قطع العذر لهم من جميع الوجوه وان لا اهلاك
قبل ان بعث اليهم الرسول لما ركب فيهم من العقول السليمة ما يوصل الي فهم
كل ما جعل فيهم من آثار وحدانيته وآيات ربوبيته وما جعل لهم من السمع والنطق
ما به يوصل الي سمع كل ما غاب والنطق بما يريدون ما لم يجعل ذلك بغيرهم من البهايم
ولما انعم عليهم من احسن الصور التي لم يتمن احد تحويله منها الي غيرها من الصور
لكن لا يهلكهم الا بعد بعث الرسل اليهم لما ان الخلق علي مراتب منهم من يغنيهم بالعقل
لا يحتاج الي معونة السمع وهم الحكمآء والعلمآء الذين يدركون الاشيآء بالفكر
والاستدلال بالعقل الصريح ومنهم من لا يدرك الا بمعونة السمع وهم
كالصبيان انهم لا يدركون الا بالسمع وفضل التنبيه ومنهم من لا يدرك بالعقل
وذلك لغلبة الهوي عليه ولا بالسمع لقلة التامل في آيات الرسل ليعرفوا
صدق رسالتهم حتي يصيبهم الشدآيد والعبر في انفسهم وفيما انعم عليهم وهم كالبهآيم
الذين لا عقل لهم ولا سمع ولكن يعرفون الشدآيد وما يصيبهم من البلايا
فعلي ذلك يمتحنهم ويبتليهم بالشدآيد والبلايا او لا فان رجعوا عن ذلك وعرفوا انعمه
والا اهلكهم بعد ذلك فعند ذلك يتذكرون وينتهون وذلك قوله فاخذناهم بالباسآء
والضرآء لعلهم يضرعون ثم قوله لعلهم يتضرعون اي ليكون عليهم التضرع او لكي يلزمهم
التضرع والتذكر قوله تعالي ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة ذكر اهل التاويل
هو السعة والرخآء بعد الشدة والقحط وما حل بهم من البلايا حتي عفوا قيل
حتي وكثروا اي كشف عنهم ذلك حتي كثروا وقيل حتي عفوا كان اهلك بعضهم
وترك بعضًا حتي عفوا اي كثروا من ذلك البعض ولكن الوجه فيه ما ذكرنا
من الباسآء والضرآء والشدآيد والقحط ثم كشف ذلك عنهم وكثروا والله اعلم
قوله تعالي وقالوا قد مس اباءنا الضرآء والسرآء اي قالوا ان اباءنا قد كان

ينزل بهم ذلك ويصيبهم مرة شدة ومرة نعمة ولم يكن ذلك عقوبة لهم فعلي ذلك ما يصيبنا
من الشدآيد والبلايا ليس ذلك بعقوبة لنا ولكن دوران الدهر وتصرفه
علي الشدة والبلآء مرة وعلي السعة والخصب اخري ثم اخبر انه اخذهم بغتة
بعد قولهم قد مس آباءنا الضرآء والسرآء بقوله فاخذناهم بغتة وهم لا يشعرون ليعلموا
ان ذلك كان عقوبة لهم وقطعا لعذرهم ثم سمي ذلك اخذا بالبغتة لان الهلاك في حال
الشدة والبلآء لا يكون اخذا ببغتة لان من حل به بلآء وشدة يخاف فيه الهلاك فاذا
هلك في تلك الحال لم يكن اخذًا بالهلاك بغتة الا تري انه سمي الموت الذي يموت المرء
من غير مرض حل به موت فجاة والذي يموت بمرض يتقدم الموت لا وان الموت
في الوجهين جميعًا لا يعلم لحلوله لكنه اذا لم يتقدمه مرض فهو لا يخاف منه واذا كان به
مرض يخاف منه فلم يكن فجاة فعلي ذلك اذا اخذوا في حال الشدة لم يكن اخذا
بالبغتة لما يخافون فيه الهلاك واذا كانوا في سعة ورخآء لا يخافون فيوخذون
في تلك الحال فذلك اخذ بالبغتة وهو اشد من الاول والله اعلم قوله تعالي
ولو ان اهل القري آمنوا واتقوا قيل آمنوا واتقوا قبل ان يهلكوا بعد ما اصابهم
من الشدآيد والبلايا لفتحنا عليهم بركات من السمآء والارض اي لاعطوا كل خير
ينال من السمآء والارض والبركة كل خير ينال من غير مؤنة ولا تبعة ولكن كذبوا
الرسل فاخذناهم بما كانوا يكسبون ويحتمل قوله ولكن كذبوا النعم التي انعم الله
عليهم فاخذناهم بما كانوا يكسبون من التكذيب والكفران والله اعلم ثم ذكر ههنا
انه يفتح عليهم بركات السمآء والارض لو آمنوا واتقوا ثم ذكر في موضع آخر اذا لم يومنوا
ونسوا ما ذكروا به انه يفتح عليهم ابواب كل شي بقوله فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا
عليهم ابواب كل شي حتي اذا فرحوا بما اوتوا اخذناهم بغتة ولم يذكر البركة لان فيما
لم يذكر البركة وان فتح عليهم ابواب النعم ولكن تلك النعم تصير سببًا لهلاكهم في العاقبة
لما اقدموا علي الكفران ويلحقهم التبعة والعقوبة بذلك وفيما ذكر فيه من البركة
بعد الايمان لا يلحقهم في ذلك تبعة ولا غرم اذ البركة كل شي لا تبعة عليه ولا شدة
والله اعلم قوله تعالي افامن اهل القري ان ياتيهم باسنا بياتا وهم نايمون
خرج هذا في الظاهر مخرج الاستفهام ولكن في الحقيقة علي الايجاب كقوله افي قلوبهم
مرض ام ارتابوا ام يخافون ان يحيف الله عليهم ورسوله الآية في الظاهر وان
خرج مخرج الشك والارتياب فهو في الحقيقة علي الايجاب كانه قال في قلوبهم مرض

وَ ارتابوا وخافوا ان يخسف الله عليهم فعلي ذلك قوله افامن اهل القري اوامن
اهل القري علي الايجاب كانه قال قد امن اهل القري ان يأتيهم باسنا
بياتا وامن اهل القري ان يأتيهم باسنا ضحًا الآية ثم اختلف في قوله افامن
اهل القري اوامن اهل القري قال الحسن هذه الايات في الامم السالفة
اخبر عن امنهم بنزول باس الله وعذابه بهم لكن ذكر في هذه الامة ليكونوا
علي حظر عن مثل صنيعهم وقال آخرون هذه الآيات في قري هذه الامّة
لا في الامم السالفة يقول امن هولاء باسنا كما امن اوليك منه فانهم اذا صنعوا
مثل صنيعهم ينزل بهم في الآخرة من العذاب مثل ما نزل باوليك في الدنيا
قوله تعالي باسنا بياتا وهم نايمون وقوله باسنا ضحًا وهم يلعبون اخبار
ان العذاب انما نزل بهم في حال الامن وهو وقت النوم واللعب لانه هو وقت
الغفلة والسهو وآمنوا انما يكون الانسان انما يكون في حال النوم يذكر بهذا
وَ الله اعلم اهل مكة وغيرهم من الكفرة بتكذيبهم رسوله ليلا يكونوا آمنين عن
باس الله في وقت من الاوقات وَ الله اعلم قوله تعالي افامنوا مكر الله
فلا يامن مكر الله الا القوم الخاسرون المكر في الشاهد هو ان يراقب من عدوه
حال غفلة لينتقم منه وينتصر لكن في حق الله تعالي لا حاجة الي المراقبة القدرة
علي الانتقام منه في اي حال شاء لكن سمي ما ينزل بهم في حال الغفلة مكرًا بطريق
المجاز لوجود بعض ما في الحقيقة وهو اعتبار حال الغفلة وان عدم وصف
المراقبة وهذا طريق المجاز في اللغة هو المشابهة في بعض ما في الحقيقة ونظير
ما قلنا لفظ الامتحان والابتلاء يستعمل في حق الله تعالي وان كان الامتحان
والابتلاء يستعمل في حق الله تعالي فيما بين الخلق هو استظهار ما خفي عليهم
بعضهم من بعض فيمتحنون بذلك ويبتلون ليظهر لهم ما خفي عليهم فاطلق لفظة
الابتلاء والامتحان في الامر والنهي من الله تعالي وان كان ما خفي علي الخلق
من الخفيات ظاهرًا في حقه بطريق المجاز لما في الامتحان من الامر والنهي
ويحتمل ان ما وجد من الله يسمي مكرًا وان لم يكن مكرًا في الحقيقة لما انه جزاء
مكرهم فسمي جزاء المكر مكرًا بمجاز كما سمي جزاء السيئة سيئة وجزاء الاعتداء
اعتداء فعلي ذلك تسمية الجزاء الواجب بالمكر مكرًا فان لم يكن مكرًا علي الحقيقة
وَ الدليل علي انه لا يجوز ان يكون مكرًا علي الحقيقة فانه لا يجوز ان يسمي ماكرًا

وَ لو كان علي حقيقة المكر لجاز التسمية بذلك دل ان التسمية لما ذكرنا من الوجهين
بطريق المجاز اما بطريق المشابهة او بطريق السببية والله اعلم قوله تعالي
اولم يهد للذين يرثون الارض من بعد اهلها من جعل الآية في الامم السالفة
فتاويله ان يقول اولم يوعظوا اولم يهد واللصواب بهلاك امة بعد امة
وقوم بعد قوم ومن يقول الآية في هذه الامة فتاويله ان نقول اولم يبين
لهولاء الذين ورثوا الارض من بعد اهلها ان لو نشاء اصبناهم بذنوبهم
اي ورثوا الارض من بعد هلاك اهلها ان لو نشاء اصبناهم بعذاب ذنوبهم
كما اصاب اوليك العذاب بذنوبهم ونطبع علي قلوبهم فهم لا يسمعون ثم قوله
اولم يهد للذين يرثون الارض من بعد اهلها قرا علي اسقاط الالف والواو
ولم يهد للذين يرثون الارض وقرا علي اثبات الالف وَ الواو اولم يهد للذين
يرثون الارض فمن قرا بالاسقاط فقرآته يحتمل وجوهًا احدها علي التقدير
والاثبات اي قد هداهم وبين لهم ان من تقدمهم انما اهلكوا بما اصابوا من ذنوبهم
من التكذيب والعناد لكن لم يهتدوا لعنادهم والثاني اي لم يهد لهم لما لم يتفكروا
ولم ينظروا فيما اهلك الاولين وما حل بهم بتكذيبهم الرسل انهم اذا تركوا التفكر
والتامل والثالث يحتمل لم يهد لهم لما انهم لم ينتفعوا به وان هداهم فكانه لم
يهد لهم وهو كما نفي عنهم السمع والبصر والعقل مع الوجود حقيقة لما لم ينتفعوا
بها فهذا امثله واما القرآءة باثبات الالف والواو ومعناه اولم يبين لهم الرسول
قدرة الله تعالي في اهلاك الامم الماضية ليعلموا انه قادر علي اهلاك الذين
يرثون الارض من بعد اهلها ويحتمل اولم يهدهم ودانه الارض من بعد هلاك
اهلها انهم اهلكوا حتي يرتدعوا ويمتنعوا عن مثله وَ الله اعلم ثم قوله ان لو نشاء
اصبنا قوما بعد قوم بذنوبهم وان كان في المتاخرين فيكون تاويله ان لو
نشاء اصبنا هولاء بذنوبهم علي ما اصاب اوليك بذنوبهم وقوله ونطبع علي
قلوبهم يحتمل اي نختم علي قلوبهم اذ الطبع هو الختم ويحتمل الطبع ظلمة الكفر اي ستر
قلوبهم بظلمة الكفر وكل شي ستر شيا وتغشاه فهو طبع وقوله فهم لا يسمعون
يحتمل وجهين يحتمل اي لا ينتفعون بسماعهم ويحتمل لا يسمعون اي لا يجيبون
كقوله سمع الله لمن حمده اي اجاب لمن دعاه قوله تعالي تلك القري نقص
عليك من انبايها قوله نقص عليك اي قصصنا عليك بما هو حق من الانبياء

يخبر رسوله بما قص عليه ان اهل القرى التي كانت من قبل سالوا رسلهم الايات فجاوا
بها فلم يومنوا او لم يصدقوها فعلى ذلك هولاء انك لو اتيت بما سالوك من الايات
لم يومنوا بها ولم يصدقوها لخبر عن تعنتهم وعنادهم والثاني لخبر ان الايات
ليس يجب ان ياتوا بها من الجهة التي يريدون انما عليهم ان ياتوا بما هو حجة في نفسه
والله اعلم قوله تعالى ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات يحتمل وجوها يحتمل الانبياء
التي اتيات الرسل قومهم من نزول العذاب بالتكذيب والكفر بها ويحتمل البينات
الايات التي تدل على صدق رسالة الرسل بما تقولون ولخبرون بعد ما سالوهم .
الايات التي ردوها ردّ عناد ومكابرة بعد ما عرفوا قوله تعالى فما كانوا
ليومنوا بما كذبوا من قبل اي ما كانوا ليومنوا المار أو اباسنا بما كذبوا من قبل اي
لا ينفعهم ايمانهم عند رويتهم باس الله كقوله لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل
الاية ويحتمل اي ما كانوا ليومنوا بسو آلهم الايات اذا اتتهم الايات بما كذبوا من قبل
لان تركهم الايمان وتكذيبهم الرسل ليس لما لم يكن لهم الايات ولكن للتعنت فاخبر
انهم وان سالوا الايات فانهم لا يومنون والثالث ما كانوا ليومنوا بما
يخبرهم الرسول من اتيان العذاب بهم بما كذبوا من قبل من الانبياء والرسل
قوله تعالى وما وجدنا لاكثرهم من عهد يحتمل العهد المذكور وجوها
احدها عهد الخلقة لما في خلقة كل احد الشهادة بالوحدانية له والالوهية
فلم يوفوا بتلك العهود بل نقضوها والثاني العهد الذي اخذ الله عليهم على السن
الرسول كقوله وقال الله اني معكم لين اقمتم الصلاة وآتيتم الزكوة وآمنتم
برسلي الاية فلم يوفوا بذلك والثالث ما اعطوا من انفسهم من العهد كقول
فرعون لموسى يا ايها الساحر ادع لنا ربك بما عهد عندك اننا لمهتدون فلم يوفوا
بما اعطوا اياه من العهود والله اعلم قوله تعالى وان وجدنا اكثرهم لفاسقين
اي قد وجدنا اكثرهم فاسقين بنقض العهد والله اعلم قوله تعالى ثم بعثنا
من بعدهم موسى يحتمل قوله ثم بعثنا من بعد هلاك قرون كثيرة موسى رسولا
باياتنا الى فرعون وملايه ثم قوله باياتنا يحتمل حججنا والحجج يحتمل حجج وحدانية
الله والوهيته ويحتمل حجج رسالته ونبوته وقال الحسن باياتنا دينا وكذلك
تاويل الايات عنده في جميع القرآن وقوله الى فرعون وملايه ذكر ههنا ان
موسى عليه السلام كان مبعوثا الى فرعون وملايه وذكر في موضع آخر انه كان

مبعوثا

مبعوثا الى فرعون خاصة بقوله وفي موسى اذ ارسلناه الى فرعون بسلطان
مبين وهو كان مبعوثا الى فرعون وملايه والاتباع جميعا لا الى فرعون
وملايه خاصة لكن لخرج تخصيص ذكر هولاء القادة والله اعلم لما ان الذي
ينازع الانبياء والرسل هم الكبراء والرؤساء دون الاتباع والسفلة انما الاتباع
يصدرون عن اراء الكبراء ويتبعونهم في الامور وفيما يدعونهم اليه وعلى ذلك
سمى الكبراء والرؤساء اضداد الرسل والا كان موسى مبعوثا الى الكل الوضيع
منهم والرفيع ولا قوة الا بالله قوله تعالى فظلموا بها قال بعضهم اي ظلموا
الايات والحجج التي اتى بها موسى الى فرعون وقومه سمى ذلك ظلما لانهم سموا
تلك الايات سحرا بعد ما عرفوها منزلة من الله تعالى فوضعوها غير موضعها
والظلم وضع الشيء غير موضعه وقال قايلون اي ظلموا نعم التي انعمها عليهم حيث
عبدوا غيره فصرفوا شكر تلك النعم الى غير من انعمها عليهم وذلك ظلم شكروا
من لم ينعم عليهم وصرفوا الشكر الى غير من انعم عليهم والله اعلم ويحتمل ظلموا بها
اي ظلموا الاتباع بتلك الايات حيث منعوهم عن اتباع الرسول واستتبعوهم
ويحتمل ظلموا بها اي انفسهم حيث تركوا اتباع الايات والله اعلم قوله تعالى
فانظر كيف كان عاقبة المفسدين هذا الخطاب في الظاهر لرسول الله وكان
المراد بالخطاب غيره امر كلا بالنظر في عاقبة المفسدين لما حل بهم بفسادهم
لان من نظر في عاقبة ما حل بغيره بسبب معصية او فساد يمتنع عن مثله حتى
لا يلحقه مثل ما يلحق ذلك والله اعلم ويحتمل ان يكون الخطاب لرسول الله
لوجهين احدهما لما له بما حل بهم بعض التسلي لاذاهم اياه لان من توهم حلول
الهلاك على عدوه في العاقبة صبر على اذاه ويكون له بعض التسلي في ذلك
والله اعلم والثاني ليذكرهم وينبههم ما يحل بهم في العاقبة بسبب ما كانوا يباشرون
من الكفر والعناد ليمتنعوا عما ارتكبوا من المعاصي لان ذلك ازجر والله اعلم
قوله تعالى وقال موسى يا فرعون اني رسول من رب العالمين والاشكال
ان كيف قال اني رسول من رب العالمين وهذا خرج في الظاهر مخرج تزكية
نفسه والامتداح بها وقد نهينا عن ذلك بقوله فلا تزكوا انفسكم فانه اخبر
انه بالمحل الذي يوضع فيه الرسالة وجعله وانه اهل لها فنقول ليس فيه امتداح
نفسه ولا تزكيه لها لانه انما يذكر منة الله على نفسه حيث وضع فيه الرسالة وجعله

اهلاً لها فيكون شكراً للنعمة قال الله تعالى واما بنعمة ربك فحدث واما التزكية والامتداح
انما تقبح فيما هو فعله حقيقة لا فعل الله ويحتمل الجواز وان كان هذا تزكية وامتداحا
لنفسه لان الله امره بذلك لما يتضمن اقامة امر واجب عليه وهو تبليغ رسالته
الي خلقه التي تتضمن حكمة بالغة ومصلحة للخلق تامة ولا يتمكن لذلك الا بعد
اضافة الرسالة الي نفسه وتزكية النفس لعينها تقبح اما لغيرها فلا ويحتمل انه
اراد بذلك تعريف نفسه بالرسالة صيانة لنفسه عن الهلاك لان من عادة الملوك
انهم اذا بعث بعضهم الي بعض رسولاً فانهم لا يستقبلون الرسول بالمكروه والسوء
بل يعظمون الرسل ويكرمونهم وان كان بينهم معاداة فذكر انه رسول من
رب العالمين لئلا يستقبل بالمكروه والله اعلم قوله تعالى حقيق علي ان لا
اقول علي الله الا الحق قال اهل التاويل ان موسى لما قال لفرعون اني رسول
من رب العالمين فقال له كذبت لم يرسلك الينا ونحوه فعند ذلك قال حقيق
علي ان لا اقول علي الله الا الحق اي ما كان ينبغي لي ان اقول علي الله الا الحق وهذا
هو الظاهر فان مثل هذا الكلام لا يذكر الا بعد مقدمة فيكون هذا الكلام خرج
جواباً لما قال له فرعون على ما قال اهل التاويل وهو كما قال عيسى سبحانك ما
يكون لي ان اقول ما ليس لي بحق لما قال له تعالى ءانت قلت للناس اتخذوني
وامي الهين من دون الله وكان ذلك القول من عيسى بعد ما ادعى قومه عليه
انه قال لهم ذلك وكذلك قوله سبحانك انت ولينا من دونهم خرج ذلك
القول منهم جواب ما تقدم قبل ذلك فعلى ذلك قول موسى حقيق علي ان لا
اقول علي الله الا الحق خرج علي تقدم ما كان منهم ويحتمل ان يكون ذلك منه
علي غير تكذيب القول من فرعون ولكنه قال ذلك لما انه حق علي كل احد
اكرمه الله بالرسالة واختاره لها ان يقول علي الله الا الحق ويحتمل ان
يقول علي الله الا الحق ويحتمل ان يقول اني رسول من رب العالمين حقيق
علي بعد ما اكرمني بالرسالة ان لا اقول علي الله الا الحق ثم قرا قوله حقيق علي
ان لا اقول علي الله الا الحق بتخفيف علي وتشديده فمن قرا بالتخفيف فالحقيق
فعيل بمعنى مفعول اي محقوق علي ان لا اقول علي الله الا الحق ومن قرا بالتشديد
فتاويله حق علي ان لا اقول علي الله الا الحق والله اعلم قوله تعالى قد جئتكم
ببينة من ربكم يحتمل قوله ببينة من ربكم ما يبين وحدانية الله تعالى والوهيته

ويحتمل بينة الرسالة ما يبين اني رسول رب العالمين غير كاذب عليه ولا مفتر
قوله تعالى فارسل معي بني اسرائيل اي لا تستعبدهم فانهم ليسوا
لعبيدك لم يرد ارساله اياهم معه ولكن طلب منهم استنقاذهم من العبودة
وهو كقوله ان عبدت بني اسرائيل قوله تعالى قال ان كنت جئت باية
فات بها ان كنت من الصادقين دل قول فرعون ان كنت جئت باية ان موسى
اراد بقوله قد جئتكم ببينة من ربكم الاية ودل قوله ان كنت جئت باية فات
بها ان كنت من الصادقين انه لعنه الله قد كان عرف انه ليس باله وعرف عبودة
نفسه حيث طلب منه الاية علي صدق ما ادعى من الرسالة ولو كان عنده انه
اله لكان قال لموسى انا الاله فمتى ارسلك ولم يطلب منه الاية قوله تعالى
فالقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين قال ابو عوسجة الثعبان الحية وقال كل حية
ليسمى ثعبانا والثعابين جماعة وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال
الثعبان الحية الذكر وقوله مبين اي مبين انها حية وهو كما ذكر في قوله
فاذا هي حية تسعى مبين لا يشك احد انها ليست بحية ويحتمل اي مبين ان ذلك
التغيير والتحويل لا يكون الا من الله قوله تعالى ونزع يده فاذا هي بيضاء
للناظرين ذكر انه نزع يده ولم يذكر مماذا فهو ما ذكر في اية اخرى وادخل يدك
في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء قيل اي من غير افة ولا اذى وقال
اهل التاويل من غير برص ولكن عندنا من غير سوء اي من غير ان يستقبح
او يستقذر لان خروج النبي عن خلقته وجوهره مما يستقذر فاخبر انه لم
يكن كذلك فان قيل ما الحكمة في الامر بادخال يده الجيب علي ما هي عليه
واخراجها بيضاء وكيف لم يصيرها كذلك من غير ادخال وكذلك في صيرورة
العصى حية بعد ما طرحها علي الارض دون ان تصير حية وهي في يده قيل
والله اعلم اما في العصى ظاهر فانه اراهم فيها اية بعد ما اخرج العصى عن سلطان
موسى وتدبيره ليعلم انها صارت حية لا بتدبيره وتغييره ولكن بالله تعالى وكذلك اليد
ايضا صيرها بعد ما غيبها من بصره وتدبيره حتى لا يتوهم متوهم انه ينفخ فيها او يوقع
عليها شيئا باليد الاخرى والله اعلم والثاني هذا امتحان من الله اياه ليكون تحت
امره ونهيه في كل حال ليثاب بالامتثال ويظهر العبودة والطواعية في كل شيء والله اعلم
قوله تعالى قال الملا من قوم فرعون ان هذا لساحر عليم وقال في اية

اخري قال للملاء حوله ان هذا الساحر عليم اي قال فرعون للملاء يحتمل ان يكون
فرعون قال للملاء ان هذا كذا ثم قال الملاء لقومه ان هذا الساحر عليم اراد والله اعلم
تلبيس ما اتي به موسي من الآية علي قومه واراد بقوله يريد ان يخرجكم من ارضكم
اغرآء قومه عليه والسحر عندنا هو آية من آيات الرسالة في الجملة لانه لا يستفاد
الا بعلم من السماء وحرم منها وكذلك هذه الحرف والمكاسب التي تكتسب في الخلق
لانها لا تعلم الا بالوحي من السماء لكنه ليس باية علي الاشارة والتعيين اعني انه ليس
باية في حق كل شخص وجد لانه قد يوجد من الشخص بطريق التعلم من غيره الي
ان ينتهي الي الوحي كالحرف والمكاسب سوآء وهذا طريق معتاد والآية ما
خرجت علي نقض العادة وانما تكون انه يوصف خاص وهو ان يوجد في حق
من يعرف انه لم يحصله بالتعلم فيتعين في حقه الوحي وهو خلاف العادة فتكون
آية وفي حق موسي لو كان ما اتي به سحرا لكان آية لوجود طريقها لانه نشا
بين اظهرهم ولم يروه اختلف في ذلك الي احد للتعلم الا ان الله تعالي مع هذا
اخرج ما ظهر علي يده عن وسع السحرة وتدبيرهم اذ السحر له مبلغ معلوم
يعرفه كل من له حظ منه انه لا يتجاوزه علي مجري العادة مثل القار المحبة
والعداوة والصرع ونحو ذلك وان كان ذلك مقدور الله علي طريق التمحص
ليس في مقدور الساحر اذ اثره في غير محل قدرته لكن اجري الله تعالي العادة
علي ظهور ذلك علي يدي الساحر عند وجود اسبابه من الرقيه ونحوها مما
خرج عن حد المعتاد مثل احياء الموتي واثبات الحيوة في الخشب ونحو ذلك
يعرفه من له بصر في بابه انه خارج عن تدبيرهم وانه ليس مما اجري الله العادة
به فلا يكون سحرا فيتيقن انه آية من آيات الله تعالي يظهرها علي يدي من يدعي
الرسالة لتصديق دعواه بهذا الطريق عرف سحرة فرعون كون ذلك آية
ولم يكن ذلك من جنس السحر وان كان السحر في نفسه اية لئلا يطعن عليه
احد فيقول ان ما اتي به سحر لا اية والله اعلم ولا يقال ان السحر لما كان امرا
يظهر علي نقض العادة فربما ياتي به الساحر في موضع لا علم لهم بذلك فيدعي النبوة
عقيبه فنقول اذا كان ذلك امرا يظهر علي ايدي السحرة علي مجري العادة عند وجود
اسبابه باحداث الله تعالي والله تعالي انما اجري العادة بذلك اذا لم يدع الساحر
عقيبه النبوة والرسالة اما اذا ادعي لا يظهر ويصرفه عن ذلك ليقع الفرق

بين الكاذب والصادق وهو كما قلنا في القرآن انه معجز ثم اذا اراد احد ان
يدعي به النبوة في حق قوم لم يبلغهم ذلك يعجز عن اتيانه ليظهر كذبه فكذلك
هذا ولا يقال ان سحرة فرعون قد اتوا بجنس ما اتي به موسي من اراءة الحيوة
في الحبال والعصي مثل ذلك صورة لان ذلك تخييل وشعبذة وانه جنس
آخر وراء السحر لانه لا حقيقة له وانما ذلك اخذ للاعين فاما السحر فهو تقليب
الجواهر لكن لحد معلوم لا علي الاطلاق في كل شئ يعرف الشعبذة من السحر
والله اعلم ثم قوله يريد ان يخرجكم من ارضكم كان موسي لا يريد ان يخرجهم من
ارضهم لكن والله اعلم كان فرعون قال ذلك لقومه اغرآء لهم اي لو اتبعتم موسي
واجبتموه الي ما يدعوكم اليه لاخرجكم من ارضكم ولكن اضاف الي موسي لما كان هو
سبب اخراجهم والله اعلم ويحتمل ان يقول يريد ان يذهب بعيشكم الطيب وراحتكم
وتلذذكم بانواع التلذذ لانهم كانوا يستعبدون بني اسرائيل ويستخدمونهم
ويسترخون ويتنعمون فيقول للقبط يريد ان يذهب بذلك كله عنكم ويحتمل ان
يكون موسي لم يكن يريد ان يخرجهم من ارضهم ولكن يريد ان يخرجهم من دينهم الذي
كانوا عليه ولكنه كان يغري قومه عليه قوله تعالي قال فماذا تامرون
دل هذا القول من فرعون لقومه علي انه كان يعرف انه ليس باله ولا رب
لانه لو كان ما يقول انا ربكم الاعلي زعم الالهية لنفسه لكان لا يطلب من قومه
الامر والاشارة في ذلك دل ذلك انه كان يعرف عجزه وضعفه لكنه يكابر
ويلبس علي قومه ويموه بقوله ان هذا الساحر عليم ثم قوله يريد ان يخرجكم
من ارضكم هو حرف اغرآء وتحريش عليه وقوله فماذا تامرون هو حرف
تقريب حيث جعل الامر والاشارة اليهم وجعلهم من اهل مشورته قوله
تعالي قالوا ارجه واخاه هذا الحرف لا يقال ابتدآء الا ان يكون هنالك تقدم
شئ فكانه هم بقتله كقوله ذروني اقتل موسي وليدع ربه فقالوا له ارجه واخاه
اي اخره واحبسه واخاه هارون ولا تقتله ليتبين سحره عند الخلق جميعا
كانوا يمنعون فرعون عن قتله الا ترئ انه قال ذروني اقتل موسي لو لم يكن منهم
منع قتله لم يكن ليقول لهم ذروني اقتل موسي والله اعلم وقال القتبي ارجه واخاه
اي اخره ومنه قوله ترجي من تشآء ومنه سميت المرجئة وقال ابن عباس رضي الله
عنهما ارجه واخاه هارون يقول احبسهما ولا تقتلهما قوله تعالي وارسل في المدآين

حَاشِرِينَ اي ارسل الي المدآين الشرط حَاشِرِين اي يحشرون عليك السّحرة
ويجمعون ويَاتوكَ بكل سَاحِرٍ عليم اي ليجتمع كل انواع السحر ليتبين سحره والا
كان سَاحِرٌ واحد كافيًا ولكن ارادوا والله اعلم بقوله يَاتوك بكل سَاحِرٍ عليم
ان لجتمع جميع انواع السحر عنده ليتبين سحره والله اعلم قولـــــه تعالي وجَآء
السحرة فرعون قالوا اَنّ لنا لاجرًا ان كنا نحن الغَالبين قَالَ نعم وانكم لمن المقربين
اي في القدر وَالمنزلة عندي هذا يدل علي ان همة السَاحِر ليست الا الدُنيا
لانهم طلبوا من فرعون الاجر والقدر والمنزلة عنده ان كانوا هم الغالبين ولا
يجوز من همته هذه الدنيا وَمَا ذكر ان تكون له الرسَالة بحال وهمة الانبياء
كانت هي الدين وطلب الاخرة قولـــــه تعالي قالوا يَاموسي اما ان تلقي واما ان
نكون نحن الملقين هذا ليس علي القآء موسَي عصاه وتركه اوليك الالقاء وان
كان ظاهر الآية هذا لانه لوكان علي القآء احدهما لكان لايتبين السحر من الاية
لكن المراد هو الاوّلية في الالقاء كانهم قالوا يَاموسَي اما ان تلقي اولاً او نحن
الملقون اول مرة وهو كما ذكر في اية اخري اما ان تلقي واما ان نكون اوّل من
القي قولـــــه تعالي قالَ القوا وقالَ في موضع آخر القوا مَا انتم ملقون كانه امر الله
تعالي موسَي ان يَامره بذلك فقال القوا فلما القوا سحَروا اعين النَاس واسترهبوهم
هذا يدل علي ان السحر انما يَاخذ الابصَار علي غير حقيقته كانت له وهو كالسراب
الذي يري من بعد يحسبه الظمان مآءً فاذا جآءه لم يجده شيئًا فعلي ذلك السحر يَاخذ
الابصَار ظاهرًا فاذا هو في الحقيقة بَاطل لاشيء وهو كالخيال في القلوب لاحقيقة
له وهذا النوع من السحر كذلك من بَاب التخييل فان اثبات الحيوة في الخشب
خارج عن وسع السحرة وليس من جنس السحر لكن يحيّرون الناس بما يَاخذون
ابصارهم ظاهرًا وكان قصدهم بذلك استرهَاب النَاس وتخويفهم به الا تري انه
ذكر في آية اخري فاوجس في نفسه خيفة موسي وقال سحروا اعين النَاس
اي حيّروا وكقولهِ مسحرون اي مَاخوذ اعيننا فامَا السحر له تحقق بقدر مَا اخذ الله
تعالي العَادة بظهوره علي ايدي السحرة باسباب وآلات وضعت لذلك خلافًا للمعتزلة
ان ذلك كله خيال وتمويه لاحقيقته لشيء من ذلك وعندنا هو نوعان والله اعلم ثم
قولـــه فاوجس في نفسه خيفة موسَي يخرج علي وجهين احدهما اخذ سحرهم بصره
وعينه كما اخذ اعين الناس والثاني خاف ان يكون سحرهم يمنع اوليك السّحرة

عن رؤية حقيقة مَا جاء به من الآية قولـــــه تعالي وجَآؤا بسحرٍ عظيم اي بسحرٍ
اعظم مما احتمل وسعهم وقد ذكرنا ان مَا جَآء به الرسل لوكان سحرًا في الحقيقة لكان
ذلِك حجة لهم في اثباتِ الرّسَالةِ لان قومهم لم يروهم اختلفوا الي سَاحر قط فيعرفوا
ضرورة انه انما عرف ذلك بالله تعالي وهو كالانبآء التي انبارهَا رسُول الله
تكون آية ومعجزة علي رسَالته بهذا الطريق قولـــــه تعالي وأوحينا الي موسَي
ان الق عصَاك فيه ان موسي عليه السّلام كان لا يلقي عصاه الا بعد الامر بالالقاء
وكذلك قوله اضرب بعصَاك الحجر وقوله ان اضرب بعصَاك البحر ونحوه ليعلم
ان في ذلك امتحانًا لموسي والله تعالي ان يمتحن عبَاده بما شآء من انواع المحن
والا كان قادرًا ان يفلق البحر من غير الامر بالضرب بالعصي وكذلك تفجّر
الحجر وينشق علي غير ضرب بالعصي وكذلك يصير العصي حيّة في يده من غير
الامر بالالقاء ولكن امره بذلك كله امتحانًا منه اياه وابتلاء اذ هي دار محنة
وابتلاء ليثبته علي الامتثال والله اعلم قولـــــه تعالي فاذا هي تلقف مَا يافكون
قيل مَا يكذبون وقالَ الحسن تلقف مَا يافكون اي حبالهم وعصيهم وقيل مَا
يافكون اي مَا جاؤا به من الكذب قولـــــه تعالي فوقع الحق قيل اي ظهر
الحق وبطل مَا كانوا يعملون يحتمل هذا وجهين احدهما اي بطل مَا عملوا من السحر
والثاني بطل مَا كانوا يعملون اي ترك السحرة العمل بالسحر اذ ظهر الحق لهم والله اعلم
وذكر ان في زمن عيسى كان السّحر هو الظاهر وكان الناس وقت اذ يعملون
بالسحر فجآء موسَي من الآيات علي رسَالته بنوع مَا كانوا يعملون به ومن جنس ذلك
ليعرفوا الخروج ذلكَ عن وسعهم ونجاوزه عن الحدّ الذي هو مبلغ السّحر علي
ان ذلك ليس بسحرٍ ولكنه آية سَماوية وكذلك مَا جَآء به عيسى من الآيات
جَآء بنوع مَا كان يعمله قومه وهو الطب من احيآء الموتي وابرآء الاكمه وقد خرج
ذلك عن طوقهم فعرفوا انه عرف ذلك بالله تعالي والله اعلم قولـــــه تعالي فغلبوا
هنالك اي عند ذلك غلب السحرة لانهم قالوا لفرعون في الابتدآء إنّ لنا لاجرًا
ان كنا نحن الغالبين فذكر هٰهنا انهم غلبوا عند ظهور الحق لانهم صَاروا غالبين
قولـــــه تعالي وانقلبوا صَاغِرين قالَ بعض اهل التاويل رجع السّحرة
لما غلبوا صَاغرين مذلين لكن نحن نقول وَالله اعلم اي رجع فرعون وقومه
الي مَا نالهم مذلين لا السحرة لان السحرة قد آمنوا فلا يحتمل ان يوصفوا بالرجوع

صاغرين مذلين وقد رجعوا مع الايمان ثم قوله فغلبوا هنالك ليس غلبه القهر ولكن
غلبة الحجة اي غلبوا بالحجج والايات قوله تعالي والقي السحرة ساجدين اختلف
فيه قال بعضهم والقي السحرة ساجدين اي امروا بالسجود فسجدوا لانهم القوا
ساجدين جبرًا وقهرًا وقال آخرون ان هذا عبارة عن سرعة سجودهم
اي لسرعة ما سجدوا كانهم القوا ثم الآية حجة علي المعتزلة لانهم ينكرون ان يكون
لله في فعل العباد صنع وههنا قد اضيف الفعل الي غيرهم بقوله والقي السحرة
ساجدين وليس ذلك الا ان خلق الله تعالي فعل السجود منهم فدل ان لله
تعالي في فعل العباد صنعًا وقال جعفر بن حرب يجوز ان يضاف الفعل
الي غيره وان لم يكن في ذلك الفعل صنع نحو ما يقال في السفر ان هولا خلفوا اوليك
اذا تقدموا عليهم وهم لم يخلفوا اوليك في الحقيقة ولا صنع لهم بالتخليف ومع هذا
اضيف اليهم فعل التخليف فعلي ذلك هذا الا انا نقول لا بل لهم في ذلك صنع
وهو انهم اذا لم ينتظروهم فقد خلفوهم فاضيف اليهم لوجود الصنع منهم ولان الحقيقة
ما قلنا ونحن لا يمكن العمل بحقيقته الاضافة لانهم لا يملكون تخليف هولا لانه لا قدرة
لاحد علي غيره فيحمل علي الاضافة بطريق المجاز فاما الله تعالي قدرة ان يلقيهم
الي يخلق فعل السجود منهم لان قدرته كاملة واضيف ذلك الفعل اليه يجب العمل
بحقيقة الاضافة وذلك في تحقيق الفعل والله الموفق قوله تعالي قالوا آمنا
برب العالمين رب موسي وهارون قال بعض اهل التاويل انهم لما قالوا
آمنا برب العالمين قال لهم فرعون اياي تعنون فعند ذلك قالوا لا ولكن رب
موسي وهارون ولكن لا ندري هذا علي ان موسي اول ما جا الي فرعون
ودعاه الي دينه فقال له اني رسول رب العالمين فلا يحتمل ان يشكل عليه
قولهم آمنا برب العالمين ويحتمل ان يكون قولهم آمنا برب العالمين رب موسي
وهارون اي آمنا برب العالمين الذي ارسل موسي وهارون رسولًا
قوله تعالي قال فرعون آمنتم به قبل ان آذن لكم هذا يدل علي ان الايمان
هو التصديق لا غير لانه لما قالت السحرة آمنا برب العالمين قال لهم فرعون آمنتم
به وهم لم ياتوا سوي التصديق والله تعالي خص ذلك من غير اعقاب الانكار
به ان ذلك ليس بايمان دل ان الايمان هو التصديق الفرد لا غير والله اعلم
قوله تعالي ان هذا لمكر مكرتموه في المدينة لتخرجوا منها اهلها هذا من فرعون

نوع تمويه علي قومه كما قال في الابتدا ان هذا الساحر عليم هو حرف التمويه
والتلبيس علي قومه فعلي ذلك قوله ان هذا لمكر مكرتموه هو تمويه منه وتلبيس
علي قومه كما امن السحرة برب موسي ثم معني قوله ان هذا لمكر مكرتموه في
المدينه اي شي صنعتموه فيما بينكم وبين موسي وهو كما قال في آية اخري انه
لكبيركم الذي علمكم السحر وقوله لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف هذا
لجهله باشد العقوبة والنكال والالم يعدهم بقطع الايدي والارجل من خلاف
فان ذلك ايسر واقل في العقوبة من القطع من جانب واحد اذ القطع من
خلاف لا يمنع القيام ببعض المنافع ولا يعمل في اتلاف النفس ولذلك جعل
ذلك حدًا في بعض الجنايات ولم يجعل القطع من جانب عقوبة مشروعة
بحال ذلك انه اشد وانكل من الخلاف وانه لجهله ما قال فاني يصح منه
دعوي الالوهية ويحتمل انه اختار القطع من خلاف مع انه ايسر ليكون
مونة الصلب عليهم لا عليه لان المقطوع من خلاف قد يتمكن من الصعود علي
الخشبة ليصلب واما المقطوع من جانب واحد فلا يتمكن من ذلك والله اعلم
قوله تعالي قالوا انا الي ربنا منقلبون وفي موضع آخر قالوا لا ضير انا
الي ربنا منقلبون هذا والله اعلم خرج علي وجهين احدهما الاقرار منهم بالبعث
والايمان به والثاني هذا وعيد منهم لفرعون حيث اوعدهم بقطع الايدي
والارجل والصلب وغير ذلك من العقوبات قالوا انا وانت الي ربنا منقلبون
فتجزي وتعاقب جزا صنيعك بنا وقوله وما تنقم منا الا ان آمنا بايات
ربنا قيل فيه بوجهين قيل وما تنقم منا اي وما تعيب علينا وتطعن الا ما كان
منا من الايمان بايات ربنا لما جاتنا وهي ما جاتهم من الآيات وقيل وما تنقم
منا اي وما تعاقبنا الا بسبب الايمان بآيات ربنا وكان الحق عليك وعلينا
ان نومن بآيات الله وقوله ربنا افرغ علينا صبرًا قيل اي انزل علينا صبرًا
وقيل اتمم لنا صبرًا وقيل اصبب علينا صبرًا وكله واحد ثم يحتمل سوالهم
الصبر لما لعله اذا فعل بهم ما اوعدهم من العقوبات لم يقدروا علي الصبر علي ذلك
فيتركوا الايمان لذلك سالوا ربهم الصبر علي ذلك ليثبتوا علي الايمان به والله اعلم
ثم قوله ربنا افرغ علينا صبرًا دليل علي انهم علموا انه اذا دفع عليهم الصبر صبروا
ولو لم يعلموا لم يكن لسوالهم معني وهذا علي المعتزلة فان عندهم ان الله تعالي قد اعطاهم

غاية ما فيه صلاح لهم في الدين وانه افرغ لهم الصبر ودل سؤالهم ذلك علي انه
لم يعطهم وان عنده من بدا لو اعطيهم ذلك لكان خيرا لهم والله تعالي فقص ذلك علينا
ولم ينكر عليهم انكم لماذا تسألون في افراغ الصبر عليكم وقد اعطيتكم جميع ما به صلاحكم
في الدين فدلت ان الله حجة عليهم قوله تعالي وتوفنا مسلمين سالوا ربهم
ايضا التوفي علي الاسلام وهكذا كان دعاء الانبياء والاخيار قال يوسف توفني
مسلما والحقني بالصالحين وكذلك كان اوصي ابراهيم بنيه حيث قال يا بني ان الله
اصطفي لكم الدين فلا تموتن الا وانتم مسلمون وهكذا الواجب علي كل مسلم ان يتضرع
الي الله تعالي في كل وقت ويبتهل اليه في كل ساعة لئلا يسلب عنه الايمان
لكسب يكسبه اذ الانبياء عليهم السلام مع عصمتهم عن الشرك والمعاصي كانوا يخافون
ذلك لما ان العصمة لا تسقط الخوف ولا تؤمن عن الزلات فغيرهم احق والله الموفق
قوله تعالي وقال الملا من قوم فرعون اتذر موسي وقومه ليفسدوا
في الارض ويذرك والهتك فقوله ليفسدوا في الارض قال بعضهم في اخراجكم
من ارض مصر وافسادهم العيش عليكم ويحتمل ما ذكر من ترك عبادة فرعون
وخدمته وقوله ويذرك والهتك قرار العامة والهتك جمع الاله وقرا ايضا
والهتك فمن قرا والهتك حمله علي العبادة اي يذرك وعبادتك ومن قرا
والهتك وهو قول ابن عباس ومجاهد وعامة القراء فالمراد جمع الاله
ثم بعضهم اختاروا القراءة الاولي فقالوا ان فرعون كان يدعي ويقول
انا ربكم الاعلي فكيف يتخذ لنفسه الالهة ولكن قراءة العامة صحيحة فانه ذكر
ان فرعون لعنه الله عليه قد كان جعل لقومه الهة يعبدونها ليتقربوا بعبادتهم
تلك الاصنام اليه علي ما كانت يعبد اهل الشرك الاصنام دون الله ويقولون
ما نعبدهم الا ليقربونا الي الله زلفا فقالوا ويذرك والهتك التي جعلت لهم
اضافوا اليه لما انه هو الذي جعلها الهة لهم ولهذا قال انا ربكم الاعلي لما انه
دونه علي زعمهم لهم الهة وهي الاصنام وقال بعضهم ان فرعون كان يعبد الاصنام
والاوثان علي ما عبد غيره ويدعي الالهة لنفسه حمقا منه كما قال لقومه
فماذا تامرون وهل تري مولي يقول لعبيده مثل ذلك فدلت علي جهله وحمقه
قوله تعالي قال سنقتل ابناءهم ونستحيي نساءهم قال بعضهم سنقتل
ابناءهم يعني رجالهم ونستحيي نساءهم اي نترك نساءهم لانه لا يحتمل قتل الابناء

ولم يكن اليه منهم صنع انما كان ذلك من الرجال وقال بعضهم كان فرعون يقتل
ابناء بني اسرائيل في العام الذي قيل له بانه يولد فيه مولود يذهب بملكك
ويغير دين اهل الارض فلم يزل يقتل في ذلك العام الابناء ويترك البنات
فذلك قوله سنقتل ابناءهم ونستحيي نساءهم والله اعلم وقوله وانا فوقهم قاهرون
قيل مسلطون عليهم فان قيل ما الحكمة في ذكر هذه القصص والانباء السالفة
في القرآن قيل لوجوه احدها ان فيها دليل اثبات رسالة محمد صلي الله عليه وسلم لان
هذه القصص والانباء كانت في كتبهم ثابتة مبينة وقد علموا ان لسانه علي خلاف
كتبهم وعرفوا انه لم يختلف الي احد ممن عرف ذلك ليتعلم منه ولا سمع عن احد
منهم ثم اخبارهم عما كان في كتبهم دل انه انما عرف ذلك بمن يعلم علم الغيب وهو الله
تعالي فدل علي رسالته والثاني ان البشر جبلوا علي حب الاستماع الي الاخبار
والاحاديث وحبب ذلك في قلوبهم حتي ان واحدا منهم يولد احاديث وينشاها
من ذات نفسه لان يستمعوا في ذلك ويسمعوا منه فذكر لهم هذه الانباء والقصص
ليكون استماعهم اليها وسماعهم لها وذلك احسن واوفق اذ اخبر ان ذلك احسن
القصص بقوله نحن نقص عليك احسن القصص والثالث ذكرهم هذا ليعلموا ما
حل بهم في العاقبة من الهلاك والاستيصال وانواع العذاب بفسادهم وتكذيبهم
الرسل وما عاقبته المفسد منهم والمصلح ليكون ذلك زجرا لهم عن صنيع مثلهم والله اعلم
والرابع ذكر ذلك ليعرفوا كيف كانت معاملة الانبياء والرسل اعداءهم ليعاملوا
اعداءهم مثل معاملتهم والخامس انهم كانوا ينكرون ان يكون من رسول فاخبر
ان الرسل الذين كانوا من قبل كانوا كلهم من البشر والسادس انهم كانوا
يعبدون الاصنام والاوثان ويقولون انا وجدنا آباءنا كذلك يفعلون وانا علي
آثارهم مقتدون فاخبر ان كان في آبائهم السعداء وهم الانبياء وكذلك الاشقياء
وهم الكفرة فكيف اقتديتم بالاشقياء دون الانبياء وهلا اتبعتم السعداء منهم
دون الاشقياء والسابع فيها ان كيف الامر بالمعروف والنهي بالمنكر عرفنا
الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وما يامر به وينهي عنه والثامن فيها ان الصالحين
منهم ذكروا بعد ما ماتوا وانقرضوا وصاروا ترابا وكانوا بالذكر احياء ليرغب
الناس في مباشرة الخير واتيان الصلاح رغبة في بقاء الذكر والاثر بعد
ذهاب اعيانهم وفنائها والله اعلم قوله تعالي قال موسي لقومه استعينوا

بالله واصبر والحتمل قوله استعينوا بالله علي اداء طاعته وما تتقربون به الي الله
ويكون لهم ذلك لديه ويحتمل ان قال لهم استعينوا بالله ليعين بالنصر لكم والظفر
واصبروا علي اذاهم والبلاء قوله تعالي ان الارض لله يورثها من يشاء من
عباده يحتمل هذا وجهين يحتمل ان يخرج ذلك من موسي مخرج الوعد لهم بالنصر
والظفر علي الاعداء وجعل الارض من بعد اهلاك العدو لهم وهو كما ذكر
في موضع آخر ونريد ان نمن علي الذين استضعفوا في الارض ابة ويجعلهم
الوارثون ويحتمل ان يخرج ذلك منه مخرج التصبر علي الرضا بقضاء الله ان
الارض لله يصيرها لمن شاء من عباده فاصبروا انتم علي البلايا وارضوا بالقضاء به
وقوله والعاقبة للمتقين قال الحسن العاقبة اي الاخرة للمتقين خاصة
فاما الدنيا فانها بالشرك بين اهل الكفر واهل الاسلام تكون لهولاء مالا وليك
واما الاخرة فلا حظ للكفرة فيها انما هي للمومنين خاصة وهو كما ذكر في آية اخري
ولولا ان يكون الناس امة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة
الي قوله والآخرة عند ربك للمتقين فعلي ذلك هذا والله اعلم وقال غيره
والعاقبة للمتقين اي عاقبة الامر بالنصر والظفر للمتقين علي اعدائهم وان
كان قد يكون في الدفعة الاولي عليهم قوله تعالي قالوا اوذينا من قبل
ان تاتينا ومن بعد ما جئتنا تخرج هذا علي وجهين احدهما ان تخرج مخرج استبطاء
النصر والظفر لهم كانهم استبطوا النصر والظفر علي الاعداء واهلاكهم فقال
لهم موسي عند ذلك عسي ربكم ان يهلك عدوكم ويستخلفكم في الارض والثاني
ان يخرج ذلك منهم مخرج الاعتذار لموسي لما يحتمل انه خطر ببال موسي انهم
يقولون انما اصابهم من البلايا والشدائد لاجله وبسببه ولمكانه فقال له
عند ذلك اعتذارا منهم ان قد اصابنا ذلك وقد اوذينا من قبل ان تاتينا
كما اوذينا من بعد ما جئتنا لا لحقنا الاذي بنا بمكانك لئلا يتوهم موسي انهم
يقولون ذلك او يخطر ببالهم ذلك ويحتمل ان يكونوا قالوا ذلك علي التعيير
له والتوبيخ يقولون لم يزل يصيبنا من الاذي بسببك ولاجلك من قبل
ان تاتينا من الاستخدام والاستعباد وقتل الابناء واستحياء النساء
ومن بعد ما جئتنا من انواع الضرر وهذا الاشبه من امثالهم لغلبة الجهل
فيهم والله اعلم قوله تعالي قال عسي ربكم ان يهلك عدوكم ويستخلفكم

في الارض وعسي من الله واجب فوعدهم عز وجل اهلاك العدو واستخلافهم
في الارض وقوله فينظر كيف تعملون يحتمل هذا وجهين احدهما ان يجعل
لكم الارض ويوسع عليكم الرزق ويمتحنكم في ذلك ويبتليكم لانه يجعل لكم
ذلك علي غير امتحان تعملون ما شئتم في ذلك والله اعلم والثاني يحتمل يمتحنكم
بالشدائد والبلايا لينظر كيف تصبرون عليها ويحتمل وجها آخر عسي ربكم ان
يهلك عدوكم ويستخلفكم في الارض فينظر كيف تشكرون ربكم فيما انعم عليكم
ويحتمل فينظر كيف الواقع لكم من الجزاء والثواب بسبب العمل ثم قوله
قال موسي لقومه استعينوا بالله واصبروا يحتمل وجهين احدهما انه
امرهم بطلب المعونة لله علي قضاء حوائجهم ويحتمل ان يكون علي طلب التوفيق
لما امر به والعصمة عما حظره عنه وكذلك الامر البين في الخلق من طلب التوفيق
والمعونة عن الله والعصمة عن المنهي عنه جرت به سنة الاخيار ثم لا يصلح ذلك
علي قول المعتزلة فيكون الآية حجة عليهم لان الدعاء بالمعونة علي اداء ما كلف
وقد اعطي جميع اهل التكليف اذ علي قولهم لا يجوز ان يكون مكلفا قد بقي له
شيء مما به اداء ما كلف عند الله تعالي وطلب ما اعطي كتمان العطية وكتمان
العطية كفران النعمة فيصير كان الله تعالي امر بكفران النعمة وكتمانها وهو مع
هذا يطلبها من الله تعنتا وظن مثله بالله كفر ثم لا يخلوا اما ان يكون عند الله
تعالي ما يطلب من المعونة فلم يعط التمام اذا او ليس عنده فيكون طلبه استهزاء
اذ من طلب من آخر ما يعلم انه ليس عنده فهو هازئ به في العرف معا كان
الذي يطلب اما ان يكون لله تعالي ان لا يعطيه مع انه مكلف فيبطل قولهم
انه لا يجوز ان يكلف آخر لشيء وعنده ما به الصلاح في الدين في حقه ولا يعطيه
اذ ليس له ان لا يعطي وكانه قال اللهم لا تجر ولا تظلم ومن هذا علمه بربه فالاسلام
اولي به فهذا معنا لا يدعوا الله احد بالمعونة الا ويطمئن قلبه انه لا يبذل عند
المعونة ولا يزيغ عند العصمة وليس مثله يملك الله عند المعتزلة وبالله العصمة
قوله تعالي ولقد اخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات عن ابن
مسعود رضي الله عنه قال بالسنين بالجوع وقيل بالقحط وقال مجاهد بالسنين
بالجوائح وهي ما يستاصل ونقص من الثمرات دون ذلك وقال القتبي بالسنين
الجذب يقال اصابت الناس سنة اي جدب فان قيل انه ذكر انه اخذ آل

فرعون بالسنين وكان فيهم بنوا اسرآيل فما معني التخصيص قيل يحتمل ان تكون
ذلك لهم خاصة دون بني اسرايل وان كانوا فيهم علي ما ذكر في بعض القصة
ان القبط كانوا يشربون الدم وبنوا اسرآيل الماء ويحتمل ان الجدب
والقحط كانوا يضر آل فرعون ولا يضر بني اسرآيل كثير ضرر لما انهم كانوا
ياكلون للشهوة وبنوا اسرآيل للحاجة ومن كان ياكل للحاجة كان اقل حاجة
الي الطعام ممن ياكل للشهوة فاذا لم يجد واما ياكلون للشهوة كان يضر ذلك
بهم وبنوا اسرآيل يجدون ما يدفعون به حوآيجهم وتقضي حق النفس لا يضر
بهم ولذلك قيل ياكل المومن بمعا واحد والكافر ياكل لسبعة امعاء ويحتمل
انه خرج تخصيص ذلك بهم لما ان في عقد بني اسرآيل ان الله تعالي ان يمتحنهم
بجميع انواع المحن مرة بالشدة ومرة بالسعة وفي عقد القبط لا فاضيف ذلك
اليهم لما لم يكن في عقدهم ذلك وان كانوا جميعا في ذلك والله اعلم قوله تعالي
لعلهم يذكرون قيل يتذكرون ما نسوا ما عليهم من حقوق الله تعالي وحقوق
العباد ويحتمل يتذكرون اي يتعظون بقلوبهم دون افعالهم بل عاندوا وكابروا
ويحتمل لكي يلزم الانعاظ والتذكر والله اعلم قوله تعالي فاذا جاءتهم
الحسنة اي الخصب والسعة قالوا لنا هذه اي ان هذا ما كنا نعرفه ابدا علي
مجري العادة ويحتمل ان يقولوا ان هذه لنا بسبب فرعون وعبادتنا له وان
تصبهم سيئة اي القحط والضيق تطيروا بموسي ومن معه وقالوا هذا يصيبنا
بشومه وهذا كما قالت العرب لمحمد صلي الله عليه وسلم كما اخبر عنهم بقوله وان
تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك
كانوا يضيفون ما اصابهم من الحسنة الي الله تعالي لانهم كانوا يقرون بالله
والقبط لا فيقولون ذلك لنا من فرعون اولنا علي جريان العادة فقال قل
كل من عند الله فعلي ذلك قال ههنا الا انما طائرهم عند الله ثم قوله طائرهم عند الله
يحتمل وجوها قيل اي جزآء تطيرهم عند الله في الآخرة وقيل طائرهم
وشومهم الذي كانوا يطيروا بموسي كان بتكذيبهم موسي اضاف ذلك اليه
عنده من الآيات لانهم بنزول تلك الآيات وارسالها عليهم يطيروا بموسي فكان
تطيرهم وتشامهم بسبب الآيات وهو كقوله فزادتهم رجسا الي رجسهم وليس ذلك
برجس حقيقة ولكن لما وقعوا في ذلك لسبب انكارهم ذلك فسمي بذلك فيما

يرجع الي زعمهم فهذا كذلك ثم قوله يطيروا من الطيرة وهو من التشام يقال
تشاءمت بفلان اي قلت هو غير مبارك وتطيرت بفلان مثله ايضا ويقال
تبركت منه اذا قلت هو مبارك ويقال تطيرت واطيرت منه وبه مستعمل
بالصلتين قوله تعالي ولكن اكثرهم لا يعلمون انه كان طائرهم وشومهم
بتكذيبهم موسي من عند الله قوله تعالي وقالوا مهما تاتنا به من آية
لتسحرنا بها فما نحن لك بمومنين قال ابو بكر الكيساني تاويله كلما تاتنا به تزعم
انه آية تريد ان تسحرنا بها فما نحن لك بمومنين وقال ابن عباس والحسن
وهولاء اي ما تاتنا به من آية لتسحرنا بها وقوله مه زيادة وبه قال
القتبي ومعناه وقالوا ما تاتنا به من آية وقال الخليل هو في الاصل ما ما
احديهما آية فطرحت الالف وابدلت مكانها هاء طلبا للتخفيف وقال
سيبويه قوله مهما اي مه كانهم قالوا له اسكت كما تقول الرجل لا حرمه اي
اسكت ما تاتنا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمومنين والسحر هو التحيير واخذ
الابصار ولا حقيقة له علي الاطلاق وانما يتحقق منه علي قدر ما اجري الله
العادة به كقوله اني لاظنك يا موسي مسحورا اي متحيرا وقوله سحروا اعين
الناس ثم دل قولهم مهما تاتنا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمومنين علي ان
ما قالوا انه ساحر وانه سحر عن علم قالوا ذلك بنبوته وما اتي من الآية
لا عن جهل وغفلة واراد وا بهذا القول الاياس له عن الايمان به وقبول
آياته لانهم اخبروا انهم لا يقبلون الآيات ولا يصدقونه في ذلك والجاهل
بالشي يطلب الدليل علي ذلك لا ان ينكر اصلا انما المعاند هو الذي ينكره
راسا فدل ذلك علي عنادهم بالآية قوله تعالي فارسلنا عليهم الطوفان
والجراد والقمل الي اخر ما ذكر قال اهل التاويل لما قالوا مهما تاتنا به من
آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمومنين بعد اخذ السنين ونقص من الثمرات
واظهروا العناد والمكابرة بقولهم فما نحن لك بمومنين ارسل عليهم الطوفان
والجراد والقمل وما ذكر ثم اعقبها الغرق استيصالا جزآء علي عنادهم
ومكابرتهم ويحتمل ان تكون قوله فارسلنا عليهم الطوفان الي آخره وان
كان موخرا بالذكر فهو مقدم كانه قال ولقد اخذنا آل فرعون بالسنين
ونقص من الثمرات فارسلنا عليهم الطوفان والجرا الي اخره لعلهم يذكرون

اي يتعظون فلما لم يتعظوا واظهروا العناد وقالوا مهما تاتنا به من آية لتسحرنا
بها فما نحن لك بمومنين استاصلهم بالغرق ثم اختلف اهل التاويل في الطوفان
قال بعضهم المآء والمطر حتي خافوا الهلاك وهو قول ابن عباس وعن
عايشة رضي الله عنها قالت سيل رسول الله صلي الله عليه وسلم عن الطوفان
فقال الموت فان ثبت فهو هو وقيل الطوفان هو انواع العذاب
واما الجراد فهو الجراد المعروف واما القمل قال بعضهم بنات الجراد
يقال له الدبا وقيل هو الجراد الصغار التي لا اجنحة لها والضفادع
والدم معروف قوله تعالي آيات مفصلات قيل اي آيات مفرقات
واحدا بعد واحد لم يرسل الكل جملة بل انما ارسل اية بعد ذهاب اخري
بعضها علي اثر بعض ليكون ابلغ في الزجر وقيل مفصلات اي مبينات
واضحات ما علم كل احد بيقين انه ليس من عمل السحر وانه خارج عن
وسع البشر ولكنه آية سماوية الا تري انه لو كان سحرا عندهم لتكلفوا في
دفعه واستغلوا بالسحر كما اشتغلوا بسحر العصي والحبال لما كان في زعمهم
ان ذلك من باب السحر فاذا لم يتكلفوا ذلك ولم يشتغلوا بدفعه بل فزعوا
الي موسي ليكشف عنهم ووعدوا له الايمان به وارسال بني اسرايل معه
فقالوا ادع لنا ربك بما عهد عندك لين كشفت عنا الرجز لنومنن لك ولنرسلن
معك بني اسرايل فدل زعمهم اليه انهم قد اقروا انها ليست بسحر وانها آيات
قوله تعالي ولما وقع عليهم الرجز قالوا يا موسي ادع لنا ربك بما عهد عندك
لين كشفت عنا الرجز لنومنن لك ولنرسلن معك بني اسرايل قيل
الرجز الوان العذاب الذي كان نزل بهم من الطوفان والجراد وما ذكر
ثم قولهم لموسي لين كشفت عنا الرجز يحتمل ان يكون كلما حل بهم نوع من العذاب
سالوا موسي ان يكشف عنهم وقالوا لين كشفت عنا الرجز لنومنن لك الآية
فلما كشف عنهم الرجز نكثوا ذلك العهد وعادوا الي ما كانوا من قبل ويحتمل
ان يكون قولهم لموسي ادع لنا ربك بما عهد عندك الآية بعد ما حل بهم انواع
العذاب فعند ذلك قالوا لين كشفت عنا الرجز لنومنن لك فلما كشف ذلك
عنهم نكثوا عهدهم وهو قولهم لنومنن لك ولنرسلن معك بني اسرايل وعادوا
الي ما كانوا فعند ذلك كان ما ذكر فانتقمنا منهم والله اعلم ثم قوله بما عهد عندك

ذلكم

اختلف فيه قال بعضهم ما عهد لك انك متي دعوته اجابك وقال بعضهم بما عهد عندك
انه آمنا بك وصدقناك اكشف عنا الرجز وقوله لنومنن لك اي بما تدعي انك رسول
ولنرسلن معك بني اسرايل امكن ان يكون ليس علي نفي الارسال معه
ولكن علي ترك الاستعباد اي لا نستعبدهم بعد هذا وقال الحسن في قوله
فلما كشفنا عنهم الرجز الي اجل هم بالغوه اذا هم ينكثون اي كشفنا عنهم لو اطاعوا
ووفوا بالعهد الذي عهدوا لكنهم لما نكثوا ذلك انتقم منهم وهذا الحرف من قول
الحسن يودي الي مذهب الاعتزال لانهم يقولون ان من قتل او عذب
تعذيب اهلاك انما هلك قبل اجله واجله الموت وهذا فاسد لان هذا انما
يصلح ممن يجهل العواقب فاما الله تعالي عن ان يجعل له اجلين احدهما الموت
والآخر القتل ولكن جعل اجل من في علمه انه يقتل القتل ومن يموت حتف
انفه الموت وعلي ذلك ما روي في الخبر ان صلة الرحم تزيد في العمر ان من علم
منه انه يصل الرحم جعل عمره ازيد ممن يعلم انه لا يصل رحمه لا ان يجعل عمره
الي وقت ثم اذا وصل رحمه زاد لما ذكرنا ان ذلك امر من يجهل عواقب
الامور فاما من يعلم ما كان وما يكون ان لو كان كيف يكون لا وبالله التوفيق
قوله تعالي فانتقمنا منهم ما ذكر علي اثره من الغرق بقوله فاغرقناهم في اليم
ويحتمل ان يكون قوله فانتقمنا منهم من الطوفان وانواع العذاب الذي
ذكر الذي حل بهم ثم كان الاغراق من بعد قوله تعالي بانهم كذبوا
باياتنا يحتمل الآيات التي جاء بها موسي علي وحدانية الله وربوبيته وهي
الحجج ويحتمل الآيات التي جاءتهم من الطوفان والجراد وما ذكر وقال الحسن
باياتنا اي ديننا قوله تعالي وكانوا عنها غافلين قيل معرضين مكذبين
بها لا انهم كانوا علي سهو وغفلة عنها لكنهم اعرضوا عنها معاندين مكابرين كانهم
كانوا غافلين عنها ويحتمل ان المراد وكانوا عنها غافلين عما يحل بهم من العقوبة
بتكذيبها قوله تعالي واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق
الارض ومغاربها هو ما سبق لهم من الوعد بايراثه اياهم الارض وانزالهم
فيها وهو قوله عسي ربكم ان يهلك عدوكم ويستخلفكم في الارض وقوله ونريد ان
نمن علي الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم ايمة ونجعلهم الوارثين كان وعد
لهم الاستخلاف والانزال في ارض عدوهم ثم اخبر انه انزلهم واورثهم علي ما

وعدهم بقوله وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون باستعبادهم وقوله
مشارق الارض ومغاربها قيل فيه بوجوه قيل مشارق الارض ومغاربها
مملكة فرعون مصر ونواحيها ما يلي ناحية المشرق وما يلي ناحية المغرب لا جميع
الارض وقيل كان في بني اسرائيل من بلغ ملكه مشارق الارض ومغاربها
من نحو ذي القرنين وداود وسليمان وكان المراد وراثة جميع الارض لبعض
بني اسرائيل بعضها من فرعون والبعض من سائر الكفرة والله اعلم وقيل
مشارق الارض ومغاربها اي فضلوا على اهل مشارق الارض ومغاربها
كقوله وفضلناهم على العالمين اي على عالمي زمانهم ثم تفضيله اياهم على البهائم
بالجوهر والخلقة وعلى الجن بالرسالة والنبوة والمنافع وعلى جوهرهم من بني ادم
بالرسالة والحكمة والملك وهو كقوله وجعلكم ملوكا وآتيكم ما لم يوت احدا من العالمين
قوله تعالى التي باركنا فيها قيل ارض الشام وقيل ارض مصر ونواحيها
ثم قيل سماها مباركة لانها مكان الانبياء وقيل مباركة لكثرة انزالها وسعتها
قوله تعالى وتمت كلمة ربك الحسنى قيل هي الجنة اي وتمت كلمة ربك
الحسنى الكلمة التي ذكر ما كان وعدهم انه ينزلهم فيها ويستخلفهم وتم ذلك الوعد
لهم وهو ما قال ونريد ان الاية وتم ما وعدهم ان يمن عليهم وقيل وتمت
كلمة ربك الحسنى اي النعمة التي انعم على بني اسرائيل بما صبروا على البلاء حين
كلفوا ما لا يطيقون من قتل الابناء واستحياء النساء واستعبادهم قوله
تعالى بما صبروا واحتمل بما صبروا على اذى فرعون وقومه ويحتمل بما صبروا على
اداء ما اوجب عليهم والله اعلم قوله تعالى ودمرنا ما كان يصنع فرعون
وقومه وما كانوا يعرشون قال بعضهم قوله ودمرناهم ما كان يصنع فرعون
وقومه كلام تام ويبتدا بقوله وما كانوا يعرشون معطوفا على قوله واورثنا
القوم الذين اي اورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها
وما كانوا يعرشون وهو من العرش الذي يتخذه الملوك وقيل قوله ودمرنا
ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون تمام الكلام اي دمرنا اهلكنا ما
كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون ايضا قال القتبي يعرشون
اي يبنون والعرش بيوت والعرش سقف وقال ابو عوسجة دمرنا اي اهلكنا
وافسدنا وقوله يعرشون يعرش ويعرش يعني يبنون من البيوت في الكروم

والاشجار والله اعلم قوله تعالى وجاوزنا ببني اسرائيل البحر دل هذا
على ان لله تعالى في فعل العباد صنعا حيث نسب المجاوزة الى نفسه وهم
الذين جاوزوا البحر دل ان له في ذلك صنعا فبطل قول المعتزلة في كلامهم
خلق افعال العباد من الله تعالى وبالله القوة قوله تعالى فاتوا على
قوم يعكفون على اصنام لهم اي وجدهم عكوفا على عبادة الاصنام مقيمين على
ذلك قوله تعالى يا موسى اجعل لنا الها كما لهم الهة قال انكم قوم تجهلون
ليشبه ان يكون سؤالهم الها يعبدونه لا على الكفر بربهم والتكذيب لرسوله
ولكن قالوا ذلك لما لم يروا انفسهم اهلا للعبادة لله تعالى والخدمة له لما راوا
في الشاهد انه لم يخدم الملوك الا الخواص لهم والمقربون اليهم ومن بعد
من الملوك يخدم خواصهم وكذلك كانت عادة العرب انهم كانوا يعبدون
الاصنام ليقربهم عبادتها الى الله زلفا وكذلك ما ذكر في بعض القصة ان فرعون
كان يتخذ لقومه اصناما يعبدونها ليقربهم عبادة تلك الاصنام اليه زلفا فعلى
ذلك هولاء سالوا موسى الها اي معبودا يعبدونه لما لم يروا انفسهم اهلا
لعبادة الله والخدمة له ليقربهم عبادة ذلك المعبود الى الله ويخرج ذلك
مخرج التعظيم لله والتبجيل له لا على الكفر وصرف العبادة عنه الى غيره
ليتوجهوا اليه بالعبادة وغرضهم تعظيم الله كالتوجه الى الكعبة في شريعتنا
ومثل هذا الاعتقاد لا يوجب الكفر اذا صدر عن جهل وكفر مشركي العرب
لاعتقادهم الاشراك في استحقاق العبادة ولو لم يعتقدوها مستحقة في العبادة
وانما يعبدونها للتوسل والتقرب فيكون كفرهم لجهل بالله كما هو فاما هولاء
فقد اقروا بموسى وعرفوا الله حق معرفته ثم مع ذلك يرون التعظيم لله فيما
سالوا من الحرمة لغيره فلم يكونوا نظير اولئك والله اعلم ويحتمل ان يكون قولهم
اجعل لنا الهة كما لهم الهة لم يريدوا بذلك جعل الاصنام لهم الهة يعبدونها
لكن ارادوا ان يجعل لهم قادة ورؤساء يخدمونهم ويعظمونهم فيكونوا سفراء
بينهم وبين موسى وليكون لهم من اولئك الرؤساء النعم وانواع المنافع كما راوا
قوما يعكفون على اصنام لهم اي راوا قوما يقيمون على خدمة رؤسائهم وعظمائهم
ونالوا منهم النعم وانواع المنافع فتمنوا ذلك لا انهم سالوا منه ان يعبدوا الغير الله
فانه لا يتصور ان اهل التوحيد يرون العبادة لغير الله لانه لا يتحقق التوحيد

الا بهذا وما من احد من اهل التوحيد وان بعد محله ومنزلته الا واثار
نعم الله عليه ظاهرة حتى عرف ذلك كل احد فكان اعتقاده بحال في التوحيد
لله ورؤية استحقاق العبادة له دون غيره حتى لو بذل له جميع حطام
الدنيا او اوعد بكل انواع الوعيد ليترك الدين الذي هو عليه ما ترك البته
فدل ان التاويل على ما قلنا والله اعلم ويحتمل ان تكون سؤالهم الها يعبدونه
لما ان اهل الكفر قالوا لهم ان الرسل هم الذين امروهم بعبادة الاصنام كقوله
والله امرنا بها فسألوا موسى ليظهر لهم حقيقته كذبهم ويزول عنهم ما خطر
ببالهم من بواسطه وسواسهم والله اعلم قوله تعالى ان هولاء متبر
ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون اي ان هولاء مفسد ما هم فيه اي من العبادة
لغير الله واتخاذه للاصنام الهة وان عبادتهم لغير الله مهلكهم ومفسدهم وباطل
ما كانوا يعملون اي باطل ما يأملون بعبادتهم هولاء وقال القتبي التبار
الهلاك وقال ابو عوسجة المتبر المفسد يقال تبرت الشي اي افسدته
ويقال رجل متبر اي مفسد قوله تعالى اغير الله ابغيكم الها وهو فضلكم
على العالمين يقول اما تستحيون ربكم ان تسألوا الها تعبدون من دونه
وقد فضلكم بما هداكم ووفقكم للهداية بما لم يوفق ولم يهد احدا من عالمي زمانكم
ويحتمل ابغيكم الها وقد فضلكم بما استنقذكم من استخدام فرعون وقهره اياكم
واخرجكم من يده واعطاكم رسولا يبين لكم عبادة الاله الحق وهو ما ذكر على
اثره بقوله واذ انجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يقتلون ابناءكم
ويستحيون نساءكم يذكرهم نعمه عليهم بما استنقذهم من فرعون وآله واهلكهم
ثم قوله يسومونكم سوء العذاب قيل الابناء واستحياء النساء يعني البنات
وقوله وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم قوله في ذلكم يعني فيما انجاكم من آل فرعون
بلاء من ربكم عظيم اي نعمة من ربكم عظيمة يقال البلاء بالمد هو النعمة وبغير المد الشدة
قوله تعالى وواعدنا موسى ثلاثين ليلة واتممناها بعشر ذكر ههنا ثلثين
ثم ذكر التمام بالعشر وذكر في السورة التي فيها ذكر البقره اربعين ليلة بقوله
واذ واعدنا موسى اربعين ليلة كيف يكون هذا فنقول المعاد له اربعون ليلة
وهو ان لعبد الله تعالى كما امره حتى اذا تم ذلك الميعاد يكرمه بالمناجاة على الطور
لكنه يحتمل ذكر ثلثين ليلة وعشر وجهين احدهما ان ثلثين ليلة لامر وعشر لامر اخر

فذكر متفرقا لما كان لامرين مختلفين وان كان الجملة اربعين والميعاد بعد الفراغ من
الامرين والثاني يحتمل ان اربعين ليلة في وقتين مختلفين لا على التتابع كانت
ثلثين ليلة في وقت وعشر ليال في وقت آخر بعد ذلك فذكر التمام بالعشر وهو كقوله
فمن لم يجد فصيام ثلثة ايام في الحج وسبعة اذا رجعتم تلك عشرة كاملة اي ثلاثة ايام في الحج
وسبعة بعد الرجوع والجملة عشرة وان كان في وقتين قوله تعالى فتم ميقات
ربه اربعين ليلة دل هذا ان الميعاد الذي وعد له اربعون ليلة قوله تعالى
وقال موسى لاخيه هارون اخلفني في قومي واصلح ولا تتبع سبيل المفسدين
والاشكال انه ما معنى قول موسى لاخيه هارون اخلفني في قومي وهو كان
مبعوثا معه رسولا الى فرعون مشركا في تبليغ الرسالة الى فرعون كما قال واشركه
في امري وقوله انا رسولا ربك وقوله واخي هارون هو افصح مني لسانا فارسله
معي ردءا يصدقني فاذا كان هو رسولا كهو في تبليغ الرسالة كيف قال اخلفني
في قومي وهما شرعا سواء في الرسالة فنقول يحتمل هذا وجهين احدهما ان يكونا
رسولين كما ذكر ولكن من ولي اثنين امرا لم يكن لواحد منهما ان يتفرد به الا بالامر
آخر اذا كان ذلك مما يحتاج فيه الى التدبير والراي والرسالة وتبليغ الشرايع
من هذا القبيل فكانه قال اخلفني في الحكم بينهم واصلح ذات بينهم ولا تتبع من دعاك
الى سبيل المفسدين والثاني يحتمل ان يكون موسى كان هو الرسول على الاصالة
وكان اليه الحكم وكان هارون دخيلا في امره ردءا له على ما قال فارسله معي ردءا
يصدقني والا موسى كان هو المامور بها اولا والمبعوث اليهم دونه الا انه سال
من الله تعالى ان يشركه في امره وان يجعله ردءا له الا ترى انه المناجي ربه دون
هارون وهو كان المعطى الالواح دون هارون كقوله وكتبنا له في الالواح من
كل شيء وهو الذي قال اني آنست نارا وهو الذي نودي بالبركة من شاطئ الوادي
دون هارون وما ظهر على يده الايات من انقلاب العصى حية واليد البيضاء وفلق
البحر وتفجير الحجر ونحوه واذا كان كذلك لهذا استخلفه في قومه حال الذهاب
الى المناجاة والله اعلم قوله تعالى ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه اي
لميعادنا الذي وعدناه وقوله وكلمه ربه لا يجوز لنا ان نصف كيفية الكلام وماهيته
سوى انه اسمعه صوتا بما شاء ذلا على كلام والصوت مخلوق وكلام الله ليس بمخلوق
وسماع كلام الله تعالى هو سماع صوت منظوم يدل على كلامه وقد ذكرناه في موضع آخر

قوله تعالي قال رب اربي انظر اليك قال لن تراني ولكن انظر الي الجبل فان
استقر مكانه فسوف تراني هذه الآية حجة علي المعتزلة في جواز رؤية الله
تعالي فان عندنا القول بالرؤية جايز في الدنيا والاخرة عقلاً وفي الاخرة القول
بها لازم وهي حق من غير ادراك ولا تفسير والاستدلال بهذه الآية من وجوه
احدها قول موسي رب ارني انظر اليك اعتقد جواز رؤية الله تعالي وسالها
منه ولولا انها في حد الجواز دون الاحالة والا كان اعتقد جوازها وما سال
ويكون ذلك جهلاً منه لربه حيث علمه جايز الرؤية ثم لم يكن جايز الرؤية بل
يستحيل رؤيته ومن جهل الله تعالي لا يحتمل ان يكون موضعاً لرسالته امينا
علي وحيه والثاني انه لم يعاتبه في سوال الرؤية ولم ينهه ولو كان ذلك مستحيلا
لكان من حق الحكمة ان يوبخه ويغلظ ذلك فانه بدون ذلك قد نهي نوحاً حين قال
ان ابني من اهلي انه ليس من اهلك انه عمل غير صالح فلا تسالني ما ليس لك به
علم وعاتب آدم وغيره من الرسل ولو لم يكن ما سال جايز الوجود لكان يبلغ
اعتقاد ذلك كفراً ولما لم يرد عليه ولم يزجره عن ذلك دل انه في حد الجواز ولانه
قال ولكن انظر الي الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني علق الروية باستقرار
الجبل ولا يستحيل استقرار الجبل بالتجلي له وما تعلق بشرط متصور الوجود
في نفسه يكون متصوراً قال بعض المعتزلة في الخروج عن الاحتجاج بهذه
الآية ان موسي لم يسال ربه الروية لنفسه ولكنه سال لقومه لسوال القوم
منه ان يسال لهم بقوله لن نومن لك حتي نري الله جهرة ليظهر لهم ان ذلك غير
جايز وان كان هو عليه السلام عالماً بذلك لكن نقول هذا بعيد لانه
لو كان سواله اياه لسوال قومه لكان لا يقول رب ارني انظر اليك
ولكن يقول ارهم ينظرون اليك فدل انه لم يكن كذلك وقال بعض المعتزلة
هذا منه ليس سوال رويت الرب ولكن سوال انه يعلم بها الله علي وجه
لا يعتريه شبهة ولا تخطر بباله خطر وجايز سوال روية الآيات والاعلام
وان كان قد يقع الكفاية بالبعض الا تري ان ابراهيم عليه السلام قال رب
كيف تحيي الموتي قال اولم تومن قال بلي ولكن ليطمين قلبي فهذه امثاله لكنا نقول
هذا التاويل فاسد ايضا لوجوه احدها انه قد كان اعطاه الايات والاعلام
ما لم يكن له الحاجة الي غيرها من الايات نحو العصي التي صارت حية تسعي

والتي كان يضرب بها الحجر فيفجر منه اثنتي عشرة عينا وما كان من فلق البحر واهلاك
العدو غرقا واليد البيضا فلا يحتمل ان يسال آية اخري لدفع الشبهة مع هذه
الايات لان الشبهة لو لم تندفع بهذه الايات لم تندفع بآية اخري غيرها من جنسها
ولان طلب الآية بعد ظهور الايات عنده يخرج مخرج التعنت وذلك صنيع
الكفرة فانهم لا يزالون يطلبون الآيات وان كانت الكفاية قد ثبتت لهم ولا شك
في اجتماع الايات عنده فيشبه الطلب منه آية اخري صنيع الكفار فيجب تنزيه
الرسل عن مثله والله الموفق وايضاً قال فان استقر مكانه فسوف تراني علق وجود
ما سال باستقرار الجبل ولو كان المراد من هذا سوال الآية لم يستقم التعليق
باستقرار الجبل لان الآية التي لا يستقر معها الجبل بل يدك اعظم من الآية
التي يستقر معها الجبل دل ان الحمل علي الآية فاسد ومن الدلايل لنا في المسالة
قوله تعالي لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار ولو كان غير جايز الروية
لم يكن لنفي الادراك حكمة اذ لا يدرك غيره بغير روية فنفي الادراك وغيره من
الخلق لا يدرك الا بالروية لا معني له والله اعلم ولان الآية وردت للتمدح وغيره
اذا كان لا يدرك اذا لم يكن مرئيا لم يقع له التمدح بكونه غير مدرك انما يقع التمدح
ان لو كان مرئيا غير مدرك وغيره مرئي مدرك ليظهر له اختصاص ولا يقال
بان الآية حجة عليكم فانه نفي الادراك علي طريق التمدح يجب ان يكون الادراك
منفيا والادراك هو الروية لانا نقول بظاهر هذه الآية انه لا يدرك لكنه يري
وقد يتمدح بنفي الادراك لا بنفي الروية والروية تتحقق الي ادراك وهو كقوله
ولا يحيطون به علماً ليس نفي العلم به لكن فيه ايجاب العلم ونفي الاحاطة فكذا
مثله في حق الادراك والله اعلم والدليل علي انه لا يدرك ان الادراك هو
الاحاطة بالحد والله سبحانه تعالي عن وصف الحد اذ هو نهاية اجزا الشي
والتقصير له عما هو اعلي منه والله تعالي ليس بذي اجزا حتي يتحقق فيه النهاية
علي انه واحد الذات والحد وصف المتصل الاجزا حتي تقتضي علي ان القول بالحد
محال في حق الله تعالي اذ كان ولا ما يحد او ما به يحد لانه لا بد من غير ليصير محدودا
به فاذا لم يكن محدودا في الازل فهو علي ذلك لا يتغير اذ التغير علي القديم محال علي
ان لكل شي من الحدث حدا يدرك بطريقه وسبيله نحو الطعم واللون والرايحة
وغير ذلك من خاصية الاشيا لها حد وقد جعل الله تعالي لكل شي من ذلك وجها

وحداً يدرك ويحاط به بالطرق التي وضعت لمعرفتها حتى العقول والاعراض فان
بين اللونين من جنس واحد نوع تفاوت يدرك ذلك بحاسة الذوق ونحو
ذلك فاخبر الله تعالى انه ليس بذي حدود وجهات من هذا الوجه يدرك
بالاسباب الموضوعة لتلك الجهات لانه لا احد يجانسه ويشابهه حتى يدرك
التفاوت بينهما من حيث القدر او الكيفية فدل ان القول بالتحديد باطل في
حقه والادراك يقتضي الاحاطة لحدود الشي فلا يتحقق في حق من يستحيل
القول بالحد فيه والله الموفق فاما الرؤية لا يقتضي ان يكون المرئي محدود
الا ان كل شي يرى كما هو الا ترى انه يعلم وانه لا يقتضي الاحاطة والادراك
فكذا الرؤيه وبعد فان الرؤية تقع على وجهين لا تقع حقيقة كل وجه من ذلك
الا بالعلم بذلك الوجه فان كان شيئا يعلم على وجوهه وكيفيتها حتى عبر عنه
بالرؤية يصرف الى ذلك وما لا يعرف له وجه ولا يدرك له حد يجب القول
بتحقيق الرؤية ونفي ماآيتها اذ لا مآية له فاما الادراك انما هو معنى الوقوف
على حدود الشي فيجب نفيه اصلا الا ترى ان الظل في التحقيق يرى لكن لا
يدرك الا بالشمس لينتهي آخر اجزائه بوجود الشمس والا كان مرئيا في غير
حال الشمس كما هو مرئي وقت وجود الشمس ولكن لا يدرك بالرؤية الا انما
يتحقق فيه الحد وبالله التوفيق وكذلك ضوء النهار يرى ولكن لا يعرف حده
بذاته وكذلك الظلمة لان طرفها لا يرى حتى يدرك ويحاط به وبالحدود يدرك
الشي وان كان يرى لا بها ولذلك ورد صرف المثل في رؤية الله تعالى بالقمر
في قوله انكم سترون ربكم يوم القيامة كما ترون القمر ليلة البدر لانه لا يدري حده
وسعته على الحقيقة وان كان على ما يرى من حيث الظاهر محدودا ليوقف
ويحاط به وهو مرئي بيقين ولا قوة الا بالله والاصل فيه القول بذلك على قدر ما
جاء ونفي كل معنى من معان الخلق ولا يفسر ولا يكيف لما لم تخط وبالله التوفيق
ومن الدليل لنا قوله تعالى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظره ولا يحتمل صرف
الآية الى الانتظار لثواب الله بوجوه احدها ان الآخرة ليست بوقت للانتظار
انما هي الدنيا اما الآخرة هي دار وقوع الثواب ووجود الجزاء الا في وقت
الفزع ولانه قال وجوه يومئذ ناضرة ونضرة الوجه من باب وقوع الثواب
لا معنى للانتظار ولانه ذكر حرف الى فقال الى ربها ناظرة والى حرف يستعمل

بنا

في النظر الى الشي لا في الانتظار يقال نظرت اليه في الرؤية ونظرته في
الانتظار ولان الآية خرجت مخرج البشارة لعظيم ما نالوه في النعم والانتظار
ليس منه معاكان الصرف عن حقيقة المفهوم قضاء على الله تعالى فيلزم القول
بالنظر الى الله تعالى على ما قال على نفي معاني التشبيه عن الله تعالى على مثل
ما اضيف اليه من الكلام والفعل والقدرة والارادة انه يجب الوصف فيه
على نفي جميع معاني الشبه وكذلك القول بالمشبهة فمن زعم ان الله لا يقدر
ان يكرم احدا برؤيته فهو يفسد رؤية الله تعالى بالرؤية التي فهمها من الخلق
واذا كان القول بالرحمن على العرش استوى وغير ذلك من الايات لا يجب
دفعها لمكان العرض على المفهوم من الخلق والتقدير بذلك بل يجب تحقيق ذلك
على نفي الشبه فمثله خبر الرؤية والله اعلم ومن الدليل ايضا محاجة ابرهيم
وقومه في النجوم وما ذكر من الافول والغيبة للنجوم ولم يحاجهم بان لا يجب
ربا يرى ولكن حاجهم بان لا يحب ربا يا فل بقوله لا احب الافلين اذ الافول دليل
عدم الدوام ولو كان كونه مرئيا محالا وانه دلالة الحدث وامارة الجسم لكان
يستدل به ويحتج عليهم ولا ينتظر الافول للاحتجاج عليهم والحال حال
الحاجة الى الاحتجاج ردا عليهم فيما يدعون من الوهية النجوم واستحقاق العبادة
فدل انه جاين الرؤية لا يمتنع الرؤية وبالله التوفيق ومن الدليل ايضا
قوله تعالى للذين احسنوا الحسنى وزيادة وجاء في غير خبر ان المراد
من الزيادة هو النظر الى وجه الله تعالى في الجنة وعليه بعض اهل
التفسير ويحتمل غير ذلك لما قاله بعض اهل التفسير لكن لولا ان القول
بالرؤية كان امرا ظاهرا في السلف والا لم يحتمل صرف ظاهر لم يحتمل في الرؤية
اليها ولم يرد النكير منهم على من صرف الآية الى الرؤية لما صرفوا ظاهر الآية
الى تاويل ممتنع محال فدل اجماع السلف على القول بجواز رؤية الله تعالى
ومن الدليل ايضا ما جاء عن رسول الله صلى الله عليه انه قال في غير خبر سترون
ربكم يوم القيامة كما ترون القمر ليلة البدر لا تضامون وسيل رسول الله
هل رأيت ربك قال بقلبي ولم ينكر على السايل السوآل والسايل انما ساله
عن الرؤية بالعين لا عن الرؤية بالقلب لما يعلم السايل ان رؤية القلب هي
العلم بالله تعالى وان النبي صلى الله عليه قد علمه فلم يسال عن ذلك ولو كان القول

بالرؤية ممتنعًا لانكر على السائل اذ بعث عليه السلام لتغيير المناكير والله الموفق
الا ترى ان الله تعالى حذّر المومنين عن السؤال عن اشياء ان تبد لكم تسؤكم
فكيف تحتمل ان يجيء السؤال عن الرؤية وهو كفر في الحقيقة عند قوم ثم لا ينهاهم
عن ذلك ولا يوبخهم في ذلك بل يلين القول في ذلك ويرى ان ذلك ليس ببديع
والله الموفق ومن الدليل ايضًا من حيث المعقول وهو ان الله تعالى وعد ان
يجزي احسن ما عملوا به في الدنيا ولا شيء احسن ما عملوا به في الدنيا من التوحيد
وارفع قدرًا من الايمان به اذ هو المستحسن بالعقول والثواب الموعود من جوهر
الجنة حسنه حسن الطبع وذلك دون حسن العقل اذ لا يجوز ان يكون شيء حسن
في العقول لا يستحسنه ذو عقل وجائز ما استحسنه المطبع ان لا يستحسنه
طبع ولا يتلذذ به لطبع الملائكة ومثله في العقوبة قد يستحسن بعضها في العقول
حدًا وطباعًا ولا يستحسنها الطباع لذلك لزم القول بالرؤية ليكون كرامة تبلغ
في الجلالة والقدر ما عملوا من المستحسن عقلًا وهو التوحيد فيصير لهم المعبود
بالغيب مشهودًا كما صار المطلوب من الثواب محضرًا ولا قوة الا بالله ولا يقال
بانه لجعل جزاء الايمان والتوحيد هو العلم بالله على وجه لا يعتريه الوسواس
باعطاء آيات تضطرهم على ذلك بحيث لا يخطر ببالهم شيء من الشبهات كما يحصل
بالعيان والرؤية فيما يحتمل العيان لانا نقول هذا هو الحجة عليكم لان كلا اجمعوا
على العلم بالله في الآخرة علمًا لا يعتريه الوسواس ولذلك قلتم انه يحصل لهم
مثل هذا العلم جزاء على الايمان والتوحيد وذلك العلم لا يتحقق الا بالعيان
دون الاستدلال بالآيات كما في دار الدنيا فانه لا يزداد في الآخرة الا كثرة
الآيات وانها لا تحقق علم الحق الذي لا يعتريه الشبهة دليله قوله ولو اننا
نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى الآية وكذلك ما ذكر من اشتغال الكفرة
بالتكذيب للرسل في الآخرة والانكار عليهم التبليغ كقوله خبرًا عنهم والله ربنا
ما كنا مشركين يقسمون بالله كاذبًا في الآخرة مع معاينتهم الدلائل وقولهم لم
يلبثوا الا ساعة من نهار وغير ذلك دل ان رؤية الآيات لا تضطر المرء على
الايمان والتصديق ولانه لا يجوز ان يصير علم العيان لحق علم الاستدلال يجب ان
لا يجوز ان يصير علم الاستدلال لحق علم العيان فدل ان كثرة الآيات لا توجب
ذلك وقد اجمع القول على ثبوت مثل هذا العلم لهم دل ان الرؤية توجب ذلك

والله الموفق

والله الموفق وبعد فان ذلك العلم الذي لا يعتريه الوسواس في الآخرة لا يختص به
المومن بل يستوي فيه الكافر والمومن وقد خص المومن بالبشارة بالرؤية
دل ان الموعود جزاء على التوحيد هو الرؤية والله الموفق ثم زعم الكعبي ان
الغائب اذا لم يخرج على الوجوه التي يعلم بها في الشاهد اعني الضرورة والاكتساب
فكذا يجب ان لا يرى في الغائب الا بالوجوه التي يرى بها في الشاهد من المباينة
للمرئي والمسافة والمقابلة واتصال الهواء وعدم الصغر والبعد ولو جازت
الرؤية بخلاف هذا لجاز العلم بخلاف الوجوه التي في الشاهد وما قاله فاسد
لانه قدر وقاس رؤية الله برؤية جوهره وقد علم ان من غير جوهره جوهرًا
يرى من الوجه الذي لا يقدر على الاحاطة بجوهرهم فضلًا عن ادراك بصره
اياهم نحو الملائكة والجن وغيرهم ممن يروننا من حيث لا نراهم وكذا الجثة
الصغيرة مثل البق ونحو ذلك مما يرى اشياء بمثل ذلك البصر لو قدر بابصارنا
لما احتمل الادراك وكذلك يرى الملك الذي يكتب جميع افعالنا ويسمع جميع افعالنا
على ما لو اردنا تقدير ذلك بما عليه جبلتنا للزم انكار ذلك كله وذلك عظيم وعلى
ذلك ما ذكر من نطق الجلود وغيرها مما لو امتحن بمثلها امر الشاهد لوجد
عظيمًا وبعد فانه في الشاهد يفصل بين بصرين في الرؤية والتمييز على قدر
تفاوتهما بما اعتراهما من الحجب بما لو قابل حال احدهما بحال الآخر على حاله
بان اختص احدهما بحدة البصر واذا كان كذلك بطل التقدير والقياس بالذي
ذكر والله الموفق وايضًا انه في الشاهد لا يعلم بكل اسباب العلم غير العرض والجوهر
ثم جاز العلم بالغائب خارجًا منه فانه يعلم وانه ليس بجوهر ولا عرض فمثله
الرؤية والله اعلم والثالث ما ذكرنا من فصل رؤية الظل والظلمة والنور من غير
شيء من تلك الوجوه نعلي ذلك الغائب والرابع انه قد يجوز وجود ما ذكرت
من المعاني كلها مع عدم الرؤية اما لحجب او بالجوهر فجاز تحقيق الرؤية مع
نفي تلك المعاني وهذا كالمجيب للقائل بالجسم عند معارضته ايانا ان الله جسم
لانه فاعل عالم ان وجدنا جسمًا ليس بفاعل ولا عالم كالجمادات لما جاز وجود
جسم ولا فاعل جاز وجود فاعل ليس بجسم فمثله في الرؤية على ان البعد الذي يحجبنا
والدقة يجوز ان يبلغه بصر غيرنا مع البعد والدقة فصار ارتفاع الرؤية
والبعد انما بالحجاب فاذا ارتفع الحجاب جاز ولا قوة الا بالله وبعد فان الذي يقوله

تقديرين رؤية الاجسام وقياس عليها ولم يختص بصره بغير الاجسام والاعراض ان كيف
السبيل الى رؤيته والكلام في رؤية غير الجسم والعرض فلم قال بان ما ذكر من المعاني شرط
لرؤيته وبعد فان كل جسم يرى وان كانت الدقة والبعد يحجبان فيجوز ارتفاعهما عن بصر غيره
فيرى على ما يرى ملك الموت من اطراف الارض ووسطها مما لو اعتبر ذلك ببصر البشر لما احتمل
الادراك فثبت ان الذي قدر به ليس هو سبب تعريف ما يبصر به ولكن سبب تعرف ما
يجب به البصر فاذا ارتفع المانع رأى ما كان المنفي والممنوع رؤيته لذاته هو العرض لا غير
والا فكل جسم يرى فان لزم انكار الرؤية في حق الله تعالى لما انه ليس بجسم او لما لا يرى الا ما ذكر
من المعاني لزم الاقرار برؤيته لما ان الذي لا يرى لذاته هو العرض والا فكل جسم يرى وانه ليس
بعرض يجب ان يكون مرئيا اذا ارتفع الموانع والله الموفق وعارض الكعبي ايانا بامر الدنيا
انه لا يرى في الدنيا بما ذكرتم لانا نقول انه جائز الرؤية في الدنيا ايضا ولا يجال ذلك
الا ان الدنيا دار محنة وكلفة وان الرؤية فيها تسقط المحنة والكلفة بخلاف دار الاخرة فانها
دار جزاء فكانت الرؤية لايقة بها لا مانع فيها والله الموفق وذكر في امر موسى انه
ما سال الرؤية انما سال العلم الذي لا يعترضه الشبهة بالايات وقد ذكرنا فساد
ذلك ولان موسى رسول بعث الى ما به نجات الخلق من الاعداء الى التوحيد والعبادة
لله وهو مكلف ممتحن بتبليغ الرسالة اليهم وهذا النوع من العلم الضروري مما يسقط المحنة
والابتلاء اذ لا يبقى الخطرات واعتراء الشبهات ليؤمر بالدفع والاستدلال
بالايات فدل ان سؤال هذا النوع من العلم في دار المحنة لا يجوز وانما سال الرؤية
ليجل قدره وليعرف عظيم محله عند الله تعالى وان كان في اعطاء ذلك رفع الامتحان
فلذلك لم يعط المسؤول في الدنيا او يكون الله تعالى امره بان يسال الرؤية
ليعلم الخلق جواز ذلك وان كان لا يكرمه بذلك في الدنيا وبالله التوفيق ثم
استدل الكعبي وقال ان الله لم يري نفسه من يعقل انما اري الجبل والجبل لا
يعقل ليعلمه وليراه دل انه لم يرد بسؤال الاراءة حقيقة الرؤية التي ذكر لان الجبل
لا يراها ولا يعقل فالاية ايضا صارت اندكاك الجبل واستفاقه لا ان اراءة الاية
ليندك بها وفي هذا انه قد اري موسى الاية وهو اندكاك الجبل والله تعالى يقول
لن تراني وحمله على الاية وقد راها ولا قوة الا بالله فان قيل ما معنى توبة
موسى عن ذلك بقوله سبحانك تبت اليك وانا اول المؤمنين لو كان سؤاله بالامر
من الله تعالى قيل يحتمل ان يكون التوبة منه على سبيل العادة في الخلق عند

حدوث رؤية الاهوال بلا وجود ذنب منهم فعلى ذلك من موسى عند اندكاك
الجبل ويحتمل انه لما راى من جلال الله وعظمته فزع الى التوبة واحداث الايمان
به وان لم يكن ما يوجب ذلك وذلك متعارف في الخلق ويحتمل انه كان اعتقد جواز
الرؤية في الشاهد واحتمال وسعه وطاقته لذلك لما علم من وعد الله اياه ذلك
في الاخرة ولكن لم يعرف معنى تعيين الاخرة للرؤية دون الدنيا فلما قال لن تراني
رجع عما كان عنده من التسوية بين الدارين في ذلك حكمة وآمن بالذي قال لن تراني
بقوله سبحانك تبت اليك وانا اول المؤمنين وان كان في الاصل ايمانه داخلا على نحو
احداث المؤمنين الايمان بكل آية تنزل وبكل فريضة تتجدد وان كانوا في الجملة مؤمنين
بالكل والله الموفق ثم اعترض على تعلقنا بقوله وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة بما
ذكرنا وقد بينا ما فيه كفاية والاصل في الكلام انه اذا كان على امر معهود او يقرن
به المقصود يصرف اليه عن حقيقته والا لا وذلك نحو قوله الم تر الى ربك كيف مد
الظل وقوله الم تر كيف فعل ربك لما قرن في بلفظة الرؤية فعل آخر علم به انه لم يرد
الرؤية بالبصر لكن اريد به العلم فاما اذا لم يقرن به شيء واطلق يصرف الى حقيقته
الا ترى ان من قال رايت فلانا او نظرت الى فلان لم يحتمل غير رؤية ذاته بالبصر
واذا قال رأيته يقول كذا او يفعل كذا انه لا يريد رؤية ذاته فمثله امر قصة موسى
بقوله انظر اليك وكذلك في قوله الى ربها ناظرة وروي عن صفوان بن عمرو انه
اتى البصرة فقال يا اهل البصرة اما ان كان موسى عليه السلام مشبها واما ان كان
الله تعالى يرى لانه لو كان بالذي لا يرى وسال هو رؤيته كان جاهلا به
مشبها اياه بخلقه فدل انه يرى ثم الاصل ان من تامل الذي ذكر الكعبي عرف
انه مشبهي المذهب لانه لم يذكر المعنى الذي يجب ان يكون الرؤية بتلك
الشرائط انما اخبر انه كذلك وجد في الشاهد وهو قول المشبهة انه وجد
كل فاعل في الشاهد جسما فكذا كل عالم فيجب مثله في الغائب فكذلك هو
ذكر ان في الشاهد لا يرى الا الجسم فكذا في الغائب على انه ذكر معنى رؤية
الجسم ولم يذكر معنى رؤية غير الجسم حتى يكون له دليلا وبعد فانه نفي بالدقة
والبعد وهما آيلان عن الله فيجب ان يرى ثم احتج ايضا بامتداح الله تعالى
بنفي الادراك الرؤية في الدنيا فلا يتكامل معنى التمدح بل يكون في وقت دون
وقت ويرد عليه مثله في قوله خالق كل شيء وقوله وهو على كل شيء قدير يجب ان لا يزول

لانه تمدح به وقد قال انه ليس بخالق في الازل انما يصير خالقا بعد الخلق وكذلك
لم يصف الله تعالى بالقدرة على خلق افعال العباد منهم بطريق الاختيار ثم انما ورد هذا
على قول من يجعل الادراك والرؤية واحدا وهو قول بعض اهل السنة من اصحاب
الحديث فاما نحن فقد ذكرنا ان الادراك لا يتحقق في حق الله تعالى لا في الدنيا والاخرة
فلا يلزمنا هذا الكلام والله الموفق ثم سلم الكعبي ان الله تعالى راي جميع المرئيات
بدون ما ذكر من المائية والمقابلة ويجوز ذلك فيجوز ان يكون مرئيا بدون ما ذكر
وبهذا يتبين ان ما ذكر لا يودي عن كنه معرفة المائية فان قيل كيف يرى قيل بلا كيف
اذ الكيفية لذي صورة بل يرى بلا وصف قيام ولا قعود واتكاء وتعلق واتصال ومقابلة
ومدابرة وقصير وطويل ونور وظلمة وساكن ومتحرك وتماس ومباين وخارج
وداخل ولا معنى ياخذه الوهم ويقدره العقل لتعاليه عن ذلك ولا قوة الا بالله
قوله تعالى فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا الاية قال ابو بكر الاصم تجلى بالايات
والاعلام التي بها يعلم ذاته بطريق الضرورة على وجه لا يعترض به الشبهة لا رؤية
الذات وقد بينا نحن ان هذا التاويل فاسد بعيد عن الوهم لما قد اعطاه
من الايات والاعلام ما له غنية بها عن غيرها لا يحتاج الى غيرها وقال
الحسن ان موسى عليه السلام سال ربه الرؤية في غير وقت الرؤية فالحسن اقر
برؤية الله تعالى لكنه يقول انه سالها في الدنيا وبنية هذا العالم لا تحتمل ذلك
الا ترى انه قال فان استقر مكانه فسوف تراني اخبر ان الجبل لا يستقر له
فكيف تستقر انت لكنه بشارة في الاخرة بنية كل مسلم على وجه تحتمل ذلك وقال
لذلك قال موسى سبحانك تبت اليك وانا اول المومنين بان ليس في الدنيا الرؤية الى نحو
هذا يذهب الحسن ولكن عندنا الرؤية جائزة في الدنيا مع هذه البنية اذ له قدرة
ان يجعلها محتملة لها لكن وعد في الاخرة دون الدنيا تخفيفا للامتحان وقال
اهل التاويل تجلى ربه للجبل اي ظهر فراه من غير كيفية بعد ما احدث الله
تعالى فيه الحيوة وما به يبصر البصر لكن لا نفهم من ظهوره ما نفهم من ظهور الخلق على ما
ذكرنا في قوله ثم استوى على العرش وقوله وجاء ربك وغيره من الايات لا
يقدر استواءه باستواء الخلق ولا مجيئه بمجيء الخلق فعلى ذلك ظهوره وبالله العصمة
وروي انه في التورية ان الله جاء من طور سيناء وظهر من جبل ساعورا واطلع
من جبل فاران وتاويله اي جاء وحيه على موسى في طور سيناء وظهر على عيسى

في جبل ساعورا واطلع على محمد في جبل فاران اي جبال مكة فان قيل كيف
اجترا موسى على هذا السوال فقال رب ارني انظر اليك فهذا امر عجيب
قيل يحتمل هذا اوجها احدها يحتمل ان الله تعالى امره بهذا السوال
ليعلم انه قد يرى وليعتقد ذلك ويحتمل انه سال على الاستدلال بمثله فانه
لما راى انه اعطاه اشياء لا يكون مثلها في الدنيا انما يكون في الاخرة نحو ما خص
من انفجار العيون من الحجر من غير مونة تكون لهم في ذلك من حفر الانهار
واصلاحها ونحو ما اعطاهم من اللباس كان ينمى ويزداد على قدر قاماتهم وطولهم
ومن نحو ما اعطاهم من المن والسلوى على غير مونة ولا جهد وذلك كله وصف
الجنة فلما راى ذلك ظن على ان الرؤية تكون في الدنيا ايضا له وان لم يكن لاحد فيها
على ما كانت له من اشياء لم يكن مثلها لاحد في الدنيا ومثل هذا الاستدلال
غير مستبعد في العقول ويحتمل انه لما راى لنفسه محل سمع كلام ربه والتقى في
مسامعه كلامه لا من مكان ولا من قريب ولا بعيد ولا من اسفل ولا من اعلى
ولا من تحت ولا من فوق ولكن اسمعه بما شاء كيف شاء بلطفه فعلى ذلك ظن
انه يجوز له ان يسال ربه الرؤية فيراه بما شاء كيف شاء بلطفه والله اعلم
قوله تعالى قال يا موسى اني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي
سمى الله تعالى موسى وسائر الانبياء باسماء الجوهر من نحو موسى وعيسى
ونوح وابراهيم واسماعيل واسحاق وسمى نبينا نبيا ورسولا وذلك يدل
على تفضيله عليهم وكذلك سمى سائر الامم المتقدمة بني اسرائيل وبني آدم وسمى
امة محمد باسم الايمان وما هو من اسماء الشرف والفضيلة وقال يا ايها الذين
آمنوا وقال كنتم خير امة ونحوه فذلك يدل ايضا على تفضيل امته على سائر
الامم والله اعلم ثم قوله اني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي اي
اخترتك وفضلتك على الناس كافة الانبياء وغيرهم برسالاتي وبكلامي لان تعالى
لم يكلم احدا من الرسل الا بسفير سوى موسى فانه كلمه ولم يكن بينهما سفير
والاشكال على هذا من وجهين احدهما انه ذكر انه فضله واصطفاه على الناس
بالرسالة وليس لبعض الرسل على البعض تفضيل في الرسالة اذ كانوا مبعوثين
الى كافة الخلق انما اذا كان رسول الى قوم خاص فهو دون المبعوث الى البشر
كلهم في المنزلة وغير موسى من الرسل كانوا مبعوثين الى الخلق كلهم فكيف يكون

مصطفًا على الناس كلهم والثاني ان سائر الانبياء سواه ان لم يكن مخصوصًا بالكلام
بلا واسطة فنبينا كان مكرمًا بالكلام بلا واسطة ليلة المعراج فكيف يكون هذا
فنقول معنى قوله على الناس اي على ناس زمانه واهله خاصة لا جنس الناس
كلهم وهو كقوله في قوم موسى واني فضلتكم على العالمين وهو امة محمد افضل الامم كما انه
افضل الانبياء لكن المراد على عالمي زمانهم فكذا هذا او هو كان افضل ناس زمانه
على سائر الناس بالكلام وبالرسالة وكذا على الانبياء في زمانه ايضًا من هارون وغيره
بالرسالة لانه هو الاصل وهارون كان لوزير له والردء كما قال واجعل لي
وزيرًا من اهلي هارون اخي الآية وعلى الانبياء ايضًا بالكلام لانه لم يكلمهم الا بالوحي
وكلمه لا بواسطة والله اعلم ثم على قول المعتزلة لا يكون الله تعالى مصطفيًا غير موسى ولا غيره
من الانبياء ولكن رسولًا هم الذين اصطفوا انفسهم لانهم يقولون ان الله تعالى لا يرسل
رسولًا الا وهو ليستحق الرسالة بسبب ما اتى من الاعمال الصالحة لله وتطهير
نفسه عن الشهوات وتصفيتها عن الشوائب لان الله تعالى يعطيه الرسالة ابتداء
وهو فاسد اذ لو كان طريق الرسالة الاستحقاق بسبب العمل لا الافضال
والاحسان لم يكن للامتنان من الله معنى وقد من عليه بقوله اني اصطفيتك وقال
وانهم عندنا لمن المصطفين الاخيار فدل ان طريقه الافضال والاحسان دون
الاستحقاق قوله تعالى فخذ ما آتيتك يخرج على وجهين احدهما الاخذ بمعنى
القبول اي اقبل ما اعطيتكم وهو كقوله خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وقوله وهو
الذي يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات اي يقبل ويحتمل قوله فخذ
ما آتيتك اي اعمل بما آتيتك باحسن العمل قوله تعالى وكن من الشاكرين
اي النعمة التي انعمها عليك من التكليم والرسالة وغير هذا من النعم والله اعلم
قوله تعالى وكتبنا له في الالواح من كل شيء يحتمل وجهين احدهما انه اضاف
ذلك الى نفسه لما تولى كتابتها الملائكة البررة الكرام واضاف ذلك الى نفسه
تفضيلًا لهم وتعظيمًا لهم على ما ذكر في الكتاب في غير موضع من نحو قوله
فنفخنا فيه من روحنا وقوله من يطع الرسول فقد اطاع الله اخبر ان طاعة
الرسول طاعة له وغير ذلك فكذلك هذا والله اعلم والثاني يحتمل انه اضاف ذلك
الى نفسه لما ان ما كان ويكون الى يوم القيمة انما يكون بتكوينه الازلي ليكون في
الاوقات التي اراد ان يكون فيها وذلك قوله انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول

له كن فيكون فعلى ذلك كتبه تلك الالواح تحت ذلك التكوين وان كان اضاف
بعض تلك الاشياء الى نفسه بطريق الخصوص نحو قوله جعل لكم الليل والنهار
وقوله وجعل لكم السمع والابصار وقوله وانزل لكم من السماء ونحو ذلك وكان ذلك
كله تحت قوله كن فكان على ما اراد ان يكون في الاوقات التي اراد كونها فيه والله اعلم
ثم قوله من كل شيء يحتمل ما يقع للعباد الحاجة اليه ويحتمل من امره ونهيه وحلاله وحرامه
قوله تعالى موعظة قال الموعظة هي التي تحمل القلوب على القبول
والجوارح على العمل وقال بعضهم الموعظة هي التي تنهى عما لا يحل وقال
ابو بكر الجوزجاني الموعظة هي التي تلين القلوب القاسية وتدمع العيون
الجامدة وتصلح الاعمال المفسدة وعندنا الموعظة هي التي تذكر العواقب وتحمل
على العمل لها والله اعلم قوله تعالى وتفصيلًا لكل شيء قيل تفصيلًا لما
امروا به ونهوا عنه وقيل بيانًا لكل ما يحتاج اليه قوله تعالى فخذها بقوة
يحتمل وجهين اي اقبل او اعمل بما فيها على ما ذكرنا في قوله فخذ ما آتيتك وقوله
بقوة قال اهل التاويل اي بجد ومواظبة ولكن يمكن اجراء الآية على حقيقة
القوة المعروفة ثم المعتزلة استدلوا بقوله فخذها بقوة على ان القوة تتقدم
الامر بالاخذ ولكن لا حجة لهم فيها بل هي حجة عليهم لانه امر بالاخذ بالقوة فيدل على
ان القوة للاخذ لا على التقدم وعلى قولهم لا يكون احد اخذا بقوة لانهم يقولون ان القوة
تكون قبل الفعل ثم يقولون انها لا تبقى وقتين فيكون في الحاصل لو كانت
القوة قبل الفعل وانها لا تبقى وقت الفعل فيكون اخذا بغير قوة فدل ان القوة
مع الفعل وبالله التوفيق قوله تعالى وامر قومك يأخذوا باحسنها
يحتمل قوله يأخذوا ما ذكرنا من الوجهين القبول او العمل اي مرهم يقبلوا باحسن
القبول او يعملوا باحسنها ثم يحتمل قوله باحسنها ما قال بعض اهل التاويل باحسن
ما فيها من الامر والنهي والحلال والحرام ويحتمل بما هو احكم واتقن ويحتمل
باحسن ما عمل بها الاولون اذ فيه اخبار عن الاولين قوله تعالى سأريكم دار
الفاسقين قال بعض اهل التاويل قال ذلك لبني اسرائيل سأريكم دار الفاسقين
يعني سنة الفاسقين وهي الاهلاك الذي هو سنة الله فيهم كقوله فقد مضت سنة
الاولين وسنته في اهل الكفر والفسق منهم الاهلاك والاستيصال وقال ابن
عباس رضي الله عنهما سأريكم دار الفاسقين جهنم وامكن ان يكون الخطاب للفسقة

اي سأريكم يا اهل الفسق دار الفاسقين قوله تعالى ساصرف عن اياتي
الذين يتكبرون بغير الحق قوله ساصرف عن آيات يحتمل وجهين احدهما اي
ساصرف عن قبولها والتصديق بها اذا لم يستقبلوها بالتعظيم لها بل استهزؤا
١٢٥ بها واستخفوا على علم منهم انها آيات من الله وحججه والثاني اي ساصرف
عن وجود الطعن والقدح فيها والكيد لها ثم ان كل واحد من هذين الوجهين
يتوجه الى وجهين اما احد وجهي الاول ما قال الحسن ان للكفر حدا اذا بلغ
الكافر ذلك الحد يطبع عليه فلا يقبل ولا يصدق آياته بعد ذلك والثاني انهم
كانوا يعبثون في آياته ويكابرونه في ردها مع علمهم انها آيات وحجج عن الله تعالى
فاذا تعنتوا اصرفهم عن قبولها وتصديقها وهو كقوله ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم
وقوله فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم اي خلق منهم فعل الانصراف وفعل الزيغ وهكذا
كل من يختار عداوة الله فالله تعالى لا يختار له ولايته ولكن يختار له ما اختار
هو واما احد الوجه الثاني اي ساصرف عن وجود الطعن والقبح وذلك لان الله
تعالى جعل للرسل والانبياء اضدادا من كبراء الكفرة وعظمائهم وكانوا يطعنون
في الايات ويقدحون فيها فاخبرهم الله انه يصرفهم عن وجود الطعن فيها والقدح
اي لا يجدون فيها مطعنا ولا قدحا حقيقة وان كانوا يقولون بلسانهم والثاني
اي ساصرف عن آيات الاهلاك والابطال بل هم المهلكون والايات هي الباقية
ثم اياته قال الحسن اي دينه وتاويله ما ذكرنا انهم اذا بلغوا ذلك الحد صرفهم
عن الدين الحق وقال غيره حججه وبراهينه قوله تعالى الذين يتكبرون
في الارض بغير الحق اي الذين كانوا يتكبرون على الرسل بما لم يروا منهم امثالا
لانفسهم واشكالا وكذا كل من تكبر على آخر انما كان لم يره مثلا لنفسه ولا شكلا
ويحتمل انه يرى لنفسه حقا عليه فيتكبر واذا كان التكبر لهذا فالخلق كلهم
اكفاء بعضهم لبعض لانهم امثال واشكال وفيهم العيوب والحاجات فلا ينبغي لاحد
التكبر على احد وانما الكبرياء لله وله يليق لما لا مثل له ولا شكل وهو منزه عن العيوب
كلها والحاجات لذلك كان هو الموصوف بالكبرياء والعظمة وقوله بغير الحق اي ليسوا
باهل الكبر ولا لهم استحقاق ذلك قوله تعالى وان يروا كل آية لا يؤمنوا
بها يحتمل ان يكون قوله يروا اي وان يعلموا انه آية لا يؤمنوا بها ابدا هذا في قوم
علم الله انهم لا يؤمنون ابدا قوله تعالى وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه

سبيلا

سبيلا قوله تعالى ذلك بانهم كذبوا باياتنا يحتمل قوله ذلك اي الصرف
الذي ذكر عن آياته انما كان في حقهم لما كذبوا الايات بعد علمهم انها آيات الله
قوله تعالى وكانوا عنها غافلين اي غفلة العناد والاعراض لا غفلة
١٢٦ الجهل والسهو قوله تعالى والذين كذبوا باياتنا ولقاء الاخرة اي الذين
كذبوا بالايات والبعث بعد الموت قوله تعالى حبطت اعمالهم يحتمل وجهين
يحتمل انهم كانوا مؤمنين من قبل فكذبوا الايات وكفروا بها فحبطت
اعمالهم التي كانت لهم في حال الايمان وبطلت ويحتمل حبطت اعمالهم اي المعروف
الذي كانوا يفعلون في حال الكفر من نحو صلة الرحم والصدقات وغير ذلك
من الخيرات التي هي من باب الاحسان والمعروف فحبط ثواب ذلك كله
اذا لم ياتوا بالايمان اي لم يجعل لذلك ثوابا لعدم الايمان والله اعلم قوله تعالى
هل يجزون الا ما كانوا يعملون اي ما يجزون الا ما كانوا يعملون من الاستهزاء
بالايات والاستخفاف قوله تعالى واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم
عجلا جسدا له خوار قد ذكرنا كيفية اتخاذهم العجل في سورة طه في قوله فاخرج
لهم عجلا جسدا له خوار فقالوا هذا الهكم واله موسى الاية ووصف الله تعالى قوم
موسى بعضهم بالهداية والعدالة واتباع الحق بقوله ومن قوم موسى امة يهدون
بالحق وبه يعدلون ووصف بعضهم بالسفاهة وقلة الفهم والضعف في الدين
كما اخبر عنهم بقوله قالوا يا موسى اجعل لنا الها كما لهم الهة وقال ههنا انهم اتخذوا
العجل الها عبدوه ذكر هذا والله اعلم ليتنظروا في آياته وحججه وليتفكروا في نعمه
ويؤدوا شكرها ويتدبروا في آياته وحججه ليتبعوها ولا يضيعوها على ما صنع قوم موسى وقوله
من بعده اي من بعد مفارقة موسى قومه وقوله من حليهم وقال في موضع آخر
اوزارا من زينة القوم وكانت تلك الحلي عارية عندهم من قوم فرعون بقوله
اوزارا من زينة القوم اضاف الى قوم فرعون واضاف ههنا الى قوم موسى
بقوله من حليهم فدل ان العارية يجوز ان تنسب الى المستعير وفيه دلالة
لقول اصحابنا رحمهم الله فيمن حلف لا يدخل دار فلان فدخل دارا عارية عنده
حيث وقوله عجلا جسدا له خوار قال بعضهم صورته كانت صورة عجل ولم يكن عجلا
في جوهره وقيل الجسد الذي لا تدبير له ولا تمييز ولا بيان الا ترى الى قوله
الم يروا انه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا لسفه احلامهم حيث عبدوا من لا تدبير لهم

ولا كلام يعتبر به او دعاء واختاروا الهية من وصفه ما ذكر وقوله له خوار قيل
ان السامري كان اخذ قبضة من اثر الرسول والقى تلك القبضة في الحلي التي القوها
في النار فصارت شبه عجل له خوار وقال بعضهم صاغ من تلك الحلي عجلا فنفخ فيه
من تلك القبضة فخار خوارا وقال بعضهم ان السامري كان هيا ذلك العجل
الذي اتخذه بحال حتى اذا مسه وحركه خار وقال بعضهم كان وضعه في مهب الريح
فيدخل الريح في دبره ويخرج من فيه فيخور عند ذلك والله اعلم قوله تعالى الم يروا
انه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا ذكر ههنا هكذا وذكر في سورة طه ولا يملك لهم ضرا
ولا نفعا منعهم عن عبادته وعيرهم بها بما ذكر انه لا يكلمهم ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا
وليس فيه انه ان كان يكلمهم او يملك لهم ضرا ونفعا يجوز ان يعبد فدل بهذه الآية
ان حظر الحكم في حال لا يوجب اباحة ذلك في حال اخرى وفيه ان امتناع العلة
عن اطرادها يوجب نقضها وان اطرادها في الابتداء في معلولاتها لم يدل على
صحتها قوله تعالى اتخذوه اي اتخذوه الها عبدوه وكانوا ظالمين في عبادتهم
العجل لانهم وضعوا العبادة في غير موضعها والالهية غير مستحقها وبالله التوفيق
قوله تعالى ولما سقط في ايديهم هذا حرف يستعمله العرب عند وقوع الندامة
وحلولها وتاويله لما راوا انهم قد ضلوا اسقط في ايديهم اي ندموا على ما كان منهم
قوله تعالى قالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا اي لئن لم يرحمنا ربنا ويوفقنا
الهداية والعبادة له ويغفر لنا ما كان منا من عبادة العجل والافراط في العصيان
لنكونن من الخاسرين ويحتمل قوله لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا ابتداء سبب الرحمة والمغفرة
كقوله ويا قوم استغفروا ربكم الآية ثم في قوله الم يروا انه لا يكلمهم ولا يهديهم
بعد قوله خوار دلالة ان الكلام ما يفهم منه المراد ليست الحروف لنفسها
لانه اخبر ان له خوارا ثم اخبر انه كان لا يكلمهم دل ان الصوت وان كان له هجاء
وحروف ليس بكلام وذلك دليل لقول اصحابنا فيمن حلف ان لا يكلم فلانا ثم
خاطبه بشيء لا يفهم مراده اصلا ان ذلك ليس بكلام ولا يحنث في يمينه والله اعلم
قوله تعالى ولما رجع موسى الى قومه غضبان اسفا الاسف هو النهاية في الحزن
والغضب كقوله يا اسفا على يوسف وقوله فلما اسفونا انتقمنا منهم اي اغضبونا لكن
الغضب على من دونه والاسف والحزن على من فوقه وقوله غضبان اي غضبان
لله تعالى على قومه لعبادتهم العجل من العقوبة وهكذا الواجب على من راى منكرا ان يغضب لله تعالى

على مرتكب ذلك المنكر ويأسف عليه لما يلحقه من العقوبة بذلك الهلاك رحمة منه
له ورأفة عليه ويلزم الشكر لربه لما عصمه عن مثله وكذلك وصف رسوله بالاسف
والحزن لتكذيبهم لعلك باخع نفسك الا يكونوا مومنين وقال فلا تذهب نفسك عليهم
حسرات ذكر هذه القصة لنا لنعرف ان كيف نعامل باهل المناكير وقت ارتكابهم
لها والله اعلم قوله تعالى بئسما خلفتموني من بعدي يخرج هذا على وجهين
احدهما اي بئس ما اخترتم من عبادتكم العجل على عبادة الله والثاني بئس ما
خلفتموني في اتباعكم السامري الى ما دعاكم اليه بعد اتباعكم اياي واخي رسول الله
وما امركم به ودعاكم الى عبادة الله والله اعلم وقوله اعجلتم امر ربكم اختلف في
تاويله قال بعضهم اعجلتم ميعاد ربكم كقوله الم يعدكم ربكم وعدا حسنا اي اعجلتم
الوعد الحسن الذي وعدكم ربكم وهو قوله واذ واعدنا موسى اربعين ليلة
وقال اخرون اي اعجلتم امر ربكم اي عذاب ربكم وغضبه بعبادتكم العجل واتخاذكم
اياه الها وقد سمى الله تعالى في غير موضع من القرآن العذاب باسم الامر
كقوله اتى امر الله وقوله حتى جاء امر الله ونحو ذلك قوله تعالى والقى
الالواح قال اكثر اهل التاويل القى الالواح اي طرحها على الارض غضبا منه فرفع
منها كذا كذا لوحا ولكن لا يجوز ان يفهم من قوله والقى الالواح طرحها لا غير الا ترى
ان الله تعالى قال والقى في الارض رواسي ان تميد بكم ليس يفهم منه الطرح
انما فهم منه الوضع فعلى ذلك قوله والقى الالواح اي وضع لانه اخذ براس اخيه
ولحيته اعني راس اخيه هارون ولا سبيل له الى ان ياخذ راسه ولحيته
والالواح في يديه فوضعها على الارض ثم اخذ راسه ولحيته يجره الى نفسه على ما
ذكر في سورة طه حيث قال يا ابن ام لا تاخذ بلحيتي ولا براسي دل ان المراد
منه الوضع فيجب الحمل عليه تنزيها للرسول عن الاستخفاف بكتاب الله على ما قالوا
من الطرح والله الموفق قوله تعالى واخذ براس اخيه يجره اليه وقال
في سورة طه خبرا عن هارون حيث قال لموسى بقوله يا ابن ام لا تاخذ بلحيتي
ولا براسي فدل انه كان اخذ بلحيته وراسه جميعا لشدة غضبه لله على صنيع قومه
وفي الآية دلالة العمل بالاجتهاد لانه قال لا تاخذ بلحيتي ولا براسي ولا يحتمل ان يكون
موسى ياخذ راسه بالامر والوحي من الله تعالى ثم يقول له هارون لا تاخذ كذا
ولا تفعل كذا دل انه علم انه فعل ذلك بالاجتهاد لانه قال لا تاخذ بلحيتي ولا براسي

ولا يحتمل ان يكون موسى ياخذ راسه بالامر والوحي من الله تعالى ثم يقول له هارون
لا تاخذ كذا ولا تفعل كذا دل انه علم انه فعل ذلك بالاجتهاد يحقق ما قلنا ان هارون
قال اني خشيت ان تقول فرقت بين بني اسرائيل ولم ترقب قولي اعتذر اليه ولو كان
يقول له موسى بالوحي لم يكن ليعتذر اليه وكذا قال فلا تشمت بي الاعدا ولو كان ما يفعل
يفعل عن وحي لم يقل هذا دل ان الاجتهاد سائغ العمل به وفي قوله واخذ براس اخيه
يجره اليه دلالة انه انما اخذ شعر راسه لانه لو كان اخذ راسه لكان لا يحتاج الى ان
يجره اليه دل انه كان اخذ شعر راسه ودل على ذلك قوله لا تاخذ بلحيتي ولا براسي
وفيه دلالة لاصحابنا ان من مسح راسه ثم ازال شعره لم يسقط عنه حكم المسح واذا مسح
على لحيته ثم سقط زال عنه حكمه ولزم غسل دقنه لما سمي الشعر راسا وسمي اللحية لحية
لا دقنا والله اعلم وقوله قال يا ابن امي ان القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني خرج
هذا اصله قول موسى لهارون لما قال له يا هارون ما منعك اذ رايتهم ضلوا الا تتبعني
افعصيت امري فقال عند ذلك يا ابن امي ان القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني فلا
تشمت بي الاعدا ولا تجعلني مع القوم الظالمين قوله تعالى قال رب اغفر
لي ولاخي قال بعضهم انما خص اخاه بسوال المغفرة لانهم جميعا قد عبدوا العجل سوى
اخيه هارون لذلك خصه بسوال المغفرة له وقال بعضهم انما قال جوابا لما قال له
هارون فلا تشمت بي الاعدا الاية ويحتمل انه انما خصه بالسوال له بالمغفرة
من الله تعالى لانه سال ربه ان يجعل هارون له وزيرا بقوله واجعل لي وزيرا
من اهلي هارون اخي اشدد به ازري واشركه في امري لما سال ربه ان يشركه
في امره ويشد به ازره سال ربه المغفرة له لهذا والله اعلم وقوله وانت ارحم
الراحمين لان كل من يرحم دونه فانما يرحم برحمته قوله تعالى وقوله ان الذين
اتخذوا العجل اي عبدوا العجل سينالهم غضب من ربهم وذلة في الحيوة الدنيا قال
بعضهم غضب من ربهم العذاب في الاخرة لمن مات منهم على ذلك وذلة في الحيوة
الدنيا القتل والهلاك في الدنيا وقال بعضهم غضب ربهم القتل والهلاك في الدنيا
وذلة في الحيوة الدنيا الخزية والاسترقاق والاسر والقهر ويحتمل قوله وذلة
في الحيوة الدنيا ذكر الذم لصنيعهم وثنا السو على ما كان يصنع الخير المحمود في الدنيا وثنا
الحسن والله اعلم قوله تعالى وكذلك نجزي المفترين اي كذلك نجزي كل
مفتر على الله ثم قوله سينالهم غضب من ربهم يحتمل وجهين احدها ان قد نالهم غضب

من ربهم يحتمل وجهين احدها وما ذكر والثاني ان يكون هذا مذكورا في كتبهم ان من
اتخذ العجل معبودا سينالهم غضب من ربهم فان كان هذا اخبارا عما في كتبهم فسينالهم
على الوعد صحيح والاول على الخبر ان قد نالهم والله اعلم قوله تعالى والذين
عملوا السيات ثم تابوا من بعدها وامنوا قال اهل التاويل والذين يعني الذين
عبدوا العجل ثم تابوا من بعدها وامنوا ان ربك من بعدها لغفور رحيم ولكن لا
معنى للتقييد بهم بل كل من عملوا السيات اية سيئة كانت اذا تاب عنها وندم
عليها وطلب من الله المغفرة غفر له والله اعلم قوله تعالى ولما سكت عن موسى
الغضب اي الغضب الذي غضب الله على قومه بعبادتهم العجل وقال ابو بكر الاصم
الغضب هو العقوبة واللعن ولا نصف الله تعالى بالغضب لانه في الحقيقة غليان
دم المرة ولكن نقول هو ارادة الانتقام قوله تعالى اخذ الالواح يعني الالواح
التي وضعها على الارض قوله تعالى وفي نسختها هدى ورحمة قال بعضهم
يعني في نسخة الالواح لما كانت انتسخت من اللوح المحفوظ وقال بعضهم وفي نسختها
اي الكتب التي انتسخها بنو اسرائيل من تلك الالواح وقوله هدى ورحمة
اي هدى من كل ضلالة وبيان من كل عمى وشبهه ورحمة من كل غضب وسخطة
قوله تعالى للذين هم لربهم يرهبون اي للذين يخشون ربهم فيعملون له
قوله تعالى واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا قال بعضهم قوله
لميقاتنا اي لتمام الموعدة التي وعده وهي الاربعون الذي وعد ولكن لا ندري
ما ذلك الميقات الذي ذكر وقوله واختار موسى قومه سبعين رجلا
اختلف في تاويل ذلك قال بعضهم اي السبعين الذين اختارهم موسى ليكونوا
مع هارون فعبد العجل في اتيانهم فلم ينكروا ولم يغيروا ذلك ولم يعبدوا العجل بانفسهم
فاخذتهم الرجفة وقال الحسن انهم قد عبدوا العجل جميعا الا هارون فالرجفة التي اخذتهم
انما اخذتهم عقوبة لما عبدوا العجل ويحتمل ان يكون موسى اختار السبعين ليخرجوا
معه فيكونوا شهداء له على انزال التورية عليه وكلام ربه وقيل هم الذين تركهم
في اصل الجبل فلما جاءهم موسى بالتورية قالوا لن نومن لك حتى نرى الله جهرة
فاخذتهم الصاعقة وهلكوا لقولهم ذلك وقيل اختارهم موسى ليتوبوا الى الله
مما عمل قومهم ولسنا ندري من اولئك السبعون الذين اختارهم موسى ولا حاجة
بنا الى معرفة ذلك والله اعلم قوله تعالى فلما اخذتهم الرجفة قال رب لو شئت

اهلكتهم من قبل واياي قال بعض اهل التاويل اي لو شيت امتهم واياي بقتل
القبطي وقال آخرون هو علي حقيقة الاهلاك اي لو شيت اهلكتهم وقوله واياي
على القدرة علي الاهلاك اي تقدر علي اهلاكي ولكن لا تهلكوا لما لم يكن منا ما تستحق
ذلك ويشبه ان يكون قوله لو شيت اهلكتهم واياي اهلاك فتنة اهلكتهم واياي من
قبل هذا ولا تهلك الآن لانه خاف ان ياتي قومه ويخبرهم انهم اهلكوا بسبب كذا
لم يصدقه قومه ويتهموه فيهم ويقولون انك قتلتهم علي ما ذكر في القصة انه خرج بهارون
الي بعض الجبال فمات هارون هنالك فاخبر قومه بذلك فقالوا انت قتلته فلذلك
قال هذا والله اعلم وقوله اتهلكنا بما فعل السفهاء منا يحتمل هذا وجوها يحتمل
ان يراد به التقدير والايجاب ويحتمل النفي ويحتمل الاستفهام اما التقدير
والايجاب كانه قال لك ان تهلكنا ابتداء اهلاك امتحانا وابتلاء لا تعذيبا بلا ذنب
الا ترى انه قال ان هي الا فتنتك والفتنة الابتلاء والامتحان ولك ان تهلك السفهاء
بما فعلوا واما على النفي فيكون معنى قوله اتهلكنا بما فعل السفهاء منا اي لا تفعل
ولا تهلكنا بما فعل السفهاء منا كما يقول الرجل لآخر اتفعل انت كذا على النفي اي لا تفعل
والله اعلم ويحتمل ان يكون على الاستفهام لكن لم يخرج له الجواب كقوله افمن هو قائم
على كل نفس بما كسبت وقوله ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا ونحوه مما لم يخرج له
جواب فعلى ذلك هذا انه يحتمل اهلاكه اياهم محنة بتفريط كان من بعضهم وان كان
بعضهم برآء من ذلك على ما كان من اهل المركز في حرب احد بسبب العصيان وحد
من البعض وكان الفشل والهزيمة عليهم محنة منه اياهم كقوله اذ تحسونهم باذنه
حتى اذا فشلتم وتنازعتم في الامر الى قوله ليبتليكم فعلى ذلك هذا والله اعلم وقوله
ان هي الا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء اي ما هي الا فتنتك قال ابو بكر
الاصم تضل بها من تشاء اي تنهى من تشاء نهيا لولا ذلك النهي لم يكن الفعل فعل الضلال
وتهدي من تشاء اي تامره امرا لولا ذلك الامر لم يكن الفعل فعل الاهتداء فكان
النهي سببا لصيرورة الفعل فعل الضلال والامر طريقا لصيرورة الفعل فعل
الاهتداء فكانت الاضافة للتسبيب ولكن هذا فاسد لانه ترك العمل بالحقيقة ولان
النهي عن فعل الضلال والامر بالاهتداء من باب الحكمة فكيف يدخل تحت المشية
وتاويله عندنا انه يخلق فعل الضلال ممن يعلم منه انه يختار ذلك ويخلق فعل
الهدى ممن يعلم انه يختار ذلك وهو خالق كل شيء واصل ذلك ان جميع ما يضاف

الى الله تعالى من الافعال على اختلاف الاضافة باختلاف وجوهها حقيقة ذلك
من الله خلق ما اضيف اليه من الوجه الذي يحق وصفه بانه خالقه فعلى ذلك
قوله يهدي ويضل ويحتمل توفيق والخذلان وبالله التوفيق وقوله تعالى
انت ولينا اي انت اولى بنا ويحتمل انت ولي هدايتنا او انت ولي نعمتنا فاغفر
لنا وارحمنا وانت خير الغافرين لان كل احد دونه انما يغفر برحمته وقوله
واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة يحتمل الكتابة الايجاب اي اوجب
لنا في هذه الدنيا حسنة ويحتمل الاثبات اي اثبت لنا واعطنا في هذه الدنيا
حسنة ويكون كقوله ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقال
بعضهم واكتب لنا اي وفقنا لعمل نستوجب به الحسنة في الدنيا والآخرة ويحتمل
حقيقة الكتابة اي اكتب لنا في الدنيا الحسنات ولا تكتب علينا السيئات والله اعلم
ويحتمل قوله واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة انهم انما سالوا
الرحمة ولذلك قال فساكتبها للذين يتقون اي يتقون معاصيه ومخالفته ثم
قوله في هذه الدنيا حسنة اي حسنة تختم بها الدنيا وتنقضي بها والامامين مسلم
الاول في هذه الدنيا حسنة ايتها اياه وعلى ذلك يخرج قوله ربنا آتنا في الدنيا
حسنة وفي الآخرة حسنة انهم انما سالوا حسنة يختمون عليها ويكون كقوله
من جاء بالحسنة فله عشر امثالها اي من جاء بالحسنة الى الآخرة ويختم
عليها والله اعلم وقوله انا هدنا اليك قال بعض اهل التاويل قوله هدنا اليك
اي ملنا اليك وقال غيرهم اي تبنا اليك ولذلك سمت اليهود انفسهم يهودا
ارادوا انهم تائبون الى الله لكن لو كان الامر كما ذكروا لكان قول الله ما كان
ابراهيم يهوديا اي ما كان ابراهيم تائبا وذلك بعيد لكن ان كانوا سموا انفسهم
يهودا لما ذكر يحتمل ان معنى قول الله ما كان ابراهيم يهوديا اي لم يكن ابراهيم
على المذهب الذي عليه اليهود وكذلك لم يكن على المذهب الذي عليه النصارى
ولكن كان حنيفا مسلما قوله تعالى قال عذابي اصيب به من اشاء ورحمتي
وسعت كل شيء قال الحسن شاء ان يصيب عذابه من كفر بالله وكذب رسله
وشاء ان يصيب رحمته من اطاع الله وصدق رسله ودل قوله عذابي اصيب به
من اشاء انه لما شاء ان يصيبهم عذابه شاء منهم العمل والفعل الذي كان به يصيبهم
العذاب لان حرف من انما يعبر به عن بني آدم ولا جائز ان يشاء لهم الايمان

ثم ليشاء لهم ان يصيبهم عذابه ولكن اذا علم منهم انهم لا يؤمنون ويختارون فعل الضلال
على فعل الهدى شاء لهم ما اختاروا ودل على ان افعال العباد كلها تحت مشيئة الله
خيرا كانت او شرا ثم قوله ورحمتي وسعت كل شيء اي ما من احد من مسلم
وكافر الا وعليه آثار رحمته في هذه الدنيا بها يتعيشون وبها يتراحمون وبها يتوادون
وفيها يتقلبون واما للمؤمنين الخصوص في الآخرة لا حظ للكافر فيها وذلك قوله
فساكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكوة اي الذين يتقون معصية الله ومخالفته
ويؤتون الزكوة وهو كقوله قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات
من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحيوة الدنيا خالصة يوم القيمة جعل طيبات
الدنيا ونعمها مشتركة بين المسلم والكافر وخالصة يوم القيامة للذين آمنوا لا حظ
للكافر فيها فعلى ذلك رحمته نالت كل احد في هذه الدنيا لكنها للذين آمنوا واتقوا
الشرك خاصة في الآخرة والله اعلم قوله تعالى ويؤتون الزكوة يحتمل
الزكوة المعروفة ويحتمل تزكية النفس كقوله قد افلح من زكيها ومعلوم انه لم يرد
به زكوة المال ولكن زكوة النفس بالتوحيد والتقوى وتطهيرها بذلك عن الشرك
والضلال وعلى هذا قوله ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من احد
ابدا هو هذه الزكوة لا الزكوة المعروفة زكوة المال فعلى ذلك الاول والله اعلم
على انه ان كان في الزكوة المعروفة فذلك في قوم ثقل عليهم واشتد اخراج
الزكاة من اموالهم كقوله وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكوة وهم بالآخرة
هم كافرون قوله تعالى والذين هم بآياتنا يؤمنون وقد ذكرنا في غير
موضع ان من آمن بآيات الله وصدقها فقد آمن بالله ورسله ومن كذب بآيات الله
وخالف رسله مخالفة اعتقاد لان طريق معرفة الله ورسله انما هو من طريق
الحجج والآيات ليس من طريق المحسوسات والله الموفق قوله تعالى الذين
يتبعون الرسول النبي الامي اي يقفون اثر الرسول في كل سيرته وفي كل
امره ونهيه ويطيعونه سماه رسولا ونبيا بقوله الرسول النبي والرسول
كانه المبعوث على تبليغ الرسالة والمامور بها على كل حال والنبي كانه المنبئ لهم اشياء
عند ما يسالونه ويستخبرونه والرسول هو المامور بالتبليغ سالوه او لم يسالوا
شاؤا او ابوا وكان لمحمد صلى الله عليه كلاهما التبليغ والانباء قال الله تعالى يا ايها الرسول
بلغ ما انزل اليك من ربك وقال ان عليك الا البلاغ قوله تعالى الامي الذي

يجدونه مكتوبا عندهم في التورية والانجيل الامي ما ذكر في آية اخرى وهي قوله
وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك وقوله الذي يجدونه
مكتوبا عندهم في التورية والانجيل انه رسول نبي وانه امي ثم الحكمة في جعله
اميا ما ذكر في قوله وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا
لارتاب المبطلون اي وما كنت تتلوا من قبله من كتاب لئلا يقولوا انك
اخذت هذا من الكتب المتقدمة ومن علومها وحكمها ولا تخطه بيمينك لئلا
يقولوا انه من تاليفك ويعلموا انه من عند الله جاء به لا من ذات نفسه
قوله تعالى يامرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر الى آخر ما ذكر دلالة
اثبات رسالته لان اولئك لم يؤمنوا بالتورية والانجيل فيقولون لا نجد
ما تذكر في التوريه والانجيل دل ذلك على انهم وجدوه كذلك قوله تعالى
ويحل لهم الطيبات اي ما احل لهم ويحرم عليهم الخبائث ما حرم الله عليهم يجدونه
في التوريه والانجيل مكتوبا عندهم انه لا يامر بشيء ولا ينهى عن شيء ولا يحل
شيئا ولا يحرم الا بامر الله اياه لكنهم ينكرونه انكار عناد ومكابرة وهو كقوله
يعرفونه كما يعرفون ابناءهم ويحتمل قوله يامرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر
اي يامرهم بما هو معروف في العقل وشهادة الخلقة وهو التوحيد وكذلك
ينهاهم عما هو في العقل وشهادة الخلقة منكر وهو الكفر وجميع المعاصي وقوله
ويحل لهم الطيبات اي يحل ما هو طيب في العقل والطبع ويحرم ما هو خبيث
في العقل والطبع جميعا لان من الاشياء ما هو مستخبث في الطبع لم يجعل
غذاء البشر فيه وانما جعل غذاوهم فيما هو مستطاب في الطبع بلغ غايته في الطيب
ولذلك جعل غذاء البهائم والانعام هذا المحتمل والله اعلم ثم المعروف والطيبات
ما لو تركت العقول والطباع على ما هي عليها لكان لا حاجة تقع الى الرسول
الذي يخبر ان هذا معروف وهذا طيب او خبيث او منكر ولكن تعرف العقول
والطباع ذلك كله او حسن ما ذكرنا يعرف بالعقل والطبع لكن اعترضت
للعقول شبهات فتمنعها عن معرفة ذلك واحتاجت الى رسول يخبر ذلك فيكون
ارسال الرسل في حق هذا القسم لتاكيد ما في العقول حسنه ولازالة الشبهات
عنها ليعرفها العقول والله اعلم قوله تعالى ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت
عليهم قيل الاصر ما غلظوا على انفسهم من الشدائد وقيل الاصر هو شدة العبادة والعمل

وقيل اصرهم عهدهم وقيل اصرهم اي الثقل الذي كان بنوا اسرايل
الزموه علي انفسهم وذلك كله متقارب وقال العتبي اصرهم اي ذنبهم
الذي كانوا يذنبون اي عقوبة الذنب الذي كانوا اذنبوا في الدنيا والاغلال
التي كانت عليهم وقال الحسن ان اليهود قالوا يد الله مغلولة اي محبوسة عن
عقوبتنا فقال تعالي غلت ايديهم ولعنوا بما قالوا اي غلت ايديهم الي اعناقهم في
النار فاخبر ان امة محمد لما امنوا به وصدقوه رفعت تلك الاغلال التي كانت عليهم
عن هذه الامة بطاعتهم رسوله وقيل الاغلال التي كانت عليهم الشدايد التي كانت
عليهم من نحو ما لا يجوز لهم العفو عن دم العمد ولا عن اخذ الدية وما لا يجوز غسل
النجاسات ولا يجوز الصلاة فيه الا بالقطع وغير ذلك من الاشيا التي لم تحلل
فاحلت لهذه الامة عليهم من نحو ما حرمت عليهم من اشيا بظلم كان منهم وتحريم
كقوله فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم الاية وقوله
وعلي الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر الاية حرم تلك الاشيا عليهم عقوبة
لبغيهم وظلمهم الذي كان منهم اخبر انه وضع ذلك عن هولا ولم يحرم مثل ذلك
عليهم وفي هذه الاية اثبات رسالة محمد صلي الله عليه لانه اخبر انه امي والامي
ما ذكر في قوله وما كنت تتلوا من قبله من كتاب الاية وكان لا يتلوا ولا
يخط بيده ثم اخبر علي ما كان في كتبهم من غير ان عرف ما في كتبهم او نظر فيها
او عرف لسانهم دل انه انما عرف ذلك بالله تعالي والله اعلم قوله تعالي
والذين امنوا به اي صدقوا محمد والله اعلم قوله تعالي وعزروه قيل
اعانوه باموالهم ونصروه بالسيف بايديهم وقال الحسن عزروه ونصروه
انما هو كلام مثني ومعناهما الاعانة وقيل عزروه اي اطاعوه ونصروه
اعانوه وقيل عزروه عظموه قوله تعالي واتبعوا النور الذي انزل
معه يعني القران سماه نورا لما يبين الاشيا عن حقايقها بالعقول
لان النور في الشاهد هو الذي يكشف عن الاشيا سواترها فعلي ذلك القران
هو نور لما يرفع الشبه عن القلوب ويكشف عن سواترها وقال بعضهم سمي
نورا لما ينير الاشيا ويعرف ما غاب بما شهد فيصير الغايب له كالشاهد
والله اعلم قوله تعالي قل يايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا فيه
دلالة ان رسول الله صلي الله عليه وسلم كان مبعوثا الي الناس كافة وكذلك

روي انه قال بعثت الي الاحمر والاسود وساير الانبيا عليهم السلام بعثوا
الي اقوام خاصة والي البلدان والقري المعروفة المحدودة وان كان
منهم مبعوثا الي الناس كافة مثل نوح وغيره فلم يكن غيره مبعوثا الي
الثقلين الانس والجن جميعا وفي الاية ان الله تعالي لما خاطبه ان تقول
للناس اني رسول الله اليكم وانه لا سبيل له الي ان يخاطب الناس جميعا
بنفسه فيقول اني رسول الله اليكم ولكن انما يكون ذلك ببعث الرسل اليهم
فيقولون انه رسول الله اليكم فانتشر ذكره بتبليغ الرسل اليهم وصار بذلك
مبلغا حين قال الا هل بلغت فدل ان تبليغ الرسل كتبليغ المرسل بنفسه
وان خبر الواحد حجة اذ كان يبلغ برسل الاحاد من الرسل الي الافاق
والله اعلم ويحتمل ان الله تعالي سخر الخلق حتي بلغ بعضهم بعضا رسالته حتي
فشي خبره وانتشر ذكره في جميع افاق الارض شرقا وغربا كانه بلغ بنفسه
وذلك من عظيم ايات نبوته ورسالته ثم بين انه رسول من فقال الذي
له ملك السموات والارض لا اله الا هو يحيي ويميت اي رسول الذي له
ملك السموات والارض وهو الواحد الذي لا شريك معه الذي يتفرد
بالاحيا والاماتة ذكر تخصيص السموات والارض بالملك وان كان له
ملك الكل لما هما النهاية في ملك البشر عند البشر ويحتمل انه ذكر هذا
ليعلموا ان التدبير فيهما جميعا لواحد حيث اتصل منافع السما بمنافع الارض
علي بعد ما بينهما وقوله لا اله الا هو ذكر هذا لان العرب كانت تسمي كل معبود
الها وكانت تعبد الاصنام دونه وسمتها الهة فنفي الالوهية عما يعبد ونه
دونه واثبتها لنفسه واخبر انه المستحق لاسم الالوهية والعبادة لا غير
لانه يحيي ويميت ومن دونه من الذي يعبدون لا يملك الاحيا والاماتة
وذكر الحيوة والموت والله اعلم لانه ليس شي الذ واشهي في الشاهد من الحيوة
ولا امر واشد من الموت ليرغبوا الي الذي ما غاب عنهم وينفروا عن الامر
والاكره بما غاب عنهم والله اعلم ويحتمل انه ذكر انه يحيي ويميت ليدل انه فعل
واحد لا عدد والله اعلم قوله تعالي فامنوا بالله ورسوله النبي الامي الذي
يومن بالله كان صلي الله عليه وسلم هو السابق الي كل خير فعلي ذلك دعا الخلق اليه
وهو كقوله وانا اول المسلمين فعلي ذلك انما امر بالايمان بالله وكلماته بعد ما امن

هو ويحتمل ان يكون قوله يؤمن بالله وكلماته اي آمن رسول الله بالله وكلماته التي كانت
في الكتب الماضية فاخبرها علي ما في كتبهم ليعرفوا انه انما عرفها بالله تعالى
قوله تعالى وكلماته قالت عامة اهل التاويل وكلماته القرآن وذكر في بعض
القراآة وكلمته بلا الف وصرفوا تاويلها الي عيسى لما سمي كلمة الله بقوله
وكلمته القاها الي مريم الآية كانه قال فآمنوا بالله ومحمد وبعيسى ويحتمل
ان يكون قوله وكلماته ما اعطاه من الحلال والحرام والامر والنهي والحكمة والاحكام
التي امر بها وشرعها لنا علي ما ذكر في ابراهيم انه ابتلاه بكلمات فاتمهن والله اعلم
قوله تعالى واتبعوه لعلكم تهتدون قد ذكرنا الاتباع له فاذا اتبعوه اهتدوا
في الآية بيان كرامات امة محمد بين انه اكرمهم بالطاعة لرسولهم والخضوع له
والتعظيم له حتى لم يخطر ببال احد الخلاف له بعد ما اتبعه وآمن به وما اكرمهم
ايضا من الفهم والفقه والحكمة حتى ذكر في الحديث كانهم من الفقه انبياء وقوم
موسى عليه السلام وغيرهم من الامم لم يكونوا امثالهم فان قوم موسى قد خالفوه
في اشياء امرهم بها وما اخبر منهم من افعال الجهال والله اعلم قوله تعالى
ومن قوم موسى امة يهدون بالحق وبه يعدلون قيل امة يدعون الي
سبيل الحق وبه يعملون وهو كقوله ادع الي سبيل ربك بالحكمة الآية فعلى
ذلك يحتمل الاول على اضمار الدعاء الي سبيل الحق وقال الحسن يهدون بالحق
اي يعملون بالحق وبه يعدلون فيما بينهم لكن الاول اقرب والله اعلم ثم قوله ومن
قوم موسى يحتمل انه اراد اشراف قوم موسى وعلماءهم الذين كانوا في زمنه
يدعون الناس الي الايمان والحق ويحتمل ان يكون الامة من قوم موسى في
زمن رسولنا من بقية قوم موسى وقطعناهم اثنتي عشرة اسباطا امما قال
ابن عباس رضي الله عنهما هو ما ذكر في قوله وقطعناهم في الارض امما يعني جماعة
وقيل وقطعناهم في الارض امما اي جعلنا بني اسرائيل قوم موسى اثنتي عشرة
فرقة وقيل قطعناهم اثنتي عشرة اسباطا امما اي جاوزنا بهم البحر كقوله
وجاوزنا ببني اسرائيل البحر قال ابو عوسجة الاسباط الافخاذ والسبط
واحد وقال القتبي الاسباط القبائل واحدها سبط وقيل الفخذ دون
القبيلة وقيل الاسباط لهم كالقبائل للعرب وقيل سبط الرجل ولد ولده
علي ما روي في الحديث ان الحسن والحسين سبطا رسول الله وقيل ان اولاد

اسحاق تسمى اسباطا واولاد اسماعيل قبائل وافخاذا وكذلك في العرب
يقال قبيلة كذا وفخذ كذا ولسنا ندري حقيقة ذلك والله اعلم
قوله تعالى واوحينا الي موسى اذ استسقاه قومه ان اضرب
بعصاك الحجر قيل دل قوله اذ استسقاه قومه انهم كانوا في المفازة
لا في البلدان والقرى لانهم لو كانوا فيها وان الامصار والقرى لا تخلو من
انهار تجري او عيون لما استسقاه قومه والاثر انه قال وظللنا عليهم الغمام
دل انهم كانوا في المفازة دون البنيان لان هنالك تقع الحاجة الي الغمام للاظلال
فاما في العمران فلا والله اعلم قوله تعالى فانبجست منه اثنتا عشرة عينا قال بعضهم
انفجرت علي ما ذكر في سورة اخرى فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا وقيل ان هذه الكلمة
بلسانهم لا بلسان العرب قوله تعالى قد علم كل اناس مشربهم قال بعضهم تعبدهم الله
تعالى بمعرفة كل منهم مشربه ليلا يتجاوزون عنه الي مشرب صاحبه وكانوا مكلفين
بذلك بطريق الابتلاء والامتحان وقال بعضهم انما كان ليلا يزدحموا في ذلك فيفضي
بهم الي التنازع والاختلاف وذلك سبب التقابل والتفاني وكذلك يبقى في اولادهم
ذلك والله اعلم قوله تعالى وظللنا عليهم الغمام وانزلنا عليهم المن والسلوى فيه
ان جميع مؤنهم كان من السماء بلا مؤنة ولا تعب علي انفسهم قوله تعالى كلوا من طيبات
ما رزقناكم ما ذكر من المن والسلوى وغير ذلك قوله تعالى وما ظلمونا
ولكن كانوا انفسهم يظلمون لا احد يقصد قصد ظلم الله ولكن اذا تعدى واحد حدود الله التي
جعلها لهم وجاوزها فقد ظلم نفسه لما يرجع ضرر ذلك التعدي اليهم وهذه
النعم التي ذكرها الله انما جعلها لهم في حال العقوبة والابتلاء من المن والسلوى
والعيون والغمام فيدل هذا علي ان عقوبات الدنيا قد يشوبها نعمه ولذة وكذلك
لذات الدنيا قد يمازجها شدائد وهموم فاما تخلص وتصفو هذه النعم في الآخرة
وكذلك العقوبة هنالك تخلص وتفارق اللذات قوله تعالى واذ قيل لهم
اسكنوا هذه القرية بيت المقدس ويحتمل ان يكون القرية التي ذكر هاهنا هي الارض
التي ذكرت في سورة المائدة بقوله يا قوم ادخلوا الارض المقدسة التي كتب الله
لكم ولا ترتدوا علي ادباركم امرهم بالدخول فيها ونهاهم عن الارتداد علي ادبارهم فامرهم
هاهنا بالسكون فيها واباح لهم التناول منها مما شاؤوا قوله تعالى وقولوا حطة اي
ارجعوا الي السبب الذي يحط الاوزار لا قولهم حط عنا كذا فلم يكن قوله قولوا حطة

امرًا لهم بان يقولوا اللهم حط ما عملت ايدينا من الخطايا ولكن هذا امر لهم بمباشرة
العبادات التي هي اسباب مغفرة الخطايا والعفو عنها وهو كما قال نوح لقومه
استغفروا ربكم انه كان غفارًا يرسل السماء عليكم مدرارًا لم يرد به ان يقولوا
اللهم اغفر لنا لانهم كانوا كفارًا ودعاء الكافر لا معتبر به في غفران الذنوب
لكن اراد اي ايتوا بالسبب الذي به يغفر الذنوب وهو التوحيد فهذا امثله
قوله تعالى فبدل الذين ظلموا منهم قولاً غير الذي قيل لهم فانزلنا عليهم
رجزًا من السماء بما كانوا يظلمون هذا ايضًا ذكرنا في سورة البقرة غير انه ذكر
ههنا فارسلنا عليهم رجزًا من السماء وذكر في سورة البقرة فانزلنا عليهم وذكر
ههنا بما كانوا يظلمون وهنالك بما كانوا يفسقون والقصة واحدة ليعلم ان اختلاف
الالفاظ لا يوجب اختلاف المعاني والاحكام ولا تغيرها فيدل على جواز الصلاة
بالفارسية ودل على نقل الحديث بالمعنى وان الفسق والظلم من حيث المعنى
واحد لان الفسق هو الخروج عن امر الله تعالى والظلم هو وضع الشيء غير
موضعه ومن خرج عن امر الله فقد وضع الشيء غير موضعه ومن وضع الشيء
غير موضعه فقد خرج عن امر الله ويحتمل انما ذكر بلفظين الظلم والفسق
لان الامرين جميعًا كانا منهم والله اعلم قوله تعالى واسألهم عن القرية
التي كانت حاضرة البحر قال بعضهم هي ايلة وقال آخرون اريحا ولسنا ندري
ما اسم تلك القرية وليس لنا الى معرفتها حاجة والاشكال انه امر نبينا بان
يسأل اهل الكتاب عن هذه القرية ثم بين لهم الرسول بقوله اذ يعدون في السبت
الى آخر ما ذكر والسؤال هو الاستخبار والاخبار ابدًا يكون من المسؤول
دون المستخبر فكيف يكون هذا فنقول في الجواب عن هذا من وجهين
احدهما ان الاستخبار يكون من وجهين احدهما ابتداء اخبار والثاني طلب
التصديق منهم فهنا لم يحتمل ابتداء الخبر فهو على طلب التصديق كانه قال لهم
الم يكن كذا فيقولون نعم فيصدقونه فيما يقول لهم والثاني ما قيل انه لم يامره
بالسؤال حقيقة ولكنه على التمثيل كانه قال لو سألتهم عن القرية التي كانت
حاضرة البحر يقولون لك كذا وهو كقوله سل بني اسرائيل كم اتيناهم من آية
بينة ليس على الامر ان يسألهم ولكن معناه لو سألتهم كان كذا واجابوك كذا
فعلى ذلك هذا والله اعلم وقيل امره ان يسألهم اما عذبه الله بذنوبهم اعني

اهل القرية ثم اخبر عن ذنوبهم فقال اذ يعدون في السبت اي يعتدون
قوله تعالى اذ يعدون في السبت اذ تاتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا
عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال ابتدعوا السبت فعظموه بانفسهم
فابتلوا فيه بتحريم اصطياد الحيتان فيه وامتحنوا بذلك وقال مجاهد
حرمت عليهم الحيتان يوم السبت فكانت تاتيهم في السبت شرعًا بلا مؤنة
وتكلف ولا تاتيهم في غيره مثله لزيادة الابتلاء عليهم وقال بعضهم ابتلاهم الله
تعالى بتحريم السمك في السبت ليري الخلق المطيع منهم من العاصي وقال
قائلون ابتلاهم بذلك لما كانوا يفسقون في السر ليكون فسقهم وتعذيبهم
ظاهرًا عند الخلق كما كان عند الله لئلا يقولوا عند التعذيب انهم عذبوا بلا ظلم
ولا تعد والله اعلم وذلك قوله كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون وقوله شرعًا
قال ابو عوسجة هي التي دنت من الشط والواحد شارع وقال القتبي شرعًا
اي شوارع اذ يعدون اي يتعدون الحق يقال عدوت على فلان اي ظلمته
وقيل شرعًا اي شارعات من غمرة الماء اي خارجات وقيل شرعًا اي كثيرة
اي تكثر لهم الحيتان يوم السبت وتقل في غير ذلك قوله تعالى ويوم
لا يسبتون لا تاتيهم وقال الكسائي يقرأ يسبتون بدفع الياء ومن قرأ
بالدفع اراد اي لا يدخلون في السبت يقال اسبت اي دخل في السبت واربع
واخمس اي دخل في الاربعاء والخميس ومن قرأ بالفتح اراد سبتوا عظموا
يقال سبت يسبت سبتًا وسبوتًا والله اعلم قوله تعالى واذ قالت امة
منهم لم تعظون قومًا الله مهلكهم او معذبهم عذابًا شديدًا والاشكال انه ذكر
في ابتداء الآيات انهم كانوا ثلث فرق فريق عدوا وتركوا امر الله وارتكبوا
نهيه وظلموا انفسهم وفريق بهذا الذين اعتدوا وانتهكوا المحارم كقوله ومن
قوم موسى امة يهدون بالحق وبه يعدلون وفريق لم يعتدوا ولم يرتكبوا
نهيه ولا نهوا اولئك الذين اعتدوا وهم الذين قالوا لم تعظون قومًا الله مهلكهم
للواعظين اياهم وكذلك روي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال هم كانوا
ثلاث فرق فرقة وعظت وفرقة موعظة وفرقة ثالثة وهم الذين قالوا
لم تعظون قومًا الله مهلكهم ثم قال في آخر الآيات انجينا الذين ينهون عن
السوء واخذنا الذين ظلموا جعلهم فرقتين فرقة هي التي هلكت بالاعتداء

وفرقة هي التي نهت ونجت فكيف يكون هذا فنقول بلى هم ثلاث فرق ثم ذكر
الفرقتين عند الهلاك والنجاة لان الفرقة الثالثة دخلت في احدى الفرقتين
الهالكة والناجية لكن اختلف اهل التاويل قال بعضهم كانوا في الفرقة
الذين هلكوا لوجهين احدهما انهم لم ينهوا اولئك الذين اعتدوا وكان فرض عليهم
النهي عن المنكر والامر بالمعروف فاذا لم ينهوا اولئك منكرا شركوهم في العذاب
وهو كقوله لولا ينهاهم الربانيون والاحبار عن قولهم الاثم واكلهم السحت الآية
والثاني ان الفرقة الناجية كانوا ينهون اولئك المعتدين عن صنيعهم فهذه
الفرقة نهوا اولئك الناهين اياهم عن النهي عن المنكر بقولهم لم تعظون قوما
الله مهلكهم فلم ينهوا عن المنكر بانفسهم بل نهوا الناهين لهذا والله اعلم وقال
بعضهم لا بل كانوا في الفرقة الناجية منهم قال الحسن لان هولاء ايضا
كانوا نهوا اولئك المعتدين عن الاعتداء والظلم الذي كان منهم وكان قولهم
لم تعظون قوما الله مهلكهم بعد ما نهوهم ووعظوهم فلم يتعظوا فقالوا لاولئك لم
تعظون قوما بعد ما نهوا ووعظوا وكيف تعظون قوما لا يتعظون ولا ينتهون
فانما قالوا ذلك بعد ما نهوا وبعد ما اتوا بما في وسعهم ولا تكليف فوق الوسع
والله تعالى لا يواخذ المرء بما ليس في وسعه وقال بعضهم ان هذا القول
منهم نهي وزجر وتوبيخ لانهم اتوا بوعيد شديد بقولهم لم تعظون قوما الله مهلكهم فنفس
هذا القول منهم نهي وزجر لما اخبروا عما هو النهاية من الوعيد وهو الهلاك
في الدنيا والعذاب الشديد فيما ياتون من الصنيع ولكن لا حاجة لنا الى معرفة
حقيقة ذلك انهم كانوا في الهلكى او في الناجين ولم يتعلق بذلك عمل ولا اعتقاد
سوى ما بين ان من نجى منهم انما نجى بالنهي عن الظلم والعدوان ومن اهلك
وعذب انما عذب بسبب الظلم والعدوان بقوله انجينا الذين ينهون عن
السوء واخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون ولو كان لنا الى ذلك
حاجة لكان بين لنا ولم يترك ذلك الى راينا والله اعلم قوله تعالى قالوا
معذرة الى ربكم قرا معذرة بالرفع والنصب فمن قرا بالرفع اضمر فيه كلمة هذه
كانهم قالوا هذه معذرة الى ربكم وهو كقوله سورة انزلناها اي قيل هذه سورة
انزلناها ومن قرا بالنصب معذرة اي اعتذارا منهم الى ربهم على انه مفعول
القول قوله تعالى ولعلهم يتقون اي عما نهوا قوله تعالى فلما نسوا

ما ذكروا به اي تركوا واعرضوا عما ذكروا به انجينا الذين ينهون عن السوء
واخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون قرا بعضهم بيس بكسر
الباء بغير همز وبعضهم بفتح الباء وبكسر الهمزة بئيس على وزن فعيل
وبعضهم بكسر الباء وتسكين الهمزة على وزن فعل وبعضهم بفتح الباء وتسكين
الياء وهمزة مفتوحة على وزن فيعل وبعضهم بيس على وزن فعل وكله لغات
ومعناه الشديد كذلك قاله القتبي وابو عوسجة يقال بئس يباس باسا
اذا افتقر وبؤس يبؤس باسا اذا اشتد وقال بعضهم اي موجع وقال
الحسن بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون من قولهم بئس الشيء نقيض نعم
الشيء قوله تعالى فلما عتوا عما نهوا عنه قال ابو عوسجة اي استكبروا
يقال عتى يعتو عتوا وكان العتو هو النهاية في اليبس ولذلك قيل في
قوله من الكبر عتيا يابسا ذكر عتوه اليبس قلوبهم لذلك سمي مرة
قساوة ومرة استكبارا ومرة عتوا وهو واحد قوله تعالى قلنا لهم
كونوا قردة خاسئين اختلف في كيفية قولهم قردة قال بعضهم حول صورتهم
وجسدهم صورة القردة وكانت عقولهم على حالها عقول البشر لم تحول
ليعلموا تعذيب الله اياهم وما اصابهم بهتك حرم الله وقال بعضهم حول طباعهم
طباع القردة فاما الصورة والجسد على حاله وقوله خاسئين قال بعضهم
اي قاصين مبعدين هو من خسأ الكلب تخساه فهو خاسئ ويقال خسأت
فلانا واخسأته فخسأ اي بعدته فبعد وكذلك في قوله اخسؤوا فيها اي ابعدوا
فيها وارجعوا وقيل الخاسئ الذليل قوله تعالى واذ تاذن ربك
ليبعثن عليهم الى يوم القيمة من يسومهم سوء العذاب قيل تاذن ربك اي قال
ربك ليبعثن وقيل امر ربك وقال ابو عوسجة واذ تاذن ربك من
الاذان اي اعلم ربك ثم اختلف اهل التاويل في نزول الآية قال بعضهم
نزلت بمكة في شان اصحاب رسول الله لان الكفار كانوا يبغون من اراد
الاسلام واتباع محمد فاوعدهم الله بقوله ليبعثن عليهم الى يوم القيمة اي ليبعثن
على جنس هولاء الى يوم القيمة من يقاتلهم وياخذ منهم الجزية جزاء
بما كانوا يمنعون الناس عن اتباع محمد والاجابة له فيما يدعوا اليه وقال
بعضهم هو في بني اسرائيل في الكتاب لتفسدن في الارض مرتين الى قوله

عسى ربكم ان يرحمكم وان عدتم عدنا اخبر انهم ان عادوا عدنا ولم يبين بماذا
ثم بين في هذه الآية بقوله ليبعثن عليهم الى يوم القيمة من يسومهم سوء
العذاب وقال قايلون الآية نزلت في هؤلاء الذين سبق ذكرهم في قوله
انجينا الذين ينهون عن السوء الآية قال ابو بكر الاصم هذا التاويل لا يصح
لان من آمن من هؤلاء لم يحتمل ذلك وكذلك من صار منهم قردة لم يحتمل ان
يعذبوا بعد ما صاروا قردة وهو والله اعلم على الوجهين اللذين ذكرناهما
والله اعلم قوله تعالى ان ربك لسريع الحساب العقاب والله لغفور
رحيم يحتمل لسريع العقاب اي ياخذهم في حال امنهم ليس كما ياخذ ملوك
الارض قومهم بعد ما سبق منهم اليهم تخويف فعند ذلك ياخذهم بالعذاب
ويحتمل لسريع العقاب اي عن سريع ياخذهم عقابه وقيل سريع العقاب
لمن كفر وكذب غفور رحيم لمن آمن وصدق الله ورسوله قوله تعالى
وقطعناهم في الارض امما يحتمل فرقناهم في وقت ما كانوا مجموعين ثم يحتمل الجمع
وجوها احدها اي كانوا مجموعين في الدين ثم تفرقوا فصار بعضهم كفارا
وبعضهم مؤمنين والثاني يحتمل انهم كانوا مجموعين في المكان والمعاش ثم تفرقوا
فصاروا متفرقين ويحتمل انهم كانوا في الدين واحدا ثم تفرقوا فصاروا اصحاب
اهواء ويحتمل قوله وقطعناهم في الارض امما اي امة بعد امة وجماعة بعد
جماعة خلفا بعضهم لبعض على ما ذكر في آية اخرى فخلف من بعدهم خلف اضاعوا
الصلاة الآية قوله تعالى منهم الصالحون ومنهم دون ذلك فان كان قوله
وقطعناهم في الارض في الدين والمذهب فيكون تاويله منهم الصالحون المؤمنون
ومنهم دون ذلك الكفار ويكون قوله دون ذلك بمعنى غير ذلك كقوله
يعبدون من دون الله اي غير الله وان كان في المعاش فبعضهم دون بعض
في المعاش وسع المعاش على بعض وضيق على بعض ويحتمل ان يكون بعضهم
دون بعض في الصلاح في الدين والمذهب نحو المطيع على الاطلاق مع المطيع
الذي يباشر بعض المعاصي والله اعلم قوله تعالى وبلوناهم بالحسنات
والسيات لعلهم يرجعون اي ابتلى بعضهم بالخصب والسعة وبعضهم بالضيق
والشدة ليذكرهم الموعود من الثواب والموعود من العقاب ليرغبهم الموعود
من الثواب الى الحسنات ويزجرهم الموعود من العقاب عن السيات وذلك

قوله

قوله لعلهم يرجعون ثم قوله لعلهم يرجعون يحتمل وجوها احدها بلوناهم
بالنعم والخصب والسعة ليعرفوا فضل الله واحسانه فيرجعوا اليه بالشكر
والثنا وبالسيات اي بالبلايا في انفسهم والمصايب والضيق ليعرفوا قدرة الله
وسلطانه فيرجعوا اليه بالفزع والدعاء والتوبة والتضرع والثاني معناه
اي بلوناهم بالحسنات والسيات ليتقرر عندهم ان غيرا هو املك بهم من انفسهم
واقدر عليهم منهم فيرجعوا اليه بتسليم النفس لامره وحكمه والثالث بلوناهم
بالحسنات والسيات المؤمن منهم والكافر حتى اذا راوا الاستواء في الحكمة
التفريق بينهم فيضطر الجميع الى الايمان بالبعث اذ خرجوا من الدنيا
على سواء والرابع انه انما جعل النعيم في الدنيا ليعرفوا لذة الموعود في الآخرة
وكذلك الشدة والمحنة والعقوبة فابتلاهم بالامرين جميعا ليستعدوا للرجوع
الى الموعود لهم في الآخرة والله اعلم قوله تعالى فخلف من بعدهم خلف
ورثوا الكتاب قال قايلون هو صلة قوله منهم الصالحون ومنهم دون ذلك
فالصالحون هم الذين آمنوا بالله وحفظوا حدوده وحلاله وحرامه فخلف
من بعدهم خلف اي من بعد الصالحين خلف وهم الذين لم يحفظوا حدوده
ومحارمه وقال قايلون هو صلة ما تقدم من ذكر الانبياء والرسل كانه
اخبر انه خلف من بعدهم خلف يعني خلف الرسل والانبياء خلف سوء ورثوا
الكتاب وهو كما ذكر في سورة مريم فخلف من بعدهم خلف اضاعوا الصلاة
واتبعوا الشهوات وانما ذكر هذا بعد ذكر الرسل والانبياء عليهم السلام والله اعلم
وقال القتبي الخلف الردي من الناس ومن الكلام يقال هذا خلف من
القول قوله تعالى ياخذون عرض هذا الادنى ان اهل الكتاب
كانوا ياخذون الدنيا على احد وجوه ثلثة منهم من كان ياخذ مستحلا لها
ومنهم من كان ياخذها بالتبديل والتحريف اعني تحريف الكتاب ومنهم من كان
تناول على ما تناول اهل الاسلام على قدر الحاجة وههنا لا يحتمل الا الاخذ
بالاستحلال او بالتبديل والاخذ بالاستحلال ههنا اقرب لانهم كانوا ياخذون
عرض هذا الادنى مستحلين له ويقولون سيغفر لنا هذا يحتمل وجوها يحتمل
مما قالوا نحن ابناء الله واحباؤه فيستحلون اموال الناس وياخذونها ويقولون
سيغفر لنا لانا من ابناء الله واحبايه والثاني يحتمل انهم قالوا سيغفر لنا

مع علمهم انه لا يغفر لهم لما في كتابهم ان لا يغفر لهم اذا تناولوا مستحلين وتحتمل انهم
اذا عوتبوا على ما فعلوا من اخذ عرض الدنيا قالوا سيغفر لنا وقال بعضهم
ياخذونه حلالا كان او حراما وان ياتهم عرض مثله ياخذوه قوله تعالى
الم يوخذ عليهم ميثاق الكتاب ان لا يقولوا على الله الا الحق يحتمل قوله الم يوخذ
عليهم ميثاق الكتاب انهم كانوا اذا استحلوا ذلك اضافوا ذلك الى الله فقالوا
الله امرنا ان ناخذ ذلك فنزل الم يوخذ عليهم ميثاق الكتاب ان لا يقولوا
على الله الا الحق اي لا يضيفون الى الله ما استحلوا ويقولون انه امرنا بذلك
ويحتمل ان يقال الم يوخذ عليهم ان لا يقولوا نحن ابناء الله واحباؤه وقال
بعضهم قوله الم يوخذ عليهم ميثاق الكتاب الآية فيما يوجبون على الله من مغفرة
ذنوبهم التي لا يزالون يعودون اليها ولا يتوبون عنها قوله تعالى
ودرسوا ما فيه اي قروا ما فيه وعلموا ما فيه قوله تعالى والدار الاخرة
خير للذين يتقون افلا تعقلون اي افلا تعقلون ما في كتابهم ان ترك مخالفة الله
خير في الآخرة ثم اخبر عن المومنين فقال والذين يمسكون بالكتاب بما فيه
من الحلال والحرام واقاموا الصلاة انا لا نضيع اجر المصلحين قوله تعالى
واذ نتقنا الجبل فوقهم كانه ظلة قيل اي رفعنا الجبل كقوله ورفعنا فوقهم
الطور وقيل نتق قطع وقال بعضهم هذا احرف اخذ من كتبهم ولا ندري كيف
وقيل حركنا وهو قول القتبي وقال ابو عبيد كل شي قلعته من موضعه
فرميت به ذكر هذا والله اعلم ليصبر رسول الله على سفه قومه لان قوم
موسى مع كثرة ما عاينوا من الايات التي جرت على يد موسى وعظيم ما
كان لهم من موسى من النعيم من استنقاذه اياهم من استرقاق فرعون
واخراجه اياهم من يده وفرق البحر لهم ومجاوزته بهم البحر وتفجير الانهار
من الحجر وانزال المن والسلوى لهم فجميع ما ذكرنا ونحو ذلك لهم من الله بسبب
موسى ومع ذلك لم يقبلوا التورية ولم يقروا به الا بعد رفع الجبل عليهم والارسال
فعند ذلك قبلوا ليصبر رسول الله لئلا يضجر على مخالفة قومه اياه وكثرة سفههم
ثم قوله واذ نتقنا الجبل فوقهم يحتمل وجهين احدهما انهم عاينوا ذلك حين امنوا
به وقبلوا الكتاب فيكون ذلك منهم ايمان دفع العذاب وذلك يكون عن قهر
وجبر ولا يكون في حال القهر ايمان والثاني صير ذلك آية عظيمة وحجة

واضحة معجزة فقبلوها وحققوا الايمان به ثم تركوا ذلك يدل عليه ما ذكر في
سورة البقرة ثم توليتم من بعد ذلك قوله تعالى وظنوا انه واقع بهم
اي ايقنوا انهم ان لم يقبلوا واقع بهم قوله تعالى خذوا ما آتيناكم بقوة
يحتمل وجهين احدهما خذوا اي اقبلوا ما فيه والثاني اي اعملوا بما فيه
قوله تعالى واذكروا ما فيه قيل اعملوا بما فيه من الحرام والحلال
لعلكم تتقون من العقوبة والله اعلم قوله تعالى واذ اخذ ربك من
بني آدم من ظهورهم ذريتهم الآية قال الشيخ رحمه الله اختلف في
تاويله قال بعضهم ان الله تعالى انما قال الست بربكم عندما خلق آدم
اخرج من ان يكون من ذريته الى يوم القيمة مثل الذر فعرض عليهم قوله
الست بربكم قالوا بلى لكن هولاء اختلفوا فيما بينهم فمنهم من قال بانه جعلهم
بالمبلغ الذي يجري على مثلهم القلم بان جعل فيهم الحيوة والعقل والتمييز وهو
قول الحسن ومنهم من قال عرض ذلك على الارواح دون الابدان
وقال بعضهم بانه خلقهم صنفين فقال هولاء للجنة ولا ابالي وهولاء للنار ولا
ابالي وما عرض عليهم قوله الست بربكم وقال بعضهم عرض على الكل التوحيد
فقال الست بربكم واعلمهم ما عليه احوالهم وآجالهم في الدنيا من الفقر
والغنا والاجل ونحو ذلك والله اعلم كيف كانت القصة او كيف يرى احوال
الفقر والغنى في الذر او كيف قال هولاء في كذا ولا ابالي مع اجتماع الكل على
القول بلى لما عرض عليهم في قوله الست بربكم وقد راينا في تلك الاخبار
التي فيها حديث الذر ما كان حفظ عن نفسه وخاصه حفظ العوام واهل الضعف
عن تبليغها الزم واعظم في النفع والبعد عن الشبهة من روايتها وتكلف الكشف عنها
فنسال الله تعالى العصمة عما به الهلاك والتوفيق للنصح بما به نجاة كل سامع ودفع
كل شبهة وحيرة فانه لا قوة الا بالله به ومنهم من ذهب في تاويل الآية الى المعروف
من امر ذرية ادم والاخذ عن اصلاب الآباء والانشاء في الارحام على ما كان
ويكون الى يوم القيمة على ما قال الله تعالى فلينظر الانسان مم خلق خلق من ماء
دافق يخرج من بين الصلب والترائب وقال يا ايها الناس ان كنتم في ريب
من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة الآية وقال ولقد خلقنا الانسان
من سلالة الآية وقال ما لكم لا ترجون لله وقارا وقد خلقكم اطوارا وغير ذلك

مما احتج الله تعالى به من اول ما جرى به تدبير البشر الى آخر ما ينتهي امره مما يعجز
عن تقديره وسع الخلق ويستتر عن عقولهم كيفية بدء ذلك وما عليه تنقله
من حال الى حال في كل طرفة عين ولحظة بصر مع ما فيه من عجيب التدبير
وحسن التقويم الذي لو تكلف الخلق تصوير مثله بكل انواع الحيل من الاصول
الظاهرة بحيث يبصره كل بصير لكان يعجز عنه فكيف في الظلمات الثلاث مع ما
ركب فيه من العقل والسمع والبصر وما جعل في كل ما انشاه فيه ومنه مما لا
يبلغه الاوهام فضلا من الاحاطة بما في ذلك من الحكمة ولذلك قال الله تعالى
وفي انفسكم افلا تبصرون فكان ذلك هو العهد الى جميع الذرية واشهادا انفسهم
عليهم تعالى من دبرهم على ذلك وانشاهم على ما فيهم عن ان يكون له كفوا او شريك
او مقدر آخر قدره فذلك هو معنى اشهادهم على انفسهم اي جعلهم على انفسهم
شهودا ان يعلموا ان مدبرهم هو ربهم لا رب لهم غيره وانه ليس كمثله شي مما
في جعل ذلك ذريته ليعرف كل بما يرى من عجزه عن تدبير ولده وجهله باحواله
في حال كونه في رحم ابويه بيان على انه لا كان باباه وامهاته علم ولكن برب
العالمين وذلك هو المعنى الذي يعمهم عن القول بالغفلة عن ذلك اذ علم كل منهم
لا حالة كونهم في الوقت الذي لا يذكره احد وذلك قوله ان تقولوا
يوم القيمة انا كنا عن هذا غافلين والذي يبين ان هذا التاويل احق من
الاول ما دل عليه سياق الآية من ذلك قوله واذ اخذ ربك من بني آدم
وافاويل من ذكرت على الاخذ من آدم وهو خلاف ظاهر الآية والثاني
قوله من ظهورهم وعلى ما قالوا يكون من ظهر آدم وهو خلاف الظاهر ايضا والثالث
قوله ان تقولوا يوم القيمة انا كنا عن هذا غافلين وتاويله اي اشهدهم
على انفسهم الست بربكم حتى لا يقولوا يوم القيمة كذا فكيف يوخذهم عن القول
بذلك وقد علم انهم كذلك ليس احد منهم يتذكر انه خرج كالذر وقال له
الست بربكم ولا هذا انما يتقرر عنده وان نبه بكل انواع التنبيه والرابع
قوله او تقولوا انما اشرك آباونا من قبل وكنا ذرية من بعدهم الا لا تقولوا
انما اشرك آباونا من قبل وكنا ذرية من بعدهم وفيه وجهان احدهما
ليس في ذلك الغرض ما منعهم عن هذا القول اذ لم يكن عندهم علم بذلك
ولان الله تعالى اخبر عنهم انهم قالوا كنا ذرية من بعدهم وقد اشرك آباونا

من قبل ولم يرد عليهم انكم كنتم ذرية من قبل ان اشرك آباوكم فانكم كنتم
ذرية بعد وجود آدم دل ان التاويل الثاني احق والخامس انهم قالوا انه
جعل الذر قسمين فقال هولاء في النار ولا ابالي وهولاء في الجنة ولا ابالي
وفي القرآن الجمع بينهم جميعا في القول بلى حيث قال الست بربكم قالوا
بلى ليس فيه انه اقر البعض دون البعض وذلك عد توحيدا منهم فكيف
قال هولاء في النار ولا ابالي والسادس في القرآن ربنا امتنا اثنتين
واحييتنا اثنتين وقال في موضع آخر وكنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم
ذكر الموت والحيوة مرتين وعلى ما قال هولاء يكون اثبات الحيوة والموت
اكثر من العدد الذي جاء به القرآن في الكل فدل ان هذا القول يودي
الى خلاف القرآن من هذه الوجوه واما التاويل الثاني فانه يمكن
العمل به من غير خلاف ظاهر القرآن واما اول الآية فظاهر لان فيها
ذكر الاخذ من بني آدم وذكر الاخذ من ظهورهم وهو تحقيق القول
الثاني فان الماخوذ من بني آدم ثم من ظهورهم هو النطف وهو الماء الدافق
الذي يخرج من بين الصلب والترائب واما قوله واشهدهم على انفسهم
الست بربكم قالوا بلى يتوجه الى اوجه احدها واشهدهم على انفسهم اي اعلمهم
ما منه انشاهم وقلبهم من حال الى حال ان تمت النسمة وظهرت البشرية
على ما علم كل في ذريته خروج بديه من تلك بين والديه وقيامه على ما عليه مداره
وقراره بتدبير من لا يعجزه شي ولا يخفى عليه امر ليقولوا ان الذي دبر هذا
هو ربهم الذي رباهم على ذلك ليس كمثله شي وكان ذلك اعلاما من الله تعالى
اياهم على انفسهم وشهادة منها بالخلقة انه ربهم الذي رباهم وملكهم على ما جرى
فيهم من تدبير الله تعالى ولئلا يقولوا غدا انا كنا عن هذا غافلين اذ قد عرف
ذا كل ذي عقل وعرف انه كان بالله سبحانه وتعالى لا بوالديه ليجعلوا شرك
الآباء والامهات لانفسهم حجة من حيث كانوا منهم والله اعلم والثاني ان يكون
الله تعالى اشهدهم على انفسهم بما اراهم من احوال ذريتهم في الانتقال على
احوال على ان انفسهم كذلك كانت دخل كل من لجوهرهم في ذلك التدبير
ليعلموا ان الذي دبرهم على ذلك دبر الكل فيزول عنهم شبهة الكون بغير الرب
الذي ليس كمثله شي فيزول عنهم به عد والغفلة وعلاقة الشبهة بكفر الوالدين

من حيث حق التبعية او سعه التقليد بما يعلم خروج الجميع من التدبير ورجوع
التدبير الي غير ليكون موضع الاستدلال بما اراهم هو ودعاهم اليه لا بما
امرهم به الاباء والامهات ثم القول بلى كما اخبر عنهم قالوا بلى يكون نطقا
ويكون خلقته ويكون جواب الفطرة لحق التامل فالنطق انه لا يسال
احد قبل التلقين الا وهو يقول بالرب والخالق وعلي ذلك قوله ولين
سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله واما الخلقه بما كان حاجته
الي مقيم والي مدبر علي شوك كل في ذلك اقراره بالربوبية وذلك معنى نفي
التفاوت عن خلقته وفطرته بما يقلبه علي احوال لو تامل الخلايق ادراك كل
حال منها ووجه التنقل وقدر التغير في كل حال لما تهيا لهم ليعلم ان في الفطرة
شهادة التوحيد وهذا معنى ما روي عن رسول الله صلي الله عليه انه قال كل مولود
يولد علي الفطرة اي علي حال لو تركت العقول والفكر فيها لشهدت بالتوحيد
وذلك معنى قوله قالوا بلى لا ان ثم قول لسان بل نطق حال كما قال الحكيم
كل صامت ناطق لان صمته دليل تدبير آخر فهو ناطق بالبيان عن الواحد
العزيز ولا قوة الا بالله وقد يحتمل الاشهاد ان جعلهم شهداء علي انفسهم بالعبودة
لله وانه ربهم والمالك عليهم والقول بلى بما يلزم ذلك القول بالتامل فكانه
قال والله اعلم وفي الآية دلالة خلق الله تعالى فعل الخلق لما بهم الدفق وقد
اخبر الله تعالى انه اخذ ذلك والله اعلم فان قيل علي ماذا يخرج تاويل السلف
قيل لعلهم وجدوا فيه خبرا ظنوا ان الآية يخرج عليه فاولوها علي ذلك
فاذا اريد تسوية ذلك بالآية لا بد من زيادات تلحق بها او يخرج عنها والا
لا يخرج من ذلك ان يقول واذ اخذ ربك من بني آدم ان يجعل حرف من
صلة زايدة كانه قال واذ اخذ ربك بني آدم وقد يكون مثله في الكلام كقوله
ونكفر عنكم من سيئاتكم اي نكفر عنكم سيئاتكم ويوخذ بنو آدم من ظهر آدم
كما يوخذ ابن كل احد من ظهره اي اصل ابن كل من ظهره وذكر وقال من ظهورهم
لما كان منسوبا اليهم وان كان لو طرح حرف الصلة يزول الشبه لحفظ في
ذكرهم حق الوصل وان كان حقه الاسقاط كقوله وكاين من قرية عتت عن
امر ربها وغير ذلك مما كني من اهل القرية باسمها وعلي ذلك احري ذلك الفعل
وان لم يكن بها في الحقيقة فعلى ذلك هذا فيصير في التحصيل كانه قال واذ
فعلهم

اخذ ربك بني آدم من ظهره ثم يكون المأخوذ الذي عرض عليه مجعولا علي
حد يعقل الخطاب ومعنى قوله الست بربكم قالوا بلى هذا ظاهر واما
الخبر الذي فيه القسمة هولاء في الجنة ولا ابالي وهولاء في النار ولا ابالي
كانه وردلا في هذه الحادثة لكن وصل باخر حديث الذر فيظن انه ورد
فيه ولين كان في حديث الذر فيحتمل ان يكون في الآية ذكر اجابة احد
الفريقين وقوله قالوا بلى اريد به البعض الذي قال منهم هولاء في الجنة ولا
ابالي ويحتمل انه كان بين الجميع اتفاق في هذا الحرف وقالوا باجمعهم بلى جوابا
لقوله الست بربكم لكن وقع الاختلاف بينهم فيما حاد اصل الاقرار بالالوهية
والربوبية فالقسمة لما عدا الاقرار بالربوبية وصاروا فريقين الاختلاف
بينهم في اشياء احد وقد يوجد في هذا القدر اتفاق بين عامة اهل الكفر
واهل الاسلام وان كان بينهم اختلاف فيما وراءه ووقعت سمة الكفر لما انكروا
دون ما اقروا به فعلى ذلك هذا ثم قوله ان تقولوا يوم القيمة انا كنا عن هذا
غافلين علي اضمار بعث الرسل وانزال الكتب بالاخبار عن ذلك لئلا
يدعوا الغفلة بما كانت منهم عن ذلك لما اوقظوا ونبهوا او كيلا يحتجوا بما اعترضهم
من الغفلة اذ قطع عذرهم بغير ذلك من الادلة والرسل والله اعلم
قوله تعالى ان تقولوا انما اشرك آباؤنا من قبل اي لا تقولوا اي بعث
الرسل فانزل الكتب لقطع هذا النوع من الشبه علي الوجهين اللذين ذكرتهما
بقوله ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله الآية وقوله ولولا ان تصيبهم
مصيبة وقوله وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا فيكون في التاويل الاول
ظهور امر الذرية للاولاد في الخروج عن تدبير الاباء والامهات بقطع الحجاج
بهذين الحرفين وفي الثاني نزول الكتب وارسال الرسل مع ما امكن جعل
هذا في التاويلين جميعا والله اعلم قوله تعالى افتهلكنا بما فعل المبطلون
تخرج علي وجوه احدها ان ذلك الاهلاك ليس هو التعذيب لكنه الاماتة
كقوله ان امرؤ هلك اي لك ان تميتنا اذ فعل السفهاء بما فعلوا وان لا تعذبهم
وتتركهم لما يرجى منهم من التوبة او يحدث منهم من لم يسفه والاضافة الي الجملة
في قوله افتهلكنا يحتمل وجهين احدهما اي ارادة السفهاء منهم لاطلاق اسم الكل
علي البعض والثاني ان المراد هو الكل اذ الموت حق مكتوب علي جميع البشر

لا علي التعذيب لكن علي المحنة والابتلآ والله اعلم ويحتمل علي نفي التعذيب اي لا
تفعل انت كذلك كما يقول الرجل انا افعل هذا وانت تفعل هذا علي
التبري والتنزيه ويحتمل ان تكون علي الايجاب والاثبات لجمعهم في ذلك
وان كان الذي استحق بعضهم بحق المحنة اذ له ذلك ابتدآ وذلك نحو امر احد
بما ابتلاهم وان لم يكن منهم جميعا المعصية وعلي ذلك امر جميع انواع المصايب يجمع
فيها بين اهل الخير والشر بحق المحنة لا العقوبة وان كان ذلك في بعضهم عقوبة
والله اعلم قوله تعالي وكذلك نفصل الايات علي وجهين احدهما علي البيان
ان يبين ما يكشف الغمه ويزيل الشبه والثاني ان يعرفها ويضع كل واحد
منها في احق مواضعه واولي ذلك لقطع العذر ودفع العلل قوله تعالي
ولعلهم يرجعون ان تاملوا عما عليه من الباطل والله اعلم قوله تعالي واتل
عليهم نبا الذي اتيناه اياتنا فانسلخ منها اختلف اهل التاويل في الذي امر
النبي بتلاوة نبائه عليهم قال بعضهم كان هو نبيا من الانبيآ فانسلخ منها يعني
النبوة وكفر بها لكن هذا بعيد محال ان يجعل الله تعالي الرسالة فيمن يعلم
انه يكفر بها ويختاره لوحيه وهو يعلم انه ليس باهل لها قال الله تعالي الله
اعلم حيث يجعل رسالته وقال بعضهم كان هذا بلعم بن باعورا اعطاه الله تعالي
ايات فكفر بها وانسلخ منها وقيل اعطي بلعم الاسم المخزون وكان يستجاب
له به جميع ما يسال ربه وقال بعضهم كان هو امية بن ابي الصلت علي ما قال
النبي صلي الله عليه وسلم فيه امن شعره وكفر قلبه في لئيم شعره وكان شاعرا
وقال بعضهم نزلت الاية في منافقي اهل الكتاب قد كان اعطاهم الله تعالي الايات
فكفروا بها وكذبوها ولكن لا ندري فيمن نزلت الاية وهي تصلح جميع مكذبي
الايات فلا يجب ان ينص علي واحد او يشار الي واحد انها نزلت فيه
ولكن نقول انها نزلت في جميع مكذبي الايات والله اعلم ثم قوله فانسلخ منها
اي خرج منها وقيل نزع منها وقيل تركها وكله في المعني واحد ثم قوله
فانسلخ منها يحتمل وجهين احدهما انه كان قبلها مرة ثم ردها من بعد القبول
والثاني ان لم يقبلها في الابتدآ وكذبها لكنه سمي انسلاخا وخروجا والله اعلم
قوله تعالي فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين فيه دلالة ان الله
تعالي لا يتبع الشيطان احدا ولا يتبعه الا بعد ان كان منه الاختيار

للضلال والميل اليه حيث قال فانسلخ منها فاتبعه الشيطان انما اتبع الشيطان
بعد ما كان منه الانسلاخ والنزوع وقوله فكان من الغاوين قيل
كان في علم الله ان يكون في ذلك الوقت من الغاوين وقيل فكان من الغاوين
اي صار من الغاوين اذا انسلخ منها وخرج والغاوي الضال قوله تعالي
ولو شئنا لرفعناه بها يحتمل قوله لرفعناه بها اي عصمناه حتي لا ينسلخ منها
ولا يكذب بها ثم معناه عصمناه حتي يعمل بها او ان يقال ولو شئنا لعصمناه
حتي لا يختار ما اختار لكنه اذ علم منه انه يختار ذلك ويميل اليه شاء ان
لا يعصمه ولا يوفقه وكيف ما كان فالاية حجة علي المعتزلة لانه اخبر
انه لو شاء لرفعه بها فكان له مشية الرفع ثم اخبر انه لم يرفع ولو رفعه بها
كان اصلح له في الدين دل انه قد يفعل به ما ليس هو باصلح في الدين وهم يقولون
ان المشية ههنا مشية القسر والقهر لا مشية الاختيار وقد ذكرنا ابطال
ذلك فيما تقدم غير مرة والله الموفق قوله تعالي ولكنه اخلد الي الارض
هو ما ذكرنا انه لما علم منه انه يخلد الي الارض ويميل اليها لم يعصمه ولم يوفقه ولم
يرفعه والاخلاد في الارض قال الحسن اي سكن الي الارض وكذلك قال
الكيساني ان الاخلاد في كلام العرب السكون الي الشي والركون اليه
وقال ابو عبيدة هو اللزوم للشي ثم في قوله ولكنه اخلد الي الارض
واتبع هواه دلالة علي ان الاغواء من الله تعالي وترك العصمة له لما يكون
من العبد الميل والركون الي مخالفة الله وترك الايتمار له واتباع الهوا
وقال قتادة اي لو شئنا لرفعناه من اياته الهدي فلم يكن للشيطان عليه
سبيل ولكن يبتلي من يشآ من عباده ثم قوله اخلد الي الارض يحتمل ان
يكون ذكر الارض كناية عن الدنيا كقوله وغرتهم الحيوة الدنيا ويحتمل ان يكون
كناية عن الذل والهوان لان كل خير وبركة انما يطلب من السمآ فهم اذا اختاروا
الارض فقد اختاروا الذل والهوان قوله تعالي واتبع هواه فمثله كمثل
الكلب الاية قال الحسن حال الشيطان بينه وبين ان يصحب الهدي
بما منّاه وزين له واتبع هواه فمثله كمثل الكلب قال هذا مثل الكافر امية
فؤاده كما اميت فؤاد هذا الكلب وقال في قوله ساء مثلا القوم الذين كذبوا
باياتنا صدق والله لبيس المثل قوله تعالي فاقصص القصص لعلهم يتفكرون

فقال تذكروا وتفكروا وتدبروا في الامثال التي ضربها واعقلوها الي هذا
ذهب الحسن وقال غيره وجه ضرب الذي كذب بالايات بالكلب هو
ان الكلب من عادته انه يذل ويخضع لكل احد لما يطمع ان ينال منه ادني شيء
ولا يبالي ما يصيبه من الذل والهوان في ذلك بعد ان ينال منه شيئا فعلي
ذلك الكافر المكذب بالايات لا يبالي ما يلحقه من الذل والهوان بعد ان يصيب
من الدنيا شيئا ويشبه ان يكون وجه ضرب المثل بالكلب لما ان من عادة
الكلاب انها اذا اظفرت بالجيف تنكب حتي انه وان كان ينادي لها وتدعي لا تكترث
اليه ولا تلتفت فعلي ذلك هذا الكافر ينكب لكل جيفة ويخضع ولا يلتفت الي ما
يؤدي ودعي اليه وقال قتادة هذا مثل الكافر ميت الفؤاد كما اميت فؤاد الكلب
قوله تعالي ان تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث اي يخرج لسانه ويتنفس تنفسا
شديدا الحمل عليه او تتركه ومعناه والله اعلم ان الكلب اذا اصابه الجوع والعطش
لهث واذا لم يصبه لهث ايضا فعلي ذلك الكافر يميل الي ذلك ويختاره اصابته
شدة او لم تصبه او كلام نحوه قوله تعالي ذلك مثل القوم الذين كذبوا باياتنا
ضرب الله مثل الكافر مرة بالكلب ومرة بالميت ومرة بالاعمي ومرة بالدواب
ومرة بالانعام ونحوها ذلك لما فيه من معاني ما ذكر قوله تعالي فاقصص
القصص لعلهم يتفكرون هو قوله واتل عليهم نبا الذي اتيناه اياتنا امر
رسوله ليقص انباء الامم السالفة علي هولاء ليكون زجرا وتحذيرا للكفار ليعلموا
انما حل باوليك كان بصنيعهم ليحذروا عن مثل صنيعهم ويكون عظة وتذكيرا
للمومنين كقوله وموعظة للمومنين ولو كان ذلك للكافر لا هتدي لما اهتدي
المومن ولو كان بيانا لكان ذلك البيان من الرسل وغيرهم علي قولهم قوله تعالي
ساء مثلا القوم الذين كذبوا باياتنا وانفسهم كانوا يظلمون اي ساء مثل الافعال
التي ضرب الله مثلها بالذي ذكر في القرآن وقد ذكرنا في غير موضع تاويل
ايات الله تعالي قوله تعالي من يهدي الله فهو المهتدي ومن يضلل فاوليك
هم الخاسرون شهد الله عز وجل ان من هداه فهو المهتدي اي من هداه الله
في الدنيا فهو المهتدي في الآخرة ومن يضلله في الدنيا فهو الخاسر في الآخرة
ولو كان الهدي من الله هو البيان والامر والنهي علي ما ذكره القوم لكان الكافر
والمومن في ذلك سواء اذ كان البيان والامر والنهي للكافر علي ما كان للمومن

فلم يهتد فدل انه من الله تعالي في ذلك زيادة معني للمومن لم يكن ذلك منه
للكافر وهو التوفيق والعصمة والمعونة ولو كان ذلك للكافر لا هتدي كما اهتدي
المومن وكذلك لو كان بيانا لكان ذلك البيان من الرسل وغيرهم من الخلفاء
والعلماء فبطل قولهم وكذلك قوله ومن يضلل الله فاوليك هم الخاسرون اخبر
ان من اضله خسر دل انه كان منه زيادة معني وهي الخذلان والترك او
خلق فعل الضلال منه وليس علي ما تقول له المعتزلة انه قد هداهم جميعا ولكن
لم يهتدوا فيقال لهم انتم اعلم ام الله كما قال تعالي لليهود قل انتم اعلم ام الله
الاية فظاهر الاية علي خلاف ما يقولون ويذهبون والله الموفق ٥
قوله تعالي ولقد ذرانا لجهنم كثيرا من الجن والانس قالت المعتزلة
لم يخلقهم لجهنم ولكن خلقهم وذراهم للجنة واعطاهم من القوة ما يكتسبون الجنة
غير انهم باختيارهم السوء عملوا اعمالا استوجبوا بها النار فصاروا باعمالهم
للنار لا ان خلقهم لجهنم ثم اختلفوا في تاويل قوله ولقد ذرانا لجهنم كثيرا
من الجن والانس قال بعضهم انما ذكر هذا لما يول اليه عاقبة امرهم وهذه اللام
تسمي لام العاقبة وهو كقوله فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا
وهم لم يلتقطوه ليكون لهم ما ذكر ولكن ليكون لهم ما ذكر حيث اعنهم عسي ان
ينفعنا او نتخذه ولدا لهذا التقطوه لكن صار لهم عدوا وحزنا في عاقبة الامر
اخبر عما اليه آل امره فعلي ذلك هذا وكما يقال في المثل السائر لدوا
للموت وابنوا للخراب ولا احد يلد للموت ويبني للخراب ولكن اخبار عما يول
اليه عاقبة الامر من الموت والخراب كذلك هذا الي هذا التاويل يذهب عامة
المعتزلة وقال ابو بكر الاصم الاية علي التقديم والتاخير كانه قال ولقد ذرانا
كثيرا من الجن والانس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم اعين لا يبصرون بها ولهم
اذان لا يسمعون بها اوليك لجهنم واوليك كالانعام ولكن هذا التاويل بعيد
لانه لو جاز هذا في هذا لجاز مثله جميع القرآن ان تجعل اول الاية في آخرها
وآخر الاية في اولها وهو يودي الي القول باخراج القرآن من ان يكون
حجة وانما يجوز التقديم والتاخير في موضع لا يمكن العمل بظاهر النظم فاما مع
الامكان فلا والله الموفق واما تاويل عامة المعتزلة انه اخبار عما اليه يول عاقبة
امرهم واستشهادهم بقوله فالتقطه آل فرعون الاية فهو انما يستقيم ممن يجهل

عواقب الامور ويخرج ذلك منه على التنبيه والايقاظ لما لم يعرفوا عاقبته مآيه
صار الامر اليه كالتقاط آل فرعون لموسى لما ذكر عنهم من العرض الظاهر
لما لم يعرفوا عاقبة الامر فاما الله تعالى عالم السر والعلانيه وما كان ويكون
في الاوقات التي يكون لا يحتمل ذلك ويقول الناس لدوا للموت وابنوا للخراب
انما يذكرون عند التنبيه والايقاظ لجهلهم بعواقب الامور وان كانوا لا يلدون
ولا يبنون للموت والخراب ولا يقصدون واما التاويل عندنا على ما ذكر في ظاهر
الآية انه خلق لجهنم كثيرا من الجن والانس لما علم في الازل انهم يختارون فعل
الكفر والاعمال الخبيثة التي يستوجبون بها النار خلقهم لجهنم لما علم منهم ذلك في
الازل فيكون ما علم على ما علم وكذلك خلق المومنين للجنة لما علم في الازل انهم
يختارون فعل الهدى ويعملون الاعمال الطيبة يستوجبون بها الجنة لا ان خلقهم
للجنة مرسلا او خلقهم للنار مطلقا بل خلق البعض للنار والبعض للجنة والله الموفق
فان قيل اليس ان الله تعالى قال وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون اخبر
انه خلق الكل للعبادة وقد يوجد العبادة من البعض دون البعض فهلا قلتم ههنا
كذلك ان الكل خلقوا للجنة وان لم يوجد من الكل فعل يستوجب به الجنة قيل لا
فرق بين الامرين فان الله تعالى انما خلق منهم للعبادة من علم انه يعبده ويطيعه
واما من علم انه يكفر به ويعصيه فانما خلقه لما علم انه يكون منه فمن كان علم منه
في الازل انه يكون منه الكفر خلقه لذلك لانه لا يجوز ان يعلم منه المعصية وفعل
الكفر فيخلقه على خلاف ذلك انه لا فرق بينهما وعلى هذا ينصرف الاية وهو قوله
وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون الى الفريق الذي علم منهم العبادة لا الكل
وكم من عام يراد به الخصوص الا ترى ان الصبيان والمجانين لم يدخلوا تحت
هذا النص فكذلك الفريق الذين علم منهم الكفر والمعصية لم يدخلوا تحته الدليل
عليه قوله ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس وهم الذين خلقهم لغير
الايمان والعبادة فهذه الآية في فريق وهذه في فريق آخر ليكون جمعا بين الآيتين
بقدر الامكان ويحتمل قوله وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون اي الا لآمر
كلفهم العبادة وآمرهم بها وعلى هذا التاويل يكون الآية على العموم دون الخصوص
فان التكليف يشمل المومن والكافر جميعا والله اعلم ويحتمل وما خلقت الجن والانس
الا ليعبدون اي ما خلقت الجن والانس الا ليشهد خلقهم على وحدانية الله

والوهيته والله اعلم قوله تعالى لهم قلوب لا يفقهون بها قيل الفقه هو معرفة
الشيء بمعناه الدال على نظيره وقيل معرفة الشيء بمعناه الدال على مدبره
وصانعه وكل واحد من هذين الحدين غير مطرد فالاول لا يطرد
في معرفة الله فانه قال الدال على نظيره والله تعالى ليس نظير العالم
لكنه يستقيم في الاحكام والثاني يستقيم في معرفة الله لا في حق غيره والحد
المطرد ان يقال الفقه معرفة الشيء بمعناه الدال على غيره اخبر ان هولاء
الكفرة لم يفقهوا لما لم ينظروا الى الاشيا بمعانيها وحقايقها انما نظروا اليها
بظواهرها وكذلك قوله ولهم اعين لا يبصرون بها لما نظروا الى ظواهرها
ولم ينظروا الى معانيها وحقايقها ليدلهم على تدبير منشيها وحكمته وكذلك
قوله ولهم آذان لا يسمعون بها وقوله اولئك كالانعام لما كانت للانعام
قلوب واعين واذان لكن لا يفقهون معناها وحقيقتها وان كانوا يسمعون
الاذان ويبصرون ظواهر الاشيا فعلى ذلك هولاء الكفار وان كانوا
يسمعون النداء ويبصرون ما ذكرنا لكن لما لم يفقهوا وتدبير مدبرها
فهم كالانعام قوله تعالى بل هم اضل لان بنية الانعام لا يحتمل منهم ذلك
وبنية هولاء يحتمل اذ جعل لهم عقولا مميزة تعرف حكمة مميزها ومنشيها
لكنهم ضيعوها ولم يكن من الانعام تضييع لذلك كان اولئك اضل والله اعلم
وقال قايلون انما عنهم هذه الحواس لما لم ينتفعوا بها انتفاع من لهم تلك الحواس
بل كانوا الى من ليست لهم فاذا لم يستعملوها في المعاني التي خلقت لها جعلت
كالعدم في حقهم فهم كالانعام التي ليست لهم قدرة استعمال هذه الحواس في
المعاني التي وضعت لها الا من حيث الظاهر بل هم اضل لان هولاء اذا ضلوا
الطريق فهدوا وارشدوا لا يهتدون ولا يرجعون عن ذلك والدواب
اذا ضلوا الطريق فهدوا اهتدوا وعرفوا وما لوا اليه فهم اضل من الانعام
واصله ما ذكرنا انهم لما لم يستعملوا تلك الحواس فيما جعلت لهم وهو معرفة
حقايق الاشيا وما ادرج فيها من المعاني والحكمة فصاروا في الحقيقة كمن لا
حواس له اذ لم ينتفعوا بها انتفاع من لهم تلك لذلك نفي عنهم والله اعلم وعن ابن
عباس رضى الله عنهما قال في قوله ولقد ذرانا لجهنم كثيرا من الجن
والانس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم اعين لا يبصرون بها ولهم اذان لا

يسمعون بها لما ختم الله علي قلوبهم كقوله ختم الله علي قلوبهم وعلي سمعهم وعلي
ابصارهم غشاوة فمن ثم لم تفقه قلوبهم ولم تبصر اعينهم ولم تسمع اذانهم وقال ثم
ضرب لهم مثلا فقال اولئك كالانعام بل هم اضل اي في الكل لان همتهم ليست
الا الاكل والشرب وقضاء الشهوة كهمة الانعام والبهائم فانها تسمع النداء
ولا تعقل فعلي ذلك الكافر وقوله اولئك كالانعام اي عن فهم ما القي اليهم بل هم اضل
لانهم اعطوا سبب فهم ذلك والانعام لا ويحتمل قوله بل هم اضل لانهم اعطوا سبب فهم
ذلك والانعام لا ويحتمل قوله بل هم اضل لان الانعام تعرف ربها وتوحده وتذكره
لقوله وان من شيء الا يسبح بحمده وقال كل قد علم صلاته وتسبيحه وهولاء
لا يعرفون الله ولا يوحدونه ويحتمل بل هم اضل لانهم يضلون ويضلون غيرهم
والانعام لا ويحتمل بل هم اضل لانه لا ينتفع بهم والانعام ينتفع بها قوله تعالي
اولئك هم الغافلون اي عن فهم ما القي اليهم ولما امروا به ونهوا عنه ويحتمل
اي غافلون عما اوعدوا قوله تعالي ولله الاسماء الحسني فادعوه بها
يحتمل هذا وجهين احدهما ان الكفار قد ظنوا ان في اثبات عدد الاسماء
اثبات اعداد من الذات ويعيرون اهل التوحيد فيقولون انكم تدعون
التوحيد وتسمونه باسماء كثيرة وهو ظن فاسد اذ قد يسمي الشيء الواحد في
الشاهد باسماء مختلفة ثم لا يوجب ذلك اثبات عدد ذلك ولا تجزيته من نحو
ما يسمي الحركة حركة عرضا شيئا خلقا من غير ان اوجب ذلك اثبات عدد الحركة
او تجزيته وكذلك في جميع الاشياء فعلي ذلك يخبر انه ليس في اثبات عدد الاسماء
اثبات عدد الذات علي ما ذكرنا والله اعلم والثاني يحتمل ان يكون خرج هذا مقابل
قول كان منهم وهو ان وصفوا الله بشيء لا يحسن ان يوصف به واضافوا اليه
اشياء لا تصلح ان تضاف اليه من نحو قولهم يا خالق الخنازير ويا خالق الخبائث
ويا اله الشرور فاخبر تعالي ان ادعوه بالاسماء الحسني مما ثبت عند الخلق انه مسمي
له بما اعطاهم من الهداية والرشد فيقال يا هادي يا مرشد ونحوه او يقال
بما اعطاهم من النعم يا كريم يا جواد يا لطيف ونحوه او يقال يا خالق ويا رازق
ويا رحمن ويا رحيم ونحو ذلك ويقال يا الله ويا رب لما ظهر في انفسهم من الوهيته
وربوبيته فقال لا تدعوا بكذا ولكن ادعوا بالاسماء التي ثبت عند الخلق حقيقتها
وانه مسمي بها وقد روي علي الوجه الاول خبر روي عن رجل من المسلمين

قال في صلوته يا الله ويا رحمن ويا رحيم فقال رجل من المشركين اليس
يزعم محمد واصحابه انهم يعبدون الها واحدا فما بال هذا يدعوا ربين
اثنين فانزل الله تعالي ولله الاسماء الحسني ويحتمل قوله ولله الاسماء
الحسني اي له الاسماء الحسني لا للاصنام التي تعبد ونها من نحو ما سموها
اربابا والهة فقال هذه الاسماء التي تدعون بها الاصنام اسماء الله
تعالي فادعوه بها ولا تدعوا بها الاصنام والله اعلم قوله تعالي وذروا
الذين يلحدون في اسمائه سيجزون ما كانوا يعملون اي لا تكافهم بصنيعهم
ولا تجازهم باذاهم اياك فان الله تعالي هو المكافي لهم والمجازي بصنيعهم
الاذي قال في اخره سيجزون ما كانوا يعملون قال ابن عباس رضي الله
عنهما الالحاد الميل في جميع القرآن وقيل الالحاد التكذيب وقال
القتبي يلحدون اي يجورون عن الحق ويعدلون واصل الجور هو
الميل عن الحق والوضع في غير موضعه وبه سموا ملحدين لما سموا
غيره باسمائه او لاشراكهم غيره في اسمائه او لما صرفوا شكر نعمه الي غيره
وعبدوا دونه مع علمهم انه لم يكن منهم اليهم شيء من ذلك انما كان ذلك لهم
من الله تعالي قوله تعالي سيجزون ما كانوا يعملون قيل هذه
بشارة لرسول الله بالنصر له والظفر علي اعدائه في الدنيا وقال بعضهم
هو حرف وعيد اوعدهم عز وجل باذاهم رسول الله قوله عز وجل
وممن خلقنا امة يهدون بالحق اي يهدون الخلق بالحق الذي عندهم
وهو القرآن والكتب ويحتمل ان يكون الحق هو رسول الله به يهدون
وبه يعملون ويحتمل اي يدعون الخلق الي سبيل الله علي ما ذكر في
اية اخري حيث قال ادع الي سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة
ويحتمل الحق ههنا هو الله تعالي كقوله ان الله هو الحق المبين قوله
تعالي وبه يعدلون اي بالحق الذي يهدون يعملون وهو كقوله وما اريد ان
اخالفكم الي ما انهيكم عنه قوله تعالي والذين كذبوا باياتنا قد ذكرنا هذا
في غير موضع قوله تعالي سنستدرجهم من حيث لا يعلمون قال
قايلون هو صلة قوله ساء مثلا القوم الذين كذبوا باياتنا وقوله فاولئك
هم الخاسرون وقال بعضهم فيه الوعيد لرسول الله بالنصر له والظفر

على اعدآيهم الاستدراج هو الاخذ في حال الغفلة من حيث امن الرجل
بغتة كقوله فاخذناهم بغتة وهم لا يشعرون وقال قايلون الاستدراج
المكر لكن معنى ما يضاف الاستدراج والمكر الى الخلق غير الذي يضاف
الى الله والجهة التي تضاف الى الله غير الجهة التي تضاف الى الخلق والجهة
التي تضاف الى الخلق مذموم والجهة التي تضاف الى الله محمود وكذلك ما
اضيف اليه من الاستهزآء والخداع على اختلاف الجهات وهو ان الله تعالى
ياخذهم بما يستوجبون ويستحقون بحق المكافاة والجزآء فلا يلحقه في ذلك
ذم فاما الخلق فيما بينهم يمكرون ويكيدون لا على استحقاق الجزآء بل ابتدآء
فعل وقيل سنستدرجهم اي نجزيهم جزآء استدراجهم وجزآء كيدهم
وهو كقوله ومكروا مكرا ومكرنا مكرا اي جزيناهم جزآء مكرهم تسمية
للشي باسم ما يقابله كقوله وجزآء سيئة سيئة مثلها ونحو ذلك وعن الحسن
في قوله سنستدرجهم من حيث لا يعلمون قال كلما حددوا لله معصية
حدد الله لهم نعمه ليستهزوا او ياشروا او يبطروا ثم يهلكهم وقال بعضهم يظهر
لهم النعم وينسيهم الشكر ويحتمل ما ذكر من المكر والاستدراج والكيد عبارة
عن العذاب الاترى انه قال ان كيدي متين اي ان اخذي اياهم وعذابي
شديد قوله تعالى واملي لهم ان كيدي متين يحتمل قوله واملي لهم ان كيدي
متين اي كيدوا انتم وامهلكم واكيدكم اي اجازيكم جزآء كيدكم ان كيدي متين
اي عقوبتي واخذي شديد ويحتمل واملي لهم اي يفعل بهم ما هو عندهم
استدراج وكيد وكذلك يفعل بهم ما هو مكر وخداع عندهم وان لم يكن
من الله تعالى استدراج وكيد وخداع ومكر وهو كقوله وهو اهون عليه
اي اعادة الشي عندكم اهون من الابتدآء وان كان عند الله تعالى الاعادة
والابتدآء سوآء فعلى ذلك قوله سنستدرجهم وقوله ان كيدي متين ونحوه
وقوله متين اي شديد وقيل المتين هو المحكم القوي ثم دلت قوله واملي لهم
على انه لم ينشيهم لحاجة له اليهم او لمنفعة له فيهم ولكن انشاهم لحوايج انفسهم
ولمنافع ترجع اليهم حتى ان عملوا نفعوا انفسهم وان تركوا اضروا انفسهم
قوله تعالى اولم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة وذلك ان الكفرة كانوا
ينسبون رسول الله الى الجنون احيانا والذي حملهم على ذلك والله اعلم

لانهم كانوا اهل العز والشرف في الدنيا وكان لا يخالفهم احد ولا يستقبلهم
بالمكروه الا احد رجلين رجل ذو داهية وقدرة له اعوان وانصار
او رجل به جنون لانهم كانوا العقلاء من يخالفهم في شي من الامر فلما
راوا رسول الله خالفهم واستقبلهم بما كانوا يكرهون ولم يروا معه انصارا
واعوانا اذا عاداهم وان كانوا رؤسآء الكفرة واهل الشرف لكن لا ينصرونه
بل يكايدونه ويعادونه الى ان رزق الله تعالى لبعضهم الايمان ظنوا انه
لا يخالفهم الا لجنون فيه فنسبوه الى الجنون لذلك والله اعلم ويحتمل ان يكون
نسبتهم اياه الى الجنون لما حرم عليهم عبادة الاصنام والاوثان التي كانوا
يعبدون ونهاهم وقد راوا العقلآء منهم قد عبدوا الاصنام وامروهم بذلك
ولم يحرموا عليهم ذلك فلما حرم هو ذلك عليهم وانفرد من بينهم بالنهي
ظنوا انه انما انفرد بذلك وخالفهم لافة فيه فذلك حملهم على نسبته الى
الجنون والله اعلم ثم عاتبهم الله تعالى بتركهم التفكر فيه بقوله اولم يتفكروا
ما بصاحبهم من جنة ليبين لهم انه ليس به جنون وما ظنوا انما جرى على
خاطرهم من وساوس الشيطان وذلك يحتمل وجهين احدهما انهم لو تفكروا
في رسول الله بما اخبر لهم من المرغوب والمرهوب والمحذور في كتابهم
على غير لسانهم من غير اختلاف منه الى احد ولا تعلم ليعلموا ان رسول الله
وان ما اخبر انما اخبر بالله وانه انما نهاهم وحده من غير اعوان وانصار
ظاهرا من الخلق لعلمه من طريق الوحي ان النصر له والظفر وان اعدآءه
لا يقدرون على قتله واهلاكه ويحتمل اي اولم يتفكروا في انفسهم وفي اوليك
الذين عبدوا من الاصنام والاوثان ليظهر لهم انهم على باطل وسفه وليبين
لهم ان الحق هو ما يدعوهم اليه محمد لا ما كانوا هم عليه لا ان به جنونا والله اعلم
وفيه دلالة ان الحق يلزم وان كان لا يعلم ذلك الا بالتفكر والتدبر لما لحق
هولآء من الوعيد الشديد والعقاب العظيم لما تركوا التفكر وكان لهم مثل
الوصول الى معرفة ذلك والله اعلم ويحتمل قوله اولم يتفكروا ما بصاحبهم
من جنة اي قد تفكروا وعرفوا انه ليس به جنون وكذلك في قوله اولم ينظروا
في ملكوت السموات والارض الاية اي قد تفكروا في ذلك وعرفوا ان مثل
هذا الخلق عبثا باطلا كما يقال اولم نفعل كذا على الانكار اي قد فعلت لكنهم

عاندوا وكابروا آياته وحججه ثم اخبر انه نذير مبين ليس كما يقولون انه
مجنون اذ معه آيات وحجج وبراهين فهو نذير مبين قوله تعالى اولم
ينظروا في ملكوت السموات والارض يحتمل هذا على الابتداء ويحتمل
على الصلة فيما تقدم من قوله اولم يتفكروا وهو انهم اذا نظروا في ملكوت
السموات والارض عرفوا الهيته وربوبيته لما رأوا من اتصال منافع
بعض ببعض على بعد ما بينهما واتساق التدبير في ذلك وعرفوا ان ذلك
كله مسخر لمن له التمييز وان المقصود من خلقه اهل التمييز فاذ اعرفوا
ذلك عرفوا انهم يحتاجون الى من يعرفهم ذلك ويعلمهم ما يحتاجون في ذلك
اذ بمجرد العقول لا يعرف الا اصل الشكر واصل التعظيم للمنعم والخالق اما
لا يعرف مقادير ذلك واوقاته ولا يعرف ذلك الا المنعم الذي خلق لهم النعم
فعرفوا ان الرسول لا بد لهم ليعرفهم ذلك والله اعلم ويحتمل ان يكون على
ابتداء الامر بالتفكر في ملكوت السموات والارض وما خلق من شيء ليدلهم
على وحدانية الله وربوبيته قوله تعالى وان عسى ان يكون اقترب
اجلهم فباي حديث بعده يؤمنون كان هذا انزل فيمن عرف صدقه لكنه عاند
في تكذيبه وقال وان عسى ان يكون قد اقترب اجلهم يحذرهم ليرجعوا الى
تصديقه مخافة الخروج من الدنيا على ما هم عليه قوله تعالى فباي
حديث بعده يؤمنون يحتمل وجوها احدها اي انكم ممن تقبلون الاخبار
والحديث فاذا لم تقبلوا حديث رسول الله وخبره ولم تصدقوه ومعه حجج
وبراهين فباي حديث بعده تقبلون وتصدقون ولا حديث مثل حديثه
في التاويل بالمعجزات الناقضة للعادات والله اعلم والثاني يحتمل ان يكون
قوله فباي حديث يؤمنون يعني القرآن وهو كما وصفه الله بقوله لا ياتيه
الباطل من بين يديه ولا من خلفه الآية وقوله قل لئن اجتمعت الانس والجن
على ان ياتوا بمثل القرآن لا ياتون بمثله فاذا لم تقبلوا هذا القرآن الذي وصفه
ما ذكرنا وانتم ممن تقبلون الحديث فباي حديث تقبلون معه والثالث يحتمل
ان يكون قوله فباي حديث بعده يؤمنون يريد به الآخرة اي لا حديث بعده
يؤمنون وقد اقترب اجلهم فباي حديث بعده يؤمنون والله اعلم قوله تعالى
من يضلل الله فلا هادي له اي من اهانه الله تعالى بخلق فعل الضلال منه فلا

احد يملك اكرامه باعطائه الهدى ذكر ههنا من يضلل الله فلا هادي له وذكر
في موضع آخر ومن يهدي الله فما له من مضل اخبر ان الاضلال والهداية
منه لا من غيره ولو كان الهداية المضافة الى الله هو البيان كما يقوله المعتزلة
وكذا الاضلال والازاغة هي النهي والتخلية لكان الهداية والاضلال من غيره
وهذا خلاف ما سبق به النص ويبطل التمدح به ولان كل من اراد الله ان
يهديه اضله غيره وكل من اراد ان يضله يهديه غيره وهذا محال ولان
في كل موضع اضاف الاضلال الخلق ذكر على الذم ومن الهداية اليه مدحه
ثم اضافهما جميعا الى نفسه دل ان في ذلك زيادة معنى ليس ذلك في الاضافة
الى الخلق وهو ما ذكرنا في غير موضع اما فعل خلق الضلال من الكافر وخلق
فعل الاهتداء والايمان من المؤمن او كان منه التوفيق والمعونة في الهدى
والخذلان في الكفر وهذان الوجهان لا يكونان من الخلق وانما يكون من
الخلق الدعاء وغيره لذلك كان معنى الاضافة اليه لا ما قاله المعتزلة
من البيان والامر والنهي والتخلية اذ يكون ذلك من الخلق والله الهادي
والله اعلم قوله تعالى ويذرهم في طغيانهم يعمهون ولا ضرر يلحقه في
طغيانهم لذلك تركهم فيه ودل ذلك على انه لم ينشئهم لحاجة نفسه ولا لدفع
ضرر نفسه ولكن لحاجة انفسهم وهذا حرف وعيد كقوله سنستدرجهم
من حيث لا يعلمون وقوله ان كيدي متين قوله تعالى يسألونك عن
الساعة ايان مرسيها قيل اي متى قيامها وقال القتبي ايان مرسيها
اي متى ثبوتها يقال رسا في الارض اذا ثبت ورسي في الماء ويقال
للجبال رواس لثبوتها ثم اختلف في السؤال عماذا قال بعضهم كان السؤال
عن فناء الخلق وهلاكهم بالنفخة الاولى فسألوا عن وقتها لانه قال في
آخره لا تاتيكم الا بغتة وقوله ما ينظرون الا صيحة واحدة تاخذهم
وهم يخصمون وذلك يكون في الدنيا وقال بعضهم كان السؤال عن البعث
وقيام القيامة انكارا منهم اياها واستعجال العذاب قال الله تعالى
وما يدريك لعل الساعة قريب يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها
وقال خبرا عنهم اذا متنا وكنا ترابا وعظاما ءانا لمبعوثون وغير ذلك
من الآيات فدل ان السؤال عن البعث والقيامة وليس في قوله لا تاتيكم

الابغتة ما يدل على ان المراد به الفنآء اذ هم كانوا يعاينون الفنآء و يتيقنون
بذلك فلا معنى للسوال ثم احتمل السوال عن البعث وقيام الساعة وجهين
احدهما ان كان السوال عن المكذب لها فهو سوال استهزآء واستعجال
لما ذكرنا من قوله لعل الساعة قريب يستعجل بها الذين لا يومنون بها
وان كان السوال عن المصدق لها فهو سوال استعلام واشفاق ليتاهبوا
لها وليستعدوا كقوله والذين آمنوا مشفقون منها لما سمعوا من الايات
ما يقرب وقوعها كقوله اقتربت الساعة وقوله اقترب للناس حسابهم
وقوله اتى امر الله فلا تستعجلوه ونحوه من الايات وما سمعوا من
رسول الله صلى الله عليه انا والساعة كهاتين وفي بعض الاخبار كادت
الساعة لتسبقني وغير ذلك من الاخبار حملهم ذلك على السوال ليتاهبوا
وليستعدوا قوله تعالى قل انما علمها عند ربي لا يجليها لوقتها الا هو امر
النبي ان يقول ان علمها عند رب لا يجليها لوقتها الا هو اي لا يكشفها ولا
يظهر وقتها الا هو ليس كالامور التي تجري على ايدي الخلق فيكون لهم
فيها تدبير من اخراج الثمار والنبات وغير ذلك اعني الملائكة الذين
سلطوا على حفظ المطر والنبات فاما الساعة فانما تقوم من غير ان تكون
لاحد من الخلايق فيها تدبير او علم وهو ما وصفها الله تعالى بقوله وما
امر الساعة الا كلمح البصر او هو اقرب اخبر ان امر الساعة خارج عن
تدبير الخلق بل تقوم بتدبير الله من غير ان يجري على يدي احد والله اعلم
قوله تعالى ثقلت في السموات والارض قيل ثقلت على اهل السموات
والارض فذكر الثقل لان من خفي عليه شي ثقل عليه فانما ذكر انها
ثقيلة عليهم لخفائها عليهم وقال قايلون ثقل وقوعها على اهل السموات
والارض لكثرة اهوالها وشدة وقوعها كذلك قال الحسن اي اذا جاءت
ثقلت على اهل السموات والارض وكبرت عليهم ويحتمل ان يكون قوله
ثقلت في السموات والارض على نفس السموات والارض على ما ذكر
في قوله تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وذلك من شدة هولها
ولكن ان كان على نفس السموات والارض فمعناه انها لو كانت بحيث تعرف
وتميز وبينها سه من يعرف ثقل شي لثقلت عليها وهو ما قلنا في قوله

وعن

وعن تهم الحيوة الدنيا والدنيا لا تغر احدا ولكن ما كان منها لو كان ممن يكون
منه التغرير لكان غرورا فعلى ذلك الاول وقال بعضهم ثقل ذكرها
على اهل السمآء والارض وقال قتادة ثقل علمها على اهل السمآء
والارض واصله ما ذكرنا اي خفي علمها على اهل السموات والارض
واذا خفي الشي ثقل قوله تعالى يسالونك كانك حفي عنها اختلف
فيه قال قايلون اي يسالونك عنها كانك مكرم مشرف ذو منزلة عند الله
تعالى عندهم فيعلمك عنها ولذلك قيل في قوله انه كان بي حفيا
اي بارا رحيما فالحفي هو المكرم المشرف البار الذي لا يستخفى شي ولا
يلتبس عليه وقال قايلون يسالونك كانك حفي عنها اي يسالونك عنها
كانك عالم بها والحفي العالم الخبير وقال قتادة كانك حفي بهم كانك تحب
ان يسالونك عنها وقال بعضهم هو على التقديم والتاخير يسالونك عنها
كانك حفي يعني كانك استخفيت السوال عنها حتى علمتها قوله تعالى
قل انما علمها عند الله ولكن اكثر الناس لا يعلمون امر النبي ان يقول ما لي
بها من علم انما علمها عند الله ولكن اكثر الناس لا يعلمون انها كاينة ويحتمل
ولكن اكثر الناس لا يعلمون انك لا تعلم انها متى تكون ويحتمل اي لا يعلمون
ما لهم وما عليهم قوله تعالى قل لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا قال
بعض اهل التاويل اي لا املك لنفسي الهدى والضلالة وقال قايلون
من اهل التاويل لا املك جر النفع الى نفسي ولا دفع الضر عنها الا ما شاء الله
اي الا ان اقدرني الله تعالى على ذلك فاملك ذلك ويشبه ان يكون امره
ان يقول لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا لئلا يتخذوه معبودا او لا ينسبوه
الى الله تعالى بما لا يليق النسبة به نحو ما قالت النصارى المسيح ابن الله
وقالت اليهود عزير ابن الله وقال مشركو العرب الملائكة بنات الله
لعظيم ما وقع عندهم من محل هولاء وقدرهم عند الله فقال لا املك لنفسي نفعا
ولا ضرا لئلا ينسبوه الى الله من الوجه الذي ينسب اولئك اظهر من نفسه
العجز والعبودة وهو كما قال عيسى اني عبد الله آتاني الكتاب الاية والله اعلم
قوله تعالى ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير قال بعضهم لو كنت
اعلم متى اموت لاستكثرت من الخير يعني من العمل الصالح ان انا الا نذير

وبشير وقال ابن عباس رضي الله عنهما ان اهل مكة قالوا الا تخبرك
ربك يا محمد بالتجارة المربحة فنحو فيها فنربح او لا تخبرك بالسنة القحط
والجدوبة وتخبرك بوقت السعة والخصب فقال عند ذلك ولو كنت
اعلم الغيب من جدوبة الارض والقحط لاستكثرت من الخير اي لهيات
لذلك وما مسني السوء من الضر والشدة والي هذا ذهب عامة اهل
التاويل ولكن الوجه فيه غير ما ذهبوا اليه فان فيما ذهبوا اليه نوع
وهاء اما التاويل لو كنت اعلم متي اموت لاستكثرت من العمل الصالح فان
من لا يدري متي يموت كان اقبل علي العمل من يعلم انه يموت في وقت
معلوم فان وقت الموت اذا لم يعلم فيخاف ان يكون الوقت قريبا وانه ياتيه
بغتة فيكون مستعدا لذلك فاما متي علم انه يموت بعد سنة او اكثر فربما يتكاثر
الي ان يقترب الوقت ليتوب قبل ذلك فيقبل توبته فدل ان هذا التاويل
ضعيف وكذا تاويل العامة فهو بعيد فان النبي عليه السلام ما جمع المال حتي يوصف
بذلك وكان يختار الفقر ولا يقبل علي الدنيا ولكن التاويل الاشبه ان يقال
والله اعلم اي لا اعلم لكم نفعا ولا ضرا ولو كنت اعلم لكم الغيب لاستكثرت من الخير عند الله
اي لو كنت اعلم لكم ذلك لصدقتموني وامنتم بي لاستكثرت من الخير عند الله بايمانكم
بالله وتصديقكم اياي او ان يقال لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا ولو كنت املك ذلك
لكم لاستكثرت من الخير لانكم اذا رايتم املك لكم نفع ما غاب عنكم ودفع ضرر ما غاب
لامنتم بي وصدقتموني فانا بذلك استخرج عند الله خيرا كثيرا وقال بعضهم قوله
لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا اي ولا اعلم الغيب الا قدر ما اوحي الي ولو كنت اعلم
اكثر مما اوحي الي لاستكثرت من الخير وقال بعضهم لا اعلم الغيب قبل ان اوحي
الي ولو كنت اعلم ذلك لاستكثرت من الخير بذلك ويحتمل ان يكون قوله ولو كنت
اعلم الغيب لاستكثرت من الخير اي لو كنت اعلم من المجيب منكم ومن الراد ومن
المصدق ومن المكذب لاستكثرت من الخير لانه لا اشتغل بمن يعلم انه يرد ولا يجيب
وانما يشتغل بمن يعلم انه يجيب ولا يكذب فيستكثر اتباعه والمطيعين لله والاشبه
من التاويلات ما ذكرنا لاستكثرت من الخير بتصديقكم اياي وايمانكم بي وما
ذكرنا اي لو كنت املك لكم نفع ما غاب عنكم ودفع ضرر ما غاب ايضا لامنتم بي وصدقتموني
فانا بذلك استوجب من الله خيرا كثيرا وقوله تعالي وما مسني السوء ان انا الا نذير

ولبشير ويحتمل وما مسني السوء منكم سوء رد وتكذيب لانه لو علم الذي يجيبه
ويصدقه من الذي لا يجيبه ولا يصدقه لم يمسه منه شي الرد والاذي لانه لا
يشتغل به بعد ما اقام عليه الحجة من المجيب منكم ومن الراد ان انا الا نذير
ولبشير لقوم يؤمنون قوله تعالي هو الذي خلقكم من نفس واحدة
وجعل منها زوجها ليسكن اليها فلما تغشيها حملت حملا خفيفا فمرت به قال
عامة اهل التاويل ان ادم وحوا لما اهبطا الي الارض تغشاها ادم فحملت فاتيها
ابليس اللعين فقال يا حوا ما هذا الذي في بطنك قالت لا ادري قال لعله
بهيمة من هذه البهايم ناقة او شاة او بقرة قالت لا ادري فاعرض عنها فلما
اثقلت اتاها وقال كيف تجدينك قالت اني اخاف ان يكون الذي ذكرت ما
استطيع القيام اذا قعدت الا بجهد قال افرايت ان دعوت الله يجعله انسانا
مثلك ومثل ادم اتسميه بي قالت نعم فانصرف عنها فقالت لادم لقد اتاني ات
فخوفني بكذا واني لاخاف مما ذكر فدعوا الله تعالي في ذلك فذلك قوله فلما اثقلت دعوا الله
ربهما لين اتيتنا صالحا اي جعلته انسانا لنكونن من الشاكرين فكان هذا
دعاهما قبل ان تلد فلما ولدت اتاها ابليس اللعين فقال الا تسمينه بي كما وعدتني
قالت نعم ما اسمك فقال اسمي الحارث فسمته عبد الحارث فذلك قوله فلما اتيهما
صالحا جعلا له شركا فيما اتيهما الاية علي هذا حمل اهل التاويل الاية والي ادم وحوا
صرفوها وذلك وحش من القول قبيح في ادم وحوا ذلك ولان تسمية الولد
بذلك ولنسبتهما اليه لو ثبتت لم تكن اشراكا اذ لو كان في مثله اشراك لكان اضافة
العبيد والمماليك الي الخلق اشراكا في الالوهية فينبغي ان يمنع الخلق في
الاضافة ولما اطلق الخلق ذلك من غير منع من احد من الانبياء والرسل
ولا من احد من العقلاء حيث قالوا فلان عبد فلان وامة فلان دل انه لا
اشراك في هذه الاضافة ولم يوجد منهما او منهما سوي التسمية من الحارث
فما معني قوله جعلا له شركا فيما اتاهما دل ان الاية لا يصح حملها علي ادم وحوا
والله اعلم ثم التاويل عندنا الي ما ذهبوا اليه وهو ان قوله هو الذي خلقكم
من نفس واحدة يعني ادم وجعل منها زوجها اي حوا وغيرها من ازواج اولاده
الي يوم القيمة اخبر انه خلق بني ادم وبناته من نفس ادم كانه في كل نفس
جزو منه قد اجتمعت الاجزا كلها في ادم فيكون الجملة نفسا واحدة ثم جعل من

تلك النفس زوجها وزوجه كل واحد من بنيه الى قيام الساعة اذ الكل اجزاؤه
واجزاؤه منه فيصير في التقدير كانه خلق الزوجات كلها من النفس لا زواج
وهو كقوله ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها الآية اخبر
ان الازواج خلقهن من انفس الازواج وانهن من انفسهم خلقن فتنصرف
قوله وجعل منها زوجها ليسكن اليها الى كل زوج وزوجة واذا ثبت كان قوله
فلما تغشاها حملت حملا خفيفا ينصرف الى كل زوجة حملت من زوج من اولاد
آدم وحواء لا اليهما قوله تعالى فلما اثقلت دعوا الله ربهما لئن آتيتنا صالحا لنكونن
من الشاكرين يمكن ان يصرف الى كل زوج وزوجة يدعوان عند ظهور الحمل
بالمرأة بالصلاح والخير لولدهما ويحتمل ان يصرف الى آدم وحواء كانا يدعوان
الله تعالى بالصلاح والخير لاولادهما كان يدعو ابهما اذ هما اب وام ويدعوا الوالدان
للاولاد بالصلاح والخير قوله تعالى فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما
آتاهما يصرف الى كل زوج وزوجة من الكفرة يدعوان لولدهما بالصلاح ويلتزمان
الشكر عند حصول الصلاح ثم يجعلان له شريكا في الولد ويدعوان الولد الى عبادة
الصنم ظنا منهما ان ذلك شكر منهما لما ذكرنا من زعمهم الى العبادة للاصنام للتوسل
الى الله تعالى كما اخبر الله تعالى عنهم بقوله ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى
على هذا اوانشأ له يجوز ان يخرج الآية فاما ما قاله اولئك فهو بعيد محال والله اعلم
قال بعضهم ان العرب كان اذا ولد لهم اولاد ذكور ينسبون الى الاصنام التي
يعبدونها ويضيفون اليها تعظيما لها تقول ابن اللات والعزى وابن البنات
ونحو ذلك وكانوا يقتلون البنات وكان اذا اصابتهم الشدة يفزعون الى الله
ويتضرعون اليه كقوله فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين
وقوله واذا مس الانسان ضر دعا ربه منيبا اليه وقوله واذا غشيهم موج
كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين واذا ذهب ذلك عنهم وانجلى عادوا الى
ما كانوا من قبل كقوله فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون وقوله ثم اذا
خوله نعمة منه نسي ما كان يدعوا اليه من قبل واذا كان من عادة العرب
ما ذكرنا كان اذا حملت زوجة احد منهم وثقل ما في بطنها جعلا يدعوان الله
ربهما لئن آتيتنا صالحا ذكرا وسلمت من الولادة لنكونن من الشاكرين فلما
آتاهما صالحا ذكرا جعلا له شركاء فيما آتاهما اي جعلا له شركاء في الولد الذي ولد

منها فنسبوه الى الاصنام التي كانوا تعبدونها فذلك قوله جعلا له شركاء فيما
آتاهما فتعالى الله عما يشركون فعلى هذا التاويل يكون صدر الآية في آدم
وحواء قوله تعالى فلما تغشاها حملت حملا خفيفا لمن ثبت به اي استمرت
بالحمل قال القتبي اي آخر الآية يصرف الى غير آدم وحواء وقال
الحسن الآية في مشركي العرب الا قوله هو الذي خلقكم من نفس واحدة
وجعل منها زوجها ليسكن اليها فان ذلك في آدم وحواء الا ترى انه قال
اشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون وقال ابو بكر الاصم قوله هو الذي
خلقكم من نفس واحدة هو نفس آدم وجعل منها زوجها اي خلق كل نفس
منكم من تلك النفس وجعل لكل نفس منكم زوجة من تلك النفس ليسكن
اليها فعلى هذا التاويل يصرف آخر الآية الى غير آدم وحواء ويحتمل قوله
خلقكم من نفس واحدة الآية ان العرب كانت تعبد الاصنام تقليدا
لآبائهم وسلفهم فذكر سفههم ان النفس التي خلقتم منها لم تقلد احدا
ولم يشرك احدا انما اتبعت ما في العقل حسه او ما في السمع من الاثر
فكيف لا اتبعتم النفس التي خلقتم منها وهي لم تتبع الا ما ذكرنا دون
ما اتبعتم في الاشراك لله من دونه ولو كانت القصة في آدم على ما يقوله
اهل التاويل لكان العرب تعلق واقتداء به فيقولون انه اشرك
ونحن نشرك اتباعا له فدل انه ليس على ما قالوا ولكن على الوجوه
التي ذكرنا والله اعلم ثم في قوله هو الذي خلقكم من نفس واحدة دلالة
ان ليس لاحد من البشر على آخر فضل من جهة الخلقة والنسبة اذ كلهم
خلقوا من نفس واحدة وهم اخوة واخوات فان كان لاحد فضل على آخر
فانما يكون لاعمال واكتساب واخلاق محمودة ومحاسن يختارها كقوله
ان اكرمكم عند الله اتقاكم فاما من جهة الخلقة فلا فضل لبعض على بعض والله اعلم
قوله تعالى ايشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون ذكر سفههم انهم
يشركون في عبادته والوهيته من يعلمون انه لم يخلقهم وانما خلقهم الله تعالى
وخلق لما يعبدون فصرف العبادة الى غير الذي خلقهم سفه وجوده
قوله تعالى ولا يستطيعون لهم نصرا ولا انفسهم ينصرون يسفههم
ايضا ان في الشاهد لا يخضع احد احدا ولا يشكر له الا مجازاة لما سبق منه

اليه من النعمة او لما يأمل من المنفعة في العاقبة وانتم تعبدون هذه الاصنام ولم يسبق منها اليكم شي ولا لكم رجاء نفع في العاقبة منها فكيف تعبدون ويحتمل ولا يستطيعون لهم نصراً اي يدفعون عنهم الضر ولا انفسهم ينصرون اي ولا من قصد قصدهم بالكسر والاتلاف يملكون دفعه عن انفسهم والله اعلم ه
قوله تعالى وان تدعوهم الي الهدى لا يتبعوكم يحتمل هذا وجهين احدهما اي ان تدعوهم اي الاصنام الي الهدى ليهتدوا لا يتبعوكم اي لا يجيبوكم ولا هم يهتدون والثاني وان تدعوهم الي ما لكم اليه من حاجة لا يتبعوكم اي لا يقضوها ولا يملكون ذلك قوله تعالى سواء عليكم ادعوتموهم ام انتم صامتون يحتمل ان تكون الاية في قوم علم الله انهم لا يؤمنون ابداً كقوله وسواء عليهم أأنذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون وقال بعضهم قوله وان تدعوهم يعني المشركين الي الهدى لا يتبعوكم فعلى ذلك يخرج قوله سواء عليكم ادعوتموهم وامكن ان تكون قوله سواء عليكم ادعوتموهم في الاصنام والاول في المشركين والله اعلم ثم يحتمل ان تكون الخطاب للمسلمين بقوله وان تدعوهم يعني اهل مكة الي الهدى لا يتبعوكم اي لا يجيبوكم وجايز ان يكون الخطاب به لاهل مكة تقول وان تدعوهم الي الاصنام التي تعبدونها الي الهدى لا يملكون اجابتكم يسفههم في عبادتهم من حاله ما وصف قوله تعالى ان الذين تدعون من دون الله عباد امثالكم يحتمل قوله تدعون اي تعبدون من دون الله وقد كانوا يعبدون من دون الله اصناماً واوثاناً ويحتمل تدعون اي تسمون من دون الله الهة وقوله عباد امثالكم اي في الخلقة والحدثية والدلالة على وحدانية الله ولكن في التدبير والمعونة دونهم الا ترى انه قال الهم ارجل يمشون بها ام لهم ايد يبطشون بها الاية اي ليس لهم ما ذكر فهم دونهم في التدبير ويحتمل قوله عباد امثالكم اي الملائكة الذين عبد وهم هم عباد امثالكم فلا تسموهم الهة ولا تعبدوا عباداً امثالكم ولكن اعبدوا من لا مثل له ولا نظير ويخرج على هذين التاويلين جواب اشكال اورده الملحدة في هذه الاية وقالت فيها تناقض لانه قال عباد امثالكم ثم قال في اخذها الهم ارجل يمشون بها الاية فاذا لم يكن لما يعبدون هذه الاشياء فكيف يكونون امثالاً لهم فعلى التاويل الاول المراد هو المماثلة في اصل الخلقة والحدثية والحاجة الي الخالق والمحدث وان كان بينهما تفاوت

في الصورة والتدبير والمعونة ونحوها وعلى الثاني المراد هو الملايكة وبينهم تماثل فيما ذكر من الايدي والارجل والاذان والاعين ونحوها فان كان المراد هو التاويل الاول فقوله الهم ارجل الاية مبني على قوله عباد امثالكم وان كان المراد هو الملايكة فقوله الهم ارجل يمشون بها الاية مقطوع عن الاول منصرف الي الاصنام والله اعلم وبعضهم اجابوا عن هذا الاشكال وقالوا ان قوله عباد امثالكم ذكر على الاستفهام اي اعباد امثالكم على حذف حرف الاستفهام اي ليس عباد امثالكم لذلك قال الهم ارجل يمشون بها الاية اي ليس لهم ذلك حقق نفي المماثلة وسفههم بعبادة من ليس بمثل لهم والله اعلم قوله تعالى فادعوهم فليستجيبوا لكم ان كنتم صادقين ذكر الدعاء والاستجابة ولم يبين فيماذا يستجيبونهم ولا يجب ان نفسر الاستجابة في الشفاعة او في التقرب الي الله تعالى او في غير ذلك الا ان يعلم انهم كانوا يدعونهم بكذا او يطلبون منهم كذا وقوله ان كنتم صادقين انهم الهة على ما تزعمون او ان كنتم صادقين فيما تزعمون ان عبادتكم اياها تقربكم الي الله زلفى قوله تعالى الهم ارجل يمشون بها ام لهم ايد يبطشون بها ام لهم اعين يبصرون بها ام لهم اذان يسمعون بها ويهربون ممن يقصدهم بالسوء او يقصدون قصد من اراد الضر بهم ويدفعون عن انفسهم وكذلك يعبدون ما لا ايدي لهم يبطشون يدفعون عن انفسهم من اراد السوء بهم او يأخذون من يقصدهم وكذلك قوله ام لهم اعين يبصرون بها اي ينظرون من يقصدهم بالسوء ام لهم اذان يسمعون بها من يشتمهم ويذكرهم بالسوء يسفههم في عبادة من لا يملك دفع من يقصده بالسوء انا هو بما منه وانما قصداً منه اليه بالسوء فاذا كانوا لا يملكون ذلك كيف تعبدونهم وهو كقول ابراهيم يا ابت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئاً فاذا كانوا لا يملكون دفع ما يحل بهم كيف يملكون جر النفع لكم او دفع الضر عنكم والله اعلم قوله تعالى قل ادعوا شركاءكم قال بعضهم خاطب به كفار مكة فقال قل ادعوا شركاءكم الذين تزعمون انهم الهة دون الله ويحتمل قوله شركاءكم اي ادعوا من شاركوكم في عبادة من دونه وقوله ثم كيدون يحتمل ان تكون الخطاب لجميع الكفار الذين كانوا يعبدون الاصنام والاوثان من دون الله قال لهم ذلك رسول الله بين ظهرانيهم

اعني ثم كيدون ولا تنظرون ثم لم يقدر احد الكيد به والضرر مع قوتهم وعدتهم بالكثرة
والاعوان وضعف رسول الله وقلة اعوانه فدل عجزهم عن ذلك وجرأة
الرسول علي ذلك علي انه كان اتكالا في نفسه وانه بالله ينتصر وانه بامره يقول
ذلك وانه قوي علي اعدائه وعصم عن كيدهم وذلك من عظيم آياته لانه قال ذلك
لمن كانت همتهم القتل والاهلاك لمن خالفهم فيما هم عليه من الدين ثم لم يقدر عليه
احد منهم الضرر به دل انه كان بالله حفظه وكذلك قال عامة الانبياء بين ظهراني
قومهم من نحو هود ونوح قال نوح لقومه فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون اني توكلت
علي الله ربي وربكم وقال نوح ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون الآية
وقوله ان وليي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولي الصالحين ذكر هذا علي اثر قوله
ثم كيدون فلا تنظرون كما ذكر هود اني اشهد الله واشهدوا اني بريء مما
تشركون من دونه فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون اني توكلت علي الله ربي وربكم
الآية وكما قال نوح ان كان كبر عليكم مقامي وتذكيري بآيات الله فعلي الله
توكلت فاجمعوا امركم وشركاءكم ثم لا يكن امركم عليكم غمة ثم اقضوا الي ولا تنظرون فدعوا
الي الله عند وعيد قومهم بالاهلاك وعليه اعتمدوا وبه وثقوا فعلي ذلك رسول الله
قال ان وليي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولي الصالحين اي هو ولي لحفظي
وهو يحفظ الصالحين او يتولي الصالحين اي يتولاه من صلحوا مثل قول ما ذكرنا
من الرسول قومهم ويحتمل حافظي وناصري الله الذي نزل الكتاب الذي عجزت
الخلائق عن اتيان مثله او وليي تدبيري الله الذي نزل الكتاب او ولي امري او ولي
لي الله وهو يتولي الصالحين قوله تعالي والذين تدعون من دونه لا يستطيعون
نصركم ولا انفسهم ينصرون يذكر سفههم لعبادة من عجز عن دفع الضرر عن نفسه
فضلا ان يدفع ذلك عنهم او يجر والي انفسهم منفعة واخبر عن جهلهم انهم يعبدون
من لا يملك دفع ضرر ولا جر نفع بقوله وان تدعوهم الي الهدي لا يسمعوا الآية
ثم قال لبعضهم تدعون من دونه هم الملائكة بقوله لا يملكون ما ذكر وقال لبعضهم الاصنام
التي تعبدون وما ذكر وهو اشبه ثم قوله وان تدعوهم الي الهدي يحتج علي وجهين
احدهما خاطب به المومنين يقول وان تدعوا اهل مكة الي الهدي لا يسمعوا اي لا يجيبوا
وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون اي لا ينتفعون به او لشدة تعنتهم لا يبصرون
ويحتمل ان يكون قوله وان تدعوا الاصنام التي تعبدون الي الهدي لا يسمعوا اي لا

يجيبوا ولا يملك الاجابة ويحتمل لا يسمعوا حقيقة السماع وتراهم ينظرون اليك
علي التمثيل اي كانهم يبصرون اليك وهم لا يبصرون حقيقة والله اعلم
قوله تعالي خذ العفو وامر بالمعروف واعرض عن الجاهلين الآية يتوجه
وجهين احدهما علي حقيقة الاخذ والثاني علي العمل بالعفو فان كان علي الاخذ
فهو علي وجهين احدهما اي خذ الفضل الذي لا حق لهم فيه ولا يجري الشح والضنة
به من اموالهم وهو القليل من ذلك وكان ذلك في ابتداء الامر ثم صار منسوخا
بآية الزكوة والثاني ان خذ ما يفضل من انفسهم وحوائجهم اذا اعطوك من غير
مسألة منهم اي اقبل منهم ما اعطوك ولا تلح في المسألة كقوله ولا يسألكم اموالكم ان يسألكموها
فيحفكم تبخلوا لانه اخبر انه ان يسألهم اموالهم حملهم ذلك علي البخل وان كان علي
العمل فهو علي وجوه احدها اي اعف عن الظلمة عن ظلمهم واعرض عن السفهاء
والجهال معهم امر رسول الله ان يقابل الخلق باشياء ثلثة امر ان يعفوا الظلمة عن
ظلمهم ولا يكافيهم بظلمهم وامر ان يعرض عن السفهاء والجهال وان يحلم معهم وامر ان
يعامل المومنين بالرفق واللين والرافة وبذلك وصفه الله تعالي فقال بالمومنين
رؤف رحيم وروي عن عبد الله بن الزبير رضي الله عنه قال في قوله خذ العفو وامر
بالمعروف واعرض عن الجاهلين ما انزل الله تعالي هذه الآية الا في اخلاق
الناس وعن قتادة قال في هذه الآية اخلاق حسان امر الله تعالي نبيه بها
ودعاه اليها الي هذا ذهب بعض اهل التاويل وصرف تاويل الآية اليه وفي حرف
ابن مسعود وابي بن كعب رضي الله عنهما خذ العفو وامر بالمعروف وانه عن المنكر
واعرض عن الجاهلين وفيه دلالة انه امر بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر والمعروف
هو اسم كل حسن وامر بالعفو عن الظلمة والاعراض عن الجهال وعلي ذلك روي
عن عائشة رضي الله عنها انها قالت كان رجلا يشتم رسول الله فيؤذيه فدخل علي
رسول الله صلي الله عليه وسلم فاوسع له وادناه ورحب به قالت فقلت يا رسول الله
اليس هذا كان يشتمك قال بلي يا عائشة ان من شرار الناس الذين يكرمون
لاتقاء شرهم والسنتهم الي مثل هذا دعي النبي صلي الله عليه وسلم بالعفو عن الظلمة
وترك المكافاة وقيل وامر بالعرف اي مر الناس بالعرف وهو ما تشهد خلقتك
وتأمرك به وهو اشياء ثلثة اثنان فيما بينه وبين ربه والواحد فيما بينه وبين الناس
اما الاثنان اللذان فيما بينه وبين ربه احدهما بامر خلقته وتشهد علي وحدانية الله

وَالوهيته والثاني لتشهد على نعم الله فتدعوه الي الشكر لمن انعم عليه واما الواحد
الذي بينه وبين الناس مما يدعوه خلقته اليه هو ما يرغب نفسه في كل محاسن
ومرغوب فيه وينفر نفسه عن كل اذى وسوء فامر النبي صلى الله عليه وسلم
بان يعامل الناس بما يرغب نفسه ويطمع في المحاسن ويمتنع عن كل اذى وسوء
والله اعلم قوله تعالى واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه سميع
عليم قال بعضهم النزغة هي ادنى افعال المعصية وكذلك فسره ابن عباس يقول
اذا اذنبت ذنبا فاستعذ بالله وقال القتبي ينزغنك اي يستخفنك وقيل
نزع سنا اذا افسد وقال ابو عوسجة النزغ هو التحريك للفساد وقال بعضهم ينزغنك
من الشيطان نزغ اي يوسوسك الشيطان وسوسة قوله تعالى فاستعذ
بالله الاستعاذة وجهان احدهما الفزع الى الله عند وسوسة الشيطان والالتجاء
اليه لما انفسهم عاجزة عن دفع ما يوسوس اليه ورده ليكون هو الدافع عنه ذلك
وهو المراد فامر الله تعالى عند وسوسة الشيطان بالفزع اليه والالتجاء اليه وقال
الخليل اعوذ بالله اي الجاء الى الله وكذلك قوله استعيذ بالله ومعاذ الله معناه
اعوذ بالله ومنه الاعاذة والتعويذ والتعوذ وقال غيره اعوذ بالله اي امتنع بالله
وقيل اعوذ بالله اي اتحصن به وقيل الاستعاذة بالله هي الاستعانة بالله لدفع
ما اعترض له من الشيطان وكله قريب بعضه من بعض فان قيل ما الحكمة
في جعل عدوهم من غير جنسهم ومن حيث لا يرونه ويراهم قيل فيه وجهان
احدهما ليكونوا ابدا على التيقظ والانتباه غير غافلين عنه والثاني ليكونوا ابدا
متضرعين الى الله متضرعين اليه مبتهلين ليكون هو الحافظ لهم والدافع شره عنهم
ووساوسه ثم فيما امر بالفزع اليه والاستعاذة به عند نزغ الشيطان رد قول
المعتزلة لانهم يقولون انه قد اعطاهم جميع ما يدفعون به وساوسه ونزغاته حتى
لم يبق عنده شيء يعطيه فعلى قولهم يخرج طلب الاعاذة مخرج كتمان النعمة او يخرج الهزء
بهم اما الهزء فلانه يسأله ما يعلم ان ليس ذلك عنده واما كتمان النعمة فلانه اذا كان
ذلك عنده فيكون السؤال كتمانا لها وفي ذلك كفرانها والله الموفق قوله تعالى
ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا وقرئ طيف من الشيطان
فمن قرأ طيف قال الطيف اللمة وهي تعلة من اللمم وهو الجنون وقيل
الخطرة والشيء الذي يغشى قلبك وقيل الطيف الوسوسة وقيل الطيف

الخيال الذي يأتيك في المنام يقال طاف فلان يطوف وطاف الخيال يطيف
وقيل الطيف ما يأتيك من الشيطان وقرأ مجاهد طيف من الشيطان وقال
الغضب من الشيطان ومن قرأ طائف قال هو من الطواف وقيل الطائف
والطيف في اللغة سواء قوله تعالى تذكروا يحتمل وجوها احدها اذا مسهم
بذلك فامتنعوا وابوا عما كان منهم كقوله والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا
انفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم والثاني تذكروا وجوه حيل دفع
وساوسه والثالث اي استعاذوا به حيث امرهم بالاستعاذة به عند نزغ
الشيطان وعن ابن عباس رضي الله عنهما اذا مسهم طائف من الشيطان قال
اذا اذنبوا ذنبا تذكروا ذنوبهم فتابوا عنها وكذلك قوله في قوله واما ينزغنك
من الشيطان نزغ هو اذنب ذنب تبكيه فان كان على هذا فهو خرج على النبي عن
ذلك والمراد به امته كقوله ولا تكونن من المشركين وقوله فلا تكونن من الجاهلين
وقوله فلا تكونن من الممترين وان كان يعلم انه لا يشك ولا يجهل ولا يشرك غيره
في الوهيته وعبادته فعلى ذلك هذا الخطاب الذي خاطبه بقوله واما ينزغنك
من الشيطان نزغ او يكون هذا خرج لتعليمه امته ان كيف يفعلون اذا اعترض
لهم ذلك وهو ان يستعيذوا بالله تعالى ويحتمل قوله ان الذين اتقوا اذا مسهم
طائف من الشيطان اي الذين اتقوا مكائد الشيطان اذا اصابهم شيء من ذلك
تذكروا ذلك فعرفوا انه من الشيطان وابصروا ذلك منه اذ هم من اهل البصر
يبصرون ذلك انه مما اتقوا من الشيطان ويحتمل ان الذين اتقوا المعاصي اذا
اصابهم وسوسة من الشيطان تذكروا ذلك وقال بعضهم اي ان الذين اتقوا
الشرك لكن هذا ضعيف لانه ليس كل من اتقى الشرك يكون كما ذكر انه تذكر
فيكون من المبصرين قوله تعالى واخوانهم يعني اخوان الكفار الشياطين
يمدونهم في الغي قالوا في الشرك والمعصية ثم لا يقصرون عنها اي لا ينتهون عنها
ولا يبصرونها كما ابصر الذين اتقوا عنها حين ابصروها ويحتمل واخوانهم يعني اصحاب
الذين اتقوا وهم شياطينهم من الانس يدعونهم الى دينهم لكن هم لا يجيبونهم ولا
يطيعونهم فيما يدعونهم اليه اذ يجوز ان يكون لكل مؤمن شيطان من الانس وشيطان
من الجن كقوله وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن فقد دعا
اولئك شياطين الانس اليها فلم يجيبوهم والجن فتذكروا ولم يجيبوهم

ثم دعاهم شياطين الانس ايضاً فلم يجيبوهم والله اعلم قوله تعالى واذا لم
تاتهم باية قالوا لولا اجتبيتها ظاهر الآية في سوال اهل الكفر رسول الله انه
كان اذا اتيهم باية استهزءوا بها وتعنتوا واذا لم تاتهم باية سالوه الآية سوال
المستهزئين المتعنتين كما اخبر واذا لم تاتهم باية قالوا لولا اجتبيتها اي هلا
ابتدعتها واحدثتها وانشاتها وهلا اتيتها من قبل نفسك فامر عليه السلام
بان يقول اني لا افتعلها ولا انشاها من نفسي انما اتبع ما يوحى الي من ربي
بقوله قل انما اتبع ما يوحى الي من ربي ويحتمل ان يكون سوال الآية من
المومنين فان كان منهم فهو سوال الاسترشاد لما يزداد لهم بكل آية تنزل اليهم
زيادة قوة ويقين في دينهم كقوله واذا ما انزلت سورة فمنهم من يقول
ايكم زادته هذه ايمانا فاما الذين آمنوا فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون واما
الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا الى رجسهم وكقوله فاذا انزلت سورة
محكمة وذكر فيها القتال رايت الذين في قلوبهم مرض ينظرون اليك نظر المغشي
عليه من الموت ثم اخبر انه لا يتبع الا ما يوحى اليه ثم اخبر انه بصائر من ربكم قيل
بيان ان هذا القرآن بيان من ربكم يبصر به من لم يعاند ولم يكابر عقله كل ما له
وعليه وانه البيان بين الحق والباطل وهدى من الضلالة ورحمة لقوم يومنون
اي ورحمة من العذاب والله اعلم قوله تعالى واذا قرا القرآن فاستمعوا
له وانصتوا لعلكم ترحمون امر الله تعالى بالاستماع الى هذا القرآن والانصات
اذا قرا وان كان في العقل ان من خاطب آخر بخطاب يلزمه الاستماع الى ما
يخاطبه ويبينا فهمه فالله تعالى اذا خاطب بخطاب اولى ان يستمع له مع ما
ذكر في غير موضع من القرآن آيات ما يوجب في العقل الاستماع اليه كقوله
هذا بصائر من ربكم وهدى ورحمة وقوله اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم وغير ذلك
من الآيات ولا سبيل الى ان يعرف انه بصائر وانه هدى وما ذكر الا بالاستماع
اليه والتفكر فيه فدلت على ان الاستماع لازم في العقل لمن له ادنى عقل
على ما ذكرنا من الخطاب في الشاهد لكن ذكرها هنا الاستماع اليه والله اعلم
لوجهين احدهما مقابل ما كان الكفرة يقولون لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا
فيه فامر الله تعالى للمومنين بالاستماع اليه مكان قولهم لا تسمعوا لهذا القرآن
وامر بالانصات مكان ما قالوا والغوا فيه والثاني يجوز ان يكون امر بالاستماع

في الصلاة على ما قاله بعض اهل التاويل انه في الصلاة وقال بعضهم في حال
الخطبة لما يسبق الى اوهامهم انهم لما استغلوا الى غيرها من العبادات
ولزمهم انواع القرب يسقط عنهم حق الاستماع فامر عز وجل بالاستماع
اليه والانصات له ليعلموا ان حق الانصات والاستماع لازم في كل حال
ثم الاستماع اليه يكون لتفهم ما اودع فيه من الامر والنهي والوعد والوعيد
وغيره والانصات للتعظيم له والاجلال ثم الاستماع له لم يلزم لنفس التلاوة
ولكن انما يلزم لما اودع فيه من الامر والنهي والعبر والحكم ليفهموا ما فيه
ويعقلوا ويقوموا بوفاء ذلك فاما سائر الاذكار انما صار عبادة بنفسها لذلك
لم يلزم الاستماع الى سائر الاذكار ولزم استماع تلاوة القرآن والله اعلم
ولان القرآن كتاب الله ومن الاستخفاف والجفاء ان يكتب انسان الى
اخيه كتابا ثم لا ينظر فيه ولا يستمع له فترك الاستماع الى كتاب الله اعظم في الجفاء
والاستخفاف ولان القرآن يجهر وسائر الاذكار ولا يجهر فان كانت
يجهر فيستمع لها كما يستمع الى القرآن لا فرق بينهما والله اعلم وذكر في بعض
القصة ان الآية نزلت في الصلاة وهو ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا
قرا في صلوته كانوا يقولون مثل ما قال فنزلت الآية بالنهي عن ذلك والامر
بالاستماع اليه والانصات له وذكر ايضا انهم كانوا يرفعون اصواتهم في الصلاة
حين يسمعون ذكر الجنة والنار فنزلت لذلك ولا ندري كيف كانت القصة
وفيم كانت ثم ان كانت الآية في الصلاة ففيها دلالة النهي عن القراءة خلف الامام
لانه امر بالاستماع اليه والانصات له وعلى ذلك جاءت الاخبار عن ابي العالية
قال كان النبي صلى الله عليه اذا صلى فقرا اصحابه اجمعون خلفه حتى نزل
واذا قرا القرآن فاستمعوا له وانصتوا فسكتوا وروي عن علي بن احمر
ان النبي صلى الله عليه وسلم قرا في صلوة الفجر الواقعة وقراها رجل خلفه
فلما فرغ من الصلاة قال رسول الله من الذي نازعني في هذه فقال الرجل
انا يا رسول الله فانزل الله تعالى واذا قرا القرآن فاستمعوا له وانصتوا
وغير ذلك من الاخبار وقال قوم ان الانصات الذي امر به المومن معناه
ان لا يجهر بقراءته اما ليس فيه نهي عن القراءة على سبيل المخافتة في نفسه وبه
يقول ان المقتدي يقرا في نفسه لا جهرا والقاري على سبيل المخافتة ليستمع

صامتًا ومنصتا لما روي عن ابي هريرة رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله
عليه اذا كبر سكت بين التكبير والقرآءة فقلت له بابي انت ارايت سكاتك بين
التكبير والقرآءة اخبرني بما تقول قال اقول اللهم باعد بيني وبين خطاياي
كما باعدت بين المشرق والمغرب وغير ذلك من الدعوات سمى ابو هريرة
النبي ساكتا في حال ما يقرا على المخافتة الدعوات ولم ينكر عليه رسول الله ذلك
ان التاويل صحيح لكنا نقول هذا مخالف للاحاديث الواردة في الباب روى
ابو هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى بهم صلاة ظن انها الصبح فلما سلم اقبل
على الناس وقال هل يقرا منكم احد فقال رجل انا فقال عليه السلام اني
اقول ما لي انازع القرآن قال ابو هريرة فانتهى الناس عن القرآءة فيما جهر
فيه النبي وقد علمنا ان المؤتم لا يجهر بقرآءته فيما قال منازعة النبي
ان تشغله عن القرآءة بسبب الجهر فلا وجه لقوله ما لي انازع القرآن
الا نهي المؤتم عن القراءة اصلا جهر امامه او خافت ولما روي عن عمران
ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى باصحابه الظهر فلما قضى صلوته قال ايكم قرا سبح
اسم ربك الاعلى فقال بعض القوم انا يا رسول الله فقال قد عرفت ان بعضكم
خالجنيها فبين عمران بن حصين ان الرجل خافت بقرآءته وروي عن عبد الله
ابن مسعود رضي الله عنه انه قال كنا نقرا خلف رسول الله فقال عليه السلام
خلطتم علي القرآن فان قيل لعلهم كانوا يجهرون بالقرآن فنهي عن الجهر
قيل لم يبلغنا في شيء من الاخبار ان المؤتمين كانوا يقراون جهرا ولو كانوا
يقراون جهرا لادي الينا كما ادي انهم كانوا يقراون والدليل على صحة
ما قلنا ما روي عن ابي وايل قال سالت ابن مسعود عن القرآءة خلف
الامام فقال انصت فان في الصلاة شغلا وسيكفيك ذلك الامام وعن عبد الله
ابن شداد ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من كان له امام فقرآءة الامام له قرآءة
وعن جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى وخلفه رجل يقرا فنهاه رجل من اصحاب
رسول الله عن القرآءة في الصلاة فتنازعا فيه حتى ذكر للنبي فقال من صلى خلف
امام فقرآءته له قرآءة وعن ابي موسى عن النبي صلى الله عليه انه قال فاذا قرا
الامام فانصتوا وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه انما جعل الامام
اماما ليؤتم به فاذا كبر فكبروا واذا قرا فانصتوا وقد روي عن جماعة من الصحابة

انهم قالوا لا قرآءة على من خلف الامام منهم علي وابن مسعود وجابر وسعد
وابو سعيد الخدري وزيد بن ثابت وعبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر
رضي الله عنهم اما عن علي فقال من قرا خلف الامام فقد اخطا الفطرة وعن
عبد الله من قرا خلف الامام ملي فوه ترابا وعن زيد من قرا خلف الامام
فلا صلوة له وعن سعد قال وددت ان الذي يقرا خلف الامام في فيه
جمرة وعن ابن عمر كان اذا سيل هل يقرا احد خلف الامام قال لا فاذا
صلى احدكم وحده فليقرا وكان ابن عمر لا يقرا خلف الامام وعن ابي سعيد
انه سيل عن القرآءة خلف الامام فقال يكفيك ذلك الامام وعن ابن عباس
ان رجلا ساله أأقرا خلف الامام قال لا الى مثل هذه الاحاديث ذهب
اصحابنا وتعلق من قال بوجوب القرآءة على المقتدي بما روي عن عبادة
ابن صامت عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا صلوة لمن لم يقرا بام القرآن
ولكن نقول بان الحديث عام مطلق يجب حمله على المصلي وحده عملا بالاحاديث
المنتشرة في الباب وعملا بذلك الحديث وهكذا اوله سفيان الثوري ولا يترك
بمثل هذا الحديث الكتاب والاحاديث المشهورة المنصوصة في الباب
واجماع الصحابة والله اعلم قوله تعالى واذكر ربك في نفسك تضرعا
وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والاصال ولا تكن من الغافلين
اختلف اهل التاويل في الذكر الذي ذكر في الاية منهم من صرف التاويل
الى كل ذكر ومنهم من صرف الى التلاوة فان كان ذكر الغدو والاصال
كناية عن الليل والنهار فهو امر بان يذكر الله في جميع احواله يذكره بنعمه
واحسانه وذكره هو شكر ذلك ويذكره بقدرته وسلطانه وذلك يحمله على
الخضوع له والتواضع ويذكر امره ونهيه ووعده ووعيده وذلك يوجب الاقرار
بالتقصير والخوف بعقوبته والرغبة في وعده كانه قال واذكر ربك في كل حال
من الليل والنهار اما شكر النعمة واحسانه واما الاقرار بالتقصير في امره
ونهيه واما الخوف لوعيده والرغبة لوعده اي اذكر ربك متضرعا متواضعا
خائفا راغبا وان كان الغدو والاصال كناية عن الغداة والعشي فهو كناية
عن التلاوة على ما سبق من ذكر التلاوة من قوله واذا قرئ القرآن فاستمعوا
له وهو كقوله ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها اي ولا تجهر بصلوتك في بعض

صلواتك ولا تخافت في بعضها او ان يقال لا تجهر جهر العالي ولا تخافت غاية
المخافتة ولكن بين ذلك او ان نقول لا تشتغل بالجهر ولا بالمخافتة ولكن
اقرا لما فيه فعلى ذلك قوله واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة الآية
وقرا بعضهم وخفية وهو من الاخفاء حيث قال واذكر ربك في نفسك فاما
ظاهر القراءة فهو خيفة وهو من الخوف وقال مجاهد رخص الله تعالى
ان يذكره في نفسك تضرعا وخيفة وانت خلف الامام لتسمع قراءته وآصا
الاصال قال ابو عوسجة هي العشيات الواحد اصل واصيل وقوله ولا
تكن من الغافلين معلوم ان النبي عليه السلام لم يكن من الغافلين في حال
ولكن هذا على النهي لامته كقوله فلا تكونن من الممترين وقوله ولا تكونن
من المشركين والله اعلم قوله تعالى ان الذين عند ربك لا يستكبرون
عن عبادته قالت المشبهة لو لم يكن بين الله تعالى وبين الملائكة قرب
الذات لكانوا هم والبشر عند ربك سواء ولكان لا معنى لتخصيص الملائكة
بذلك لكن التاويل عندنا اي عند ربك للطاعة او في الكرامة والمنزلة
ليس على قرب الذات ولكن على ما وصفهم الله تعالى بقوله لا يعصون الله
ما امرهم ويفعلون ما يومرون وقوله لا يستكبرون عن عبادته
ولا يستحسرون يسبحون الليل والنهار لا يفترون وصفهم الله تعالى
بالطاعة له والخضوع فعلى ذلك الاول الا ترى انه قال واسجد واقترب
ليس على انه في الارض يقترب منه اذا سجد واصل ما يضاف الى الله من
جزئية الاشياء يخرج مخرج تعظيم تلك الجزئيات كقوله وان المساجد
لله وان كانت البقاع كلها لله تعظيما لها وكذلك قولهم الكعبة بيت الله فعلى
ذلك الاول اضافهم الى نفسه اما للطاعة لهم اياها والخضوع واما للكرامة
لهم والمنزلة واضافة كلية الاشياء الى الله يخرج مخرج التعظيم لله كقوله
الا له الخلق والامر وقوله خالق كل شيء وقوله وهو على كل شيء قدير ومن الناس
من استدل بتفضيل الملائكة على البشر بهذه الآية لكنا نقول ان الافضل
عند الله الاطوع له والاخضع والاتقى والاقوم لامره ونهيه على ما ذكر ان
اكرمكم عند الله اتقيكم لا لبشر ان هولاء افضل من هولاء وقد ذكرنا الوجه
فيما تقدم وتاويل الآية والله اعلم في قوله ان الذين عند ربك لا يستكبرون

عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون اي انهم على هذه الاوصاف وان
لم يكن لهم حاجة الى الماكل والمشرب وانواع الحاجات احرى واولى
ان لا تستكبروا عن عبادته او ان نقول ان الذين يعبدون من الملائكة
لا يستكبرون عن عبادته فانتم احق ان لا تستكبروا عن عبادته لان
من الناس من يعبد الملائكة فخرج هذا جواب ذلك والله اعلم قوله تعالى
ويسبحونه التسبيح هو وصف الرب بالرفعة والعظمة والجلال والتعالي
عن الاشباه والامثال وعما وصفه الملحدون وتنزيهه عن جميع معاني
الخلق قوله تعالى وله يسجدون السجود هو الخضوع في نهاية
الحال وليس في الآية دليل في وجوب السجدة على من تلاها او
سمعها انما فيها الاخبار عن الساجدين انهم سجدوا وعن مستكبرين وفي
ذلك ترغيب في السجود الا انه روي ان النبي صلى الله عليه سجد وسجد
من معه وعن ابن عمر قال كان رسول الله صلى الله عليه يقرا علينا
السورة التي فيها السجدة فيسجد ونسجد حتى ما يجد احدنا موضعا يسجد
فيه وعن ابن عباس قال رايت رسول الله صلى الله عليه سجد في ص
وفي بعض الاخبار عن ابن عمر قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقرا القرآن في غير الصلاة فيسجد ونسجد معه وعن ابن مسعود ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قرا سورة والنجم فسجد فيها ولم يبق معه
احد الا سجد الا شيخ من قريش اخذ كفا من حصى فرفع الى جبهته فلقد
رايته قتل كافرا وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه ذكر سجود القرآن
اوعد فقال الاعراف والرعد والنحل وبني اسرائيل ومريم والحج سجدة
واحدة والفرقان وطس والم وص وحم وقال وليس في المفصل
سجود وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال في السورة التي يكون
في آخرها السجدة نحو الاعراف والنجم ان شئت فاسجد ثم قم فاقرا وان
شئت فاركع بها وعن ابن مسعود رضي الله عنه انه كان يسجد في الاعراف
وبني اسرائيل والنجم واذا السماء انشقت واقرا باسم ربك واحتج بعض
مشايخنا على ان السجود على من تلي آية السجدة واجب ما اجمع اهل العلم
ان المصلي اذا تلي آية فيها سجدة ان يسجد في صلوته ولو كان السجود تطوعا

ما كان لاحد ان يزيد في صلوته ما ليس منها فدل ذلك على ان السجود واجب
في الصلاة واذا كان في الصلاة واجبا فهو على كل حال واجب ومن الحجة لنا
ايضا ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قرا آيات يسجد فيها فكان
السجود بها واجبا كما ان النبي لما صلى صلاة العيدين كانت واجبة اذ
مواظبته على الشي دليل الوجوب والله اعلم بالصواب

سورة الانفال

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى يسألونك عن الانفال قل الانفال لله والرسول
اختلف في الانفال قال بعضهم الانفال هي المغانم التي يغنمها المسلمون
من اهل الحرب وقال بعضهم الانفال هي الفضول عن حقوق اصحاب
الغنائم فان النفل ماخوذ من الزيادة ومنه التنفيل وهو اعطاء شي زايد
على اصل السهم لزيادة غنايه فان كان المراد من الانفال الغنائم فالسؤال
يحتمل وجوها يحتمل الفضول التي لا يحتمل القسمة بينهم احدها السؤال
عن حل الغنائم وحرمتها اي يسألونك عن حل الغنائم وحرمتها لان الغنائم
كانت لا تحل في الابتداء لما قيل ان المتقدمة كانوا يغنمونها ويجمعونها في موضع
فيجي نار فتحرقها فسالوا عن حلها وحرمتها فنزلت يسالونك عن الانفال
قل الانفال لله والرسول اي قل الحكم في الانفال لله والرسول يحلها لمن يشاء
ويحرمها على من يشاء ويحتمل السوال عنها عن قسمتها على ما روي في بعض
القصة عن ابي امامة الباهلي قال سالت عبادة الصامت عن الانفال
فقال فينا اصحاب بدر نزلت وذلك ان النبي صلى الله عليه حين التقى الناس
ببدر نفل كل امرء ما اصاب وكنا اثلاثا ثلث في نحو العدو يقاتلون ويأسرون
وثلث يجمعون النفل وثلث قيام دون رسول الله يحرسون رسول الله ويكونون
ردائهم يخشون كر العدو عليه فلما وضعت الحرب قال الذين اصابوا النفل
هو لنا قد كان رسول الله صلى الله عليه نفل كل امرء ما اصاب وقال الذين
كانوا يقاتلون نحن احق بها فانا ولينا القتال وشغلنا العدو عنكم وخلينا
بينكم وبين النفل وقال الذين اقاموا مع رسول الله ما انتم باحق منا

كنا نخشى على رسول الله كر العدو فقمنا دونه نحرسه وردائكم فلما
اختلفنا وساءت اخلاقنا انتزعه تعالى من ايدينا فجعله الى رسوله فقسمه
على الناس عن بواء اي على السواء فذلك قوله يسألونك عن الانفال
قل الانفال لله والرسول وقال بعضهم يحتمل يسالونك عن الانفال
اي عمن له الانفال قل الانفال لله والرسول قال مجاهد وعكرمة
كانت الانفال لله والرسول فنسخها قوله واعلموا انما غنمتم من شي
فان لله خمسه وللرسول وكذلك روي عن ابن عباس رضي الله عنهما
قال في قوله يسالونك عن الانفال الانفال هي الغنائم التي كانت
لرسول الله خالصة ليس لاحد فيها شي ما اصاب سرايا المسلمين من
شي اتوا به اليه فمن حبس منه ابرة او خيطا فهو غلول وكان يعطي من
يشاء ويحتمل يسالونك عن الانفال اي يسالونك الانفال على اسقاط حرف
عن وكانوا يسالون رسول ان يعطيهم من الانفال شيا فنزل قوله
يسالونك عن الانفال قل الانفال لله والرسول فان كان الانفال هي
فضول المغانم على ما قال بعضهم فهو على ما روي في الاخبار ان منهم من
اخذ كبة وقال يا رسول الله اجعلها لي واخذ الاخر سيفا وقال
اجعله لي ونحو ذلك كانوا يسالون رسول الله فنزل قوله يسالونك
عن الانفال قل الانفال لله والرسول ويحتمل ان يكون سوالهم
عن التنفيل وهو ان ينفلهم الرسول بعد ما وقع في ايديهم او بعد ما انهزم الكفار
وادبر العدو على ما روي عن مصعب بن سعد قال نزلت في اربع آيات
تركي انه يوم بدر اصبت سيفا فاتيت به النبي صلى الله عليه فقلت نفلنيه
فقال ضعه ثم قام فقلت يا نبي الله نفلنيه اجعل كمن لا عمل له فقال
النبي صلى الله عليه ضعه من حيث اخذته فنزلت هذه الآية يسالونك عن
الانفال قل الانفال لله والرسول ثم قال مصعب بن سعد دعاني رسول الله
صلى الله عليه فقال اذهب فخذ سيفك فهذا ابدال على انهم نهوا عن طلب
التنفيل من النبي بعد حصول القسمة في ايديهم وان النبي اطلق بالتصرف
في الغنائم كيف شاء لاحق للغير فيها حتى قال لمصعب بن سعد بعد نزول
الآية اذهب فخذ سيفك الى ان استقر امر الغنائم في ان تقسم على خمسة اسهم

فجعل اربعة الاخماس بين اهل الغنيمة والخمس بين الاصناف الذين صرفه
اليهم على ما نذكر ويحتمل قبل الاحراز والوقوع في ايديهم تحريضا
للمقاتلة لا بعد الحصول في ايديهم وكذلك روي عن عبد الله ابن مسعود
رضي الله عنه قال النفل في حال ما لم يلتق الزحفان او الصفان
فاذا التقيا فهو مغنم وقد وردت الاحاديث مقدرة للآية روي عن النبي صلى الله
عليه انه قال ان الغنيمة لم تحل لاحد قبلنا وحلت لنا وعن ابي هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه لم تحل الغنيمة لقوم سود الرؤس قبلكم
كانت تنزل نار من السماء فتاكلها فلما كان يوم بدر اسرع الناس في الغنائم
فانزل الله تعالى لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم فكلوا
مما غنمتم حلالا طيبا وعن ابي ذر قال خرجت في طلب رسول الله صلى الله
عليه فوجدته يصلي فانتظرته حتى صلى فقال اوتيت الليلة خمسا منها
واحلت لي الغنائم ولم تكن لاحد قبلي وغير ذلك من الاحاديث والله اعلم
قوله تعالى فاتقوا الله قيل اتقوا الله في اخذ الانفال ولكن ينبغي
ان تحري على اطلاقه في الانفال وغيرها اي اتقوا معصية الله ومخالفته
في امره ونهيه قوله تعالى واصلحوا ذات بينكم امر باصلاح ذات البين
وهو ان تكونوا مجتمعين على كلمة واحدة لما ذكر من عظيم منته ونعمه التي انعمها
عليهم بقوله واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم
اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا اخبر انهم كانوا اعداء
فالف بين قلوبهم وذلك من عظيم نعمه عليهم فامر ههنا باصلاح ذات البين ليكونوا
على النعمة التي انعمها عليهم مجتمعين غير متفرقين قوله تعالى واطيعوا الله
ورسوله اي اطيعوا الله في امره ونهيه واطيعوا الله ورسوله في ادابه وسننه
ان كنتم مومنين ويحتمل اطيعوا الله فيما دعاكم اليه ودعكم فيه واطيعوا رسوله
فيما بين لكم ان كنتم مومنين اي مصدقين به والله اعلم قوله تعالى انما المومنون
الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم تعلقت المعتزلة بهذه الآية على ان مجرد
التصديق او التصديق مع الاقرار ليس بايمان ما لم ينضم الى ذلك هذه
الاعمال حيث فسر المومنين بالذين فعلوا هذه الافعال لكنا نقول
ان الآية تخرج على وجوه تحتمل ما ذكرتم وتحتمل وجوها اخر ايضا فانه يحتمل

اي انما المومنون ينبغي ان تكونوا على ما ذكر من الاوصاف وياتوا جميع ما
ذكر من الافعال وبه نقول فان هذه الافعال من شرائع الايمان
ومواجبه لا انه ينعدم وصف الايمان بترك هذه الافعال ويحتمل اي انما
المومنون المختار دون الذين لهم درجات عند ربهم ومغفرة على الاطلاق
هم الذين وصفهم بما ذكر من الافعال فاما الذي عري عن هذه الاوصاف
او عن بعضها فهو مومن حقيقة ويرجى له الدرجات والمغفرة بسبب شفاعة
الاخيار واما لم يدخل تحت الوعد المطلق بدون ان يعذب بقدر ذنوبه
ثم عاقبته الجنة ويحتمل انما المومنون الذين ظهر صدقهم عندكم هم الذين
اتوا بهذه الافعال من وجل القلب والخشية والثبات واليقين على ما
كان عليه واقامة الصلاة والتوكل على الله في جميع اموره ليس كالمنافقين الذين
كانوا امرتابين في ايمانهم كما وصفهم في آية اخرى حيث قال واذا قاموا
الى الصلاة قاموا كسالى وكانوا اذا انفقوا انفقوا كارهين وكانوا لا يذكرون
الله الا قليلا مراآة للناس فاما المومنون الذين يظهر صدقهم عندكم هم الذين
يقومون بوفاء ذلك كله وهو كما وصفهم في آية اخرى انما المومنون الذين آمنوا
ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله اولئك هم
الصادقون فجعل ما ذكر من الافعال علما بين الصادق في الايمان وبين
المنافق في حق العباد ليعرفوا المعاملة معهم فاما حقيقة الايمان يعلمه
الله وهو حقيقة التصديق ويحتمل ان تكون على الاعتقاد خاصة ليس على نفس
العمل كانه قال انما المومنون الذين اعتقدوا ما ذكر من وجل القلب والخشية
عند ارتكاب المعصية والتقصير عن القيام بما عليه اذ ما يرتكب المومن من المعاصي
انما يرتكب عن جهالة ثم يتوب عن قريب كقوله انما التوبة على الله للذين يعملون
السوء بجهالة ثم يتوبون عن قريب يرتكب ذلك اما الغلبة شهوة او اعتقاد
التوبة من بعد او رجاء رحمة الله وفضله في العفو عن ذلك فكان المراد من
قوله انما المومنون الذين اعتقدوا ما ذكر الله من الافعال وهو كقوله فان
تابوا واقاموا الصلاة واتوا الزكوة فخلوا سبيلهم هو على الاعتقاد والقبول له
لانهم اذا اعتقدوا ذلك وقبلوا يخلى سبيلهم وان لم يقيموا الصلاة وما ذكر فعلى
ذلك الاول يحتمل ذلك واذا ثبت احتمال الآية الوجوه التي ذكرنا لا يجب

صرف الآية الى الوجه الذي قالوا من غير دليل على انه قد قام الدليل انه لا يجوز
الصرف الى الوجه الذي قالوا من غير ذلك على لان الامة اجمعت ان من آمن
بقلبه وصدق بلسانه كان مؤمنا وان لم يات بشيء من الافعال التي ذكر وان
يؤمن ثم يخترم من ساعته مات مؤمنا فدل ان ذكر هذه الافعال لم يخرج
على الشرط ولكن على احد الوجوه التي ذكرنا والله اعلم قوله تعالى واذا
تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا يحتمل آياته حججه وبراهينه اذا تليت عليهم
ذلك يزدادهم ثباتا وقوة على ما كانوا فاما المنافقون فان الايات التي تنزل
كانت تزدادهم بعدا ورجسا كما ذكر في آخر سورة البراءة ويحتمل انه
ذكر الزيادة لان للايمان حكم التجدد والحدوث في كل وقت وكل ساعة
فاذا كان له حكم الحدوث والتجدد يكون زيادة على ما كان فان شئت سميتها
زيادة وان شئت ثباتا وقال ابو حنيفة رضي الله عنه يريد الايمان بالتفسير
على الايمان بالجملة فان كل مومن آمن بالله وبجميع الكتب وبجميع الانبياء
وان له الخلق والامر فاذا فسر له الانبياء واحدا بعد واحد بالاسم والنسب
وفسر له الكتب واحدا بعد واحد باسمه وصفته وكذلك في الخلق والامر
ازداد الايمان والتصديق على الايمان جملة من حيث معرفة الاوصاف
والله اعلم قوله تعالى وعلى ربهم يتوكلون اي يعتمدون عليه في كل امورهم
لا على غيره ليس كالمنافقين الذين يتوكلون على النعم التي اعطوا كقوله ومن
الناس من يعبد الله على حرف الآية ونحو ذلك واما المومن فانه في جميع احواله
يتوكل على الله ومنه يخاف ومنه يرجوا لما يعتقد ان ما يصل اليه من البلية
والنعمة على يد غيره فانما هو في الحقيقة من الله تعالى قوله تعالى الذين
يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون بحق الله الذي عليهم قوله تعالى
اولئك هم المومنون حقا يحتمل وجهين يحتمل اولئك المومنون الذين حققوا
ايمانهم ويحتمل اولئك المومنون الذين وعدلهم وعدا حقا وهو ما وعد لهم
من الدرجات والمغفرة بقوله لهم درجات عند ربهم قيل درجات عند
ربهم اي فضايل عند ربهم ومغفرة اي يستر عليهم ذنوبهم التي كانت لهم في الدنيا
في الجنة حتى ينسيها عليهم لان ذكرها ينغص عليهم النعم التي انعم عليهم والله اعلم
قوله تعالى ورزق كريم قال الحسن اي رزق يكرم اهله به وقوله تعالى

كما اخرجك ربك من بيتك بالحق لم يخرج هذا الحرف جواب في الظاهر لان
جوابه ان يقول كما اخرجك ربك من بيتك بالحق تفعل كذا ثم اهل التاويل
اختلفوا في جوابه قال بعضهم هو صلة قوله يسالونك عن الانفال
يقول كما اخرجك ربك من بيتك بالحق وان فريقا من المومنين لكارهون
يجادلونك في الحق بعد ما تبين لهم كذلك يجادلونك في قسمة الانفال
ويسالونك عنها ومنهم من يقول جوابه في امره اياه بالقتال اي كما اخرجك
ربك من بيتك بالحق وهم كارهون للخروج فكذلك يامرك بالقتال مع
الكفرة وهم كارهون لذلك ومنهم من يقول جوابه في قوله اذ يغشيكم
النعاس امنة منه وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به الآية يقول
كما اخرجك ربك من بيتك بالحق واخرجكم الله تعالى في الخروج للقتال على
غير تدبير منكم ولا نظر في ذلك كذلك يغشيكم في النعاس امنة منهم
وانزل الماء من السماء للتطهير به وتثبيت الاقدام على غير علم منكم ولا
تدبير ومنهم من يقول كما اخرجك ربك من بيتك بالحق غير متاهبين للقتال
ولا مستعدين له كذلك يعدكم الله الظفر والنصر والله اعلم وقال بعضهم
كما اخرجك ربك من بيتك بالحق وان فريقا من المومنين لكارهون
اي وان فريقا من المومنين اجابوا لذلك وان كانوا كارهين في الخروج
من شدة الخوف كانما يساقون الى الموت فاجاب الله لهم بالنصر والظفر
وآمنهم من ذلك الخوف والله اعلم وقوله من بيتك بالحق يحتمل وجوها
يحتمل بالحق الذي لله عليهم من الامر بالخروج للقتال ويحتمل بالحق بالوعد
الذي وعدلهم وهو النصر والظفر وقيل بالحق القرآن لكن ان كان فالمراد
ما ذكرنا من الامر الذي في القرآن وهو الامر بالقتال والله اعلم قوله تعالى
وان فريقا من المومنين لكارهون يحتمل وجهين احدهما يحتمل وان فريقا من
المومنين من حيث الظاهر دون الباطن وهم المنافقون اذ كرهوا الخروج للقتال
ويحتمل ان يكون المراد من المومنين من حيث الحقيقة لكن المعنى انهم كرهوا الخروج
للقتال كراهة الطبع لا كراهة الاختيار لما امروا بالخروج للقتال وهم غير متاهبين
له ولا مستعدين فكرهت انفسهم ذلك كراهة الطبع لفقدانهم اسباب القتال
لا انهم كرهوا امر الله كراهة الاختيار وبالله التوفيق وفي هذه الآية دلالة

علي ان الامر قد تكون في الشيئ و ان لم يعلم وقت الامر فيه اذ ايومر وفيه لدليل
جواز تاخير البيان لانهم امروا بالخروج للقتال وهم لم يعلموا وقت الخروج
بماذا يومرون ثم علموا بعد ذلك قوله تعالي يجادلونك في الحق في
في القتال يحتمل في الحق اي في الوعد الذي وعدهم وهو النصر والظفر
قوله تعالي بعد ما تبين يحتمل بعد ما تبين لهم الامر بالقتال ويحتمل
بعد ما تبين لهم الوعد بالنصر والظفر قوله تعالي كانما يساقون الي الموت
وهم ينظرون فان كانت الاية في المنافقين فظاهر فان المنافقين كذلك
وصفوا بالكسل في جميع الخيرات والطاعات قال الله تعالي واذا قاموا
الي الصلاة قاموا كسالي يراؤن الناس ولا يذكرون الله الا قليلا وان
كانت الاية في المومنين الذين حققوا الايمان فهو لما كانوا غير مستعدين
للقتال ولا متاهبين له كانوا كارهين لذلك كراهة الطبع لا كراهة الاختيار
والله اعلم قوله تعالي واذ يعدكم الله احدي الطايفتين انها لكم الاية
ذكر في بعض القصة ان عير قريش حين اقبلت من الشام خرج اصحاب
رسول الله نحوهم علي ما خرج الي العير غير متاهبين للحرب وخرجت قريش
من مكة تعنت عيرها فهي الطايفة الاخري وعد الله تعالي لهم ان احدي
الطايفتين لهم اما العير واما العسكر اي انهم ينصرون عليهم فهم يودون
ان يكون لهم غير ذات الشوكة وهي التي ليس فيها حرب وهي العير اذ هم
اهون شوكة واعظم غنيمة كما اخبر الله تعالي عنهم بقوله وتودون ان
غير ذات الشوكة وهي التي ليس فيها حرب وهي العير اذهم لكم وانما كانوا
يودون ذلك لما كانوا غير مستعدين للقتال والحرب وكان بهم ضعف
وفي اوليك قوة ومنعة والله اعلم قوله تعالي ويريد الله ان يحق
الحق بكلماته يحتمل اي يريد ان يظهر الحق باية منه وهي الهزيمة علي الطايفة
التي لها شوكة عظيمة بقتال طايفة لا شوكة لها وليس عندهم اسباب الحرب
وهو كما ذكر في قوله قد كان لكم اية في فيتين التقتا فية تقاتل في سبيل الله
واخري كافرة يرونهم مثليهم راي العين اخبر ان في غلبة هولاء اوليك مع
ضعف ابدانهم وقلة عددهم وقصور اسباب الحرب من السلاح والكراع والعدة
وغير ذلك وقوة ابدان اوليك وكثرة عددهم وتمام عدتهم وتاهبهم واستعدادهم

للحرب انه عظيمة فاراد الله تعالي ان يظهر الحق بالاية فانجا العير وامرهم
بالقتال مع العسكر الذين لهم شوكة وقوة ليغلبهم علي اوليك فيعلم كل منهم ان
ذلك انما كان بالله لا بهم وذلك قوله فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت
اذ رميت ولكن الله رمي اخبر ان ذلك بالله لا بهم ويحتمل قوله ان يحق الحق
بكلماته اي بالوعد الذي وعد رسول الله بمكة بالنصر والظفر لهم فاراد ان يظهر
ذلك ويحققه ويحتمل بكلماته بعلمه وامره ويحتمل اي يوجب ويظهر بحججه
وبراهينه ويحتمل كلماته البشارات التي بشر بها المومنين بالنصر والعز
لهم وسايرالعدات التي كانت منه اياهم والله اعلم ويحتمل بكلماته اي بملايكته
الذين بعثهم مددا لهم يوم بدر علي ما ذكر فاضافهم الي نفسه تعظيما واجلالا
لهم علي ما سمي عيسي روح الله وكلمته وموسي كليم الله تعظيما واجلالا لهم
فعلي ذلك هذا والله اعلم قوله تعالي ويقطع دابر الكافرين يحتمل
ويقطع اثار الكافرين يقتلون جميعا ويستاصلون حتي لا يبقي لهم اثر ويحتمل
ويقطع ما ادبرهم حتي لا ياتيهم مدد وقوله ان ليحق الحق يحتمل اي ليظهر
الحق ويوجب يقال حق كذا اي وجب ويحتمل ليظهر حق الحق ويظهر
بطلان الباطل ويحتمل ليحق الحق اي يجيء الحق ويذهب الباطل كقوله
جاء الحق وزهق الباطل اي ذهب فعلي هذا يجيء الحق ويذهب الباطل
ولو كره المجرمون قوله تعالي اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم
اني ممدكم بالف من الملايكة مردفين اختلف في قوله اذ تستغيثون ربكم
فاستجاب لكم الاية قال بعضهم موصلة قوله ولقد نصركم الله ببدر وانتم
اذلة في الاية بيان الامتنان عليهم بالاعانة والامداد من الملايكة يوم بدر
والاشكال انه ذكر ههنا بالف من الملايكة مردفين وذكر في اية بثلاثة الاف
من الملايكة منزلين وذكر في اية بخمسة الاف من الملايكة مسومين فكيف يكون
هذا فيقال والله اعلم يحتمل ان تكون الملايكة يوم بدر خمسة الاف كما ذكر
بخمسة الاف من الملايكة منزلين وذكر في هذه الاية بالف من الملايكة مردفين
وهي العان فيكون خمسة الاف لكن ذكر علي سبيل التكرار ومنهم من يقول ان
قوله بثلاثة الاف من الملايكة منزلين كان في حرف احد اذ ذكر فيها اثر قصة
احد فان كان كما ذكروا فيحتمل ان تكون يوم بدر انزل خمسة الاف مسومين

مع العلامات ثم انزل الثلاثة الاف مردفين والارداف التتابع اي الف منا بعي المشركين
بيد دنيه حال ما انهزموا واتبعهم اهل بدر ويجوز ان الارداف الامدا فيكون
المراد انه انزل الفين من الملائكة بعد ما انزل خمسة الاف مسومين ويحتمل
ان يكون المراد بهذا كله يوم بدر في احوال مختلفة خمسة الاف معلمين في
حال وثلثه الاف في حال والفا او الفين علي اختلاف تاويل الارداف
في حال فيكون مستقيما وليس فيه تناقض والله اعلم ثم فايدة ما ذكر
من مدد الف ملك وثلثة الاف وخمسة الاف طمانينه قلوب اوليك المومنين.
لما انه عبارة عن الكثرة وطمانينة القلب بالمدد الكثير ابلغ والا ففي الملك
الواحد كفاية وان كثروا اوليك لكمال قوة الملك لاسيما اذا كانوا هم يراهم
ولا يرونه والله اعلم وقال بعض اهل التاويل ان قوله اذ تستغيثون
ربكم فاستجاب لكم هو رسول الله وان ذكر بلفظة الجماعة وذلك ان النبي
صلى الله عليه راى كثرة المشركين بعد ما علم انه لا قوة لهم معهم الا بالله تعالى
فدعا ربه وتضرع اليه ولكن عندنا هذا خطاب لرسول الله مع المومنين
الا ترى انه قال اذ تقول للمومنين الن يكفيكم ان يمدكم ربكم الاية والله اعلم
بذلك وليس لنا الي معرفة ذلك حاجة سوى ان فيه البشارة لهم بالنصر
والطمانينه لقلوبهم وابنا ان حقيقة النصر انما تكون بالله لا باحد سواه
وذلك قوله وما النصر الا من عند الله ان الله عزيز حكيم عزيز لا يذله
احد ولا يعجزه حكيم في امره ونهيه لا يامر بشي ولا ينهى عن شي الا وفيه
حكمة فان قيل في قوله اذ تستغيثون ربكم الاية وقوله كانما يساقون
الي الموت وهم ينظرون دلالة انهم خافوا كل الخوف حتى وصفهم بشدة الخوف
كانما يساقون الي الموت وكيف خافوا كل هذا الخوف وقد وعد لهم النصر
والظفر بقوله واذ يعدكم الله احدى الطايفتين انها لكم وكيف استغاثوا
ربكم ذلك وقد سبق منه لهم الوعد بالنصر والظفر قيل عن هذا من وجهين
احدهما ان يحتمل ان يصرف الاية وهي قوله كانما يساقون الي الموت
ونحوه الي المنافقين ومتى صرفت اليهم لم يلزم السوال فان المنافقين
علي شك من الوعد بالظفر فلذلك خافوا والثاني يحتمل ان يكون في المومنين
وخوفهم مع وعد النصر والظفر يحتمل وجوها احدها يحتمل ان يكون الوعد

بالنصر والظفر للمومنين انما بين لرسوله ولم يبين لهم فالقى في قلوبهم الرعب
والخوف من العدو ولكثرتهم وشوكتهم وقلة هولاء وضعفهم علي ما هو مقتضى
الطباع والله اعلم ويحتمل ان الله تعالى بين للمومنين الوعد بالنصر والظفر
وبلغهم الوعد بذلك لكن لم يبين لهم انه في اي وقت يكون الا ترى انهم
امروا بالخروج ولا يدرون الي ماذا يومرون فخافوا الاحتمال ان وقت
الظفر والنصر متاخر ومثل هذا لا باس به ويحتمل ان وعد النصر
قد بلغهم وعلموا بميعاد النصر وان لهم الظفر في هذا الحرب علي الكفرة غير
انهم خافوا ذلك وكرهوا القتال خوف الطبع وكراهة النفس لا كراهة
الاختيار وجايز وجود الخوف طبعا من القتال مع التيقن بالنصر والظفر
وتحقق ذلك بالدليل سمعا وعقلا ويحتمل ان يكون الوعد بالنصر والظفر
لهم معلقا بشرط التضرع اليه والاستغاثة منه علي ما يكون في الدعاء
ان يكون المغفرة معلقة بالاستغفار والدعاء ويوجد المغفرة عند الدعاء
ويكون الدعاء لا محالة وعلي ما يكون شقاوة بعض ودخوله النار بمعاص يرتكبها
وسعادة آخر ودخوله الجنة بخيرات ياتي بها فيصير من اهلها ويكون
بمنزلة الاسباب فهذا كذلك والله اعلم ويحتمل ان يكون ذلك الخوف لهم
من القتال والخروج الي الجهاد محنة امتحنهم بها من الله وان علموا بوعد النصر
ليكون لهم الثواب بمقابلة الخوف مع حصول النصر والظفر بالوعد كقوله ولنبلونكم
بشي من الخوف الاية والله اعلم قوله تعالى اذ يغشيكم النعاس امنة منه
ذكر النعاس بعد شدة خوفهم والنعاس لا يكون ممن اشتد به الخوف ولا
يغشاه الا بعد الامن فيكون في هذا ذكر منته ولطفه باعطاء الامن لهم بعد ما
كان من حالهم ما ذكر حيث قال كانما يساقون الي الموت وهم ينظرون وقوله
تعالى وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ذكر في بعض القصة ان المشركين سبقوا
فاخذوا الماء فبقي المسلمون في رمل لا تثبت اقدامهم عطاشا فوسوس اليهم الشيطان
انهم لو كانوا علي حق ما ابتلوا بمثل ذلك في رمل لا تثبت اقدامهم عطاشا فابدل الله
تعالى لهم مكان الخوف امنا يامنون به وانزل عليهم من السماء ماء فيطهرهم به ويشربون
ويسود به الرمل ليثبت اقدامهم فذلك قوله اذ يغشيكم النعاس امنة منه
وينزل عليكم من السماء ماء ويطهركم به قوله تعالى ويذهب عنكم رجز الشيطان

ورسوله ثم قوله شاقوا الله قيل اي حاربوا الله ورسوله وقيل خالفوا الله ورسوله
وحقيقة المشاقة المخالفة والمخالفة قد تكون بالمحاربة وقد تكون بمخالفة
الامر والنهي قوله تعالى ومن يشاقق الله ورسوله فان الله شديد
العقاب له في الاخرة قوله تعالى ذلكم فذوقوه اي ذوقوا ذلك العذاب
والعقاب قوله تعالى وان للكافرين عذاب النار اي بالخلاف لله ورسوله
والمحاربة معهما قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا
فلا تولوهم الادبار قيل ان اول الامر بالقتال وصرفه كان لبذل الانفس
وتسليمها للهلاك لانه ذكر الزحف والزحف الجماعة والعدد الذي لا يحد
وليس للجماعة ومع ذلك امر بالقتال مع الزحف والنهي عن الفرار دل ان
فرض القتال في الابتدا كان لبذل الانفس في القتل وعلى ذلك يخرج قوله
ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وليس لوسع الواحد القيام للعشرة
اذا احاطوا به على سبيل الغالب ويجوز ان يفرض بذل الانفس للقتال
كما قال الله تعالى ولو انا كتبنا عليهم ان اقتلوا انفسكم او اخرجوا من دياركم
ما فعلوه الا قليل منهم اخبر انه لو امر بذلك لم يفعل الا القليل منهم فجايز
الامر بذلك ابتلا وامتحانا منه لهم فان احتمل ما ذكرنا كان قوله كانما يساقون
الى الموت هو على التحقيق اذ الى ذلك يساقون ثم صار منسوخا حتى
جاز الفرار للواحد من الثلاثة فصاعدا بقوله الان خفف الله عنكم
وعلم ان فيكم ضعفا الاية ويحتمل وجها اخر وهو ان الله تعالى انما امر بذلك
ليكون ذلك القتال معجزة واية لرسالة النبي ليعرف كل انه انما قام ذلك
القتال بالله تعالى لا بقوة انفسهم اذ ليس في وسع احد على سبيل العادة
القيام للعشرة او لجماعة كثيرة بقوته اذا احاطوا به فيكون ذلك على نقض
العادة وهو تفسير الاية والمعجزة والله اعلم قوله تعالى ومن يولهم يومئذ
دبره الا متحرفا لقتال او متحيزا الى فئة فقد باء بغضب من الله فيه النهي عن
الانهزام والتولي عن العدو الا ان يكون على الوصف الذي ذكر وهو المتحرف
للقتال والمتحيز الى فئة قيل المتحرف للقتال هو المتنقل من مكان الى مكان
للحرب على ما هو عادة اهل الحرب من الخداع والمكيدة والمتحيز الى فئة
هو الملتجي الى فئة على جهة العود اليهم للحرب يقال يجوز وتحيزت بالواو والياء

جميعا اذا توجه نحو الحرب وقوله فقد باء بغضب من الله ومأويه جهنم وبئس
المصير دليل تاكد النهي وان المراد منه التحريم لان العقاب لا يوعد
الا على المحرم ثم الاية تحتمل وجهين احدهما ان يكون الاستثنا من قوله
فقد باء بغضب من الله كانه قال ومن يولهم يومئذ دبره فقد باء بغضب من الله
الا متحرفا لقتال او متحيزا الى فئة على التقديم والتاخير فعلى هذا لم يكن
التولي مباحا اصلا لكن فيه رفع الوعيد لدخول الاستثنا عليه ونفي
المواخذة مع قيام الحرمة فيكون رخصة حقيقة ويحتمل ان يكون الاستثنا
من قوله ومن يولهم يومئذ دبره كما هو ظاهر الاية فيكون الاستثنا
من التولي فصار التولي على الوصف الذي ذكر مستثنا فيكون مباحا لان
الاستثنا من الحظر اباحة وانه اصح فانه جا عن غير واحد من الصحابة
توليه الدبر على الوصف الذي ذكر وكذلك قال عليه السلام فيمن فروا من
الحرب الى المدينة وفيها النبي انتم الكرارون انا فيه لكل مسلم والله اعلم
ثم قالت المعتزلة دل ما اوعد الله المتحرف لغير قتال والمتحيز الى
غير فئة بقوله فقد باء بغضب من الله ان من ارتكب كبيرة خلد في النار
لانه ذكر في اول الاية المومنين ولهم خرج الخطاب بقوله يا ايها الذين
امنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا اوعدهم الوعيد الشديد الذي بمثله
يوعد اهل النار غير اهل الايمان فدل انه يخرج عن الايمان بارتكاب
الكبيرة ويخلد في النار قالوا ولا يجوز صرف الاية الى اهل النفاق لانه
ذكر في القصة انه لم يكن يوم بدر منافق والاية نزلت في اهل بدر وقلنا
نحن في الخروج عن هذه الشبهة وجهين احدهما ان الاية نزلت في المنافقين
دون اهل الاسلام فانه لم يكن لاهل الاسلام يوم بدر فئة يتحيزون اليها
لان يومئذ لم يكن دار اسلام لما لم يكن الغلبة لاحكام اهل الاسلام بل احكام الكفرة
ظاهرة ولم يصح قولهم انه لم يكن يوم بدر منافق فان الله تعالى قال اذ يقول
المنافقون والذين في قلوبهم مرض غر هولاء دينهم فقيل نزلت هذه الاية
يوم بدر والثاني يحتمل ان ما ذكر من الوعيد لمعنى في تولية الدبر والاعراض
عن القتال لا لنفس تولية الدبر اذ قد ذكر توليه الدبر في اية اخرى وذكر
العفو عنها بقوله ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان انما استزلهم الشيطان

ببعض ما كسبوا ولقد عفى الله عنهم وذلك هو اكتساب سبب يفضي الى الكفر والردة
فيكون هذا عقاب الكفر لا عقاب مطلق الكبيرة فان قيل لعل التوبة مضمرة فيما
تولت من الآية كانه قال انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا فتابوا ولقد
عفى الله عنهم قيل بلى جاز ان تجعل التوبة مضمرة فيها كما جاز اضمار الردة
فيما تلونا وما ذكر من الآية لبيان ان الحكم غير متعلق بنفس التولي ظاهرًا
مع جواز ما ذكرتم ان الحكم متعلق بالتولي والعفو مقيد بالتوبة ولكن تحمل على
ما قلنا لدلائل تدل على اضمار الردة احدها انه ذكر التحيز الى فيه ولم يكن للمسلمين
يومئذ فيه تحيز اليها فاذا التحيز انما يحيز ليصير الى العدو والقصد الى ذلك
وتحقيقه سبب الكفر والثاني ما ذكر في بعض القصة لما اصطفت القوم رفع
رسول الله صلى الله عليه يديه فقال يا رب ان يهلك هذه العصابة فلن تعبد
في الارض ابدًا ومن هرب او ولى الدبر في مثل تلك الحال كان قصده ان
لا يعبد الله في الارض والتولي على هذا القصد سبب الكفر والثالث ان الله
تعالى قد وعد النصر والظفر على العدو فمن ولى دبره لم يول الا للتكذيب
بالوعد وعدلهم وذلك كفر والله اعلم قوله تعالى فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم
وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى تخرج على وجوه احدها فيه دليل على انه
لا صنع للعبد في القتل واستخراج الروح منه انما ذلك فعل الله واليه ذلك
وهو المالك له الا ترى ان الضربة والجرح قد تكون ولا موت هنالك
وكذلك الرمي ليس كل من ارسل شيئا من يده هو رمي انما يصير رميًا بالله لانه
هو الذي انشاء فعل المضي به في السهم وفعل الاصابة والاجراح فكانه لا صنع
للرامي فيه الا ترى انه لا يملك رد السهم اذا ارسله ولو كان فعله لملك رده
لان كل من قدر على فعل لقدر على الترك والامتناع منه ولهذا قال
ابو حنيفة رحمه الله ان الاستحار على القتل باطل والثاني انهم انما قتلوا
بمعونة الله ونصره كما تقول الرجل لاخر اذا قتل رجلًا انك لم تقتله وانما
قتله فلان اذا اقتتل لمعونته ذلك الرجل فعلى ذلك الاول والله اعلم وكذلك
في قوله وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى اي ما اصاب رميك المقصد الذي
قصدت الا بتبليغ الله السهم الى ذلك المقصد والله اعلم والثالث فلم تقتلوهم اي
لم تطمعوا الحز وحكم اليهم قبله لانهم كانوا بالمحل الذي وصفهم من الضعف والذلة

وشدة الخوف كانما يساقون الى الموت وهم ينظرون والكفار لهم قوة وشوكة
فكانه قال والله اعلم فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم اي لم تطمعوا الحز وحكم اليهم
وقصدكم اياهم قتلهم لما كان فيكم من الضعف وقوة اوليك ولكن الله اذلهم
والقى الرعب في قلوبهم حتى قتلتموهم فكان الله قتلهم وكذلك قوله وما
رميت اذ رميت ولكن الله رمى اذ لا يطمع الانسان برمي كف من تراب
النكبة باعدايه كلهم ولكن الله رمى حيث بلغ ذلك ابصارهم وغطى به اعينهم
على ما ذكر في القصة انه رمى كفا من تراب فغشي ابصار المشركين فانهزموا
ذلك والرابع يحتمل ان يكون نسبة القتل والرمي الى نفسه لما نسب
واضاف كل خير ومعروف الى نفسه كما قال يمنون عليك ان اسلموا قل لا تمنوا
على اسلامكم بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان الآية وقال ولكن الله يهدي
من يشاء وقال اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم
وغير ذلك من الايات التي فيها اضافة الافعال التي خلصت وصفت لله تعالى
فعلى ذلك نسب فعلهم الى نفسه لخلوصه وصفايه والله اعلم قوله تعالى
وليبلي المومنين منه بلاء حسنا اي نعمة عظيمة حيث نصرهم على عدوهم مع ضعف
ابدانهم وقلة عددهم وكثرة اعدايهم وقوة ابدانهم ووفور عدتهم وهو كما ذكر في هلاك
فرعون اللعين وقومه بقوله وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم اي نعمة عظيمة فعلى
ذلك هذا والله اعلم قوله تعالى ان الله سميع عليم اي سميع لدعايكم الذي
دعوتم وتضرعكم الذي تضرعتم اليه او ان يقول سميع اي مجيب لدعايكم عليم
بافعالكم واقوالكم التي تسرون وتعلنون قوله تعالى ذلكم وان الله
موهن كيد الكافرين قوله ذلكم اي ذلك الذي كان بهم من القتل والاسر
والهزيمة لما اوهن الله واضعف كيدهم ويحتمل ان يكون هذا صلة قوله
وليبلي المومنين منه بلاء حسنا اي ذلك الابلاء والاحسان الذي من الله عليهم
من ابهان كيد الكفرة وذلك يكون في جملة المومنين ما من مومن الا ولله تعالى
اليه ابلاء وانعام في كل حال لابهان كيد الكافرين وقال الحسن اذ يريكهم الله في
منامك اي في عينك التي تنام بها ذكر المنام واراد به موضع النوم وهو العين دون
حقيقة النوم وذلك يكون في حال اليقظة لانه ذكر ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال تنام عيناي ولا ينام قلبي وانما اراه اياهم قليلا في العين التي بها ينام

وهو عين الوجه في حال اليقظة ويدل على ذلك ما روي عن ابن مسعود رضي الله عنه
انه قال لقد قللوا في اعيننا يوم بدر حتى قلت لصاحب لي تراهم سبعين فقال
اراهم مائة حتى اخذنا رجلا منهم فسالناه فقال كنا الفا فان كان
التاويل هو الثاني انه اراهم رسوله قليلا في اليقظة بالعين التي ينام بها فهو ظاهر
وان كان اراه اياهم في المنام حقيقة فلقائل ان يقول ان رؤيا النبي حق فكيف
اراه اياهم قليلا وهم كثير خلاف ما هو في الحقيقة والجواب ان يقال يحتمل ان
يكون اراه بعضهم لا الكل فهو حقيقة ما اراه اياهم فذلك قليل والله اعلم ويجوز ان
يكون ارى اصحابه اياهم قليلا وان اضاف ذلك الى رسوله ليدل ما ذكر في اية
اخرى واذ يريكموهم اذ التقيتم في اعينكم قليلا وذلك كثير في القرآن ان يخاطب
به رسوله والمراد به غيره الا ترى انه قال اما يبلغن عندك الكبر احدهما
او كلاهما فلا تقل لهما اف ولا تنهرهما ومعلوم ان نزول هذه الاية بعد وفاة
والدي رسول الله لكن هذا خطاب له ظاهرا والمراد منه امته فكذلك هذا
واذا كان كذلك فلا يجب ان يخرج رؤيا غير الانبياء على الخلاف والله اعلم
قوله تعالى ولو اريكهم كثيرا لفشلتم ولتنازعتم في الامر اي في امر
القتال والحرب ولكن الله سلم اي اتم للمسلمين امرهم على عدوهم فهزمهم ونصرهم
عليهم ويحتمل قوله سلم اي اجاب للمسلمين لما استغاثوا واستنصروه بالنصر
والظفر لهم قوله تعالى انه عليم بذات الصدور اي عليم بما في قلوب
المومنين من الجبن والفشل وامر عدوهم والله اعلم قوله تعالى واذ
يريكموهم اذ التقيتم في اعينكم قليلا ويقللكم في اعينهم يحتمل قوله واذ يريكموهم
الاية لما راوا الملائكة لانفسهم انصارا واعوانا اذ كان قد وعدهم النصر والاعانة
بالملائكة فاستقلوا العدو مع الملائكة لان العدو وان كانوا كثيرا فهم قليل مع
الملائكة فراوهم قليلا على ما كانوا في مقابلة الملائكة وقوله ويقللكم في اعينهم
على الحقيقة لانهم كذلك كانوا اقل الخلق ولم يروا الملائكة معهم وقال بعض اهل التاويل
قلل هؤلاء في اعين اولئك واولئك في اعين الفريق الآخر ليضري بعضهم على
بعض ويجترئ في القتال فيتحقق ما هو المراد فذلك قوله ولكن ليقضي الله امرا
كان مفعولا وهو ما ذكرنا اي لينجز لهم ما وعد من النصر والظفر للمومنين والغلبة
والهزيمة على الكفرة ليكون ذلك آية ومعجزة للنبي وكذلك ذكر في القصة ان قوله

سيهزم

سيهزم الجمع ويولون الدبر في بدر وعد ذلك لهم فيه وكان وعد الله مفعولا
ثم قوله ليقضي الله يحتمل اي ليحقق الله ويشاء ما قد علم انه يكون كائنا او
ليفصل بين الحق والباطل ما قد علم انه يكون وقال بعض اهل التاويل
ليقضي الله امرا كان في علمه مفعولا كائنا فيوجب امرا لا بد كائن ليعز
الاسلام واهله بالنصر ويذل الشرك واهله بالقتل والهزيمة وهو قريب
مما ذكرنا قوله تعالى والى الله ترجع الامور اي الى الله يرجع تدبير الامور
وينفذ بها في الدنيا والآخرة وذكر في بعض القصة ان ابا جهل لعنه الله
لما راى قلة المومنين يوم بدر قال والله لا يعبد الله بعد اليوم فاكذبه الله تعالى
وقتله فقال والى الله ترجع الامور لا الى الخلق والله اعلم وامر بدر من اوله
الى آخره كان آية حتى عرف كل ذلك الا من عاند وكابر عقله قوله
تعالى يا ايها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا قيل الفئة اسم جماعة يتحاز اليها
وهي من الفيء وهو الرجوع الى جماعة يفيء الناس اليها ويرجعون ذكر ههنا
الفئة وذكر في الاية التي تقدمت الزحف فقال اذا لقيتم الذين كفروا
زحفا ونهى هناك عن تولية الادبار بقوله فلا تولوهم الادبار وامر ههنا
بالثبات بقوله فاثبتوا ليعلم ان في الامر بالثبات نهيا عن تولية الادبار
وفي النهي عن تولية الادبار امرا بالثبات فيكون في النهي عن الشيء امر
بضده والامر بالشيء نهي عن ضده والله اعلم قوله تعالى واذكروا الله كثيرا
قال ابو بكر الكيساني اي واذكروا الله فيما تعبدكم من طاعته ووعدكم من نصره
ولا تنظروا الى الكثرة لتظفروا ويحتمل اي واذكروا الله فيما له من انفسكم
واموالكم اي اذكروا ان انفسكم واموالكم لله ان شاء اخذها منكم بوجه تتقربون
به الى الله وان شاء اخذها بوجه لا تتقربون اليه فاذكروا الله على ذلك وهو
ما ذكر ان الله اشترى من المومنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة الاية
ويحتمل واذكروا الله كثيرا في النعم التي انعمها عليكم ويحتمل واذكروا المقام بين
يدي رب العالمين وذلك بالذي يمنعكم عن المعاصي والخلاف لامره وفيه
بعض ما يرغبكم في طاعته ويحرضكم على الجهاد فعلى هذه الوجوه يكون الامر
بذكر الاحوال ويحتمل ايضا الامر بذكر الله باللسان وذلك بعض ما يستعان
به في امر الحرب وهو متعارف من التكبير والتهليل ونحو ذلك قوله تعالى

لعلكم تفلحون اي لكي تفلحوا بالنصر والظفر وقوله تفلحون اي تظفرون قوله
تعالى واطيعوا الله ورسوله اي اطيعوا الله فيما امركم بالجهاد والثبات مع العدو
واطيعوا رسوله فيما امركم بالمقام في المكان والثبات وترك الاختلاف والتنازع
في الحرب وذلك بعض ما يستعان به في امر الحرب وذلك قوله ولا تنازعوا
فتفشلوا اي لا تنازعوا رسول الله فيما يامركم في امر الحرب وينهيكم كقوله يجادلونكم
في الحق بعد ما تبين واشار الي المعنى انكم اذا تنازعتم اختلفتم واذا اختلفتم
تفرقتم واذا تفرقتم فشلتم وجبنتم فلا تنصرون ولا تظفرون على عدوكم
بل يظفر بكم عدوكم ويحتمل ولا تنازعوا لانكم اذا تنازعتم تباغضتم فليشغلكم
التباغض بانفسكم عن الجهاد فيظفر بكم العدو او بترك الجهاد معكم ولا يقوم
والله اعلم قوله تعالى وتذهب ريحكم قال بعضهم اي ويذهب نصركم
وظفركم وقيل وتذهب دولتكم ويحتمل حقيقة الريح التي بها ينصرون على
ما روي عن رسول الله صلى الله عليه انه قال نصرت بالصبا واهلك عاد
بالدبور وهو ما ذكر فارسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها قوله تعالى
واصبروا ان الله مع الصابرين اي اصبروا للجهاد والقتال عدوكم ان الله مع
الصابرين بالنصر لهم والظفر وفي هذه الايات تاديب من الله تعالى المومنين
وتعليم امر الحرب واسباب القتال مع العدو فانه امرهم بالثبات والصبر
في الحرب وامرهم بذكر الله ونهاهم عن التنازع والاختلاف وذلك كله مما يستعان
به في الاستنصار على الاعداء والله الهادي قوله تعالى ولا تكونوا
كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس قوله بطرا اي كفرا انا
بنعم الله كقوله ضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة ياتيها رزقها رغدا
من كل مكان فكفرت بانعم الله فعلى ذلك هولاء لما خرجوا الى قتال محمد وهو من اعظم
نعم الله عليهم فقد كفروا تلك النعمة حيث خرجوا لقتاله وكذلك في قوله بطرت
معيشتها اي كفرت ويحتمل بطرا اي تكبرا اي خرجوا مستكبرين وقوله
ورئاء الناس يحتمل مراآتهم وجهين احدهما مراآتهم في امر الدين لانهم قالوا
اللهم انصر اهدانا سبيلا واوصلنا رحما واقرانا للضيف فعندهم انهم على الحق
وان المومنين على الباطل ويحتمل مراآتهم في امر الدنيا لانهم كانوا اهل
شرف واهل ثروة ومال واهل عدة وقوة خرجوا من بين الناس صادين

الناس عن ذكر الله فذلك قوله ويصدون عن سبيل الله اخبر الله تعالى
عن خروج اولئك الكفرة انهم خرجوا لما ذكر فكان فيه امر المومنين بالخروج
على ضد ذلك كانه قال اخرجوا انتم شاكرين لنعم الله قابلين منه متواضعين
لله مخلصين له الدين داعين الناس الى دين الله والله اعلم قوله تعالى
والله بما يعملون محيط اي علمه محيط بهم لا يغيب عنه شيء ولا يخلص احد
عن ملكه ويحتمل محيط بما يعملون من مكايدهم وحيلهم والمكر برسول الله في الدفع
عنه والنصر له ويحتمل محيط بما يعملون لجزيهم ويكافيهم ولا يفوت عنه شيء على الوعيد
قوله تعالى واذ زين لهم الشيطان اعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من
الناس قال بعضهم زين لهم الشيطان اعمالهم بالوساوس اي القى في قلوبهم
انكم اهل حرم الله وسكان بيته وحفاظه يدفع عنكم بليته هولاء يعني اصحاب
محمد كما دفع عنكم فيما كان من قبل وعلى هذا التاويل قوله واني جار لكم
اي مجير لكم ومغيث اي يوسوس اليهم ويلقي في قلوبهم الخبر عن الله انه
يغيثهم كما اغاثهم من قبل في غير مرة لا انه اخبر عن نفسه انه مجير لهم
وقال بعضهم ان الشيطان تمثل بصورة رجل يقال له سراقة بن مالك بن
جعشم واتاهم فقال لا ترجعوا حتى تستاصلوهم فانكم كثير وعدوكم قليل فيا من
عنكم ونحو هذا من الكلام وقال صاحب التاويل الاول هذا التاويل
لا يستقيم لان اهل مكة كانوا جبابرة واهل قوة وباس فلا يحتمل ان يصدروا
عن راي رجل دونهم لا يعرفونه ولا يكشفوا اسرارهم معه ولكن على التاويل الثاني
انه تمثل بفلان يكون تاويل قوله واني جار لكم على ما ذكر في بعض القصة
ان ابا جهل واصحابه اعتزلوا واستشاروا فيما بينهم فاتيهم ابليس اللعين متمثلا
لسراقة فامتنعوا عنه واستاخروا كيلا يطلع على اسرارهم فيفشيها فلما راى
ذلك منهم فقال واني جار لكم وكان الرجل الذي تمثل به من جوارهم اشار
الى انه من جملتهم وانه لا يفشي سرهم فيكون تاويل هولاء اشبه بما ذكر في آخر
الآية وهو قوله فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه اي رجع مستاخرا
مقبلا وجهه اليهم وقال اني بريء منكم اني ارى ما لا ترون اني اخاف الله والله
شديد العقاب قيل راى جبريل عليه السلام مع الملائكة ينزلون فخاف
عنهم وفي الآية دلالة على ان ابليس كان يخاف من العذاب قبل يوم القيمة

لانه ان كان منظرًا الي القيمة فيكون امنًا عن الهلاك لا يكون امنا عن مطلق التعذيب
سوي الاهلاك والله اعلم قوله تعالي اذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم
مرض غرّ هولاء دينهم اختلف في قوله والذين في قلوبهم مرض قال بعضهم هم
المشركون كانه قال اذ يقول المنافقون والمشركون غرّ هولاء دينهم وقال
الحسن هم قوم لم يشهدوا القتال يوم بدر فسمّوا منافقين لان هذا وصفهم
كما قال الله تعالي في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضًا وقال بعضهم هم قوم
كانوا اسلموا بمكة فاقاموا بها مع المشركين ولم يهاجروا الي المدينة فلما خرج كفار
مكة الي بدر خرج هولاء معهم فلما عاينوا قلة المومنين وضعفهم وقوة اوليك القوم
شكوا في دينهم وارتابوا فقالوا غرّ هولاء دينهم لكن ان هذا في المنافقين فيكون
علي اسقاط الواو كانه قال اذ يقول المنافقون الذين في قلوبهم مرض والاظهر
ان يكون في غير المنافقين لان المنافقين هم الذين اضمروا الكفر حقيقة والذين
في قلوبهم مرض الذين لم يضمروا الكفر لكنهم ارتابوا وشكوا اي اعترض لهم شك وريبة
من بعد اذا راوا تاخر الموعود والله اعلم وقوله غرّ هولاء دينهم يحتج علي وجهين احدهما
اي غرّ الموعود الذي وعدهم رسول الله من الفتوح لهم والنصر في الدنيا وذا تاويل ذلك
واعتقدوا فاقدموا علي القتال لذلك فيكون دينهم غرّهم واوقعهم في الهلاك والثاني
غرّ هولاء الموعود لهم في الاخرة من النعم الدايمة والحيوة الباقية لما راوهم تركوا
اباهم واولادهم وجميع شهواتهم وخرجوا الي القتال مع انه لم يكن لهم عدة ولا اسباب
الحرب فلم يكن خروجهم الا اشفاقا وخوفا علي دينهم ليسلم لهم دينهم ولم يكونوا ايقانا لون
الا لقوة دينهم فلذلك قالوا غرّ هولاء دينهم والله اعلم قوله تعالي ومن يتوكل علي الله
اي يعتمد علي الله في حرب بدر ويثق بوعده في النصر ردًّا لقولهم غرّ هولاء دينهم
فان الله عزيز لا يعجزه شي يعز من يشاء بالنصر ويذل من يشاء بالقتل والهزيمة وقيل
العزيز في هذا الموضع الغالب حكيم بما امر بالقتال ويحتمل ومن يتوكل علي الله في جميع
اموره ويكل اليه امره والله اعلم فان قيل ما الحكمة في ذكر قول المنافقين في القران
حتي يتلوه في الصلاة قيل انما ذكر والله اعلم ليعرف عظيم منزلة الذين وخطير
قدره في قلوبهم اي في قلوب المومنين وذلك انه بذلوا انفسهم للهلاك لخروجهم الي
قتال عدوهم مع ضعفهم وقلة عددهم وكثرة اعدايهم وقوتهم رجاء ان يسلم لهم دينهم
فيكون في قلوبنا مثل ذلك ونقتدي بهم في تقوية الدين والله اعلم وفي قوله

اذ يقولوا المنافقون والذين في قلوبهم مرض غرّ هولاء دينهم دليل اثبات رسالته
لانهم انما قالوا ذلك سرًّا فيما بينهم فاطلع الله تعالي علي ذلك رسوله ليعلم انه عرف
بالله والله الموفق قوله تعالي ولو تري اذ يتوفي الذين كفروا الملايكة يضربون
وجوههم وادبارهم قال بعضهم الاية مقابلة قوله ولا تكونوا كالذين خرجوا
من ديارهم بطرًا ورياء الناس يقول والله اعلم ولو تري اذ تقبض الملايكة
ارواح الذين كفروا كيف تقبضون ارواحهم وكيف يضربون وجوههم وادبارهم
اي لو رايت وعاينت الحال التي تقبض فيها ارواحهم وما ينزل بهم من العذاب
لعلمت ان ما عملوا من صد الناس عن سبيل الله واستكبارهم علي المومنين
وخروجهم لقتال اصحاب محمد انما عملوا بانفسهم لا بالمومنين ثم قوله ولو تري اذ
يتوفي الذين كفروا والملايكة يضربون وجوههم وادبارهم يحتمل ما ذكر من فعل
الملايكة يكون يوم بدر لان الاية ذكرت في قصة بدر ويحتمل ان يكون ذلك في
كل كافر ان الملايكة يفعلون بهم ما ذكر كقوله ولو تري اذ الظالمون في غمرات الموت
والملايكة باسطوا ايديهم الاية هذا في كل كافر فعلي هذا المحتمل الاول والله اعلم
ثم قوله يضربون وجوههم وادبارهم يحتمل ان لا يكون علي ارادة حقيقة الوجه
والدبر ولكن علي ايصال الالم اليهم بكل ضرب وبكل وجه كقوله لهم من فوقهم
ظلل من النار ومن تحتهم ظلل ليس علي ارادة التحت والفوق ولكن عبارة
عن احاطة فعلي ذلك الاول وقال بعضهم يضربون وجوههم في حال ادبارهم
في حال الهزيمة من المومنين والله اعلم قوله تعالي ذلك بما قدمت ايديكم
وان الله ليس بظلام للعبيد اي ما لحقهم مما ذكر انما كان باكتسابهم واختيارهم والله
تعالي ليس بظلام لهم فيما شرع من القتال والهلاك والتعذيب في الاخرة لانه
مكن لهم حتي يكتسبوا النجاة والحيوة الدايمة لهم فيسوم اختيارهم ووقعوا فيما وقعوا
وبالله القوة والحول وفي الاية دلالة الرد علي المجبرة لانهم لا يعقلون للعباد في
افعالهم صنعًا بل يجعلون حقيقته لله تعالي والله تعالي ذكر ذلك بما قدمت ايديكم
ولو لم يكن لهم فعل لم يكن لقوله بما قدمت ايديكم معني وكذلك قوله وان الله ليس
بظلام للعبيد فلو لم يكن لهم حقيقة الفعل لكان التعذيب بطريق الجزاء ظلمًا لان لهم
فعلًا حقيقة والله الموفق قوله تعالي كداب ال فرعون والذين من قبلهم كفروا بايات الله
وقال بعضهم صنيع هولاء اي صنيع اهل مكة لمحمد كصنيع فرعون وقومه بموسي يعني في

في التكذيب والكفر باياته وما جاء به عن الله تعالى وقال بعضهم صنيع لديه باهل مكة من العقوبة
والتعذيب كصنيعه بفرعون وآله ومن سبق من الامم من الاهلاك والتعذيب
وقد فعل باهل مكة يوم بدر بسوء معاملتهم رسول الله كما فعل ذلك بفرعون واله
بسوء معاملتهم موسى وقوله كداب وقيل كفعل وقيل كعمل وقيل كشبيه وكله واحد
قوله تعالى فاخذهم الله بذنوبهم ان الله قوي شديد العقاب اي لا يضعفه شيء
لا يمنعه عما يريد قوله تعالى ذلك بان الله لم يك مغيرا نعمة انعمها على قوم حتى يغيروا
ما بانفسهم اي ذلك العذاب والعقاب الذي ذكر لاجل ان الله تعالى اجرى السنة
انه لم يكن مغيرا نعمة انعمها على قوم حتى يغيروا ما بانفسهم ثم قوله لم يكن مغيرا نعمة
انعمها على قوم حتى يغيروا ما بانفسهم اي ذلك العذاب والعقاب الذي ذكر لاجل ان الله
تعالى اجرى السنة انه لم يكن مغيرا نعمة انعمها على قوم حتى يغيروا ما بانفسهم ثم
قوله لم يكن مغيرا نعمة انعمها على قوم يخرج على وجهين احدهما يحتمل النعمة الدينية
التي انعمها عليهم من الرسل الذين بعثهم اليهم والكتب التي انزلها عليهم لم يكن مغيرا
تلك النعمة عليهم حتى يغيروها بانفسهم وهو تكذيبهم الرسل وردهم الكتب وترك القبول
بعد ما اقسموا انهم يكونون به اهدى من احدى الامم واختيارهم الشرك والكفر
على الايمان والتوحيد فاذا اختاروا ذلك تغير عليهم ذلك وهو كقوله وما كان ربك
مهلك القرى حتى يبعث في امها رسولا يتلوا عليهم اياتنا الاية والثاني يحتمل النعمة
الدنيوية اي لا تغير عليهم تلك النعمة الا بتغيير من قبلهم اما بترك الشكر لها واما
لصرف الشكر الى غير الذي انعمها عليهم ولو رايت التغير بدون هذين في حق المسلمين
فليس ذلك تغيرا في الحقيقة لان ذلك يزول الى خلف اما في الدنيا واما في الاخرة
فلا يكون تغيرا في الحقيقة وقال ابن عباس رضي الله عنهما نعمة من النعم ان تولوا عن
شكرها عبر الله عليهم فاخذها منهم قوله تعالى وان الله سميع عليم قيل سميع
لشكر من يشكره ويجعل الزيادة النعمة اذا شكر ويحتمل سميع اي مجيب عليم بمصالحهم
ويحتمل انه سميع لما اسروا من القول وجهروا به عليم بما اضمروا من العمل واسروه
قوله تعالى كداب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بايات ربهم قد ذكرنا
تاويله فان قيل ما فايدة تخصيص آل فرعون من بينهم وما الحكمة في تكرار قوله
كداب آل فرعون الاية قيل اما التخصيص فيحتمل ان يكون لما كان آل فرعون وهم
اليهود اقرب الى هولاء من غيرهم ممن كان قبلهم من النصارى والمجوس وهو كقوله

انا ارسلنا اليكم رسولا شاهدا عليكم كما ارسلنا الى فرعون رسولا ليسالوا
عنهم فيعرفوا اصدق ذلك ويحتمل ان يذكر اهل الكتاب منهم لما كانوا ينكرون
بعث الرسل من غيرهم ويقولون ان محمدا امي بعث الى الاميين فاخبر
ان موسى لم يكن من القبط وهو قد بعث رسولا اليهم فعلى ذلك محمد وان كان
اميا بعث الى غير الاميين والله اعلم واما فايدة التكرار والله اعلم من وجوه
احدها وهو انه ذكر في الاية الاولى الاخذ بالذنوب والتعذيب ولم يبين
ما كان ذلك العذاب ثم بين في الاية الثانية ان ذلك العذاب هو الاهلاك
والاستيصال حيث قال فاهلكناهم بذنوبهم واغرقنا آل فرعون وكل كانوا ظالمين
والثاني يحتمل ان المراد بالاية الاولى العذاب في الاخرة بكفرهم بايات
الله فانه قال كفروا بايات الله فاخذهم الله بذنوبهم ومطلق المواخذة بسبب
الذنوب في الاخرة اذ عذاب الدنيا يشوبه معنى الزجر والعظة والمراد بالاية
الثانية هو الاهلاك في الدنيا تحقيقا للزجر بسبب عنادهم فانه ذكر وقال
كذبوا بايات ربهم فاهلكناهم بذنوبهم فاغرقنا آل فرعون والثالث يحتمل انه
ذكر في الاية الاولى الكفر بايات الله ولم يبين ما الكفر وذكر في الاية الاخرى
التكذيب باياته فبين لها ان الكفر باياته هو التكذيب ~~باياته فبين لها~~ بها ثم في الاية
دلالة ان الايمان هو التصديق لانه جعل مقابلة وضده التكذيب وفيه دليل
على ان الايمان ليس هو المعرفة لان مقابل المعرفة الجهل والجهل بالله ليس
هو التكذيب لكن المعرفة سبب التصديق والجهل سبب التكذيب ثم التصديق
والتكذيب انما يتحقق في الاخبار فيكون الايمان هو تصديق ما اخبر الله على
لسان الرسل او تصديق ما جاء به الرسل واخبروا عن الله تعالى والكفر
على مضادة ذلك او تصديق ما شهدت الدلايل والايات الحقيقية على وحدانية
الله وتنزيهه عن الشرك اذ الدلايل في المعنى كانها اخبرت وشهدت بما جعلت
ادلة عليها او يكون الله مخبرا بما نصب من الدلايل على ما جعلها ادلة على ذلك
الكفر على خلاف ذلك والله الموفق قوله تعالى ان شر الدواب عند الله
الذين كفروا فهم لا يومنون قد ذكرنا تاويل الاية ثم ذكر ههنا ان شر الدواب
عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون اي الذين سمعوا الايات والحق وعقلوها
فلم يومنوا بها فكانهم لم يسمعوا ولم يعقلوا حيث لم ينتفعوا بما سمعوا فيكون الايتان

في المعني واحدا ثم انما يكونون بهذا الوصف اذا ختموا علي الكفر وترك الايمان
فتكون الاية في قوم علم الله تعالي انهم ختموا علي الكفر ولا يومنون ثم اختلف اهل
التاويل في ذلك قال بعضهم نزل في بني قريظة عاهدوا رسول الله ثم اعانوا
مشركي مكه علي رسول الله بالسلاح وعيره فاقالهم رسول الله وكانوا يقولون
نسينا واخطانا ثم عاهدهم مرة ثانية فنقضوا العهد فذلك قوله ثم ينقضون
عهدهم في كل مرة وهم لا يتقون اي لا يتقون نقض العهد ولا يتقون الشرك
وقال بعضهم نزلت في المردة والفراعنة من الكفار والاية فيهم حيث كانوا عقلوا
ما سمعوا ودرسوا الكتب لكن عتوا وهاقم يومنوا بها وعلي هذا حمل اهل التاويل
تاويل الاية وعلي ما ذكرنا صرفوا الاصرف الاية الي اهل النفاق اولي لانهم
هم المعروفون بنقض العهد مرة بعد مرة قوله تعالي فاما تثقفنهم في الحرب
فشرد بهم من خلفهم قيل فاما تثقفنهم في الحرب اي تاسرنهم في الحرب وقيل تلقينهم
من الحرب من اللقاء وقيل تجدنهم في الحرب وقوله فشرد بهم من خلفهم قيل
اي نكل بهم من بعدهم اي اصنع بهم ما ينكل به من بعدهم اي يمتنعون وقيل نعظ بهم
من خلفهم اي اجعلهم عظة لمن سواهم وعبرة لمن وراهم وقال ابو عبيد التشريد
في كلامهم التبديد والتفريق اي فرق بهم وقال القتبي قوله فشرد بهم من
خلفهم اي افعل بهم فعلا من العقوبة والتنكيل ما يتفرق به من وراهم من الاعداء
قال ويقال شرد بهم سمع بهم بلغة قريش وقال ابو عوسجة التشريد التنكيل والتنكيل
التخويف والرد عما يكره والنكال العذاب اي نكل بهم حتي تخاف من خلفهم والتشريد
الطرد والتشريد التقليل وقيل فشرد بهم من خلفهم اي اخف بهم من بعدهم بما صنع هولاء
وبعضه قريب من بعض ثم الاية نزلت في قوم علم الله انهم لا يومنون وكان عادتهم
نقض العهد فامر الله تعالي رسوله ان ينكل هولاء ليكون ذلك عبرة وزجرا
لمن بعدهم وان لم يكن لهم في ذلك زجر فيكون في تمليك هولاء لمنفعة لغيرهم اذا علم
غيرهم او راد انه فعل بهولاء ما ذكر وهو كقوله ولكم في القصاص حيوة من راد ان يقتل
القاتل عمدا امتنع عن قتل اخر فيكون في ذلك حيوة الخلق وكذلك ما جعل الله تعالي
من القتال مع العدو ونصب الحرب فيما بينهم رحمة لان في الطباع النفار عن القتل
فاذا راد انه يقتل بتركه الاسلام اجاب الي ذلك اشفاقا علي نفسه وخوفا علي طلب
مهجته فيكون في القتال رحمة وكذلك جميع ما جعل الله فيما بين الخلق من العقوبات

في النفس وما دون النفس جعل زواجر وموانع عن المعاودة الي مثله
فعلي ذلك قوله فشرد بهم من خلفهم امر بذلك عظة وزجرا لمن خلفهم وهو قوله
لعلهم يذكرون لكي يذكروا النكال فلا ينقضوا العهد وكذلك كل مرغوب
في الدنيا ومرهوب جعل دواعي وزواجر لموعود في الاخرة وجعل كل لذيذ
وشهي في الدنيا داعيا لما وعد في الاخرة في الجنة وكل كريه وقبيح زاجرا له
عن الموعود في الاخرة في النار وعلي هذا بنا امر الدنيا من المحاسن والمقابح
والمنافع والمضار والملاذ والمكاره والله اعلم قوله تعالي واما تخافن
من قوم خيانة فانبذ اليهم علي سواء قال بعضهم تخافن اي تعلمن من خيانة
فانبذ اليهم علي سواء اي لا تفعل بهم مثل ما فعلوا من الخيانة فتكون انت وهم
في الخيانة سواء لان عندهم انهم معاهدون لقيام العهد بعد ولكن انبذ اليهم
العهد ثم ناصب فيما بينهم الحرب وقال بعضهم هو علي حقيقة الخوف تقول
اذا خفت منهم النقض او الخيانة فانبذ اليهم اي الق اليهم نقضك لتكون انت وهم
في العلم بالنقض سواء وقال ابو عبيدة فانبذ اليهم علي سواء اي اظهر لهم
انك عدو وانك مناصب لهم حتي يعلموا ذلك فتصير علي ذلك سواء وقال
ابو عبيد قال غير واحد من اهل العلم فانبذ اليهم علي سواء اي اعلمهم انك تريد
ان تحاربهم حتي تصير وا مثلك في العلم فذلك السواء وقال الكيساني السواء
العدل وقال بعضهم علي سواء اي علي امر بين وقال ابو عوسجة فانبذ اليهم
علي سواء اي سر اليهم وقد علموا بك وعلمت بهم وبعضه قريب من بعض والاصل
في العهد ما ذكر في اية اخري وهو قوله الا الذين عاهدتم من المشركين ثم
لم ينقصوكم شيئا ولم يظاهروا عليكم احدا فاتموا اليهم عهدهم الي مدتهم امر عز وجل
باتمام العهد الي المدة اذا لم ينقصونا شيئا ولم يخونوا ولم يظاهروا علينا احدا منهم
فاذا فعلوا شيئا من ذلك قلنا ان ننقض العهد الذي كان بيننا وبينهم وكذلك
ابتداء العهد فيما بيننا وبينهم اذا سالونا ليس للامام ان يعطي لهم العهد اذا لم يكن
في العهد منفعة ظاهرة للمسلمين وخيرا لهم له مراعاة ذلك العهد وحفظه
فاذا خاف منهم الخيانة او اطلع علي خيانة منهم فله نقضه والله اعلم ثم اذا كان تلك
الخيانة من جملتهم وممن له منعة فله ان يناصب معهم الحرب وان لم ينبذ اليهم
واذا كان ذلك من بعض علي سبيل التلصص والسرقة فليس له ان يحاربهم

الا بعد البعد اليهم والله اعلم قوله تعالى ولا يحسبن الذين كفروا سبقوا انهم
لا يعجزون قال بعضهم اي لا تحسبن الذين نجوا وتخلصوا منك يا محمد من المشركين
يوم بدر ان لا اظفرك عليهم في غيره من الحروب والمغازي وانهم يفوتون
ويعجزون الله عن ذلك وقال بعضهم اي لا تحسبن الذين كفروا انهم يفوتون
ويعجزون الله عن نقمته وعذابه ثم قرا بعضهم بفتح الالف انهم لا يعجزون ولذلك
وجهان احدهما على طرح حرف لا وجعلها صلة ظاهرة كانه قال ولا تحسبن الذين
كفروا سبقوا انهم يعجزون والثاني على اضمار اللام كانه قال ولا تحسبن الذين
كفروا سبقوا لانهم لا يعجزون واما قراءة العامة فهي بالخفض وهي على الابتداء
كانه تم الكلام بقوله ولا تحسبن الذين كفروا سبقوا ثم قال انهم لا يعجزون على
التقدير الاول وقال القتبي سبقوا اي فاتوا وقيل المعجز والسابق والفايت
واحد والله اعلم قوله تعالى واعدوا لهم ما استطعتم من قوة قال بعضهم معناه
لا تخرجوا الى الحروب والمغازي بلا سلاح ولا عدة كما خرجتم الى بدر لان الله تعالى
اراد ان يجعل حرب بدر اية ليميز بين الحق والباطل وبين المحق والمبطل لذلك
امركم بالخروج اليه بلا سلاح ولا عدة فاما غيرها من الحروب فلا تخرجوا اليها الا
مستعدين لها وبعد فان اهل بدر انما تركوا الاستعداد للحرب طاعة لله تعالى
فانه امرهم بالخروج كذلك وفي الاشتغال بالاستعداد ترك الطاعة له وامرهنا
بالاعداد لها ما استطاعوا من الاسباب لما ان ذلك ارهب للعدو ومن ترك الاستعداد
قال الله تعالى لانتم اشد رهبة في صدورهم من الله فامر عز وجل بالاسباب في الحروب
وان كان قادرا على نصر اوليايه على اعدايه بلا سبب فكان الطاعة له بالاشتغال
به والحكم يختلف باختلاف الاحوال والمصلحة تتفاوت وعلى هذا جعل جميع امور
الدنيا مقرونا بالاسباب من نحو الحيوة والموت وجميع الاشياء وان يقدر على
ابقاء الانسان والخلايق بلا قوت وعدة لجعل لهم والموت بلا مرض ولكن خلق
الاسباب تحقيقا للابتلاء في حال غيب الدلايل فهذا امثله ويحتمل قوله ما
استطعتم من قوة اي اعدوا من السلاح ما تقوون به وتقدرون على استعماله
لا ما لا تقوون به ولا تقدرون على استعماله ثم اختلف في قوله من قوة قال
بعضهم القوة الرمي وعلى ذلك رووا عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قرا قوله واعدوا
لهم ما استطعتم من قوة فقال الا ان القوة الرمي وقال ذلك ثلثا وقال بعضهم

القوة السلاح وقيل الخيل وامكن ان يراد بها جميع اسباب الحرب لان القوة
السابقة على الفعل هي القوة من حيث الاسباب عندنا وفي الاية دلالة
على ان القوة التي هي اسباب الفعل يجوز ان تتقدم وكذلك المراد من قوله
لو استطعنا لخرجنا معكم اراد واستطاعة الاسباب لا استطاعة الفعل
قوله تعالى ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم قيل هذا
كناية عن اقتناء الخيل والاعداد للحرب امر بذلك رهبة للعدو قوله
تعالى واخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم اختلف في تاويله قال بعضهم
ترهبون برباط الخيل وما ذكر من القوة والسلاح المشركين واخرين من
دونهم اليهود والنصارى فترهبون هولاء ايضا وقال بعضهم واخرين من دونهم
المنافقين الذين كانوا فيما بينهم لا يعرفونهم وكانوا طلايع للمشركين وعيونا لهم
يخبرونهم عن عورات المومنين فترهبون هولاء ايضا وقال بعضهم واخرين من
دونهم هم الاعداء الذين يكونون من بعد الى يوم القيمة وقال بعضهم واخرين
من دونهم هم الشياطين لا تعلمونهم الله يعلمهم وهو كقوله انه يريكم هو وقبيله من
حيث لا ترونهم ورووا على ذلك خبرا عن النبي صلى الله عليه لن يخبل الشيطان
انسانا في داره فرس عتيق فان قيل اي رهبة تقع للشياطين فيما ذكر من رباط
الخيل واستعداد السلاح للحرب قيل يحتمل ان المراد بذلك الرهبة في قمع
اوليايهم لانهم يخافون وقوع الدبرة على المشركين والكفرة ويحتمل ان يكون الرهبة
والخوف لاوليايهم وهم الكفار لكن نسب ذلك اليهم ومثل ذلك كثير في القران
ثم في قوله عدو الله وعدوكم دلالة ان من كان عدو الله يكون عدو المومنين
ومن كان عدو المومنين فهو عدو الله حيث سمى عدو الله عدو المومنين والله اعلم
قوله تعالى وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف اليكم اخبر ان ما انفقوا
في سبيل الله يوفى عليهم ذلك اما الخلف في الدنيا كقوله وما انفقتم في سبيل الله
من شيء فهو يخلفه واما الثواب في الاخرة قوله تعالى وانتم لا تظلمون يحتمل
وجهين احدهما وانتم لا تظلمون فيما امركم بالجهاد في سبيل الله واتخاذ العدة
والانفاق فيها اذ انفسكم واموالكم لله تعالى فله ان ياخذها منكم والثاني وانتم
لا تظلمون في الثواب في الاخرة اي يعطيكم الثواب في الاخرة او الخلف في الدنيا
على التمام بلا نقصان والله اعلم قوله تعالى وان جنحوا للسلم فاجنح لها قيل

بالنصب السلم وقرئ بالخفض قال اهل اللغة من قرا بالنصب حمل على المصالحة
والموادعة ومن قرا بالخفض حمل الآية على الاسلام واوله الى ميل اليهم
والله اعلم اي اذا اجتمعوا للصلح وطلبوا امنك فاجنح بهم ولا يمنعك عن الصلح
معهم ما كان منهم من نقض العهد على ما ذكر في قوله الذين ينقضون عهدهم
في كل مرة تقول لا يمنعك عن الصلح اذا طلبوا ذلك ما كان منهم من النقض ونكث
العهود وتوكل على الله ولا تخف خيانتهم ونقضهم العهد فان الله يكفيك ويطلعك
على ذلك والله والهاء في قوله فاجنح لها تنصرف الى المسالمة والمصالحة ومنهم
من قال وان جنحوا للسلم اي ان خضعوا وتواضعوا للاسلام فاقبل منهم واخضع لهم
كقوله واخفض جناحك للمومنين امره بخفض الجناح لهم فان قيل ما معنى في قوله
فاجنح لها على قول من قال بان المراد من قوله وان جنحوا للسلم هو الاسلام
لان النبي صلى الله عليه كان يدعو الى الاسلام ولا شك انه كان يقبل منهم الاسلام
فما معنى الامر تقول الاسلام منهم امرا نترك مواخذة ما كان منهم في حال
نقض العهد لان من قولنا ان ما اصابوا في حال العهد من الجراحات
والاخذ يتبعون بها ويواخذون اذا اسلموا واذا نقضوا العهد ثم اصابوا اشيا
من ذلك ثم اسلموا لم يواخذوا بذلك فيحتمل ان تقول له فاجنح لها اي لا تواخذهم
ما كان منهم في حال نقض العهد كيلا يمتنعوا عن الاسلام خوفا عن المواخذة
بها وقال الحسن هذا منسوخ نسخه قوله تعالى قاتلوا الذين لا يومنون بالله
الآية وقال بعضهم نسخه قوله اقتلوا المشركين الآية وقال بعضهم نسخه قوله ولا تهنوا
وتدعوا الى السلم وانتم الاعلون والوجه فيه ما ذكرنا ان الامام اذا راى الصلح
والموادعة وهو الامان الموقت ببدل وبغير بدل منفعة ونظرا للمسلمين اجابهم
الى ذلك وصالحهم واذا طلب الكفار منه وبالمسلمين قوة القتال والحرب معهم لم
يجبهم الى ذلك وما ذكر هولاء من نسخ الآية بما قالوا فلا نعرفه والله اعلم بالصواب
قوله تعالى وان يريدوا ان يخدعوك اي يحتالوك في الصلح فان حسبك
الله اي امكنك الله منهم كقوله وان يريدوا خيانتك فقد خانوا الله من قبل فامكن
منهم وان كان قوله فاجنح لها في الاسلام فيكون قوله فان حسبك الله اي
يطلعك الله على ما في قلوبهم من النفاق اي وان خفت منهم انهم يظهرون لك الاسلام
في الظاهر ويكونون في السر على ما كانوا من قبل فلا يمنعنك ذلك على قبول الاسلام
عن

منهم فان الله يكفيك ذلك ويطلعك على ذلك والله اعلم قوله تعالى هو الذي
ايدكم بنصره وبالمومنين يحتمل قوله وبالمومنين الملائكة الذين امدهم الله
تعالى يوم بدر معونة للمومنين ويحتمل وبالمومنين المومنون الذين كانوا
معه ببدر فاخبر الله تعالى انه يويده بنصره وبمعونة المومنين ونصرهم
وكان النصر له بالله في الحقيقة بقوله وما النصر الا من عند الله لكن النصر
من الله تارة بالاسباب من الملائكة والمومنين وبغير ذلك من الاسباب ومرة
باللطف منه بلا سبب قوله تعالى والف بين قلوبهم لو انفقت ما في الارض
جميعا ما الفت بين قلوبهم ولكن الله الف بينهم قال بعضهم الف بين قلوبهم
بالدين الذي اجتمعوا عليه كقوله اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته
اخوانا اخبر لانهم كانوا اعداء ما داموا في الكفر فلما اسلموا صاروا اخوانا
ولكن عندنا الاسلام يوجب التاليف بين القلوب والاجتماع بينهما ولكن يجوز
ان لا يوجد التاليف وان وجد الاسلام ليعلم ان الله هو الذي يولف بينهم
بلطفه وفضله بقوله ولكن الله الف بينهم والذين يكون سبب التاليف
على انه يجوز ان يكون ما ذكر من تاليف القلوب مرة يكون بالدين ومرة باللطف
من الله فاذا كان الخلاف والعداوة بينهم بسبب الدين فانه اذا وجد الوفاق
في الدين ارتفع الخلاف والعداوة واذا كان للاطماع فهو يرتفع باللطف من الله
والله اعلم قوله تعالى انه عزيز حكيم عزيز لا يعجزه شي حكيم في امره وحكمه
قوله تعالى يا ايها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المومنين قال بعضهم
اي حسبك وحسب من اتبعك من المومنين فيكون قوله ومن اتبعك معطوفا
على الكاف من قوله حسبك الله معقده كفاك الله في العون والنصر لك وكفى
المومنون من اتباعك وقال بعضهم اي حسبك الله وحسبك من اتبعك من
المومنين فيكون قوله ومن اتبعك نسقا وعطفا على قوله اي حسبك نصر الله
وحسبك نصر المومنين وهو على ما ذكر هو الذي ايدك بنصره وبالمومنين والاول
اشبه قوله تعالى يا ايها النبي حرض المومنين على القتال التحريض على القتال
يكون وجهين احدهما ان يعدهم من المنافع في الدنيا يطمع لهم ذلك من نحو ما جا
من التنفيل ان من فعل كذا فله كذا او يعدهم المنافع في الاخرة كقوله تعالى ان الله
اشترى من المومنين انفسهم واموالهم الاية وما ذكر من الثواب والاجر

في النفقه التي ينفقونها في سبيل الله بقوله هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب
اليم فيكون الوعد لهم بالمنافع في الدنيا والاخرة ووعد النصر لهم تحريضا على القتال
والثاني ان يكون التحريض ببيان ضرر يلحقهم من اوليك ونكبه تصل اليهم من
قبلهم كقوله الا تقاتلون قوما نكثوا ايمانهم وهموا باخراج الرسول وهم بدوكم
اول مرة الاية جمع الله تعالى في هذه الاية جميع انواع الخير الذي يكون في القتال
مع العدو من وعد النصر للمومنين وادخال السرور في قلوبهم ونفي الحزن
عنهم وتعذيب اوليك بايديهم ونحو ذلك وهذا كله للحرض على القتال ويرغبهم
في الحرب مع العدو والله اعلم قوله تعالى ان يكن منكم عشرون صابرون
يغلبوا مايتين وان يكن منكم مائة يغلبوا الفا من الذين كفروا اختلف في تاويل
هذه الاية قال بعضهم قوله ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مايتين على الامر
كانه قال ليكون منكم عشرون صابرون يغلبوا كذا وكذا امر العشرة بالقيام للماية
وقال الدليل على انه على الامر قوله الان خفف الله عنكم ولو لم يكن على الامر والعزيمة
لم يكن لذكر التخفيف معنى وقال بعضهم هو على الوعد انهم اذا صبروا وبيتوا العدو
هم غلبوا عدوهم على ما اخبر كم من فية قليلة غلبت فية كثيرة باذن الله وظاهر
الاية للاخبار حيث قال ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مايتين اخبر
انهم اذا صبروا غلبوهم ثم هم صبروا وغلبوا على ما وعد الله واخبر عنه لكن
الاشبه ان يكون على الامر ليس على الخبر على ما ذكرنا من قوله الان خفف الله
والذي يويد هذا ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال نزلت ان
يكون منكم عشرون صابرون يغلبوا مايتين فكتب عليهم ان لا يفر واحد من
عشرة ثم انزل الان خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا فان يكن منكم ماية
صابرة يغلبوا مايتين كتب عليكم ان لا يفر ماية من مايتين قوله تعالى بانهم
قوم لا يفقهون اي لا يفقهون ما لهم وما عليهم قوله تعالى الان خفف الله
عنكم وعلم ان فيكم ضعفا فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مايتين وان يكن منكم الف
يغلبوا الفين باذن الله والله مع الصابرين فان قيل ما معنى قوله الان خفف الله
عنكم وعلم ان فيكم ضعفا وقد كان يعلم وقت ما امر العشرة بالقيام للماية والعشرين
بالقيام لمايتين فما معنى ذلك قيل امر بذلك اعني العشرة بالقيام للماية مع علمه
ان فيهم ضعفا وان كان في ذلك اهلاك انفسهم وذلك منه عدل ادلة الانفس

ان شاء اتلفها بالموت وان شاء بقتل العدو واما التخفيف منه رحمة وفضل
فكان امر الواحد بالقيام لعشرة على علم منه بالضعف فيه ابتداء امتحان منه
وله ان يمتحن عباده بما فيه وسعهم وما لا وسع لهم فيه وفي الحكمة ذلك اذ له
الانفس والاجسام فله ان يتلفها كيف شاء بما شاء وهو كقوله ولو انا كتبنا
عليهم ان اقتلوا انفسكم او اخرجوا من دياركم ولو لم يكن له في الحكمة ذلك لا
يحتمل ان يكون ذلك عليهم ويحتمل ان علم فيهم الضعف كاينا شاهدا عيانا كما
علم انه يكون فيهم الضعف وهو كما ذكرنا في قوله حتى يعلم المجاهدين منكم
والصابرين اي يعلم انه جاهد كما علم انه يجاهد فعلى ذلك هذا والله اعلم
ثم ذكر العشرين والمايتين وذكر الماية والالف يحتمل ان يكون على التحذير
حتى اذا كمل العدد الذي ذكر لم يسعهم الفرار ويلزمهم القيام لهم واذا
كانوا دون ذلك لم يلزم فيجب على العشرين ان يقاوموا المايتين ولا
يفروا عنه ويباح للواحد ان يفر من العشرة وكذلك لا يباح للماية
الفرار من الالف ويباح للعشرة الفرار من الماية وكذلك بعد التخفيف
لا يباح الفرار للماية من المايتين وللالف من الالفين ويباح الفرار
للواحد من اثنين ونحوه وكذلك قال الحسن ان الله تعالى امر ان تصبر
عشرون لمايتين وان فروا منهم لم يعذروا وان تصبر ماية للالف ان فروا
منهم لم يعذروا وان يصبر الالف لالفين ان فروا منهم لم يعذروا فان كان على
التحديد فالمعنى فيه انهم اذا كانوا عددا كثيرا كانوا امنعة فلا يسعهم ان لا يقاتلوا
ويفروا عن الحرب واذا كانوا عددا قليلا يباح لهم الترك ويحتمل ان يكون
ذكر العشرة والعشرين والماية والمايتين ونحو ذلك ليس على التحديد والتقدير
لكن في الابتداء امر للعشرين ان يصبروا للمايتين وللمايتين ان يصبروا للالف
ثم خفف ونسخ الاول فامر الماية ان تصبر لمايتين والالف ان يصبروا لالفين فيكون
الحكم وجوب المقاومة للواحد مع العشرة ثم صار منسوخا واستقر الامر
على وجوب المقاومة على الواحد مع الاثنين والدليل ان ذكر العدد ليس على
التحديد ولكن لبيان ما ذكرنا ان الله تعالى ذكر في الناسخ عددا غير العدد
الذي في المنسوخ ذكر العشرين لمايتين والماية لالف وفي الناسخ ذكر الماية
لمايتين والالف لالفين ولو كان ذكر ذلك على التحديد ينبغي ان يذكر في الناسخ

العشرين لاربعين كما ذكر المايه لمايتين لمقابلة المايه للالف ولما ذكر الالف للالفين
بمقابلة ما ذكر العشرين لمايتين دل انه ليس ذلك على سبيل التحديد اللازم وعلى
ذلك روي عن عمر رضي الله عنه قال اذا لقي الرجل رجلين من الكفار فاستاسر
فلا فدا علينا واذا لقي ثلاثة فعلينا فداوه ولم يجعل للواحد الفدا من اثنين حيث
لم يوجب علينا الفدا اذا جعل نفسه اسيرا له ولم يقاتلهم وقد جعل له الفدا
عن ثلثة حيث جعل له الفدا اذا جعل نفسه اسيرا لهم وترك القتال وكذلك
روي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال ذلك وهذا هو الاصح ثم الصبر
ما هو قال بعضهم الصبر هو حبس النفس على ما امر الله تعالى وكفها عن جميع
شهواتها ولذاتها فاذا فعل ذلك غلب على العدو وقهره وقال بعضهم الصبر
هو ان يوطن نفسه في القتال مع العدو ويحبسها في ذلك واما الشكر قيل
هو ان يبذل نفسه ما يجوبه لله لا يجعل لغيره فيكون الصبر والشكر في الحاصل
سوآء وان كانا في العبارة مختلفين لان الشكر هو بذل النفس وما حوته
لله والصبر هو الكف عن جميع ما نهي الله عنه وحبس النفس على جميع ما امر الله واداء
ما افترض عليه فاذا حبسها عن غيرها يكون باذلا ولهذا اسمي الصبر ايمانا بقوله
الا الذين صبروا وعملوا الصالحات ذكر الصبر ههنا مكان ما ذكر في غير الايمان
وهو قوله الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات والله اعلم وقوله والله مع
الصابرين في النصر على عدوهم والغلبة عليهم قوله تعالى ما كان لنبي
ان يكون له اسرى حتى يثخن في الارض يحتمل تاويل الآية على وجهين احدهما
اي ما كان لنبي ان ياخذ الفدا من الاسارى حتى يثخن في الارض اي يغلب
في الارض حتى اذا اخذ الفدا وسرحهم واطلقهم يكون رجوعهم الى غير منعة
وشوكة فلا يكون في ذلك ضررا بالمسلمين فاما اذا لم يغلب في الارض ثم اخذ
الفدا واطلقهم يكون رجوعهم الى منعة فيصير واحربا على المسلمين فيكون في ذلك
ضررا بالمسلمين فلا يحل والثاني اي ما كان لنبي ان ياسر الاسارى حتى يغلب
في الارض اي حتى يصير الدين كله لله بل عليه ان يقتله للحال كقوله وقاتلوهم حتى
لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله واختلف في تفسير الاثخان قال ابن عباس رضي الله
عنهما الاثخان القتل وقيل حتى يثخن اي يغلب وقال ابو معاذ حتى يثخن اي
يذلل اهل الارض ويصيروا مقهورين له والمثخن الذليل وقال ابو عبيدة

حتى يثخن في الارض اي يثخن في اهل الارض ويكثر القتل والجراحات
فيهم يقال اثخنت في القوم اذا كثرت فيهم القتل والجراحات ويقال ضربه
حتى اثخنه اي ضربه حتى لا يقدر على القيام وهو ما ذكر محمد رحمه الله في بعض
مسايله انه اذا رمى صيدا بسهم فاصابه واثخنه ثم رمى آخر بسهم فاصابه فانه
للاول لما انه صيره بالاثخان خارجا من ان يكون صيدا وهو الضرب الذي
وصفنا ويقال ثخن يثخن ثخانة وثخونة فهو ثخين اي غلظ ثم اختلف اهل التاويل
في قوله ما كان للنبي ان يكون له اسرى حتى يثخن في الارض هو عام مطلق
في كل نبي ام لا قال بعضهم هو عام مطلق في حق كل نبي ونبينا عليه السلام كان داخلا
فيه وبه قال ابو بكر الكيساني واحتج وقال بان الله عاتب واصحابه في اخذ
الاسارى فانه مطلق وبالغ في العتاب في اخذ الفدا منهم بقوله تريدون عرض
الدنيا والله يريد الآخرة وكذلك روي عن رسول الله صلى الله عليه انه لما استشار
اصحابه في الاسارى اشار ابو بكر الى اخذ الفدا وعمر الى القتل فقال لو نزل
من السما عذاب ما نجا الا عمر عاتبهم باخذ الاسارى والحق العتاب الشديد في
اخذ الفدا وقد امر بضرب الرقاب بقوله فاضربوا فوق الاعناق واضربوا
كل بنان وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال لم يكن الانبيا فيما مضى يكون لهم
اسارى حتى يثخنوا في الارض وعن سعيد بن جبير انه قال يقتل اسرآء
المشركين ولا يفادون حتى يثخن فيهم القتل وقدار حتى اذا اثخنتموهم فشدوا الوثاق
فاما منا بعد واما فداء ولا يقال بان الله تعالى قال لولا كتاب من الله سبق لمسكم
فيما اخذتم عذاب عظيم معناه والله اعلم انه لولا الحكم السابق بالاباحة في حق
هذه الامة والا لحقكم العذاب بذلك فدل ان الرخصة ثابتة في حق نبينا وامته
لان هذه الآية اعني قوله لولا كتاب من الله سبق تتوجه الى وجوه من التاويل احدها
ما قال ابو بكر الكيساني اي لولا كتاب من الله سبق ان لا يعذب المخطئين في
عملهم على خلاف امره والا لمسكم العذاب فيما اخذتم من الاسارى والفدا منهم
عذاب عظيم وقال آخرون لولا كتاب من الله سبق انهم يتوبون عما عملوا من
الاخذ وغيره وانه يتوب عليهم والا لمسهم العذاب بذلك وقال آخرون لولا كتاب
من الله ان احل الغنايم لهذه الامة والا لمسكم العذاب فيما اخذتم واستحللتم عذاب
عظيم وقال بعض اهل التاويل يحتمل قوله ما كان لنبي ان يكون له اسرى اي ما

كان لنبي قبلكم ان يكون له اسري حتي يثخن في الارض واما انتم فقد لكم الاساري
والغنايم الا تري انه قال لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم
فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا والدليل علي ان المراد هذا ما روي عن ابن عباس
قال لما اسر والاساري يوم بدر قال النبي صلي الله عليه لابي بكر وعمر
وعلي ما ترون في هولاء الاساري فاشار ابو بكر الي الفدا وعمر الي القتل
فهوي ما قال ابو بكر ولم يهو ما قال عمر فانزل الله تعالي ما كان لنبي ان
يكون له اسري الي قوله فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا فاحل لهم الغنيمة وعن
عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال لما كان يوم بدر قال رسول الله صلي الله
عليه ما تقولون في هولاء الاساري فقال ابو بكر قومك واهلك فاستبقهم
واستانهم لعل الله ان يتوب عليهم وقال عمر كذبوك واخرجوك قدمهم نضرب
اعناقهم وقال عبد الله بن رواحة يا رسول الله انظر واديا كثير الحطب فادخلهم
فيه ثم اضرم عليهم نارا فقال له العباس قطعت رحمك فسكت رسول الله فلم
يجبهم شيئا ثم قام فدخل فقال ناس ياخذ بقول ابي بكر وقال ناس ياخذ
بقول عمر وقال ناس ياخذ بقول بن رواحة ثم خرج عليهم رسول الله فقال
ان الله تعالي ليلين قلوب رجال حتي تكون الين من اللبن وان الله تعالي ليشدد
قلوب رجال حتي تكون اشد من الحجارة وان مثلك يا ابا بكر كمثل ابراهيم
قال فمن تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم وان مثلك يا ابا بكر
كمثل عيسي قال ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم
وان مثلك يا عمر كمثل موسي عليه السلام قال ربنا اطمس علي اموالهم واشدد
علي قلوبهم وكمثل نوح عليه السلام حيث قال رب لا تذر علي الارض من الكافرين
ديارا انتم عيل ولا يفلتن احد منكم الا بفدا او ضرب عنق قال عبد الله فقلت يا
رسول الله الا سهيل بن بيضا فاني سمعته يذكر الاسلام فسكت رسول الله
صلي الله عليه فما رايتني في يوم اخوف ان تقع علي حجارة مني في ذلك اليوم حتي
قال رسول الله الا سهيل بن بيضا فانزل الله تعالي ما كان لنبي ان يكون له
اسري الي اخر الايات الثلاث والدليل عليه ان في قوله فاضربوا فوق
الاعناق دلالة اباحة الاسر ورخصته لانه قال فاضربوا فوق الاعناق
والضرب فوق الاعناق هو الابانة من المفصل الذي يبان به النفوس وذلك

قبل ما يمكن في القتال ولا يقدر ابانة الروس في الحرب انما يمكن ذلك بعدما
اخذوا ووقعوا في ايديهم فدل ذلك علي اباحة الاخذ واما ما ذكر من
الضرب بكل بنان فهو في الحرب لان في الحرب انما يضرب فيما ظفر ووجد
السبيل الي ذلك فيكون في الاية اشارة الي اباحة الاسر والقتل كيف
ما اراد والله اعلم ولا يقال انه عوتب بقوله لولا كتاب من الله سبق لمسكم
فيما اخذتم عذاب عظيم لانا نقول انما عوتب لا لحظر الاسر والمفاداة
ولكن لانه لم ينتظر بلوغ الوحي وعمل بالاجتهاد فقال لولا كتاب من الله
سبق اي لولا من حكم الله تعالي ان لا يعذب احدا علي العمل بالاجتهاد
والا لمسكم العذاب باقدامكم علي الاسر بالاجتهاد وترككم انتظار الوحي
علي انه يحتمل ان يكون قوله لولا كتاب من الله سبق ملحقا علي ما سبق من
قوله كما اخرجك ربك من بيتك بالحق وان فريقا من المومنين لكارهون
يجادلونك في الحق الاية ويكون صلة لذلك لا في هذه الحادثة اي لولا
من حكم الله ان يجعل لكم الظفر علي احدي الطايفتين منهما مطلقا فعلتم بما
يحتمله مطلق النص والا لمسكم العذاب بمجادلتكم رسول الله ومخالفتكم اياه
في الخروج واردتكم العير دون الجند ويكون قوله اخذتم معناه عملتم
والله اعلم واختلف اهل العلم في فدا الاساري بالمال واباحة الاسر
قال ابن عباس رضي الله عنه ان قوله ما كان لنبي ان يكون له اسري
حتي يثخن في الارض نزل في يوم بدر والمسلمون قليل فلما كثروا واشتد
سلطانهم انزل بعد ذلك في الاساري فاما منا بعد واما فدا فجعل النبي والمومنون
بالخيار ان شاوا فدوهم اخبر ان ما نزل من العتاب في حق النبي في اسر
الاساري يوم بدر وفداه اياهم لقلة عدد المسلمين فلما كثر المسلمون واثخن في
الارض وظهر الدين اطلق له المفادات وقال سعيد بن جبير يقتل الاسرا
ولا يفادون حتي يثخن فيهم الموت وتكون اليد للمسلمين وقرا قوله حتي اذا
اثخنتموهم فشدوا الوثاق فاما منا بعد واما فدا وعن الحسن انه كره قتل الاسير
وقال تصنع به ما صنع رسول الله باساري تمن او تفادي وهو قول عطا
وعنه وقال مجاهد القتل افضل من الفدا وقال ابو عبيد ان الامام
مخير بين ان تقتل الاسير او يمن عليه او يفديه او يسترقه لان رسول الله

قتل عقبة بن ابي معيط والنضر بن الحارث يوم بدر ثم قدم المدينة فحكم في اساريهم
بالفداء او المن وكذلك حكم في بني قريظة سعد ان يقتل مقاتلتهم ثم من النبي
صلى الله عليه على الزبير ابن باطا لما كلمه ثابت بن قيس ثم على بني المصطلق فلم
يقتل احدا منهم ثم من على اهل خيبر وقد قتل ابن ابي الحقيق ثم كان فتح مكة
فقتل هلال بن خطل ومقيس بن صبابة واطلق سائر الناس ومن ابو بكر رضي الله
عنه على عيينة بن حصن والاشعث ابن قيس وقتل رجالا من بني سليم ولكنا
نقول ان قول ابي عبيد ان للامام ان يقتل الاسير فهو كما قال لان النبي
قد قتل من ذكر من الاسراء واما قوله ان له ان يفديه لان النبي فادى
اسارى اهل بدر فليس كذلك عندنا فان المفاداة عن الاسير بالمال ليرد
الى دار الحرب فيصير حربا لنا لا يجوز ومشركوا العرب مما لا يجوز تركهم على الكفر
بالجزية لقوله عليه السلام لا يجتمع دينان في جزيرة العرب وكذلك مفاداة
الاسير باسير المسلمين لا يجوز عند ابي حنيفة رضي الله عنه وعند ابي يوسف
ومحمد رحمه الله يجوز وعند الشافعي يجوز اخذ الفداء عن الاسير كيف ما كان
واما اخذ الفداء من اسارى بدر كان قبل نزول قوله تقاتلونهم او يسلمون
وقوله فاما منا بعد واما فداء لا حجة فيه على ما نذكر والله اعلم واما قوله ان له
ان يسترقه فهو كما قال اذا كان الاسير من اهل الكتاب او من العجم فاما مشركوا
العرب واهل الردة فلا يسترقون لانه لم يبلغنا ان النبي صلى الله عليه استرق
احدا منهم لما اسره ولا بلغنا ان ابا بكر استرق احدا من رجال اهل الردة وكيف
يسترقون وقد قال الله تعالى تقاتلونهم او يسلمون واما قوله له ان يمن عليه
ولا يقتله وهذا في اهل الكتاب صحيح واما في حق العرب فلا فان الله تعالى
قال تقاتلونهم او يسلمون وقال فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين
حيث وجدتموهم فاما قوله فاما منا بعد واما فداء فقيل عن السدي وقتادة
وغيرهما ان ذلك منسوخ بقوله اقتلوا المشركين وقوله قاتلوا الذين لا يؤمنون
بالله وسورة البراءة نزلت بعد سورة محمد عليه السلام على انه يجوز ان يكون
ذلك في اهل الكتاب فيمن عليهم بعد اسرهم على ان يصيروا اكرة للمسلمين كما فعل
رسول الله باهل خيبر او ذمة كما فعل عمر باهل السواد او يسترقوا اذا كان
الرق يقع عليهم واما ابو بكر انما من على الاشعث وعيينة لما انهما اسلما واما الزبير

واهل خيبر فكانوا اهل كتاب فمن على اهل خيبر ليصيروا اكرة للمسلمين
واما الزبير فقد من عليه ولم يقتله ولم يثبت انه هل جعله ذمة والزمه الجزية
ام لا والله اعلم وفيما روينا من استشارة النبي اصحابه في اسارى بدر دلالة
العمل بالاجتهاد فيكون حجة على منكري القياس والذي يدل على صحة
الاجتهاد ما روي عن النبي صلى الله عليه انه قال لابي بكر وعمر يا ابا بكر وعمر
ان ربي يوحي الي ان اشاوركما ولولا انكما تختلفان ما عصيتكما او ما عملت خلاف
رايكما فهذا دليل على انه لا يجوز لاحد ان يخالفهما فيما اجتمعا عليه وان ما
اختلفا فيه لا يجوز العدول عن قوليهما ويجب الاخذ باحدهما وذلك يكون
بالاجتهاد والقياس اذ الترجيح بالمعنى يكون قالت المعتزلة في قوله تريدون
عرض الدنيا والله يريد الاخرة دلالة على ان الله تعالى قد لا يريد ما اراد العباد
فلا يجب ارادوا المعاصي ان يكون الله مريدا لها لانه اخبر انهم ارادوا عرض
الدنيا والله يريد الاخرة فيجوز انهم ارادوا المعصية والله تعالى يريد الطاعة
لكن التاويل عندنا اي تريدون حيوة الدنيا وعرضها والله يريد الاخرة وعرضها
فان الله تعالى اراد لهم الاخرة بالقتال مع احدى الطائفتين وهم العسكر وهم
ارادوا عرض الدنيا وهو العير فقد كان ما اراد الله لهم لا ما ارادوا لانفسهم لان
ما يريد الله يكون لا محالة فاما ما اراد العبد قد يكون فيكون ارادة حقيقة لمقارنتها
الفعل وقد لا يكون فيكون تمنيا وذلك جائز في صفات العبد واصله ان الله تعالى
اراد الاخرة لاهل بدر فكان ما اراد واراد لاولئك الكفرة النار فكان كما اراد
وهو كقوله يريد الله ان لا يجعل لهم حظا في الاخرة والاشبه ان يكون الارادة
ههنا من العباد في المحبة والمودة اي تودون وتحبون عرض الدنيا لان المحبة
ليست من قرائن الفعل لا محالة والله يريد الاخرة هو على حقيقة الارادة وهو
ما ذكر في اية اخرى حيث قال واذ يعدكم الله احدى الطائفتين انها لكم وتودون
ان غير ذات الشوكة تكون لكم كانوا يودون القتال مع غير ذات الشوكة
حتى يكون لهم الغنائم ثم الارادة التي تضاف الى الله يخرج على وجوه ثلاثة احدها
الرضا كقوله سيقول الذين اشركوا لو شاء الله ما اشركنا كانوا يستدلون
بتركه اياهم وهم على ان الله تعالى رضي بصنيعهم والثاني الارادة الامر كقوله واذا
فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها اباءنا والله امرنا بها والثالث الارادة هي صفة

كل فاعل يخرج فعله على غير سهو وغفلة ولا طبع بل يخرج على الاختيار
قوله تعالى فكلوا مما غنمتم قال بعضهم حلالا طيبا واحد كل حلال طيب
وكل حرام خبيث وانما يطيب اذا حل ويخبث اذا حرم لكن يحتمل قوله حلالا
طيبا حلالا بالشرع طيبا بالطبع وكذلك الحرام هو حرام بالشرع خبيث
بالطبع وانما يتكلم بالحل والحرمة بالشرع وبالطيب والخبث بالطبع ولان الطيب
هو الذي يتلذذ به ولا تبعة فيه لان خوف التبعة مما ينغص عليه ويذهب
بطيبه ولذته فجائز ما ذكر من الطيب ههنا لما ان اهل الشرك كانوا ياخذون
الاموال ويجمعونها من وجه لا يحل وباسباب فاسدة فيكره المسلمون التناول
منها اذا غنموها لاجل تلك الاسباب الفاسدة فطيب قلوبهم بقوله طيبا انه
لا مواخذة لكم في ذلك وفيه دليل جواز التصرف والتقلب في البيع الفاسد
وطيب التناول منه للثاني وان كان مكتسبا باسباب فاسدة بعد ان تكون
باذن كاموال الكفرة المستفادة باسباب فاسدة في حق من يملكها بالاستيلاء
والاستغنام والله اعلم وفيه دلالة ان اهل الكفر لا يواخذون بالافعال
التي كانت لهم في الكفر ولا بما كانوا تركوا من العبادة لما ليس عليهم اداؤها انما عليهم
الاعتقاد والله اعلم قوله تعالى واتقوا الله اي فيما امركم به ونهيكم عنه فلا
تعصوه ان الله غفور رحيم لمن تاب ورجع عما فعل قوله تعالى يا ايها النبي
قل لمن في ايديكم من الاسرى ان يعلم الله في قلوبكم خيرا يوتكم خيرا مما اخذ منكم قال
عامة اهل التاويل ان الآية نزلت في العباس بن عبد المطلب واصحابه وكذلك
قال ابن عباس قالوا للنبي آمنا بما جئت به ونشهد انك رسول الله فنزل ان
يعلم الله في قلوبكم خيرا اي يعلم الله اعتقاد الايمان والتصديق له في قلوبكم خيرا اي
~~يعلم الله اعتقاد الايمان~~ يوتكم خيرا مما اخذ منكم اي يخلف عليكم خيرا مما اصيب عليكم واخذ
منكم في الدنيا وكذا روي عن العباس انه قال بعد ما تم عناؤه وكثر ماله ان الله تعالى
وعدني وعدين بقوله يوتكم خيرا مما اخذ منكم ويغفر لكم وقد صدق الحق الوعدين
والجزء عني به انه اعطاه مالا كثيرا فارجو ان ينجز الوعد الآخر وهو المغفرة هذا
معنى كلامه لكن الآية فيه وفي غيره كل من فعل مثل فعله فهو في ذلك سواء ويحتمل
ان يعلم الله في قلوبكم خيرا يوتكم خيرا مما اخذ منكم اي ان يعلم الله منكم العزم على
الايمان والميل اليه يوتكم خيرا مما اخذ منكم وهو الايمان والتصديق لكن معناه

بز

في الحقيقة قد علم الله في قلوبكم خيرا وهو الميل الى الايمان والعزم عليه فقد اتاكم
خيرا مما اخذ منكم وهو الايمان لان علم الله مما لا يحتمل التعليق بل الله تعالى له
علم ازلي بما يكون وبما لا يكون وبما لا يكون لو كان كيف يكون لذلك قلنا انه اراد
به الماضي ويجوز ان يذكر يفعل مكان فعل في اللغة قال الله تعالى اذ يقول
المنافقون والذين في قلوبهم مرض غر هولاء دينهم اي قال المنافقون وذلك
كثير في القرآن وعلى هذا والله الموفق ويحتمل يوتكم خيرا مما اخذ منكم اي يثيبكم
ويعطكم افضل مما اخذ منكم من الفداء في الآخرة من النعم الدائمة والحيوة
الباقية والله اعلم قوله تعالى ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم
اي غفور لما كان منهم في حال الشرك كقوله فان انتهوا فان الله غفر
الذنوب التي سلفت منهم وقوله رحيم اي يرحمهم في حال الاسلام والله اعلم
قوله تعالى وان يريدوا خيانتك فقد خانوا الله من قبل فامكن منهم يحتمل
ان تكون الآية صلة ما سبق من الآيات من قوله الذين عاهدت منهم ثم
ينقضون عهدهم في كل مرة وهم لا يتقون وقوله فاما تخافن من قوم خيانة
وقوله وان يريدوا ان يخدعوك فان حسبك الله وغير ذلك فكان معناه
والله اعلم وان يريدوا خيانتك في نقض العهد فقد خانوا الله من قبل ثم قوله
فقد خانوا الله من قبل يحتمل اي خانوا الله من قبل فيما عهدوا ان يوفوا
بذلك من ذلك قولهم لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين وقوله ومنهم
من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين وقد
آتاهم الله ذلك ولم يوفوا بما عهدوا وغير ذلك من العهود والامانات التي اوتمنوا
فيها فخانوا الله في ذلك ونقضوا او يحتمل ما عهد الله اليهم في امر محمد واظهار
نعته وصفته في كتبهم فكتموا ذلك وحرفوه واظهروا خلاف نعته وصفته فذلك
منهم خيانة بقوله فقد خانوا الله من قبل فامكن منهم فاذا جاؤوك يملك الله تعالى
ايضا منهم وقال بعضهم وان يريدوا خيانتك الآية اي ان جاؤوك بعد اسلامهم
بالكفر بك فقد خان الله من قبل اي فقد كفروا بالله من قبل هذا القول ان
جاؤوك امكنك منهم فقتلتهم واسرتهم كما فعلت بهم يوم بدر والله اعلم وقوله فامكن منهم
قال بعضهم اي انتقم منهم جزاء خيانتهم فيمكنك ايضا حتى ينتقم منهم اذا خانوك
وقال بعضهم اي فقد خانوا الله من قبل فامكنك الله منهم اي لقدرك عليهم فاذا خانوك

يقدرك الله عليهم ايضا ثم قوله وان يريدوا خيانتك ليس على الارادة ولكن
على حقيقة وقوع فعل الخيانة كانه قال فان خانوك فقد خانوا الله من قبل
لكن ذكر الارادة واراد بها حقيقة الفعل مجازا لما ان الارادة صفة كل فاعل
مختار لما لا يكون الافعال الاختيارية الا بالارادة والله الموفق قوله
تعالي والله عليم حكيم اي عليم بما يسرون وما يضمرون من الخيانة ونقض العهود
حكيم في امره وحكمه حيث امكنك منهم قوله تعالي ان الذين آمنوا وهاجروا
وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله قوله امنوا اي صدقوا بايات الله
ووحدوه وصدقوا رسوله في جميع ما جاء به كانه مقابل قوله كداب آل
فرعون والذين من قبلهم كفروا بايات الله وقوله كذبوا بايات ربهم
ذكر ههنا التصديق مكان التكذيب هناك وقوله وجاهدوا اي جاهدوا
في اظهار دين الله ونصره باموالهم وانفسهم اي بذلوا ذلك والذين آووا اي ضموا
النبي ونصروا اولئك بعضهم اولياء بعض قال ابن عباس وعامة
اهل التاويل الولاية التي ذكرت في الاية في التوارث جعل الميراث
للمهاجرين والانصار دون ذوي الارحام الذين آمنوا ولم يهاجروا
الي المدينة وكذلك قالوا في قوله والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم
من شيء حتي يهاجروا يعني الميراث وروي عن عبد الله ابن مسعود قال
قال رسول الله صلي الله عليه المهاجرون والانصار بعضهم اولياء بعض في
الدنيا والآخرة وعن جرير بن عبد الله عن النبي صلي الله عليه كذلك وعن المسعودي
عن القاسم قال اخا رسول الله بين اصحابه فاخا بين عبد الله ابن مسعود
والزبير بن العوام اخوة يتوارثون بها لانهم هاجروا وتركوا قراباتهم حتي انزل
الله تعالي اية المواريث وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال في قوله والذين
عقدت ايمانكم فاتوهم نصيبهم قال كان المهاجرون حين قدموا المدينة يرث
الانصاري دون ذوي رحمه بالاخوة التي آخي النبي بينهم فلما نزلت ولكل جعلنا
موالي مما ترك الوالدان والاقربون نسختها وقوله والذين عقدت ايمانكم فاتوهم
نصيبهم اي من النصر والنصيحة والرفادة ويوصي له ولا ميراث وعن الحسن في
قوله واولوا الارحام بعضهم اولي ببعض في كتاب الله فكان المسلمون يتوارثون
بالهجرة فكان الاعرابي لا يرثه المهاجر والمهاجر لا يرثه الاعرابي لحرصهم بذلك

علي الهجرة حتي كثر المسلمون فانزل الله تعالي واولوا الارحام بعضهم اولي ببعض في
كتاب الله فورث الاعرابي المهاجر وتوارثوا بالارحام الي هذا يذهب
عامة اهل التاويل وكانوا يرون ان الهجرة كانت مفروضة فزال فرضها
بقول النبي عليه السلام لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية وعن عايشة
رضي الله عنها انقطعت الهجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية انما كانت الهجرة الي الله
ورسوله والمومنون يفرون بدينهم من ان يفتنوا عنه وقد افشي الله تعالي
الاسلام ويحتمل غير ما ذكر اهل التاويل وهو ان قوله ان الذين آمنوا
وهاجروا وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله الي قوله اولئك بعضهم
اولياء بعض اي اولئك بعضهم اولياء بعض في تمام الولاية في التناصر والتعاون
والحقوق والديانة انهم اولي بعضهم ببعض من الذين آمنوا ولم يهاجروا لانهم
آمنوا وهاجروا وتركوا اموالهم واهلهم وقراباتهم وبلدهم الذين كانوا
فيه مقيمين اشفاقا علي دينهم واستسلاما لهم ولانفسهم والانصار آووهم
وانزلوهم في منازلهم وبذلوا انفسهم واموالهم وتحملوا جميع مونتهم من غير
ان كان سبق منهم اليهم شيء فصاروا لهم اعوانا وانصارا فصار بعضهم اولياء
بعض في تمام ما ذكرنا من الولاية وكذا قوله والذين آمنوا ولم يهاجروا
ما لكم من ولايتهم من شيء اي من تمام ما ذكرنا من الولاية لهم ولاية الدين وليس
لهم ولاية التناصر والتعاون والحقوق والمنافع التي تكتسب بالدين والله اعلم
وفي قوله تعالي والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء دلالة نقض
قول المعتزلة في ان صاحب الكبيرة يخرج من الايمان لان الله تعالي
ابقي للذين لم يهاجروا اسم الايمان وكانت الهجرة عليهم مفترضة وصاروا بتركهم
الهجرة مرتكبين كبيرة فدلت ان ارتكاب الكبيرة لا يزيل الايمان ثم قوله ما لكم من
ولايتهم من شيء قرئ بالنصب والخفض وكذلك في قوله هنالك الولاية لله الحق
في الكهف قرئ بنصب الواو والكهف ثم قال بعض اهل الادب الولاية بنصب
الواو النصرة والمعونة وبخفض الواو السلطان اي السلطان لله وقال بعضهم
علي العكس وقال آخرون هما سواء فيهما قوله تعالي واولوا الارحام بعضهم
اولي ببعض اي اولوا الارحام اذا آمنوا وهاجروا بعضهم اولي ببعض من غيرهم
لانهم اذا آمنوا وهاجروا ولهم قرابة سابقة ورحم متقدم كانوا هم اولي من غيرهم

الذين لا قرابة بينهم ولا رحم اذا اجتمع فيهم الرحم والنصرة والديانة والحقوق فقد
اجتمع فيهم اشياء اربعة وفي اوليك ثلثة فهم اولى بهم من غيرهم هذا على التاويل
الذي ذكرنا قوله تعالى وان استنصروكم في الدين يعني الذين لم يهاجروا
وهو يحتمل وجهين احدهما اي اذا طلبوا منكم النصرة والمعونة على عدوهم فعليكم
النصر والمعونة على اوليك اذا لم يكن بينكم وبين اوليك ميثاق والثاني اي اذا
علمتم انهم يخشون على انفسهم من عدوهم ويخافونهم فانصروهم الا على قوم بينكم وبينهم
ميثاق اي اذا استنصروكم في الدين على قوم بينكم وبينهم ميثاق فلا تنصروهم اي
ليس عليكم ان تنصروهم وان اتاهم عدوهم من المشركين وقاتلوهم ليردوهم
على الاسلام لكن الآية وان كانت مطلقة فالمراد بها والله اعلم اي فلا تنصروهم
اذا كان بينكم وبينهم ميثاق حتى تنبذوا العهد وعليكم نبذ العهد ونصرة المسلمين
والله اعلم قوله تعالى والله بما تعملون بصير اي في المعونة والنصرة قوله
تعالى والذين كفروا بعضهم اولياء بعض على قول ابن عباس وعامة اهل التاويل
اي بعضهم اولياء بعض في التوارث على ما قالوا في المهاجرين والانصار ويحتمل
ما ذكرنا ان بعضهم اولياء بعض في التعاون والتناصر والدين والحقوق جميعا
على ما ذكرنا في المومنين قوله تعالى الا تفعلوه تكن فتنة وفساد كبير قيل
بوجوه احدها اي ان اخوانكم الذين لم يهاجروا واذا استنصروكم على عدوهم فلم تنصروهم
تكون فتنة في الارض وفسادا كبيرا اي اذا لم يكن بعضكم اعوانا وانصارا لبعض على
ما كان اهل الكفر بعضهم اعوانا وانصارا لبعض عليكم العدو وقهركم فتكون في ذلك
فتنة وفساد كبير وهو كقوله وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله
وقال بعضهم الا تفعلوه تكن فتنة في الارض وفساد كبير ملحق بقوله الا على قوم
بينكم وبينهم ميثاق وعهد فتنصروهم تكن فتنة في الارض وفساد كبير وقال بعضهم
الا تفعلوه اي ان لا تفعلوا ما امركم به من جعل التوارث فيما بين المومنين وجعلتم
التوارث فيما بينكم وبين الكفار تكن فتنة في الارض وفساد كبير لان الله تعالى
ذكر المواريث ثم ذكر في آخر الآية تلك حدود الله ومن يطع الله ورسوله الآية
وما ذكر من ترك حدود الله وطاعة رسوله وجعل الميراث في غير ما امر تكون
فتنة في الارض وفسادا كبيرا قوله تعالى والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا
في سبيل الله والذين آووا ونصروا اي ضموا رسول الله والمهاجرين الى انفسهم

ونصروهم قوله تعالى اوليك هم المومنون حقا اراد به المهاجرين والانصار
سماهم مومنين حقا لما حققوا ايمانهم باعمالهم لان المهاجرين هاجروا بلادهم
واهليهم واموالهم اشفاقا على دينهم واستسلاما له واجابوا رسول الله واطاعوه
في ذلك والانصار ضموا رسول الله والمهاجرين الى انفسهم وانزلوهم منازلهم
وبذلوا انفسهم واموالهم ونصروهم على عدوهم فقد حققوا جميعا ايمانهم باعمالهم
التي عملوا عند الناس والله اعلم ويحتمل اوليك هم المومنون حقا اي اوليك
هم المومنون الذين وعد لهم وعدا حقا وهو ما ذكر في آخر الآية لهم مغفرة ورزق
كريم ويحتمل اوليك هم المومنون حقا اي اوليك هم المومنون صدقا في السر
والعلانية ليس كالمنافقين الذين يكون ايمانهم في العلانية دون السر وهو كقوله
ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين وقال
وليعلمن الله الذين آمنوا وليعلمن المنافقين ثم قد جمع الله تعالى بين المهاجرين
والانصار في حق الشهادة لهم بالتصديق والايمان حيث قال اوليك هم المومنون
حقا وجمع بينهم في حق الولاية وما يكتسب بها من المنافع حيث قال اوليك بعضهم
اولياء بعض وجمع بينهم في الثواب والدرجة حيث قال لهم مغفرة ورزق
كريم جمع بينهم في هذه الخصال وان قدم ذكر المهاجرين في غير واحد من الآيات
لما انهم كانوا مستوين في الاسباب التي استوجبوا ذلك وهو ما ذكرنا من
المهاجرين ترك الاوطان والمنازل والخروج منها والمفارقة عن اهليهم واموالهم
وكان من الانصار مقابل ذلك انزالهم منازلهم واوطانهم وبذلهم اموالهم
وقيام اهليهم في خدمتهم فدلت على استواء اسباب الاستحقاق لذلك
جمع بين الكل والله اعلم قوله تعالى لهم مغفرة ورزق كريم اي حسن
يكرم اهله به قوله تعالى والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم
فاوليك منكم اي من آمن من بعد هولاء وهاجر بعد مهاجرة هولاء فانهم يلحقون
باوليك في جميع ما ذكر في اوليك من الشهادة في التصديق في الايمان والولاية
ووعد المغفرة ونحو ذلك حيث قال فاوليك منكم يذكر هذا والله اعلم لفعل نحو
ما عمل اوليك من الهجرة والنصرة وبذل النفس والمال والاشفاق على الدين
لتكونوا منهم كما جعل اوليك منهم اذ جعل وجود الهجرة من الذين هاجروا مع
رسول الله والذين تاخر هجرتهم سواء والله اعلم قوله تعالى واولوا الارحام

بعضهم أولى ببعض اي الوا الارحام بعضهم اولى ببعض في الميراث من جميع المؤمنين
هاجر واولم يهاجر واو هذه الآية نسخت حكم الميراث الذي ذكر في قوله
والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء لانه كان جعل ميراثهم لحق
الايمان والهجرة ثم نسخ ذلك وجعل الميراث بالرحم حيث قال والوا الارحام
بعضهم اولى ببعض وكذلك ما ذكر في سورة الاحزاب والوا الارحام بعضهم أولى
ببعض في كتاب الله من المومنين والمهاجرين فاذا لم يبق من الرحم احد فبعد
ذلك يكون لجملة المومنين وعلى ذلك يخرج قول اصحابنا ان اولي الارحام
بالميراث اولى من جملة المومنين حتى يرد عليهم ولم يوضع في بيت المال الذي
هو حق المومنين لظاهر الآية وعلى ذلك يخرج قولهم في العقل انه على ذوي
الارحام فاذا لم يكن احد منهم فيكون على جملة المومنين في بيت المال والله اعلم
قوله تعالى في كتاب الله اي في حكم الله ويحتمل في كتاب الله اي ذكر في
كتاب الله قوله تعالى ان الله بكل شيء عليم اي عليم بالعباد وما يكون منهم
ويحتمل اي عليم بما تحتاجون وما لا تحتاجون وهو حرف وعيد والله اعلم

سورة التوبة

قوله تعالى براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين
قال اهل التاويل المراد من قوله براءة من الله ورسوله هي البراءة
من العهود وهي نقض العهود التي كانت بين رسول الله وبين المشركين
امره بنقض العهود التي بينه وبينهم بعد اربعة اشهر فانه قال فسيحوا في
الارض اربعة اشهر اي تسيحون في هذه المدة آمنين عن الحرب ثم ينتهي امانهم
بمضي هذه المدة ثم بعد ذلك اختلف اهل التاويل في كيفية ذلك لان ظاهر
هذه الآية تقتضي ان من كان بينه وبين رسول الله عهد كيف ما كان فاجله
اربعة اشهر لانه ذكر العهد مطلقا بقوله الى الذين عاهدتم من المشركين
فسيحوا في الارض اربعة اشهر ثم قوله الا الذين عاهدتم من المشركين ثم
لم ينقصوكم شيئا ولم يظاهروا عليكم احدا فاتموا اليهم عهدهم الى مدتهم ظاهره
تقتضي ان لا ينقض العهد من المشركين جملة كيف ما كان العهد بل يتم العهد
الى المدة المسماة لهم وان توفي عهدهم الى تلك المدة ثم قال في آية اخرى

الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم امر بانفاذ
عهدهم وامضائه ما داموا على العهد ولم ينقضوا ولم يخونوا وقد وردت الاحاديث
مختلفة ايضا روي ان النبي صلى الله عليه لما فتح الله تعالى عليه مكة في رمضان
ورجع الى المدينة ونزلت براءة من الله ورسوله فبعث ابا بكر الى مكة على
حج الناس ليقيم للمومنين حجهم ويكون اميرا عليهم وبعث معه عشر آيات
او تسع آيات وامره ان يقراها على اهل مكة وينبذ الى كل ذي عهد
عهده كما وصف له فلما خرج ابو بكر منطلقا نحو مكة نزل جبريل فقال
لرسول الله انه لا يودي عن ذمتك الا رجل من اهل بيتك ولا يعطي ذمتك
الا رجل من اهل بيتك فدعا عليا رضي الله عنه وبعثه الى اهل مكة وقال
لكن انت الذي تقرا هولاء الآيات على اهل مكة فانه لا يودي عن ذمتي
ولا يعطي ذمتي الا رجل من اهل بيتي ومر ابا بكر ليصلي بالناس فسار حتى
لحق ابا بكر في الطريق فاخبره بما امره به رسول الله فمضيا فكان ابو بكر
رضي الله عنه اميرا على الموسم وعلي رضي الله عنه صاحب البراءة وفي رواية
لما ادركه علي واخبره بذلك واخذ منه البراءة رجع ابو بكر الى النبي فقال
للنبي بابي انت وامي نزل في شيء قال لا ولكن لا يبلغ عني الا رجل مني
اما ترضى يا ابا بكر انت صاحبي في الغار وانت اخي في الاسلام وانت ترد علي
الحوض يوم القيامة فقال بلى يا رسول الله فمضى ابو بكر على الناس ومضى علي
بالبراءة فلما كان يوم النحر واجتمع المشركون قام علي عند جمرة العقبة فقال
يا ايها الناس اني رسول رسول الله اليكم قالوا له بماذا فقرا على الناس براءة من الله
ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين الآيات اي من كان بينه وبين رسول الله
عهد فهو بريء منه غير اربعة اشهر فانهم يسيحون فيها آمنين غير خائفين فهذا
الحديث موافق لظاهر اول السورة ولكنه مخالف لقوله الا الذين عاهدتم
من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئا ولم يظاهروا عليكم احدا فاتموا اليهم عهدهم الى
مدتهم وروي عن ابي هريرة رضي الله عنه انه قال كنت مع علي حين بعثه
عليه السلام ببراءة الى المشركين فكنت انادي حتى صحل صوتي فقيل له باي
شيء كنت تنادي قال امرنا ان لا يدخل الجنة الا مومن ومن كان بينه وبين
رسول الله عهد فاجله الى اربعة اشهر فاذا امضت اربعة اشهر فان الله بريء

الا الذين

من المشركين ورسوله وهذا الخبر موافق ايضا لظاهر اول السورة مخالف
لقوله الا الذين عاهدتم من المشركين الآية وروي عن علي رضي الله عنه انه
سُئل باي شيء بعثت الي اهل مكة قال باربع لا يدخل الجنة الا نفس مومنة
ومن كان بينه وبين النبي صلي الله عليه عهد فعهده الي مدته ومن لم يكن بينه
وبين النبي عهد فعهده اربعة اشهر ولا يطوف بالبيت عريان ولا يدخل الحرم
مشرك بعد عامه هذا وهذا الحديث مخالف بظاهره ظاهر اول السورة
فان فيه ان من كان بينه وبين رسول الله عهد فعهده الي مدته وفي اول
براءة من كان بينه وبين رسول الله عهد فاجله اربعة اشهر ولكنه موافق
للآية الثانية والثالثة قوله الا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم
شيئا وقوله الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام فما استقاموا لكم فاستقيموا
لهم لما اختلف ظاهر الايات والاحاديث فاختلف اهل التاويل في التوفيق
بينهما فقال بعضهم ان اول السورة في قوم كان بينهم وبين رسول الله عهد
مطلق مرسل غير موقت بوقت مبين فامر بنقض ذلك العهد المرسل بعد
اربعة اشهر ونفاه في الاربعة الاشهر وهو قوله الا الذين عاهدتم عند
المسجد الحرام في العهد الموقت الي مدة معلومة فاستثني العهد الموقت الي
مدة معلومة فاستثني العهد الموقت وامرنا باتمام العهد المسمي وقته الي انتهاء
المدة فكذلك قوله فاتموا اليهم عهدهم الي مدتهم وقوله فما استقاموا لكم فاستقيموا
لهم وكذلك روي عن محمد بن اسحاق انه قال بعث رسول الله ابا بكر امير علي
الحج في سنة تسع يقيم للمومنين حجهم فخرج ابو بكر ونزلت براءة في نقض ما بين رسول الله
وبين المشركين من العهد والذي كان بينه وبينهم من العهد ان يصد عن البيت احد
جاءه ولا يخاف احد في الشهر الحرام فكان ذلك عهد عام مرسل بينه وبين اهل الشرك
وكانت بين ذلك عهود بين رسول الله وبين قبايل من العرب مخصوصة الي اجل
مسماة فنزلت براءة من الله ورسوله الي الذين عاهدتم من المشركين اي الي
اهل العهد العام المرسل من اهل الشرك من العرب ان الله بريء من المشركين
ورسوله بعد مضي اربعة اشهر وقوله الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام
فاذا حمل عليه فلا يكون حينئذ بين الايات اختلاف وكذلك علي هذا المخرج
الاحاديث فان حديث ابي هريرة ان من كان بينه وبين رسول الله عهد

فان اجله اربعة اشهر انصرف الي من كان له عهد مطلق موقت الي مدة
معلومة وحديث علي ان من كان بينه وبين رسول الله عهد فعهده الي مدته
انصرف الي الاجل المسمي وانصرف قوله ومن لم يكن بينه وبين رسول الله
عهد فعهده اربعة اشهر اي من لم يكن بينه وبين النبي عهد الي مدة معلومة
فاجله اربعة اشهر وما روي في حديث ابي هريرة في رواية اخري ومن كان
بينه وبين رسول الله مدة فاجله اربعة اشهر اراد والله اعلم مدة مبهمة مرسلة لا
معينة بان عهد اليهم شهورا او سنين غير مسماة ومتي حمل الاحاديث علي ما
ذكرنا يرتفع الاختلاف والله اعلم وقال بعضهم بان اول السورة في قوم كانت
عادتهم نقض العهد ونكثه كقوله الذين ينقضون عهدهم في كل مرة وهم لا يتقون
فامر تعالي رسوله بان يوجل من نقض عهده اربعة اشهر كانه قال براءة من الله
ورسوله الي الذين عاهدتم من المشركين فنقضوا عهدهم فسيحوا في الارض
اربعة اشهر فاضمر فنقضوا عهدهم والعرب يضمر مثل هذا في كلامهم واما قوله
الا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئا ولم يظاهروا عليكم احدا
فاتموا اليهم عهدهم امر باتمام عهد من لم ينقض وكذلك قوله الا الذين عاهدتم
عند المسجد الحرام فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم وبهذا تبين ان النقض مضمر
في اول الآية لانه استثني تمام من نقض عهده الي مدته والمستثني خلاف
المستثني منه فدل ان المراد في اول السورة علي من نقض العهد وعلي هذا
تخرج الاحاديث لحديث علي موافق لما ذكرنا فانه قال ومن كان بينه
وبين النبي عهد فعهده الي مدته ومن لم يكن بينه وبين النبي عهد فعهده الي مدته
اربعة اشهر اي اذا نقض العهد الذي كان بينه وبينه فعهده اربعة اشهر وحديث
ابي هريرة ومن كان بينه وبين رسول الله عهد فاجله الي اربعة اشهر اي عهد
فنقضه وكذلك الرواية الاخري ومن كان بينه وبين رسول الله مدة فاجله
الي اربعة اشهر اي مدة فنقضها حتي يكون توفيقا بين الاحاديث والايات
والله اعلم والي هذا القول مال ابو بكر الكيساني وقال بعضهم اول الآية
في قوم كان لهم عهد دون اربعة اشهر فامر باتمام اربعة اشهر بقوله فسيحوا
في الارض اربعة اشهر دليله ما ذكر من لفظ الاتمام فما استثني بقوله الا الذين
عاهدتم من المشركين الي قوله فاتموا اليهم عهدهم الي مدتهم فاستثني من كان

مدته اكثر من اربعة اشهر فعهده الي مدته ومن لم يكن بينه وبين النبي عهده
الي اكثر من اربعة اشهر فعهده اربعة اشهر وكذا حديث ابي هريرة وقال
بعضهم اول الاية في قوم كان عهدهم اكثر من اربعة اشهر فامر بان يحط الي اربعة
اشهر ثم ينقض بعد ذلك الاية في قوم خاص وهم فريقان احدهما الذين عاهدوا
رسول الله عند المسجد الحرام من قبايل بني بكر الذين كانوا دخلوا في عهد قريش
يوم الحديبية الي المدة كانت بين رسول الله وبين قريش فلم يكن نقضها الا هذا
الحي من قريش وهو الديل فامر النبي باتمام العهد لمن لم يكن نقضه من بني بكر
الي مدته فذلك قوله الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام فما استقاموا
لكم فاستقيموا لهم والفريق الثاني كان قوم من خزاعة من بني المصطلق فامره
ان يتم لهم العهد الذي بينهم وبين النبي وذلك قوله الا الذين عاهدتم من المشركين
ثم لم ينقصوكم شيئا الاية وعن الكلبي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان المشركين
حين جعلوا ينقضون عهودهم قبل فامر الله نبيه ان ينظر فمن كان عهده
اربعة اشهر ان يقره الي ان يمضي اربعة اشهر وذلك من يوم النحر الي عشر
يمضين من شهر ربيع الاخر ومن كان له من العهد اكثر من اربعة اشهر
ان يحطه الي اربعة اشهر وذلك من يوم النحر الي انقضاء اربعة اشهر ومن كان
له من العهد اقل من اربعة اشهر ان يرفعه له فيجعله اربعة اشهر ومن لم يكن
له عهد بينه وبين رسول الله ان يجعله له خمسين ليلة وذلك من يوم النحر الي
ان يمضي خمسون ليلة وذلك من يوم النحر الي ان يمضي خمسون ليلة وذلك الي
انسلاخ المحرم الا حي واحد منهم وهم بنوا ضمرة من بني كنانة كان بقي لهم من عهدهم
تسعة اشهر فامر الله تعالى نبيه ان يتم لهم عهدهم الي مدتهم وقد كانوا عاهدوا
رسول الله في العمرة التي احلت له فيها مكة بعد الحديبية بسنة عاهدوا في تلك
الايام عند البيت وذلك قوله براءة من الله ورسوله الي الذين عاهدتم
من المشركين يقول من كان بينه وبين رسول الله عهد فهو بري من عهده
بعد اربعة اشهر ثم استثنى فقال الا الذين عاهدتم من المشركين وهم بنوا ضمرة
حي من بني كنانة امر الله تعالى ان يفي لهم بما عاهدهم الي مدتهم وكذلك قوله كيف
يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام فما
استقاموا لكم الاية فهم بنوا ضمرة فما استقاموا لكم في وفاء العهد فلم ينقضوا كما نقض

غيرهم فاستقيموا لهم علي التمام بوفاء عهدهم هذا كله قول اهل التاويل وعندنا
يحتمل غير هذا وهو ان قوله براءة من الله ورسوله الي الذين عاهدتم
من المشركين الاية اي براءة في امضاء العهد ووفايه واتمامه ليس علي النقض
والبراءة من العهد الا ترى انه قال الي الذين عاهدتم من المشركين والبراءة
اليهم هي الامان ووفاء العهد اليهم ولو كان علي النقض لكان من حق الكلام
براءة من الذين عاهدتم فدل انه هو اتمام العهد لهم وامضاؤه ويؤيد ما قلنا
ما قال بعض اهل الادب البراءة هي الامان كما يقال كتبت له براءة اي
امانا وهذا اشبه مما قال اهل التاويل ولا يقال ان الله تعالى قال علي
اثر هذا واذان من الله ورسوله الي الناس يوم الحج الاكبر ان الله بري من
المشركين ورسوله دل ان المراد من اول السورة البراءة من العهد
وكذلك ما روينا من حديث ابي بكر وعلي رضي الله عنهما انه بعثهما لنقض العهد
لانا نقول امر بنقض العهد بعد الامضاء والاتمام اربعة اشهر وبعد النقض يكون
حكم قوله ان الله بري من المشركين ورسوله ولا يقال بانه استثنى من قوله
براءة من الله ورسوله الا الي الذين عاهدتم من المشركين قوله الا الذين
عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئا الي قوله فاتموا اليهم عهدهم الي مدتهم
ولو كان الاول علي اتمام العهد كيف يستثنى منه اتمام العهد ايضا وحكم مستثنى
خلاف حكم مستثنى منه لانا نقول بان في الاول امرا باتمام العهد اربعة
اشهر واستثنى اتمام العهد الي تمام مدتهم وكذلك في قوله الا الذين عاهدتم
عند المسجد الحرام علي ان هذا ليس باستثناء من قوله براءة من الله ورسوله
الي الذين عاهدتم من المشركين الاية بل قوله الا الذين عاهدتم من المشركين
ثم لم ينقصوكم شيئا مستثنى من قوله وبشر الذين كفروا من عذاب اليم
الا الذين عاهدتم وكذلك قوله الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام مستثنى
قوله فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم الي ان قال الا الذين عاهدتم
عند المسجد الحرام والله اعلم قوله تعالى فسيحوا في الارض اربعة اشهر اي
سيروا واذهبوا في الارض اربعة اشهر اي في مدة العهد امنين غير خايفين
قوله تعالى واعلموا انكم غير معجزي الله اي اعلموا ان المومنين وان اعطوا لكم العهد
في وقت فانكم غير فايت عن الله بعد تلك المدة ويحتمل انكم غير معجزي اولياء الله

عن النقض بعد تلك المدة قوله تعالى وان الله مخزي الكافرين الخزي هو
العذاب الفاضح الذي يفضحهم ويظهر عليهم ويحتمل ان يكون ذلك العذاب
والاجزاء الذي ذكر في الاخرة قوله تعالى واذان من الله ورسوله
الى الناس يوم الحج الاكبر قال العتبي واذان من الله اي اعلام ومنه اذان
الصلاة وهي الاعلام يقال اذنتهم ايذانا قوله تعالى ان الله بري من المشركين
ورسوله بعد اربعة اشهر اي اعلام من الله ان الله بري من المشركين ورسوله
بعد اربعة اشهر من يوم الحج الاكبر فكان ابتداء الاجل الذي اجل الله تعالى
للمشركين عامة الا ما استثني هو يوم الحج الاكبر واختلفت الروايات عن النبي
في تفسيره وكذا اختلفت الصحابة واهل التاويل في ذلك اما الروايات
فانه روي عن عبد الله ابن الزبير عن ابيه قال قال النبي صلي الله عليه وسلم
يوم عرفه هل تدرون اي يوم هذا قالوا نعم اليوم الحرام يوم الحج الاكبر قال
فان الله تعالى قد حرم دماكم واموالكم عليكم الى يوم القيمة كحرمة يومكم هذا وروي
عن ابن عمر رضي الله عنهما انه قال رايت رسول الله صلي الله عليه او سمعته يقول
يوم النحر عند الجمرات في حجة الوداع اي يوم هذا قالوا هذا يوم النحر قال فاي
بلد هذا قالوا هذا بلد حرام قال فاي شهر هذا قالوا شهر حرام قال هذا يوم
الحج الاكبر فدماوكم واموالكم واعراضكم عليكم حرام كحرمة هذا البلد في هذا اليوم ثم
قال هل بلغت وفي بعض الاخبار عن النبي صلي الله عليه وسلم انه خطب على ناقة حمراء
يوم النحر فقال اتدرون اي يوم هذا قال هذا يوم النحر وهذا يوم الحج الاكبر
وروي انه كان في كتاب رسول الله الذي كتبه لعمرو بن حزم والحج الاصغر العمرة
فهذا دليل على ان الحج الاكبر هو الوقوف بعرفة على ما قال عليه السلام الحج عرفة
واما اختلاف الصحابة روي عن عمر رضي الله عنه انه وقف بعرفات فقال
لمن هذه الابنية فقيل لعبد القيس ودعا لهم ثم قال ان هذا يوم الحج الاكبر
فلا يصومه احد وروي عن سعيد بن المسيب انه سئل عن صوم يوم عرفه فقال
انا احدثكم عمن هو افضل مني مائة ضعف ثم قال عمر بن الخطاب او ابن عمر
هو يوم الحج الاكبر فلا يصومه احد وعن الزبير قال يوم عرفه هذا يوم الحج الاكبر
وعن الحارث قال سالت عليا عن الحج الاكبر فقال يوم النحر وعن علي رضي الله
عنه انه خرج يوم النحر على بغلته يريد الجبانة فجاءه رجل فاخذ بلجام بغلته فساله

عن الحج الاكبر قال هو يومكم هذا خل سبيلها وعن عبد الله بن سنان قال
خطبنا المغيره بن شعبة يوم العيد فقال هذا يوم النحر ويوم الاضحى ويوم الحج
الاكبر وعن عكرمة عن ابن عباس قال الحج الاكبر يوم النحر واما اختلاف العلماء
روي عن مجاهد انه قال يوم الحج الاكبر يوم عرفة وقال ايضا يوم الحج الاكبر حين
الحج الاكبر اراد الوقوف بعرفة وعن ابي جحيفة انه سئل عن الحج الاكبر فقال
يوم عرفه فقيل له من عندك او من عند اصحاب محمد قال كل ذلك وروي عن
عبد الله بن ابي اوفي وسعيد بن جبير يقولان الحج الاكبر يوم النحر وسئل عبد الله
ابن شداد عن الحج الاكبر فقال الحج الاكبر يوم النحر والاصغر العمرة وعن مجاهد
ايضا انه قال يوم الحج الاكبر يوم النحر ولكن عامة اهل التاويل على انه يوم النحر
فان حديث عبد الله ابن الزبير عن ابيه مرسل غير متصل ثم مع ارساله فيه
وهم لان خطبة النبي المشهورة هي التي قال فيها اي يوم هذا قالوا يوم حرام
قال اي بلد هذا قالوا بلد حرام ومنا من الحرم وعرفات خارجة من الحرم
فدل ان المروي ان النبي صلي الله عليه قال في يوم عرفة هل تدرون اي
يوم هذا وهم واما حديث ابن عمر عن النبي صلي الله عليه فهو متصل الاسناد
وقد ايده حديث علي رضي الله عنه على ما روي عنه انه قال ان النبي صلي الله
عليه بعثني يوم الحج الاكبر ان لا يطوف احد بالبيت عريان الحديث بطوله وقد روي
عن علي هذا مفسرا لقوله بعثني النبي يوم الحج الاكبر واما رواية عمرو بن حزم
فهي مرسله وحكاية عن كتاب وليس في الكتاب بيان عن يوم الحج الاكبر انما ذكر
فيه الحج الاصغر ولولا رواية علي وابن عمر لجاز ان يقال يوم عرفة هو يوم الحج
الاكبر لانه هو الذي يوقف فيه بعرفة وهو الركن الاصلي في الحج على ما روي
في الخبر الحج عرفة ومن ادرك عرفة بليل وصلى معنا الجمع فقد تم حجته وقضى
تفثه فكان بادراكه تم الحج ويفوت ولجاز ان يقال هو يوم النحر ايضا لان فيه
يقضي طواف الزيارة وهو فريضة ويقضي فيه اكثر مناسك الحج فقد استوى
اليومان في انه يقضي في كل واحد منهما فرض من فرايض الحج وزاد يوم النحر
على يوم عرفة بما يفعل فيه من مناسك الحج ولا يفعل في يوم عرفة من النسك
الا الوقوف فما يؤدي فيه اكثر مناسك الحج كان اولى بان يضاف اليه الحج الاكبر
والله اعلم وعن الحسن انه سئل فقيل له ما الحج الاكبر فقال سنة حج المسلمون

وَالمشركون جميعًا اجتمعوا بمكة وكان ذلك اليوم لليهود عيدًا وللنصارى عيدًا
لم يكن قبله ولا بعده فسماه الله تعالى الحج الاكبر قال ابو بكر الاصم لا يحتمل
ان يسمي الله تعالى لعيد اليهود والنصارى يوم الحج الاكبر وهو يوم نزول
السخطة واللعنة عليهم ولكنا نقول جائز ان يسمى به لاجتماع الخلائق فيه
من كل نوع على ما سمي يوم الحشر يومًا عظيمًا لقوله ليوم عظيم يوم يقوم الناس
لرب العالمين ثم من الناس من استدل بالخبر الذي روينا ان النبي صلى الله
عليه وسلم بعث ابا بكر الصديق على الحج وبعث معه براءة ثم اتبعه عليًا فادركه
فاخذها منه فرجع ابو بكر الى النبي وقال هل نزل في شيء قال لا ولكن لا يبلغ
عني غيري او رجل مني على ان عليًا هو المستحق للخلافة وهو الاحق بها دون ابي بكر
لكنا نقول لا حجة فيه لانه يحتمل انه ولى ذلك عليًا لما كان من عادة العرب انهم اذا
عاهدوا وعقدوا انه لا ينقض ذلك عليهم الا من هو من قومهم فولى ذلك عليًا لئلا يكون
لهم الاحتجاج عليه فيقولون لم ينقض علينا العهد واقدم على الجواب قبل نبذ العهد
وان في كتابه ان لا ابتداء بالمحاربة مع اهل العهد قبل النبذ فقد خالف كتابه
ويحتمل ان يقال انه ولينا امر القتال وهو كان انصر واقوى من امر الحرب
بابي بكر هو المولى في امر العبادات وعلى امر الحروب والحاجة الى الخلافة
لاقامة العبادات اكثر من الحاجة الى اقامة الحروب على انه يحتمل ان يقال
بان هذا حجة عليكم فان ابا بكر كان امير الموسم وعلي كان مناديه والامير في شاهدنا
اجل قدرًا واعظم منزلة من المنادي قوله تعالى فان تبتم فهو خير لكم
اي ان تبتم عما كنتم عليه فهو خير لكم لانهم يامنون عن الرعب الذي كان في قلوبهم
على ما روي في الخبر عن النبي صلى الله عليه انه قال نصرت بالرعب من مسيرة
شهرين قوله تعالى وان توليتم اي ان اعرضتم عما ذكرنا فاعلموا انكم غير
معجزي الله اي غير فائتين عن نقمة الله وعذابه ويحتمل قوله فان تبتم عن نقض
العهد فهو خير لكم في الدنيا وان تبتم واسلمتم فهو خير لكم في الدنيا والاخرة
قوله تعالى وبشر الذين كفروا بعذاب اليم الا الذين عاهدتم من المشركين
ثم لم ينقصوكم شيئًا يحتمل ان يكون قوله وبشر الذين كفروا بعذاب اليم
هو القتل والاسر ويحتمل ان يكون المراد به هو العذاب في الاخرة وقوله
الا الذين عاهدتم من المشركين الاية قال بعضهم موصلة قوله براءة من الله

ورسوله

وَرسوله الى الذين عاهدتم من المشركين اي من العهود التي كانت بين رسول الله
وبينهم مما سوى الاربعة الاشهر من يوم الحج الاكبر ثم استثنى من جملة
ذلك فقال الا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئًا ولم يظاهروا
عليكم احدًا فاتموا اليهم عهدهم الى مدتهم امر باتمام العهد للذين لم ينقضوا
المومنين شيئًا ولا ظاهروا احدًا فاما الذين عادتهم نقض العهد ونكثه
فانه لا يتم لهم ويحتمل ان يكون صلة قوله وبشر الذين كفروا بعذاب اليم ويكون
العذاب الاليم هو القتل والاسر فكانه قال وبشر الذين كفروا بالقتل
والاسر الا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئًا ولم يظاهروا
عليكم احدًا ثم قوله لم ينقصوكم شيئًا اي لم يخونوكم ما داموا في العهد ولم
يظاهروا عليكم احدًا اي لم يعاونوا ولا اطاعوا احدًا من المشركين عليكم
قوله تعالى فاتموا اليهم عهدهم الى مدتهم امر بابقاء العهد لهم الى تمام
المسمات اذا لم يخونوا ولم يظاهروا عليهم احدًا وهو كقوله واما تخافن من
قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء امر بالنبذ اليهم عند خوف الخيانة والاتمام
عند عدم الخيانة وقال بعضهم هذا في قوم خاص وهم الذين عاهدهم
رسول الله يوم الحديبية او قوم من بني كنانة وهم بنو ضمرة على حسب ما اختلفوا
فيه اهل التفسير فلم يبرا الله ورسوله من عهدهم في الاشهر الاربعة ثم لم ينقصوكم
في الاشهر الاربعة ولم يظاهروا عليكم احدًا اي لم يعينوا على قتالكم احدًا
من المشركين فان لم يفعلوا ذلك فاتموا اليهم عهدهم اي مدتهم اي اوفوا عهدهم
الى اجلهم المسمى وان زاد على الاربعة الاشهر قوله تعالى ان الله يحب
المتقين اي يحب المتقين لنقض العهد وقيل يحب المتقين الذين اتقوا الشرك
والمعاصي قوله تعالى فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث
وجدتموهم قال بعضهم الاشهر الحرم هي الاربعة الاشهر التي هي اشهر العهد والامان
التي جعلها الله تعالى اجلًا لمن امر بنقض عهده سوى ما استثنا من جملة اهل
العهد على ما ذكرنا وهي الاشهر الحرم المتتابعات من عشر ذي الحجة الى عشر
يخلو من شهر ربيع الاخر وسماها اشهر الحرم لما حرم القتال فيها بسبب العهد
والامان فامره اذا انسلخ هذه الاشهر الاربعة بان يضع السيف فيمن عاهد
ان لم يدخلوا في الاسلام ونقض ما سبق لهم من العهد الا في حق قوم استثناهم

وبقي عهدهم الى اجلهم والله اعلم وعن اسماعيل السدي في قوله فسيحوا في الارض
اربعة اشهر قال عشرون تبقى من ذي الحجة الى عشر من ربيع الاخر ثم لا
امان لاحد ولا عهد الا الاسلام او السيف وقال قتادة فاذا انسلخ الاشهر
الحرم هي عشرون من ذي الحجة الى عشر من ربيع الآخر وقال الزهري هي
شوال وذو القعدة وذو الحجة ومحرم ولكن هذا بعيد لان سورة براءة نزلت
بعد خروج ابي بكر رضي الله عنه الى الحج فاتبعه بها علي وابو بكر خرج في آخر ذي
القعدة او في اول ذي الحجة فدل ان هذا القول ضعيف وقال بعضهم الاشهر الحرم
هي الاشهر التي خلقها الله وجعلها حرما بقوله ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر
شهرا في كتاب الله يوم خلق السموات والارض منها اربعة حرم فكان معناه
فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين ولكن في حق ذلك لم يكن له عهد مع
رسول الله لما ذكرنا ان من كان له عهد فاجله اربعة اشهر من يوم النحر الى
تمامها وذلك بعد عشر من شهر ربيع الآخر وكذا روي عن ابن عباس رضي الله
عنهما في قوله فسيحوا في الارض اربعة اشهر قال جعل الله تعالى للذين عاهدوا
رسوله اربعة اشهر يسيحون فيها حيث شاؤوا واجل من ليس له عهد انسلاخ
اشهر الحرم خمسين يوما والله اعلم ثم قوله فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم
قال بعضهم هو في الاماكن كلها في الحل والحرم ويكون ناسخا لحرمة القتال
في الحرم بقوله ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه لان كلمة حيث
يترجم بها ويعبر عن كل مكان وقال بعضهم معناه فاقتلوا المشركين في الاماكن
كلها الا في الحرم واليه مال اصحابنا رحمهم الله حتى قالوا لا يجوز ان يبدا
بقتال المشركين في الحرم ولا يقتل اذا دخله ملتجئا اليه دليله ما ذكر في السورة
التي فيها ذكر البقرة وهو قوله واقتلوهم حيث ثقفتموهم واخرجوهم من حيث
اخرجوكم والفتنة اشد من القتل ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم
فيه ويمكن ان يكون انهم لا يقتلون الان بدخولهم الحرم وقد نهوا عن الدخول
فيها والحج هنالك على ما روي عن علي رضي الله عنه انه نادى بالموسم الا لا يحجن بعد
العام مشرك فاذا دخلوا يقتلون ويكون دخولهم فيه بعد النهي كابتدائهم قتالهم
ايانا لقيام المنعة في حقهم واذا قاتلوا عند المسجد الحرام قاتلناهم لقوله فان
قاتلوكم فاقتلوهم قوله تعالى وخذوهم واحصروهم اي اسروهم واحصروهم

قوله تعالى واقعدوا لهم كل مرصد المراد رصد الطريق كانه امر بقوله اذا قدروا
عليهم وامكن لهم ذلك والاسر عند الامكان والحبس اذا دخلوا الحصن وحفظ
المراصد عند الامكان لئلا ينفذوا ويقال ارصدت له اي انتظرت ان اجده
فرصتي ويقال ترصدته اي انتظرته وقال بعضهم قوله كل مرصد اي اقعدوا
بكل طريق ترصدونهم وتحفظونهم ليضيق عليهم الامر لينزجروا وينقادوا وفيه
دليل النهي عما يحمل الى دار الحرب من انواع الثياب والامتعة وما ينتفعون
به لان الله تعالى امر بالحصر وحفظ الطرق والمراصد ليضيق عليهم الامر
ويشتد فينقادوا وفيما يحمل عليهم توسعا عليهم والله اعلم ويحتمل قوله وخذوهم
واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد اي اقيموا الحجج والبراهين ليضطروا الى قبول
ذلك فاذا انقادكم والا فاقتلوهم حيث وجدتموهم قوله تعالى فان تابوا
واقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم قال بعضهم امر الله تعالى في اول
الآية بقتل المشركين بقوله فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ثم قال فان
تابوا واقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم توجب بظاهر الآية ان
نقاتل من آمن ولم يقم الصلاة ولم يؤت الزكوة لان الله تعالى اوجب القتل وقد
علق رفعه بمباشرة هذه الافعال والمعلق بالافعال لا يزول الا عند وجود
الكل فما لم ياتوا بذلك كله بقي القتل واجبا على ما كان وكذلك فعل ابي بكر دليل
على هذا فانه لما ارتدت العرب بمنعهم الزكاة حاربهم حتى اذعنوا باداءها اليه
فانه روي عن انس رضي الله عنه قال لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتدت
العرب كافة فقال عمر يا ابا بكر اتريد ان تقاتل العرب كافة فقال ابو بكر قال
رسول الله صلى الله عليه اذا شهدوا ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله واقاموا
الصلاة وآتوا الزكاة منعوا مني دماءهم واموالهم والله لو منعوني عناقا مما كانوا يعطون
رسول الله لقاتلتهم عليه قال عمر فلما رايت راي ابي بكر قد شرح عرفت انه الحق
وعن الحسن قال لما قبض رسول الله صلى الله عليه ارتدت العرب عن الاسلام
الا اهل المدينة واهل مكة فنصب لهم ابو بكر الحرب فقالوا انا نشهد ان لا اله
الا الله ونصلي ولكن لا نزكي فمشى عمر والبدريون الى ابي بكر فقالوا دعهم فانهم
اذا استقر الاسلام في قلوبهم وثبت ادوا فقال ابو بكر والله لو منعوني عقالا
مما اخذ رسول الله قاتلتهم عليه قال وقال رسول الله على ثلاث شهادة ان لا اله

الا الله واقام الصلاة وآتوا الزكوة فخلوا سبيلهم والله لا اسال فوقهن ولا اقصر
دونهن فقالوا انا نزكي ولكن لا ندفعها اليك فقال لا والله والله حتى اخذها
كما اخذها رسول الله واضعها مواضعها وعن ابي هريرة رضي الله عنه انه قال
لما قبض رسول الله صلي الله عليه واستخلف ابو بكر وارتد من ارتد من العرب
بعث ابو بكر لقتال من ارتد عن الاسلام فقال له عمر يا ابا بكر الم تسمع رسول الله
يقول امرت ان اقاتل الناس حتي يقولوا لا اله الا الله فاذا قالوا ذلك عصموا
مني دماءهم واموالهم الا بحقها وحسابهم علي الله فقال لو منعوني عقالا مما كانوا
يؤدونه الي رسول الله لقاتلتهم عليه فلما رايت انه شرح صدر ابي بكر علمت انه
حق وقال آخرون ان المراد من قوله واقاموا الصلاة واتوا الزكوة هو
قبولهما والاعتقاد دون فعلهما واستدلوا بما روي عن النبي صلي الله عليه انه
قال امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فاذا قالوها عصموا مني
دماءهم واموالهم الا بحقها وفي بعض الاخبار قال امرت ان اقاتل الناس
حتى يقولوا لا اله الا الله واني رسول الله فاذا قالوها عصموا مني كذا وفي بعضها
حتى يقولوا لا اله الا الله واني رسول الله واقاموا الصلاة واتوا الزكاة فاذا فعلوا
ذلك منعوا مني كذا ادلت مما ذكرنا من الزيادات والنقصان علي ان ذلك
في قوم مختلفين وانه علي القبول لذلك والاعتقاد لا علي الفعل نفسه فمن كان
لا يقر بشيء من ذلك فاذا قال لا اله الا الله كان ايمانا منه في الظاهر ومن
كان يقول بالالوهية ويقر بها ولا يقر بالرسالة فاذا قال لا اله الا الله وانه
محمد رسول الله كان ذلك منه ايمانا ومن كان يقر بهذين ولا يقر بالصلاة والزكاة
فاذا اقر بذلك كان منه ايمانا فوجب حمل هذه الاحاديث علي القبول والاعتقاد
لا علي نفس العمل بعد ما قلنا ان للاية ان ياخذوا منهم الزكوة شاءوا او ابوا ولو كان
اداء الصلاة والزكوة من جملة الايمان لكانوا غير مؤمنين باخذ هؤلاء جبرا لانه لم يوجد
منهم الاداء والله اعلم قوله تعالي وان احد من المشركين استجارك فاجره
حتي يسمع كلام الله الاية وقد قال في اية الاولي فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا
المشركين فامر في الاية الاولي بالقتل والاسر عند الوجود فقال فاقتلوا المشركين
حيث وجدتموهم وخذوهم وامر في هذه الاية بالاجارة والامان اذا وجدناهم وطعنوا
بانهم اذا استجاروا وامنا ليسمعوا كلام الله وفي الاية الاولي امر بان يقعد له كل مرصد

ليأخذه فيقتله او يأسره وفي هذه الاية امر بان يبلغه مأمنه اذا استجار وسمع
كلام الله ولم يؤمن وحال الداخل في هذه الاية مثل حال الداخل في الاولي
لانه يتهيأ له في كل وقت يظفر به ان يستجير ليسمع كلام الله فيظهر من نفسه
ذلك وان كان لم يكن غرضه من الدخول دار الاسلام ذلك ليرده الي مأمنه
مثل الذي دخل لطلب الامان حقيقة فوقع التعارض بين الايتين اذ
نزول العمل والقيام بما في احدي الايتين في الظاهر وكتاب الله منزه عن
ذلك فلزم طلب المعني الموفق بين الامرين من طريق التامل بالاسباب
التي هي تدل علي حق العمل بالايتين جميعا ليزول التعارض والتناقض من
الكتاب من حيث الظاهر فقال اصحابنا انه اذا قصد المشرك نحو مأمن
اهل الاسلام غير مظهر اعلام الحرب ولا ما يدل علي ان مجيئه الي دار الاسلام
لذلك بل يمشي مشي من يتعلق لحاجة ومن يتعاهد ويطلب من ينادي
بالاستجارة والامان فيجار له وان كان مقبلا نحو مأمننا كالطالب لاحد
وكان عليه اعلام الحرب لكنه كالغافل عن الذين يرصدون له او الذين
لهم منعة وقوة له فلا يقبل قوله انه قصد الاستجارة وطلب الامان دون
تحصيل غرض له في الاضرار بالمسلمين وذلك مبني علي تسليم الامر للغالب
من الاحوال اذ لا وجه للعمل لحقيقة العلم في ذلك وعلي ذلك عامة الامور
بين اهل الدارين وفي هذه الاية علي الوجه الذي ذكرت دلالة القول
بالقياس والاعتبار اذ لا وجه سوي الاجتهاد والاعتبار باحوالهما وهذا
مما لا يعرف الا بغالب الراي وكل قياس هو العمل بغالب الراي بناء علي
اسباب ودلائل والله اعلم ثم في قوله فاجره حتي يسمع كلام الله دليل
انه قد يؤذن للحربي الدخول في مأمن المسلمين الي ان يبلغوا امثالهم فيستجير
لانا نعلم انه لا يمكنه ان يستجير من مأمنه لبعد مأمن كل من مأمن الاخر
ثم لا يكون مأمن الفريقين في احد الدارين لما كان في التحقيق امن كل فريق
منهما نفي امن الفريق الاخر ادبه حوفه فاذا كان كذلك فلذلك لا يوجب وجود
المسلمين اياهم حق القتل والاسر بقوله حيث وجدتموهم ووجب رده الي مأمنه
لو لم يجره ولا يسع تعرضه لشيء من ذلك والله اعلم ثم في قوله وان احد من
المشركين استجارك فاجره حتي يسمع كلام الله امر بالاجارة وبذل الامان له من

غير ان بين انه طلب الامان واستجار لماذا ولا شك انه لا يجار المشرك على كل
حال اذا استجار لكنه يحتمل ان يكون ترك بيان ذلك لما في الجواب بيانه كانه
قال وان احد من المشركين استجارك حتى يسمع كلام الله فاجره ثم ابلغه مامنه
وذلك كقوله يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة الاية في الجواب بيان
ما استفتوا كانه قال ما يستفتونك من الكلالة قل الله يفتيكم فيها فهذا مثله
ويحتمل انه الزم الاجارة بقوله فاجره حتى يسمع كلام الله على اي وجه دخل
اذا استجار وطلب الامان فليسمع كلام الله اي ليسمع حجته وان لم يذكر لطلب
الامان شيئا وهذا احسن لانا امرنا بالتضييق عليهم ليسلموا فاذا الجانا لهم
الدخول للحاجات بلا عرض يذهب منفعة التضييق فيكون المقصود بالعهد
لما يرون من آثار الاسلام ومحاسنه وحسن رعاية اهل الاسلام وجميل معاملتهم
وليسمعون حججه وما به ظهور الحق فيه رجاء ان يجيبوا ولذلك يؤذنون
وان كان في ذلك قضاء حاجاتهم وقد روي عن نبي الله انه لم يكن يقاتل حتى
يدعو الى الاسلام فيما كان دعاهم غير مرة فذلك المعنى عند الامان اولى ثم
قوله حتى يسمع كلام الله تعلق المعتزلة بهذه الاية على ان كلام الله مخلوق
لانه اخبر ان كلامه مسموع ولا يسمع الا الصوت فدل ان كلامه مسموع
هو الحروف المنظومة وانه مخلوق ولكنا نقول ان كلام الله تعالى هو صفته
قايمة به ان ليته وحقيقة الكلام لا تسمع في الشاهد اذ الكلام صفة المتكلم قايمة
به فان الذي يؤدي الكلام ويفهم ويدرك وهو الحروف التي تتالف وتنتظم
بوضع اللسان مخارج الحروف لا يسمع اذا لم يكن ثمه صوت بان لم يستعمل
اللسان في مواضع الحروف على وجه الشدة وانما يسمع بصوت يهيج من
حيث الخارجة التي تتكلم فيبلغ حروف كلامه المسامع فالسمع يقع على الصوت
الذي به يدرك الكلام ويفهم فصار سمع الكلام في الاصل مجازا لا حقيقة فعلى
ذلك ما قيل من سماع كلام الله تعالى ثم هو يخرج على وجوه احدها وهو
ان يسمع المعاني التي جعل لها الكلام من الامر والنهي والتحريم والتحليل ونحوها
بسماع الفاظ دالة عليها نظمها الله تعالى ليقف الخلق على معاني كلامه
بسماعها فقيل انه سمع كلام الله لما سمع ما يفهم به معاني كلامه التي هي
الاغراض في حق السامعين فنسب السماع الى كلامه لصيرورته مسموعا

معنى ويحتمل ان الله تعالى نظم القرآن والفه على ما اعجز الخلق عن مثله
مؤديا معاني كلامه فنسب اليه بما منه تاليفه على ما هو عليه وان كان
مسموعا من غيره على ما تنسب القصايد الى منشيها والكتب الى مؤلفيها
والاقاويل الى الاوايل التي منهم ظهرت وان لم يكن الذي يقوله في الحقيقة
قوله وكلامه بما كان منه البدء الذي عليه يتكلم فمثله معنى قوله حتى يسمع
كلام الله والله الموفق والثالث انه يسمى سماعا لكلامه وان كان
يسمع الحروف والاصوات والله تعالى يجل عن الوصف لكلامه بالحروف
والهجاء والابعاض ونحوها لما انه بها يعبر كلامه وبها يوصف ان له كلاما
فنسب اليه لما اليه المرجع وان كانت هذه الاوصاف غير متوهمة في
كلامه ولا متصورة وهذا كقوله هو الذي خلقكم من نفس واحدة
وقوله هو الذي خلقكم من تراب من غير توهم كلية العالم من ذلك التراب
او النفس الواحدة لما اليه مرجع الكل فنسب اليه فعلى ذلك امر الكلام
وهذا كقوله انهم ملاقوا ربهم وانهم اليه راجعون وقوله واليه
المصير فاضيف اليه اللقاء والرجوع والمصير يوم القيامة لما انه لا تدبير
لاحد في ذلك اليوم لا ان في ذلك اليوم صيرورة اليه ورجوعا ولقاء
لم يكن من قبل فمثله هذا ثم ان الله تعالى يجل عن التصوير في الاوهام
او التقدير في العقول فعلى ذلك صفته بل ذلك احق واولى اذ تجد
صفات الخلق في الجملة لا تجد ولا تصور في الاوهام ولا يقدرها
العقول الا من طريق القول دون حقايقها مثل السمع والبصر
والعقل على ما هي اعيار لهم فالله المتعالي عن التصور في الاوهام فوصفه
بالعلم والكلام ونحو ذلك احق في ابطال توهم ذلك فيه والله اعلم وقال
البلخي يقال كلام الله على المجاز والموافقة لا على الحقيقة كما يقال هذا قول
فلان وكلام فلان وليس ذا كلامه وانما هو كلام المتكلم به المعاين والقايل به
وقال ابو بكر الاصم هذا ادل على ان كلام الله يسمع من وجوه فكانه يذهب
الى مثل ما يقال يعرف الله تعالى من وجوه على تحقيق الوجوه لغيره من
غير توهم المعنى الذي به يعرف الله تعالى منه فمثله كلامه والله اعلم ثم سماع
كلام الله تعالى يخرج على سماع القرآن وعلى سماع اوامر الله تعالى ونواهيه

في حق العرض عليه وعلى سماع حجج النبوة و آيات الرسالة او التوحيد
من القرآن والله اعلم ثم معلوم ان كلام الله هو حجته وان الحجة قد لزمت
الخلق من وجهين احدهما ما ظهر عجز الخلق عن مثله وانتشر الخبر في الافاق
على قطع طمع المقابلين لرسول الله بالرد الباذلين مهجهم وما حوته ايديهم في
اطفاء نوره فكان ذلك حجة بينة لزمتهم والله اعلم والثاني ان جميع ما يتلى
منه لا يوتى على آيات الا وفيها ما يشهد العقول على تقصر افهام الخلق عن بلوغ
مثله في الحكمة وعجيب ما فيه من الحجة بما لو قوبل بما فيه من المعنى وما حدث
به من الفايدة ليعلم ان ذلك من كلام من يعلم الغيب ولا يخفى عليه شيء واذا
كان كذلك صار هو بالرد مكابرا وحق مثله الزجر والتاديب ثم لم يفعل
بمن استجار وسمع كلام الله ولم يقبل بل يؤدي الى مامنه لما لم يكن تضمن امانه
القبول ولم يعارض ايضا بالرد وليس ذا باعظم من مباشرة ما فيه الحدود
ولم يواجر بها لما لم يلتزمها بالدخول فلا يقام عليه فالتغير براحق ان لا يقام
والله اعلم ثم قوله ثم ابلغه مامنه يحتمل وجهين احدهما اي يوعده ولا يمنعه عن العود
الى مامنه ليعلم ان حكم تلك الدار لم يزل عنه بل هو في حكم الحربي ولذا لا يجب
القود بقتله ولذا لا يجب الجزية الا عن طوع او دلالة عليه والله اعلم والثاني ان
يكون علينا حفظه الى ان يبلغ مامنه بدفع المسلمين منه وفي ذلك دليل على لزوم
حق الايمان الجميع بامان البعض وليس لمن لم يومن له ان يتعرض له لان امان
البعض نفذ على الكل والله اعلم ثم في قوله ثم ابلغه مامنه دلالة انه لم يقبل ما اسمع
وعرض عليه اذ لو قبل لكان مامنه دار الاسلام لا دار الحرب فان من اسلم
في دار الحرب يحق الخروج منها فكيف يعود اليها والله اعلم قوله تعالى
ذلك بانهم قوم لا يعلمون اي لا يعلمون ما لهم وما عليهم ويحتمل نفي العلم
بما لم ينتفعوا بما علموا ويحتمل ذلك تعليم من مع رسول الله كيفية معاملة الكفرة
وحسن المعاشرة معهم اذ هم لا يعلمون حقيقة ذلك كما لم يكونوا يعلمون
من قبل والله اعلم قوله تعالى كيف يكون للمشركين عهد عند الله
وعند رسوله هو والله اعلم اي كيف يستحقون العهد وكيف يعطي لهم
وقد نقضوا العهود التي بينهم وبين ربهم والعهود التي بينهم وبين رسول الله
فاما العهود التي بينهم وبين ربهم نحو عهد الخلقة اذ في خلقته كل احد الشهادة

على وحدانية الله والوهيته والشهادة على الرسالة وما عهد اليهم في كتبهم
من اظهار صفة محمد ونعته للخلق فنقضوا ذلك كله وكذلك نقضوا
العهود التي بينهم وبين رسول الله يقول الله تعالى والله اعلم كيف
يستحقون ان يعطى لهم العهد وقد نقضوا العهود التي عهد الله اليهم
والعهود التي اعطاهم رسول الله لا يستحقون ذلك الا ان الله تعالى
بفضله واحسانه اذن ان يعطي لهم العهود بقوله الا الذين عاهدتم
عند المسجد الحرام فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم اي اوفوا لهم العهود
اذا وفوا لكم ويحتمل قوله الا الذين عاهدتم استثنى قوما خاصا انه
عاهدهم رسول الله ولم ينقضوا شيئا من ذلك فامر بالوفاء في عهودهم
الى اجله اذا استقاموا على موجب العهد في المدة ووفوا والله اعلم
ويحتمل ان لا يعطى العهد الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام والله اعلم
قوله تعالى ان الله يحب المتقين اي يحب من اتقى الشرك
واتقى كل جور وظلم والله اعلم قوله تعالى كيف وان يظهروا
عليكم لا يرقبوا فيكم الا ولا ذمة يقول والله اعلم كيف تعطون لهم العهد
وكيف يستحقون العهد ولو ظهروا عليكم وظفروا بكم لا يرقبوا فيكم الا
ولا ذمة اي لا يحفظون قبل الال الله والذمة العهد وكذا روي
عن ابن عباس الال الله ولذلك قال في تفسير جبرئيل عبد الله وقيل
الال القرابة وقيل الال العهد والذمة التذمم وفي حرف حفصة
لا يرقبوا بكم عهدا ولا ذمة وقيل الال الحوم يقول كيف تعطونهم العهد
وهم ان يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم القرابة ولا العهد ولا الحوم وقد
كانوا يحفظون فيما بينهم القرابة والرحم حتى يعادون بعضهم بعضا ويناصر
اذا كان تقع بين قراباتهم ورحمهم وبين قوم آخرين مباغضة وعداوة
وكانوا يرقبون حرم الله حتى لا يقتلوا في الاشهر الحرم ولا عند المسجد
الحرام وكانوا يحفظون العهود فيما بينهم من قبل ثم مع ذلك لا يرقبون فيكم
ولا يحفظون شيئا من ذلك قوله تعالى يرضونكم بافواههم وتابى
قلوبهم اي يقولون بالسنتهم اي يوفون العهد ويحفظونه وتابى قلوبهم الا
النقض قوله تعالى واكثرهم فاسقون اي في نقض العهد والفسق

هو الخروج عن امر الله كقوله ففسق عن امر ربه قوله تعالى فصدوا
عن سبيله اي صدوا الناس عن متابعة رسول الله وقيل صدوا الناس
عن دين الله وهو دين الاسلام قوله تعالى انهم ساء ما كانوا يعملون
اي بئس ما عملوا من صدهم الناس عن دين الاسلام ومتابعة محمد
قوله تعالى واولئك هم المعتدون اي في نقض العهد والاعتداء
المجاوزة عن الحد الذي جعل لهم قوله تعالى فان تابوا واقاموا
الصلاة واتوا الزكاة فاخوانكم في الدين اي فان تابوا من الشرك وما
كان منهم وقوله واقاموا الصلاة واتوا الزكاة يحتمل وجهين احدهما
يحتمل الصلاة المعروفة والزكاة المعروفة والمراد من الاية الاقرار بهما
والاعتقاد والقبول لهما دون نفس الفعل وذلك في القادة والكبراء
الذين يانفون عن الخضوع لاحد ولا يؤدون الزكاة ولا يتصدقون لما
ظنوا انهم يخلدون في الدنيا اشفاقا على انفسهم ويحتمل ان يكون المراد من
الصلاة الخضوع والخشوع ومن الزكاة زكاة النفس واصلاحها فان كان
المراد هذا فهو لازم في الاوقات كلها على كل احد ما من وقت الا وعلى
كل احد الخضوع لخالقه والخشوع له وان يزكي نفسه ويصلحها قال الله
تعالى قد افلح من زكيها والله اعلم قوله تعالى ونفصل الايات
لقوم يعلمون اي نبين الايات لقوم ينتفعون بعلمهم ويحتمل اي لقوم اذا
نظروا وتدبروا فيها لعلموا لا لقوم لا يعلمون قال بعض اهل التاويل
انظروا الى كرم ربكم وجوده قوم افتروا على الله كذبا وكذبوا رسوله
وهموا باخراجه من بين اظهرهم او قتله وطعنوا في الدين الحق وعملوا
كل بلية من نصب الحروب والقتال فيما بينهم ثم ان وعد لهم المغفرة والتجاوز
عما كان منهم بالتوبة بقوله ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وجعل فيما بينهم الاخوة
والمودة بقوله فاخوانكم في الدين وقوله اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم
فاصبحتم بنعمته اخوانا وغير ذلك من الايات فهذا يدل على ان من كان
له بمكان ذنب او جفاء فاذا رجع عن ذلك وتاب لزمه ان يتجاوز عنه وان لا
يذكر بعد ذلك ما كان منه من الذنب على ما جعل الله فيما بين هؤلاء بقوله
فاخوانكم في الدين قوله تعالى وان نكثوا ايمانهم من بعد عهدهم يحتمل

قوله ايمانهم العهود نفسها لانها تسمى ايمانا قال الله تعالى واوفوا بعهد الله
اذا عاهدتم ذكر العهود ثم قال ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها ويحتمل
انه اريد بها نفس الايمان التي حلفوا بها بعد اعطاء الايمان توكيدا لها
لئلا ينقضوا العهد اذ من عادتهم نقض العهد ونكثه قوله تعالى
وطعنوا في دينكم طعنهم في الدين ظاهر قوله تعالى فقاتلوا ايمة
الكفر اي ايمة الكفرة وتخصيص الامر بمقاتلة الايمة لما ان الاتباع
ابدا يقلدون الايمة ويصدرون عن ارائهم وتدابيرهم فاذا قاتلوهم اتبع
الاتباع لهم فيكون الامر بالقتال معهم امرا بالقتال مع الاتباع والثاني
لنفي الشبهة لان اصحاب الصوامع لا يقتلون وهؤلاء الايمة كانوا ايمة
في العبادة والطاعة فيشكل انهم لا يقاتلون بين الله تعالى الامر بالقتال
مع الايمة ازالة لهذا الوهم لان اصحاب الصوامع قد عزلوا انفسهم عن
الناس وعن جميع المنافع وحبسوها للعبادة وامتنعوا عن الاضرار
باحد والايمة ليسوا كذلك والله اعلم والثالث خص الايمة بالقتال
لانهم اذا قتلوا لم يبق لهم امام في الكفر فيذهب الكفر راسا وهو كقوله
وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة فالغرض من مقاتلة الكفرة هو انكسار
شوكتهم ودفع فتنتهم واظهار دين الحق وذلك يحصل بقتل ايمتهم ورؤسائهم
والله اعلم قوله تعالى انهم لا ايمان لهم يحتمل اي لا عهد لهم بعد نقض العهد
الذي كان لهم اذا نقضوا ويحتمل اي لا ايمان لهم اي لا يعطى لهم العهد لهم
ثانيا بعدما نقضوا العهد لانهم اعتادوا نقض العهد ثم فايدة قوله انهم
لا ايمان لهم تخرج على وجهين احدهما ان اهل العهد اذا نقضوا العهد
ينقض ذلك ويتركون على النقض ويقاتلون بعد النقض وليس كاهل
الذمة اذا نقضوا الذمة لا يتركون وذلك ولكن يردون الى الذمة ولا
ينتقض الذمة منهم والثاني قال ذلك في قوم علم الله انهم لا يوفون العهد
ابدا وفي الاية قراءة اخرى بكسر الالف اي لا يؤمنون ابدا فان كان كذلك
فهو في قوم علم الله انهم لا يؤمنون ابدا وقال الحسن لا ايمان لهم اي لا تصديق
لهم قوله تعالى لعلهم ينتهون اي عن نقض العهد قوله تعالى الا
تقاتلون قوما نكثوا ايمانهم اي كيف لا تقاتلون وايمانهم ما ذكرنا وهو حرف اغراء

على مقاتلة من اعانا نقض العهود والتحريض على ذلك قوله تعالى وهموا
باخراج الرسول يحتمل اي هموا بقتله وفي القتل اخراجه فلذلك ذكر
الاخراج ويحتمل اي هموا باخراجه من المدينة على ما ذكر في بعض القصة
ان اليهود قالوا لرسول الله ان مكان الانبياء والرسل بيت المقدس لا المدينة
٢٤٥ فانتقل اليه وفي الاية دلالة اثبات الرسالة لانه معلوم انهم اسروا
فيما بينهم اخراجه وقتله وما اظهروا ثم اخبرهم النبي بذلك دل انه انما
عرف ذلك بالله تعالى قوله تعالى وهم بدوكم اول مرة يحتمل بدوكم
في نقض العهد اي هم بدوكم بنقض العهد بالاخراج ويحتمل هم بدوكم
بالقتال اول مرة قوله تعالى اتخشونهم فالله احق ان تخشوه اي لا
تخشوهم واخشوا الله فانهم لا يقدرون على ان يصل اليكم نكبة الا باقدار الله اياهم
ويحتمل اي اتخشونهم والله قادر بنصركم وقهر عدوكم فالله احق ان تخشوه ان
كنتم مومنين اذ هو القادر على منعهم عنكم ونصركم عليهم قوله تعالى قاتلوهم
يعذبهم الله بايديكم علم الله عز وجل كراهة القتال وثقله على الخلق فامر المومنين
بمقاتلة الكفرة ووعدهم النصر والتعذيب للكفرة بايديهم ثم هذا يحتمل وجهين
احدهما القتل والهزيمة والثاني الاسر والسبي قوله تعالى ويخزهم
يحتمل وجهين يحتمل الهزيمة والاخزا والاذلال في الدنيا ويحتمل ويخزهم
في الاخرة كقوله ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته والخزي هو
العذاب الذي فيه الفضيحة والذلة وفي قوله يعذبهم الله بايديكم
دلالة نقض قول المعتزلة في خلق الافعال لانهم يقولون ان لا قدرة
لله على افعال الخلق وقد اخبر انه يعذبهم بايديهم ولو كان غير قادر على
افعالهم لكان تعذيبه اياهم بيده لا بايديهم قوله تعالى وينصركم عليهم
وعدهم النصر والظفر عليهم وخزي الكفرة وهو كقوله قل هل تربصون
بنا الا احدى الحسنيين ونحن نتربص بكم ان يصيبكم الله بعذاب من عنده
او بايدينا ثم كذلك في قوله ان يصيبكم الله بعذاب من عنده او بايدينا دلالة
نقض قول المعتزلة في خلق الافعال لانه اخبر انه يصيبهم العذاب
من عنده او بايدي المومنين والله اعلم قوله تعالى ويشف صدور قوم
مومنين يحتمل ان يكون قلوب المومنين توجعت وتالمت بكفرهم بالله وتكذيبهم

الرسول فوعد لهم شفاء صدورهم وذلك يحتمل وجهين احدهما انهم
يسلمون فيصيرون اخوانا فيدخل في قلوبهم السرور والفرح بان آل
ما حزنوا وتالموا فذلك شفاء صدورهم والثاني ويشف صدورهم
٢٤٦ بالقتل والهزيمة فيكون في ذلك شفاء صدورهم غما بالم وتوجعت
بالتكذيب والكفر بايات الله وتكذيب رسوله قوله تعالى ويذهب
غيظ قلوبهم هذا ايضا يحتمل وجهين احدهما يذهب الغيظ الذي كان
في قلوب المومنين بتكذيبهم رسول الله وكفرهم بايات الله باسلامهم يسلمون
فيصيرون اخوانا او يقتلون ويهلكون فيذهب عنهم الغيظ والغضب الذي
كانوا غضبوا عليهم بالذي ذكرنا قوله تعالى ويتوب الله على
من يشاء اي ان شاء عذبه عليه وان شاء تاب عليه وفي الاية دلالة
رد قول المعتزلة لانهم يقولون ان الله تعالى شاء ان يتوب على جميع
الكفرة والعصاة لكنهم لا يتوبون بسوء اختيارهم والله تعالى اخبر انه
يعذب بعضا ويتوب على بعض فالذي شاء ان يعذب غير الذي شاء
ان يتوب عليه والذي شاء ان يتوب عليه غير الذي شاء ان يعذبه
فيكون حجة عليهم قوله تعالى والله عليم حكيم اي عليم بما كان ويكون
اي عن علم بما يكون منهم خلقهم لا عن جهل اذ خلقه اياهم ليس لمنافع نفسه
وحاجته لتعاليه عنها وانما خلقهم لحاجتهم ومنافعهم وقوله حكيم اي واضع
كل شيء موضعه ويحتمل عليم بما كان من هولاء من التكذيب لرسول الله والكفر
باياته حكيم اي جعل عليهم من القتل والاسر والتعذيب في الاخرة
والله اعلم قوله تعالى ام حسبتم ان تتركوا ولما يعلم الله الذين
جاهدوا منكم وهو كقوله ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين
جاهدوا منكم ويعلم الصابرين وقوله ام حسبتم ان تتركوا ولما ياتكم مثل
الذين من قبلكم الاية وقوله الم احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا
امنا وهم لا يفتنون هذه الايات كلها في المنافقين الذين اظهروا الايمان
باللسان واروا المومنين الذين حققوا الايمان واخلصوا الاسلام الموافقة
بذلك فقال عز وجل ام حسبتم ان تتركوا على ما اظهرتم من الايمان
باللسان تبتلوا بالقتال جعل الله تعالى القتال تطهيرا للارض من الكفر

والثاني ليكون مع الكفرة فرضا لمعنيين احدهما آية يتبين بها نفاق
من اظهر الايمان مراآة وصدق من اظهره حقيقة امتحانا للمنافقين
ليفرق المحق المخلص من المنافق المرائي لان القتال هو من ارفع اعلام
يظهر بها اخلاص المرء ونفاقه لان المنافقين ايمان يظهرون الموافقة
للمؤمنين طمعا في الدنيا ليسلم لهم المنافع التي كانوا ينتفعون بها
وفي الامر بالقتال خوف الهلاك فاذا خافوا الهلاك على انفسهم امتنعوا
عنه وهو كقوله قد يعلم الله المعوقين منكم والقائلين لاخوانهم هلم
الينا ولا ياتون الناس الا قليلا خوفا واشفاقا على انفسهم وكقوله ومن
الناس من يعبد الله على حرف فان اصابه خير اطمان به وان اصابته
فتنة انقلب على وجهه هذا وصف المنافق فاما المؤمن المحقق للايمان
المخلص للاسلام فانه يسلم لله نفسه في جميع الاحوال وان كان فيه تلف
نفسه لما لم يكن عبادته لله على حرف ووجه كالمنافق ولكن على الوجوه
كلها والاحوال جميعا عبادته لله لا يمنعه خوف الهلاك عن القتال
بل نفسه يسخت ذلك وترضى به ولا كذلك المنافق ثم قوله
ام حسبتم ذكر حرف الاستفهام وهو من الله للايجاب والتحقيق ثم
يحتمل ههنا وجهين احدهما اي قد حسبتم ان تتركوا على ما اظهرتم
من الموافقة مع الخلاف في السر ولا تبتلوا ولا تمتحنوا بالجهاد والقتال
فاحد التاويلين على الاخبار على طريق التقدير والتحقيق والثاني على
النهي والانكار وقوله ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم يحتمل اي
ليعلم مجاهدا من قد علم انه يجاهد وليعلم ما قد علم انه يكون كائنا لانه لا يجوز
ان يوصف الله بالعلم بما ليس يكون آية يعلمه كائنا كما لا يجوز ان يوصف بان
يعلم من الجالس القيام في حال جلوسه ومن المتحرك السكون في حال
حركته ومن المتكلم السكوت في حال كلامه انما يوصف بالعلم على الحال التي يكون
المعلوم عليها لا على غير تلك الحال وان كان يعلم جميع ما يكون وقت ما يكون
على ما يكون والله الموفق ويحتمل هذا وجها آخر وهو انه اضاف العلم
الى نفسه واراد به اولياءه كقوله ان تنصروا الله ينصركم اي تنصروا
اولياء الله ينصركم او ان تنصروا دينه او رسوله فعلى ذلك قوله ولما

يعلم الله الذين جاهدوا منكم اي ليعلم اولياءه المنافق المرائي والمؤمن
المحقق والمخلص وليتبين لهم وهو كقوله ايضا يخادعون الله وهو خادعهم
اي يخادعون اولياء الله اذ الله لا يخادع ولا ينصر اذ هو ناصر كل احد
ولا يخفى عليه شيء عالم بما يكون والله اعلم قوله تعالى ولم يتخذوا
من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة اي لم يجدوا ملجأ يلجاون
اليه دون ما ذكر ولو وجدوا لم يتخذوا ذلك ولكن لما لم يجدوا لم يتخذوا
وهو كقوله يحلفون بالله انهم لمنكم وما هم منكم ولكنهم قوم يفرقون لو
يجدون ملجا او مغارات او مدخلا لولوا اليه وهم يجمحون اخبر
انهم لو وجدوا الملجا يلجاون اليه ولا يظهرون ذلك قال بعض اهل
الادب الوليجة البطانة من غير المسلمين واصلها الولوج وهو ان يتخذ
رجل من المسلمين دخيلا من الكفرة وخليلا وودا وجمعها ولائج وقال
بعضهم الوليجة خاصة المرء اصلها من الولوج وهو الدخول قال الله
تعالى حتى يلج الجمل في سم الخياط وقال بعضهم الوليجة الخيانة وقال
بعضهم الوليجة ما يلجا اليه وقال بعضهم كل شيء ادخلته في شيء ليس منه
فهو وليجة وبعضه قريب من بعض قوله تعالى والله خبير
بما تعملون خرج على الوعيد قوله تعالى ما كان للمشركين ان يعمروا
مساجد الله شاهدين على انفسهم بالكفر قال بعض اهل التاويل نزلت
الآية في العباس بن عبد المطلب انه اسر يوم بدر فاقبل ناس من
المهاجرين والانصار فيهم علي بن ابي طالب فعيروه بالكفر والقتال
مع النبي وقطيعة الرحم فقال ما لكم تذكرون مساوينا وتدرون
محاسننا فقالوا او لك محاسن فقال اي والله انا لنعمر المسجد الحرام
ونحجب البيت ونسقي الحاج ونفك العاني فانزل الله تعالى ردا عليه
ولكن في آخر الآية دلالة على انه لا يحتمل ان تكون الآية في العباس
على ما قالوا الا انه قال اولئك حبطت اعمالهم وفي النار هم خالدون والعباس
قد اسلم من بعد فلا يحتمل هذا الوعيد بعد الاسلام ولكن يكون الآية
في غيره من المشركين وقال غيرهم من اهل التاويل ما كان للمشركين
ان يعمروا اي ما كان بالمشركين عمارة مساجد الله انما كان بهم خراب

مَسَاجد الله لان المسَاجد انما تعمر بالذكر فيها والصلاة واقامة الخيرات
وهم لم يعمروها بذكر اسم الله فيها بل هم يذكرون الاصنام والاوثان
فيها وتعبدونها فكان بهم خراب المساجد لا العمارة وقال بعضهم اي ما
كانَ ينبغي للمشركين ان يعمروا مسَاجد الله علي مَا عندهم لان الذي منعهم
عن الايمان بالله حبهم الدنيا وميلهم اليها فعلي مَا عندهم مَا ينبغ لهم ان يعمروها
وقال بعضهم اي مَا كان علي المشركين عمارة مسَاجد الله لانهم لا ينتفعون
بها في الاخرة لانهم لا يومنون بالاخرة وانما تقصد بعمارة المساجد والانفاق
عليها الثواب في الاخرة وهم لا يومنون بها فيضيع نفقتهم في ذلك اذ لا
منفعة لهم فيها انما ذلك علي المسلمين ويجون له بمعني علي كقوله ان احسنتم احسنتم
لانفسكم وَان اسَاتم فلها اي فعليها قولـــــه تعالي شاهدين علي انفسهم
بالكفر قال بعضهم اي علي نفس محمد وعلي مَن آمنَ بهِ سمَاهم انفسهم لانهم
من قراباتهم وَارحامهم وقد سمّي الله تعالي المتصلين بالقوم بهذا الاسم قال الله
تعالي لقد جاءكم رسول من انفسكم وقال فسلموا علي انفسكم تحية من عند الله
ذكر المتصلين بهم باسم انفسهم فعلى ذلك الاول ويحتمل شاهدين علي انفسهم
بالكفر حقيقته لكن عند الضرورات وهي حال نزول العذاب بهم وعند
الهلاك وهو كقوله فلما رَأَوا باسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين
وغير ذلك من الاحوال التي كانوا يقرون فيها بالكفر وقال بعضهم تشهد
انفسهم بالكفر عليهم لان خلقتهم تدل علي وحدانية الله وتشهد علي الوهيته
بما جعل فيها من آثار الحدث فتكون شاهدة علي فعلهم بالكفر اذ عليهم الشهادة
بوحدانية الله عن اختيار لما رأوا انفسهم من آثار الحدث الدالة علي الصانع
فتكون انفسهم شاهدة عليهم بذلك وهو كقوله بل الانسان علي نفسه بصيرة
قيل بل للانسان من نفسه بصيرة اي من نفسه بيان فهذا امثله والله اعلم
قولـــــه تعالي اولئك حبطت اعمالهم وفي النار هم خالدون الي اخر
الاية في قوم ماتوا علي الكفر قولـــــه تعالي انما يعمر مساجد الله من آمن
بالله واليوم الاخر اي بهم عمارة مساجد الله ولهم ينبغي ان يعمروها بما يذكرون
الله فيها ويقيمون الصلاة ويودون الخيرات وعليهم عمارتها لانهم هم
الذين ينتفعون بها ويطمعون الثواب والله اعلم قولـــــه تعالي ولم

يخش الا الله قال بعضهم هو صلة قوله اتخشونهم فالله احق ان تخشوه
ان كنتم مؤمنين امروا ان يخشوا الله ولا يخشوا غيره وقال بعضهم الخشيه
العبادة فكان قوله ولم يخش الا الله ولم يعبد الا الله قولـــــه تعالي
فعسي اولئك ان يكونوا من المهتدين وعسي من الله واجب اي كانوا
مهتدين قولـــــه تعالي اجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام
كمن آمن بالله واليوم الاخر وجاهد في سبيل الله الاية اصما رفعيل
او فاعل لكي يصح المقابلة لانه انما تقابل فعل بفعل او فاعل بفاعل اما
لا يقابل فعل بفاعل ولا فاعل بفعل وههنا ذكر السقاية وعمارة المسجد
الحرام وهو فعل مقابل قوله من آمن بالله وهو اسم فهو والله اعلم
كانه قال اجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كايمان الحاج
والعامر للمسجد الحرام كمن آمن بالله ليكون مقابلة شخص بشخص او مقابلة
فعل بفعل والله اعلم قولـــــه تعالي لا يستوون عند الله نفي المساواة
بين من سقا الحاج وعمر المسجد الحرام وهو كافر وبين من آمن بالله واليوم
الاخر وجاهد في سبيله والاشكال انه لا يصح ان يجمع بين الكافر والمسلم
فيقال لا يستويان عند الله وان كان الكافر قد اتي بالمحاسن وانواع
الخير وانما يقابل الشي بالشي اذا قرب بعضه من بعض فاما عند البعد
لا يقابل ولا يقال لا يستويان فنقول يحتمل ان المراد منه ليس من
فعل محاسن في حال كفره ثم آمن من بعد كمن آمن وفعل محاسن
وهو مؤمن بل هما لا يستويان فاما الكافر الذي مات علي الكفر وان
عمل خيرات ومحاسن والمومن الذي عمل الصالحات فمات علي ذلك لا يقال
انهما لا يستويان لنوع تفاوت في الاول وبعد التفاوت في الثاني ويحتمل
ان يقابل بالجهاد الذي ذكر اي لا يستوي من بذل نفسه للقتل والتلف لله
كمن سقي الحاج وعمر المسجد الحرام لله ولم يبذل نفسه للتفاوت بين الامرين
من حيث الذات في الاختيار علي ان نفي التساوي من كل وجه انما
يكون عند بعد التفاوت والاختلاف لانه لا ينتفي التساوي علي الكمال
كتفاوت ما بين الضدين ولكن مع هذا في متعارف اللسان لا ينفي التساوي
بين الحر والبرد وبين الليل والنهار في الحرارة والضياء لاشتهار ذلك

لا ان يكون ذلك بخلافه لكن اذا كان في موضع يشتبه على البعض لاعتقادهما سد
او لتسويل الشيطان اياهم يحوز القول بالنفي وبيان التفاوت بينهما
الا ترى ان الكافر لما كان في معتقده انه على الحق والمومن بخلافه كيف نفى
المساواة بينهما بقوله لا يستوي اصحاب النار واصحاب الجنة اصحاب
الجنة هم الفائزون وضرب في حقهما امثالا لا تشتبه على كقوله قل هل يستوي
الاعمى والبصير ولا الظلمات والنور ولا الظل والحرور وما يستوي
الاحياء ولا الاموات ونحو ذلك فكذلك ههنا الكفرة اعتقدوا ان لهم محاسن
وخيرات وانهم يفعلون ذلك ابتغاء مرضات الله ويحسبون انهم على شيء دون من
خالفهم في الدين فنفى اعتقادهم بقوله لا يستوون عند الله والله اعلم قوله تعالى
والله لا يهدي القوم الظالمين اي لا يهديهم ما داموا في ظلمهم وما داموا اختاروه
وقت اختيارهم ذلك ويحتمل ان يكون هذا في قوم خاص والله اعلم قوله
تعالى الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله باموالهم وانفسهم قوله
الذين آمنوا اي صدقوا رسول الله في جميع ما دعاهم اليه وامرهم به ونهاهم
عنه انه محق والا كانوا مومنين بالله لقولهم ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله
زلفى وقولهم هولاء شفعاونا عند الله كانوا مومنين بالله لكنهم يكذبون الرسل ورسالاتهم
وقوله وهاجروا اي فارقوا اباهم واخوانهم وعشيراتهم واموالهم ومنازلهم
وبلدهم هاجروا جميع ما تحبه انفسهم وتهواه وتميل اليه القلوب وذلك ما
ذكر في الاية التي تتلوا هذه وفارقوا الكل اشفاقا على دينهم ليسلم ما لو اعطوا
قبل الاسلام الدنيا وما فيها او اعيدوا بكل وعيد وخوفوا ما فارقوا ذلك ثم
اذا اسلموا فارقوهم واجابوا رسول الله في ذلك ابتغاء مرضات الله وطلبا
لرضوانه ليعلم عظيم قدر الدين في قلوبهم وخطير منزلته عندهم وليعلم ان
محن اصحاب رسول الله اعظم واشد من محننا لان محنهم كانت على خلاف
عاداتهم وخلاف ما طبعوا لان الانسان مطبوع على حب ما ذكرنا ومجبول عليه
فهم مع ذلك تركوا وفارقوا وتحملوا كراهة ذلك ابتغاء مرضات ربهم فاما
محننا فانها على ما سبق من العادة فهو اهون وايسر وقوله وجاهدوا
في سبيل الله باموالهم وانفسهم اي بذلوا احب الاشياء والذهاب تعالى وهو
الانفس والاموال قوله تعالى اعظم درجة عند الله قال بعض اهل

التاويل من صدق بتوحيد الله وهاجر الى المدينة وجاهد العدو بماله
ونفسه فهو اعظم درجة عند الله من الذي افتخر بسقاية الحاج وعمارة المسجد
الحرام وهو كافر وكذلك قالوا في قوله اجعلتم سقاية الحاج الى قوله لا يستوون
عند الله ولكن الوجه في ذلك عندنا ان اولئك الذين ذكروا اعظم درجة
عند الله من الذين اسلموا من بعد ولحقوا باولئك والله اعلم قوله تعالى
واولئك هم الفائزون الفوز هو الظفر في اللغة اي اولئك الفائزون
بنعم الله وكرامته والناجون عن عذاب الله ونقمته قوله تعالى يبشرهم
ربهم برحمة منه يحتمل قوله برحمة منه اي بالنصر لهم في الدنيا والظفر لهم
على عدوهم ويحتمل برحمة منه الثواب في الاخرة والكرامة فيها والله اعلم
قوله تعالى ورضوان اي يبشرهم ايضا ان ربكم عنكم راض قوله
تعالى وجنات لهم فيها نعيم مقيم اي يبشرهم ايضا بجنات لهم فيها نعيم
مقيم دائم خالدين فيها ابدا ان الله عنده اجر عظيم قال الحسن
ما سماه الله تعالى عظيما فهو عظيم لا تدرك عظمته قوله تعالى
يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا اباءكم واخوانكم اولياء ان استحبوا الكفر على
الايمان ومن يتولهم منكم فاولئك هم الظالمون يحتمل الولاية الموافقة لهم
في الدين حقيقة ومن تولاهم في الحقيقة في الدين فهو منهم وهو ظالم لهم
لا شك فان كانت تاويل هذا فلم يكن لقوله ومن يتولهم منكم فاولئك هم الظالمون
الا معنى الكفر وقوله ان استحبوا الكفر على الايمان اي اختاروا الكفر
على الايمان والمحبة ههنا محبة الايثار والاختيار نهانا عن موالاة الكفر جملة
بقوله لا يتخذ المومنون الكافرين اولياء من دون المومنين وقال يا ايها
الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء هذا النهي لنا في جملة
الكافرين ثم نهانا عن اتخاذ اليهود اولياء ثم نهانا ان نوالي المتصلين بنا من
الاباء والامهات وغيرهم من القرابات لما تقع الشبهة في موالات المختصين
بهم فخص النهي فيه وكذلك في تخصيص اليهود والنصارى لما بيننا وبينهم
موافقة في اصل التوحيد وفي بعض الكتب فخص النهي في ذلك والله اعلم
ويحتمل الولاية اظهار الموافقة لهم في الظاهر على غير حقيقته يباح في حال الاضطرار
وهي عند خوف الهلاك وذهاب الدين نحو ان يكون قوم اسروا الايمان

في انفسهم وكتموه ويظهرون الموافقة لهم في الظاهر اشفاقا على دينهم وخوفا
على انفسهم فيباح لهم ذلك فلما ان جعل الله تعالى الهجرة فرضا وجعل للمومنين
انصارا وماوى يلجاون اليه لم يعذروا في اظهار الموافقة لهم وان كانوا
في السر ليسوا على دينهم لما ذكرنا فهذا يدلك على ان من اجرى كلمة الكفر
على لسانه في غير حال الاضطرار يصير كافرا على ما جعل هولاء اولياء
الكفرة حقيقة ظلمة مثلهم اذا تولوهم في الظاهر وان لم يكونوا في
الحقيقة كذلك وهذا اشبه وهو كقوله ان الذين توفيهم الملائكة
ظالمي انفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الارض قالوا الم
تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها لم يعذروا في ترك الهجرة فعلى ذلك
هولاء اذا اظهروا الموافقة لهم بعد ما جعل لهم الماوى التي نهانا الله عنها
تخرج على وجوه احدها المودة والمحبة اي لا تودوهم ولا تحبوهم وهو كقوله
يايها الذين امنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء تلقون اليهم بالمودة
والثاني لا تتخذوهم موضع سرنا وبطانتنا كقوله لا تتخذوا بطانة
من دونكم والثالث ولاية الطاعة لهم اي لا تطيعوهم كقوله يايها
الذين امنوا ان تطيعوا فريقا من الذين اوتوا الكتاب يردوكم الاية
فالله تعالى نهانا ان نحبهم ونودهم ونهانا ايضا ان نطيعهم فيما يدعوننا
اليه وانما كان ذلك كله للخلاف الذي بيننا وبينهم في الدين والله اعلم
قوله تعالى قل ان كان اباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم
وعشيرتكم هو مقابل قوله الذين امنوا وهاجروا وجاهدوا في
سبيل الله الاية ذلك ما ذكرنا في قوله قل ان كان اباوكم وابناوكم على
ان المراد من قوله لا تتخذوا اباءكم الاباء والابناء جميعا وقوله واخوانكم
الاخوان وجميع المتصلين بهم دليله ما ذكر في اخره حيث قال قل ان كان
اباوكم وابناوكم وما ذكر اي ان كان طاعة هولاء ورضاهم احب اليكم
من طاعة الله وطاعة رسوله ورضاه واحب من جهاد في سبيله
فتربصوا حتى ياتي الله بامره ثم قوله حتى ياتي الله بامره هو حرف وعيد
اي انتظروا حتى ياتي الله بامره اي بعذابه وقال اهل التاويل اي
حتى ياتي الله بامره في فتح مكة قوله تعالى واموال اقترفتموها قال

بعضهم

بعضهم اكتسبتموها وقال ابو بكر الاصم واموال اقترفتموها اي اموال
جعلوها حلالا وحراما ويقولون الله اذن لنا في ذلك كقوله قل ارايتم
ما انزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا قل الله اذن لكم
اخبر انهم كانوا يجعلون الاموال حلالا وحراما ويقولون الله اذن لنا
في ذلك والله الهادي قوله تعالى وتجارة تخشون كسادها
اي كانوا يخشون فواتها وذهابها لا الكساد اذ في الهجرة تركها راسا
قوله تعالى لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين اي نصركم
في مواطن كثيرة كان فزعكم الى الله ونصركم يوم حنين ايضا بعد ما هزمكم
باعجابكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا يعني الكثرة يذكرهم عز وجل منته وفضله
عليهم وان النصرة والظفر متى كان انما كان بالله لا بكثرتهم وقوتهم لانه لو كان
بالكثرة والقوة لم يكن للمسلمين كثرة وقوة ما كان يوم حنين ثم كانت الهزيمة
عليهم في الابتداء لاعجابهم بالكثرة واعتمادهم عليها ليعلم ان النصر والظفر
انما يكون بالله لا بالقوة والكثرة لئلا يعتمدوا على الكثرة ولا يتكلوا عليها فان
قيل قد امرنا الله تعالى باخذ العدة والقوة ما استطعنا بقوله
واعدوا لهم ما استطعتم من قوة الاية فانما امرنا بما نعجبنا فما معنى النهي
عن الاعجاب بالكثرة والقوة وكذلك نهانا عن التاسي والحزن على ما فات
ونهانا ان نفرح بما يوتينا وقد كلفنا الشكر لما اتانا والصبر على ما فات
عنا فلو لم نفرح بما اتانا لم يلزمنا الشكر ولا الصبر فما معنى ذلك قيل معناه والله اعلم
انه نهانا ان نفرح بما يوتينا لنفس الايتاء ونأسى لنفس ما يصيبنا ويفوتنا
انما علينا ان نفرح بفضل الله ومنته التي من علينا وخصنا به وعلى ذلك نشكره
وعلى ذلك الصبر بما يصيبنا وانما جعل لنا ثوابا في الاخرة واجرا عظيما
وكذلك الكثرة امرنا بها فاذا اتانا ذلك علينا ان نعجب فضل الله ومنته
في ذلك الكثرة التي امرنا بها لا الكثرة نفسها والقوة والله اعلم فان قيل
الاعجاب بالكثرة كان من بعضهم لا من الكل فكيف هزم الكل وكذلك
العصيان يوم احد انما كان من بعض كيف عاقب الجميع قيل لان له ان
يتلف الكل ابتداء الا ترى ان امر الواحد بالقيام للاثنين في الجهاد ثم
امر الجهاد امر على غير وسع ولا ذلك في سائر العبادات لانه امر الواحد

للقيام للاثنين في الجهاد وليس في وسع الواحد القيام للاثنين فهو والله اعلم
لما ان له ان يكلف قتل انفسهم واتلافها بقوله ولو انا كتبنا عليهم ان اقتلوا
انفسكم الآية ولو لم يجز له ان يكتب قتل انفسهم لم يكن ليذكره دل ان له
ذلك وان له ان يميتهم ويهلكهم فعلى ذلك له ان يامر الواحد بالقيام
لاثنين ولعدد وان كان في ذلك تلف انفسهم ولان الله تعالى امرنا بمجاهدة
الشيطان عدونا واخبر انه يرانا ولا نراه بقوله انه يراكم هو وقبيله
من حيث لا ترونهم والمحاربة مع عدو يرانا ولا نراه صعب شديد
لكن الله تعالى علمنا اسباب ما نحارب معه ونجاهد فنغلبه قال الله
تعالى واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله وقال ان الذين
اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا الآية علمنا اسبابا نقاتل
بها الشيطان فنغلبه ونقهره وما ذكر من ذكره لا يقوم لذلك وكذلك في
العدو الذي نراه من البشر حيث قال يا ايها الذين امنوا اذا لقيتم فئة
فاثبتوا واذكروا الله كثيرا وقال واصبروا ان الله مع الصابرين
وقال كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله وقد علمنا اسباب
الجهاد معهم والحيل التي تجوز لواحد القيام لاثنين فصاعدا بالحيل وان لم
يكن في الوسع بالقوة نفسها والله اعلم ثم الفرق بين الجهاد وبين غيره
من العبادات فيما ذكرنا لما يحتمل ان يجعل الله تعالى الجهاد آية من آيات
الحق والرسالة الى قيام الساعة ليعقد مواعيد ذلك بخلاف العادة فيظهر
لهم النصر والظفر ليعلم الخلائق ان النصر والظفر كان بالله لا بغيره ولا
يظهر نصر الله الا لاهل الحق ليظهر الحق من الباطل والمحق من المبطل
والله اعلم قوله تعالى وضاقت عليكم الارض بما رحبت هذا على التمثيل
يقال عند شدة الحزن والغضب وعند بلوغهما الغاية والنهاية ضاقت
عليهم الارض بما رحبت وانما يقال ذلك لسعة الارض في اوهام الخلق
والله اعلم قوله تعالى ثم انزل الله سكينته على رسوله وعلى المومنين
قال بعضهم السكينة الملائكة كقوله وما جعله الله الا بشرى لكم ولتطمئن
قلوبكم به الآية وقال بعضهم سكينته نصره وقيل وقاره ورحمته وقيل
طمانينته واصله اي سكنت قلوبهم واطمانت بعد شدة الخوف والحزن باي وجه

ما سكن بالملائكة او بغيرهم واسكن قلب رسول الله لما استد عليه هزيمة
اصحابه ومفارقتهم اياه ثم في قوله ثم انزل الله سكينته على رسوله
وعلى المومنين دلالة نقض قول المعتزلة لانه سماهم مومنين على
ما كان منهم من التولي والتولي لم يخرجهم من الايمان الاول مع ان ذلك
كبيرة منهم دلت ان الكبيرة لا تخرج عن الايمان قوله تعالى
وانزل جنودا لم تروها هم الملائكة قوله تعالى وعذب الذين
كفروا اي بالقتال والهزيمة وذلك جزاوهم بقوله وذلك جزاء
الكافرين قوله تعالى يا ايها الذين امنوا انما المشركون نجس فلا يقربوا
المسجد الحرام بعد عامهم هذا اختلف فيه قال بعضهم النهي عن دخول المسجد
الحرام نهي عن دخول مكة نفسها للحج واقامة العبادات لدلائل احدها قوله
بعد عامهم هذا ولو كان لدخول المسجد لكان ذلك العام احق بالمنع عن الدخول
فيه من غيره • والثاني قوله وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من
فضله وخوف العيلة انما يكون لنفيهم عن دخول مكة لا عن دخول المسجد
نفسه لانه لو كان النهي عن دخول المسجد نفسه لكان لا خوف عليهم في ذلك
لانهم يحضرون ويدخلون مكة للتجارة ولا يدخلون مسجد الحرام فلا خوف
عليهم في ذلك والثالث حديث علي رضي الله عنه انه قال الا لا يحج بعد
العام مشرك وقد بعثه الى موسم لينادي بين الناس بهذا وبهذا يتبين
ان المراد من الآية هو النهي عن دخول مكة للحج وان ذكر دخول المسجد
الحرام عبارة عن دخول مكة للحج لان البيت هو الذي يقصد اليه للزيارة
قال الله تعالى واذ جعلنا البيت مثابة للناس وامنا وقال ولله على الناس
حج البيت وقال وليطوفوا بالبيت العتيق ذكر البيت وهو المقصود بالحج في
الاسلام والكفر جميعا فعلى ذلك النهي لكنه ذكر المسجد لما ان البيت فيه
ولهذا قلنا ان من كان من اهل الذمة او العبيد منهم للمسلمين لا العبيد يدخلون
لخدمة الموالي وقد روى جابر بن عبد الله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال لا يقرب المشركون المسجد الحرام بعد عامهم هذا الا ان يكون
عبدا او امة فان قيل روي عن علي رضي الله عنه انه قال الا لا يدخل الحرم
مشرك ولم يذكر الحج قيل له روينا عنه انه قال ناديت ان لا يحج بعد العام

مشرك فيكون قوله لا يدخلن الحرم مشرك محمولاً على ما قلنا عملاً بالحديثين
والذي يقرر ما قلنا ان النهي عن دخول المسجد الحرام هو نهي عن دخول
مكة للحج واقامة العبادة قوله والمسجد الحرام الذي جعلناه للناس سواء
العاكف فيه والباد وان سبيل مكة كلها هذا فان عقار مكة لا يملك ويستوي
المقيم والمسافر وكذلك قوله ثم محلها الى البيت العتيق والحرم كله منحر يدلك
عليه ان المشركين لم يزالوا مقيمين في الحرم بعد النداء ولم يتحولوا عنه ومما
يدلك عليه ايضاً قوله الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام فما استقاموا
لكم فاستقيموا لهم فان كان المراد موضع العهد فان ذلك العهد كان يوم الحديبية عند
الشجرة فقد جعل ذلك الموضع من المسجد الحرام وهو في المسافة بعيد منه فعلى
ذلك ما قلنا والله اعلم ثم قوله انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد
عامهم هذا يخرج على وجوه احدها اي لا تدعوهم يقربوا المسجد الحرام والثاني
قولوا لهم ذلك فلا يقربوا بعد ذلك والله اعلم ثم اختلف في قوله انما المشركون
نجس الاحوال والاشبه ان يقال انهم نجس الافعال لان قوله انما المشركون
نجس يخرج مخرج الذم ولا يحتمل ان يذموا بنجاسة الاحوال لان ذلك ليس من كسبهم
لانه لا صنع لهم في الاحوال وانما يستوجب المذمة بالكسب فدلت انه انما الحقهم
ذلك الذم بما اكتسبوا من الافعال الذميمة وهو كقوله انما الخمر والميسر والانصاب
والازلام رجس من عمل الشيطان اخبر ان ذلك رجس من عمل الشيطان
وهو الفعل الذي يباشرون بدعوة الشيطان دون نفس هذه الاشياء لانها
ليست من عمل الشيطان فعلى ذلك ههنا قوله انما المشركون نجس اي افعال
المشركين نجسة خبيثة والعبادات التي يأتون في المسجد الحرام نجسة وعلى
ذلك كان النهي عن الحج نهياً عن اقامة العبادات لغير الله تنزيهاً لتلك البقعة
عن اقامة العبادة لغير الله فيها والله اعلم قوله تعالى وان خفتم عيلة
فسوف يغنيكم الله من فضله فيل خافوا من العيلة لما نفي المشركون عن مكة
لان معايش اهل مكة انما كانت باهل الآفاق وبهم سعتهم وتجارتهم لكن الله تعالى
وعدهم السعة والغنا بقوله فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء وقال بعضهم
دلت قوله ان شاء على انه انما وعد لهم الاغناء في بعض الاوقات وقال بعضهم ان الله
تعالى امر رسوله ان يخبر اهل مكة بان يغنيهم من فضله فامر بان يقرن به

ان شاء الله تعالى اذ هو مأمور بان يستثني في جميع ما يعده كقوله
ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غداً الا ان يشاء الله فكان معناه فسوف
يغنيكم الله من فضله ان شاء الله ويحتمل قوله فسوف يغنيكم الله من فضله اي
ان شاء يغنيكم عن تجار اهل الآفاق من اليمن وغيره وعن تجارتهم ورحلتهم
بغيرهم على ما ذكر في القصة انه لما قرأ علي في الموسم على مشركي العرب يا ايها
الذين آمنوا انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا قال
اناس من بكر بن وائل واهل اليمن من التجار يا اهل مكة ستعلمون اذا فعلتم
هذا اما ذا تلقون فيها من الشدة من اين تأكلون اما والله لنقطعن سبيلكم
ولا نحمل اليكم شيئاً فخاف اهل مكة من ذلك فانزل الله تعالى قوله
وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله عن تجارة هؤلاء الذين قالوا
كذلك فاخصبت تبالة وجرش فحملوا الى مكة الطعام والاكرار وكلما
يحتاجون اليه وتتابع بذلك عليهم اعواماً فاخصبوا واغناهم الله عن
تجارة اولئك وعن قطع رحلتهم وقال بعضهم يحتمل قوله فسوف يغنيكم الله
من فضله ان شاء بهؤلاء الذين نفوا عن مكة لانه حبب اليهم التجارة
والمكاسب وما ينالون من الارباح بها فيحملهم ذلك على الاسلام فيدخلون
فيها فيكون لهم غنا كما كان يحملهم حب التجارة والربح على ترك الهجرة كقوله
وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها احب اليكم من الله ورسوله
على ترك الهجرة كقوله وتجارة تخشون كسادها فعلى ذلك الاول
والله اعلم وقال بعضهم فسوف يغنيكم الله من فضله بالجزية التي ذكرها
في الآية التي تتلوا هذه قوله تعالى ان الله عليم حكيم اي عليم بما
اضمروا من خوف العيلة او عليم بما لهم وعليهم او عليم بمن يكون له الغنا حكيم
في امره وحكمه وفي قوله وان خفتم عيلة دلالة اثبات رسالة محمد
صلى الله عليه وسلم لانه معلوم انهم اضمروا ذلك في انفسهم ثم اخبرهم رسول الله
بذلك دل انه انما عرف ذلك بالله تعالى قوله تعالى قاتلوا الذين لا
يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون
دين الحق من الذين اوتوا الكتاب والاشكال انه ذكر اهل الكتاب اليهود
والنصارى واخبر انهم لا يؤمنون بالله وهم في الظاهر يقرون بوحدانية الله

واليوم الآخر فما معنى هذا فنقول والله اعلم هم وان آمنوا في الظاهر عندهم
فانما يؤمنون باله له ولد كما ذكر على اثره وهو قوله خبرا عنهم وقالت اليهود
عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله والايمان باله له ولد ليس بايمان
بالله تعالى فهم غير مؤمنين حقيقة وكذلك آمنوا بالبعث واليوم الآخر ولكن لم
يؤمنوا بما هو الموعود في اليوم الآخر فالاقرار باليوم الآخر بغير الموعود
فيه ليس بايمان به ويحتمل ان يقال انهم وان اقروا بما ذكرنا وآمنوا
لكن قد استحلوا اشياء حرمها الله تعالى عليهم وحرموا اشياء احلها الله لهم
وانكروا رسالة رسولنا ومن آمن بالكتب كلها والرسل ولم يؤمن بآية
منها او برسول منهم فهو غير مؤمن بالله واليوم الآخر ولا مصدق له والله اعلم
قال الشيخ رحمه الله تضمنت هذه الآية احكاما منها الامر بقتال
من لم يؤمن بالله واليوم الآخر لكنه يخرج على وجوه ثلثة احدها انهم
مشبهة ومن تشبيههم الله بخلقه احتمل قلوبهم القول بالولد لله اذ الذي
شهد وامن الخلايق على ذلك وحدوا تولد بعض من بعض فاذا كان كذلك
فهم غير مؤمنين في الحقيقة بالله الذي هو الحق حتى يؤمنوا به وان له يكون
الاخرة دون الذي ادعوه الها والله اعلم والثاني ان الذي جبل عليه الخلق
هو تعظيم رسل الملوك واجلالهم حتى يوجد من برّ الرسل بين ملوك
قد ظهرت بينهم العداوة فلما كذبوا رسول الله مع البراهين التي قد اعجزت
الخلايق وشهادة كتبهم به وتظاهر من عرفوا انهم مكذبون بكتبهم ورسلهم على
من صدق بذلك اعني تظاهر مشركي العرب على محمد وهم منكرون كتبهم
ومحمد عليه السلام مصدق فثبت انهم في الحقيقة مكذبون بجميع الكتب والرسل
وان اظهروا الوفاق وان ذلك لا يكون الا لتكذيب منهم بالله فعلى ذلك ايمانهم
بالله يكون بايمانهم بالرسل وعلى ذلك روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
في وفد عبد قيس انه قال آمركم باربع آمركم بالايمان بالله ثم قال اتدرون
ما الايمان بالله ان تشهدوا ان لا اله الا الله واني رسول الله فلذلك لم يكن ايمانهم
ايمانا بالله حتى يؤمنوا برسول الله فلهذا ايضا دبون والله اعلم والثالث
يحتمل انه نفى عنهم الايمان بنفي منفعة الايمان عنه اذ كل المنفعة بالايمان برسله
والقبول عنهم بالتعظيم فاذ اظهرت هذه المنفعة تركوا القتال والامر لا

والله اعلم ثم الترك على قبول الجزية جائز في حق اهل الكتاب وان كان الامر
قد تقدم بالقتل بقوله قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله الى ان قال من الذين
اوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد من غير ان يكون في ذلك دليل
على انا لا نحل ذلك المال نقاتل ونؤمر بقتالهم حتى تركنا القتال معهم وامرنا
بالترك على كفرهم اذا اعطوا المال اذ في ذلك دليل الرضا بكفرهم كما كتب الله
تعالى على كل نفس الموت ثم قد يتركون على ما هم عليه من اختلاف الاديان
وتفرق الاهواء وان كان ذلك لا يدل على الامر والرضا بما اختاروا فمثله
في الاول لا يدل على الرضا بكفرهم ولا على القتال لاخذ تلك الاموال
عنهم والله اعلم ثم الاصل ان القتال لم يجعل ليكون عقوبة للكفر اذ نوع
القتل ومعناه قد يوجد في الاخيار والاشرار جميعا وهو الموت ثبت انه
لم يجعل لذلك ولكن لوجهين احدهما ان يضطرهم به على الاجابة الى ما فيه نجاتهم
وبه ينيل كرامة الابد وكان ذلك بعد ان الزمناهم كل انواع الحجج فلم يقنعهم فالزمناهم
لان الذي كان يمنعهم عن النظر في الحجج حب اللذات والذهاب الحيوة فالزمناهم
حتى ييأسوا عن تلك اللذة المانعة عن النظر في الحجج والصادة عن الاجابة
تزول عنهم وفي قبول الجزية قبول بعض الذل والصغار الذي ينفر
عنه الطباع ويدعوا الى ما فيه الزوال فينظروا في الحجج وينقلوا الى ما دعوا
اليه فيكونوا به نجاتهم ويحصل لنا زيادة كرامة لتحصيل سبب الداعي لهم الى اقامة
سبب النجاة وهو الايمان والله اعلم والثاني ان المحن كلها تنقسم الحسنات
والسيئات والخيرات والشرور ولذلك جعل بالموت والحيوة بقوله الذي
خلق الموت والحيوة ليبلوكم ايكم احسن عملا وعلى ذلك جميع امور الدنيا
هو التقلب على مختلف الاحوال فمثله الدعاء الى الاسلام يكون مرة بحاجة
اليد ومرة باللسان ومرة بالترك لا ان جعل شيء من ذلك لشيء ولكن بما عليه
امر المحن فعلى هذا امر القتال في قوم والعفو عن قوم على ما في علم الله تعالى
من المصلحة وعلى ما عليه حق الحكمة ثم الفرق بين مشركي العرب وغيرهم
يخرج على وجوه احدها انهم قد كانوا اقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءهم
نذير ليكونن اهدى من احدى الامم فجاءهم نذير فكذبوه ثم اقسموا لئن
جاءتهم آية ليؤمنن بها فجاءتهم آيات فلم يؤمنوا فاستوجبوا القتال ان يؤمنوا

بالعهد الذي سبق والقسم الذي جحدوا به وليس لغيرهم هذا والثاني قوله ونقلب افئدتهم وابصارهم كما لم يؤمنوا به اول مرة فيتبين الاياس عن ايمانهم وقبول الجزية ليخالطوا اهل شريعة الله فيستمعوا منه الحجج ويعاينوا الافعال المحمودة في العقول والاخلاق الكريمة التي جاء بها الرسول فيؤمنوا وهؤلاء قد ايأس الله عن ايمانهم واخبر انهم ييأسون ابدا فلذلك لم يعط لهم العهد وعلى ذلك ظهر نقضهم العهود مرة بعد مرة والله اعلم والثاني انه استثنى فيهم ان لا يؤمنوا بالآيات الا ان يشاء الله فلعل الله شاء ان يكون ايمانهم بالقتال خاصة فيضطر منهم ذلك الى ان يؤمنوا والله اعلم ووجه آخر ان رسول الله بعث فيهم ومنهم فاوجبت لهم الفضيلة به ان لا يقبل منهم غير الايمان كما فضلت البقعة التي بعث فيها رسول الله ومنها ان لا يترك فيها غير المؤمنين تفضيلا له فهذا مثله والله اعلم ووجه آخر وهو انهم قوم ليس لهم راس ولا ائمة في الدين فيرجعوا اليهم في التأسيس ومعلوم ان لا قوام في العقول لامر الدين الا بالائمة كالسياسات كلها والامور التي فيها القوام من الملك وغيره بل انما كانوا اجروا على عادة ومضوا على المثال فلا يرجعون في الحقيقة الا الى عادة خارجة عن التدبير وغيرهم يرجعون الى مذاهب اسست على ما يشبه امر الديانات فقد تعلقوا بضرب من ذلك ونوعه وتركوا اذا خضعوا واذعنوا للمسلمين وصاروا اتباعا لهم بالذمة رجاء ان يتأملوا وينظروا وفيما سمعوا من الحجج اذ لكل ذي مذهب نظر وتأمل وليس لاولئك سوى العادة وتقليد الآباء ومن ذلك وضعه لا ينظر فيمهل للنظر والله اعلم ووجه آخر وهو ان مشركي العرب في حد القلة حتى لم يكونوا يقدرون على المناواة الا بمعونة اهل الكتاب وغيرهم فامكن ان يضطروا الى القتل لانه لا يمكنهم المقاومة مع المسلمين فيتحقق ما هو المراد من شرع القتل بيقين واما غيرهم من الكفرة في بقاع مختلفة وهم كثير لان لهم جامعا يجمعهم عليه وهو الدين الذي اسسوه بنار شهواتهم فكان ذلك سبب التكثر فاذا اجتمعوا لم يكن في وسع اهل الاسلام القيام له والقتال معه وفي الاقامة على القتال معه على كل حال ولا تقبل منهم الا السيف او الاسلام والقتال سبب الفناء والهلاك فينضم بعض الى بعض فيتناصرون حبا للحيوة فيخاف على المسلمين بما رجاء التكثر الفناء والهلاك فلم يتعين شرع القتل وسيلة الى

وجود الاسلام بل شرع معه عقد الذمة واخذ الجزية ليحصل المراد باي طريق يمكن ويفوض الامر الى الامام الذي هو صاحب الامر والراي في هذا الباب ليباشر ما يرى المصلحة فيه من الطرق والله اعلم ووجه آخر وهو ان مشركي العرب ليس لهم دين يدينون به ولا مذاهب معلومة اعتمدوا عليها يقاتلون ويناضلون عن ذلك الدين وليس لهم دين اعتمدوا عليه ولهذا لم يذكر في شيء من الكتب لهم مذاهب وانما هم كالسباع عادتهم السلب والقتل والاغارة والتناسل والذب عن القبائل وقد يترك العادات بما يعترض عليها مما يمنع الاستمرار عليها من القتال والحرب فاذا لم يبقوا ومضوا على ذلك يتركوا عادتهم في ذلك ويقبلوا ما امروا من الدين دفعا للضرر عن انفسهم في البقاء على العادة الاولى والجلب فيما امروا بالعود والى التيه فاما اهل المذاهب فانما لن مضوا عليها وداموا بها بالحجج مثل ذلك لا يترك الا بالحجج وبقبول عقد الذمة يتحقق هذا الغرض ليخالطوا المسلمين ويروا محاسن الحق وليسمعوا الحجج ويلزموا الدلائل عليهم فانه لا بد لذلك من زمان طويل يتدبرون ويتأملون فيها فلذلك افترقا ووجه آخر وهو انه يمكن الزام كل ذي مذهب بما يوجد في مذهبه ما يثبت القول بالاسلام ويفضي اليه فانا نقول لليهود والنصارى انهم اعتقدتم حقية دينكم بقول رسولكم وبالكتاب الذي انزل عليكم على لسانه وعرفتم كون ذلك الكتاب كتاب الله بقوله وانما عرفتم صدق قوله في انه رسول وما اتى به كتاب الله باعجازكم عن اتيان مثل ما اتى به من الدلائل والبراهين ومثل ذلك قائم لحقية هذا الدين الذي ادعوكم اليه فكان اعتقادكم حقية ذلك الدين لاجل قيام المعجزة يوجب عليكم اعتقاد هذا المذهب وانما نتوصل بهذه المناظرة بعد اعطينا العهد والذمة فكان فيه رجاء الوصول الى ما شرع له القتال فاما مشركوا العرب لم يبن مذهبهم على الحجج انما هو تقليد وعادة فليس معهم ما داموا به ما يفضي بهم الى الدين الحق فلذلك افترقا والله اعلم فان قال لنا ملحد انكم تقاتلون الكفرة بكفرهم ثم اذا اعطوكم شيئا من الاموال تركتم مقاتلتهم فلو كان قتالكم لا نفقا لهم الى الدين الحق لا للطمع في الدنيا لكنتم لا تتركون مقاتلتهم لشيء يبذلونكم وكذلك لو كانت المقاتلة للنزوع عن الكفر والوصول الى ما هو نجاتهم في الآخرة لكان الرجال والنساء في ذلك على السواء فنقول لهم انا لا نقاتل الكفرة لوجود الكفر منهم جزاء

علي كفرهم عقوبة عليهم ولكنا ندعوهم الي الاسلام اولا وان اجابوا الي ذلك
والا قاتلناهم لنضطرهم الي الاسلام ولهذا انما نقاتلهم لا لشي سواه فاذا كان
في اخذ الجزية وعقد الذمة ما يدعوهم الي الاسلام فاذا قبلوا ذلك تركناهم
علي ذلك لعلهم يرغبون الي الاسلام اذا راوا اشاريعا واحكامنا لا ان لا تركناهم
رغبة فيما ناخذ منهم او طمعا في ذلك واصله ما مر ان القتل بطريق المحنة
اذ الدار دار محنة لا دار جزاء والمحنة تكون بمختلف الاشياء لا يبتليها مرة
بالقتل نفسه ومرة باخذ الاموال ومرة بالشدايد وهو كقوله ولنبلونكم
بشي من الخوف والجوع الاية وقوله ونبلوكم بالشر والخير فتنة فاذا كان محنة
لا جزاء جاز ذلك فكان حكمه لحصول المراد بمختلف الطرق عند اختلاف الاحوال
والله اعلم وقوله بانكم تقاتلون الرجال دون النساء لانهن اتباع الرجال
في جميع الاحوال وخدم لهم يعتمدون علي راي الرجال لقصور رايهن فاذا
اسلموا اسلمن هذا هو المعروف فيما بينهم فكان شرع القتال واخذ الجزية
في حق الرجال بما يغني عن ذلك والله اعلم ولما ذكرنا ان القتال محنة لا جزاء
الكفر اذ الدار دار محنة وتكليف فله ان يمتحن بعضا بالقتل وبعضا باخذ المال
وبعضا لا بذا ولا بذاك فيبنى الامر علي تحقيق ما شرع لاجله ثاما لو كان بطريق
الجزاء لوجب التسوية بين الكل كالتخليد في النار في الاخرة جزاء وفاقا
والله اعلم قوله تعالي ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله يحتمل انهم لا يحرمون
تحريف الكتب وكتمان نعت رسول الله والله حرم ذلك عليهم ويحتمل ولا يحرمون
عبادة الاوثان والله ورسوله يحرمان ذلك ويحتمل ولا يحرمون ما حرم الله
ورسوله من الخمر والخنزير والميسر ونحوها والله اعلم قوله تعالي
ولا يدينون دين الحق اي دين الاسلام لانه دين يوجبه العقول كلها وليشهد
علي حقيته خلقة الخلايق كلها ويحتمل ولا يدينون دين الحق اي لا يدينون دينا
هو حق الله بل يدينون دينا لا حق له وهو دين الشيطان وهو ما يدعوهم الي
عبادة الاصنام فيجيبونه والله اعلم قوله تعالي حتى يعطوا الجزية يحتمل قوله
حتى يعطوا اي يقبلوها لا علي الاعطاء نفسه وهو كما ذكرنا في قوله فان تابوا واقاموا
الصلاة واتوا الزكاة هو علي القبول لها لا علي الفعل نفسه وهذا كذلك ويحتمل
نفس الاعطاء وهو والله اعلم ان الجزية جعلت لحقن الدم في المستقبل فيعطونها

ليحقن بها الدم علي حسب مضي الايام او ليلحقهم المشقة والصغار باخذ المال
جبرا وكرها في حال ابتداء العهد وقد عجزوا عن المقام بلقاء المسلمين حربا
اذ الظاهر انهم انما يسالون العهد في مثل هذا الحال فيحملهم ذلك علي الاسلام
والله اعلم قوله تعالي عن يد وهم صاغرون قال بعضهم اي لا يوخر
اخذها عن وقت قبولها بل توخذ يدا بيد لما قلنا فقال بعضهم عن يد اي عن قهر
وغلبة وجبر تحقيقا للصغار علي ما قالوا ينبغي ان يوخذ بتلابيبه ويهز هزا
ويقال له ادي الجزية يا عدو الله وقال بعضهم عن يد اي عن طوع وطيب
النفس وقيل عن جماعتهم لكنا لا ندري ما يعنون بالجماعة وقوله وهم
صاغرون قيل ذليلون وهو من الصغار وهو الذل يقال صغر يصغر صغارا
فهو صاغر اي ذليل وقيل صاغرون مذمومون وعن ابن عباس رضي الله
عنهما صاغرون اي يمشون بها متلببين والله اعلم ثم لا خلاف بين اهل
العلم ان اليهود والنصارى يقرون علي دينهم بالذمة واخذ الجزية واما
المجوس فانهم يقرون ايضا علي دينهم باخذ الجزية وقبول الذمة فانه روي عن
عبد الرحمن بن عوف ان رسول الله صلي الله عليه اخذ الجزية من المجوس فانه
قال سمعت رسول الله صلي الله عليه قال سنوا بهم سنة اهل الكتاب
في بعض الروايات اشهد ان رسول الله اخذ الجزية من مجوس هجر
وروي عن عمر رضي الله عنه انه قال ما الذي ما اصنع بالمجوس فانهم ليسوا
بمسلمين ولا من اهل الكتاب فقال له عبد الرحمن بن عوف اشهد لرسول الله
يقول سنوا بهم سنة اهل الكتاب وروي ان ابا بكر وعمر رضي الله عنهما
اخذ الجزية من المجوس وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه انا اعلم الناس
بهم كانوا اهل الكتاب يقرونه واهل العلم يدرسونه فنزع ذلك عن صدورهم
وعن ابي موسى قال لولا اني رايت اصحابي اخذوا الجزية من المجوس ما
اخذتها وعن ابي عبيدة الجراح قال كتب رسول الله صلي الله عليه الي المنذر
ان استقبل قبلتنا وصلي صلوتنا واكل ذبيحتنا فذلك المسلم الذي له ذمة الله وذمة
رسوله ومن احب ذلك من المجوس فهو مومن ومن ابا فعليه الجزية وعلي ذلك
مضت الامة ولم ينكره احد من السلف حتى قال قوم ان المجوس انما اخذت
منهم الجزية لانهم اهل كتاب فاحلوا نساءهم وذبايحهم اتباعا لما روي عن علي وقال

آخرون لبسوا من اهل الكتاب ولكن يوخذ منهم الجزية اتباعا لقول رسول الله
صلى الله عليه وسلم سنوا بهم سنة اهل الكتاب غير ناكحي نسايهم ولا اكلي ذبايحهم
ثم المسئلة في تقدير الجزية روي في بعض الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه
انه بعث معاذا الي اليمن فقال له خذ من حالم دينارا او عدله معافر
وروي عن عمر رضي الله عنه انه بعث عثمان بن حنيف الي السواد وامران
يضع علي اهل السواد الخراج ثمانية واربعين درهما واربعة وعشرين
درهما واثني عشر درهما وفي بعض الروايات انه ضرب علي اهل
الذهب اربعة دنانير وعلي اهل الورق اربعين درهما وضيافة ثلاثة
ايام ورزقا للمسلمين واصحابنا رحمهم الله جعلوهم ثلث طبقات اغنياء
واوساط وفقراء فيوخذ من الغني الموسر ثمانية واربعون درهما ومن
الوسط اربعة وعشرون درهما ومن الفقير المحترف اثنا عشر درهما وما
روي في بعض الاخبار اربعين درهما او اربعة دراهم لا يخالف ما ذكرنا
فان ذلك من غير المونة والضيافة والرزق الذي في الخبر وما ذكرنا من
ثمانية واربعين مع المونة والضيافة فهما سواء في المعني وهذا من عمر
رضي الله عنه بحضرة المهاجرين والانصار فلم يات من احد منهم النكير عليه
والرد فهو كالاتفاق منهم علي ذلك علي انه لا يحتمل ان يكون عمر قدر ذلك رايا
منه لان المقدرات والحدود ذات سبيل معرفتها التوقيف والسمع لا العقل فهو
كالمسموع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم واما حديث معاذ يحتمل ان النبي
انما امره بذلك لما كانوا اهل فقر وحاجة علي ما روي عن عمر في الضعفاء من اهل
مصر والشام وليس هو الحد الذي لا يلزم اكثر من ذلك الا تري ان عمر
الزم المياسير اكثر من دينار ولم ينكر ذلك احد من الصحابة فدلت اجماعهم
علي ما وصفنا ثم المسئلة في التمييز بين اصحاب الطبقات بين الغني الموسر وبين الوسط
وبين الفقير قال بعضهم الطبقة الاولي من ليس له مال يجب في مثله الزكاة علي
المسلمين وهم الفقراء المحترفون فمن كان له مال اقل من مايتي درهم فهو من اهل
هذه الطبقة ومن بلغ ماله مايتي درهم فهو من اهل الطبقة الثانية واذا بلغ ماله
اربعة الاف فصاعدا فصار من اهل الطبقة فاخذوا ذلك من قول علي وعبد الله
ابن عمر رضي الله عنهم قالا اربعة الاف درهم فما دونها نفقة وما فوق ذلك

كنز ويحتمل ان يكون الطبقة الثانية من ملك مايتي درهم الي عشرة الاف
درهم وما زاد علي ذلك يجعل من الطبقة الثالثة لما روي عن ابي هريرة رضي الله
عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من ترك عشرة الاف درهم جعلت
صفايح يعذب بها يوم القيامة ثم في قوله قاتلوا الذين لا يومنون بالله الي قوله
حتي يعطوا الجزية دلالة علي ان الجزية انما توخذ من المقاتلة دون من ليس باهل
لها من النسوان والصبيان فانه امر بالقتال الي حين اعطاء الجزية وانما
الداخل تحته اهل المقاتلة دون الصبيان والنسوان فان قتلهم حرام بالاجماع
وروي عن عمر رضي الله عنه انه كتب الي امراء الجيوش ان لا تقاتلوا الا
من قاتلكم ولا تقتلوا النساء والصبيان ولا تقتلوا الا من جرت عليه المواسي
وكتب الي عماله ان لا تضربوا الجزية علي الصبيان والنسوان وفي بعض الروايات
ان لا تاخذوا الجزية علي الصبيان الا علي من جرت عليه المواسي وكذلك روي
في حديث معاذ قال بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم الي اليمن وامرني
ان آخذ من كل حالم دينارا او عدله معافر فان قيل روي في حديث معاذ
امرني رسول الله صلى الله عليه وسلم ان آخذ من كل حالم وحالمة دينارا
وفي بعض الروايات امرني ان آخذ من كل حالم ذكرا او انثي دينارا قيل
ان كان الحديث محفوظا فيحمل علي ما يوخذ من نصاري بني تغلب ويكون
حكم نساء العرب فيما يوخذ منها من اهل الكتاب بخلاف حكم نساء العجم ويحتمل
انه غير محفوظ لان عمل الامة بخلافه لان الوفاق قد جري علي ان لا جزية
علي النساء ولو كان محفوظا لظهر العمل به ويحتمل قوله خذ من كل حالم وحالمة
دينارا اي خذ منهما دينارا ولا تاخذ من كل واحد منهما دينارا وفيه جعل المراة تبعا
للرجل في الجزية والله اعلم ثم يذكر مسئلة ليس في الاية ذكرها وهي ان الجزية
اذا ضربت فدخلت سنة اخري قبل ان يوديها اخذت منه الجزية للسنة
الثانية المستقبلة ولا توخذ للسنة الماضية وليست كسائر الديون عندنا
فان المجوسي اذا اسلم بعد مضي السنة لم يطالب بجزية العام الماضي ولو كانت
كسائر الديون لطولب بها بعد الاسلام كسائر الديون فان قيل اليس ان من
اخر الخراج من سنة الي سنة فانه يطالب به ولا يسقط فما بالكم في خراج الرؤوس
قيل ليست الجزية نظير الخراج فان الخراج يجب علي المسلم في ارضه فهو كسائر

الديون بخلاف الجزية فان المجوسي اذا اسلم بعد مضي السنة لا يطالب بها فانه
روي عن عمر رضي الله عنه انه رفع الجزية بالاسلام وقال والله ان في الاسلام
لمعاذا ان تفعل وقال عليه السلام ليس على مسلم جزية فمن طالبه بعد الاسلام
فقد خالف الخبر فان قيل ان المسلم انما يزول عنه الجزية الماضية لانه صار
الى حال لا يجوز ان يوضع الجزية عليه ابتداء فلا يكون اهل الجزية فلا يبقى بخلاف
الذمي اذا اخر فانه بقي اهلا حتى توضع عليه في السنة الثانية ابتداء قيل
ان الذمي اذا اجتمع عليه جزية سنتين فصار الى حال لا يجوز ان يلزم عليه
مثلها ابتداء فانه اذا كان فقيرا لا يجوز ان تزاد على اكثر من اثني عشر درهما فكذا
يجب ان لا يبقى الجزية الماضية حتى لا يوخذ ضعف ما وضع عليه في كل سنة
واصله ان الجزية انما جعلت لحقن الدم في المستقبل فاذا صار دمه محقونا
في السنة الماضية فلا توخذ الجزية لاجلها فانه لا حاجة الى ذلك كما اذا اسلم
او مات يسقط عنه الجزية لعدم الحاجة الى الحقن بها والله اعلم قوله
تعالى وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله وقال
في آية اخرى تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال
هدا ان دعوا للرحمن ولدا اخبر ان السموات تتفطرن وتنشق الارض
وتخر الجبال لعظيم ما قالوا في الله من البهتان والتمويه عليه ان له ولدا
ثم بين الذي قال ذلك فقال وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت
النصارى المسيح ابن الله اخبر بهذه الآية انهم قالوا ذلك وهم كانوا
علموا انهم قالوا في الله ما قالوا وانما ذكره لوجوه احدها لما فيه من اثبات
رسالة محمد عليه السلام لان هولاء كتموا ذلك فاخبر رسول الله انهم
قالوا ذلك وهم كانوا يكتمون عن رسول الله ليعلموا انه انما علم ذلك بالله
والله اعلم والثاني ليخبر رسوله سفههم ليصبره على سفه هولاء
ليصبر على سفههم واذاهم والثالث يخبر انهم مشبهة لانهم نسبوا
المخلوق اليه فقالوا ابن ولا تنا ابنه فلولا انهم عرفوا الله عز وجل بمعرفتهم المخلوق
والاشياء قالوا ذلك وما اعتقدوا من التشبيه والله اعلم قوله تعالى
ذلك قولهم بافواههم اي ذلك قول قالوه بلا حجة ولا برهان كانت لهم في
ذلك او قالوا بافواههم من غير شبهة اعترضت لهم تحملهم على ذلك

والله اعلم قوله تعالى يضاهون قول الذين كفروا من قبل يحتمل
هذا ان قد كان قبل هولاء من الكفرة من قد قال مثل قول هولاء ويحتمل
ايضا هون قولهم قول من سبق من الكفرة فيما قالوا من الشرك والكفر
والكذب والافتراء على الله وهو كقوله تشابهت قلوبهم اي في الكفر والمضاهاة
تقتضي المشابهة مطلقا لا من جميع الوجوه كقوله فقلنا اضربوه
ببعضها كذلك يحيي الله الموتى ليس ان يحيي الموتى كلهم كما احيى ذلك
القتيل لضرب بعض تلك البقرة عليه ولكن يحييهم احياء فعلى ذلك
قوله يضاهون قول الذين كفروا من قبل في الكفر نفسه ويحتمل
قوله ذلك قولهم بافواههم يضاهون قول الذين كفروا من قبل اي قول
النصارى ضاهى قول الذين كفروا من قبل وهم اليهود فان النصارى
قالوا لعيسى انه ابن الله كما قالت اليهود من قبل لعزير انه ابن الله فصرفوا
ذلك قولهم الى النصارى الذي هو الاقرب لا الى الجملة السابقة والله
اعلم قوله تعالى قاتلهم الله انى يوفكون هذه الكلمة كلمة اللعن تستعمل
عند مناكير القول والفعل من غير ارادة تحقيق ما وضعت له ثم قوله
انى يوفكون يحتمل متى اين يوفكون ويفترون على الله من غير شبهة
اعترضت لهم ويحتمل اي كيف يوفكون بلا منفعة تحصل لهم ومن غير
حجة وبرهان كان لهم والله اعلم قوله تعالى اتخذوا احبارهم
ورهبانهم اربابا من دون الله قيل الاحبار العلماء والرهبان العباد
وقيل الاحبار هم اصحاب الصوامع من اليهود والرهبان من النصارى
ثم قوله اتخذوا احبارهم ورهبانهم يحتمل انه خرج على سبيل التمثيل
اي السفهاء والاتباع اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا اي اتخذوا
في الطاعة لهم والاتباع لامرهم كانهم اتخذوا اربابا لا على التحقيق وهو
كما ذكرنا من تسميه عبادة الشيطان اليهم بقوله خبرا عن ابراهيم
يا ابت لا تعبد الشيطان اليهم بقوله ولا احد تقصد فقصد عبادة الشيطان
لكن صاروا بالطاعة له والايتمار لامره كانهم عبادة واما في المسيح فهو على
التحقيق فانهم قالوا انه اله وقالوا ابن الله فهو يخرج في المسيح على التحقيق
وفي الاحبار والرهبان على التمثيل ويحتمل ما روي في الخبر انه ثبت

انهم لم يعبدوهم ولكنهم احلوا لهم اشياء حرمها عليهم فاستحلوها وحرموا
اشياء احلها الله ذلك لهم فحرموا ذلك فقال اتخذوا احبارهم ورهبانهم
اربابا لهذا والله اعلم قوله تعالى وما امروا الا ليعبدوا الها واحدا
الاية يحتمل اي ما امروا ان يعبدوا الهة على ما يعبدون الاصنام والاوثان
ولكن امروا ان يعبدوا الها واحدا قوله تعالى يريدون ان يطفئوا نور الله
بافواههم قيل نور الله ذكر الله وتوحيده وقيل القران وقيل دين
الاسلام فان كان المراد من النور هو الذكر والتوحيد فمعناه والله اعلم
انهم لم يكونوا يعرفون ذكر الله ولا توحيده ولا يذكرونه ايضا انما يعرفون
ذكر الاصنام اياها يذكرون وبحق القرابة والرحم يتناصرون فيما بينهم فلما
ان بعث رسوله بذكر الله وتوحيده وبالتناصر بحق الدين ارادوا ان يطفئوا
ذلك النور ومن قال اراد بنور الله القرآن فقد ارادوا اطفاءه بقولهم
لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه وقولهم ما هذا الا اساطير الاولين
وقولهم ما هذا الا سحر مفترى ونحو ذلك ومن قال نور الله هو الدين
الحق لما فمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه وقال الله نور
السموات والارض وفي حرف ابي رضي الله عنه مثل نور المؤمن
وقد ارادوا اطفاء هذا النور وهو الدين الحق ليسلم لهم المنافع التي كانت
لهم بسبب الدين الباطل بما اتخذوا الاتباع خدما ومأكلة والله اعلم ثم
قوله يريدون ان يطفئوا اي يجتهدون ان يطفئوا نور الله فما يقدرون
على اطفائه ويحتمل يريدون اي يحتالون ان يطفئوه باسباب يتكلفون
مباشرتها قوله تعالى اي بالحجج والبراهين ويحتمل بالنصر
والاظهار وقد اتمه لقوله اليوم اكملت لكم دينكم قوله تعالى ولو
كره الكافرون ظاهر قوله تعالى هو الذي ارسل رسوله بالهدى
ودين الحق يحتمل بالهدى اي هدى يهديهم الى ما به يكون جميع المحاسن
والخيرات محاسن وخيرات وهو الايمان لان المحاسن والخيرات
انما تقوم بالايمان وبه ينتفع بها بعينه لذلك والله اعلم ويحتمل الهدى القرآن
اي به يهديهم ويبين لهم المحاسن من المساوي والحسنات من السيئات
وقوله ودين الحق اي وهو دين الحق الى الايمان الذي يصير

المحاسن محاسن والخيرات خيرات هو دين الحق ويحتمل قوله ودين
الحق اي دين الله بقوله ويعلمون ان الله هو الحق المبين قوله
تعالى ليظهره على الدين كله يحتمل وجوها يحتمل ليظهر رسوله
على اهل الدين كله بالحجج والايات وقد اظهره بحمد الله على اهل الاديان
كلها بالحجج والايات حتى لم يتهيأ لاحد معارضتها فضلا عن ان يتعرض لابطالها
مع بذلهم مهجهم في اطفاء هذا النور ويحتمل ليظهره على اهل الاديان
كلها بالقهر والغلبة والاذلال وقد كان حتى خضعوا له كلهم وذلوا
حتى لم يبق في جزيرة العرب مشرك ولا كافر وصاروا اهل الكتاب
قليلين صاغرين في ايدي المسلمين ويحتمل ليظهره على الدين كله اي ليظهر
دينه على الاديان كلها فان كان المراد ظهور دينه على غيره بالحجج والبراهين
فقد ظاهرا على الاديان وان كان اراد ظهوره من حيث القهر والغلبه
فبعد لم يكن ويقولون ان شاء الله يوم القيمة ثم قال على الدين كله ولم يقل
على الاديان كلها لان الدين متى عرف باللام كان المراد به الاديان
كلها كقوله يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم يدخل فيه كل انسان
وجائز انه سمي ذلك دينا لانه وان كان اديانا مختلفة فهي ترجع
الى الواحد لان الكفر كله ملة واحدة وهو دين الشيطان فسماه بذلك
لهذا والله اعلم قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا ان كثيرا من الاحبار
والرهبان ليأكلون اموال الناس بالباطل لانهم كانوا يأكلون اموالهم
بما يحرفون كتاب الله ويبدلونه كقوله يحرفون الكلم عن مواضعه
وقوله وان منهم لفريقا يلوون السنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب
وما هو من الكتاب الاية وهم انما حرفوا ذلك وبدلوه ليسلم لهم تلك
الاموال وذلك اكل بباطل لانهم خافوا ذهاب تلك المنافع والاموال
اذا اسلموا ولهذا والله اعلم سماهم اربابا في الاية الاولى لما انهم جعلوا
اموالهم اموالا لانفسهم وانفسهم عبيدا لهم فيكونون كالارباب
لهم والله اعلم قوله تعالى والذين يكنزون الذهب والفضة
ولا ينفقونها في سبيل الله يحتمل ان يكون هذا صلة قوله ليأكلون اموال
الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله اي اخذ اموالهم ليصدوا الناس

عن سبيل الله ويكنزونها ولا ينفقونها في سبيل الله انما انفقوا الصد
الناس عن سبيل الله ومنهم من حمل الآية علي منع الزكاة وقد روي في
الاخبار عن رسول الله صلي الله عليه عن بعض اصحابه ان كل مال ادي
الزكاة عنه فهو ليس بكنز وان كان تحت سبع ارضين وكل مال لم يود الزكاة
عنه فهو كنز وان كان علي وجه الارض ثم ان كانت الاية في الكفرة
فهو في القبول دون نفس الفعل وهو كقوله فان تابوا واقاموا الصلاة
واتوا الزكاة فخلوا سبيلهم وقوله والذين لا يؤتون الزكاة وهم بالاخرة
هم كافرون وذلك في القبول لا في الايتاء نفسه ومن اصحابنا من استدل
بهذه الاية علي لزوم ضم الفضة والذهب بعضه الي بعض لانه ذكر كنز الذهب
والفضة جميعا والحق الوعيد بترك الانفاق من الفضة بقوله ولا
ينفقونها في سبيل الله ولم يقل ولا ينفقونهما في سبيل الله فلولا ان الضم
واجب ويكون المودي عن احدهما مودا عن الاخر والا لم يكن لذلك معني
ثم هو في متعارف الناس انهم يودون من الفضة ثمن الذهب لان الذهب
اعز عندهم والفضة دونه والله اعلم قوله تعالي يوم يحمي عليها
في نار جهنم فتكوي بها جباههم وجنوبهم وظهورهم الآية جعل الله تعالي
تعذيب الكفرة في الاخرة بالاسباب التي منعتهم عن طاعة الله ودعتهم
الي مخالفة امره وجمع بينها في الدار كقوله ومن يعش عن ذكر الرحمن
نقيض له شيطانا فهو له قرين وقوله يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين
فبئس القرين وقوله احشروا الذين ظلموا وازواجهم وما كانوا يعبدون
من دون الله ونحو ذلك فعلي ما كنزوا واحمي عليها فتكوي بها جباههم وجنوبهم
وظهورهم يعذبهم بها لما منعتهم تلك الاموال عن طاعته ودعتهم الي الصد
الناس عن سبيل الله فجعل عذابهم والظهور بالكل به يحتمل ان يكون
الجبهة كناية عن ايام الرجل وتلقاء وجهه اي لما لم يقدموا الاموال الي
الاخرة ولم ينفقوها في سبيل الله تكوي بها جباههم لما حصل منهم التقصير
من هذه الجهة وقوله وجنوبهم وكل جهة فيلحقهم العذاب من كل جانب
وقوله وظهورهم لما انفقوا الاموال في الصد عن سبيل الله لتتقوي
بها ظهورهم لما انفقوا الاموال بمعاوية من يعطيهم الاموال ويحسنون

في حقهم والله اعلم ويحتمل ما ذكر هذا كناية عن احاطة العذاب بهم
من كل الجهات ليس كعذاب الدنيا يكون من جهة دون جهة وهو كقوله
لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش وقوله لهم من فوقهم ظلل من النار
ومن تحتهم ظلل اي يحيط بهم العذاب فعلي ذلك هذا وقوله افمن
يتقي بوجهه سوء العذاب يوم القيمة اي يحيط بهم حتي لا يقدروا علي
دفعه عن وجوههم والله اعلم وقد روي من الاخبار ما يدل علي وفق الآية
روي عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلي الله عليه وسلم
قال ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يودي حقها الا جعلت له يوم القيامة
صفايح ثم احمي عليها في نار جهنم يكوي جنبه وجبهته وظهره في يوم كان
مقداره خمسين الف سنة حتي يقضي بين الناس فيري سبيله اما
الي الجنة واما الي النار وما من صاحب بقر ولا غنم لا يودي حقها
الا اوتي بها يوم القيمة تطاه باظلافها وتنطحه بقرونها ثم ذكر فيه ما
ذكر في الاول قالوا يا رسول الله فصاحب الخيل قال هي لثلث لرجل
آجر ولرجل ستر ولرجل وزر فاما من ربطها عدة في سبيل الله فانه لو انه
طول لها في مرج خصب او في روضة فكتب الله له عدد ما اكلت حسنات
وعدد اروائها حسنات ولو انقطع طولها ذلك فاستنت شرفا
او شرفين كتب الله له عدد آثارها حسنات ولو مرت بنهر عجاج لا يريد
منها السقي فشربت كتب الله عدد ما شربت حسنات ومن ارتبطها
عن او فخرا علي المسلمين كان له وزرا يوم القيامة ومن ارتبطها تغنيا
تعففا ثم لم ينس حق الله به في رقابها وظهورها كانت له سترا من النار
يوم القيامة فان ثبت هذا الخبر ففيه دلالة وجوب الزكاة في الخيل وهو
حجة لابي حنيفه رحمه الله لانه قال ثم لم ينس حق الله له في رقابها وظهورها
والحق الذي في رقابها هو الزكاة والذي في ظهورها الجهاد عليها والله اعلم
قوله تعالي ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله قوله
في كتاب الله يحتمل اللوح المحفوظ علي ما قاله اهل التاويل ويحتمل كتاب الله
اي في حكم الله قوله تعالي عند الله يحتمل اللوح المحفوظ عند الله لا اطلع
عليه غيره وفيه تقديم وتاخير كانه قال ان عدة الشهور اثنا عشر

شهرا في كتاب الله عند الله اي في اللوح المحفوظ الذي هو عند الله لا يطلع عليه غيره ويحتمل وعند الله اي في علمه لا يقف عليه الا من اطلعه الله عليه علي ما عرفته العرب فكان تاويله علي هذا والله اعلم علي ما قال بعضهم ان الله تعالي جعل عدة الشهور اثنا عشر شهرا بالاهلة علي ما عرفته العرب لما دفعوا الي معرفة ذلك ولم يوقف غيرهم من العجم والروم حتي يعدوا السنة بالايام دون الاهلة والعرب تعرف بالاهلة علي ما خلقها الله تعالي يوم خلق السموات والارض منها اربعة حرم فيكون في هذا اظهار فضيلة العرب والله اعلم ويحتمل انما ذكره اخبارا منه لنبيه ان الله جعل اربعة من الشهور الاثني عشر حرما وكانت العرب تدين بذلك وتمتنع عن القتال والاغارة فيها الي ان امتد بهم الزمان وكان معيشتهم من الاغارة وكان عادتهم القتال والثبات فيشق عليهم توالي اشهر حرم لا يصيبون منها شيئا علي ما قال بعضهم ان اشهر الحرم عند العرب شوال وذوا القعدة وذي الحجة ومحرم وقال بعضهم ثلثة سرد ذوا القعدة وذوا الحجة ومحرم وواحد فرد وهو رجب حتي لهم القتال في المحرم وحرم في صفر بدلا عنه في سنة ثم حرم في المحرم واحل في صفر في سنة اخري واحد من روسا العرب وكان له شوكة وقوة وكانت العرب لا يخرجون عن حكمه فبقي ذلك الي زمن النبي فنزلت الاية ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السموات والارض منها اربعة حرم الي ان قال انما النسئ زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما الاية في الاية بيان علي ان القتال حرام في هذه الاشهر الحرم في ابتداء الاسلام علي ما كان اهل الجاهلية يحرمونه وزاد فيه شيئا حيث عاب اصحاب النسئ باستحلالهم القتال في المحرم وتاخيرهم الحرمة الي صفر وجعله زيادة في الكفر فقال انما النسئ زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما فعابهم بتحليل المحرم وتحريم المحلل وقد وردت الاحاديث موافقة الاية فانه روي عن النبي عليه السلام انه خطب في الموسم وقال في خطبته الا ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق السموات والارض السنة اثنا عشر شهرا اربعة حرم ثلاث

متواليات ذوا القعدة وذوا الحجة ومحرم ورجب مضر الذي بين جمادي وشعبان ثم قال رسول الله صلي الله عليه وسلم اي شهر هو واي يوم هو واي بلد هو قالوا بلد حرام وشهر حرام ويوم حرام فقال اراها قالوا بلي فقالوا اللهم اشهد وفي بعض الاخبار زيادة فقال انما النسئ زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا عدة ما حرم الله وذلك انهم كانوا يجعلون سفرا عاما حراما وعاما حلالا ويجعلون المحرم عاما حراما وعاما حلالا فكان النسئ من الشيطان الحديث الي اخره فدلت الاحاديث علي ان النبي صلي الله عليه وسلم كان يحرموا القتال فيها اذ بين الاشهر الحرم وعاب الكفرة بتغيير ذلك النسبة وجعل النسئ زيادة في الكفر ثم ان الله تعالي نسخ ذلك بقوله فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ونحو ذلك من الايات وصار القتال واجبا في الشهور كلها والله اعلم فان قال قايل ما معني الحديث الا ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق السموات والارض الحديث بطوله قيل يحتمل ما اشار في الحديث ان الله تعالي جعل اربعة اشهر حرما وبينها وهو رجب وذوا القعدة وذوا الحجة والمحرم والعرب في الجاهلية غيرت فجعل المحرم حلالا في سنة واقامت صفرا مقامه وفي السنة الاخري عملت علي ما وضع الله تعالي من تحريم المحرم واحلال صفر واعتقدت ذلك دينا وشرعا لهم فاخبر عليه السلام ان ... استدار الزمان علي الهيئة التي كانت ... وضع الله علي الاضافة الي اعتقاد العرب لما عملت دينا وشرعا حقا وان كان لا يتغير الا بنسخه لا بتغيير البشر او اراد من حيث العمل اي يتغير الا ان العمل علي الوجه الذي وضعته العرب ويعود الي ما وضعه الله تعالي والله اعلم ويحتمل وجها اخر ما ذكر عن مجاهد رحمه الله قال فرض الله تعالي الحج في ذي الحجة ولهذا سمي المشركون هذا الشهر الذي فيه فرض الحج ذا الحجة ثم غيرت العرب هذا الحكم فكانوا يحجون في ذي الحجة عامين ثم في المحرم عامين وسموه ذا الحجة ثم سموا المحرم صفرا وسموا الصفر ربيعا الي اخره ثم في صفر في عامين حتي وافقت حجة ابي بكر بعد الاسلام في ذي القعدة

في آخر العاشر ثم حج النبي صلى الله عليه وسلم حجته في ذي الحجة فلذلك قال
في خطبته في الموسم ألا ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق السموات
والارض اي آن وقت الحج الذي امر الله بالحج فيه هذا الشهر وقد غيرته
العرب والآن عاد الى الاصل والله اعلم وروي عن محمد بن اسحاق انه قال
سألت ابن ابي نجيح عن قول رسول الله ان الزمان قد استدار كهيئته
يوم خلق السموات والارض فقال كان قريش يحجون في كل سنة شهرا
وانما كانوا يوافقون ذا الحجة في كل سنتين عشرة سنة مرة فوفق الله تعالى
لرسوله في حجته التي حج ذا الحجة فحج فيها فقال ألا ان الزمان قد استدار
حتى صار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض والله اعلم قوله تعالى
ذلك الدين القيم قيل ذلك الحساب اي حساب الاشهر قيم اي صح على
ما خلقه الله تعالى وقيل ذلك الدين القيم اي القضاء العدل والله اعلم
قوله تعالى فلا تظلموا فيهن انفسكم قال بعضهم اي لا تظلموا في الاشهر
كلها جعل هذه الاشهر شهودا عليكم من المعاصي والخيرات فقال لا تظلموا
في هذه الاشهر التي تاتي بكم بكل خير وبكل نعمة ثم تنصرف بما تعملون فيها
من الشر والخير شهودا فاحذروا عن الظلم فيها والله اعلم ويحتمل فلا
تظلموا في هذه الاربعة الاشهر الحرم خص هذه الاربعة بالنهي عن الظلم
فيها وان كان الظلم حراما في الاماكن كلها بقوله سواء العاكف فيه والباد
ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب اليم والله اعلم قوله تعالى وقاتلوا
المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة يحتمل قوله كافة اي مجتمعين معناه قاتلوهم
مجتمعين كما يقاتلونكم مجتمعين وقيل كافة جماعة وهما واحد ويحتمل
كافة اي الى الابد اي قاتلوهم في الوقت الذي يقاتلونكم ابدا كما يقاتلونكم
قوله تعالى واعلموا ان الله مع المتقين اي في النصر والمعونة قوله تعالى
انما النسيء زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا اي ما احدث اولئك الملوك
من العرب من تحليل ما حرم الله وتحريم ما احل الله على ما ذكرنا كيفيته
زيادة في كفر اولئك الذين احدثوا من وقت احداثهم قوله تعالى
يضل به الذين كفروا يحتمل وجهين يحتمل يضل به اي يهلك الذين كفروا
اي الذين احدثوا او يحتمل يضل به الذين كفروا اي ما احدث اولئك الملوك

انما احدثوا ليضل به الاتباع قوله تعالى يحلونه عاما ويحرمونه
عاما ذكر في القصة انهم كانوا يستحلون المحرم عاما فيصيبون فيه الدماء
والاموال وهو معنى النسيء وتفسيره فان النسيء في اللغة هو التاخير
قال ابو عوسجة النسيء التاخير يقال نسأت الشيء اي اخرته ويقال
انسأ الله اجلك ونسأ في اجلك وكذا قال القتبي النسيء التاخير وكانوا
يوخرون تحريم المحرم منها سنة ويحرمون صفرا مكانه لحاجتهم الى القتال
فيه ثم يردونه الى التحريم في سنة اخرى كانهم يستنسئون ذلك قوله تعالى
ليواطئوا عدة ما حرم الله قيل ليوافقوا عدة ما حرم الله كان عندهم انما كان
لعدد الاشهر لا للاشهر لما في الاشهر من زيادة معنى يقتضي الحرمة فحفظوا
عدد الاشهر الحرم في سقوط مقام التحريم في المحرم لكي لا ينقص عدد الاشهر
الحرم قوله تعالى فيحلوا ما حرم الله اي انهم وان اشتغلوا بالنسيء
ليواطئوا عدة ما حرم الله اي انهم فقد احلوا ما حرم الله وحرموا ما احل الله
اذ المحرم عين هذه الاشهر لا اربعة اشهر غير متعينة فوقعوا في تحريم
الحلال وتحليل الحرام لما وجد منهم من الظن الفاسد او يحتمل انهم اذا حرموا
شهرا آخر مكان الشهر الحرام لم يبالوا ان يحلوا الحرام ويحرموا الحلال قوله
تعالى زين لهم سوء اعمالهم اي زين لهم تاخير المحلل وتقديم المحرم قوله
تعالى والله لا يهدي القوم الكافرين قد ذكرناه في غير موضع ثم هذه الآية
والآية التي قبلها ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا كانهما في مشركي العرب
وسائر الآيات التي قبلها من قوله اتخذوا احبارهم ورهبانهم من دون الله
وقوله يا ايها الذين آمنوا ان كثيرا من الاحبار والرهبان في اهل الكتاب غير
ان ملوك العرب اتخذوا انفسهم اربابا والاتباع عبيدا من دون الله حتى يتبعوهم
في جميع ما يحلونه ويحرمونه كما ان اليهود والنصارى اتخذوا انفسهم اربابا وانفس
اولئك عبيدا لهم فكانه قال للمؤمنين ان ملوك العرب واحبار اليهود والنصارى
اتخذوا انفسهم اربابا والاتباع عبيدا فانتم يا معشر المؤمنين لا تتخذوا انفسكم اربابا
والاتباع عبيدا الا ترى انه قال في الآية التي تتلوا هذه يا ايها الذين آمنوا
ما لكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم الى الارض ارضيتم من
الحيوة الدنيا من الآخرة عاتب المؤمنين بالتثاقل في الخروج الى القتال

ونهاهم عن الركون الى الدنيا والله اعلم قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا
ما لكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم الى الارض قال بعضهم الآية نزلت
في المنافقين الذين تخلفوا عن رسول الله في غزوة تبوك لا في المسلمين وكذلك
قوله انفروا خفافا وثقالا وهو كقوله ومن حولكم من الاعراب منافقون
ومن اهل المدينة مردوا على النفاق ففيهم ذكر ذلك الوعيد وقال بعضهم
الآية نزلت في المؤمنين وكذلك قوله انفروا خفافا ثم اختلفوا بعد ذلك فقال
عامتهم هي في حالة مخصوصة وهي غزوة تبوك لان النبي عليه السلام خرج فيها
بنفسه الا ترى الى قوله لو كان عرضا قريبا وسفرا قاصدا لاتبعوك ولذلك
وقع التشديد على من تخلف عن تلك الغزاة وقعد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قوله وعلى الثلاثة الذين خلفوا لانهم تخلفوا عن رسول الله فاما في الحال
التي لم يخرج فيها النبي صلى الله عليه وسلم وبعد وفاته فلا يجب على الناس جميعا ان يخرج
الى الجهاد يدل على التفرقة بين الحالين قوله ما كان لاهل المدينة ومن حولهم
من الاعراب ان يتخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يرغبوا عن نفسه
فهذه الحالة التي اوجب الله تعالى الخروج فيه على المسلمين جميعا فاما في الحال الاخرى
فان الله تعالى قال لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير اولي الضرر والمجاهدون
في سبيل الله باموالهم وانفسهم فضل الله المجاهدين باموالهم وانفسهم على القاعدين درجة
وكلا وعد الله الحسنى واوعد القاعدين عن رسول الله ما اوعدهم الا من تاب عليه
منهم وهم الثلاثة الذين خلفوا والله اعلم وقال بعضهم هذا في المؤمنين في جميع الغزوات
في جميع الاوقات ولكن نقول ان اراد بهذا ان النفر واجب على المسلمين ما لم
تشحن الثغور فاذا شحنت زال الفرض عن القاعدين فهو صحيح وان ارادوا الفرض
في عموم الاوقات فليس بصحيح لانه يخالف ما ذكرنا من الآيات ولان اصحاب رسول الله
كانوا اعلم بكتاب الله واولى ان يتبعوه وهم ما خرجوا كلهم الى الجهاد بل بعضهم قاعدون
مع النبي صلى الله عليه وسلم وبعضهم خرجوا الى الجهاد وكذلك بعد وفاته صلى الله
عليه وسلم لم يخرجوا كلهم الى الجهاد وقد قال الله تعالى وما كان المؤمنون لينفروا
كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين الآية قال ابن عباس
رضي الله عنهما اي ينفر طائفة ويمكث طائفة مع النبي صلى الله عليه وسلم فالماكثون
الذين يتفقهون في الدين وينذرون اخوانهم اذا رجعوا اليهم من الغزو بما نزل

من الكتاب والحدود والله اعلم ثم قوله اثاقلتم الى الارض قيل اثقلتم القعود
في سبيل الله واقمتم ويحتمل التثاقل هو ان يروا انفسهم الثقل من غير
ان يكونوا اقاموا ولم ينفروا كما يقال تصامم وتعامى اذا ارى من نفسه الصمم
والعمى من غير ان كان به ذلك وقال بعض اهل الادب اثاقلتم اصله تثاقلتم
وركنتم الى المقام وذلك في القرآن كثيرا كقوله حتى اذا اداركوا فيها جميعا اي
تداركوا والله اعلم قوله تعالى ارضيتم بالحيوة الدنيا من الآخرة
فما متاع الحيوة الدنيا في الآخرة الا قليل اي ما متعكم في الدنيا قليل بما قبله ما
وعد ان يمتعكم في الآخرة ويحتمل اي متاع الدنيا من اولها الى آخر ما ينتهي
قليل عند متاع الآخرة وكراماتها لان كرامات الدنيا على شرف الزوال وكرامات
الآخرة على الدوام والبقاء ويحتمل متاع الحيوة الدنيا قليل عند متاع الآخرة لان متاع
الدنيا ومنافعها يشوبها الآفات والمضرات ومنافع الآخرة خالصة لا يشوبها
الآفات والمضرات والله اعلم قوله تعالى الا تنفروا يعذبكم عذابا
اليما اي ان لم تنفروا فان كانت الآية في المنافقين ففي ظاهره وان كانت في
المؤمنين فيحتمل قوله يعذبكم عذابا اليما اي يحل بهم العذاب ولم يبين ما ذلك
العذاب انه على الخلود ام لا وقال بعضهم شدد الله تعالى الوعيد في تركهم النفر
والخروج في سبيل الله مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك على ما شدد
بعد في التولية عن الدبر بقوله ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال او متحيزا
الى فئة فقد باء بغضب من الله الآية غير انه شدد يوم بدر لما لم يكن لهم ملجا وكان
فرارهم نفاذ نفاق وههنا شدد لغير ذلك فانه قد ظهر للمؤمنين ملجأ وفئة يتحيزون
اليها وذلك من وجوه احدها ما تخلف المؤمنين موضع العذر للمنافقين بالتخلف عن
رسول الله والقعود على الجهاد فيقولون انهم لم يتخلفوا للعذر فمن تخلف ايضا للعذر
ولنا في ذلك عذر والثاني يكون للكفار موضع الاحتجاج عليهم فيقولون انهم يوعدونا
في الآخرة ويخوفونا على ذلك ثم انهم يتعوذون عن ذلك ويرغبون عنه والثالث
يكون في تخلفهم اثبات الشوكة للكفار على المؤمنين اذ قتل المؤمنون اذا تخلفوا والله اعلم
قوله تعالى ويستبدل قوما غيركم قيل فيه بوجوه قيل ليستبدل الملائكة
ينصروا رسول الله على ما استبدل يوم بدر ويوم حنين وقيل يستبدل قوما
غيركم فينصرونه على ما استبدلكم يا اهل مكة وقال بعض اهل التأويل يستبدل

فو ما عنيكم اي يتشاءو وما غيركم لكن الاول اشبه الاوي انه قال على اثره الا تنصروه
فقد نصره الله قوله تعالى ولا تضروه شيئا هو ما ذكرنا اي لا تضروا
رسول الله صلى الله عليه بالتخلف عنه وقال بعضهم اي لا تضروا الله شيئا والاول اشبه
قوله تعالى الا تنصروه فقد نصره الله يقول ان لم تنصروا رسول الله فالله ينصره
على ما نصره في الوقت الذي كان في الغار لم يكن معه احد من البشر الا واحد وان
لم تنصروه فالله كافيه في نصره على ما كفاه فاذا نصره في الحال التي لم يكن معه احد من البشر
الا واحد فاليوم لا ينصره ومعه من الاعوان والانصار ما لا يحصى واصله ان الله تعالى
انما استنصرهم لا لحاجة له الى نصرهم اذ قادر ان ينصر رسول الله بما شاء لكن طلب
النصر له منه ليكتسب بذلك ثوابا لانفسهم وذخرا في الاجال وعلى هذا ما
طلب من الشكر من العباد على نعمة اعطاهم لا لحاجة له في ذلك ولكن ليستديموا
النعمة ويصلوها الى النعمة الباقية فكذلك استنفار رسول الله اياهم وامره
بالخروج الى العدو لم يكن لمكان نفسه اذ يعلم ان الله كافيه وناصره ولكن انما يستنفرهم
ويأمرهم بالخروج لمكان انفسهم ليكتسبوا بذلك ثوابا وثوابا عند الله وزلفى الا ترى
انه قال الا تنفروا يعذبكم عذابا اليما وقال ولا تضروه شيئا اي ان لم
تنفروا ولم تنصروا رسول الله فلا تضروه شيئا اذ الله كافيه في نصره وانما عاتبهم
بترك النفر والخروج لئلا يركنوا الى الدنيا ولا يرضوا بالحيوة الدنيا من الاخرة
علما ان اولئك الكفرة لان ركونهم الى الدنيا وحبهم اياها هو الذي منعهم
عن اتباع محمد وهو الذي حملهم على الكفر بالله والتكذيب لرسوله وترك
الاجابة له فيما يدعوهم اليه فيقول والله اعلم للمؤمنين لا تركنوا الى الدنيا
ولا ترضوا بها من الاخرة ليمنعكم ذلك عن النفر والخروج الى ما يأمركم رسول الله
على ما منع اولئك الكفرة والله اعلم قوله تعالى اذ اخرجه الذين كفروا
اي اضطروه الى الخروج حين هموا بقتله حتى خرج من بين اظهرهم والله اعلم
قوله تعالى ثاني اثنين اذ هما في الغار ثاني اثنين اي لم يكن معه احد
من البشر الا واحد وهو ابو بكر رضي الله عنه وانما ذكر هذا لوجهين احدهما
انه يعرف انه لم يكن بالواحد النصر والحفظ من الاول ليعلموا ان النصر لم يكن
باحد من البشر وانما كان ذلك بالله تعالى والثاني يذكر لاظهار فضيلة ابي بكر
اي هو ثانيه في كل امره قوله تعالى اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله

معنا لم يكن حزن ابي بكر خوفا على نفسه ولكن اشفاقا على رسول الله ان يصاب
وكذلك روي في الخبر انه قال لرسول الله يا رسول الله انك ان تصاب
يذهب دين الله ولن يعبد الله على وجه الارض وفي بعض الاخبار ان ابا بكر
رضي الله عنه كان يبكي اشفاقا على رسول الله فقال له رسول الله صلى الله عليه
وسلم ما يبكيك فقال ما ذكرنا فقال له يا ابا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما
وقيل انهما اتيا باب الغار فسبق ابو بكر فدخل الغار وكان الغار معروفا بالهوام
فالقمها ابو بكر قدميه فاطال ذلك فقال ان كان فيه شيء بدا بي او كلام نحو
هذا والله اعلم وقوله ولا تحزن ليس ينهى عن الحزن لان الحزن فعل طبيعي
لا يتصور النهي عنه ولكن على تخفيف الامر عليه وتيسير الحال التي هو عليها
قوله تعالى فانزل الله سكينته عليه حين انزل سكينته على ابي بكر
حين قال له رسول الله ما ظنك باثنين ثالثهما الله حتى سكن قلب ابي بكر رضي الله
عنه من الحزن والخوف على رسول الله وقال بعضهم انزل السكينة على رسول الله
وهو يخرج على وجهين احدهما انه انزل السكينة عليه حتى حين راى
جنودا ولم يروها حيث قال وايده بجنود لم تروها والثاني انزل سكينته
عليه بالحجج والبراهين لكنه ان كان ما ذكر فهو قد انزل السكينة عليه في الابتداء
فانه كان عليه السلام لا يخاف سوى الله ويعلم انه ينصر لا محالة وكذلك
روي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال فانزل الله سكينته عليه اي على ابي بكر لان
النبي لم يزل السكينة معه وهذا اشبه قوله تعالى وايده بجنود لم تروها
يحتمل في ذلك الوقت الذي في الغار ويحتمل في الغزوات التي نصر الملائكة يوم بدر
وغيره يخبر الله تعالى انه قادر ان ينصر لا بالبشر ليعلموا انه انما يأمرهم بالنفر
لا لنصر رسول الله ولكن ليكتسبوا بذلك ما ذكرنا من الثواب والله اعلم ٥
قوله تعالى وجعل كلمة الذين كفروا السفلى يحتمل كلمة الذين كفروا هي ما
مكروا برسول الله وهموا بقتله فجعل كيدهم ومكرهم واجتماعهم على ذلك هو السفلى
قوله تعالى وكلمة الله هي العليا اي مكر الله تعالى بهم ونصره رسوله هو العليا
وهو كقوله واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك الاية وقوله
ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين ويحتمل قوله كلمة الذين كفروا دينهم الذي
يدينون به ومذهبهم الذي ينتحلونه السفلى اي جعل ذلك السفلى بالحجج وجعل

دين محمد هو العليا بالحجج والبراهين على ما كان ويحتمل قوله كلمة الذين كفروا
السفلى اي جعل اهل الكلمة الذين كفروا هم الاسفلين واهل دين الله
هم الاغلبين وهو كقوله وانتم الاعلون قوله تعالى والله عزيز حكيم عزيز
لا يعجزه شيء حكيم في امره قوله تعالى انفروا خفافا وثقالا اختلف في تاويله
قيل شبانا وشيوخا وقيل مرضا واصحاء وقيل مشاغيل وغير مشاغيل
وقيل فقراء واغنياء وقيل نشاطا وغير نشاط واصله انفروا مستخفين
ومستثقلين اي انفروا خف عليكم الخروج او ثقل او خف على الطبع او ثقل وما
ذكر اهل التاويل من الشيخوخة والشغل والفقر والمرض يرجع الى هذا
لان ذلك مما يثقل به الخروج والنفر فكان التاويل في الحاصل انفروا خف
عليكم او ثقل والله اعلم قوله تعالى ذلكم خير لكم اي ذلك النفر والجهاد
خير لكم من المقام في الدنيا والآخرة ان كنتم تعلمون قوله تعالى لو كان عرضا
قريبا وسفرا قاصدا لاتبعوك قال بعض اهل التاويل لو كان عرضا قريبا
اي غنيمة قريبة وسفرا قاصدا اي هينا سهلا لاتبعوك في ذلك وقيل العرض
الدنيا وسفرا قاصدا اي ليس فيه مشقة واصله لو كان عرضا قريبا اي منافع
حاضرة وسفرا قاصدا اي منافع غائبة منتظرة والعرض هو المنافع يقول
لو كانت لهم منافع حاضرة اي غير حاضرة لا تبعوك فيما استتبعتهم لان عادتهم
اتباع المنافع يعني عادة المنافقين وهو كقوله ومن الناس من يعبد الله على حرف
فان اصابه خير اطمان به وان اصابته فتنة انقلب على وجهه اخبر انهم يعبدون الله
على حرف فاما المؤمنون فهم يعبدون الله تعالى في كل حال في حال السعة وفي
حال الضيق ويتبعون رسول الله ولا يفارقونه كانت لهم منافع او لم تكن قوله
تعالى ولكن بعدت عليهم الشقة يعني المسير قوله تعالى وسيحلفون بالله
لو استطعنا لخرجنا معكم يحتمل قوله لو استطعنا لخرجنا معكم اي لو كان لنا ظهر
وسلاح لخرجنا معكم او لو كان لنا زاد وما نشتري بها نحارب به لخرجنا معكم
قوله تعالى يهلكون انفسهم قيل يهلكوا انفسهم بايمانهم الكاذبة انهم لا يستطيعون
وقيل يهلكون انفسهم بتركهم الخروج لانهم يقتلون اذا تركوا الخروج لظهور نفاقهم
بذلك كقوله ملعونين اينما ثقفوا اخذوا وقتلوا تقتيلا ويحتمل يهلكون انفسهم في الآخرة
بنفاقهم في الدنيا والله اعلم قوله تعالى والله يعلم انهم لكاذبون اخبر ان لهم استطاعة

على ذلك وانهم كاذبون انه لا استطاعة لهم حيث قال في آية اخرى ولو
ارادوا الخروج لاعدوا له عدة ثم ان المعتزلة تعلقت بهذه الآية على ان
الاستطاعة تتقدم الفعل لانه اخبر انهم كاذبون فيما يقولون انه ليس معنا
ما ننفق وما نشتري به السلاح ولكنا نقول ان الاستطاعة على وجهين استطاعة
الاسباب والاحوال واستطاعة الافعال فاستطاعة الاسباب والاحوال
يجوز ان تتقدم وهذه الاستطاعة هي استطاعة الاسباب الا ترى انه قال
ولو ارادوا الخروج لاعدوا له عدة ومن قولهم ان استطاعة الافعال لا تبقى وقتا
ثم اخبر ان استطاعتهم كانت باقية اوقاتا دلت ان المراد بها استطاعة الاسباب
والاحوال دون استطاعة الافعال والله اعلم قوله تعالى عفا الله عنك
لم اذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين اي لما ذا اذنت
لهم بالتخلف حتى يطلعك الله على نفاقهم فيامرك بالاذن بالتخلف في حق المؤمنين
دون المنافقين من المخلص فيكون ذلك لك آية من آيات النبوة لما فيه من
علم الغيب ولا يعلم الغيب الا من يطلعه الله عليه ويحتمل ان تاذن لهم يتبين لك
نفاقهم لانهم يتخلفون ويفارقونك وان لم تاذن لهم والذين صدقوك لا يفارقونك
ما لم تاذن لهم فتبين لك هؤلاء من هؤلاء ويظهر كذب هؤلاء وصدق المؤمنين
وفي قوله عفا الله عنك لم اذنت لهم دلالة على ان النبي صلى الله عليه وسلم
انما اذن لهم بالتخلف بلا امر من الله ولا اطلاق تنصيصا حيث عاتبه على ذلك واحتاج
هو الى العفو عن ذلك فيكون فيه دلالة جواز العمل بالاجتهاد اذ لو كان اذن
لهم بالتخلف بامر الله تعالى بذلك نصا لم يكن ليعاتبه الله على الاذن بقوله لم اذنت
لهم فدلت انه انما اذن لهم بالتخلف بالاجتهاد لما كان في غالب ظنه واكبر رايه
على انهم انما يستاذنونه بالقعود عن الجهاد لعذر لهم فان قيل كيف عاتب
رسول الله بما اذن لهم بالقعود عن اجتهاد واجتهاده حق فانه اخبر انه كان انما
يحكم بما اراه الله بقوله لتحكم بين الناس بما اراك الله قيل يحتمل انه انما عاتبه
على ترك الافضل لان ترك الاذن لهم بالقعود افضل من الاذن بذلك لما ذكرنا
انه يتبين به الصادق من الكاذب ويكون فيه آية من آيات الرسالة ويجوز ان
يعاتب على ترك الافضل ويحتمل ان يكون قوله عفا الله عنك لم اذنت لهم لم يكن
على طريق المعاتبة معه ولكن على طريق التعليم من الله اياه ان كيف يعامل الناس وكيف

يتعامل الناس بعضهم بعضا وهو ان يبدأ بالكلام بما هو بر وثناء ودعاء فيقول عافاك الله
وابقاك الله وايدك الله ونحو ذلك ثم يشرع في الكلام ليكون انجع في القلب كما
ذكر الله تعالى عفى الله عنك على سبيل المدح واللطف مع النبي انه يراد به الاخبار
عن العفو والله اعلم ومن الناس من استدل بهذه الآية على تفضيل رسول الله
على غيره من الانبياء لانه جل وعز ابتدأ بذكر العفو عما استوجب العفو عنه وكذلك
في جميع ما ذكر من العتاب لم يذكر زلته وذكر في سائر الانبياء الزلات وسماهم
بها دونه والله اعلم قوله تعالى لا يستاذنك الذين يؤمنون بالله واليوم
الآخر ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم اي لا يستاذنك الذين يؤمنون بالله بالتخلف
عن الجهاد بغير عذر انما يستاذنونك بعذر قوله تعالى انما يستاذنك
الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر بالقعود والتخلف عن الجهاد بغير عذر وارتابت
قلوبهم فهم في ريبهم يترددون اي في شكهم يترددون فان قيل ان الله تعالى
عاتب رسوله بالاذن بالقعود والتخلف عن الجهاد لمن استاذنه بذلك وذم الاستيذان
بالقعود عن الجهاد في هذه الآية وذكر في سورة النور وقال انما المؤمنون الذين
آمنوا بالله ورسوله واذا كانوا معه على امر جامع لم يذهبوا حتى يستاذنوه
الى ان قال فاذن لمن شئت منهم لم يجعل الاستيذان مذموما بل جعله
علامة الايمان واثبت له الخيار في الاذن واباح له الاذن لمن شاء فكيف
التوفيق بين الاثنين فنقول ذكر عن الحسن انه قال ان هذه الآية نسخت
بالآية التي ذكرت في سورة النور فلم يكن الاذن بالقعود مباحا في الابتداء ثم صار
رخصة تخفيفا على الناس وكذلك روي عن ابن عباس لكن هذا لا يحتمل لانه ذكر ان
سورة النور لم يكن من آخر ما نزلت ولما ذكرنا ان النبي كان ياذن للبعض في القعود
ويامر للبعض بالخروج في سائر الغزوات وانما التشديد في غزوة تبوك بقوله
انفروا خفافا وثقالا الآية ولكن انما عوتب النبي بالاذن في التخلف في حق اولئك
لانهم كانوا من المنافقين واستاذنوا من غير عذر والنبي لا يعلم بذلك وبني
الامر على ظاهر الحال ولم ينتظر بلوغ الوحي فعوتب لهذا قوله تعالى واذا
كانوا معه على امر جامع لم يذهبوا حتى يستاذنوه في المؤمنين فلا يستاذن المؤمن
الا لعذر كذلك روي عن ابن عباس ويحتمل ان الاستيذان في هذه الآية
من قوم لحقتهم تهمة النفاق ولو لم ياذن لهم النبي في الامتناع والتخلف لتخلفوا بغير

اذن فكان يظهر نفاقهم به ويعرف كذبهم فيما اظهروا من الايمان فعوتب بالاذن
في التخلف لهذا فاما قوله واذا كانوا معه على امر جامع لم يذهبوا حتى
يستاذنوه في المؤمنين الذين لا نفاق لهم ولم يكونوا ممن يذهبون لو لم
ياذن لهم فقال فاذا استاذنوك لبعض شانهم يعني هؤلاء الذين قد
صح عندك ايمانهم ولا تحتاج الى امتحانهم لمعرفتك بهم فاذن لمن شئت منهم
فامن التوفيق بين الاثنين على هذا الوجه فلا يحملان على التناسخ والله اعلم
قوله تعالى ولو ارادوا الخروج لاعدوا له عدة يحتمل ان يكون هذا
في غزوة تبوك على ما قاله اهل التاويل انهم امروا بالخروج والتاهب للغزو
فعزموا ان لا يخرجوا فعوتبوا على ذلك ويحتمل ان يكون هذا في جميع الغزوات
عزموا واعتقدوا ان لا يخرجوا ولا يتاهبوا له قط وقالوا لو استطعنا لخرجنا
معكم فاكذبهم الله تعالى واخبر انهم كذبة وانهم اغنياء لكنهم عزموا ان لا يخرجوا
ولا يعدوا له عدة والله اعلم قوله تعالى ولكن كره الله انبعاثهم يحتمل لم
يرض الله خروجهم وانبعاثهم ثم بين الوجه الذي لم يرض لاجله ما ذكر في قوله
لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا اي فسادا الى آخر الآية ويحتمل كره الله
انبعاثهم اي لم يرد الله خروجهم لما علم منهم انهم لا يخرجون وانما لم يرد لما يبقى
من الخبال والفساد ونحو ذلك والانبعاث الخروج وقال ابو عوسجة الانبعاث
القيام وفي حرف ابن مسعود رضي الله عنه ولكن كره الله خروجهم قوله تعالى
فثبطهم قيل حبسهم واصل التثبيط التثقيل ومعناه انه علم الله تعالى منهم
ان خروجهم وانبعاثهم لم يرد المسلمين الا خبالا فمنعهم عن الخروج الى الجهاد من حيث
الخذلان والحرمان حيث لم يوفقهم على ذلك ولم يعصمهم عن التخلف ويحتمل ان
خلق فيهم الفعل الذي كان منهم من الكسل والتثاقل الذي هو ضد الانبعاث
ولم يخلق فيهم الانبعاث وفيه دلالة خلق الله تعالى فعل الشر ويكون في ذلك
خير لغيره وان كان هو شرا لهم فعلى ذلك خلق فعل المعصية من العاصي وهو
شر له وقد يكون ذلك خيرا لغيره والله اعلم قوله تعالى وقيل اقعدوا
مع القاعدين يحتمل قوله اقعدوا لما استاذنوا رسول الله بالقعود اذن لهم
في ذلك على ما وقع عنده ان لهم عذرا في ذلك ويحتمل ان يكون ذلك من الله تعالى
فان كان منه فهو على التهدد والتوعد لا على الامر بالفعل ويحتمل ان يكون ذلك

من الشيطان وا سوس اليهم ان اقعدوا تثبيطا منه اياهم بالقعود والتخلف والله اعلم
قوله تعالى لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا اي لو كانوا خرجوا فيكم
ما زادوكم الا خبالا الا ترى انه قال ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم ولو كانوا خرجوا
لم يكن ليثبطهم ذلك انهم لم يكونوا خرجوا او الخبال الفساد والشر وقيل الغي
فيها واحد ثم يحتمل زيادة الخبال وجوها يحتمل ان يكونوا عيونا للعدو يخبرونهم
عن عورات المسلمين ويحتمل انهم كانوا يخبثون اهل الاسلام كقوله خبرا عنهم
الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم ويحتمل ما ذكر من
الايضاع بعد هذا بقوله ولاوضعوا خلالكم قيل هو من ايضاع الابل خلالهم
اي يخللون الابل فيما بينكم وقيل ولاوضعوا خلالكم اي اوضعوا رواحلهم حتى
يدخلوا بينكم حتى لا يصيبهم الاذى كانوا يتسترون بالمسلمين لئلا يصيبهم شيء من
البلاء والشدة وقال القتبي ولاوضعوا من الوضع وهو سرعة السير وقيل
هو من عدو الابل يقال اوضعت الابل وركضت الفرس واجريت الحمار
قوله تعالى خلالكم اي بينكم وقيل الخلال القتال وذلك انهم يباشرون
اسبابا يدخل فيهم النقصان والفشل ويفضي بهم الى الهلاك والفشل قوله تعالى
يبغونكم الفتنة قيل يبغون منكم الفتنة وهي الشرك الذي كانوا هم عليه ويحتمل
ما ذكرنا من القتل وادخال الفشل والجبن فيهم والله اعلم قوله تعالى
وفيكم سماعون لهم ويحتمل اي بينكم من المنافقين الذين قعدوا ولم يخرجوا
يسمعون للمؤمنين الذين لم يخرجوا ايضا بما يكرهون يقولون الدبرة على المؤمنين
ونحو ذلك ويحتمل ان يكون هولاء المنافقون سماعين للكفرة وخبرا وعيونا
يخبرونهم عن عورات المسلمين وضعفهم ويحتمل وفيكم من المؤمنين سماعون
لهم لانه قيل انه كان في اصحاب النبي اهل محبة لهم وطاعة لشرفهم فيهم
وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال في قوله يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون
لهم كان الرجل يرى الجماعة من المسلمين فيضرب دابته حتى يدخل بينهم فيقول
لهم ابلغكم ما بلغني ان العدو امامكم يريدون البيات وفعلوا كذا وهيئوا
لكذا قوله تعالى والله عليم بالظالمين اي لا عن جهل امهلهم على ما هم عليه
ولكن اخرهم ليوم قوله تعالى لقد ابتغوا الفتنة من قبل يحتمل الفتنة
الوجهين اللذين ذكرناهما قوله تعالى وقلبوا لك الامور قيل اي تكلفوا

واجتهدوا ليطفئوا هذا النور ويحتمل قلبوا الامور ظهرا لبطن ليمكروا برسول الله
ويقتلوه قوله تعالى حتى جاء الحق وظهر امر الله قيل دين الاسلام
وقيل حجج الله وادلته وهو كقوله يريدون ان يطفئوا نور الله بافواههم
قوله تعالى وهم كارهون اي هم كارهون لظهور دين الاسلام وهو
كقوله ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون قوله تعالى ومنهم من
يقول ائذن لي ولا تفتني فيه دلالة ان لا كل منافقين قالوا ذلك انما قال
بعضهم وبعضهم قالوا غير هذا ثم قوله ولا تفتني قيل لا تمتحني بالمحنة
التي فيها الهلاك والمشقة اي لا تامرني بامر فيه الهلاك فقال تعالى الا في
الفتنة سقطوا اي الا في المشقة والبلاء والهلاك يقع قوله تعالى وان
جهنم لمحيطة بالكافرين هذا يدل على ان اهل النفاق كفرة لانه ذكر في اول
الاية وصف المنافقين ثم سماهم كفرة بقوله لمحيطة بالكافرين وقيل
ولا تفتني اي ولا تؤثمني وقيل ولا تحرجني وقيل ولا تكفرني وقيل
ولا تفتني اي لا تكن سبب فتنتي ومعصيتي اي لا تامرني بالخروج ولكن ائذن
لي بالخروج لانك ان امرتني بالخروج ولم تاذن لي بالقعود والتخلف فقعدت
وتخلفت كنت عاصيا تاركا لامرك فكنت انت سبب عصياني فتكون انت
سبب فتنتي وقيل ولا تفتني اي تامرني بالمشقة والشدة ولكن بالدعة
والسعة وهم كانوا عباد السعة والرخاء حيث كانوا مالوا اليه كقوله ومن
الناس من يعبد الله على حرف الاية ومنهم من قال ان رجلا يقال له الجد
ابن قيس قال اني اذا رايت النساء لم اصبر حتى افتتن ولكن اعينك بمالي
ففيه نزل قوله قل انفقوا طوعا او كرها لن يتقبل منكم وهو قول ابن عباس
يقول لا تامرني بالخروج فاني مولع بالنساء لا اصبر اذا رايتهن فلا ندري
كيف كانت القصة والله اعلم قوله تعالى الا في الفتنة سقطوا اي الا
في الشرك والاثم سقطوا على تاويل من يقول قوله ولا تفتني لا تؤثمني ولا
تحرجني وعلى تاويل من قال ولا تفتني ولا تشق علي ولا تامرني بالمشقة
والشدة والضيق يقول الا في الشدة والضيق سقطوا والله اعلم قوله
تعالى وان جهنم لمحيطة بالكافرين اي تحيط بهم حتى لا يجدوا منفذا ولا مخلصا
لما تحيط بهم من فوق وتحت وامام وخلف ويمين وشمال فتحيط بكل جارحة

منهم وهو كقوله لهم من فوقهم ظلل من النار الآية قوله تعالى ان تصبك
حسنة تسوهم وان تصبك مصيبة يقولوا قد اخذنا امرنا من قبل قبل ان
تصبك حسنة من الغنيمة والنصر والظفر على الاعداء تسوهم ذلك وان
تصبك مصيبة اي النكبة والهزيمة يفرحوا بها ويقولوا قد اخذنا امرنا من
قبل ثم قوله قد اخذنا امرنا من قبل يحتمل اي اخذنا امرنا من قبل اي قد
اظهرنا الموافقة للمؤمنين في الظاهر وكنا مع الكافرين في السر والينا هم
في الحقيقة وهو ما ذكرنا من انتظارهم احد الامرين في قوله الذين يتربصون
بكم فان كان لكم فتح من الله قالوا الم نكن معكم وان كان للكافرين نصيب
قالوا الم نستحوذ عليكم ونمنعكم من المؤمنين قوله تعالى ويتولوا
وهم فرحون يحتمل تولوا اولئك الكفرة وهم فرحون وفي الآية دلالة
اثبات الرسالة لانه معلوم ان ما يسوهم كانوا يضمرون ويسرون عنه ثم
اخبر عما اسروا واضمروا ودلت انه انما علم ذلك بالله تعالى قوله
تعالى قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا قال بعضهم الا ما كتب الله ما جاء به
القرآن وهو قوله ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان
لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا
الآية ويحتمل قوله لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا اي ما رزقنا الله تعالى
من الكرامة والمنزلة والنعم الدائمة في الآخرة ويحتمل الا ما احل الله لنا
واباح وقيل الا ما قضى الله لنا ولكن لا يقال قضى فيما يكون لهم وانما يقال
فيما عليهم فانما يقال كتب له وكتب عليه فصار معنى الآية وتأويلها
لن يصيبنا الا ما كتب الله وان كنتم انتم تفرحون بذلك فيما يصيبنا من الشر
قوله تعالى هو مولينا اي فالذي كتب هو مولانا اي هو ربنا ونحن
عبيده فله ان يكتب لنا ما يشاء من الخير والشر قوله تعالى وعلى الله
فليتوكل المؤمنون يحتمل وجهين يحتمل على الاخبار اي على الله يتوكل المؤمنون
لا يتوكلون على غيره ويحتمل ان يكون على الامر اي على الله توكلوا ايها المؤمنون
قوله تعالى قل هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين عن ابن عباس رضي الله
عنهما اي هل تربصون بنا الا الشهادة وهي الحيوة والرزق الدائم والكرامة
كقوله ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون

فرحين بما آتاهم الله من فضله ويحتمل الا احدى الحسنيين في الدنيا الغنيمة والظفر
وقيل هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين اما الحيوة الدائمة في الآخرة
والرزق الحسن والكرامة واما الغنيمة والظفر والنصر في الدنيا هذا تربصون
بنا وقوله ونحن نتربص بكم اي يصيبكم الله بعذاب من عنده او بايدينا اي من
عند الله وهو العذاب في الآخرة ان قتلتم او بايدينا اي القتل بايدينا وقوله
فتربصوا انا معكم متربصون اي تربصوا بنا ما تتربصون انا معكم متربصون العذاب
بكم ثم قوله هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين انما سمى ذلك احدى
الحسنيين وهم كانوا لا يتربصون بنا الا الشر والهلاك كما اخبر عنهم بقوله ويتربص
بكم الدوائر ولا يتربصون بنا الحسنى ولكن الذي تربصوا بنا وان كان عندهم
هلاك ودائرة فهو للمؤمنين الحسنى في الآخرة لذلك سماه احدى الحسنيين
والله اعلم قوله تعالى قل انفقوا طوعا او كرها لن يتقبل منكم قال بعضهم الآية
في الجهاد ان المنافقين كانوا يؤمرون بالجهاد والقتال مع الكفرة على ما امر
اهل الايمان به ثم منهم من كان يخرج للجهاد ومنهم من كان يجهز غيره ويقعد ومنهم
من كان يخرج كارها ويجوه فنزل قوله قل انفقوا طوعا او كرها اي خوفا لن يتقبل
منكم ومنهم من قال الآية في الزكوة لان الله تعالى فرض الزكاة في اموال
المؤمنين والمنافقون قد اظهروا الايمان وكانوا ينفقون ويؤدون الزكاة
لكن من كان منهم يؤدي طوعا ومنهم من يؤدي كرها فقال قل انفقوا طوعا او كرها
لن يتقبل منكم ثم بين ما به لا يتقبل نفقاتهم ما ذكر انكم كنتم قوما فاسقين وقال
وما منعهم ان تقبل منهم نفقاتهم الا انهم كفروا بالله وبرسوله ولا ياتون الصلاة الا
وهم كسالى ولا ينفقون الا وهم كارهون بين انهم كانوا يرون ذلك قربة لكفرهم وفسقهم
وكانوا ينفقون وهم كارهون في الباطن والتقرب الى الله تعالى لا يكون الا عن
طوع واختيار ثم هذه الآية وجهان من الدلالة احدهما اثبات رسالته لانه
اخبر انهم لا ياتون الصلاة الا وهم كسالى وهم في الظاهر كانوا ياتونها على ما كان
ياتي المؤمنون وكذلك اخبر انهم كانوا ينفقون وهم كارهون لذلك وكانوا ينفقون
في الظاهر مثل انفاق المسلمين وقد اخبر انهم ينفقون سرا ثم مع كونهم كارهين
في السر دلت انه عرف ذلك بالله تعالى والثاني فيه دلالة ان لا تقوم قربة ولا تقبل
الا على حقيقة الايمان والايمان هو شرط اقامة هذه العبادات وقبول القرب لان

٢٨٩

انفسها ايمان حيث ابطل طاعاتهم لانهم كانوا يظهرون الايمان ويسرون الكفر
والله اعلم ثم قوله انكم كنتم قوما فاسقين يحتمل انكم كنتم فاسقين ويحتمل كنتم
اي صرتم فاسقين بما نفقتم وانتم كارهون اذ هم قد اظهروا الايمان ثم تركوه
كقوله ذلك بانهم آمنوا ثم كفروا واخبر انهم كانوا آمنوا ثم كفروا فعلى ذلك الاول
قوله تعالى ولا ياتون الصلاة الا وهم كسالى اي انهم لا ياتون الصلاة الا
مستثقلين لانهم كانوا لا يرون لها فريضة وفي كسالى ثلاث لغات كسالى وكُسالى وكسلى
قوله تعالى فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم انما يريد الله ليعذبهم بها في الحيوة
الدنيا قال بعضهم هو على التقديم والتاخير كانه قال فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم
في الحيوة الدنيا انما يريد الله ليعذبهم بها في الآخرة وبعضهم اجروا الآية على ظاهرها
اي انما يريد الله ليعذبهم بها في الحيوة الدنيا قال بعضهم هو على التقديم والتاخير كانه
قال فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم في الحيوة الدنيا انما يريد الله ليعذبهم بها في
الآخرة ثم التعذيب في الدنيا يحتمل ما فرض عليهم من الجهاد وامروا بالخروج
للقتال وكان ذلك يشق عليهم ويشتد فذلك هو التعذيب لهم في الدنيا وهو كقوله اشحة
عليكم فاذا جاء الخوف رايتهم ينظرون اليك الآية ويحتمل القتل في الدنيا ان لم
يخرجوا يقتلون ثم في الآية دلالة الرد على المعتزلة لانهم يقولون انه لا يعطي احدا شيئا
الا ما هو اصلح له في الدين والله تعالى قال لرسوله فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم
ولو كان لم يعطهم الاموال والاولاد الا للخيرات والصلاح فكانه قال له لا تعجبك
ما اعطيتهم من الخيرات والصلاح وذلك بعيد وهو كقوله ايحسبون انما نمدهم
به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون اخبر ان الكفار يحسبون
ان ما نمدهم به من مال وبنين ليسارعوا الى الخيرات ثم قال بل لا يشعرون انما نمدهم
به لا للخيرات فدل انه قد يعطي خلقه ما ليس هو باصلح لهم في الدين والله الموفق
وفي قوله انما يريد الله ليعذبهم بها في الحيوة الدنيا دلالة على المجبرة في نقض قولهم
ان لا فعل للخلق لانه اخبر انه يعذبهم بها لما استعملوها في غير مواضعها ولا يعذبهم مجانا
فيما لا فعل لهم فيه دل ان لهم صنعا في ذلك وانه انما يعذبهم بفعل اكتسبوه وفي
قوله انما يريد الله ليعذبهم بها دلالة على ان ليس كل ما يعطيهم انما يعطيهم ليرحمهم به ولكن
يعطيهم لما علم منهم فان كان علم منهم انهم يستعملون ما اعطاهم من الاموال وغيرها فيما فيه
هلاكهم اعطاهم من الاموال لذلك ومن علم منهم انه يستعمله لنجاتهم اعطاهم لنجاتهم

٢٩٠

وليرحمهم به فانما اعطى كلا لما علم انه يكون منهم لانه لو اعطاهم على غير ما علم منهم يكون
في اعطائه مخطئا وهذا بعيد والله الموفق قوله تعالى وتزهق انفسهم كقوله
وتزهق الباطل اي ذهب وكذلك ابو عبيدة اخبر وتزهق انفسهم وهم
كافرون اخبر عن الغيب وكان كما اخبر دل انه علم بالله تعالى قوله تعالى
ويحلفون بالله انهم لمنكم اي يحلفون انهم لمنكم في الدين والباطن والحقيقة لانهم كانوا
يظهرون الايمان فاخبر وقال وما هم منكم اي وما هم منكم في الدين في الباطن
وان ادعوا انهم منكم قوله تعالى ولكنهم قوم يفرقون اي يخافون القتل
فيظهرون الموافقة قوله تعالى لو يجدون ملجأ او مغارات او مدخلا
لولوا اليه قيل لو وجدوا حرزا ومغارات يعني الغيران في الجبال او مدخلا
اي سربا في الارض لولوا اليه اي لرجعوا اليه وكذا روي عن ابن عباس
قال الملجأ الحرز والمغارات الغيران والمدخل السرب وقال ابو عوسجة
المغارات مثل الملجأ وهو مكان يتحصنون فيه ومدخلا هو موضع يدخلونه
ايضا قوله تعالى وهم يجمحون قيل يسعون وقال ابو عوسجة اي يسرعون
يقال جمحت الدابة تجمح جماحا فهي جامحة وهو من الاسراع وكذلك قال القتبي
وقال ابو معاذ الجموح هو الراكب راسه وهواه وقال بعضهم قوله او مدخلا
اي لو يجدون ناسا يدخلون ما منا يامنون به لولوا اليه وهم يجمحون اي لصاروا
اليه مسرعين ولا يظهرون لكم الايمان ولكن ليس لهم ذلك قوله تعالى ومنهم
من يلمزك في الصدقات اي من المنافقين ثم اختلف اهل التاويل في قوله يلمزك
في الصدقات قال بعضهم اي يزرونك لمكان الصدقات طمعا فيها لتعطيهم
الصدقات وقيل اي يزرونك ليسالوك من الصدقات اي انما يزرونك لمكان
الصدقات لتعطيهم لا يزرونك ولا ياتونك لمكان الرسالة او الرغبة
في الدين ولكن لمكان الصدقات فان اعطوا منها رضوا عنك ويعظمونك وان لم
يعطوا اذا هم يسخطون ومنهم من قال ومنهم من يلمزك في الصدقات اي يطعن
عليك في الصدقات اي في قسمة الصدقات وروي عن ابي سعيد الخدري رضي الله
عنه قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم قسما له فجاءه رجل فقال له ابو
الخواط فقال اعدل يا رسول الله فقال له ثكلتك امك ومن يعدل اذا لم اعدل انا
فقال عمر ائذن لي يا رسول الله اضرب عنقه فقال النبي عليه السلام دعه

فان له اصحابا يحتقر احدكم صلوته الي صلوتهم وصيامه الي صيامهم يمرقون
من الدين كما يمرق السهم من الرمية ذكر حديثا طويلا فكان هذا الرجل خرج
٢٩١
من الخوارج وقيل هو الذي قتله علي بن ابي طالب رضي الله عنه ثم قوله
يلمزك يقرا برفع الميم وبكسره وقال ابو عبيدة اللمز العيب يقال لماز
ولامز وهماز وهامز بمعني ومنه قوله ويل لكل همزة لمزة وقال القتبي يلمزك
اي يطعن عليك ويعيبك يقال همزت فلانا ولمزته اذا اغتبته وطعنت عليه
قوله تعالي ولو انهم رضوا ما اتيهم الله ورسوله اي ما اتاهم الله من الرزق
ورسوله من الصدقات وقالوا حسبنا الله لكان خيرا لهم مما طمعوا في هذه
الصدقات وطعنوا رسول الله في ذلك وقال بعضهم رضوا ما اتيهم الله من
فضله اي رضوا بما رزق لهم لكان خيرا لهم مما فعلوا وقال بعضهم ولو انهم
رضوا ما اتيهم الله من فضله اي من الصدقات التي كان اعطاهم رسول الله ورغبوا
الي الله لكان خيرا لهم مما طمعوا في تلك التصدقات وطعنوا رسول الله وسخطوا
عليه والله اعلم قوله تعالي انما الصدقات للفقرآء والمساكين الاية
يشبه ان يكون الاية في بيان موضع الصدقة لا لاثبات الشركة بين الاصناف
الثمانية وانما ذكرها لبيان اسباب الاستحقاق التي ترجع الي معني واحد
وهو الحاجة يدلك علي ذلك ما ذكرنا من سبب نزول الاية ان المنافقين
كانوا يلمزون رسول الله ويسالونه من الصدقات فان اعطاهم رضوا منه
وان لم يعطهم منه طعنوا وعابوا عليه كما ذكر بقوله ومنهم من يلمزك في الصدقات
فان اعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون فبين الله تعالي
هذه الاية انما الصدقات للفقرآء ان الصدقات ليست لهولاء ولكن لفقرآء
المسلمين والمساكين من المسلمين ومن ذكر من هولاء الاصناف من المسلمين
لا لهم وعلي ذلك جاءت الاخبار والاثار روي عن رسول الله صلي الله عليه وسلم
انه وضع صدقات باعيانها حملت اليه في صنف واحد وروي عن حذيفة
رضي الله عنه انه قال هولاء اهلها ففي اي صنف وضعتها اجزاك وعن
ابن عباس رضي الله عنهما انه قال كذلك وعن عمر رضي الله عنه انه كان اذا
جمع صدقات المواشي البقر والغنم نظر منها ما كان منيحة اللبن فيعطيها لاهل
بيت واحد علي قدر ما يكفيهم فكان يعطي العشرة للبيت الواحد ثم يقول

عطية تكفي خير من عطية لا تكفي او كلام نحو هذا او روي عنه انه سيل عما
يوخذ من صدقات الاعراب كيف يصنع بها فقال والله لاردن عليهم
الصدقة حتي يروح علي احدهم ماية ناقة او ماية بعير وروي عن علي
٢٩٢
رضي الله عنه انه اتي بصدقة واحدة فبعثها الي اهل بيت واحد
فهولاء نجباء الصحابة استجازوا وضع الصدقة في صنف واحد ولو كان
ذكر هذه الاصناف للاستحقاق لكان هولاء الصحابة فهموا ذلك ولا
يظن بهم ابطال حقهم وعن ابي سعيد الخدري قال بعث علي رضي الله عنه
وهو باليمن الي النبي صلي الله عليه وسلم ذهبة في ترابها فقسمها النبي
صلي الله عليه وسلم بين الاقرع بن حابس وبين زيد الخيل وبين عيينة
ابن حصين وعلقمة بن علاثة فغضبت قريش والانصار وقالوا يعطي صناديد
اهل نجد فقال انما اتالفهم ولو كان كل صدقة مقسومة علي الثمانية بطريق
الاستحقاق لما دفع النبي الذهبة الي المولفة قلوبهم دون غيرهم وروي
عن ابن عباس رضي الله عنهما ان النبي صلي الله عليه وسلم بعث معاذا الي
اليمن فقال له واعلمهم ان الله تعالي فرض عليهم في اموالهم صدقة توخذ
من اغنيايهم وترد في فقرآيهم ولم يذكر الاصناف الاخر ولان الله تعالي
ذكر بحرف اللام فقال انما الصدقات للفقرآء وانه للتمليك وبيان الحق
لهم دون غيرهم لا للتسوية لغة وانما حرف بين موضوع للشركة والتسوية
الا تري انه يقال الميراث لقرابة فلان وان لم يكن يستحقه كل الاقربا
لما انه يراد به ان لا حق للاجنبيين فيه انما هو حقهم ولو قيل الميراث
بين قرابة فلان كان خطا لان بين يقتضي المحاصة لجميعهم وليس كذلك في
الشرع وكذلك يقال الخلافة لبني العباس والسدانة لبني عبد الدار والسقاية
لبني هاشم يراد بذلك ان لا حق فيها لغيرهم لا انها بينهم بالخصص علي التسوية
ولو قيل الخلافة بين بني العباس والسدانة بين بني عبد الدار والسقاية
بين بني هاشم لكان خطا ولذلك قال علماونا رحمهم الله فيمن قال ثلث
مالي لفلان وللموتي انه كله لفلان ولو قال هو بين فلان وبين الموتي كان
لفلان نصفه ولو كان الامر علي ما قال القوم ان الصدقة تقسم بين هولاء
الاصناف الثمانية بالتسوية لكان قال انما الصدقات بين الفقرآء الاية

فان قيل اليس ان الرجل اذا قال ثلث مالي لفلان وفلان اليس انه يقسم
بينهما بالسوية كما اذا قال ثلث مالي بين فلان وفلان فكذلك يجب ان يكون
الحكم في الآية كذلك قيل هذا الافتراق لم يكن من موجب الصيغة فان
هذه الصيغة لا توجب الاشتراك والتسوية وانما موجبها ما قلنا الا ان في
الوصية لما جعل الثلث حقا لهما دون غيرهما وهو شي معلوم لا يزيد بعد
الموت ولا يتوهم له مدد وليس احدهما باولي من الآخر فيقسم بينهما علي السواء
نظرا لهما جميعا فاما الصدقات فليست باموال متعينة لا تحتمل الزيادة
والمدد حتي تحرم البعض لصرفها الي البعض بل هي يردف بعضها بعضا
واذا فني مال يجي مال آخر واذا امضت سنة تجي سنة اخري بمال جديد
ولا انقطاع للصدقات الي يوم القيمة فاذا صرف الامام صدقة ياخذها
من قوم الي صنف منهم لم يثبت الحرمان للباقين فيحمل اليه صدقه اخري
فيصرف الي فريق فلا ضرورة الي الشركة والتسوية في كل ما يحمل الي
الامام من الصدقات والله اعلم وبعد فانه لم يذكر من احد من الايمة
انه تكلف طلب هولآ الاصناف فقسمها بينهم وكذلك لم يذكر عن احد من
ارباب الاموال انهم دفعوا صدقة واحدة بين هولآ ولو كان الواجب
هو القسمة علي السوية بينهم لم يجز ان لا يقسموها كذلك ويضيعون حقوق
هولآ وبعد فانه لو تكلف الامام ان يظفر بهولآ الثمانية ما قدر علي ذلك
دل انه لم يخرج الخطاب مخرج ما توهم القوم ولان الحق لو كان هو التسوية
بينهم في كل صدقه ثم لكان اذا لم يوجد في بلدة مكاتبون او احد من هولآ
الاصناف لوجب ان يسقط مقدار حصتهم عن اربابها وذلك بعيد وكيف
يكون الصدقه مقسومة علي ثمانية اسهم ولا خلاف في ان يعطي العاملون
قدر عمالتهم وذلك قد يزيد علي الثمن وقد ينقص واذا زالت القسمة
في احد الاصناف زالت في الجميع واعطي كل صنف منهم بقدر حاجته
كما اعطي العمال وكيف يصنع المخالف لنا بسهم المولفة قلوبهم وقد ارتفع ذلك
ولنج اليس يرد ذلك الي ساير السهام فاذا جاز ان يزاد علي الثمن في وقت
جاز ان ينقص منه في وقت والله اعلم ثم قوله انما الصدقات
للفقرآ والمساكين اختلف في تفسير الفقرآ والمساكين قال الضحاك
الفقرآ

الفقرآ هم المهاجرون لقوله للفقرآ المهاجرين والمراد من المساكين الذين
لم يهاجروا وقال قتادة الفقير الذي به زمانة وله حاجة والمسكين المحتاج
الذي لا زمانة به وقال الحسن الفقير الذي لا يسال والمسكين الذي
يسال وعن الزهري قال الفقرآ هم المتعففون في بيوتهم لا يخرجون
ولا يسالون الناس والمساكين الذين يسالون ويخرجون من قوله
يحسبهم الجاهل اغنيا من التعفف وعن ابن عباس رضي الله عنهما
قال الفقرآ فقرآ المسلمين والمساكين الطوافون وعن عمر رضي الله
عنه انه قال ليس المسكين الذي لا مال له المسكين الذي لا يصيب
المكسب ثم ان ابا هريرة روي عن النبي صلي الله عليه قال ليس المسكين
هذا الطواف الذي يطوف علي الناس ترده اللقمة واللقمتان والتمرة
والتمرتان قيل فما المسكين يا رسول الله قال الذي لا يجد ما يغنيه
ولا يفطن به فيتصدق عليه ولا يقوم فيسال الناس وهذا الوجه علي
ظاهره لدفع قول من قال ان المسكين هو الذي يسال الناس ولكن
يجوز ان يكون معناه والله اعلم ان الذي يسال وان كان عندكم مسكينا
فان الذي لا يسال اشد مسكنة منه ولا يجوز ان يحمل علي غير ذلك
لان الله تعالي قد سمي الذين لا يسالون الناس الحافا فقرآ ولا يجعل
الحديث مخالفا للآية ما امكن ان يكون موافقا لها علي ان المسكين هو الشديد
الفقر والفقير هو الذي يملك شيا لم يبلغ في الحاجة والضرورة حال
المسكين قال الله تعالي يتيما ذا مقربة او مسكينا ذا متربة قيل ذا متربة
الذي لا حايل بينه وبين التراب لفقره يقرره ما رويناه من حديث عمر
رضي الله عنه ليس المسكين من لا مال له ولكن المسكين من لا مكسب له
كانه يقول الذي لا مال له وله مكسب فهو فقير والمسكين الذي ليس له مال
ولا مكسب وان حمل قول النبي ليس المسكين الذي يسال ولكن المسكين
الذي يفطن به ولا يسال علي ان ذلك الذي لا يفطن به هو اشد مسكنة
من الآخر وان كان الآخر ايضا مسكينا كان او موافقا للمعني الذي ذهبنا
اليه او ان لم يبلغ به الضر مبلغ الاول وقد يخرج قول من قال ان المسكين
الذي يسال هذا المخرج لان من شان المسلم الفقير انه يتحمل ما كانت له حيلة

ويتعفف ولا يخرج فيسال وله حيلة فمن وجه يدل علي شدة ضيقه وسوء
حاله فكان القولان يرجعان الي معني واحد واذا كان الفقير احسن
حالا من المسكين لما ذكرنا فقد يجوز ان يدفع الصدقة الي من له مال قليل
لانه فقير وان لم يكن حاله في فقره بلغت حال المسكين الذي لا يملك شيا
وهذا يدل علي ان قول النبي صلي الله عليه وسلم لا تحل الصدقة
لذي مرة سوي وقوله لا تحل الصدقة لمن له غدا او عشا انما هو علي سبيل
الزجر عن الصدقة والحث علي الاشتغال بالكسب والله اعلم قوله
تعالي والعاملين عليها اختلف فيه قال بعضهم يعطي لهما الثمن وقال بعضهم
يعطي بقدر عمالتهم وقال بعضهم يعطي لهما الثمن لا معني له لما يجوز ان يبلغ الثمن
الوفا وعمله لا يبلغ عشر عشير ذلك ومن قال يعطي لهم كفايتهم وكفاية
عيالهم فانما يكون كذلك اذا كان يسلم نفسه لامور المسلمين واستعمله الامام
علي جميع ذلك لانه اذا كان فرغ نفسه لامور المسلمين كان نفقته وكفايته
عليهم وفي مالهم فاما اذا تولي شيا من العمل في وقت فلا يعطي له الكفاية
في غير ذلك الوقت والاشبه عندنا ان يعطي لهم قدر عمالتهم وهكذا
الامام اذا استعمل احدا في عمل من اعمال اليتيم فانه يعطي له قدر اجر عمله
وروي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه انه سيل عن العاملين علي الصدقة
قال لهم بقدر اعمالهم وعن مالك رحمه الله قال ادركت من مضي من
اهل العلم لا يجعلون للعاملين عليها فريضة مسماة والله اعلم قوله
تعالي والمولفة قلوبهم قيل كانوا اقواما من روسا قريش وصناديد
العرب مثل سفيان بن حرب وسفيان بن اميه واقرع ابن حارث
وعيينه بن حصن الفزاري وحكيم بن حزام ومالك بن عوف النصري
وغيرهم ولهم شوكة وقوة واتباع كثير بعضهم اسلموا حقيقة وبعضهم ظاهرا
لا حقيقة فيكون من المنافقين وبعضهم من المشركين فكان رسول الله
يعطيهم من الصدقات تطييبا لقلوب المسلمين منهم وتقريرا لهم علي الاسلام
وتحريضا لاتباعهم الي اتباعهم وتاليفا لمن لم يحسن اسلامه وعلي الاسلام
وقد حسن اسلام عامتهم الا من شا الله لحسن معاملة النبي معهم وجميل سيرته
والله اعلم روي عن انس ان النبي صلي الله عليه وسلم اعطي من غنايم حنين

الاقرع بن حابس مائة من الابل واعطي عيينة بن حصن مائة من الابل
فقال قوم من الانصار ان رسول الله يعطي غنايمنا قوما تقطر دماوهم
من سيوفنا فبلغ ذلك رسول الله فجمع الانصار وقال هل فيكم غيركم
فقالوا لا وذكر حديثا طويلا وعن ابي سعيد الخدري قال بعث علي
رضي الله عنه وهو باليمن بذهبة في ترابها الي النبي فقسمها رسول الله
بين زيد الخيل والاقرع بن حابس وعيينه بن حصن وعلقمة بن علاثة
فغضبت قريش والانصار وقالوا اعطي صناديد اهل نجد قال انما اتالفهم
وفي رواية عنه انه بعث علي الي النبي بذهبة في اديم مقروظ فقسمها
بين زيد الخير والاقرع بن حابس وعيينه بن حصن وعلقمة بن علاثة
او عامر بن الطفيل الحديث بطوله وعن عامر بن سعد عن ابيه قال
قال رسول الله صلي الله عليه اني لاعطي الرجل العطا وغيره احب الي
منه وما افعل ذلك الا مخافة ان يكبه الله تعالي في نار جهنم علي وجهه
وعن صفوان بن اميه قال اعطاني رسول الله صلي الله عليه وسلم
وانه لابغض الناس الي فما زال يعطيني حتي انه لاحب الخلق الي
وعن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال لما اصاب رسول الله
صلي الله عليه وسلم الغنايم بحنين وقسم للمساكين من قريش وفي ساير
العرب ما قسم وجد هذا الحي من الانصار في انفسهم فذكر الحديث
وقال فيه قال رسول الله صلي الله عليه وسلم لهم وجدتم في انفسكم
يا معشر الانصار في لعاعة من الدنيا فالفت بها اقواما ليسلموا ووكلتكم الي
ما قسم الله لكم من الاسلام ثم ذكر الحديث وفي الاحاديث كثرة وقد ثبت
جواز الصرف اليهم بنص الكتاب وهو قوله والمولفة قلوبهم ثم تكلم اهل
العلم في ذلك بعد وفات النبي بعضهم قالوا ان حقهم بقي واعطوا لمن بقي من
اوليك الذين اخذوا في عهده عليه السلام والان يعطي لمن حدث اسلامه
من الكفرة تطييبا لقلبه وتقريرا له علي الاسلام ويعطي للروسا من اهل
الحرب اذا كان لهم غلبة تخاف علي المسلمين شرهم لان المعني الذي له اعطي النبي
اوليك مثله موجود في هولا روي عن الزهري انه سيل عن المولفة قلوبهم
قال من اسلم من يهودي او نصراني قيل وان كان غنيا قال وان كان

غنيا ولكن الاشبه مذهبنا ان سهمهم اولئك انتسخ وذهب وما اعطوا شيئا
بعد النبي ولا يعطى الان لمثل حالهم واصل ذلك حديث ابي بكر وعمر
رضي الله عنهما انهما لم يعطيا شيئا من الصدقات للمؤلفة قلوبهم وروي ان
الاقرع ابن حابس وعيينة بن حصن جاءا الى ابي بكر وقالا يا خليفة رسول الله
ان عندنا ارضا سبخة ليس فيها كلاء ولا منفعة فان رايت ان تقطعناها فاقطعها
اياهما وكتب لهما عليها كتابا واشهد عمر وليس في القوم فانطلقا الى عمر
ليشهداه فلما سمع عمر ما في الكتاب تناوله من ايديهما ونظر فيه ثم تفل
فيه ومحاه فتذمرا وقالا له مقالة سيئة فقال عمر ان رسول الله كان
يتالفكما والاسلام يومئذ قليل وان الله تعالى قد اعز الاسلام اذهبا فاجهدا
جهدكما لا رعا الله لكما ان رعيتما ولم ينكر ابو بكر قوله وفعله وبلغ ذلك الصحابة
رضي الله عنهم ولم ينكروا فيكون اجماعا منهم على ذلك ولانه قد ثبت باتفاق
الامة ان النبي صلى الله عليه وسلم انما كان اعطاهم ليتالفهم على الاسلام ولهذا
سماهم الله تعالى المؤلفة قلوبهم والاسلام يومئذ في ضعف واهله في قلة
واولئك كثير ذوا قوة وعدة واليوم قد كثر اهل الاسلام وعز الدين وصار
اهل الشرك اذلاء بحمد الله تعالى والحكم متى ثبت معقولا لمعنى خاص مرتفع
وينتهي بذهاب ذلك المعنى وقد ورد في القرآن نظير هذا فان النبي
صلى الله عليه وسلم كان عاهد كثيرا من المشركين وهو الى مداراتهم ومعاهدتهم
محتاج لما ذكرنا من قلة اهل الاسلام وضعفهم ثم لما اعز الله تعالى الاسلام
وكثر اهله امر النبي صلى الله عليه وسلم ان يرد الى اهل العهود عهودهم وان
يحاربهم جميعا بقوله براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين
الى قوله فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين وكذلك في الابتداء
كان الاسر واخذ الفداء عن الاسارى منهيا لقلة اهل الاسلام وضعفهم وقوة
اولئك لئلا يلحقوا بديارهم فيصير بذلك زيادة قوة للكفرة كما قال الله تعالى
ما كان لنبي ان يكون له اسرى حتى يثخن في الارض ثم لما كثر اهل الاسلام
وارتفعت راياتهم انتسخ الحكم الاول باباحة الاسر والمفاداة فكذلك ما نحن
فيه والله اعلم وفي الاية دلالة على ان النسخ بالاجتهاد لارتفاع المعنى الذي به
كان ليعلم ان النسخ قد يكون بوجوه والله اعلم وفي خبر ابي بكر وعمر رضي الله عنهما

دلالة ان اذن الامام شرط في احياء ارض الموات ولا تملك الا باذن الامام
لان ذينك الرجلين اللذين اتيا ابا بكر قالا عندنا ارض سبخة لا كلاء فيها ولا منفعة
وذلك صورة ارض الموات والله اعلم قوله تعالى وفي الرقاب
اختلف فيه قال بعضهم معناه وفي عتق الرقاب ويجوز ان يعتق عن الزكاة
الرقبة كذا روي مجاهد عن ابن عباس انه كان لا يرى باسا ان يعطي الرجل
من زكاته في الحج وان يعتق منها الرقبة وقال آخرون هم المكاتبون
معناه ان يعطي المكاتب شيئا يؤديه في كتابته وهو الاشبه وهو قولنا
ولا يشبه الاعتاق بنية الزكاة ما يدفع الى المكاتب فيؤدي بدل كتابته فيعتق
لوجوه احدها ان الاعتاق ابطال الملك وليس بتمليك وما يدفع الى المكاتب
فهو تمليك وانما يكون الزكاة زكاة اذا زالت من مالك الى مالك قال الله
تعالى واتوا الزكاة والايتاء هو التمليك والثاني ما اشار اليه سعيد بن
جبير قال لا يعتق من الزكاة مخافة جر الولاء وهذا لان الاعتاق
يوجب الولاء للمعتق فكان حقه فيه باقيا ولم ينقطع من كل وجه فلم يتحقق
الاخلاص فلا يكون عبادة والزكاة عبادة فلا تتادى بغير عبادة فاما الذي
يدفع الى المكاتب انقطع حق المؤدي ولا يرجع اليه بذلك حق فلذلك اختلفا
والثالث وهو ان الله تعالى قال والغارمين ومن قضى عن غارم دينه
بغير امره بنية الزكاة لم يجز من زكوة ماله ولو دفع الى الغارم فقضى به
دينه جاز عن زكوته فاعتاق المزكي العبد بمنزلة قضاء دين الغارم
لما يحصل باحدهما الفكاك عن الرق وبالاخر الفكاك عن الدين ولا يحتاج
في واحد منهما الى قبول من الغارم والعبد وانما اعطاؤه الزكاة للمكاتب
كدفعه الى الغارم فلذلك افترقا والله اعلم قوله تعالى والغارمين
عن مجاهد انه قال الغارم من ذهب السيل بماله او اصابه حريق فاذهب
ماله او رجل له عيال لا يجد ما ينفق عليهم فيستدين فجعل الغارم محل الصدقة
وهو الذي لحقه الغرم من اي وجه كان من دين او غيره وقيل الغارم
المستدين من غير سرف وعن عمر بن عبد العزيز انه كتب الى عماله
ان اقضوا عن الغارمين فكتبوا اليه انا نجد الرجل له المسكن والخادم
والفرس فكتب اليهم انه لا بد للمرء من مسكن يسكنه وخادم يكفيه مهنته

وفرس يجاهد عليه عدوه وقد روي في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم
ان المسألة لا تحل الا باحدى ثلاث فقر مدقع او غرم مفظع او دم موجع
وروي عن الحسن والحسين وابن عمر وابن جعفر انه سألهم رجل شيئا
فقالوا ان كانت مسألتك في احدى ثلاث فقد وجب حقك في فقر
مدقع او غرم مفظع او دم موجع فهذه الاحاديث تدل على ان الغارم
اذا كان دينه مستغرقا لماله يحل اخذ الزكوة ليقضي بها دينه لان الدين
المفظع هذا فان قيل في الخبر او غرم مفظع ومن كان دينه غير مفظع
يحل له اخذ الزكاة بان كان دينه اقل من ماله لكن ما وراء الدين ليس
بنصاب قيل الدين المفظع ان يكون اكثر من المال الذي في يديه او
مثله اما اذا كان المال اكثر لكن لا يبلغ نصابا فانه لا يباح له المسألة ولكن
يحل وضع الزكاة فيه ويباح له اخذه وكان المراد من الحديث ان لا يباح
المسألة لا ان لا يباح له الاخذ فلا يكون مخالفا للآية والله اعلم قوله
تعالى وفي سبيل الله قيل في الغزاة وقيل في سبيل الله اي كل من سعى
في طاعة الله وسبيل الخيرات فانه داخل في ذلك اذا كان محتاجا وتوقع
اليه ولا يكره وان كان قادرا على الكسب لاشتغاله بالغزو او التعلم والتعليم
ونحو ذلك واصله ما روي عن ابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه
انه قال لا تحل الصدقة لغني الا في سبيل الله او ابن سبيل او رجل له جار
مسكين تصدق عليه فاهداها اليه وعن عطاء بن يسار عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال لا تحل الصدقة لغني الا لخمسة العاملين عليها ورجل اشتراها
او غارم او غاز في سبيل الله او فقير تصدق عليه فاهداها للغني وهذا
لان الرجل قد يكون غنيا بان يكون له دار يسكنها ومتاع ممتهنه وثياب
يلبسها وله مع ذلك فضل مائتي درهم فلا تحل له الصدقة فاذا عزم على الخروج
في سفر غزو احتاج الى الآلات لسفره وسلاح يستعمله في غزوه ويغزو عليه
وخادم يستعين بخدمته على ما لم يكن اليه احتاجت حال اقامته فيجوز
ان يعطى من الصدقات ما يستعين به في حوائجه التي تحدث له في سفره وهو
في مقامه غني بما يملكه لا غني يحتاج في حال اقامته محتاج في حال سفره
فيحتمل ان يكون معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم لا تحل الصدقة لغني الا

في سبيل الله على ما كان غنيا في حال مقامه فيعطى بعض ما يحتاج اليه او الدابة
لا يركبها لم يجز له ان ياخذ من الزكاة فان عرض له مرض او سفر فاحتاج الى
دابة ليركبها انه لخرج من الغنا بما حدث له من الحاجة الى الركوب وكان له
ان ياخذ الصدقة عندنا لانه لا يستغني عما هو ملكه وانما الغني من استغنى
عما يملكه فكذلك الغارم على الغزو قد تحدث له الحاجة الى اكثر مما يملك
في حال الاقامة وصار ممن يجوز ان يعان وان كان ملكه الذي كان به
غنيا على اعتبار ما كان قبل حلول العزم به وقد حدث له الحاجة بسبب
العزم والله اعلم قوله تعالى وابن السبيل قيل ابن السبيل ضعيف
ينزل به وقيل هو المار عليه المنقطع عن ماله وان كان غنيا وقيل هو المختار
من ارض الى ارض لا الى رحل وعن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله الا عابري
سبيل هو المسافر واصله عندنا هو المنقطع عن ماله وان كان غنيا في مقامه
لما روينا عن النبي عليه السلام ان الصدقة لا تحل لغني الا في سبيل الله او ابن
سبيل الحديث ثم انما يجوز ان تعطى هؤلاء الذين ذكرناهم اذا لم يكن له شيء معه
او يكون اقل من مائتي درهم لكن اذا كان له فيما يملك كل شيء سددت به شيئا فهو
سداد من عيش فيكره له الاخذ اما الجواز فلما روي عن ابي هريرة عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال اعطوا السائل ولو جاء على فرس وجاء في بعض الاخبار
عن الحسن بن علي رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال وللسائل حق
وان جاء على فرس وعن الحسن قال كان اصحاب رسول الله ياخذون الصدقة
ولاحدهم من السلاح والكراع والعقار قيمته عشرة آلاف درهم فهذا
جائز لكن التعفف عنها احسن لقوله عليه السلام من استغنى اغناه الله
ومن استعفف يعفه الله وقال عليه السلام لان ياخذ احدكم حبلا فيحتطب
خير له من ان يسأل الناس شيئا اعطوه او منعوه وقال بعضهم اذا كان له خمسون
او اربعون لا يحل له اخذ الصدقة ولا يباح ان تعطى له لما روي عن عبد الله بن
مسعود عن النبي صلى الله عليه انه قال لا يسأل عبد مسألة وله ما يغنيه الا
جاء يوم القيمة شينا او خدوشا او كدوحا في وجهه قالوا يا رسول الله وما
ذا يغنيه او ما غناه قال خمسون او حسابها من الذهب وعن ابي ذر قال
سمعت رسول الله صلى الله عليه انه قال من سأل وله اربعون درهما فقد الحف

وعن عمر وعلي وعبد الله ابن مسعود وسعد بن ابي وقاص مثل ذلك المروي
عن علي وعبد الله وسعد لا تحل الصدقه لمن كان له خمسون درهما او عوضها
من الذهب واما عن عمر قال من سال وله اوقية فقد الحف وعن عمرو بن
شعيب عن ابيه عن جده قال من سال وله اربعون درهما فقد الحف لكنا
نقول هذه الاحاديث في كراهة السوال والاخذ ايضا اذا كان بما في يده
يكفيه لسداد العيش الا ترى الى ما روي عن ابن عباس ان رجلا سال
النبي صلى الله عليه وسلم وقال ان لي اربعين درهما امسكين انا قال نعم ولما
روي في حديث معاذ نأخذها من اغنيائهم وردها في فقرائهم قسم الناس قسمين الفقراء
والاغنياء فجعل الاغنياء من يوخذ منهم والفقراء من ترد فيهم فكل من لم توخذ منه يكون
فقيرا ومن كان له اقل من النصاب لا توخذ منه فيجوز الدفع اليه ومن الناس من قال
اذا كان الرجل صحيحا لا تحل له الصدقه لما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
لا تحل الصدقة لغني ولا لذي مرة سوي وفي بعض الاخبار ولا لقوي مكتسب ولكن
هذا فاسد لما روينا ان الصدقه لا تحل الا في ثلاث وذكر فقر مدقع من غير فصل بين
ان يكون صحيحا او زمنا مكتسبا او غير مكتسب والا ترى انه قال للرجلين اللذين
سالاه ان شئتما اعطيتكما منه ولا حق فيها لغني ولا لقوي مكتسب ولو كان حراما
لم يكن ليعطيهما الحرام ولكن ذلك للزجر عن المسألة ولما روي عن سلمان الفارسي
رضي الله عنه انه حمل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم صدقة فقال لاصحابه
كلوا ولم ياكل ولا يتوهم متوهم ان اصحابه كانوا زمنا وهذا كما روي عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال من سال الناس عن ظهر غنى فانما يستكثر من جمر جهنم
قيل يا رسول الله ما ظهر غنى قال ان تعلم ان عنده ما يغذيهم او يعشيهم دل ان الامر
على ما قلنا والله اعلم قوله تعالى فريضة من الله والله عليم حكيم يحتمل بيانا من الله
واعلاما ان اهل الصدقات منهم لا من غيرهم ويحتمل فريضة من الله واجبا من الله
وفرضا والله اعلم قوله تعالى ومنهم الذين يوذون النبي قوله ومنهم اي من
المنافقين يوذون النبي اخبر انهم كانوا يوذون ولم يبين بم كان يوذون فيحتمل
يوذون النبي بتكذيبهم اياه وتركهم الاجابة له والطاعة فيما يدعوهم اليه ويحتمل
يوذونه بكلمات يسمعونه وطعن يطعنونه ويعيبون عليه قوله تعالى ويقولون
هو اذن قيل الاذن هو الذي يقبل عذر من اعتذر اليه ويسمع من كل احد

عذرا يعتذر اليه ويقبل وكذلك كان النبي يقبل عذر من اعتذر اليه ويسمع
سواء كان له في ذلك عذر او لا عذر له لكرمه وشرفه وحسن خلقه فظن
اولئك الملحدة لما رأوا انه كان يعاملهم معاملة اهل الكرم والشرف والمجد انه
انما يعاملهم لمعاملة اهل الكرم هذه المعامله لسلامة قلبه وضعف همته وقصور
يده وهم كانوا اهل كبر واعتوا فقالوا هو اذن نقول له ما شئنا ثم نحلف ونعتذر
اليه فيصدقنا ويقبل عذرنا قال الله تعالى قل يا محمد لهولاء اذن خير
لكم اي الذي يقبل العذر ويسمع خير لكم من الذي لا يقبل ولا يسمع فكيف
توذونه وتطعنون فيه وتعيبون عليه ولا تصدقونه ولا تومنون به تخبر
بهذا عن سفههم وقيل ويقولون هو اذن اي يستوي في نفسه ويكرم ولا
يكافي من اذاه ولا يجازيه قال ابو عوسجة الاذن الذي من قال له شيئا
او حدثه حديثا صدقه واستمع منه وكذلك كان النبي صلى الله عليه يصدق
كل من قال له شيئا او حدثه واستمع منه لكرمه وشرفه ومجده وحسن خلقه
للباطن اولئك ويقرا ايضا قل اذن خير لكم اي هو يستمع الخير من التصديق ولا
يستمع الكفر والنفاق قوله تعالى يومن بالله ويومن للمومنين قيل
اي يصدق الله بما ينزل على النبي من آياته ويصدق المومنين فيما بينهم من
شهاداتهم وايمانهم على حقوقهم وفروجهم واموالهم اي يصدق محمد بما يخبرن
من سوء المنافقين من الطعن فيه والعيب عليه والايمان بغيره هو التصديق
له بجميع ما فيه والايمان له من خبره وحديثه ويحتمل اي ويومن للمومنين فيما يشهدون
في الاخرة له بالتبليغ اليهم كقوله فلنسالن الذين ارسل اليهم ولنسالن المرسلين
ويحتمل ويومن للمومنين اي يصدقكم فيما بينهم من الاخوة في الدين كقوله
فان تابوا واقاموا الصلاة واتوا الزكاة فاخوانكم في الدين قوله تعالى
ورحمة للذين آمنوا منكم كان النبي صلى الله عليه وسلم رحمة للمومنين لما استنقذهم
من الكفر الى الايمان ومن الهلاك الى النجاة ليشفع لهم في الاخرة بايمانهم في الدنيا
قوله تعالى والذين يوذون رسول الله لهم عذاب اليم اي في الاخرة
قوله تعالى يحلفون بالله لكم ليرضوكم اي بما حلفوا عليه قال بعض اهل
التاويل ان الانصار مشت الى المنافقين فقالوا لهم قد عيرتنا بما نزل فيكم
حتى متى فكانوا يحلفون للانصار والله ما كان شيء من ذلك فاكذبهم الله تعالى

وقال يحلفون بالله ما كان الذي بلغكم ليرضوكم بما حلفوا والله ورسوله
احق منكم يا معشر الانصار ان يرضوه حيث اطلع على ما حلفوا وهم كذبة
ان كانوا مومنين ولكن ليسوا بمصدقين ولكن الاشبه ان تكون الاية في
معاتبة جرت بين المومنين والمنافقين باستهزا كان منهم برسول الله او طعن
فيه او استهزا بدين الله فاعتذروا اليهم وحلفوا على ذلك ليرضوهم فقال
تعالى والله ورسوله احق ان يرضوه ان كانوا مومنين حقيقة ولكن ليسوا
بمومنين وما قاله بعض اهل التاويل ان رجلا من المنافقين قال والله لين
كان محمد حقا لنحن شر من الحمير فسمعها رجل من المسلمين فاخبر بذلك رسول الله
فدعاه وقال ما حملك على الذي قلت فحلف والتعن ما قاله فنزل قوله
يحلفون بالله لكم ليرضوكم لا يصح ايضا لانه لو كان كما ذكروا لكانوا يحلفون
لرسول الله لا يحلفون للمومنين دل ان الاية نزلت في غير ما ذكروا وعن
عبد الله ابن عباس رضي الله عنهما انه قال ان الاية نزلت في ناس من المنافقين
تخلفوا عن رسول الله في غزوة تبوك فجعلوا يحلفون لرسول الله حين رجع
انهم لا يتخلفون عنه ابدا وكذلك قال غيره من اهل التاويل ايضا ولو كان
كما ذكروا لكانوا يحلفون لرسول الله لا للمومنين دل ان الاشبه ما بدانا به
والله اعلم ثم في الاية وجوه من الفوايد احدها ان فيها دلالة تحقق رسالته
ليعلموا انه حق حيث اطلعه على ما اسروا في انفسهم وكتموه من المكر به وانواع
السفه والثاني ليحذروا ويمتنعوا عن مثله والمعاودة اليه لما علموا انه يطلع على
جميع ما يسرون عنه ويكتمون والثالث تنبيها للمومنين وتعليما لهم منه بانه اذا وقع
لهم مثل ذلك لا يشتغلون بالحلف طلبا لرضا بعضهم بعضا ولكن يطلبون به مرضات الله
ويتوبون اليه قوله تعالى والله ورسوله احق ان يرضوه لان الحلف والخيانة
كان في حق الله تعالى لم يكن في حق المومنين لذلك قال والله اعلم والله ورسوله
احق ان يرضوه من المومنين قوله تعالى ولم يعلموا انه من يحادد الله ورسوله
فان له نار جهنم خالدا فيها يخرج على وجهين احدهما انه قد علموا انه من يحادد الله ورسوله
ولكن ان له ما ذكر لكنهم عاندوا الخلاف والمحادة له مع علمهم والثاني اعلموا انه من يحادد الله
ورسوله فان له ما ذكر على ما ذكرنا ان حرف الاستفهام من الله يخرج مخرج الايجاب
والالزام ثم قوله يحادد الله يحتمل يعاند الله ويحتمل يشاقق الله ويخالفه

ثم في الاية دلالة انهم علموا انهم معاندون في صنيعهم وعلموا ان من عاند وكابر بغير
حق فان له نار جهنم على التاويل الذي ذكر ان المراد به قد علموا ثم ذكر
محادة الله ورسوله ثم اقتصر على ارضاء رسوله لانهم لم يقصدوا اقصد
مخالفة الله انما قصدوا المخالفة رسوله فيحتمل انه ذكر ارضاء رسوله لان في
ارضايه ارضاء الرب تبارك وتعالى كقوله من يطع الرسول فقد اطاع الله
فكذلك ههنا ذكر نفسه ورسوله ثم اضاف الرضا الى رسوله بقوله احق
ان يرضوه ولم يقل احق ان يرضوهما فهو والله اعلم انهم اذا ارضوا رسول الله
رضي الله عنهم وكان في ارضايهم رسوله ارضاء الله وهو كما ذكر ايضا بقوله
واذا دعوا الى الله ورسوله ثم اضاف الحكم الى رسوله وذلك قوله
واذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم انما دعوا ليحكم الرسول بينكم فهذا
مثله قوله تعالى ذلك الخزي العظيم يحتمل وجهين يحتمل الخزي اي
الفضيحة العظيمة في الدنيا ويحتمل ذلك الخزي العذاب في الاخرة اذ نار جهنم
خزي عظيم قوله تعالى يحذر المنافقون ان تنزل عليهم سورة تنبيهم
بما في قلوبهم يحتمل قوله يحذر المنافقون اي الحق على المنافقين ان يحذروا
لما اطلع الله تعالى رسوله على ما اسروه وكتموا ويحتمل على الخبر اي انهم كانوا
يحذرون ان تنزل عليهم سورة تنبوهم بما في قلوبهم لكثرة ما اطلع الله رسوله
من سرايرهم وسفههم قوله تعالى قل استهزوا ان الله مخرج ما تحذرون
وهو والله اعلم ليس على الامر ولكن على الوعيد بقول استهزوا فان الله مظهر
ومبين لما اسررتم وكتمتم من الاستهزا لرسوله والطعن فيه اي لا تفعلوا
قوله تعالى ولين سالتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب ذكر الله تعالى
السوال ولم يبين مم سالهم ولكن في الجواب بيان ان السوال انما
كان على الاستهزا حيث قال ابالله واياته ورسوله كنتم تستهزون
اي ان سالتهم عن الاستهزا فيقول لا بل نخوض ونلعب قل ابالله واياته
ورسوله كنتم تستهزون وردا عليهم وتكذيبا لهم ذكر ان نفرا من المنافقين
كانوا اجتمعوا في بعض الطريق ليمر رسول الله ويرجع من الغزو فيقتلوه
فاطلع الله رسوله على اجتماعهم في ذلك الوادي فقال ولين سالتهم ليقولن انما
كنا نخوض ونلعب وذكر بعض اهل التاويل ان النبي عليه السلام لما رجع من

غزوة تبوك بيناه وليسير اذ هو برهط يسيرون بين يديه يضحكون ويستهزؤن
واطلع الله تعالى رسوله انهم يستهزؤن بالله وكتابه ورسوله فقال ولئن
سالتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب اي لو سالتهم ما تقولون فيقولون كنا
نخوض فيه الركب اذا ساروا وقد قيل لعنى ما ذكرنا ايضا ولكن ليس لنا
الي معرفة كيفية استهزائهم حاجة سوي ان فيما ذكر لنا من خبر المنافقين تنبيها
للمومنين وتحذيرا لهم ليحذروا اسارا ما لم يظهروا على السنتهم ليعلموا ان الله تعالى
مطلع على ما يسرون وما يضمرون قوله تعالى قل ابالله واياته ورسوله
كنتم تستهزؤن لا احد يقصد قصد الاستهزاء بالله ولكنهم قالوا ايستهزؤن بالله
وبالمومنين فاضاف الله تعالى ذلك الى نفسه كقوله يخادعون الله وهو خادعهم
اي يخادعون اولياء الله لانه لا احد يقصد قصد مخادعة الله وكذلك قوله
ان تنصروا الله ينصركم اي ان تنصروا اولياء الله او ان تنصروا دين الله
ينصركم فعلى ذلك الاول كانوا يستهزؤن برسول الله وبالمومنين لكن
اضاف الله تعالى ذلك الى نفسه تعظيما واكراما لهم اعلاما انهم من جملة اوليايه
قوله تعالى واياته يحتمل انهم كانوا يستهزؤن بالاحكام التي لها ايات
في القرآن واستهزوا بتلك الاحكام الثابتة بالايات فيكون كالاستهزاء
بالايات فاضاف الاستهزاء الى الايات وذلك كقوله ولا تمسكوهن
ضرارا لتعتدوا ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه ولا تتخذوا ايات الله هزوا
وهم ما هزوا بالايات ولكن هزوا بالاحكام الثابتة بالايات فكان ذلك
استخفافا واستهزاء بالايات فهذا مثله ثم قوله قل ابالله واياته ورسوله
كنتم تستهزؤن يحتمل وجهين احدهما على الايجاب والتحقيق اي تستهزؤن
بالله واياته ورسوله ويحتمل على التوعيد والتهديد والتوبيخ معناه ابالله
واياته ورسوله تفعلون هذا بالله قوله تعالى لا تعتذروا قد كفرتم
بعد ايمانكم اي لا تعتذروا فانه لا تقبل اعتذاركم لما لا عذر لكم فيما تعتذرون بعد ما
قلتم انه اذن لما ظهر منكم الخلاف والكذب في ذلك وهو كقوله يعتذرون اليكم
اذا رجعتم اليهم قل لا تعتذروا لن نومن لكم قد نبانا الله من اخباركم اخبر انه
لا يصدقهم فيما اعتذروا لما ظهر كذبهم وتبين خلافهم ثم قوله قد كفرتم بعد ايمانكم
يحتمل كفرتم بالباطن بعد ما اظهرتم الايمان باللسان ويحتمل قد كفرتم بعد ايمانكم

حقيقة اي قد كفروا بعد ما امنوا حقيقة والله اعلم قوله تعالى ان
نعف عن طايفة منكم نعذب طايفة قال بعضهم قوله ان نعف عن طايفة
منكم ان المنافقين من امن منهم بعد النفاق وتاب فاخبر انه ان نعف
عن الطايفة الذين امنوا حقيقة وتابوا عن النفاق نعذب الطايفة
الذين لم يومنوا ولم يتوبوا وقيل انما قال ذلك لان المنافقين
منهم من قد مات على الايمان ومنهم قد مات على الكفر فوعد العفو عمن مات
على الايمان كقوله ويعذب المنافقين ان شاء او يتوب عليهم اخبر انه
ان شاء تاب عليهم بقوله ان نعف عن طايفة منكم اي عن الطايفة
التي يتوب الله عليهم قوله تعالى المنافقون والمنافقات بعضهم
من بعض وذكر في اهل الايمان ان بعضهم اولياء بعض بقوله والمومنون
والمومنات بعضهم اولياء بعض وذكر في الكفار الولاية لبعضهم بعضا بقوله والذين
كفروا بعضهم اولياء بعض وانما كان والله اعلم لان لاهل الايمان دينا يدينون
به ويتناصرون ويدعون الناس اليه واهل الكفر يدينون ايضا بدين ويتناصرون
به ويعاونون بعضهم بعضا فلكل واحد من الفريقين فيما بينهم موالاة الدين فاما
المنافقون فانه لا دين لهم يدينون به ولا مذهب ينتحلونه ولا تناصر بعضهم بعضا
ولا تعاون ولا تحري بينهما التظاهر والتناصر وانما هم عباد النعمة والسعة
ما لوا حيث ما لت النعمة والسعة فلذلك كان على ما ذكر تم في قوله والمنافقات
دلالة ان من نافق بالتقليد لاخر او كفر بالتقليد لاخر او نافق وكفر ابالتقليد
سواء في استحقاق اسم النفاق واستيجاب العذاب لان النساء هن
اتباع واهل تقليد للرجال ثم سوى بين الرجال والنساء في استحقاق
اسم النفاق والوعيد والله اعلم قوله تعالى يامرون بالمنكر يحتمل المنكر
ما ينكره العقول وهو الشرك بالله تعالى والخلاف له قوله تعالى
وينهون عن المعروف اي ينهون عما يعرفه العقول وتستحسنه وهو التوحيد
لله والايمان به ويدخل في المعروف كل خير وحسن وفي المنكر كل شر ومعصية
قوله تعالى ويقبضون ايديهم اي من الانفاق في سبيل الخير كذلك
قالوا لكن يحتمل ان يكون على سبيل التمثيل لا على تحقيق قبض اليد ولكن
على كف النفس ومنعها عن الاشتغال بالخيرات وخوضها فيها وفي جميع

الطاعات لكنه ذكر اليد ولما بالايد يعمل وبها يكتسب الخيرات وهو كقوله
وذوقوا عذاب الحريق ذلك بما قدمت ايديكم وذلك مما لا يقدمه الايدي
لان الكفر من عمل القلب وكسبه وهو التكذيب واعتقاد الشرك لكنه
ذكر اليد لما باليد يقدم ما يقدم ويقبض بها في الشاهد اذ هذا امثله ويحتمل
ما ذكر من قبض اليد كناية عن بخلهم وقلة الانفاق في الجهاد كقوله ولا ينفقون
الا وهم كارهون قوله تعالى نسوا الله فنسيهم قيل جعلوا الله كالشي المنسي
لا يذكرونه ابدا فنسيهم اي جعلهم كالمنسيين في الاخرة من رحمته لا ينالونها.
ويحتمل نسوا الله فنسيهم اي نسوا نعم الله التي انعمها عليهم فلم يشكروها فنسيهم
على المجازات لذلك وان لم يكن نسيانا كما سمي جزاء السيئة وان لم يكن الثاني
سببه فعلى ذلك ذكر النسيان على مجازات النسيان وان لم يحتمل النسيان
احدها انه يخرج على علم امر القتال منه للمؤمنين واسبابه كما علمهم جميع ما يقع لهم
الحاجة اليه من اسباب الحرب في غير اي من القرآن من نحو قوله يا ايها الذين
آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الادبار وقوله واعدوا لهم
ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وغير
ذلك من الايات والثاني اخبار وانباء عن دوام الجهاد والقتال مع
الاعداء الى يوم القيامة لانه امر بقتل من يلونهم من الكفار وكلما فتحوا ناحية
وقوما صار القوم الذين بقوا وراء هولاء الذين وقع الفتح عليهم من الذين
يلونهم والله اعلم ويحتمل انه امر بقتال الاقرب فالاقرب منهم كما يبدا
بالعبادات والله اعلم قوله تعالى وليجدوا فيكم غلظة قيل شدة عليهم
وفي حرف ابن مسعود وابي رضي الله عنهما وليجدوا فيكم عليهم غلظة اي شدة
ويقرا غلظة وكسرها وهما لغتان بمعنى واحد قوله تعالى واعلموا
ان الله مع المتقين يحتمل على وجوه احدها اذا اتقوا الخلاف له فيما علمهم من امر
الحرب يكون معهم بالنصر لهم والمعونة على عدوهم والثاني معهم في التوفيق
والهداية والثالث في اعطاء الجزاء قوله تعالى واذا ما انزلت
سورة فمنهم من يقول ايكم زادته هذه ايمانا قال اهل التاويل يعني يقول
المنافقون بعضهم لبعض اذا خلوا عن المؤمنين ايكم زادته هذه ايمانا
استهزاء منهم بها وسخرية فاجاب الله تعالى فقال فاما الذين آمنوا فزادتهم

ايمانا وهم يستبشرون واما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا
الى رجسهم وماتوا وهم كافرون اي السورة زادت اهل الايمان

ايمانا وتصديقا على ما كان لهم وزادت لاهل النفاق تكذيبا وكفرا
الى تكذيب الذي كان منهم وهذا لان اهل النفاق ليسوا باهل ايمان
يقبلون الحجة والدلالة اذا قامت عليهم انما همتهم العناد والتكذيب
ورد الحجج والدلايل وكلما ازدادت الحجج والبراهين ازداد لهم العناد
في التكذيب والرد فاما اهل الايمان فان همتهم قبول الحجج والايمان
وكلما ازدادت لهم الحجج والبراهين ازداد لهم الايمان والتصديق
على ما كان لهم ثم قوله فزادتهم ايمانا وقوله فزادتهم رجسا يحتمل
وجوها احدها اي زادتهم ثباتا ودواما على ما كانوا من قبل بما قامت
لهم من الحجج والبراهين والثالث نسوا الله نسوا لهم المعونة والنصرة
والتوفيق فنسيهم اي لم ينصرهم ولم يوفقهم قوله تعالى ان
المنافقين هم الفاسقون والاشكال ان اسم النفاق اقبح واسوا من
اسم الفسق فما معنى ذكر الفسق لهم فهو والله اعلم لانهم كانوا يظهرون
الموافقة للمومنين باللسان فاخبر انهم ليسوا على ما اظهروا ويحتمل انه
سماهم فاسقين لان كل اهل الاديان يانفون عن النسبة الى الفسق
والتسمية ويحتمل ان يكونوا يعلمون في انفسهم انهم اهل نفاق ولا يعرفون
انهم فسقة واصل الفسق هو الخروج عن امر الله ويحتمل ان يكون اسم
النفاق اقبح واشنع عند الناس من اسم الفسق فعندهم يحتمل ان يكون اسم
الفسق اكبر في القبح والله اعلم قوله تعالى وعد الله المنافقين والمنافقات
والكفار نار جهنم وعد لهم نار جهنم وهي المكان الذي يعذبون فيه والنار التي
بها يعذبون قوله تعالى خالدين فيها هي حسبهم اي النار كفاية للكفرة
جزاء لصنيعهم يقول الرجل لاخر حسبك كذا اي كفاك كذا جزاء لك والله اعلم
قوله تعالى ولعنهم الله قيل هو اللعن الطرد في اللغة اي طردهم
عن رحمته قوله تعالى ولهم عذاب مقيم اي لا يفارقهم البتة والله اعلم
قوله تعالى كالذين من قبلكم كانوا اشد منكم قوة اي هولاء المنافقون
واولئك الكفرة كالذين من قبلكم ولم يبين في ماذا ولكن يحتمل كالذين من قبلكم

اي صرتم الى العذاب كالذين من قبلكم صاروا اليه وكانوا اشد منكم قوة
وبطشا واكثر اموالا واولادا وفي الشاهد هذا ابدفع العذاب والعقوبة
وبذلك تناصر بعضهم من بعض ثم لم يقدروا على دفع ذلك عن انفسهم فانتم
دونهم كيف تقدرون على دفع ذلك وقيل كالذين من قبلكم اي صرتم انتم
في اختياركم من الاعمال الخبيثة من الخلاف لله تعالى وتكذيب الرسل من زايد
الاعمال الخبيثة الى هنا وتعاطي ما لا يحل كما صاروا اوليك الذين من قبلكم في اختيارهم
هذه الاعمال فصرتم انتم كما صاروا هم قوله تعالى فاستمتعوا بخلاقهم
فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم اي انتفعوا بخلاقهم اي اكلتم
الدنيا بدينكم كما اوليك اكلوا الدنيا بدينهم وقيل فاستمتعوا بخلاقهم اي بنصيبهم
من الدنيا ولم يقدموا شيا للاخرة فاستمتعتم بنصيبكم من الدنيا ولم تقدموا
شيا للاخرة كما استمتع اوليك بنصيبهم من الدنيا ولم يقدموا شيا للاخرة والخلاق
النصيب كقوله اوليك لا خلاق لهم في الاخرة اي لا نصيب لهم وقال
ابو هريرة رضي الله عنه الخلاق الدين وكذلك قال الحسن بخلاقهم اي بدينهم
قوله تعالى وخضتم كالذي خاضوا اي خضتم انتم في الباطل والتكذيب
كالذي خاض اوليك الامم الخالية قال ابو عبيد خضتم اي لعبتم
كالذي خاضوا اي لعبوا بالتكذيب قوله تعالى اوليك حبطت اعمالهم
في الدنيا والاخرة اي لا ثواب لها في الدنيا والاخرة لان ثواب الاعمال
في الاخرة انما يكون بالايمان وان اعمالهم كانت في غير ايمان قوله
تعالى واوليك هم الخاسرون اي خسرانا بينا واما بطلان اعمالهم
في الدنيا لما لم تقبل واحد من الفريقين صنيعهم من المومنين والكفار لانهم
يرون من انفسهم الموافقة لكل واحد منهما وما كانوا مع واحد من الفريقين
وذلك كقوله مذبذبين بين ذلك لا الى هولاء ولا الى هولاء والله اعلم
قوله تعالى الم ياتهم نبا الذين من قبلهم قوم نوح الاية تحتمل وجهين
احدهما الم ياتهم اي قد اتاهم خبر الذين من قبلهم وما حل بهم وما
انتقم الله منهم بتكذيبهم الرسل وسعيهم في قتلهم واهلاكهم وهم من جنس انفسكم
فاشد قوة وبطشا منكم وانتم تقلدونهم في ذلك ثم حل لهم ما حل بتكذيبهم
الرسل والخلاف لهم فانتم دونهم في كل شي واقل منهم في القوة والباس اولى

بذلك ان يصيبكم ويحتمل قوله الم ياتهم نبا الذين من قبلهم اي ياتيهم
نبا الذين من قبلهم وما حل بهم كقوله الم تر كذا اي سترى فعلى ذلك
الاول يحتمل هذا وهو حرف وعيد يحذرهم بما حل باوليك ليمتنعوا عن
مثل صنيعهم والله اعلم قوله تعالى والموتفكات اتتهم رسلهم بالبينات
قال اهل التاويل هي قريات لوط سميت موتفكات اي منقلبات
قال القتبي ايتفكت اي انقلبت وقال ابو عوسجة الموتفكات
هي من الافك وهو الصرف كقوله انا يوفكون اي يصرفون وقال
بعضهم الموتفكات المكذبات اتتهم رسلهم بالبينات اي اهلها فكذبوهم
فاهلكوا ثم هي من الانقلاب اشبه والله اعلم قوله تعالى فما كان
الله ليظلمهم اي بتعذيبه اياهم اي لا يعذبهم وهم غير مستوجبين لذلك
العذاب قوله تعالى ولكن كانوا انفسهم يظلمون اي ولكنهم
ظلموا انفسهم حيث كذبوا رسله وردوا ما جاوا به من البينات والبراهين
والله اعلم قوله تعالى والمومنون والمومنات بعضهم اوليا بعض يحتمل
قوله بعضهم اوليا بعض على الايجاب والاخبار اي ان الدين الذي
اعتقدوا وتمسكوا به يوجب لهم الولاية ويصير بعضهم اوليا بعضهم
كقوله اذ كنتم اعدا فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا وقوله
انما المومنون اخوة ونحو ذلك فهي اخوة الدين وولايته ويحتمل قوله
والمومنون والمومنات بعضهم اوليا بعض ولا تتخذوا غيرهم اوليا
كقوله يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اوليا وقوله
يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم اوليا نهى المومنين ان يتخذوا
اوليا من غيرهم كانه امروا ان يتخذ المومنون بعضهم بعضا اوليا ولا
يتخذوا من غيرهم ثم الولاية تحتمل وجهين احدهما ولاية روحانية وهي الولاية
في الدين وهي توجب مراعات حقوق تحدث في الدين الذي جمعها وحفظها
والثانية ولاية نفسانية وهي الولاية التي تكون في الانفس والاموال من
نحو ولاية النكاح والميراث وغيرهما فهذه الولاية هي الولاية النفسانية
التي كانت بالرحم والنسب فاذا اجتمعوا في دين واحد وجبت تلك الولاية
لهم وهي الولاية لنفسها والولاية الروحانية هي المحبة والمودة فيجب مراعاتها

بالدين وتعاهدها وهذا كما يقال حيوة روحانية وحيوة جسدانية
فالحيوة الروحانية هي العلم والادب تري به اشياء وتعرف بها من بعد
والحيوة الجسدانية هي الروح الذي به يحيي الجسد وبذهابه يموت
الجسد والله اعلم قوله تعالي يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر
قد ذكرنا ثم ان كان المراد فيما بين الكفرة معناه يامرهم المومنون بالايمان
ويدعونهم الي ذلك وينهونهم عن ضد ذلك وان كان المراد فيما بينهم فهو امر
شرع ونهي شرع يامر بعضهم بعضا بما جاء به الشرع وينهاه عما جاء الشرع
بخلافه ويحتمل اي يامر بعضهم بعضا بكل خير وبر وينهي عن كل شر ومعصية
قوله ويقيمون الصلاة ويوتون الزكوة قد ذكرنا قوله تعالي ويطيعون الله
ورسوله اي في كل امره ونهيه قوله تعالي اوليك سيرحمهم الله
وعد انه يرحمهم قوله تعالي ان الله عزيز حكيم قيل عزيز يوتي اثار
عزه في كل شي حكيم يري اثار حكمته وتدبيره في كل شي قوله تعالي وعد الله
المومنين والمومنات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ومساكن
طيبة في جنات عدن وعدهم هذه الاشيا ثم قال ورضوان من الله
اكبر اي رضا الله عن العباد المومنين في الاخرة اكبر واعظم لان فيه
حيوة الروح ولذته وما اعطيهم من الجنات والمساكن الطيبه فهو حيوة الجسد
ولذته وحيوة الروح ارفع واكبر من حيوة الجسد لانه لا يوثر زيادة في
الجسد وكذلك ذكر الحسن والعز والحمد فيه حيوة الروح لانه لا يزيد في
الجسد بل هو سرور وفرح يدخل فيه واذا اصابه شي من الذل وسمع
مكروها حزن واهتم من غير ان يتالم جسده او يجد الما وشدة في نفسه
وذلك لان ما اصاب روحه لم يصب جسده واصله ان العمل في الدنيا لطلب
رضوانه ورضاه اكبر من العمل لطلب ثوابه لان العمل لطلب رضاه
امر عليه والعمل لطلب الثواب امر له والذي قام باداء ما عليه اعظم درجة
واكبر فضلا من الذي قام بعمل ما له لان كل احد يعمل ما له وله فيه نفع ولا كل
احد يعمل لغيره فلذلك كان كما ذكر والله اعلم قوله تعالي ذلك هو الفوز
العظيم لانه فوز ونجاة لا خوف بعده ولا هوان ولا ذلة قوله تعالي
يا ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم اختلف فيه يحتمل ان يكون

هذا امرا بالجهاد مع الفريقين جميعا جهادا بالسيف ويحتمل المجاهدة مع
الفريقين جميعا بالحجج والبراهين دون السيف ويحتمل ايضا الامر
بمجاهدة الكفار بالسيف والغلظ والتشديد على المنافقين من حيث القول
واقامة الحدود عليهم فان كان على مجاهدة الفريقين بالسيف والله اعلم
في المنافقين الذين انفصلوا من المومنين وخرجوا من بين اظهرهم
واظهروا الخلاف للمومنين بعد ما اظهروا الموافقة لهم وامثال هولاء
مما يجاهدون بالسيف ويقاتلون به وهو كقوله لين لم ينته المنافقون
والذين في قلوبهم مرض الي قوله ملعونين اينما ثقفوا اخذوا وقتلوا
تقتيلا اخبر انهم يوخذون ويقتلون اينما يوجدوا فيشبه ان يكون الاية
في الامر بالجهاد في هولاء المنافقين ويحتمل وجها اخر وهو ان المنافقين
كانوا يطعنون في رسول الله ويعيبون عليه فاطلع الله رسوله
وهم قد علموا ان الله قد اطلعه على ما يطعنون فيه ويذكرونه بسوء
فقال الله تعالي جاهدهم اذا طعنوا فيك وذكروك بسوء بعد ذلك
وان كان الامر بالمجاهدة هو المجاهدة بالحجج فهو صلى الله عليه وسلم قد
كان حاج الفريقين جميعا بالحجج وخاصة سورة البراءة انما نزلت
في محاجة المنافقين ويحتمل الامر بالجهاد مع الكفار خاصة وفي المنافقين
تغليظ القول والتشديد واقامة الحدود والتعزير اذا ارتكبوا
شيئا مما يجب فيه الحد والتعزير بما اقاموا بين اظهر المومنين مظهرين
لهم الموافقة والله اعلم قوله تعالي وماويهم جهنم وبيس المصير
هذا في المنافقين الذين ماتوا على النفاق قوله تعالي يحلفون
بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر قال بعض اهل التاويل
نزلت الاية في شان رجل منافق قال يوما والله لين كان ما يقول
محمد حقا لنحن شر من الحمير فسمع ذلك غلام وهو ربيب ذلك القايل
فقال له تب الي الله وجاء الغلام الي النبي فاخبره بذلك فارسل اليه
النبي فاتاه فجعل يحلف ما قال ذلك فنزلت الاية فيه لكن غير هذا
كانه اشبه لان في الاية ولقد قالوا كلمة الكفر وقول الرجل لين كان
ما يقول محمد حقا لنحن شر من الحمير هذا القول بنفسه ليس هو كلام

كفر انما هو كلام ذم به نفسه اذا لم يرد به التعليق كواحد من الغزاة
اذا قال حال سهود الوقعة وكان من حيث الظاهر يري الغلبة للكفرة
لو كان دين الاسلام حقا لم يخذل احد لانه لم يرد به تعليق حقيقة الدين
بترك الخذلان ولكن اراد التحقيق اي دين الاسلام حق وان الله لا
يخذل اهله اذا احتمل التحقيق واحتمل التعليق فلا يكون كلمة الكفر بالاحتمال
الا اذا كان الرجل عرف بالنفاق فيحمل كلامه علي الشك وقيل نزلت في شان
عبد الله بن ابي قال لا صحابه والله ما مثلنا ومثل محمد الا كما قال
القايل سمن كلبك حتي ياكلك وقال لين رجعنا الي المدينة ليخرجن الاعز
منها الاذل فاخبر النبي بذلك فدعاه فساله عن ذلك فجعل يحلف بالله
ما قاله وهذا التاويل والذي قبله مخالف ظاهر الاية فان الله تعالي
قال يحلفون بالله ما قالوا انسب الي الجماعة لا الي الواحد لكن يشبه ان
يكون الاية صلة قوله ولين سالتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب قل ابالله
واياته ورسوله كنتم تستهزؤن كانوا استهزؤن بالله واياته وبرسوله
والاستهزا بذلك كفر علي ان الله تعالي بين انهم قالوا قول كفر ولكن لم
يبين ما ذلك القول فلا نفسر ان ذلك القول ما هو وليس لنا الي
معرفة عين ذلك القول حاجة والله اعلم قوله تعالي وكفروا بعد
اسلامهم يحتمل كفروا البعد ما اظهروا الاسلام اي رجعوا عما اظهروا
ويحتمل كفروا البعد ما اسلموا اسلام حقيقة وفي الاية دلالة علي ان الايمان
والاسلام واحد لانه قال كفروا بعد اسلامهم وقال في اية اخري
ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه ثم قال كيف يهدي الله قوما
كفروا بعد ايمانهم وقال ان الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا
كفرا فدل ان الايمان والاسلام واحد والله الموفق قوله تعالي
وهموا بما لم ينالوا لو اقتل هموا اقتل رسول الله والمكر به فلم ينالوا ما هموا به
وفيه دلالة اثبات الرسالة لانهم اسروا ما هموا به ثم اخبر عن ذلك
وهو غيب دلت انه بعالم الغيب علم والله الموفق قوله تعالي وما
نقموا الا ان اغنيهم الله ورسوله من فضله قال بعض اهل التاويل ان
الرجل الذي قال ذلك تاب عن ذلك فقبل توبته وكان له قبيل في الاسلام

فرداه رسول الله فاعطاه ديته فاستغني بذلك وعن ابن عباس رضي الله عنهما
كان رسول الله صلي الله عليه يعطي المنافقين من الغنايم والصدقات
يقول ما نقموا الا ما اعطاهم رسول الله من الغنيمة والصدقة ثم قوله
نقموا قال بعض اهل الادب نقموا اي طعنوا فيه يقال نقم ينقم
بفتح القاف في الماضي وكسره في المستقبل ويقال علي العكس نقم ينقم
وهو والله ما طعنوا في رسول الله وما ذكروه بسوء الا ما اغنيهم الله
ورسوله لانهم لو كانوا اهل فقر وحاجة ما اجترو علي الطعن عليه وما
ذكروه بسوء ويحتمل قوله ورسوله من فضله ما عاملهم رسول الله
معاملة الكرام وبسطه اليهم حتي قالوا هو اذن تقبل العذر فذلك
الذي حملهم علي الطعن فيه والله اعلم قوله تعالي فان يتوبوا
هو خيرا لهم فيه ان المنافق تقبل منه التوبة قوله تعالي وان
يتولوا يعذبهم الله عذابا اليما يحتمل وان يتولوا بعد ما اسلموا ويحتمل
داموا علي الكفر والنفاق يعذبهم الله عذابا اليما في الدنيا والاخرة
اما في الدنيا فالامر بالجهاد والقتل والخوف واما التعذيب في الاخرة
فظاهر قوله تعالي وما لهم في الارض من ولي ولا نصير قد
ذكرنا هذا في غير موضع قوله تعالي ومنهم من عاهد الله لين
اتينا من فضله لنصدقن قال بعضهم في ثعلبة بن حاطب سال
رسول الله ان يدعو الله ليرزقه مالا وقال لين اتينا من فضله
لنصدقن ولنكونن من الصادقين ومنهم من قال الاية في حاطب بن
ابي بلتعة انه كان له اموال بالشام فقال لين اتاني تلك الاموال لاصدقن
واكن من الصالحين فقد اتاه الله تعالي تلك الاموال فبخل ومنع ما وعد ومنهم
من قال نزلت في المنافقين جملة ليس في شان واحد مشار اليه ثم يحتمل
قوله ومنهم من عاهد الله انه كان منافقا وقت ما وعد ويحتمل انه لم يكن منافقا
في ذلك الوقت لكنه صار بما بخل وكذب واعتقد الخلاف واستحل الخلف
لما وعد منافقا فان كان انما صار منافقا بما بخل واستحل الخلاف له والمنع فيكون
قوله فاعقبهم نفاقا في قلوبهم اي صار ذلك في قلوبهم نفاقا وان كان منافقا
في ذلك الوقت فيكون قوله فاعقبهم نفاقا في قلوبهم اي اعقبهم الله وا هـ

علي النفاق الي يوم القيامة بخلهم ومنهم ما وعدوا ويكون هذا كقوله
ومنهم من يلمزك في الصدقات ثم في قوله ومنهم من عاهد الله لين اتانا
من فضله الآية ان النذور تلزم اهلها ويجب الوفاء بها ويوخذون ان
تركوا الوفاء ويكفرون ان استحلوا بعض ما عهدوا والله اعلم وقوله
ولنكونن من الصالحين قال بعضهم من المومنين وهو على تاويل من قال
انه كان منافقا وقت اذ ويحتمل ان يكون من الشاكرين وكذلك ذكر
في الخبر ان ثعلبة لما سال رسول الله ان يسال الله تعالى له مالا له
قليل تودي شكره خير من كثير لا تودي حقه او كلام نحو هذا والله اعلم
قوله تعالى فلما اتيهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون يحتمل
تولوا عن وفاء ما وعدوا ويحتمل تولوا عن طاعة الله تعالى وهم معرضون
عن طاعة الله او معرضون عما وعدوا وعهدوا ان يوتوا والله اعلم
قوله تعالى فاعقبهم نفاقا في قلوبهم الي يوم يلقونه قال بعضهم
اي اثابهم نفاقا بما بخلوا الي يوم القيمة وقال بعضهم اعقبهم الدوام
علي النفاق بما اخلفوا الله بما وعدوه وبما كانوا يكذبون ينبغي للمسلم ان
يجتنب الكذب والخلف في الوعد فانه سبب النفاق او منع من النفاق
وعلي ذلك روي في الخبر ان اجتنبوا الكذب فانه باب من ابواب
النفاق وعليكم بالصدق فانه باب الايمان وفي بعض الاخبار عن النبي
صلي الله عليه وسلم انه قال اربع من كن فيه كان منافقا من اذا حدث
كذب واذا وعد اخلف واذا عاهد غدر واذا خاصم فجر وفي بعضها
واذا اوتمن خان فان قيل ان اولاد يعقوب عليه السلام اوتمنوا فخانوا
وحدثوا فكذبوا ابيهم اكله الذيب ووعدوا فاخلفوا افترى انهم نافقوا
قيل ما روي ان من اذا حدث كذب او كذب في امر الدين واما الكذب
في غير امر الدين فلا يوجب النفاق ولان اولاد يعقوب قد قدموا العزم
علي التوبة والاصلاح قبل صنيعهم الذي بما صنعوا علي حرف منهم بما فعلوا كما
اخبر الله تعالى بقوله يخل لكم وجه ابيكم وتكونوا من بعده قوما صالحين
فلم يصيروا منافقين واصله ان اعتقاد الكذب واستحلال الخلف في
الوعد والخلاف للعهد هو الموجب للنفاق فاما ترك فعل الوفاء علي غير

استحلال للخلاف فلا يوجب ما ذكروا والله اعلم ثم في الآية دلالة علي انه
لا ينبغي ان ينقض بالسوال في شي علي غير طلب الخيرة في ذلك من الله
تعالى الا تري ان ثعلبة لما الح رسول الله صلي الله عليه ان يسال ربه
ليرزقه ما لا نعل فاعقبه الله النفاق الي يوم القيامة والله اعلم
قوله تعالى الم تعلموا ان الله يعلم سرهم ونجواهم يحتمل وجهين
احدهما قد علموا ان الله يعلم سرهم ونجواهم لكثرة ما يطلع رسوله
علي ما اسروا من الخلاف وطعنهم في رسول الله وذكرهم اياه بالسوء
والثاني الم تعلموا اي الم يات للذين نافقوا ان يعلموا ان الله يعلم سرهم
ونجويهم فيطلع رسوله علي سرهم ونجواهم فيتركوا الطعن في رسول الله
وذكر السوء فيه والخلاف له قوله تعالى وان الله علام الغيوب
اي علام الغيوب التي غابت عن الخلق والا ليس شي يغيب عنه ما غاب
عن الخلق وما لم يغب عنه بحال واحد ويحتمل اي علام بما يكون ابدا
في الاوقات قوله تعالى الذين يلمزون المطوعين من المومنين
في الصدقات الآية يشبه ان يكون الآية صلة قوله ومنهم من عاهد الله
لين اتينا من فضله الي قوله وهم معرضون ان اهل النفاق كانوا
اهل بخل لا ينفقون الا مرآة وسمعة وظنوا بمن انفق من المسلمين
وتصدق ظنا بانفسهم فقالوا انهم انفقوا وتصدقوا مراة وسمعة
وذكر في بعض القصة ان عبد الرحمن بن عوف اتي بنصف ماله في غزوة
تبوك يتقرب به الي الله تعالى وقال يا نبي الله هذا نصف مالي اتيتك
به وتركت نصفه لعيالي فدعا له نبي الله ان يبارك له فيما اعطاه وفيما
امسك فلمزه المنافقون وقالوا ما اعطي الا رياء وسمعة وما رجل من فقراء
المسلمين بصاع من تمر شم من تمر الصدقة فقال له نبي الله خيرا ودعا
له فقال المنافقون ان الله لغني عن صاع هذا فذلك لمزهم فانزل الله
تعالى قوله الذين يلمزون المطوعين من المومنين في الصدقات
يعني عبد الرحمن بن عوف والذين لا يجدون الا جهدهم يعني الذي جاء بصاع
قال القتبي يلمزون يعيبون قوله تعالى والذين لا يجدون
الا جهدهم اي طاقتهم والجهد الطاقة والجهد المشقة وقال ابو عوسجة

الجهد انفاق الرجل من المال القليل يقال جهد الرجل ان كان من الضعف
او الفقرآء يقال جهد في العمل يجهد جهدًا اذا بالغ في العمل وقال
ابو عبيد الجهد مثل الوسع والجهد الطاقه وكذلك قال ابو معاذ والاية
دلت على شيئين احدهما اثبات الرسالة لانه معلوم ان ما كان منهم
من اللمز لم يكن ظاهرًا بل كان سرًا ثم اخبرهم رسول الله بذلك دل
انه انما عرف ذلك بالله تعالى والثاني ان الامور التي فيما بين الخلق انما
ينظر الى ظواهرها وان كان في الباطل على خلاف الظاهر حيث عوتبوا
بالطعن بالريآء والسمعة ليعلم ان الامور التي بين الخلق انما تحمل على
ظواهرها والحقيقه هي ما نطق واسر به تخلص العمل لله والسر ما يسر
المرء في نفسه والنجوى هي اجتماع جماعة على نحو من الارض اي المرتفع
من المكان للاسرار قوله تعالى فيسخرون منهم سخر الله منهم قال
بعضهم ان من اعتذر الى آخر فيقبل عذره على علم من المعتذر اليه انه لا عذر
له فيما يعتذر وانه كاذب في ذلك فقبول المعتذر اليه ما يعتذر من المعتذر
سخرية من المعتذر اليه الى المعتذر وقال بعضهم سخر الله منهم اي يجزيهم
جزآء السخرية فسمي جزآء السخرية باسمها وان لم يكن الثاني سخرية
كما سمي جزآء الاعتدآء اعتدآء وان لم يكن الثاني اعتدآء فعلى ذلك الاول
ويحتمل سخر الله منهم اي سخر اوليآء الله منهم فاضيف اليه وكذلك يحتمل في قوله
الله يستهزئ بهم اي يستهزئ بهم اوليآءه وذلك قولهم في الآخرة ارجعوا وراءكم
فالتمسوا نورًا فذلك استهزآؤهم بهم وجائز اضافة الشيء الى آخر والمراد
منه غير المضاف اليه لكن من يكون من المتصلين به قوله تعالى استغفر
لهم او لا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم قال
عامة اهل التاويل انه لما مات عبد الله بن ابي اراد النبي ان يصلي
عليه فاخذ عمر بن الخطاب بثوبه وقال ما امرك الله بهذا قال استغفر
لهم او لا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم فقال
صلى الله عليه وسلم قد خيرني ربي فقال افعل او لا تفعل وفي بعض الروايات
قال له عمر لا تستغفر فان الله قد نهاك عن هذا فقال يا عمر اف لا
استغفر احدًا وسبعين مرة او كلام نحو هذا فانزل الله تعالى عند ذلك

سوآء عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم لكن هذا
بعيد وهو ان يفهم رسول الله من الاية التخيير وعمر يمنعه عن ذلك
ولا يجوز ان يفهم التخيير في ذلك او يخرج ذلك على التحديد في السبعين
ولا يحتمل ان لو كان ينسخ بقوله سوآء عليهم استغفرت لهم ام لم
تستغفر لهم لن يغفر الله لهم لان ذلك بعيد والوعيد لا يحتمل النسخ
دل ان ما حمل الاية عليه اهل التاويل لا يستقيم ثم الوجه فيه
والله اعلم ان استغفرت لهم فان استغفارك ليس بالذي يرد فلا
يجاب لكنهم قوم كفروا بالله ورسوله وقد تعلم من حكمي ان لا اغفر
من مات على ذلك يخرج على الاعتذار لرسول الله في ذلك والنهي له
عن الاستغفار لهم وهو كقوله ما كان للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا
للمشركين ولو كانوا اولي قربى الاية وقد علم شرك المنافقين وكفرهم
بالله ورسوله فنهاه عن الاستغفار لهم اذ لا يحتمل ان يكون ذلك قبل
ان يطلع رسوله على كفرهم فدل انه بعد العلم بذلك نهاه وفي الاية
دلالة نقض قول المعتزلة في قولهم ان صاحب الكبيرة لا يغفر له
لانه اخبر انه لا يغفر لهم بما كفروا بالله ورسوله فدل ان من لم يكفر
بالله ورسوله فانه يغفر له وان له الشفاعة وصاحب الكبيرة ليس بكافر
ثم طلب المغفرة من الله تعالى والشفاعة لغير لا يكون الا للخواص من الخلق
وهم الرسل والانبيآء عليهم السلام على ما يكون في الشاهد لا يرفع الى ملوك
الارض الحاجة لغيرهم الا الخواص لهم ولا يشفعون الا اهل الشرف
والمنزلة عندهم لكن الله تعالى اذن لنا في استغفار غيرنا بقوله والذين
جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا
بالايمان ثم قوله سوآء عليهم استغفرت لهم يحتمل سوآء عندهم استغفرت
او لا تستغفر لهم ويكون طلب استغفارهم من رسول الله استهزآء
منهم له حيث قال سيقول لك المخلفون من الاعراب شغلتنا اموالنا
واهلونا فاستغفر لنا تخرج قولهم فاستغفر لنا تخرج الاستهزآء على
هذا التاويل ويحتمل قوله سوآء عليهم اي سوآء عند الله استغفرت
او لم تستغفر لهم فانه لا يغفر لهم لكفرهم بالله ورسوله قوله تعالى

والله لا يهدي القوم الفاسقين اي لا يهديهم طريق الجنة في الآخرة لفسقهم
في الدنيا اذا ماتوا على ذلك ثم قوله ان تستغفر لهم سبعين مرة
يحتمل ذكر السبعين لان السبعين هو النهاية والغاية في الاستغفار
على ما روي عن النبي صلى الله عليه انه كان يستغفر في كل يوم سبعين
استغفارًا اخبر انك وان انتهيت في الاستغفار النهاية لا يغفر لهم ولا
ينفع لهم والله اعلم قوله تعالى فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله
وكرهوا ان يجاهدوا باموالهم جمع الله تعالى خصال المنافقين في هذه
الآية احدها ما ذكر من الفرح بالتخلف عن رسول الله والخلاف له والثاني
كراهتهم الجهاد مع رسول الله وبخلهم باموالهم والثالث صدهم الناس عن
الجهاد والخروج في سبيل الله بقولهم لا تنفروا في الحر ثم قوله فرح
المخلفون والاشكال انه ذكر المخلفون لان الله تعالى خلفهم لما ذكرنا ان
خروجهم لا يزيدهم الا خبالا وفسادا وانهم يبغون الفتنة ويسمعون الله خلفهم
عن ذلك وهو كقوله ولو ارادوا الخروج لاعدوا له عدة ولكن كره الله
انبعاثهم فثبطهم اي حبسهم فعلى ذلك قوله فرح المخلفون ويحتمل سموا
مخلفين لما خلفهم اصحاب رسول الله عليه السلام لو ارادوا ان يخرجوهم
كرهًا لقدروا وعلى ذلك منهم كالمخلفين من هذا الوجه وان كانوا متخلفين
حقيقة ثم قوله بمقعدهم خلاف رسول الله اي بمخالفة رسول الله وقرئ
خلف رسول الله اي فرحوا بمقعدهم خلف رسول الله اي بعد خروجه
ثم يحتمل بمقعدهم اي بقعودهم خلفه لان المفعل يذكر للمصدر ويحتمل بمقعدهم
اي موضع قعودهم وهو منازلهم واوطانهم قوله تعالى وكرهوا ان
يجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله اي كرهوا ذلك لبخلهم وخلافهم
الذي في قلوبهم قوله تعالى وقالوا لا تنفروا في الحر هذا الخروج في
الظاهر على اظهار الشفقة للمؤمنين ولكن لم يكونوا ارادوا ذلك انما ارادوا
حبسهم عن الخروج في سبيل الله لكن المؤمنين لا يمتنعون عن الخروج في سبيل الله
اذ قالوا لهم مطلقًا لا تنفروا وهو كقوله الذين قال لهم الناس ان الناس
قد جمعوا لكم فاخشوهم كانوا يجبنون المؤمنين عن الخروج في سبيل الله ولو
اطلقوا القول في المنع وصرحوا به لفهم المؤمنون ذلك ولظهر نفاقهم ويحتمل ان يكون

قوله لا تنفروا في الحر قالوا ذلك لاتباعهم لا للمؤمنين كقوله وقالوا لاخوانهم
اذا ضربوا في الارض او كانوا غزى الآية قوله تعالى قل نار جهنم
اشد حرًا لو كانوا يفقهون اي لو كانوا يفقهون ما انزل على رسول الله
لعلموا ان نار جهنم اشد حرًا من حر الدنيا ويحتمل اي لو كانوا يفقهون
انهم لم يخلقوا في الدنيا للدنيا خاصة ولكن خلقهم فيها ليمتحنهم ليعلموا ان
الموعودة في الآخرة اشد مما امتحنوا في الدنيا قوله تعالى فليضحكوا
قليلًا وليبكوا كثيرًا يشبه ان يكون الضحك كناية عن الفرح والسرور
والبكاء كناية عن الحزن يقول افرحوا وسروا قليلا ويحزنون في
الآخرة طويلًا كثيرًا ويحتمل ان يكون على حقيقة الضحك لانهم كانوا يضحكون
ويستهزؤون بالمؤمنين في الدنيا يقول فليضحكوا قليلًا لان الدنيا
قليلة ينقطع وليبكوا كثيرًا لان الآخرة لا ينقطع قوله تعالى جزاء
بما كانوا يكسبون ظاهر قوله تعالى فان رجعك الله الى طائفة
منهم فاستأذنوك للخروج دلت قوله فان رجعك الله الى طائفة منهم
ان ليس كل من تخلف عنه في ذلك منهم منافق ولا كل المنافقين تخلفوا
عنه وقوله طائفة منهم دليل ان الكل ما تخلفوا بل البعض كانوا مع
النبي وكذا يدلّ على ان بعض المتخلفين ليس بمنافق لانه قال فان
رجعك الله الى طائفة منهم ولم يقل اليهم وقوله فاستأذنوك للخروج
فقل لن تخرجوا معي ابدًا ولن تقاتلوا معي ابدًا انكم رضيتم بالقعود اول مرة
يحتمل وجهين احدهما اي لن آذن لكم ان تخرجوا ولا اذن لكم ان تقاتلوا
معي عدوًا منعهم عن ذلك عقوبة عليهم لما في ذلك من ظهور نفاقهم
اذ نظرًا للمسلمين لما اخبر ان خروجهم معهم لا يزيدهم الا خبالًا وفسادًا
ويحتمل ان يكون على سبيل الاخبار اي وان اذنت لهم بالخروج فلن يخرجوا
فكان هذا اخبارًا عن امر في المستقبل وكان كما اخبر فيكون دلالة
رسالته والله اعلم قوله تعالى فاقعدوا مع الخالفين قيل المتخلفين وهم
المنافقون ويحتمل اي اقعدوا مع اصحاب الاعذار وقال بعضهم مع النساء
والزمنى وهما واحد قوله تعالى ولا تصل على احد منهم مات ابدًا
قوله تعالى منهم اي من المنافقين ذكر في بعض القصة انه لما مات

عبد الله بن ابي جاء ابنه الي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان ابي
مات واوصاني ان تكفنه في قميصك وان تصلي عليه فخلع النبي قميصه
فاعطاه ومشى وقام علي قبره وروي في بعض الاخبار انه صلى عليه
والبسه قميصه فقيل له تلبس عدو الله قميصك فقال لاني ارجو ا
ان يسلم من قميصي من بني الخزرج الف فذكر انه لما فعل ذلك رسول الله
الف رجل من المنافقين وروي انه لم يصل عليه فلا ندري كيف كان الامر
بعد ان جاء النهي عن الصلاة علي المنافقين والقيام علي قبورهم بقوله
ولا تصل علي احد منهم الآية فيجب العمل به وقد روي عن عمر رضي الله عنه
في حديث فيه طول ان عبد الله بن ابي لما توفي جاء ابنه الي النبي
واخبره بذلك فقال يا رسول الله هذا قد وضعناه علي سريره فقم فصلي
عليه فصلى عليه ثم مشى رسول الله معه وقام علي قبره حتى دفن ثم لم يلبث
الا قليلا حتى انزل الله تعالي ولا تصل علي احد منهم ابدا ولا تقم علي قبره
ابدا فوالله ما صلى رسول الله علي احد من المنافقين ولا قام علي قبره بعده
قوله تعالي انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون سماهم
فسقة واسم الكفر اقبح واذم لكنهم جمعوا مع الكفر انواع الفسق فسماهم
به ليعلم ان اعتقادهم الكفر والمذهب الذي يذهبون اليه انما اعتقدوه
بهواهم اذ الفسق محرم علي كل ذي مذهب ودين وكل يأنف عن الفسق
ويتبرأ ولا كذلك الكفر لان كل من آمن بشيء كفر بضده واصل الفسق
هو الخروج عن الامر والله الموفق قوله تعالي ولا تعجبك اموالهم
واولادهم انما يريد الله ان يعذبهم بها في الدنيا وتزهق انفسهم وهم
كافرون قد ذكرنا فيما تقدم قوله تعالي واذا انزلت سورة ان
آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله اي اذا انزلت سورة فيها ان آمنوا بالله
وجاهدوا مع رسوله لا انها تنزل بهذا الحرف لكن فيها ذكر ان آمنوا بالله
وجاهدوا مع رسوله وهو كقوله فاذا انزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال
وقوله ان آمنوا بالله اي بقلوبهم لانهم قد اظهروا الايمان بلسانهم اذ الايمان
هو التصديق وهو عمل القلب ويحتمل ان آمنوا بالله اذ هم لم يكونوا مومنين
حقيقة قوله تعالي استاذنك اولوا الطول منهم قيل اولوا الطول هم

اهل الغناء والسعة وقيل هم اهل الشرف والفضل الذين كانوا
يصدرون عن ارائهم وينظرون الي تدبيرهم وقد كان في اهل النفاق
اهل السعة والغناء واهل الراي والتدبير قوله تعالي وقالوا
ذرنا نكن مع القاعدين استاذنوا القعود عن الجهاد والله اعلم لما كانوا
يوالون اهل الشرك سرا فكرهوا القتال مع الاولياء ويحتمل انهم
كانوا يتخلفون ويمتنعون عن الخروج الي القتال لفشلهم وجبنهم
لانهم كانوا لا يعملون لعواقب يأملون انما كانوا يعملون لمنافع حاضرة
لذلك كانوا يمتنعون عن القتال لما فيه خوف ذهاب ذلك فاما اهل
الايمان فانهم انما يعملون للعواقب وكذلك اهل الكفر انما كانوا يقاتلون
اهل الايمان لعاقبة الغنيمة في الدنيا ودفع الشر عن انفسهم للحال والله اعلم
وقوله ذرنا نكن مع القاعدين يحتمل مع القاعدين من الضعفاء والمرضى
والصبيان والنسوان اي ذرنا نكن مع هولاء حتى اذا اتاهم العدو
من بعد ما خرج الرجال الي قتال العدو يقومون لدفع العدو
عن هولاء ويحتمل قولهم ذرنا نكن مع القاعدين اي مع اهل العذر يرون
من انفسهم انهم اهل العذر ولم يكن لهم في ذلك عذر وهو كقوله يقولون
ان بيوتنا عورة وما هي بعورة فعلى ذلك يحتمل الاول والله اعلم
قوله تعالي رضوا بان يكونوا مع الخوالف قيل مع النساء وهذا
حرف تعيير وتوبيخ اي رضوا بان يكونوا في مشاهد النساء دون مشاهد
الرجال قوله تعالي وطبع علي قلوبهم فهم لا يفقهون ان للايمان نورا
يبصر به عواقب الامور ويرفع الحجاب والستر عن القلوب ومن الامور
فتصير بادية ظاهرة وللكفر ظلمة تستر الظاهر من الامور فذلك
هو الطبع وقد ذكرنا الوجه فيه في غير موضع وقوله فهم لا يفقهون
اي ما يلحقهم من التعيير برضاهم بالقعود مع الخوالف قوله تعالي
لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا باموالهم وانفسهم يقول والله اعلم
ان الرسول والذين حققوا الايمان والتصديق جاهدوا باموالهم وانفسهم
اي بذلوا اموالهم وانفسهم لنصر دين الله واظهار سبيله ولم يبخلوا كما بخل
اهل النفاق ببذل اموالهم وانفسهم في نصر دينه والجهاد مع اعدائه

ولم يحققوا الايمان والتصديق ثم اخبر ان المومنين هم الذين حققوا
الايمان والتصديق ثم اخبر ان المومنين هم الذين حققوا الايمان
والتصديق وبذلوا اموالهم وانفسهم وجاهدوا بها في نصرة دين الله
واظهار سبيله ثم قال واوليك لهم الخيرات قال بعضهم لهم الخيرات
اي الذكر في الدنيا والثناء الحسن وسلوك الناس طريقتهم وفي الاخرة الثواب
والجزاء وقيل لهم الخيرات في الاخرة وقيل لهم الخيرات اي الحور
العين لقوله تعالى فيهن خيرات حسان والله اعلم قوله تعالى واوليك
هم المفلحون المفلح الذي يظفر بحاجته قوله تعالى اعد الله لهم جنات
تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم ليعلم ان العظيم
ليس يقع فيما يقع فيه الغلظ والكثافة ولكن المراد به القدر والمنزلة
قوله تعالى وجاء المعذرون من الاعراب ليوذن لهم قال بعض
اهل التاويل المعذرون هم الذين كانوا يستاذنون القعود ولا عذر لهم
في ذلك وقال الكلبي المعذرون هم الذين لهم عذر وبهم علة وقال
بعضهم المعذرون هم المعتذرون وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه قرا
المعذرون بالتخفيف وقال لعن الله المعذرين كانه ذهب الى ان المعذر
هو الذي له عذر والمعذر بالتشديد الذي لا عذر له لذلك لعن المعذرين
وقال ابو معاذ اكثر كلام العرب المعذر الذي له عذر وهو قولهم
قد اعذر من انذر وقال ابو عوسجة المعذر بالتشديد الذي لا يناصح انما
يريد ان يعذر ويقال عذرت في الامر اذا لم تبالغ فيه واعذرت في الامر
اذا بالغت فيه وقال القتبي المعذرون بالتشديد هم الذين لا يجدون
انما يعرضون بما لا يريدون ان يفعلوه يقال عذرت في الامر اذا قصرت
واعذرت جددت وقال بعض اهل التاويل دلت هذا على ان اهل
النفاق كانوا صنفين صنف كانوا يستاذنون القعود وصنف لا يستاذنون
ولكن يقعدون بقوله وجاء المعذرون من الاعراب ليوذن لهم وقعد
الذين كذبوا الله ورسوله سيصيب الذين كفروا منهم عذاب اليم فدلت
قوله سيصيب الذين كفروا ولم يقل سيصيبهم عذاب اليم وقال بعضهم المعذرون
بالتخفيف هم المومنون الذين لهم عذر التخلف اتوا رسول الله لينظر في امرهم

الا وفق ان كان لهم الخروج اوفق يخرجون وان كان القعود اوفق
يقعدون يدل على ذلك الاية التي تلوناها هذه وهي قوله ليس على الضعفاء
ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج الاية فان قيل
اي فاحتمل ان تكون اية واحدة في الفريقين المختلفين اذا قرئ بالتخفيف
فهي في الذين لهم عذر واذا قرئ بالتشديد كانت في الذين لا عذر لهم
قيل نصرف على اختلاف القراءة كانتين في حالتين ووقتين مختلفين
ان كان تاويل المعذر بالتشديد هو الذي يعتذر ولا عذر له والمعذر
بالتخفيف هو الذي له عذر او كان تاويل احد الفريقين على ضد الاخر
كان لهم عذر في حال ولا عذر لهم في حال والا لا يحتمل ان تكون القراءتان
جميعا في وقت واحد وتاويلها على الاختلاف الذي ذكر والله اعلم وهو كقوله
فقالوا ربنا باعد بين اسفارنا وربنا باعد بين اسفارنا احدهما على الدعاء
والاخر على الخبر هما ايتان صارتا اية واحدة لاختلاف القراءة في حالتين
مختلفتين كذلك ههنا قوله تعالى ليس على الضعفاء ولا على المرضى
ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج لو لم يذكر المرضى ولا الذين
لا يجدون ما ينفقون لكان المفهوم من قوله ليس على الضعفاء المريض
والذي لا يجد ما ينفق وكذلك اذا ذكر المريض كان في ذكره ما يفهم
منه كل ضعيف وكل من لا يجد ما ينفق ففي كل حرف من هذه الحروف ما يفهم
منه معنى الاخر فلما ذكر دلت ان المراد ما ذكر من ذكر الضعفاء الزمنى من
نحو الاعمى والاعرج فكان كقوله ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج
حرج فتكون الايتان واحدة اعني معناهما واحد وفيه دلالة ان ليس في
ذكر عدد من الاشياء حظر دخول غير المذكور في حكم المذكور اذا كان
في معناه ولهذا قال اصحابنا رحمهم الله ان ليس فيما ذكر رسول الله
صلى الله عليه وسلم عددا في الربوا بقوله الحنطة بالحنطة والذهب بالذهب
والفضل ربوا على انه لا معنى وراءه ولا يدخل فيه ما لم يذكر لما ذكرنا انه لو
ذكر الضعفاء لدخل المريض والاعمى والاعرج وجميع من ضعف عن الخروج
من انواع الاعذار ثم لم يدل ما ذكر من العدد على تخصيصه انه لا معنى ذكره فعلى
ذلك خبر الربوا ثم جعل العرج والعمى والمرض وعدم النفقة عذرا في ترك

الخروج ولم تجعل شدة الحر وبعد المسافة ونحوه عذرا بقوله وقالوا
لا تنفروا في الحر قل نار جهنم اشد حرا لو كانوا يفقهون واصله
والله اعلم ان كل ما لم يعمل في المنع عن الخروج لشهوة او لطمع يرجى نيله
من التجارة ونحوها لم يكن ذلك عذرا في ترك الخروج اذ شدة الحر
وبعد السفر وخوف العدو مما لا يمنعهم عن الخروج للتجارة فلم يصر ذلك
عذرا في التخلف عن الخروج للجهاد واما حال المرض والزمانة وعدم
النفقة يمنعهم ويعجزهم عن الخروج في كل ما يهوون ويشتهون صار ذلك
عذرا لهم بالتخلف عن الخروج الي الجهاد والثاني يحتمل ان كل ما يقدر
علي دفعه بحال لم يجعل ذلك عذرا في التخلف وما لا سبيل لهم الي دفعه
فهو عذر والحر وبعد السفر وخوف العدو يجوز ان يدفع فيصير كان ليس
بمقابلتها ما هو اعظم منه وذلك قوله قل نار جهنم اشد حرا واذا ذكر شدة
حر نار جهنم وبعد سفر الآخرة واهواله كان عليه الخروج وسهل
فارتفع ذلك فلذلك صار احدهما عذرا والآخر لا والله اعلم قوله تعالي
اذا نصحوا لله ورسوله قيل لم يخدعوا احدا في دينه ولم يغشوا احدا في
دنياه وقيل اي اطاعوا الله ورسوله في الحضرة ولم يتركوا طاعته
قوله تعالي ما علي المحسنين من سبيل اي ما علي المحسنين من سبيل في
تركهم الخروج اذا لم يقدروا علي الخروج لما ذكرنا من الزمانة وعدم ما ينفقون
والله اعلم قوله تعالي والله غفور رحيم اي بتركهم الخروج وتخلفهم عن
الجهاد مع الاعذار قوله تعالي ولا علي الذين اذا ما اتوك لتحملهم قلت
لا اجد ما احملكم عليه الآية ذكر في بعض الاخبار عن النبي صلي الله عليه وسلم انه
قال لولا ان اشق علي امتي او قال علي المومنين والا لخرجت في كل سرية بعثتها
لانهم لا يجدون ما ينفقون فيخرجون ولا احد ما احملهم عليه فيشق عليهم
مفارقتهم ايانا فلا حرج عليهم بترك الخروج اذا لم يجد واما ينفقون ولا ما
يحمل عليه ثم قال ولكن السبيل علي الذين يجدون ما ينفقون فيتركون الخروج
بقوله انما السبيل علي الذين يستاذنونك وهم اغنياء رضوا بان يكونوا مع
الخوالف اي مع النساء قوله تعالي وطبع الله علي قلوبهم فهم لا يعلمون
قد ذكر ههنا وطبع الله علي قلوبهم فهم لا يعلمون وذكر في الآية الاولي وطبع

علي قلوبهم فهم لا يفقهون والفقه هو معرفة الشي بغيره والعلم هو وقوع
العلم لا بغيره ولذلك يقال الله عالم ولا يجوز ان يقال فقيه فاخبر
تعالي انهم ما عرفوا الحق بالغير ولا بانفسهم عنادا منهم ومكابرة قوله تعالي
يعتذرون اليكم اذا رجعتم اليهم قل لا تعتذروا لن نومن لكم فيه انباء عما
يقول المنافقون اذا رجعوا اليهم وتعليم من الله لرسوله والمومنين ما
يقولون لهم وماذا يجيبون اخبر ان المنافقين يعتذرون عن التخلف
والقعود عن الجهاد اذا رجعوا اليهم فعلم الله تعالي رسوله والمومنين فقال
قل لا تعتذروا لن نومن لكم اي لن نصدقكم بما تعتذرون اي بما تظهرون
لانفسكم من العذر وقوله قد نبانا الله من اخباركم يحتمل اي نبانا الله
تعالي انكم لا تصلحون ابدا كما قال انهم رجس وماويهم جهنم اخبر انهم رجس
وان ماويهم جهنم وقيل قد نبانا الله من اخباركم حيث قال لو خرجوا
فيكم ما زادوكم الا خبالا الي آخر الآية قوله تعالي وسيرا الله
عملكم ورسوله قال بعضهم وسيرا الله عملكم فيما تستانفون ويحتمل قوله
وسيري الله عملكم ورسوله باطلا ويحتمل وسيري الله عملكم اي يجزيكم
جزاء عملكم ورسوله والمومنون يشهدون عليكم بذلك قوله تعالي
ثم تردون الي عالم الغيب والشهادة قد ذكرنا انه ليس شي يغيب عنه
او يكون عنده شي اظهر من شي ولكن ما يغيب عن الخلق وما لا يغيب عنده
بمحل واحد قوله تعالي فينبئكم بما كنتم تعملون يخرج علي الوعيد والله اعلم
قوله تعالي سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم اليهم لتعرضوا عنهم فاعرضوا
عنهم يحتمل قوله فاعرضوا عنهم اي لحاجتهم اي يحلفون بالله لكم اذا رجعتم
اليهم انهم حلفوا للاعذار لتعرضوا عنهم اي لتجاوزوا عنهم فلا تكافوهم واعرضوا
عنهم واتركوا مجازاتهم لما سالوا من المجاورة وترك المكافاة ويحتمل لتعرضوا
عنهم اي لا تجازوهم ولا تشتغل بهم فانهم لا يصلحون ابدا وذلك قوله انهم رجس وماويهم
جهنم جزاء بما كانوا يكسبون قوله تعالي يحلفون لكم لترضوا عنهم اي
لتقبلوا منهم ما يظهرون من العذر ثم قال فان ترضوا عنهم فان الله لا يرضي
عن القوم الفاسقين اخبر انكم ان رضيتم عنهم وقبلتم ما يذكرون من عذرهم
فان الله لا يرضي عنهم لما يعلم انه لا عذر لهم فيما يظهرون لكم من العذر والله اعلم

وَلَيس في الآية نهي عن الرضا عمن اعتذر الي المرء وحلف عليه اذا لم يعلم حقيقة
حاله لان ارضا الخلق بعضهم لبعض انما يكون بالحلف وَ مَا يكون من الظاهر
وفا مما لا وقوف لهم علي الباطن اما رضا الله تعالي انما يكون بنا علي حقيقة
الباطن وانما نهي النبي واصحابه عن الرضا عن اوليك لما اعلمهم عن حقيقة حالهم
انهم منافقون والله اعلم قوله تعالي الاعراب اشد كفرا ونفاقا
يحتمل هذا الوجهين احدهما اي طايفة من الاعراب اشد كفرا ونفاقا وهو
ان رسول الله دعا كفار المدينه ومنافقيها الي الايمان فاويس عن ايمانهم بقوله
فاعرضوا عنهم انهم رجس وماويهم جهنم فلما اويس عن هولا اقبل الي طايفة من
الاعراب الذين كانوا اقرب المدينه وحواليها فاخبر انهم اشد كفرا ونفاقا
ويحتمل انه اراد بالاعراب الاعراب جملة انهم اشد كفرا اي الكفار منهم
واهل النفاق اشد كفرا ونفاقا من اهل الامصار والمدن وهذا لوجهين
احدهما ان اهل الامصار والمدن كانوا يسمعون الايات والحجج ويخالطون اهل
رافة ورحمة ومودة واما الاعراب هم اهل بادية كانوا لا يسمعون
الايات ولا الحجج ولا خالطوا اهل رافة ورحمة فهولا اقسي قلوبا واضيق
صدورا واهل المدن والامصار الين قلوبا واوسع صدورا فهما اسرع
للاجابة واوليك ابطا اجابة وابعد والله اعلم والثاني انهم وصفوا بفضل الجهل
ما لم يوصف اهل المدن والامصار لذلك علي ما روي عن النبي صلي الله عليه وسلم
انه قال لا يومنكم اعرابي وفي بعضها لا يؤمن اعرابي مهاجرا وفي بعض الاخبار
من بدا جفي وذلك والله اعلم لانهم كانوا لا يدخلون الامصار والمدن ليتادبوا
ويتعلموا الاداب فاذا كان كذلك فهم اجهل والايمان هو التصديق والتصديق
انما يكون بعد العلم لانه ما لم يعلم لم يصدق فاذا كانوا بالجهل ما وصفنا كانوا
اشد انكارا وتكذيبا من غيرهم وهو ما ذكر واجدر ان لا يعلم حدود ما انزل الله
علي رسوله وصفهم بالجهل وبالجهل يكون التكذيب وبالعلم يكون التصديق
والله اعلم قوله تعالي حدود ما انزل الله علي رسوله قال بعضهم
اي انهم اقل علما بالسنن وقيل بالفرايض وقيل الحدود ما بين من طاعة الله
ورسوله ومعصيته وحاصل ذلك انهم اهل جهل لجميع الاوامر والنواهي
وجميع الاداب وما يحل وما لا يحل قوله تعالي والله عليم حكيم اي عليم

بما يكون منهم خلقهم حكيم حيث وضع الخلايق بوضع يدلّ علي وحدانية الله والوهيته
لو تدبروا ونظروا فيها قوله تعالي ومن الاعراب من يتخذ
ما ينفق مغرما اي كان لا ينفق ولا يحتسبه وقال بعضهم ينفق ولا يراها
حقا وانما يراها غرما يلحقه واصله انهم لو كانوا علموا حقيقة انهم وما حوته
ايديهم لله ليس لهم لم يعدّوا ذلك غرما غرموا ولا تبعة تلحقهم ولكن لما
لم يعلموا ان اموالهم لله حقيقه لا لهم عدّوا ذلك غرما وتبعة والله اعلم
قوله تعالي ويتربص بكم الدوائر عليهم دايرة السوء قيل الدوائر هي
انقلاب الامر وهو من الدوران ولذلك قيل دوائر الزمان حوادثها
وقيل ويتربص بكم موت محمد وقوله عليهم دايرة السوء اي عليهم انقلاب
الامر وعليهم ما يتربصوا بالمومنين قوله تعالي والله سميع عليم
سميع بما قالوا وعليم بما اسرّوا واضمروا قوله تعالي ومن الاعراب
من يومن بالله واليوم الاخر ويتخذ ما ينفق قربات عند الله ذكر في الاية
ان من الاعراب من يومن بالله واليوم الاخر ليعلم ان قوله الاعراب
اشد كفرا ونفاقا كان في طايفة مشار اليها لا كل الاعراب لانه ذكر
ههنا ان منهم من قد امن وذكر في الاية الاولي ان منهم من يتخذ ما ينفق مغرما
اي لا يراه حقا واجبا ولكن غرما يلحقه ومنهم من يري ذلك حقا لله واجبا
ولكن غرما في اموالهم ويجعلون ذلك قربة لهم عند الله في الاية
خوف دخول المومنين في وعيد هذه الاية الذين لا يودون الزكاة
ولا ينفقون وخوف لحوق النفاق لانه اخبر انهم يتخذون ما ينفقون
مغرما فمن ترك اداه انما يتركه لانه لا يري ذلك حقا لانه لو راه ذلك حقا
واجبا لاداه علي ما ادي غيره من الحقوق ولو كان موقنا بالبعث لانفق وجعل
ذلك قربة له عند الله لان المومن انما ينفق ويعمل للعاقبة فاذا ترك
ذلك يخاف دخوله في وعيد الاية ولحوق اسم النفاق به وان كنا لا نشهد
عليه بذلك والله اعلم قوله تعالي ويتخذ ما ينفق قربات عند الله وصلوات
الرسول قال بعضهم جعلوا ما انفقوا قربات عند الله بصلوات الرسول لانهم
اذا انفقوا كان الرسول يدعو لهم بذلك ويستغفر فكان ذلك لهم قربات
عند الله باستغفار الرسول ودعايه وقال بعضهم جعلوا ما انفقوا وصلوات

الرسول طمانينة لهم وبراءة من النفاق لان الرسول كان لا يدعوا
لاهل الكفر والنفاق فاذا دعي لهولاء كان لا يدعوا لاهل الكفر والنفاق
فاذا دعي لهولاء وصلي عليهم كان طمانينة لقلوبهم وعلما لهم للبراءة عن النفاق
وعلي ذلك يخرج قوله ان صلواتك سكن لهم اي تسكن قلوبهم بصلاة
الرسول وتطمئن بانهم ليسوا من اهل النفاق وانهم براء من ذلك والله اعلم
قوله تعالي الا انها قربة لهم ذكر هذا مقابل ما ذكر في الاية الاولي
وهو قوله ويتربص بكم الدوائر عليهم دائرة السوء اخبر ثمه ان ما يتربصون
بالمومنين من الدوائر عليهم ذلك وههنا اخبر ان ما ينفق المومنون ويطلبون
بذلك قربة عند الله انها قربة لهم ثم وعدلهم الجنة بقوله سيدخلهم الله في
رحمته اي في جنته سمي الجنة رحمة لما برحمته يدخلونها لا استيجابا لها
منه بالعمل بل رحمة منه وفضلا قوله تعالي ان الله غفور رحيم
لما كان منهم من المساوي والشرك اذا تابوا وامنوا رحيم حيث لم يواخذهم
بذلك قوله تعالي والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار
يحتمل ان يكون هذا امر بوطا معطوفا علي قوله سيدخلهم الله في رحمته
مع السابقين الاولين اي اولئك الذين امنوا من بعد اولئك المهاجرين
والانصار يدخلهم في الجنة مع السابقين الاولين من المهاجرين والانصار
وحرف الواو بمعني مع ويحتمل ان يكون علي الابتداء لا علي العطف علي الاول
ثم اختلف فيه قال بعضهم السابقون هم الاولون في الاسلام والنصرة
وقال بعضهم هم الاولون في الهجرة وقال بعض اهل التاويل السابقون
الاولون من المهاجرين والانصار هم الذين بايعوا بيعة الرضوان وقال
بعضهم هم الذين صلوا بالقبلتين وقال بعضهم السابقون الي الاسلام الاولون
من المهاجرين والانصار هم الذين صلوا بالقبلتين قوله تعالي والذين
اتبعوهم باحسان اي الذين اتبعوا اولئك في الاسلام علي تاويل من جعل السابقة
في الاسلام وعلي تاويل من جعل علي الهجرة اي والذين اتبعوهم الي يوم القيمة
باحسان وعن عمر رضي الله عنه انه قرا علي طرح الواو والسابقون الاولون
من المهاجرين والانصار الذين اتبعوهم باحسان جعلهم فريقين المهاجرين
والانصار ولم يجعلهم طبقة ثالثة واما قراءة العامة من القراء فهي علي اثبات

الواو وجعلهم طبقة ثالثة ثم خصوص تسمية اهل المدينة انصارا وان
كانوا والمهاجرون جميعا نصروا رسول الله فهو والله اعلم لانهم نصروا
المهاجرين حيث اووهم وانزلوهم في منازلهم واوطانهم وبذلوا انفسهم
واموالهم وان كانوا جميعا في النصر لرسول الله شرعا سواء ثم في الاية
الرد علي الروافض لانهم يجعلون ابا بكر وعمر ومن تابعهما ظلمة لا علي الحق بتوليهم
امر الخلافة والامامة وفي هذه الاية ما يرد عليهم لانه معلوم انهم كانوا داخلين
في قوله والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار ثم اخبر الله تعالي
انه راض عنهم وانهم راضون عنه بقوله رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك
انهم كانوا علي حق وصواب من الامر وان من وصفهم بالظلم والتعدي هو
الظالم والمتعدي وفيه دلالة جواز تقليد الصحابة والاتباع والاقتداء
بهم لانه مدح من اتبع المهاجرين والانصار بقوله والذين اتبعوهم باحسان
ثم اخبر عن جملتهم ان الله تعالي راض عنهم ذلك ان التقليد لهم لازم والاقتداء
بهم واجب واذا اخبروا الخبر وحدثوا الحديث يجب العمل به ولا يسع تركه
والله اعلم به قوله تعالي وممن حولكم من الاعراب منافقون ومن
اهل المدينة مردوا علي النفاق اخبر ان من حولهم من الاعراب ومن
اهل المدينة ايضا منافقون مردوا علي النفاق ثم قال بعضهم المرود
في الشيء هو النهاية فيه وقال بعضهم مردوا علي النفاق اي بتوا وداموا
عليه وقال بعضهم مردوا اي عتوا عليه بالغوا فيه اخبر انهم لشدة مكرهم
وخداعهم وعتوهم لا تعلمهم انت نحن نعلمهم كما قال لا تعلمهم نحن نعلمهم سنعذبهم
مرتين لان من المنافقين من كان يعرفهم الرسول في لحن القول ومنهم من
كان يعرفه الرسول في صلوته كقوله واذا قاموا الي الصلاة قاموا
كسالي ومنهم من كان يعرف نفاقه في تخلفه عنه في الغزوات لغير عذر
فاخبر عز وجل ان هولاء لشدة عتوهم ومكرهم وفضل خداعهم لا تعرف
نفاقهم نحن نعرف نفاقهم ثم اخبر انه يعذبهم مرتين قال بعضهم القتل والسبي
وعن الحسن قال عذاب في الدنيا وعذاب في القبر وقال بعضهم يعذبهم
بالجوع مرتين وقال ابو بكر الاصم سنعذبهم مرتين القتل والسبي وقيل
تعذيبه اياهم مرتين شدة الموت وعذاب القبر ثم يردون الي عذاب اليم

ويشبه ان يكون تعذيبه اياهم مرتين حيث اخذوا بالانفاق علي المؤمنين
وبينهم وبين المومنين عداوة وامروا ايضا بالقتال مع الكفار وهم
اولياؤهم فاخذ العذابين هو الانفاق علي الاعداء والاخر هو القتال
مع الاولياء والقتل في ذلك فان قيل لم تبلغنا ان منافقا قتل حتي يكون
ذلك تعذيبا اياه قيل لم يبلغنا ولم يذكر لعلة انهم كانوا لا يعرفونهم لقوله
لا تعلمهم فاذا لم يعرفوهم فيقتلون كما يقتل غيرهم من المؤمنين والله اعلم
وقال بعضهم سنعذبهم مرتين عند الموت ضرب الملايكة الوجوه والادبار
كقوله يضربون وجوههم وادبارهم والآخر عذاب القبر قوله تعالي
وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا قال عامة اهل التاويل
الآية نزلت في ابي لبابة واصحابه تخلفوا عن غزوة تبوك فندموا علي ذلك
واعترفوا ورجعوا عن ذلك وتابوا فقبل الله توبتهم ووعدهم المغفرة
بقوله عسي الله ان يتوب عليهم ان الله غفور رحيم وذكر في بعض القصة
انه لما رجع رسول الله صلي الله عليه عن غزوة تبوك جاء هولاء الذين تخلفوا
عنه باموالهم الي رسول الله فقالوا هذه اموالنا التي خلفتنا عنك فخذها
فتصدق بها عنا فكره ان ياخذها فقال لم اومر بذلك فنزلت قوله
خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وهذا الوعد لكل مسلم ارتكب ذنبا
لم يخرجه من الايمان ثم ندم علي ذلك وتاب يرجي ان يكون في وعد هذه الآية
والله اعلم ثم ذكر المومنين وما هم عليه وذكر المنافقين وما هم عليه ثم ذكر الذين
خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا ثم ندموا علي ما فعلوا وتابوا وعدهم قبول
التوبة والمغفرة قوله تعالي خذ من اموالهم صدقة تطهرهم اختلف
في هذه الصدقة التي امر الله رسوله ياخذها من اموالهم قال بعضهم
هي صدقة فريضة ثم اختلف هولاء انها اية فريضة هي قال بعضهم هي فريضة
زكوة الاموال وقال بعضهم هي فريضة كفارة المآثم فمن قال هي كفارة
قالوا ان الآية نزلت في الذين تخلفوا عن غزوة تبوك علي ما ذكرنا فامر الله
تعالي رسوله ان ياخذ ذلك منهم ويتصدق بها علي الفقراء كفارة لما ارتكبوا
ومن قال هي فريضة زكوة المال تعلقوا بما روي عن ابي امامة قال ان ثعلبة
ابن ابي حاطب اتي رسول الله فقال يا رسول الله ادع الله ان يرزقني مالا

فقال ويلك يا ثعلبة قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه ثم جاء فقال
يا رسول الله ادع الله ان يرزقني مالا فقال ويحك يا ثعلبة اما ترضي
ان تكون مثل رسول الله لو سالت الله تعالي ان يسيل الجبال علي ذهبا
لسالت ثم اتاه فقال يا رسول الله ادع الله ان يرزقني مالا فوالله لئن
اتاني مالا لاوتين كل ذي حق حقه فدعا له اللهم ارزق ثعلبة مالا ثلث مرات
وذكر انه اتخذ غنما فنمت كما ينمو الدود حتي ضاقت عليه الارض ازقة
المدينة فتنحي بها وكان يصلي الصلوات كلها مع رسول الله ويخرج اليها
ثم ضاقت عليه مراعي المدينة فتنحي بها فكان يصلي الظهر والعصر مع رسول الله
ثم يتبعها ثم تنحي بها فكان يصلي الجمعة مع رسول الله ثم يتبعها ثم بلغ امره الي ان
ترك الجمعة والجماعات فتنحي بها وتتلقي الركبان فيسالهم عن الخبر وعما
انزل الله علي رسوله فانزل الله تعالي خذ من اموالهم صدقة فبعث
رسول الله علي الصدقة رجلين فكتب لهما فرايض الصدقة وامرهما ان
يسعيا في الناس وياخذا صدقاتهم وان يمرا بثعلبة ورجل من بني سليم
فياخذا صدقاتهما فخرجا يصدقان الناس فمرا بالسلمي فاقراه كتاب
رسول الله فاطاع بالصدقة ومرا بثعلبة فاقراه كتاب رسول الله فقال
والله ما ادري ما هذه الا جزية او اخت الجزية فاذا فرغتما فمرا بي حتي
اري رايي فلما فرغا من الناس مرا به فقال لهما مثل ما قال وقال
انطلقا فاني سالقي رسول الله فانزل الله تعالي قوله ومنهم من عاهد الله
لئن آتانا من فضله الآية الي هذا ذهب عامة اهل التاويل وقال بعضهم ان
الصدقة التي امر الله رسوله ان ياخذها من اموالهم هي صدقة تطوع وانه
امر ندب لا امر حتم وهو ما ذكر ان رسول الله كان يحث الناس علي الانفاق
في غزوة تبوك فجاء عبد الرحمن ابن عوف بكذا وفلان بكذا فاخذها منهم وفيهم
نزل قوله الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات ومنهم من قال
هي في كل صدقة تطوع قلت او كثرت ثم في قوله خذ من اموالهم صدقة امر
لرسول الله ان ياخذ من اموالهم مقدار ما راه المصلحة فيه لا ياخذ الكل لان
اخذ الكل يحوجهم ويشغلهم عن جميع الطاعات والعبادات ولكن امر قدرا
منها وطايفة مقدار ما يكفر ما ارتكبوا ان كان المراد هي الكفارة وان

كانت زكوة فالمراد القليل لا الكل لان كلمة من للتبعيض والله اعلم ٥
قولــه تعالي تطهرهم وتزكيهم بها ان كفارة صدقة الزكاة فهي تطهر
آثامهم وتزكي آثامهم حتي يتيسر عليهم اخراج الصدقة واداؤها الي اهلها
وان كانت صدقة الكفارة لمن تخلف عن غزوة تبوك فهي يكثر آثامهم التي لحقهم
ذلك وتطهرهم قبل وتقبلهم وهي ظاهرة وان كانت صدقة تطوع فهي مما تطهر
ايضا وتزكيهم لما تنفي عنهم البخل وتودي الي الجود والكرم الا تري انه مدح من
اعطي وذم من بخل ومنع بقوله فامن اعطي واتقي وصدق بالحسني فسنيسره
لليسري واما من بخل واستغني وكذب بالحسني فسنيسره للعسري
قولــه تعالي وصل عليهم ان صلوتك سكن لهم قال بعضهم كان رسول الله
صلي الله عليه وسلم اذا اتي احد بصدقة دعا له واستغفر وكان لا يستغفر
لاهل النفاق وكان قلوبهم تسكن وتطمين باستغفار النبي لما علموا بذلك
انهم ليسوا من اهل النفاق والله اعلم ويحتمل وجها آخر وهو ان الله
تعالي امر رسوله ان يستغفر لهم ويصلي عليهم ثم لا يحتمل ان يامره بذلك
فلا يفعل او يفعل فلا يجيبه فكانت قلوبهم تسكن وتطمين باستغفار النبي
اياهم لما قبلت توبتهم وكفرت سيئاتهم والله اعلم قولــه تعالي والله سميع
عليم قد ذكرنا تاويله غير مرة ثم قوله خذ من اموالهم صدقة فيه دلالة
علي ان الصدقة اذا وقعت في يد المتولي والعامل عليها سقطت عن اربابها
وان لم تقع في ايدي الفقراء ولم تصل اليهم لان النبي كان لا يحل له الصدقة
ثم اخبر انه اذا اخذها منهم كانت طهارة لهم وتزكية والله اعلم وفيه
استدلال لمحمد رحمه الله ان الواقف اذا وقف واخرجه من يديه
وجعله في يدي من لا حق له في ذلك فهو جائز ويكون وقفا صحيحا
جائزا والله اعلم ومن الناس من استدل بهذه الآية علي ان للامام ان
يطالب بزكوات المواشي والاموال الظاهرة فان الله تعالي امر بذلك
رسوله وكذلك مضت السنة من رسول الله في بعث المصدقين الي
احياء العرب والآفاق والبلدان لاخذ صدقات الانعام والمواشي في مواضعها
وعلي ذلك فعل الائمة من بعده ابي بكر وعمر والائمة الراشدين وظهر
العمل بذلك من بعدهم الي يومنا هذا حتي قال ابو بكر رضي الله عنه

لما امتنعت العرب من اداء الزكاة والله لو منعوني عقالا كانوا يؤدون
رسول الله لحاربتهم عليه فذلك يؤيد ما ذكرنا من حق المطالبة للامام
بزكوة الاموال الظاهرة وقد بين الله تعالي في ذلك بيانا شافيا
بقوله انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها جعل للعاملين
عليها حقا فلو لم يكن علي الامام ان يطالب ارباب الاموال بصدقات
الانعام باماكنها وكان اداؤها الي ارباب الاموال لم يكن لذكر العاملين
وجه ولم يبلغنا ان النبي صلي الله عليه وسلم بعث في مطالبة المسلمين
بزكوات الورق واموال التجارة ولكن الناس كانوا يعطون ذلك او منهم
من حملها الي الائمة فيقبلون ما يحمل اليهم منها ولا يسالون احدا
عن مبلغ ماله ولا يطالبونه به الا ما كان من توجيه عمر العشار في
الاطراف وكان ذلك منه عندنا والله اعلم عمن بعد داره وشق عليه
ان يحمل صدقته اليه وقد جعل في كل طرف من الاطراف عاشرا لتجار
اهل الحرب والذمة فامر ان ياخذوا من تجار المسلمين ما يدفعونه
اليه فكان ذلك من عمر تخفيفا علي المسلمين لا ان علي الامام مطالبة
ارباب اموال العين واموال التجارة باداء الزكاة اليهم سوي المواشي
والانعام وان مطالبة ذلك الي الائمة الا ان ياتي احد منهم الامام
بشيء من ذلك فيقبله ولا يتعدي عما جرت به السنة الي غيره والله اعلم
قولــه تعالي الم يعلموا ان الله هو يقبل التوبة عن عباده وياخذ
الصدقات يحتمل قوله الم يعلموا اي قد علموا ان الله هو يقبل توبة
من تاب ويحتمل علي الامر اي اعلموا ان الله هو يقبل التوبة ممن تاب
وقوله وياخذ الصدقات قيل يقبل الصدقات ويثيبه وياخذ الرسول
الصدقات لكن اضاف اخذ رسوله الي نفسه وذلك في القرآن كثير وهو
كقوله خذ من اموالهم صدقة والله اعلم قولــه تعالي وان الله هو
التواب الرحيم قال ابو بكر الاصم التواب يذكر لمعنيين احدهما بمعني العائد
يقال تاب الله عليه اي عفي عن ذنبه ويريد بمعني التايب للمبالغة والتواب
عندنا هو الموفق للتوبة ثم الكافر اذا اسلم وتاب لم يلزمه مع التوبة كفارة
اخري وان كان ارتكب مساوي وفواحش سوي الشرك والكفر

وَالمسلم اذا ارتكب مساوي لزمته التوبة والكفارة جميعًا وذلك لان المسلم
لما اسلم اعتقد حفظ ما لزمه من الشرايع فاذا ارتكب ما ذكرنا جرح
شرايعه وادخل نقصانا فيما اعتقد حفظه فاذا ترك حفظه ادخل فيه
النقصان فلزمته كفارة تجبر بها النقصان الذي ادخل فيه فاما الكافر
فليس عليه شيء من الشرايع انما عليه ان يتوب عن الشرك ويأتي بالايمان
لذلك افترقا والله اعلم قوله تعالى وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله
والمومنون اختلف فيه قال بعضهم ذلك في الذين كانوا تخلفوا عن غزوة
تبوك ثم ندموا عن ذلك فتاب الله عليهم يقولوا اعملوا فسيرى الله عملكم
ورسوله والمومنون اي ان عدتم الي ما عنه تبتم وهو التخلف يطلع الله
رسوله والمومنين ذلك وستردون الي عالم الغيب والشهادة اي تردون
الي ما اعد لكم عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون وقال بعضهم
الاية في المنافقين يقول اعملوا فيما تستانفون فان الله تعالى يطلع
رسوله والمومنين علي نفاقكم فيفتضحون حيث يطلعون علي سرايركم
وستردون الي عالم الغيب والشهادة اي تردون الي ما اعد لكم عالم
الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون اي يجزيكم جزاء ما كنتم تعملون
يخرج ذلك علي الوعيد وذكر في بعض الاخبار ان النبي صلي الله عليه وسلم
شهد جنازة والمومنون ايضا شهدوها فاثني عليها فقيل وجبت فقيل
يا رسول الله ما وجبت قال الملايكة شهداء الله في السماء وانتم شهداء الله
في الارض فاذا شهدتم وجبت ثم قرا وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله
والمومنين فان ثبت هذا ففيه دلالة حجة الاجماع لانه قال الملايكة
شهداء الله في السماء وانتم شهداء الله في الارض فاذا شهدتم وجبت فاذا
شهدوا علي شر فهو شر واذا شهدوا علي خير فهو خير فعلي هذا اذا شهدوا
علي حكم يلزم العمل به ثم قوله وقل اعملوا ليس علي الامر ان يقول لهم جميعا
اعملوا كذا ولكن علي ان من بلغته هذه الاية يتفكر فيها ويتدبر فلا يقدم
علي عمل لا يستحسنه ان يكون رسول الله والمومنون بحضرته فاذا خلا به
لا يعمله وكذلك قوله قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة
المكذبين ليس علي الامر بالسير في الارض ولكن علي الامر بالتفكر والتامل

والتدبر فيما نزل بهم بالتكذيب وكذلك قوله قل الله احد ليس علي الامر
ان يقول لهم ذلك ولكن علي ان يتفكر كل فيه فيعرف انه واحد وقيل
ان هذه الاية كانها نزلت في الذين تخلفوا عن رسول الله لركون الي
الدنيا ورغبة فيها وهم المومنون والاية التي قبل هذه في المنافقين
الذين تخلفوا بالركون في الدنيا كفرا ونفاقا والله اعلم قوله تعالى
واخرون مرجون لامر الله اما يعذبهم واما يتوب عليهم قال بعضهم
هو صلة قوله واخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا واخر
سيئا اي كانوا موقوفين محبوسين لا يدرون ما يحكم الله فيهم ايعذبهم ام يتوب
عليهم فنزل قوله واخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا
واخر سيئا عسى الله ان يتوب عليهم وقال بعضهم هو صلة قوله والذين
اتخذوا مسجدا ضرارا كانوا اتخذوا مسجدا وكانوا مرجون لامر الله قال
هم الثلاثة الذين خلفوا وقال ابو عوسجة مرجون اي محبوسون
يقال ارجيته اي حبسته وقال القتبي مرجون لامر الله اي مرجون
علي امره اي محبوسون موقوفون علي امره قوله تعالى والذين
اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا وتفريقا بين المومنين عن ابن عباس رضي الله
عنهما ان المنافقين اتخذوا مسجدا فلما فرغوا منه جاءوا الي النبي وهو
يتجهز لغزوة تبوك فقالوا يا رسول الله بنينا مسجدا لذي العلة والحاجة
والليلة المطيرة وانا نحب ان تاتينا فتصلي فيه فقال رسول الله انا علي
سفر وحال شغل ولو قدمنا من سفرنا اتيناكم وصلينا لكم فيه ان شاء الله
تعالى فانزل الله علي رسوله والذين اتخذوا مسجدا ضرارا الاية اخبر
فيه انهم لم يقصدوا في بناء مسجدهم ذلك ما ذكروا انا بنينا لذي العلة والحاجة
والليلة المطيرة والاشفاق علي الدين وحفظ الصلاة بالجماعة ولكن يقصدون
به ضرارا وكفرا وتفريقا بين المومنين ثم قوله وتفريقا بين المومنين
تفسير لقوله ضرارا يقصدون ببناء المسجد الذي بنوا ان يفرقوا بين المومنين
وبين رسول الله حتى اذا جاءهم العدو وجدهم متفرقين فيكون ايسر
واهون عليهم في الكسر عليهم والظفر بهم من ان كانوا مجموعين علي ما روي
عن النبي صلي الله عليه وسلم انه قال لن يغلب اثنا عشر الفا وكلمتهم واحدة

ولقوله تعالى ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم جعل الاجتماع في الدين نعمة الله
عليهم ونهاهم عن التفرق فاولئك قصدوا قصد التفريق لما ذكرنا
ويحتمل انهم كانوا يقصدون بذلك ان يفرقوا بين ضعفة المومنين وبين
رسول الله فيلبسوا عليهم الدين لانهم كانوا اهل لسان وجدل وذلك كفر
كله على ما ذكر وفيه دلالة اثبات رسالة محمد صلى الله عليه وسلم لانه
معلوم انهم اسروا واضمروا فيما بينهم من الضرار والكفر والتفريق
بين المومنين فاطلع الله نبيه على ما اسروا ليعلم انه انما عرف ذلك بالله تعالى
قوله تعالى وارصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل قال عامة
اهل التاويل ان الذي ذكر انه حارب الله ورسوله هو ابو عامر ذكر ان ابا
عامر حارب رسول الله ثم فر منه فقال للمنافقين ابنوا مسجدا واستعدوا
فاني ذاهب الى قيصر فآت بجند فيخرج محمدا واصحابه من المدينة فذهب الى قيصر
بالشام فبنوا مسجدا ضرارا وكفرا بين المومنين وارصادا لمن حارب الله ورسوله
يعني ابا عامر وقال القتبي ضرارا اي مضارة وارصادا اي ترقبا بالعداوة
وقال ابو عوسجة ضرارا مضارة وارصادا اي وقوفا وانتظارا للفرصة
لمن حارب الله على المومنين قوله تعالى وليحلفن ان اردنا الا الحسنى
اي حلفوا انهم ما ارادوا باتخاذ المسجد الا الحسنى والخير ثم قال والله يشهد
انهم لكاذبون فيه ما ذكرنا من اثبات الدلالة على رسالة محمد قوله تعالى
لا تقم فيه ابدا قيل لا تصل فيه لانهم سالوه ان يصلي فيه وقيل لا تقم فيه اي
لا تاته ولا تدخل فيه وهو واحد قوله تعالى لمسجد اسس بنيانه على التقوى
من اول يوم احق ان تقوم فيه قال بعضهم هو مسجد قباء وقال بعضهم هو مسجد
رسول الله صلى الله عليه لما روي عن ابي سعيد الخدري قال اختصم او
قال اختصما في المسجد الذي اسس على التقوى وقال النبي صلى الله عليه
وسلم هو مسجدي هذا وعن ابي بن كعب قال ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل
عن المسجد الذي اسس على التقوى فقال هو مسجدي هذا وظاهر ما ذكر
ان يكون مسجد قباء لانه ذكر انه لما نزل قوله فيه رجال يحبون ان يتطهروا
والله يحب المطهرين قال عليه السلام لاهل قباء ان الله تعالى قد احسن عليكم
الثناء بالطهور فماذا تصنعون قالوا انا نغسل عنا اثر الغائط والبول

وقوله فيه كناية عما سبق ذكره من قوله لمسجد اسس على التقوى من اول
يوم احق ان تقوم فيه فيه رجال يحبون وفي بعض الاخبار قالوا يا رسول الله
انا نجد مكتوبا علينا في التوراة الاستنجاء بالماء فلا ندعه فقال عليه السلام
فلا تدعوه وقوله فيه رجال يحبون ان يتطهروا ويحتمل فيه رجال يحبون
ان يتطهروا اي فيه رجال يوثرون التطهير بالايمان والتوحيد والصلاة
فيه وكل مسجد هذا فيه فهو موسس على التقوى اي تقوى الشرك والخلاف
لامر الله ومناهيه ويحتمل فيه رجال يحبون ان يتطهروا اي يوثرون التطهير
بالتقوى والاعمال الصالحة على غيرها من الاعمال التي تنجيهم ويحتمل ما
ذكر من اهل التاويل من التنجي من الاقذار والانجاس التي تصيبهم
قوله تعالى افمن اسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير
اي من اسس بنيانه على الطاعة لله والاخلاص له وطلب مرضاته خير امن
من اسس بنيانه على شفا جرف هار اي من الذي بني للاختلاف والتفريق
بين المومنين بالكفر بالله هذا مقابلة مكان بمكان يقول من بنى بناء في المكان
الذي لا يغرقه ويودي الى الهلاك فلا ينتفع به والاول مقابلة فعل بفعل
اعني قوله والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا وتفريقا للمومنين كالذي
بنا للضرر ذلك اما ليسا بسواء ثم قال لمسجد اسس على التقوى من اول يوم احق
ان تقوم فيه فهذا مقابلة فعل بفعل والله اعلم وقوله اسس اي اصل الاس والاسس
والتاسيس والاساس واحد قوله تعالى على شفا جرف هار قال ابو
عوسجة شفاه فمه والجميع اشفاء وجرف ارض يسيل فيها السيل حتى يجرفها
والجرفة الجميع والهار والهش اي ليس بصلب ويقال انهار بنيانها اي انهدم
ويقال رجل هار اي ضعيف وارض هشة اي رخوة سريعة الانهدام
وقال القتبي شفا جرف هار اي جرف حرف هاير والجرف ما يجرف
بالسيول من الاودية والهاير الساقط فهو حرف مقلوب هار وهاير
يقال تهور البناء وانهار اذا سقط وقال ابو عبيدة الشفا هو الشفير
والجرف ما جرف بالسيول من الاودية وهار يريد هاير قوله تعالى
فانهار به في نار جهنم قال بعضهم خسف الله مسجدهم هذا في نار جهنم وفي حرف
ابن مسعود رضي الله عنه فخر من قواعده في نار جهنم ويقال حفرت

فيه بقعة فترى منها دخان ساطع وقال بعضهم اي يهوي بنيانهم الذي بنوه في نار جهنم ولا ندري كيف هو وتمامعناه قوله تعالى لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم قال بعضهم بنوا ريبة اي حسرة وندامة وقال بعضهم ريبة اي شكا وريبا واصل الريبة التهمة يقال فلان مريب اذا كان به تهمة فمن قال حسرة وندامة فهو علي وجهين يحتمل انهم تابوا وندموا علي صنيعهم ويحتمل حسرة وندامة لما افتضحوا بما صنعوا وبما ارادوا بقوله والله يشهد انهم لكاذبون ومن قال شكا ونفاقا اي هم علي ذلك الشك والنفاق الي الموت وهو كقوله فاعقبهم نفاقا في قلوبهم الي يوم يلقونه قوله تعالى الا ان تقطع قلوبهم هذا يحتمل وجهين احدهما علي التمثيل يقال فلان منقطع القول اذا بلغ خوفه وحزنه غايته فمعناه والله اعلم انهم علي الشك والنفاق ابدا الا ان تقطع قلوبهم اي غير ان قلوبهم منقطعة اي خايفة حزنة في غاية الخوف والحزن والثاني علي الاستعارة عن حقيقة القطع اي هم علي النفاق الا ان تقطع قلوبهم اي الي ان يموتوا فيكون تقطع القلب كناية عن الموت والله اعلم قوله تعالى إن الله اشتري من المومنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة يحتمل قوله اشتري استام لان قوله اشتري خبر عن الماضي والمراد بهذا الي يوم القيامة دلت ان المراد منه في المستانف وذلك هو الاستيام اي استام وطلب منهم ان يبذلوا انفسهم واموالهم بان لهم الجنة ثم بين بذل الانفس والاموال فقال يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون ويحتمل ان يكون قوله اشتري من المومنين انفسهم واموالهم خبرا عن قوم باعوا انفسهم واموالهم كقوله ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله وقوله فليقاتل في سبيل الله الذين يشترون الحيوة الدنيا بالآخرة ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل او يغلب فاذا صاروا بايعين انفسهم من الله تعالى صار الله مشتريها منهم ثم بين ان كيف تباع وتشتري فقال يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون اي يقتلون العدو ويقتلون بقتل العدو وقري الاول ايضا بالضم ويقتلون والثاني بضم الياء وهما في المعني واحد ثم ليس المراد منه الجمع ان يقتلوا ويقتلوا لاصابة هذا الوعد وهو الجنة ولكن الشرط احدهما وهو ان يقتلوا العدو او يقتلهم العدو ايهما كان او ان يقاتلوا العدو وان

لم يقتلوا اعرفناه بنص آخر وهو قوله ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل او يغلب فسوف نوتيه اجرا عظيما وقال هل ادلكم علي تجارة تنجيكم من عذاب اليم تومنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله باموالكم وانفسكم جعل الايمان بالله تعالى والمجاهدة في سبيله تجارة منجية علي النار ولم يشترط قتل العدو لا محالة دلت ان المراد بما ذكرنا ونفس الجهاد والمقاتلة مطلقا والله اعلم ثم قوله ان الله اشتري من المومنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة جعل الجنة بدلا وعوضا عما بذلوا من الاموال والانفس من حيث الظاهر وان كانت الجنة لهم بحق الوعد فضلا منه ورحمة لا بحق البدل لان انفسهم واموالهم في الحقيقة لله تعالى ملك يحق له ان ياخذ منهم انفسهم واموالهم وان يتلفهم علي وجه شاء فيكون الامر بالجهاد طلب بذل ما له عندهم من الاموال والانفس وشرا ما له في الحقيقة وذلك لا يوجب استحقاق البدل ولكن انما ذكر شرا انفسهم واموالهم منهم واضاف اليهم وجعل الجنة كالبدل بما ادخل حرف البدل فيه بقوله بان لهم الجنة لوجهين احدهما اظهار كرمه وجوده وفضله بما عامل عباده معاملة من لا ملك له فيهم ولا حق ووعد لهم علي ذلك اجرا وبدلا وكذلك ما ذكر من الاقراض له ووعد لهم علي ذلك الاجر مضاعفا وعلي هذا ما وعدهم من الثواب فيما يعملون لانفسهم كالعاملين له حيث قال جزاء بما كانوا يعملون وقال ان الله لا يضيع اجر المحسنين وقال انا لا نضيع اجر من احسن عملا ونحو ذلك وان كانوا في ذلك غير مستحقين عوضا لما عليهم الخدمة بحق انهم عبيده واماؤه وعلي ذلك قوله ان احسنتم احسنتم لانفسكم وان اساتم فلها وقوله من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها جعلهم عاملين لانفسهم بما اكتسبوا بها العوض في الآخرة من الثواب والعقاب والله اعلم والثاني ذكر شرا ماله في الحقيقة ليعلم الخلق ان كيف يعامل بعضهم بعضا وكذلك قوله واقرضوا الله قرضا حسنا عاملهم معاملة من لا حق له في اموالهم وانفسهم ليعامل الناس بعضهم بعضا في اموالهم وانفسهم كمن لا حق له في ذلك فيكون هذا تعليما للخلق حسن المعاملة فيما بينهم والله اعلم ويشبه ان يكون الشرا الذي ذكر وما وعد لهم ببذل انفسهم واموالهم في الجهاد يكون ذلك ايضا في غيره من الطاعات

والخيرات من بذل نفسه لله فيما ذكر من العبادة له والجهد وما ذكر في الآية
فهو بايع نفسه منه كقوله ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله
ونحو ذلك والله اعلم قوله تعالى وعدا عليه حقا في التوربة والانجيل
والقرآن اي وعدا واجبا ثابتا حقيقة منه في التوربة والانجيل
والقرآن وهو ما ذكرنا من نيل الجنة ببذل الانفس والاموال في سبيل الله
وفي حرف بن مسعود رضي الله عنه عهدا عليه حقا في التوربة والانجيل والقرآن
ثم قال ومن اوفى بعهده من الله هذا يدلك على ان قوله ان الله اشترى
من المومنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة انما هو عهد عهد اليهم حيث قال
ومن اوفى بعهده من الله معناه لا احد اوفى واصدق بعهده من الله ان وفيتم
انتم بعهده الذي عهد اليكم والله اعلم ثم قوله وعدا عليه حقا في التوربة
والانجيل والقرآن ينقض قول من يقول بان الانجيل نزل على التخفيف
والتيسير ليس فيه شي من الشدايد والتوربة نزلت على التشديد
فان فيه ان الجهاد مامور به في الانجيل وكذلك قوله فآمنت طايفة من بني
اسرائيل وكفرت طايفة فايدنا الذين آمنوا على عدوهم وذلك مذكور
في حكم الانجيل الا ان يقال بان قوله وعدا عليه حقا في التوربة
والانجيل اي كان هذا مذكورا لهذه الامة في التوربة والانجيل لا لهم
والله اعلم قوله تعالى فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به يحتمل ان
يكون المراد من الاستبشار في جميع الاوقات ويشبه ان يكون الاستبشار
الذي ذكر وقت الموت بان يقول لهم الملايكة فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم
به في حال الحيوة وهذه الآية تدل على ان البيع انما يكون بيعا ببدل
وان لم يتلفظ بلفظة البيع فانه لم يوجد لفظة البيع ههنا من الخلق وسماه
بيعا لما كان منهم اعطاء العرض لما يأملون من العرض وهو الجنة وقد
ذكرنا فيما تقدم ان الاحكام لم تتعلق بالالفاظ والاسامي انما تتعلق بالمعاني
فاذا وجد معنى البيع كان بيعا ويسمى به قوله تعالى وذلك هو الفوز
العظيم الى الذي ذكر قوله تعالى التايبون العابدون الحامدون
السايحون الى آخر الآية قال بعضهم هو على الصلة للاول فيما ذكر من الشرا
والوعد لهم الجنة اذا كانوا على الوصف الذي ذكر على اثره وكذلك في حرف

ابن مسعود وابي رضي الله عنهما ان الله اشترى من المومنين التايبين
العابدين الحامدين على الصلة بالكسر الى قوله والحافظين لحدود الله
وقرا رها والقايمين على حدود الله انفسهم واموالهم بان لهم الجنة
ومنهم من قال على الابتدا بالرفع التايبون العابدون الى اخر الآية
ثم قوله التايبون يحتمل التايبون من الشرك ويحتمل التايبون من جميع
المعاصي وقوله العابدون يحتمل الموحدون ويحتمل العابدون لجميع انواع
العبادة وقوله الحامدون المثنون على الله تعالى لان العبادات كلها شكر وان
كان قوله العابدون الموحدون فيكون قوله الحامدون الشاكرون النعم
التي انعمها الله عليهم وقوله السايحون قيل الصايمون وعلى ذلك روي
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه سيل عن السايحين فقال هم الصايمون
وقال صلى الله عليه وسلم وسياحة امتي الصيام قال القتبي اصل السايح
الذاهب في الارض ومنه يقال ساح اذا جرى وذهب والسايح في الارض ممتنع
عن الشهوات فشبه الصايم به لامساكه في صومه عن المطعم والمشرب وجميع
اللذات وقال ابو عوسجة هم الذين يمضون على وجوههم في الارض ليست
لهم منازل نقول ساح يسيح سيحا وسياحة قوله تعالى الراكعون الساجدون
قيل المصلون وقيل الخاضعون لله والخاشعون له وكذلك في حرف حفصة
رضي الله عنها قوله تعالى الامرون بالمعروف يحتمل التوحيد اي الامرون
الناس بتوحيد الله ويحتمل الآمرون لهم بالخيرات والمعروف كلها
قوله تعالى والناهون عن المنكر يحتمل الشرك ويحتمل كل معصية والله اعلم
قوله تعالى والحافظون لحدود الله قال بعضهم لفرايض الله وقال
بعضهم لسنن الله والاشبه والحافظون لجميع احكام الله لا يجاوزون ما
حد لهم ولا يفرطون فيها قوله تعالى وبشر المومنين يحتمل البشارة لهولاء
الذين سبق ذكرهم ويحتمل على الابتدا اي بشر جميع المومنين بان لهم من الله
فضلا كبيرا والله اعلم قوله تعالى ما كان للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا
للمشركين دلت الآية بما نهانا ان نستغفر لمن علمنا انه من اهل النار ان الله تعالى
لا يغفر له لما علم انه لا يومن فعلى ما علمنا انه لا يغفر له لم نستغفر له لم يجز لنا
ان نقول له انه اراد الايمان لمن يعلم انه لا يومن ابدا كما لم يجز ان نغفر لمن علم

انه من اهل النار وهذا ينقض على المعتزلة قولهم ان الله تعالى قد اراد
لكل كافر الايمان لكنه لم يؤمن ثم قوله ما كان للنبي والذين آمنوا ان
يستغفروا للمشركين ولو كانوا اولي قربى من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب
الجحيم قال بعض اهل التاويل ان رسول الله صلى الله عليه قد استغفر

٢٤٧

لاجل والديه وذكر انه دخل على ابي طالب عمه فدعاه الى شهادة ان لا اله
الا الله فابى ثم استغفر له وقال لاستغفرن لك ما لم انه عنه او كلام نحو هذا
فنزل قوله ما كان للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا
اولي قربى الاية وقال الحسن لا يحتمل ان يكون رسول من رسل الله لا
يعلم ان الله تعالى لا يغفر الكافر اذ في العقل والحكمة ان لا يغفر له بل يعذبه
ابدا وعندنا في الحكمة تعذيب الكافر ابدا وان لا يغفر لوجوه احدها
ان في ذلك تسوية بين العدو ووليه ومن سوى بين وليه وعدوه فهو
ليس بحكيم اذ في الحكمة التمييز بينهما والثاني انه اذا عبد غير الله معه انما
يعبد غيره لجهله وتلك الجهالة لا ترتفع ابدا لانه اذا غفر له يقع عنده انه
انما جوزي به وغفر بعبادة غير الله والثالث انه لو غفر للكافر لذهبت
حكمة الافعال لان الافعال انما يعمد بها لعواقب تؤمل اما حمدا واما ذما
فاذا عفي له حمد بافعال كان الحق له الذم بها وفي ذلك خروج عن الحكمة والله اعلم
ويحتمل ان يكون رسول الله كان يستغفر للمنافقين قبل ان يتبين له انهم
منافقون فلما تبين له نفاقهم كف عن استغفارهم فاما ان يستغفر للكافر
على علم منه انه كافر فلا يحتمل على ما يقوله بعض اهل التاويل انه استغفر لعمه
ولاحد والديه والله اعلم قوله تعالى وما كان استغفار ابراهيم لابيه
الا عن موعدة وعدها اياه قال بعضهم ان اباه وعد له ان يسلم فكان استغفاره
لابيه على ظن انه انجز وعده فيكون استغفاره بعد الاسلام الا ترى انه قال
ايضا ربنا وتقبل دعاء ربنا اغفر لي ولوالدي وللمومنين يوم يقوم الحساب
فانما طلب له المغفرة في ذلك اليوم لا للحال لما كان وعد له ان يسلم فيستغفر له
في ذلك اليوم لوجود الاسلام منه ظاهرا يدل عليه انه تبرا منه اذ تبين له
انه من اهل النار وانه لا يتحقق منه انجاز ما وعد له بقوله فلما تبين له انه عدو لله
تبرا منه والله اعلم ويحتمل ان يكون استغفار ابرهيم لابيه طلب السبب الذي

يستوجب به المغفرة وهو التوحيد والاسلام وهو كقول هود لقومه ويا
قوم استغفروا ربكم ثم توبوا اليه وكذلك قوله خبرا عن ابراهيم واغفر لابي
انه كان من الضالين اي اعطه السبب الذي به المغفرة وهو التوحيد وعلى

٢٤٨

هذا الحمل استغفار رسولنا لعمه لو ثبت ان سؤاله سؤال التوحيد والاسلام
الذي هو سبب المغفرة له وهو اعلم فان كان على ما ذكر ثم كيف استثنى الا
قول ابراهيم لابيه لاستغفرن لك بعد ما اخبر ان لنا في ابراهيم قدوة بقوله
قد كانت لكم اسوة حسنة في ابراهيم قيل يحتمل الاستثناء في قوله الا قول
ابرهيم لابيه لاستغفرن لك اي حتى يعلم المعنى من استغفاره لابيه لانا لا
نعرف مراد ابراهيم من استغفاره لابيه وكذلك استغفار الانبياء لقومهم
والمتصلين بهم فاستثنى ذلك الى نعلم مرادهم من استغفارهم قوله تعالى
ان ابراهيم لاواه حليم قيل الاواه الدعاء وعلى ذلك روي عن النبي صلى الله
عليه انه سئل عن الاواه فقال الدعاء الخاشع المتضرع وعن ابن عباس رضي الله
عنهما قال الاواه المومن وقيل الاواه الفقيه الموقن وقيل المسبح وقيل
الاواه المتاوه خوفا وحزنا وقوله حليم قيل الحليم خلاف السفيه وقيل
العليم وقيل الحليم هو الذي لا يغضب ولا يسفه عند سفه السفيه والله اعلم
قوله تعالى وما كان الله ليضل قوما بعد اذ هديهم حتى يبين لهم ما
يتقون اختلف اهل التاويل فيه قال بعضهم الاية في استغفار المومنين
المشركين وقال بعضهم الاية في نسخ الاحكام والشرايع التي يحتمل النسخ
فان كان في استغفار المشركين فليس هناك نسخ لانه لم يسبق لهم الامر
بالاستغفار ولا الاباحة لهم في ذلك فكانه قال ما كان الله ليجعل قوما ضلالا
بالاستغفار للمشركين بعد اذ جعلهم مهتدين حتى يعلموا بالنهي عن ذلك والله اعلم
وهو يحتمل ايضا ما ذكرنا من استغفارهم للمنافقين قبل ان بين لهم يقول لا
يجعلهم ضلالا حتى يبين لهم ذلك وان كان في نسخ الاحكام فكانه قال والله اعلم
ما كان الله ليجعل قوما ضلالا لا جهالا بفعلهم الذي فعلوا في الامر حتى يبين لهم
ما يتقون اي حتى يعلموا بالذي يلزمهم الانتهاء عنه وهو النسخ هذا في الاحكام
التي يحتمل النسخ اما الاحكام التي لا يحتمل النسخ فلا فاصلة ان كل ما كان في العقل
امتناع نسخه فانه لا يرد فيه النسخ ثم المسالة فيما عملوا بالمنسوخ قبل العلم بالنسخ

مما حال العمل الذي عملوا به يخرجون ويأثمون في عملهم بذلك او يثابون
ويوجرون عليه فان كان الفعل فعل طاعة وقربة فانه يثاب في قصده وفعله
ويكون له القربة في فعله كما روي ان نفرًا كانوا يصلون الى بيت المقدس
فمر عليهم مار فقال الا ان القبلة قد حولت الى الكعبة وهم في الركوع
فتحولوا نحوها فاخبروا بذلك رسول الله فلم يأمرهم بالاعادة وهذا لان الافعال
التي فرضت لم تفرض لنفس الافعال انما فرضت للطاعة لله والتقرب
وقد وجد الفعل على قصد التقرب فيوجرون على ذلك وان كان الفعل فعل حل
وحرمة فانه لا حرج في فعله قبل بلوغ النسخ نحو ما روي انهم كانوا يشربون
الخمر فاتاهم آت فقال الا ان الخمر قد حرمت فصبوها وكفوا عنها فهم في
شربهم بعد التحريم قبل بلوغ الخبر بالتحريم لا يحرجون والله اعلم قوله تعالى
ان الله بكل شيء عليم اي عليم بما فيه مصالح الخلق وما ليس فيه مصالحهم كان هذا والله
اعلم خرج لرد قول من انكر النسخ في الشرائع يقول ان الله تعالى يعلم ما
فيه مصالح الخلق وانتم لا تعلمون فمتى نسخ كان ذلك بيانا منه ان المصلحة في
الناسخ بعد ذلك فيجب الانقياد لذلك يؤيد ذلك قوله ان الله له ملك السموات
والارض يحيي ويميت اي انتم عبيده وليس لعبد انكار شيء لسيده انما عليه
الطاعة والايتمار لسيده في اوامره ونواهيه وقوله يحيي ويميت دليل على هذا
اي كما له ان يميت بعد الحيوة ويحيي بعد الموت فكذلك له ان يتعبدهم في حال العباده
وفي حال بعبادة اخرى والله اعلم قوله تعالى لقد تاب الله على النبي والمهاجرين
والانصار الآية قال بعض اهل التاويل تاب الله عليهم لزلات سبقت منهم
ولهفوات تقدمت لا ان يكون منهم زلات في غزوة تبوك اما التوبة على النبي
بقوله عفي الله عنك لم اذنت لهم الآية واما على المهاجرين والانصار ما كان
منهم يوم احد ويوم حنين وهو قوله انما استزلهم الشيطان ببعض ما
كسبوا ولقد عفي الله عنهم وقال بعضهم عفي الله عنهم لهفوات كانت منهم
في غزوة تبوك فانهم هموا ان ينصرفوا في غير وقت الانصراف على غير اذن
لشدائد اصابتهم تاب الله عليهم لما هموا بالانصراف في غير وقت الانصراف
الا انه ذكر التوبة على النبي على الاشراك له مع المؤمنين من غير ان كان
منه ذنب وزلة لانه اخبر ان ذنبه مغفور له بقوله ليغفر لك الله ما تقدم

من ذنبك وما تاخر وهو كما امره في الاستغفار بقوله واستغفر لذنبك
وللمومنين والمومنات وعلى ذلك الاول ويشبه ان يكون التوبة التي ذكر
على وجهين سوى ما ذكر واحدهما وهو انه تاب عليهم على معنى انه
وفقهم بتجديد التوبة للهفوات التي تقدمت او الثبات عليهما من غير ان
كان منهم في الحادث شيء يجب التوبة عنه اذ التوبة من الله تعالى على
العبد يراد بها توفيقه اياهم على التوبة فكان توفيق تجديد التوبة
لهم توبة منه عليهم وهذا كقوله الهدي وهم على الهدى كقوله اهدنا
الصراط المستقيم وقوله يا ايها الذين آمنوا آمنوا بالله اي يا ايها الذين
آمنوا فيما مضى من الوقت آمنوا في حادث الوقت او اثبتوا على ذلك وان لم
يتخلل بين ذلك ما هو ضد الايمان لما ان الايمان فعل يتجدد فكذلك التوبة
من العبد اذ هي عبارة عن الندم عما فعل والعزم على تركه مثله في المستقبل
فانه يتجدد في كل ساعة والثاني انما ذكر انه تاب عليهم وذلك لانهم حيث صبروا
على ما اصابهم من الشدائد والجهد كشف الله عنهم اشياء كانت مستورة عندهم
وجلي عنهم اغطية كانت لا تنجلي لهم من قبل ثم انكشفت وتجلت لهم بصبرهم
على الشدائد التي اصابتهم وهو كقوله الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا
اليه راجعون لما صبروا على ما اصابهم من المصائب ازداد تفويض وتسليم
الامر والرجوع اليه وكقوله ما اصاب من مصيبة الا باذن الله ومن يؤمن
بالله يهد قلبه ازداد لهم بما صبروا هدى وتجلى لهم اشياء لم تكن من قبل
فعلى ذلك لما تحملوا الشدائد وصبروا عليها زادهم الله تعالى بسبب ذلك ندمًا
ورجوعًا عليه وعزمًا على الامتناع ووفقهم على ذلك وهو التوبة من الله تعالى
على العبد فلذلك قال لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والذي يقرر ما
قلنا من الوجهين ان الله تعالى قال من بعد ما كاد تزيغ قلوب فريق منهم
اخبر ان الله تعالى تاب عليهم من بعد ما كاد تزيغ قلوب فريق منهم ولم يقل انها
زاغت وذكر قلوب فريق منهم ولم يذكر قلوب الكل فدل ان ذلك من غير وجود
الذنب منهم فيكون المراد ما قلنا من الوجهين ثم التوبة من الله تعالى تخرج على
وجوه احدها التوفيق وهو ان يوفقهم للتوبة ويكرمهم بها كقوله ثم تاب عليهم
ليتوبوا اي وفقهم للتوبة فتابوا والثاني التوبة منه قبوله منهم اي يقبل التوبة

منهم كقوله انه هو التواب الرحيم والثالث التوبة منه العفو والصفح والتجاوز
يقال تاب الله عليهم اي عفي وتجاوز عنهم الي هذه الوجوه تخرج اضافة التوبة
الي الله قوله تعالي الذين اتبعوه في ساعة العسرة قيل عسرة النفقة
فان في تلك الغزوة الامر ضيق عليهم ولذلك سموا جيش العسرة وقيل عسرة
الظهر فانه اشد عليهم امر الحرب وعسر عليهم الظفر بالعدو قوله تعالي
من بعد ما كاد تزيغ قلوب فريق منهم ذكر في بعض القصة ان قد اصابهم من الجهد
والشدة حتي ان الرجلين ليقتسمان التمرة بينهما وقد يتداول التمرة بين جماعة
يمصها هذا ثم يشرب عليها الماء ثم يمصها هذا ونحو ذلك ولكن لا ندري كيف كان
الامر سوي انه اخبر ان قلوبهم كادت تزيغ من الجهد بهم قوله تعالي
وعلي الثلاثة الذين خلفوا وقال بعضهم اي خلفوا عن توبة الله عليهم التي ثبتت
في حق المهاجرين والانصار بقوله لقد تاب الله علي النبي والمهاجرين والانصار
بان اخبرهم النبي ان الله تعالي تاب عليهم سوي هؤلاء الثلاثة فكانوا يبتهلون
ويدعون الله تعالي حتي تاب عليهم وقال قايلون خلفوا اي خلفهم الله تعالي
علي معني انه خلق منهم التخلف عن الغزو ومع رسول الله ويشبه ان يكون قوله
وعلي الثلاثة الذين تخلفوا عن رسول الله ثم ندموا علي تخلفهم فلحقوا رسول الله
والله اعلم قوله تعالي حتي اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت وضاقت
عليهم انفسهم يحتمل هذا علي التحقيق ويحتمل علي التمثيل ثم للتحقيق وجهان احدهما
ما ذكر في القصة انهم شدوا انفسهم علي السواري والاسطوانات فاتوا باموالهم
منعتهم عن الخروج وتصدقوا بالارضين التي منعتهم عن الخروج فضاقت عليهم
الارض بعد ما كانت متسعة يتسعون فيها وكذلك ضاقت عليهم انفسهم بما
شدوا انفسهم علي الاسطوانات وذكر في القصة ان واحدا من هؤلاء مما
حبسته ارضه عن الخروج فتصدق بها علي الفقراء وكان له التوسع بتلك الارض
ثم ضاقت عليه والثاني ضاقت عليهم الارض بما حبسوا انفسهم عن اراضيهم وتركوا
شهواتهم وامانيهم وما يتلذذون به فذلك ضيق الارض عليهم وضيق النفس واما
الوجه الثاني بطريق التمثيل وهو ان الخوف اذا اشتد بالانسان وبلغ غايته
حتي يمنعه عن القرار في الارض والتلذذ فيها يقال ضاقت عليه الارض بسعتها
وقوله وضاقت عليهم انفسهم لما ذكر ان الناس كانوا لا يكلمونهم ولا يخالطونهم

ولا يبايعونهم ولا يكلمهم اهاليهم والله اعلم قوله تعالي وظنوا ان لا ملجأ
من الله الا اليه قال بعضهم ظنوا ان لا نجاة من عقوبة الله الا بعفوه اي ايقنوا
ان لا مخلص لهم ولا احتراز من عقابه وقيل وظنوا ان لا ملجأ من عذاب الله
الا الي رحمته وقيل وظنوا ان لا ملجأ من رسول الله الا الي الله لانه ذكر
انهم سالوا رسول الله التجاوز عن ذلك فلم يجبهم فايقنوا عند ذلك ان المفزع
والملجأ الي الله تعالي لا الي احد دونه قوله تعالي ثم تاب عليهم اي وفقهم
للتوبة وتابوا قوله تعالي ان الله هو التواب الرحيم اي الموفق للتوبة
او القابل لها والله اعلم قوله تعالي يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا
مع الصادقين في ظاهر الآية ان قوما عرفوا بالصدق فامروا بالكون معهم في دين الله
ويشبه ان يكون امر هؤلاء الذين تخلفوا عن رسول الله بالكون مع المهاجرين
والانصار الذين كانوا مع رسول الله وفيه دلالة ان الاجماع حجة فانه امرهم
بالكون مع الصادقين في دين الله فلو لم يلزمهم قبول قولهم لم يكن للامر بالكون
معهم وجه وفي حرف ابن مسعود رضي الله عنه وكونوا من الصادقين وهو
ظاهر وقوله اتقوا الله يحتمل وجوها احدها اتقوا الله في حفظه ولا يضيعوه
وكونوا مع الصادقين في وفاء ذلك الحق وحفظه ويحتمل اتقوا الله في ترك
ما امتحنكم به من الخروج الي الجهاد مع رسول الله وغير ذلك من المحن او يقول
اتقوا مخالفة الله ورسوله فيما امركم به وكونوا مع الموافقين لامرهما والله اعلم
قوله تعالي ما كان لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب ان يتخلفوا
عن رسول الله يشبه ان يكون هذا اصله ما سبق منهم من المبايعة والعهود التي
جرت بينهم وبين رسول الله يقول والله اعلم ما كان اي لم يكن لاهل المدينة
ومن حولهم من الاعراب ان يتخلفوا عن رسول الله بعد ما قبلوا ان نصرته
والمعونة وبايعوه علي ذلك هذا المحتمل والله اعلم ويحتمل ان يكون هذا ما ذكر
علي اثره وهو قوله ذلك بانهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله
يقول والله اعلم ما كان لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب ان يتخلفوا عن رسول الله
وقد جعل لكل ما يصيبهم في انفسهم من العناء والشدة وفي اموالهم من النقصان
وما ينفقون من النفقة قليلة كانت او كثيرة او يصيبون من العدو من القتل
والغنيمة عوضا واجرا وكتب لهم بذلك عملا صالحا اي ما كان ينبغي لهم ان يتخلفوا عنهم

وقد كتب لهم بكل ما يصيبهم من الشدة والعنا وما يصيبون من الحيي العمل الصالح
والاجر العظيم والله اعلم ويحتمل ما كان لاهل المدينة ان يتخلفوا عن رسول الله بعدما
تخلفوا امرح قوله تعالى ولا يرغبوا بانفسهم عن نفسه اي ما كان ينبغي لهم ان يرغبوا
عن رسول الله لكن ذكر بانفسهم عن نفسه على طريق التاكيد قطعا للاحتمال كما
يقال جاءني زيد نفسه لاحتمال ان يجي رسوله فيقال جاء زيد مجازا ويقول
رايت انا بعيني لاحتمال ان يقال رايت كذا اي علمت بالخبر مجازا فكذا ههنا
لا يرغبوا بانفسهم تاكيدا والله اعلم ويحتمل ولا يرغبوا بانفسهم اي ولا يرغبوا لانفسهم
اي لاجل انفسهم عن نفس رسول الله وذلك جايز في اللغة قوله تعالى
ذلك بانهم لا يصيبهم ظما ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله قوله ظما قيل عطش
ولا نصب قيل العنا والمشقة ولا مخمصة في سبيل الله اي مجاعة قوله تعالى
ولا يطون موطيا يغيظ الكفار قال بعضهم ولا يقفون موقفا وقال بعضهم هو من الوطي
والموطي هو السبي الذي يوطا قوله تعالى ولا ينالون من عدو نيلا قتل من قتل
منهم او اغاره عليهم الا كتب لهم به عمل صالح اي يكتب بما لهم وما عليهم العمل
الصالح ذكر هذا والله اعلم لمكان من تخلف منهم مخافة ان يصيبه من العنا والشدة
يقول كتب لهم بكل ما يصيبهم العمل الصالح ان الله لا يضيع اجر المحسنين قوله
تعالى ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة ولا يقطعون واديا الا كتب لهم هو ما
ذكرنا انه يجزيهم بكل ما يصيبهم من الشدة والعنا في انفسهم وفي اموالهم من النقصان
وما ينفقون قوله تعالى ليجزيهم الله احسن ما كانوا يعملون اي يجزيهم
بصالح اعمالهم ولا يجزيهم بسياتهم وهو كقوله اوليك الذين نتقبل عنهم احسن ما
عملوا ونتجاوز عن سياتهم اخبر في الاول انه يجزيهم احسن ما عملوا في الغزو
ولا يجزيهم بسياتهم والله اعلم قوله تعالى وما كان المومنون لينفروا كافة
فلولا نفر من كل فرقة منهم طايفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا
رجعوا اليهم لعلهم يحذرون اختلف اهل التاويل قال بعضهم ان النبي صلى الله
عليه وسلم كان اذا خرج للغزو خرجوا جميعا معه فيبقى المدينة خالية عن الرجال
فنهى الله تعالى عن ذلك وقال وما كان المومنون لينفروا كافة اي ما كان ينبغي للمومنين
ان ينفروا كافة مع رسول الله فلولا نفر من كل فرقة منهم طايفة وقال بعضهم كان
رسول الله اذا بعث سريه خرجوا جميعا فبقي وحده ولم يبق معه احد من

يشهد التنزيل لخبر اوليك الذين غابوا عنه وقال بعضهم الاية في الوفود
وذلك ان الوفود اذا قدموا من الافاق المدينه قدموا مع النسا والذراري
فامر بان ينفر من كل فرقة طايفة منهم لا الكل فمن يقول ان الاية في الذين
كانوا يخرجون مع رسول الله اذا خرج كان النهي عن الخروج جملة مع النبي
خوفا على اهاليهم وذراريهم لعل العدو سباهم واخذ اموالهم يقول فلولا نفر
من كل فرقة منهم طايفة ليتفقهوا في الدين اي هلا نفر منهم طايفة من كل
فرقة منهم ويبقى طايفة لحفظ النسا والذراري ثم الذين معه يخبرون الكفار
والمنافقين اذا حضروا بما انزل الله على رسوله من النصر والمعونة للمسلمين
والهزيمة على الكفرة الذين قاتلوا رسول الله فكان ذلك سبب دعايهم الى الاسلام
والى هذا يذهب الحسن والاصم ومن يقول الاية في الذين خرجوا ونفروا
مع السرايا نهاهم عن خروج الكل لما لعله اذا نزل على رسول الله شي فلم يكن معه
احد يبلغه اليه ثم يبلغه هو الى من غاب وخرج الى الغزو فلم يكونوا على علم مما ينزل
عليه صلى الله عليه من الاحكام والشرايع فامر بان ينفر طايفة ويبقى طايفة
ليبلغ الشاهد الغايب ما نزل بهم من القران والله اعلم ومن يقول الاية في الوفود
الذين كانوا ياتون رسول الله المدينة بالنسا والذراري كان النهي عن ذلك بما
كانوا يضيقون على اهل المدينه اوطانهم ويغلون اسعارهم يقول فلولا نفر من
كل فرقة منهم طايفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم اي
هلا نفر من كل فرقة منهم طايفة ليتعلموا الدين واحكامه ثم ليرجعوا الى قومهم
فيعلموهم والله اعلم فان قيل في هذه الاية نهي الكل ان ينفروا مع النبي
الى الجهاد وامر في الاية الاخرى بنفر الكل بقوله انفروا خفافا وثقالا
وقال فانفروا ثبات او انفروا جميعا وقال ما كان لاهل المدينة ومن حولهم
من الاعراب ان يتخلفوا عن رسول صلى الله عليه وسلم قيل قال بعض اهل التاويل
بان هذه الاية نسخت الايات التي يوجب الخروج جملة ويمنع التخلف وبه قال
الحسن والاصم ولكن يمكن تخريج الايات على لا نواسخ فكان القول به اقرب من
الناسخ وذلك من وجهين احدهما يحتمل انه امر بنفر الجميع عند قلة المومنين
ليكون لهم الكفاية مع العدو ثم اذا اكثر المسلمون امر بنفر البعض دون البعض لما قال
والثاني يحتمل انه امر بنفر الكل عند النفير وامر بنفر البعض دون البعض في

غير حال التفقه جميعا بين الآيات بقدر الممكن والله اعلم ثم قوله من كل فرقة
منهم طائفة قيل من كل عصبة او من كل قبيلة ومن كل حي ثم في الآية دلالة سقوط
فرض النفير ليتعلم العلم والتفقه في الدين عن الكل اذا قام بعض بذلك فيخرجون
ويتعلمون ثم يعلمون قومهم لانه قال فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة الآية وفيها
ايضا دلالة سقوط فرض الجهاد عن الجملة اذا قام بعض عنهم ثم الآية تحتمل وجهين
احدهما ان اهل بلدة او اهل قبيلة يختارون من يصلح للتفقه في الدين والتعلم فينفر
حتى اذا تفقه وتعلم رجع الى قومه ليعلمهم والثاني يأمر من يصلح للتفقه بالتخلف
عن الجهاد اذا كان بهم غنية ليتفقهوا عند رسول الله فينذروا قومه اذا رجعوا اليهم
من غزاتهم وفيه دلالة لزوم العمل بخبر الواحد وان احتمل الغلط لان ما ذكر من الطائفة
يحتمل ان يجتمعوا على ذلك كذبا او غلطا ثم الزم قومهم قبول خبرهم لقوله ولينذروا
قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا قاتلوا
الذين يلونكم من الكفار اختلف فيه قال بعضهم ان هذه الآية نزلت قبل نزول
قوله قاتلوا المشركين كافة وقوله فان تولوا فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم كان
الامر في الابتداء بقتال الادنى فالادنى ثم جاء الامر لقتال الكفار عاما وقال بعضهم
ان النبي كان اذا غزا اعرابيا او كفارا ويتركهم وراءه ويقاتل غيرهم ليكون ذلك
آية لثبوته ليعلم انه لا يبالي ممن يقاتل ولا يخاف ممن تركهم وراءه ثم امر الله تعالى
المؤمنين ان يقاتلوا الاقرب فالاقرب والادنى فالادنى منهم وان لا يتركوا العدو
وراءهم ثم قوله قاتلوا الذين يلونكم من الكفار مخرج على وجهين آخرين وكذا زادوا
لاهل النفاق الثبات والدوام على العناد في تكذيب الحجج والآيات لما ذكرنا
ان السورة حجة ودلالة وبالحجة يزداد الثبات لاهل الايمان بها اذ هم قد اعتقدوا
قبول الحجج والدلائل فاما اهل النفاق والكفر فهم اهل عناد ومكابرة فقد اعتقدوا
رد الحجج فيزدادهم العناد والكفر ويحتمل فزادتهم ايمانا اي ازدادهم الايمان بالتفسير
على ايمانهم بالجملة وان كانوا مصدقين بذلك كله جملة فانه اذا انزل بهم نوازل وفرائض
ازدادهم بذلك تصديقا وكذلك اهل النفاق اعتقدوا الكفر والنفاق ورد الحجج جملة
ثم يزدادهم التكذيب برد الحجج على التفصيل والتكذيب لها ويحتمل فزادتهم ايمانا اي ازدادت
لهم الحجج والبراهين على الايمان والتصديق على ما كان من قبل وكذلك يزداد لاهل النفاق
ضد ذلك واصل ذلك انه لولا ما كان منهم من الايمان والتصديق لكان هذا منهم ابتداء

ايمان واحداث تصديق وكذا لو لم يكن من اهل النفاق ما سبق من العناد والمكابرة
لكان ذلك منهم احداث تكذيب وعناد فيتحقق زيادة على هذا الاعتبار والله اعلم
وقال بعضهم يزداد لاهل الايمان بها حسنات ولاهل النفاق شرور ثم اضافة
الزيادة الى السورة لقوله فزادتهم ايمانا وقوله فزادتهم رجسا يحتمل وجهين
احدهما اضيف اليها الزيادة على ما اضيف الغرور الى الدنيا وهو ما ذكرنا
انه يبدو امثالهم من التزيين ما لو كان ذلك من ذوي الافعال والتغرير كان
ذلك غرورا فكذلك ههنا يظهر لهم بنزول السورة من الثبات والدوام وانشراح
الصدور ما لو كان ذلك ممن يتصور منه الشأن لكان ذلك منه زيادة الحجة والبيان
والثاني اضاف الغرور الى الدنيا لما بها اغتر اهلها وان كان لا صنع من جهتها
في الدعوة لما فيها من الحسن الظاهر وانواع اللذات التي تغتر المرء بها وتميل
طبعه اليها فكذلك اضافة الزيادة الى السورة لما انه ازداد لاهل الايمان بها التصديق
لما في فيها تميل العقل الى العمل بها والتصديق لها وازداد لاهل النفاق التكذيب
والكفر بما اعتقدوا الحيث اعتقادهم رد الحجج والتكذيب لها فيزداد الرد والتكذيب
عند زيادة الحجج وقال ابو بكر الاصم انما اضيفت الزيادة اليها لانها كانت سبب
الزيادة وقد يضاف الاشياء الى اسبابها كما يضاف الى حقيقة الافعال ولكن لا يحتمل
ان يكون السورة التي نزلت سببا لزيادة الكفر لكن الوجه فيه ما ذكرنا على ذلك
الوجه يكون السورة شرطا لا سببا والله اعلم ثم قوله وهم يستبشرون قيل يفرحون
بنزولها وقوله تعالى اولا يرون انهم يفتنون في كل عام مرة او مرتين قيل يفتنون
بالجهاد والغزو ويتخلفون عنه فيظهر بذلك كفرهم ونفاقهم وقيل يفتنون بالشدة والجوع
فيظهر ايضا بذلك نفاقهم وكفرهم وهو كقوله واذا انزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال
وكقوله ومن الناس من يعبد الله على حرف فان اصابه خير اطمأن به وان اصابته
فتنة انقلب على وجهه وقيل يفتنون باظهار الاسرار التي اسروا في انفسهم
والافتضاح بذلك فانهم كانوا اذا خلوا يتكلمون بالكفر فيما بينهم واذا اتوا النبي اخبرهم
بما تكلموا به في السر فيفتضحون بذلك فذلك افتتانهم ولا يقال انه قال يفتنون
في كل عام مرة او مرتين وقوله تعالى ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون اي لا يتوبون
عن نفاقهم ولا هم يذكرون بما ابتلوا من هذه الوجوه الثلاثة والله اعلم قوله تعالى
واذا ما انزلت سورة نظر بعضهم الى بعض هل يراكم من احد ثم انصرفوا قال بعضهم

هذه الآية صلة قوله واذا ما انزلت سورة فمنهم من يقول ايكم زادته هذه ايمانا اي
كان ينظر بعضهم الي بعض ثم يقولون ما ذكر وقال بعضهم اذا كانت السورة التي نزلت
حجته في اظهار الدين والايمان يسمعون منه ويقولون ايكم زادته هذه ايمانا
واذا نزلت في اظهار نفاقهم وافتضاحهم نظر بعض الي بعض ثم انصرفوا ولا يسمعون
منه السورة اسفا وحزنا فامن ظهور نفاقهم قوله تعالي صرف الله قلوبهم
يحتمل خلق الله منهم انصرافهم فاضيف اليه الصرف ويشبه ان يكون قوله
صرف الله قلوبهم عقوبة اي عاقبهم الله بصرف قلوبهم باعتقادهم العناد وردهم الحجج
وتركهم الفهم والنظر والتامل فيها والقبول والله اعلم قوله تعالي لقد جاءكم
رسول من انفسكم اختلف فيه قال بعضهم من انفسكم اي من البشر وهو امتنان
من الله تعالي عليهم حيث بعث الرسول من البشر ولو ان بعث من غير البشر
لكنه بعث من البشر ليعرفوا الآيات التي ياتي بها من التمويهات لانهم يعرفون
مبلغ وسع البشر في الاشياء وقدر امكانهم بعلم الاشياء فاذا جاء بالاشياء الخارجة
عن الطباع ووسع البشر في التعلم عرفوا انها آيات لا تمويهات فمع ما انه يالف
كل ذي جنس لجنسه وينفر من غير جنسه هذا ظاهر في الخلق ان كل ذي
جنس يالف لجنسه ولا يالف بغير جنسه فبعث الرسول من البشر ومن جنسهم ليالفوا
به ويقبلوا منه ما ياتيهم من الله ويجيبونه الي ما يدعوهم اليه والله اعلم
وقال بعضهم من انفسكم اي من انشائكم تعرفون نسبه ومولده ونشاه
بين اظهرهم سليما عن جميع الآفات بريا عن جميع المطاعن والعيوب لان المرء
اذا كان مولده ومنشاه في قبيله او مكان لا يعرف له التنسب ربما يتمكن فيه
الطعن والعيب ويقع التناكر في نسبه لجهلهم بنسبه واذا كان لا يعرف مولده
ومنشاه لا يعرف نشاءه علي السلامة والصحة والبراءة من العيوب فبعث الله
تعالي رسوله من مولدهم ومنشاهم ومن نسبهم لان لا يتمكن فيه ما ذكروا
من المطاعن ولا يقرب بشي من العيوب والآفات التي ذكر وهابه من نحو السحر
والكهانة والجنون والافترا علي الله تعالي ويكون ذلك اقرب الي المعرفة
بانه رسول الله لانه لما ياتي بهم من الآيات والحجج يعرفون انها سماوية لما عرفوا
انه لم يتعلم السحر ولا اخذوا عليه بكذب قط ولا جن قط لما كان نشاه فيما بين اظهرهم
والله اعلم وقال بعضهم من انفسكم اي من العرب اميا لا يكتب ولا ينشد ولا يخطه

بيمينه علي ما وصفه تعالي في كتابه بقوله الذين يتبعون الرسول النبي الامي الذي
يجدونه مكتوبا عندهم في التورية الآية وقال وما كنت تتلوا من كتاب ولا
تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون وذلك ان العرب كانت تتمني ان يبعث
رسولا منهم لقوله تعالي خبرا عنهم لئن جاءهم نذير ليكونن اهدي من احدي
الامم الآية قوله تعالي عزيز عليه ما عنتم قيل شديد عليه ما اعنتكم اي
ما ضيق عليكم ما ضركم وقال القتبي العنت الضيق وقال بعضهم العنت الاثم
وقال ابو عوسجة هو الي الاثم اقرب وهو يحتمل كل الاثم الكفر وغيره قوله تعالي
حريص عليكم قال بعضهم حريص علي من لم يسلم ان يسلم وقيل حريص عليكم بالرشد
والهدي قوله تعالي بالمومنين روف رحيم اي الي رحمة الدين والاسلام
لا رحمة الطبع قوله تعالي فان تولوا اي اعرضوا عن اجابتك ودعاءك اياهم
الي الايمان والتوحيد فقل حسبي الله اي يكفيني الله لا اله الا هو ويحتمل فان تولوا عن
نصرك ومعونتك علي الاعدا فقل حسبي الله في النصر والمعونة علي الاعدا
وكفاني عليهم هذا في هذا الموضع اقرب لانه ذكر علي اثره ذكر المنافقين ويحتمل
ما ذكرنا من الاعراض عن التوحيد والاجابة له ويحتمل فان تولوا عنك وردوا
اجابتك والطاعة لك والانقياد وهموا ان يكذبوك ويمكروا بك فقل حسبي الله
اي كفاني الله لا اله الا هو عليه توكلت اي اتكلت علي ما وعدني من النصر
والظفر ووكلت امري اليه قوله تعالي وهو رب العرش العظيم قيل هو
رب الملك العظيم اي كل ملك عند ملكه صغير ليس بملك وان كان المراد من العرش
هو السرير علي ما قاله بعض اهل التاويل فهو والله اعلم السرير الذي يكرم به
الاخيار من الخلايق والابرار منهم وقد ذكرنا ما قيل في العرش فيما تقدم والله اعلم

سورة يونس مكية بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالي الر تلك آيات الكتاب قد ذكرنا الوجه في الحروف
المقطعة وقوله تلك آيات الكتاب الحكيم قال بعضهم الحكيم هو الله كانه قال
ذلك الكتاب آيات الله وقال بعضهم الحكيم صفة القرآن والكتاب ثم يحتمل هذا
وجهين يحتمل انه سماه حكيما فعيل بمعني مفعول اي انه محكم وجايز تسمية المفعول
باسم الفعيل نحو قتيل بمعني مقتول وجريح بمعني مجروح ونحو ذلك معناه انه كتاب
محكم فيه الحلال والحرام والامر والنهي او محكم متقن مبرم بري من الباطل والكذب

والاختلاف وهو ما وصفه الله تعالى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه
تنزيل من حكيم حميد والثاني سماه حكيما لما ان من تأمل فيه ونظر وفهم ما اودع
فيه وادرج صار حكيما وهو ما وصفه وسماه مجيدا اي من تأمله ونظر فيه
صار مجيدا اشرف يقال الحكيم هو المصيب في الحقيقة ان كان صفة القرآن او صفة الله
فان كان صفة الله فهو حكيم اي واضع كل شيء موضعه فان كان صفة للقرآن
فهو ايضا كذلك ثم قوله آيات تحتمل آيات الكتاب المعروف وتحتمل الحجج والبراهين
اي حجج الكتاب وتحتمل اعلامه على ما تقدم ذكرها قوله تعالى اكان للناس
عجبا حرف متى كان من الله يحتمل وجهين احدهما حقيقة الايجاب اي قد عجبوا
ان اوحينا الى رجل منهم والثاني يحتمل على الاستنكار اتعجبون ان اوحينا
الى رجل منهم اي لا تعجبوا ان اوحينا الى رجل من البشر فان الوحي الى من هو من
البشر ابلغ في الحجاج واقطع للعذر واقرب الى الرأفة والرحمة لان البشر يعرفون
خروج ما هو خارج عن طوق البشر وسعهم ولا يعرفون ذلك من غير جوهرهم
وكذا يألف كل جوهر لجوهره وكل جنس بجنسه ولا يألف بغير جنسه وغير
جوهره فاذا كان الامر ما وصفنا كان بعث الرسل من جنس المبعوث
اليهم ومن جوهرهم ابلغ في الحجاج واقطع للعذر واقرب الى الرأفة والرحمة
فاين موضع التعجب فكان الكفار يعجبون من ثلثة من انزال القرآن على
رجل منهم بعجز الخلائق عن اتيان مثله ويعجبون من الوحي الى رجل منهم
وارساله رسولا من بين الكل او من البشر كما قال تعالى خبرا عنهم ابعث الله
بشرا رسولا وقوله اانزل الذكر من بيننا وكانوا يعجبون وقوله اذا متنا
وكنا ترابا وغيره من الآيات فرد الله تعالى تعجبهم بهذه الآية بارسال
الرسول من البشر ويحتمل قوله ان اوحينا اي ارسلنا الى رجل منهم امي فان
ذلك ابلغ في التعريف والحجاج لانه بعث اميا لم يعرفوه بدراسة الكتب المتقدمة
او تلى شيئا منها ولا عرفوه اختلف الى احد منهم في تعليم كتبهم ولا عرف انه
كتب شيئا ولا خط خط شيئا ثم اخبر على كتبهم على موافقة ما فيها وكانت كتبهم بغير
لسانه دل انه انما عرف بالله فذلك ابلغ في اثبات الرسالة والحجاج والله اعلم
قوله تعالى ان انذر الناس وبشر الذين امنوا انهم قدم صدق عند ربهم
قال بعضهم الانذار يكون في كل مكروه ومرهوب والبشارة تكون في كل محبوب

ومرغوب وقال بعضهم ان انذر الناس يعني الكفار بالنار وبشر الذين
آمنوا ان لهم قدم صدق عند ربهم ثم اختلف في قوله قدم صدق عند ربهم
قال بعضهم اي لهم الجنة عند ربهم وقيل ان لهم الاعمال الصالحة يقدمون
عليها وقيل قدم صدق اي محمد صلى الله عليه وسلم يشفع لهم عند ربهم
وقيل ان لهم ثواب اعمالهم الصالحة التي قدموها بين ايديهم وقال قدم صدق
اي سلف خير او سلف وعد وعدهم بذلك وكان اصله من القدم وقال
ابو عوسجة يقال في الكلام ان لفلان عندي قدم صدق ويد صدق اي نعمة قد
اسلفها الي وقال القتبي قدم صدق يعني عملا صالحا قدموه وعن ابن عباس
رضي الله عنهما قال سبق لهم السعادة في الذكر الاول اي اللوح المحفوظ ومن قال
قدم صدق هو الشفاعة فالقدم كناية عن الشفاعة والصدق عبارة عن الثابت
والواقع اي لهم شفاعة ثابتة لا محالة ومن قال وعد ثواب اعمالهم اي تقدم
لهم وعد حق وصدق ويحتمل قدم صدق اي تثبت قدمهم ولا تزل يوم تزلزل
الاقدام على ما وصف من ثبوت قدم المؤمنين والعباد وان تزل قدم الكافرين
كقوله لو تزل قدم بعد ثبوتها قوله تعالى قال الكافرون ان هذا الساحر
مبين ومن قرأ لسحر على هذا القرآن ومن قرأ لساحر عنى النبي ثم المراد
من السحر ههنا هو ما يرى في الظاهر انه حق وهو في الحقيقة باطل لا شيء وهو
نوعان نوع ما يأخذ الابصار ونوع يأخذ العقول وبه ثم حقيقته فاما الذي يأخذ الابصار
هو ما يرى الشيء على غير ما هو في الحقيقة وذلك شعبذة وتخييل واما الذي يأخذ
العقول هو ان يذهب بعقله فيصير مجنونا ونحو ذلك وقول فرعون لموسى اني
لاظنك يا موسى مسحورا اي مجنونا لكن هؤلاء لم يريدوا بقوله لساحر مبين السحر
الذي يأخذ العقول ولكن ارادوا السحر الذي يأخذ الابصار في الظاهر وهو لا
شيء في الحقيقة ثم في قولهم ان هذا الساحر مبين دليل على انهم عجزوا عن رده
وعرفوا انه حق لكنهم ارادوا التمويه على الناس كقول فرعون لسحرته اذا آمنوا
برب موسى انه لكبيركم الذي علمكم السحر اراد ان يموه على الناس والله اعلم قوله
تعالى ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة ايام ان القوم كانوا
يعبدون الاصنام والاوثان ويتخذون الاحبار والرهبان اربابا من دون الله
يقول ان ربكم الذي يستحق العبادة والالوهية هو الذي خلقكم وخلق السموات

والارض لا الذي تعبدونه وقوله في ستة ايام ثم استوى على العرش قد تقدم
ذكره في صدر الكتاب قوله تعالى يدبر الامر هو ايضا على المعنى الذي ذكرنا
اي الذي يستحق صرف العبادة اليه وتوجيه الشكر اليه هو الذي يدبر
الامور في مصالح الخلق ومنافعهم في جر المنافع اليهم ودفع المضار عنهم لا الذين
لا يملكون جر المنافع الى انفسهم ودفع المضار فضلا من ان يملكوا جرها الى من
يعبدهم او دفع المضار عنهم وقال بعض اهل التاويل يدبر الامر اي القضيه
والتدبير والقضية واحد وقال بعضهم يدبر الامر اي يقضيه ويقدره لما
ذكرنا والتدبير والتقدير سوا قوله تعالى ما من شفيع الا من بعد اذنه
الشفيع هو ذو المنزلة والقدر عند الذي يشفع اليه لا احد في الشاهد يشفع
لاخر الى اخر الا بعد ان يكون الشفيع عند الذي يشفع اليه ذا منزلة وقدر
واذا كان كذلك فعند ذلك لا يشفع الا من بعد ما اذن له بالشفاعة لمن جا
بالتوحيد مع التقصير في الافعال التي امر بها او نهي عنها والله اعلم قوله
تعالى ذلكم الله ربكم فاعبدوه يقول ذلك الذي يستحق العبادة هو الذي خلقكم
وخلق السموات والارض ودبر اموركم فاعبدوه ولا تعبدوا الذي لا يملك
شيا من ذلك قوله تعالى افلا تذكرون انه هو المستحق للعبادة وهو المستوجب
للشكر لا الذي تعبدون انتم قوله تعالى اليه مرجعكم جميعا اليه يرجع الجميع
في جميع الاوقات لكنه خص ذلك اليوم بالمرجع اليه لما ان الخلايق كلهم يعلمون
يوميذ انهم راجعون اليه او سمى البعث رجوعا اليه لما ان المقصود من انشايهم
البعث على ما مر في غير موضع وهو كقوله وبرزوا لله جميعا وهم بارزون له
في الدنيا والاخرة لكنهم يوميذ يعرفون ويقرون بالبروز اليه وكذلك قوله
الملك يوميذ لله قوله تعالى لمن الملك اليوم لله الواحد القهار والملك لله
في الدنيا والاخرة وفي الاوقات كلها على الحقيقة لكنه خص ذلك اليوم لما لا ينازع
في ذلك اليوم في الملك ويقرون بالملك له في ذلك اليوم وفي الدنيا من قد نازع
في ملكه ولا تقربه فعلى ذلك المرجع والله اعلم قوله تعالى وعد الله حقا
يحتمل البعث الذي ذكر على اثره بقوله انه يبدو الخلق ثم يعيده ويحتمل ما وعد
من الثواب للمحسن والعقاب للمسي احق قوله تعالى انه يبدا الخلق ثم
يعيده اي عرفتم انه هو الذي بداكم والخلق جميعا فكذلك من اعادته على مثال وهو

كقوله وهو الذي يبدا الخلق ثم يعيده وهو اهون عليه اي اعادة الشي
اهون عندكم من بداه قوله تعالى ليجزي الذين امنوا وعملوا الصالحات
بالقسط قيل بالعدل ولكن في هذا التاويل نظر لان جزا العبادة يكون
افضالا واحسانا لا استحقاقا واستيجابا وما كان بطريق العدل فهو مستحق لا
محالة فاما جزا الكفر فبطريق العدل وكذا جزا العصيان لكن جزا المعصية
يحتمل العفو والمغفرة بلا توبة بخلاف جزا الكفر على ما يعرف والله الموفق
ثم هذه الاية تحتمل وجوها تحتمل بالقسط اي يجزي المحسنين جزا الاحسان
والمسيين جزا الاساءة ويفصل بين الولي والعدو في الاخرة في الجزا
ويجعل للولي علامة واثرا يعرف بها من العدو اذ لم يفصل في الدنيا بين
الاولياء والاعداء في الرزق وما يساق اليهم من النعم ولا جعل علامة يعرف
بها الولي من العدو وجعل في الاخرة ذلك حتى يعرف هذا من هذا فهذا
العدل الذي ذكرنا يشبه ان يكون هو المراد والله اعلم ويحتمل القسط الوزن
اي يجزيهم بالوزن على تعديل النوع بالنوع لا على القدر ان يجزي بالحسنة قدرا
لا يزيد على ذلك ولكن للخير خيرا وللحسنة حسنة وللسيئة سيئة ويحتمل
قوله ليجزي الذين امنوا وعملوا الصالحات بالعدل اي يجزي الذين عملوا
بالعدل لم يجاوزوا فيه ولا جاوزوا الحد الذي حد لهما اي يجزيهم في الاخرة
بما اقسطوا في الدنيا وعدلوا ويشبه ان يكون على تقديم العدل كانه قال
ليجزي الذين امنوا بالعدل اي لا يعذبهم في النار اذا امنوا ثم للذين امنوا
وعملوا الصالحات يوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله والله اعلم ثم القسط على بعض
ما ذكرنا من التاويلات يكون نعتا للمومنين وعلى البعض راجع الى الله ويكون
وصفا له ثم يحتمل وجها اخر يكون القسط فيه راجعا الى الله ووصفا له احدها
ان يجزي فريقا من المومنين بالعدل يجزي لاحسانهم جزا الاحسان ويجزي لسياتهم
جزا الاساءة فيكون ذلك جزا بالعدل وهو جزا المثل ويجزي لفريق اخر
بالفضل والاحسان يجزي لحسناتهم جزا الحسنة ويكفر عن سياتهم وهو كقوله
اوليك الذين يتقبل عنهم احسن ما عملوا ويتجاوز عن سياتهم وقوله ان الله لا يغفر
ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشا والله اعلم والثاني يجزيهم بالعدل
اذ العدل هو وضع الشي موضعه اي يضع الفضل في اهله لا يضعه في غير اهله

د ووضع الفضل في اهل الايمان عدل اذ هم اهل له وهو كقوله ويؤت كل ذي
فضل فضله والثالث العدل الذي هو مقابل الاحسان هو الفضل لا العدل
الذي هو ضد الجور لقوله ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء الاية لا يحتمل
ان يقول لن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء في العدل الذي هو ضد الجور
فانهم يستطيعون ان يعدلوا بينهن الذي هو ضد الجور فلا يجورون فعلى ذلك
قوله ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالعدل الذي هو مقابل الاحسان
وهو الفضل اذ للفضل درجات واصله ان جزاء الآخرة كله افضال واحسان
وانعام لا استيجاب واستحقاق والله الموفق قوله تعالى والذين كفروا
لهم شراب من حميم قيل الحميم هو الشراب الذي انتهى حره غايته قوله تعالى
هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا ذكر في الشمس الضياء وفي القمر النور
فهو والله اعلم لان الليل مظلم يظهر نور القمر فيه ويغلب على ظلمة الليل
ويقهرها فاما النهار مبصر على ما ذكر الله تعالى والنهار مبصرا جعل فيه النور
فلو جعل في الشمس النور خاصة لكان لا يظهر نور الشمس ولا غلب نورها
على نور النهار فكانت تذهب المنافع التي جعل فيها للخلق فجعل بلطفه فيها ضياء
ليظهر نورها على نور النهار ويغلبه ويقهره ليظهر المنافع التي جعل فيها ولو كان نورا
مثله لم يظهر نورهذا من هذا ولم يوصل الى المنافع التي جعلت فيها للخلق وهو ما
ذكر انه مد الظل واخبر انه لو شاء لجعله ساكنا ولو كان ساكنا ممتدا على ما جعله
بقوله الم تر الى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا لكان لا يعرف
الظل ثم اخبر انه جعل الشمس دليلا عليه ليعرف بها الظل بنسخ الشمس ذلك الظل
الممدود شيئا بعد شيء فصارت الشمس بها يعرف الظل وبها يظهر فعل ذلك
الضياء الذي في الشمس كان به يعرف نورها من نور النهار وبه يوصل الى
منافع الشمس ولو كان نورا لكان لا يعرف ولا يظهر اذ لا يغلب احدهما صاحبه
ولا يعرف آية الشمس من آية النهار ثم جعل آية الشمس غالبة على جميع الآيات
حتى لا تبصر النجوم بالنهار اصلا والقمر وان كان يرى ويبصر بحال فان نور
الشمس قد يغلبه ويقهره حتى لا يظهر ابدا جعل الله تعالى في الشمس منفعتين
معرفة التقلب ومعرفة الازمنة ومعرفة نضج الاشياء وينعها وفي القمر منفعتين
ايضا احدهما معرفة حساب الايام والشهور ومعرفة نضج الاشياء والانزال والله اعلم

قوله تعالى وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب يشبه
ان يكون التقدير الذي ذكر يكون لهما جميعا ويعرف الحساب وعدد
السنين بهما جميعا وكذلك ذكر في حرف حفصة رضي الله عنها وقدرهما
منازل وجائز ان يكون جعل الشمس بالذي يعرف بها اوقات الصلاة
والازمنة من الشتاء والصيف لا يعرف ذلك بالقمر وجعل في القمر معرفة
الشهور والسنين وفي الشمس معرفة اوقات الصلاة والازمنة لا يعرف
بها الشهور والسنون الا بعد جهد وبالقمر لا تعرف اوقات الصلاة والازمنة
وقوله تعالى لتعلموا عدد السنين والحساب ليس ان يعرف هذا بها ولا يعرف
غيره بل يعرف ما ذكر واشياء اخر اذ التنصيص على الشيء لا يدل على نفي ما
عداه والله اعلم قوله تعالى ما خلق الله ذلك الا بالحق قال ابو بكر الكيساني
ما خلق الله ذلك الا وقد جعل فيه دلالة معرفته وقال بعضهم اي ما خلق الله
ذلك الا وقد جعل فيه الدلالة على الالوهية والشهادة على الوحدانية ويحتمل
بالحق اي بالحكمة اي لم يخلق ذلك عبثا باطلا وهو كقوله وما خلقنا السماء والارض
وما بينهما باطلا ولكن لحكمة وقال بعضهم اي ما خلق الله ذلك الا بالامر الكائن
لا محالة وهو البعث والله اعلم قوله تعالى نفصل الآيات لقوم يعلمون
قيل نبين ونصرفها لقوم ينتفعون والله اعلم قوله تعالى ان في اختلاف
الليل والنهار وما خلق الله في السماوات والارض لآيات لقوم يتقون ان
في اختلاف الليل والنهار آية البعث ودلالة تدبير صانعهما ودلالة الوحدانية
اما دلالة البعث فلان كل واحد منهما اذا جاء ذهب الآخر وفني حتى لا يبقى
له اثر ثم يتجددان ويحدثان على ذلك امرهما فمن قدر على ذلك فهو قادر على بعث
الخلق وانشائهم بعد الموت بعد ما صاروا ترابا واما دلالة التدبير فهي جريانهما
وسيرهما على سنن واحد وتقدير واحد من غير تغيير يقع فيهما او تفاوت
او نقصان او زيادة وان كان احدهما يدخل في الآخر دليل على ان فيهما تدبير عليم
ذاتي وعلم ازلي واما دلالة انه واحد ما ذكرنا من جريانهما على سنن واحد وتقدير
واحد من غير تفاوت ولو كان التدبير فيهما لعدد لكانا يختلفان ولا يجريان على
قدر واحد من غير تفاوت فيهما او زيادة او نقصان دل انه واحد والله الموفق
وفي قوله وما خلق الله في السماوات والارض دلالة وحدانية منشئهما وخالقهما

لانه انشاهما وبينهما من البعد ما بينهما ثم جعل منافع احدهما متصلة بمنافع الآخر
علي بعد ما بينهما دلت ان منشاهما واحد اذ لو كان عددا لكان منع كل واحد
منهما فعله من الوصول الي الآخر علي ما هو فعل ملوك الارض قوله
تعالي لقوم يتقون اي يتقون مخالفة الله تعالي ويتقون الشرور والمعاصي
قوله تعالي ان الذين لا يرجون لقاءنا قالت قايلون لا يرجون من الرجاء
اي لا يرجون ما وعد للخلق من الثواب ولا يرغبون فيما يرجي ولا يطمع من الرغايب
فيصيبوا كانه قال ان الذين لا يومنون بالآخرة لان المومن يرجوا ويخاف وقال
بعضهم لا يرجون لقاءنا اي لا يخافون لقاءنا وما من خوف الا وفيه رجاء وما من رجاء
الا وفيه خوف لان الخوف الذي لا رجاء فيه هو اياس والرجاء الذي لا خوف فيه
امن لكن الغالب في الحسنات والخيرات الرجاء وفيه خوف والغالب في السيات
والشرور الخوف وفيه ادني الرجاء وهو كما ذكرنا في الشكر والصبر انهما واحد
لان الصبر هو كف النفس عن الشهوات واللذات والشكر هو استعمالها في الخيرات
فاذا كفها عن الشهوات استعملها في الخيرات لذلك قلنا انهما في الحقيقة واحد
ولان الشكر هو القبول وكذلك الصبر ايضا غير ان الشكر في قبول النعم والصبر
في قبول البلايا والمصايب والله اعلم قوله تعالي ورضوا بالحيوة الدنيا
واطماَنوا بها اي اختاروها واطماَنوا بها اي اختاروا المقام فيما عملوا لها كانهم
مقيمون فيها ابدا ثم قوله ورضوا بالحيوة الدنيا يحتمل وجهين احدهما سروا
بها وآثروا ثواب محاسن الدنيا علي ثواب الآخرة والثاني رضاهم بالدنيا
والطمانينة بها منعهم عن التفكر والنظر في امر الآخرة قوله تعالي والذين هم
عن آياتنا غافلون اولئك ماويهم النار بما كانوا يكسبون اي بما كانوا يكسبون من
ردهم الآيات وكفرهم بها قوله تعالي ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات
يهديهم ربهم بايمانهم يحتمل وجوها احدها اي يهديهم ربهم بايمانهم في الدنيا طريق الجنة
في الآخرة وهو معني ما ذكر في القصة ان المومن اذا اخرج من القبر يصور له
عمله بصورة حسنة والله اعلم والثاني يهديهم ربهم بايمانهم اي يصيرون مهتدين
بهدايته اياهم ويشبه يهديهم ربهم بايمانهم اي يدعوهم الي الخيرات في الدنيا
بسبب ايمانهم قوله تعالي تجري من تحتهم الانهار في جنات النعيم يقول
اهل التاويل من تحت اهل الجنة وقد تقدم ذكره قوله تعالي دعويهم فيها

سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام قال بعضهم دعويهم اي دعوي الايمان اي
يدعون في الآخرة من الايمان والتوحيد لله والتنزيه له كما ادعوا في الدنيا
وحدانية الله تعالي وتنزهوه قوله تعالي سبحانك اللهم هو حرف التنزيه
وتبراءة الرب عن الاشباه وجميع الآفات التي وصفه المشبهة والملحدة فهذا
يدل ان ما خرج مخرج الدعوي فانه لا يختلف بين دار ودار وقوله سبحانك
اللهم خرج علي وجوه احدها خبر ان ليس علي اهل الجنة من العبادات
سوي التوحيد اذ هو كلمة التوحيد والثاني يقولون ذلك لعظيم ما راوا
من النعم وعجيب ما عاينوا والثالث شكرا لما اعطاهم من الوان النعم والاطعمة
وقالت عامة اهل التاويل هي من الدعاء لا من الدعوي يقولون انهم اذا اشتهوا
طعاما او شرابا او تمنوا شيا فيدعون بقوله سبحانك اللهم فيوتون ما تمنوا واشتهوا
لكن الاشكال انه ذكر ان لا ينقطع لذات الجنة ولو كان الامر علي ما قاله اهل
التاويل لكان فيه انقطاع اللذات والشهوات حتي يطلبوها بالدعاء الا ان
يقال انهم يلهمون الشهوات واللذات والاماني وراء ما كانت فيشتهون فينالونها
بذكر هذه الكلمة قال الله تعالي ولكم فيها ما تشتهي انفسكم وقال وفاكهة مما
يتخيرون ولحم طير مما يشتهون الآية لكن لا نعلم مراد الله تعالي علي الحقيقة
فلا نقطع القول بشي من ذلك مع جواز ان يكون كل واحد مرادا والله اعلم
قوله تعالي وتحيتهم فيها سلام قال اهل التاويل ان الملايكة ياتون
بما اشتهوا ويسلمون عليهم فيردون السلام علي الملايكة فذلك قوله وتحيتهم
فيها سلام قال اهل التاويل ان الملايكة ياتون بما اشتهوا ويسلمون عليهم
فيردون السلام علي الملايكة فذلك قوله وتحيتهم فيها سلام فاذا طعموا وفرغوا
قالوا عند ذلك الحمد لله رب العالمين وهو قول ابن عباس ويشبه ان يكون
قوله وتحيتهم فيها سلام الكلام الذي لا عيب فيه ولا مطعن اي كلام بعضهم لبعض
منزه عن جميع العيوب منفي عنه المطاعن وهو كقوله لا يسمعون فيها لغوا ولا
تاثيما الا قيلا سلاما سلاما ونحوه قوله تعالي وآخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين
قال اهل التاويل يقولون علي اثر فراغهم من الطعام والشراب ذلك وقال
الحسن ان الله تعالي رضي من عباده الشكر لما انعم عليهم في الدنيا والآخرة بالحمد لله
رب العالمين ويشبه ان يكون قوله وآخر دعواهم اي دعويهم في الدنيا

والله اعلم قوله تعالى ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير لقضي اليهم
اجلهم كان الاية على الاضمار كانه قال ولو يعجل الله للناس الشر اذا استعجلوه
كما يعجل لهم الخير اذا استعجلوه لقضي اليهم اجلهم لانه لم يذكر في ظاهر الاية
استعجالهم الشر انما ذكر تعجيله ولكن فيه ما ذكرنا من اضمار استعجال الشر
وهو ما ذكر في غير اي من القران استعجالهم العذاب كقوله ويستعجلونك
بالعذاب وقوله اتى امر الله فلا تستعجلوه وقوله خبرا عنهم امطر علينا حجارة من
السماء او ايتنا بعذاب اليم ونحو ذلك فكانوا يستعجلون العذاب استعجال تضرع
فقال ولو يعجل الله لهم العذاب اذا استعجلوه كما يعجل لهم الخير اذا استعجلوه لقضي اليهم
اجلهم اي لهلكوا وفنوا وهذا التاويل في اهل الكفر خاصة عند استعجالهم العذاب
استعجال تضرع وسوال ويشبه ان يكون هذا في جملة الخلايق على غير تضرع
وسوال ولكن عند ارتكابهم الشر والمعاصي كانه يقول والله اعلم ولو يعجل الله
للناس الشر باكتسابهم الشر وبارتكابهم الجفا ثم وقت اكتسابهم كما يعجل لهم الخير
وقت اكتسابهم لقضي اليهم اجلهم لكنه لم يعجل لهم ذلك قبل اخره الى المدة
التي جعل لاجالهم وهو كقوله ولو يواخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليها من دابة
ولكن يوخرهم الى اجل مسمى ويحتمل وجها اخر وهو ما يدعوا بعضهم على بعض باللعن
والخزي يقول الرجل عند شدة الغضب اللهم العن فلانا اللهم اخزه ونحو ذلك
من الدعوات يقول لو عجل لهم اجابة هذه الدعوات كما يعجل لهم الاجابة عند
دعا بعضهم لبعض بالرحمة والسعة لقضي اليهم اجلهم والله اعلم ثم قوله لقضي اليهم
اجلهم يحتمل لهلكوا قبل المدة التي جعلت اجلا لهم ويحتمل اي هلكوا ويكون
ذلك انقضاء اجلهم اي لجعل اجلهم ذلك في الازل وهذا التاويل هو
الموافق لما اخبر في كثير من الاي ان لا يهلك احد قبل اجله لا يتقدم ولا يوخر
من نحو قوله لا يستقدمون ساعة ولا يستاخرون وغير ذلك قوله تعالى
فنذر الذين لا يرجون لقانا في طغيانهم يعمهون هو ما ذكرنا ان من حكمه ان لا
يعاقب احدا من اهل الكفر في الدنيا بصنيعه الذي صنع وقد يعجل لهم جزا حسناتهم
في الدنيا بما يساق اليهم من انواع النعم ولكن من حكمه ان يوخر عقوبتهم الى يوم القيامة
فذلك تاويل قوله فنذر الذين لا يرجون لقانا في طغيانهم يعمهون اي نتركهم
يترددون في عماهم وحيرتهم الى اليوم الذي وعدلهم العذاب والله اعلم بالصواب

قوله تعالى واذا مس الانسان الضر دعانا لجنبه او قاعدا او قايما الاية
قال بعض اهل التاويل ان جميع ما ذكر في القران الانسان والمراد
منه الكافر نحو قوله يا ايها الانسان انك كادح وقوله يا ايها الانسان ما
غرك بربك الكريم وقوله والعصر ان الانسان لفي خسر لكن لا نقطع القول
بما قالوا ان المراد من الانسان في القران هو الكافر لانه لم يقم دليل مقطوع
به على ذلك وليس كان كما ذكروا فان اهل الايمان يدخلون في ذلك الخطاب
من حيث المعنى بان يكون منهم ما يكون من الكفرة لان من اهل الايمان من
يقبل على الدعاء والتضرع الى الله عند مساس الحاجة والشدة فاذا انجلى
ذلك وانكشف عنه ترك ذلك الدعاء والتضرع فدخل في ذلك والله اعلم
ثم قوله دعانا لجنبه او قاعدا او قايما ليس على ارادة حقيقة الجنب والقعود
والقيام ولكن على ارادة الدعاء في كل حال اي يدعونه في كل حال لما عرفوا
ان الذي كانوا يعبدونه من دون الله لا يملك دفع ما حل بهم من الشدايد والمضار
اقبلوا على الله بالتضرع والدعاء اليه في كشف ذلك عنهم ثم اخبر عن سفههم وشدة
تعنتهم بعودهم الى الحال التي كانوا عليها من قبل بقوله فلما كشفنا عنه ضره
مر كان لم يدعنا الى ضر مسه يقول والله اعلم لما انجلى عنه العذاب نسينا
كان لم يعرفنا ومر اي استمر على ترك الدعاء في الرخاء والله اعلم قوله تعالى
كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون الاسراف هو العدوان والتعدي
عن الحق الذي جعل له وهو وضع الاموال والانفس في الموضع الذي لا ينتفعون
بها في عبادة الاصنام وغيرها والله اعلم قوله تعالى ولقد اهلكنا القرون
من قبلكم لما ظلموا فان قيل قد اهلك من قد ظلم ومن لم يظلم فنعلم ان من اهلك
من الظلمة انما اهلكهم لظلمهم ولم يهلك بالصلاح من لم يظلم قيل انه اهلك الظلمة
اهلاك استيصال وعقوبة واهلك من لم يظلم لا اهلاك عقوبة واستيصال انما
هو اهلاك بانقضاء اجالهم التي جعل لهم ويحتمل انه انما اهلك اوليك لسوالهم الذي
سالوا اسوال تعنت من الايات المقترحة اذ من حكمه الاهلاك على اثر سوال
الايات المقترحة بعد ما اقام الحجج الكافية كما قال وجاتهم رسلهم بالبينات كانه قال
على سبيل الزجر والنهي لاهل مكة عن سوال الايات المقترحة يا اهل مكة لا تسالوا
مثلها فانكم اذا سالتم الرسول ثم كذبتموها يعذبكم كما عذب اوليك اذا سالوا الايات

ولم يتلوها والله اعلم قوله تعالى وما كانوا ليؤمنوا الخبر رسوله انهم وان
سالوك الايات فاذا اتت بها فانهم لا يؤمنون يعني اهل مكة قوله تعالى
كذلك نجزي القوم المجرمين اي كل مجرم قوله تعالى ثم جعلناكم خلايف
في الارض من بعدهم يحتمل قوله خلايف اي جعل انفسكم خلف انفس اوليك
الذين لم يهلكم يخرج هذا المخرج ذكر النعمة والامتنان والرحمة يذكرهم انه لو شاء
اهلك الكل فلا يكون هولاء خلفا لاوليك ولكن بفضله ورحمته ابقى البعض ليكونوا
خلفا لهم ويحتمل اي جعلناكم خلايف اوليك في المحنة والعبادة اي جعل عليكم
من المحنة والعبادة كما كان على ابايكم ويشبه ان يكون قوله ثم جعلناكم خلايف
اي جعلناكم خلايف الذين لم يظلموا ولم يكذبوا الرسل فلا يتبعوهم كانهم ادعوا ان
اباهم كانوا على ما هم عليه وانهم على مذهب اباهم بقوله جعلناكم خلايف الذين
لم يظلموا اذ الذين ظلموا قد اهلكوا فقد تركتم مذهب ابايكم والله اعلم ويحتمل ان يكون
قوله ثم جعلناكم خلايف في الارض من بعدهم اي لست انا باول رسول ارسلت
اليكم ولستم انتم باول قوم ارسل اليهم الرسول بل لم يزل الله تعالى يرسل رسولا
في الامم وكان فيهم لهم اتباع يتبعون رسلهم الى ما يدعونهم اليه ويجيبونهم فاتبعوني
انتم يا اهل مكة فيما ادعوكم اليه قوله تعالى لننظر كيف تعملون لم يزل الله تعالى
عالما بما كان ويكون منهم من الطاعة والمعصية ولكن معناه ليعلمهم عصاة ومطيعين
لان المعصية انما تكون بعد ما يكون النهي والطاعة انما تكون بالامر فيبتليكم فيعلمكم
عصاة كما علم انه يكون منكم معصية ويعلمكم مطيعين كما علم انه يكون منهم الطاعة وقد
ذكرنا امثال هذا فيما تقدم والله اعلم قوله تعالى واذا تتلى عليهم اياتنا بينات
قد ذكرنا في غير موضع وقد ذكرنا ايضا قوله بينات هي التي تبين انها ايات نزلت
من عند الله لم يخترعها احد من الخلق قوله تعالى قال الذين لا يرجون
لقاءنا ايت بقرآن غير هذا او بدله يشبه ان يكون ايت بقرآن غير هذا او
بدله لان اتيان غير هذا القرآن وتبديله واحد فيكون او بمعنى الواو كانهم
قالوا ايت بقرآن غير هذا او بدله الا ترى انه قال قل ما يكون لي ان ابدله
من تلقاء نفسي انما اجابهم في التبديل دل ان السوال كان سوال تبديل ولكن
يسالون سوال تكذيب واستهزاء لانه لا منفعة لهم لو اتى بغير هذا او بدله ما في
هذا ولو جاز لهم هذا السوال جاز لهم ذلك في كل ما اتى به واحدا بعد واحد

وذلك مما لا نهاية ثم اختلف اهل التاويل في التبديل الذي سالوا قال بعضهم
سالوا ان يبدل ويجعل مكان اية العذاب اية الرحمة ومكان ما فيه من ذم
الهتهم مدحها ونحو ذلك ويحتمل اي بدل احكامه واترك رسمه ونظمه
ونحن لا نقطع القول بما اراد واي التبديل تبديل الاحكام او تبديل الرسم
والنظم انما نعلم ذلك بالسمع بطريق التواتر ولا تواتر فكان الكف عن القطع
فيه احق ثم اخبر انه لا يقول ولا يتبع الا ما يوحى اليه ويؤمر به بقوله
قل ما يكون لي ان ابدله من تلقاء نفسي ان اتبع الا ما يوحى الي اي ما اتبع
الا ما يوحى الي وقوله اني اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم
اي ان تركت تبليغ ما امرت بالتبليغ اليكم وهكذا كل من عرف ربه خاف ان
عصاه وخالف امره ونهيه ومن لم يعرف ربه لم يخف ان عصاه وخالفه
قوله تعالى قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا ادريكم به موصلة ما
تقدم من قوله حيث قالوا ايت بقرآن غير هذا او بدله قد ذكرنا انه يحتمل
وجهين يحتمل انهم سالوه ان يبدل احكامه على ترك رسمه ونظمه ويحتمل
تبديل رسمه واحكامه كانهم ادعوا على رسول الله اختراع هذا القرآن
من نفسه واختلافه من عنده فقال قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا ادريكم
به تاويله والله اعلم لو شاء الله ان لا يظهر دينه فيكم ولا الزمكم حجته ولا بعثني
اليكم رسولا ما تلوته عليكم ولا ادريكم به اي ولا اعلمكم به ويحتمل قوله ولا ادريكم
به اي ولا اعلمكم ما فيه من الاحكام ثم في قوله لو شاء الله ما تلوته عليكم دلالة
ان الله تعالى اذا شاء شيئا كان ولم يشا لم يكن لانه اخبر انه لو شاء ما تلوته
عليكم فلو لم يشا ان يتلو ما تلاه فدل ان ما شاء الله كان وما لم يشا لم يكن وذلك يرد
على المعتزلة قولهم شاء الله ان يؤمن الخلق كلهم لكنهم لم يؤمنوا والله اعلم
ويحتمل لو شاء الله لم يوح الي ولا امرني بتبليغ ما اوحي الي اليكم ولا بالدعاء الى
ما امرني ان ادعوكم اليه قوله تعالى فقد لبثت فيكم عمرا من قبله افلا تعقلون
اي قد لبثت فيكم عمرا من قبل هذا ولم ادع فيه ما ادعي الحال ولا تلوت ما اتلوا
الان افلا تعقلون اني لم اخترع هذا من نفسي ولكن وحي اوحي الي اولو كان
اختراعا مني لكان ذلك فيما مضى من الوقت وكنت لابثا فيكم فاذا لم يكن ذلك افلا
تعقلون ان الذي دعا في اليه هو الوحي والامر من الله تعالى بتبليغ ما اوحي الي

لا اي اخترع هذا من نفسي ثم يحتمل هذا اوجهًا احدها انهم لما ادعوا عليه الاختراع
من عنده فقال اني قد لبثت فيكم عمرًا قبل ان يوحي الي هذا فلم اقرأ ولم
خططت بيميني ولا اختلفت الي احد في التعلم والدراسة فكيف اخترع من عندي
اذ التاليف لا يتم ولا يلتام الا باسباب تتقدم والثاني قد لبثت فيكم عمرًا ٢٦٧
اي سنين لم تعرفوني ولا رايتموني كذبت قط فكيف افتري على الله واخترع
القرآن من عند نفسي الا ترى انه قال على اثر هذه الآية فمن اظلم ممن افترى
على الله كذبًا اي لا احد اظلم ممن افترى على الله كذبًا والثالث يحتمل فقد لبثت
فيكم عمرًا من قبله فلم اسمع احدًا ادعى البعث ولا اقام حجة عليه وانا فقد
ادعيت البعث واقمته على ذلك حجة افلا تعقلون هذا اني لم اخترع هذا من
عندي اي من عند نفسي قوله تعالى فمن اظلم ممن افترى على الله كذبًا
او كذب باياته يشبه ان يكون هذا صلة قوله ايت بقرآن غير هذا او بدله
اي كيف تطلبون مني اتيان غيره وتبديل احكامه وقد تعرفون قبح الكذب
وفحشه فكيف تطلبون مني الافتراء على الله وتكذيب آياته ويحتمل ان يكون هذا
صلة ما ادعوا عليه انه افتراه من عند نفسه واخترعه تقول انكم لم تاخذوا
علي كذبًا قط وقد لبثت فيكم عمرًا فكيف تنسبوني الى الكذب على الله وقد عرفتم
اباي على خلاف هذا الى الكذب على الخلق والله اعلم ويحتمل على الابتداء وقد ذكرناه
في غير موضع ان قوله فمن اظلم ممن افترى على الله كذبًا هو استفهام يقتضي جوابًا
وجوابه ما قال اهل التاويل لا احد ابين ظلمًا ولا افحش ممن افترى على الله كذبًا
فيكون ما قاله اهل التاويل جواب الاستفهام الذي اضمر في الكلام لا انه
تفسير الآية وتاويلها وقوله او كذب باياته الافتراء على الله تكذيب آياته
وتكذيب آياته افتراء على الله لكن ذكر على سبيل التاكيد والله اعلم قوله تعالى
انه لا يفلح المجرمون ظاهر قد تقدم ذكره والله اعلم قوله تعالى ويعبدون من
دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم يحتمل وجهين احدهما ما لا يضرهم لو تركوا عبادته
ولا ينفعهم لو واظبوا على عبادته اي لا يملك ايصال الضرر اليهم بالترك ولا ايصال
النفع بالتحصيل لماذا يعبد ونه يسفههم في عبادتهم من لا يملك بهم دفع الضرر
ولا جر النفع وترك عبادة من به يكون جميع منافعهم وغذايهم ومنه يكون كل خوف
وضيق والله اعلم قوله تعالى ويقولون هولاء شفعاونا عند الله يحتمل ان يكون

هذا القول منهم تقليدًا لابائهم لقولهم وجدنا عليها آباءنا والله امرنا بها ظنوا
ان اباهم لما تركوا وما هم عليه لم يعذبوا انهم على الحق وان الله قد رضي بذلك
ويحتمل ما قالوا ذلك لما لم يروا انفسهم اهلًا لعبادة الله والقيام بخدمته وقد يكون
مثل هذا في ملوك الارض ان كل احد لا يرى نفسه صالحًا لخدمة الملك فيخدم ٢٦٨
من دونه من المتصلين به رجاء ان يكون من خدمه شفيعًا له عند الملك وعلى
ذلك هولاء طمعوا ان عبادتهم هولاء تقربهم الى الله زلفًا ويكونون لهم شفعاء
عند الله والله اعلم قوله تعالى قل اتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الارض
يحتمل وجهين احدهما ان هذا وان كان نفي العلم عن نفسه فيما ادعوا من
كون الاصنام شفعاء عند الله بقوله بما لا يعلم لكن في الحقيقة نفي ما ادعوا يقول
اتخبرون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الارض اي تعلمون انه عالم بما في
السموات وما في الارض ولو كان ما تدعون من كون الاصنام شفعاء عند الله
لكان هو اعلم به منكم فيكون نفيًا لما ادعوا والثاني قريب من هذا يقول قل اتنبئون الله
بما لا يعلم اي تعلمون من يعلم انه ليس كما تدعون وهو كقول الناس ما شاء الله
كان وما لا يشاء لا يكون اي ما شاء الله كان وما شاء ان لا يكون لا يكون والله اعلم
قوله تعالى سبحانه وتعالى عما يشركون كلمة سبحان جعلت لاجلال الله
عما يحتمله غيره من الاشكال والاضداد ومن العيوب والافات وهي في
هذا الموضع يحتمل وجهين احدهما انهم كانوا يعبدون الاصنام ويقولون هم شفعاونا
عند الله فيقول سبحانه ان يجعل لامثال اوليك شفاعة عنده اذ الشفيع انما يكون
من له منزلة وقدر عند من يشفع اليه والمنزلة والقدر انما تكون اما بوضع الله
تعالى للشيء من الفضيلة والحرمة فيصير ذا قدر او بما يتعبد من كان من اهل
العبادة فيقوم بتوفير ما يحتمله وسعه من العبادة كقوله ان اكرمكم عند الله اتقاكم
ولا احتمال للتعبد في الاصنام ولا هم من جملة ما المحرمة بوضع الله تعالى فبعيد
ان يكون لهم الشفاعة فنزه الله تعالى نفسه بقوله سبحانه وتعالى عما يشركون
من ان يجعل لهولاء دون الانبياء والرسل كيف وقد اخبروا انها لا تملك ضرًا ولا
نفعًا وفي الشفاعة ذلك والثاني نزه نفسه عما اشركوا الاصنام اياه في العبادة
فقال سبحانه عن ان يكون معه معبود او ياذن احدًا بعبادة غيره والله اعلم
قوله تعالى وما كان الناس الا امة واحدة اختلف في تاويله قال بعضهم

ان الآية في اهل مكة فانهم كانوا اهل شرك وعباد الاوثان والاصنام لم يكن
فيهم اليهودية ولا النصرانية ولا شيء من اختلاف المذاهب فلما بعث محمد
صلى الله عليه وسلم اختلفوا فمنهم من آمن به وصدقه واخلص دينه ومنهم
من عاند وكابر بعد ان عرف انه رسول ومنهم من شك فيه ومنهم من لم
ينظر في امره قط ولا تفكر فيه فصاروا اربع فرق وقال بعضهم معناه وما كان
الناس الا امة واحدة بالفطرة اي كانوا جميعا على الفطرة وفي فطرة كل احد
الشهادة على وحدانية الله والوهيته كقوله وله اسلم من في السموات والارض
طوعا وكرها وقوله فطرة الله التي فطر الناس عليها اي جعل في خلقة كل احد
الشهادة على وحدانيته والوهيته فاختلفوا منهم من كان على تلك الفطرة بما قرن
شهادة الاختيار بشهادة الخلقة ومنهم من كذب واختار الكفر على ما روي عن
النبي صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة الا ان ابويه يهودانه وينصرانه
اخبر انهم على الفطرة لو تركوا على ذلك لكن ابواه يمنعانه عن الكون عليها وقيل
وما كان الناس الا امة واحدة اي كان الخلايق جملة امما والناس من تلك
الامم امة واحدة كقوله وما من دابة في الارض ولا طاير يطير بجناحيه
الا امم امثالكم كانه يعاتب هذه الامة تقول ان الامم مع اختلف جواهرها
واجناسها كانوا خاضعين لله مخلصين له فانتم ايها الناس امة من تلك الامم فكيف
اختلفتم واشركتم غيره في الوهيته وربوبيته اوعبادته مع ما ركب فيكم من العقول
التي بها عرفتم التمييز بين ما هو حكمة وما هو سفه وقد فضلكم على غيرها من الامم
بما خلق لكم ما في السموات وما في الارض وسخر لكم ذلك كله ما لم تفعل ذلك بغيرها
من الامم وقال بعض اهل التاويل معناه وما كان الناس الا امة واحدة
في زمن نوح عليه السلام لان الكفار هلكوا بالطوفان ومن دخل معه في السفينة
كانوا على دينه ما دام هو فيهم ثم اختلف اولاده بعد وفاته ومنهم من قال كان
الناس على دين واحد زمن ابرهيم عليه السلام ثم اختلفوا الكنا لا نشهد كيف كان
الامر ولا نقطع القول به فانه لا نعلم الا بخبر من الله تعالى قوله تعالى ولولا
كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم فيما فيه يختلفون قيل لولا ان من حكم الله تعالى
ان لا يعذب هذه الامة عند تكذيبهم الايات اذا سألوها والا لاهلكهم كما اهلك
الامم الخالية بتكذيبهم الايات عند السؤال ولكن اخر تعذيب هذه الامة

الى يوم القيمة والتالي ولولا كلمة سبقت من ربك ان لا يستاصل هذه الامة
عند تكذيبهم رسولهم كما استاصل الامم السالفة بتكذيبهم الرسل والعباد
لهم فاحد التاويلين في ترك الاستيصال والاخر في تاخير العذاب
عنهم الى وقت قوله تعالى لقضي بينهم فيما فيه يختلفون اي لقضي بينهم ببيان
يضطرهم الى القبول قوله تعالى ويقولون لولا انزل عليه آية من
ربه اي هلا انزل عليه اية من ربه فقل انما الغيب لله فقيل جوابه
والله اعلم ما ذكر لولا كلمة سبقت من ربك ان لا يعذب هذه الامة بتكذيبهم
الايات عند سؤالها والا لانزل عليك الاية التي سألوها فيكذبونها فيعذبون
كما عذبت الامم الخالية بتكذيبهم الايات عند السؤال قوله تعالى فقل
انما الغيب لله اي انكم تعلمون ان علم الغيب لله وقد انزل من الايات ما تبين
ويدل على رسالتي وقد كذبتموها فلا ندري ما الحكمة عند الله تعالى في ان لم
ينزل ما يسالون من الاية المعينة المقترحة قوله تعالى فانتظروا
اني معكم من المنتظرين قيل انتظروا هلاكي اني منتظر هلاككم لانهم
كانوا يوعدون الهلاك وقيل انتظروا مواعيد الشيطان اني منتظر
مواعيد الله وهو حرف وعيد وتهديد قوله تعالى واذا اذقنا الناس
رحمة من بعد ضراء مستهم اذا لهم مكر في اياتنا قال اهل التاويل اذقنا
الناس يعني اهل مكة اذا اصابهم سعة وفرح ونجاة مما خافون عادوا
الى ما كانوا من التكذيب وعبادة الاصنام ولكن نقول لا لمعنى لتخصيص
اهل مكة بهذا بل هذا في جميع الكفار فانهم كانوا اذا ايسوا عما يعبدون
من الاصنام والاوثان يفزعون الى الله ويخلصون له الدين كقوله فاذا ركبوا
في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون كقوله
واذا مس الانسان الضر دعانا لجنبه او قاعدا او قايما فلما كشفنا عنه ضره مر
كان لم يدعنا الى ضر مسه وقوله واذا مس الناس ضر دعوا ربهم منيبين اليه
الاية وغير ذلك من الايات كانت عادتهم الفزع الى الله عند اصابتهم الشدايد
والبلايا لعلمهم ان الاصنام التي كانوا يعبدونها لا يدفعون عنهم ذلك والله اعلم
قوله تعالى اذا لهم مكر في آياتنا المكر في الايات تكذيبها وردها والجحود
لها كذا قال بعض اهل اللغة وقيل المكر بالايات هو الاستهزاء بها ثم

يشبه ان يكون الايات ههنا محمدا صلى الله عليه وسلم فانه كان من اول امره الى
اخره اية فمكروا به حيث هموا بقتله عنه منه كقوله واذ يمكر بك الذين
كفروا ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك ويحتمل سائر الايات والحجج مكروا فيها
اي كذبوها وردوها واستهزؤا بها والله اعلم قوله تعالى قل الله اسرع
مكرا اي اسرع اخذا ياخذكم وانتم لا تعلمون به ولا تقدرون ان تاخذوا
رسول الله وتمكروا به الا وهو يعلم بذلك فهو اسرع مكرا منكم قوله تعالى
ان رسلنا يكتبون ما تمكرون اي الحفظة ويحتمل قل الله اسرع مكرا اي اسرع
جزاء المكر منكم او اسرع اخذا من حيث لا تعلمون انتم قوله تعالى هو
الذي يصوركم في البر والبحر اختلف فيه قال بعضهم هو الذي يصيركم اي هو
الذي سخر لكم ما به تسيرون في البر والبحر وهو الدواب والسفن التي تقطع
بها البراري والبحار وهو كقوله لتستووا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم اذا
استويتم عليه وتقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وقيل
هو الذي يسيركم في البر والبحر اي سخر لكم البر والبحر وهما مكان الخوف
والهلاك اي حفظكم فيهما حتى قضيتم فيهما حوائجكم وليس في وسع الخلق حفظ
البراري والبحار عما فيهما من الاهوال فيتولى الله بفضله حفظ السائرين
فيهما حتى قضوا فيهما حوائجهم وهو كقوله وهو الذي سخر البحر لتاكلوا منه
لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها الى اخر ما ذكر من انواع المنافع فلولا
ان الله تعالى سخر لهم ذلك وحفظهم فيه والا لم يكن في وسع احد القيام بذلك وحفظ
نفسه من الاهوال فيه يذكرهم نعمه ومننه التي انعمها عليهم ليوجهوا شكر نعمه الله
ويحتمل هو الذي يسيركم في البر والبحر او خلق ونشا فكم فعل السير في
البر والبحر وهو كقوله وقدرنا فيها السير سيروا فيها ليالي والتقدير هو التخليق
والمقدر المخلوق وفيه دلالة خلق افعال العباد لان السير هو فعل
الخلق وقد اضافه الى نفسه دل انه منشا فعلهم ويشبه ان يكون قوله
هو الذي يسيركم في البر والبحر لم يرد به نفس البر والبحر ولكنه اراد
تذكير نعمه عليهم في كل حال وكل وقت وكل مكان ليشكروا له في كل حال وهو
كقوله ظهر الفساد في البر والبحر لم يرد به البر والبحر نفسهما ولكن المكان
الذي فيه المياه والذي لا مياه فيه اي يظهر الفساد في الاماكن التي فيها

الخلق فعلى ذلك الاول يذكرهم نعمه التي انعمها عليهم في الاماكن كلها والاحوال
كلها والله اعلم قوله تعالى حتى اذا كنتم في الفلك اي ركبتم الفلك وجرين
بهم بريح طيبة اي تجري بهم السفن بريح طيبة غير ان السفن ليست
تجري في البحار بجريان الماء لان ماءها راكد في الظاهر لكن الريح هي التي
تجريها وتسيرها وكذلك الامواج التي تكون فيها ليست لشدة جريان الماء
ولكن هي التي تهيج الامواج وتزعجها لا بنفس الماء قوله تعالى وفرحوا
بها قيل سروا بها وقيل اشروا وبطروا وقوله تعالى جاءتها ريح
عاصف وجاءهم الموج من كل مكان اخبر ان من الريح ما هي طيبة تجري بها السفن
ومنها ما هي عاصفة قاصفة تكسر وتفرق السفن وتهلك اهلها ليعلم ان
الاشياء تفسد مرة وتصلح تارة لا لانفسها ولكن بحفظ الحد فيها وكذلك النار
تحرق مرة وتفسد وتصلح تارة وكذلك الماء وذلك اذا حفظ فيه الحد
اصلح وان لم يحفظ افسد والا لا يحتمل الشيء الواحد لنفسه تارة يصلح وتارة
يفسد فيدلك ان غير الحفظ الحد فيها على ما يرى من المصلحة والحكمة فيدل
على اثبات صانع حكيم والله الموفق قوله تعالى وظنوا انهم احيط
بهم قيل ايقنوا انهم مهلكون ولكن معناه كانهم ايقنوا انهم مهلكون لغلبة
ظنهم بذلك لا ان ثبت لهم الايقان وهو العلم بطريق القطع لان الايقان
بالشيء الذي يصيب في حادث الاوقات انما يكون بالخبر الصادق ولم يكن
ذلك في حقهم ولا يدرون لعل الله يصرف ذلك عنهم فلا يقع به الايقان الا ترى
انه قال على اثره دعوا الله مخلصين له الدين وانما دعوا لرجاء النجاة ومع رجاء
النجاة كيف يكون تيقن الهلاك ولكن جعل الظن الغالب في كثير من الاشياء
كما لا يقال به الا ترى ان الله تعالى اباح الميتة في حال الضرورة لغالب
الظن اذ قد يجوز ان لا يهلك بذلك وكذلك ما ابيح للمكره بالقتل ان يجري
كلمة الكفر على لسانه لغالب الظن والا ليس يعلم بالاحاطة انه يقتله لا محالة
فعلى ذلك قوله وظنوا انهم احيط بهم اي كانهم ايقنوا انهم احيط بهم بغالب الظن
والله اعلم قوله تعالى دعوا الله مخلصين له الدين انهم اذا ايسوا عن الاصنام
التي عبدوها في دفع ما حل بهم فزعوا الى الله واخلصوا الدعاء له وقالوا لئن انجيتنا
من هذه لنكونن من الشاكرين ثم اخبر عن سفههم بعودهم الى ما كانوا عليه

من قبل بقوله فلما انجيهم اذا هم يبغون في الارض بغير الحق وهكذا عادتهم على ما
تقدم ذكره والبغي في الارض هو الفساد فيها قوله تعالى انما بغيكم على انفسكم
متاع الحيوة الدنيا يحتمل وجهين احدهما ان يراد انفسهم حقيقته اي حاصل بغيكم
يرجع الى انفسكم في العاقبة ويحتمل انما بغيكم على انفسكم اي بعضكم على بعض كقوله
فسلموا على انفسكم قوله تعالى ثم الينا مرجعكم فننبئكم بما كنتم تعملون هذا حرف
وعيد فان كان التاويل في قوله انما بغيكم على انفسكم اي بعضكم على بعض فالوعيد
في قوله ثم الينا مرجعكم وان كان التاويل يرجع الى انفسهم حقيقته اي حاصل
بغيهم يرجع اليهم في العاقبة فهو كلام وعيد وقوله ثم الينا مرجعكم تاكيد لذلك
الوعيد والله اعلم قوله تعالى انما مثل الحيوة الدنيا كماء انزلناه من السماء
فاختلط به نبات الارض مما ياكل الناس والانعام قيل في ضرب مثل الحيوة
الدنيا بالزرع الذي ذكر وجوه قال بعضهم انما الحيوة الدنيا في سرعة فنائها
وانقطاعها ووحيه انتقالها مثل ذلك الزرع الذي ذكر في سرعة هلاكه وانقطاعه
وزواله عن صاحبه ويحتمل ان يقال انما مثل الحيوة الدنيا فيما يسر بها ويبتهج
مثل صاحب الزرع الذي ذكر يسر بها ويبتهج ثم ما كان ما ذكر كان لم تغن بالامس
وقال بعضهم انما مثل الحيوة الدنيا للحيوة الدنيا فيما ينفق فيها اي لاجل حيوة
الدنيا للانتفاع بها والاستمتاع دون التوصل بها بالاخرة والحيوة الدايمة
مثل صاحب الزرع الذي ينفق عليه لما يامل من المنافع ويطمع فيه ثم كان ما
ذكر كان لم تغن بالامس ولو علم في الابتداء ان امر زرعه يؤول ويصير الى ما
صار لكان لا ينفق فعلى ذلك صاحب الحيوة الدنيا لو علم ان عاقبة امر نفقته
لاجل حيوة الدنيا يصير حسرة وندامة عليه مما انفق اذ لو علم انه لا ينتفع بها
بعاقبته مما انفق كصاحب الزرع او لو علم ان سروره وابتهاجه به لا يبقى ولا
يدوم بل يتسارع الى الانقطاع والزوال مما تكلف ذلك او علم انها تزول عنه وتنقطع
عن تلك السرعة بحيث لا يمكنه الانتفاع به مما انفق ذلك والله اعلم قوله تعالى
حتى اذا اخذت الارض زخرفها وازينت قيل اي اخذت الارض حسنها وازينت
اي حسنت وانبتت من الوان النبات وقال ابو عوسجة زخرفها زينتها
من النبت وكل شي زين زخرف قوله تعالى وظن اهلها انهم قادرون
عليها اي ظن اهل الدنيا فيما ينفقون انهم قادرون على تلك النفقة كما ظن صاحب

الزرع انه قادر على ذلك الزرع قوله تعالى اتيها امرنا ليلا او نهارا
قيل عذابنا وانما سمي العذاب امرا لانه بامره ياتي وفيه بيان انه
لم ياته عن غفلة وسهو ولكن عن علم وامر عظة لهم وتنبيها الا ترى انه
قال فذلك نفصل الايات لقوم يتفكرون كان الايات في هذا
الموضع المواعظ بما ذكر من ضرب مثل الحيوة الدنيا بالنبات والزرع الذي
ذكر عظة وتنبيها لمن تفكر فيه واتعظ به والله اعلم قوله تعالى فجعلناها
حصيدا اي محصودا كما يحصد الحصاد والحصاد الزرع قوله تعالى كان
لم تغن بالامس قيل اي لم تعش والمغاني هي المواضع التي يعيش فيها
الناس وواحد المغاني مغنا وقيل كان لم تغن بالامس اي لم تنعم وقيل
لم تعمر من العمر وقال بعضهم هو من الغناء اي كان لم يكن غنيا بالامس والله اعلم
قوله تعالى والله يدعوا الى دار السلام ويهدي من يشاء الى صراط مستقيم
ذكر المشية والاستثناء في الهداية ولم يذكر في الدعاء ليعلم ان لا كل من يدعو
الى دار السلام يهديه وانما يهدي من يعلم منه انه يختار الهدي وذلك على القدرية
انهم يقولون انه اعطى الهدي للكل ثم الهدي على وجوه ثلثه احدها الدعاء
والبيان قال الله تعالى ولكل قوم هاد اي داع ومبين وكقوله هدى
للمتقين اي القرآن والثاني خلق فعل الاهتداء والثالث التوفيق والعصمة
للاهتداء والهدي ههنا هو التوفيق ثم اختلف في تاويل قوله دار السلام
قال بعضهم دار السلام الجنة والسلام اسم من اسماء الله كانه قال
دار الله اضافها الى نفسه ثم يحتمل اضافة الجنة الى نفسه وتسميتها دار الله
وجهين احدهما انها دار اوليايه فيجوز اضافتها الى الله على ارادة الاضافة
الى اوليايه كقوله يخادعون الله اي اولياءه ونحو ذلك والثاني انها
دار فضلها الله تعالى فيكون الاضافة الى نفسه بيان فضيلتها وشرفها
كاضافة المساجد اليه لانها امكنة تقام فيها القرب والعبادات لله تعالى
وقال بعضهم المراد من دار السلام الجنة وانما سميت الجنة دار السلام
لوجهين احدهما انها دار السلامة فان كل من دخل فيها امن وسلم عن جميع
الاهوال والافات التي تكون في الدنيا والثاني سميت دار السلام لانه
لا يدخلها الا المسلمون وقال بعضهم المراد من دار السلام هو الاسلام اي

وَالله يدعوا الي الاسلام وتسمية الاسلام دار السلام يحتمل وجهين احدهما
ان من دخل في الاسلام ليسلم من القتل والاسترقاق والجزية في الدنيا
وعن خلود العذاب في الآخرة اذا ختم عليه والثاني اضاف الاسلام الي نفسه
بقوله افمن شرح الله صدره للاسلام فهو علي نور من ربه جعل الاسلام
نوراً من ربه وقد اضاف الدار الي نفسه بقوله دار السلام اي دار الله
فذكر دار السلام واراد به الاسلام اذ كل واحد منهما يضاف اليه وروي
في بعض الاخبار عن ابي قلابة عن النبي صلي الله عليه وسلم انه قال قيل لي
لتنم عينك وليعقل قلبك ولتسمع اذنك فنامت عيني وعقل قلبي وسمعت
اذني ثم قيل لي سيد بني داراً وجعل مادبة وارسل داعياً فمن اجاب
الداعي دخل الدار واكل من المادبة ورضي عنه السيد فالله السيد والدار
الاسلام والمادبة الجنة والداعي محمد صلي الله عليه ان ثبت هذا الخبر فيكون
حجة لهذا القول وفي خبر آخر عن جابر بن عبد الله قال خرج علينا رسول الله
صلي الله عليه وسلم يوماً وقال رايت في المنام كان جبريل عند راسي وميكايل
عند رجلي قال احدهما لصاحبه اضرب له مثلاً قال اسمع سمعت
اذنك واعقل عقل قلبك انما مثلك ومثل امتك كمثل ملك اتخذ داراً ثم
بني فيها بيتاً فاتم ثم جعل فيها مادبة ثم بعث رسولاً يدعوا الناس الي طعامه
فمنهم من اجاب الرسول ومنهم من تركه فالله الملك والدار الاسلام
والبيت الجنة وانت يا محمد الرسول من اجابك دخل الاسلام ومن
دخل الاسلام دخل الجنة ومن دخل الجنة اكل ما فيها فهذا يدل علي ان
الدار التي ذكر في الآية هو الاسلام ان ثبت هذا الحديث والله اعلم ٥
قوله تعالي للذين احسنوا الحسني وزيادة اختلف فيه قال بعضهم
اي للذين احسنوا في الدنيا الحسني في الآخرة جزاء ذلك الاحسان وهي
الجنة سمي الجنة الحسني لانها جزاء الحسني كما سمي النار السواي بقوله
اساوا السواي لانها جزاء السوء وكقوله هل جزاء الاحسان الا الاحسان
وقوله وزيادة قيل المحبة في قلوب العباد محبة كل محسن والهيبة له
في قلوب الناس يهابه كل احد علي غير سلطان له ولا يد وقال بعضهم الحسني ما
تقدر العقول وتدركه الاوهام من النعم في الجنة واما الزيادة فهي التي لا

يقدرها العقول ولا تصورها الاوهام علي ما قال عليه السلام في صفة
نعيم الجنة ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر علي قلب بشر
وقال بعضهم للذين احسنوا الحسني اي مثل تلك الحسنة والزيادة
هي التضعيف حتي تكون عشرا او سبعمايه وما شاء الله يدل علي ذلك
قوله والذين كسبوا السيات جزاء سيئة بمثلها وقال قايلون
الزيادة روية الرب والنظر اليه كقوله تعالي وجوه يوميذ ناظرة
الي ربها ناظرة وقال قايلون الزيادة هي قبول حسناته مع ما فيها
من الخلط بالسيات تقبل حسناته بفضله ورضوانه منه وان كانت
يشوبها السيات وذلك طريقه الفضل والاحسان اذ قد سبق من الله
اليه من النعم ما لا يقوم القيام علي وفاء نعمه منها طول عمره وعن علي
ابن ابي طالب رضي الله عنه انه قال الزيادة غرفة من لولوة واحدة
لها اربعة ابواب ولكن نحن لا نقطع القول بان الزيادة التي ذكرها الله في
الآية ما هي الا بالخبر عن الله علي لسان رسوله الصادق ولم يبلغنا ذلك
بالتواتر وانما ورد الاحاد وانه لا يوجب العلم قطعاً والله اعلم قوله تعالي
ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة قيل لا يغشي وجوههم الرهج والغبار
علي ما يوصف به وجوه اهل النار وهو قوله ووجوه يوميذ عليها غبرة
ترهقها قترة ولكن علي ما وصف وجوه اهل الجنة بقوله وجوه يوميذ مسفرة
ضاحكة مستبشرة وذلك والله اعلم اثار حسناتهم التي عملوها في الدنيا
ولما لم يروا النعم التي كانت لهم من سواه حتي صرفوا شكرها اليه دون
غيره والغبرة والقترة التي ذكر لاهل النار هي آثار السيات التي عملوها
في الدنيا من عبادتهم دون الله وصرفهم شكر النعم الي غيره ونحو ذلك من
صنيعهم الذي صنعوا في الدنيا والله اعلم قوله تعالي اولئك اصحاب
الجنة هم فيها خالدون ظاهر قوله تعالي والذين كسبوا السيات
جزاء سيئة بمثلها جزاء السيئة بما يوجب الحكمة ان تكون مثلها فاما جزاء الاحسان
والخير طريق وجوبه الافضال والاحسان ليس طريق وجوبه بالحكمة
والعدل حتي لا يوصف الله تعالي بالمنع جزاء لانه سبق من الله تعالي
الي كل احد من النعم ما ليس في وسعه القيام بمكافاة واحدة منها عمره

وان طال واجتهد كل جهده فضلاً من ان يستوجب قبله جزاءً مما كان منه
من الحسنات والله اعلم قوله تعالي وترهقهم ذلة مما ذكرنا من آثار
السيئات التي عملوها في الدنيا ذلا وهوانا لهم قوله تعالي ما لهم من الله
من عاصم وذلك والله اعلم انهم كانوا يعبدون الاصنام رجاء ان يكونوا
لهم شفعاء عند الله كقولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله فاخبر ان ليس لهم
من عذاب الله مانع يمنع ذلك عنهم قوله تعالي كانما اغشيت وجوههم
قطعا من الليل مظلما قيل القطع وقطعا قرئ مثقلا ومخففا القطع
بالتثقيل هو جمع القطعة والقطع بالتخفيف جزء من الليل قال الله تعالي فاسر
باهلك بقطع من الليل ولم يشبه بسواد الوجوه علي ما يكون من سواد الوجوه
في الدنيا وذلك والله اعلم ان سواد الوجوه علي ما يكون في الدنيا لا يبلغ من
القبح غايته اذ قد يرغب من كان من جنسه ونوعه في ذلك ويحسن ذلك
عنده فاذا كانت الرغبة قد تقع لبعضهم في بعض لم يبلغ في القبح غايته فاما ظلمة
الليل فان الطباع مما ينفر عنها ولا يقع الرغبة فيها بحال لذلك شبه وجوه اولئك
اهل النار بها والله اعلم قوله تعالي ويوم نحشرهم جميعا قال اهل
التاويل يعني العابد والمعبود الذي عبد من دونه ولكن نحشر الخلائق
جميعا قوله تعالي ثم نقول للذين اشركوا مكانكم انتم وشركاؤكم هذا
الحرف ههنا حرف وعيد وان كان هذا الحرف يجوز ان يستعمل في الكرامات
وبر بعضهم بعضا يقول الرجل لآخر مكانك انت كذا وانما يعرف ذا من ذا
بالمقدمات وما تقدم ههنا يدل علي انه لم يرد به الكرامة ولكن اراد به الوعيد
قوله تعالي فزيلنا بينهم اي فرقنا بين العابدين والمعبودين ثم يحتمل
التفريق وجوها يحتمل فرقنا بينهم في وقت الحساب مع الكفرة بماذا اعملتم ولمن
عملتم ومن صحبتم في الدنيا وهم صحبوا الاصنام وما عبدوهم وقد عملوا لهم فيفرق
بينهم وبين معبودهم الذين عبدوهم في الدنيا في هذا الوقت ويحتمل فرقنا
بينهم في الشفاعة فانهم انما طمعوا في عبادة هؤلاء ليشفعوا لهم كما اخبر عنهم
ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله ففرق بينهم في الشفاعة ويحتمل فرقنا بينهم
بما ضل عنهم ما كانوا يفترون فجعل ما عبدوه تبرأوا هم في النار فهو التفريق
بينهم والله اعلم قوله تعالي وقال شركاؤهم يحتمل قوله شركاؤهم سماهم

شركاء وان لم يكونوا في الحقيقة شركاء لهم لما عندهم انهم شركاء في الالوهية
كما سمي الاصنام آلهة لما عندهم انها آلهة والثاني سماهم شركاء لما انهم اشركوها
في العبادة فهم شركاء وهم في زعمهم قوله تعالي ما كنتم ايانا تعبدون
ينطق الله تعالي هذه الاصنام يوم القيمة وان لم يكن في خلقتها النطق في الدنيا
كقوله يومئذ تحدث اخبارها وقوله يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم
وارجلهم الآية انطقهم ليشهدوا عليهم ويحتمل ان يراد به الملائكة الذين عبدوهم
انكروا ان يكونوا عبدوهم والاشكال ان الملائكة كيف انكروا ذلك وانه
كذب ولا يوصفون به فنقول لان العبادة لا تكون عبادة اذا كان
من المعبود امر بها وكانت عبادتهم الاصنام عبادة الشيطان لانه هو الآمر
لهم بالعبادة لا الاصنام وهو كقوله يا ابت لا تعبد الشيطان ولا احد
يعتقد قصد عبادة الشيطان لكنه لما كان الآمر بالعبادة للاصنام هو الشيطان
صاروا كانهم عبدوه وان لم يقصدوه ويحتمل ما ذكر من الانكار من الاصنام
بما انطقهم الله تعالي وما يجري علي لسانهم باحداث الله تعالي في هذه الحالة
لا يكون الا صدقا وهو صدق لما ذكرنا ان عبادتهم اياها بدون امرهم
والله اعلم قوله تعالي فكفي بالله شهيدا بيننا وبينكم اي كفي الله القاضي والحاكم
بيننا وبينكم انا لم نامركم بعبادتنا اذ هو العالم بانا كنا بعبادتكم ايانا غافلين والله اعلم
قوله تعالي هنالك تبلوا كل نفس ما اسلفت قيل عند ذلك وقيل
يوم القيامة ثم قرئ تبلوا وتتلوا بالتاء والباء اما بالتاء فقيل تقرا في الصحف
ما كتب من اعمالهم وقيل تتبع كل نفس ما قدمت من الاعمال واما بالباء
من الابتلاء يقال بلوته وابتليته واحد وخبرته واختبرته واحد وقيل
تبلوا تجد وتعلم كل نفس ما قدمت من الاعمال وقيل تجزي كل نفس بما عملت
والله اعلم قوله تعالي ثم ردوا الي الله مولاهم الحق قيل ملكهم الحق لان عبد
من الآلهة التي عبدوها قد بطل عنهم وضل في الآخرة ويحتمل اي حق ما تجد كل
نفس ما قدمت من اعمالها ويحتمل اي حق ان تقرا كل نفس ما عملت وضل
عنهم ما كانوا يفترون من العبادة للاصنام وقول الكفرة ثم قوله ردوا
يحتمل وجهين اي ردوا الي ما اعد لهم مولاهم الحق والثاني اي ردوا الي امر
مولاهم الحق لا الي امر الاصنام التي يعبدونها قوله تعالي قل من يرزقكم

من السماء والارض امن يملك السمع والابصار الآية امر النبي صلى الله عليه
بان يحاج اهل مكة في التوحيد والربوبية وكان هذه السورة نزلت في
محاجة اهل مكة في التوحيد لانها مكية ثم قوله من يرزقكم يحتمل وجهين احدها
من يرزقكم اي من ينزل لكم الرزق من السماء ومن يستخرج لكم الرزق
من الارض لا احد يملك استنزال الرزق من السماء واستخراج الرزق
من الارض سواه والثاني يحتمل من يرزقكم من السماء والارض اي من
يدبر لكم الرزق في السماء ومن يدبر الرزق في الارض لا احد يملك تدبير
الرزق في السماء والارض سواه ولا احد يملك انشاء السمع والبصر
ولا احد ايضا يملك اخراج الحي من الميت ولا اخراج الميت من الحي ولا
تدبير الامر وانتم لا تعرفون ماهية السمع والبصر ولا كيفيتهما فكيف
تملكون انشاهما وصنعهما فاقروا انه لا يملك احد سوى الله ذلك فهو ما اخبر
عنهم بقوله فسيقولون الله قوله تعالى فقل افلا تتقون اي قل لهم
اذا عرفتم واقررتم انه لا يملك ما ذكر سواه وعرفتم ان له السلطان والقدرة
على الكمال افلا تتقون بوايقه ونقمته او اذا عرفتم انه لا يملك احد اصلاح
ما ذكر اذا افسد افلا تتقون مخالفته وعصيانه ويحتمل افلا تتقون صرف
شكره الى غيره وقد اقررتم انه هو المنعم عليكم هذه النعم لا من تعبدون
دونه ويحتمل افلا تتقون عبادة غيره دونه واشراكه غيره في الوهيته
وربوبيته قوله تعالى فذلكم الله ربكم الحق اي ذلكم الله الذي ذكر ربكم
الحق اي ثبت الوهيته وربوبيته بالحجج والبراهين فماذا بعد الحق الذي
ثبت حقيته بالحجج والبراهين الا الضلال لان ما لا حجة عليه ولا برهان
فهو ضلال ويحتمل فذلكم الله ربكم الحق اي الذي اقررتم انه المالك السموات
والارض ومالك ما ذكر من الرزق والسمع والبصر فاذا عرفوا ذلك عرفوا
انه هو المستحق للعبادة والقيام بشكره دون من لا يملك شيئا من ذلك
فاذا ضيعوا ذلك لحقهم اسم الضلال فذلك قوله فماذا بعد الحق الا الضلال
قوله تعالى فانى تصرفون اي فانى تصرفون عن عبادته الى عبادة
غيره بهوى النفس ووسوسة الشيطان ويحتمل فانى تصرفون عن شكر
المنعم الى غير المنعم او يقول الله فانى تعدلون من لا يملك ما ذكر لمن يملك والله اعلم

قوله تعالى كذلك حقت كلمت ربك قيل حقت اي وجبت ثم هذا
يحتمل وجهين احدهما يحتمل مواعيد ربك على الذين فسقوا انهم لا يومنون
فان كان على هذا فهو في قوم علم الله تعالى انهم لا يومنون في الدنيا ويحتمل
كلمة ربك اي وجبت ولزمت حجج ربك وبراهينه على الذين فسقوا انهم
لا يومنون اي لا ينتفعون بايمانهم في الاخرة وعند الموت اذا لم يومنوا
في الدنيا والله اعلم قوله تعالى قل هل من شركايكم من يبدا الخلق
ثم يعيده قال عامة اهل التاويل ثم يعيده المراد منه البعث بعد الموت
اي لا احد من شركايكم الذين تعبدون يملك بداء الخلق ولا اعادته وبعثه
وقال بعضهم ثم يعيده لا يحتمل البعث لانهم كانوا لا يقرون بالبعث فلا يحتمل
الاحتجاج عليهم بذلك ولكن معنى قوله ثم يعيده اي ما سوى البشر لانهم
انما ينكرون اعادة البشر فاما اعادة غير البشر من الاشياء فلا ينكرونها
نحو اعادة الليل والنهار واعادة الانزال والنبات لم يشاهدونها تفنى
ويتجدد مثلها ولكن اذا ثبت في غير البشر ثبت في البشر لانه مثل ذلك ولكن
عندنا يحتمل الامرين جميعا بعث البشر واعادتهم واعادة ساير الاشياء ويكون
ذلك اعلاما لهم بما اقام من الحجج والبراهين الا ترى انه قال قل الله يبدا
الخلق ثم يعيده فانى تؤفكون نص على اعادة الخلق والا ترى انه احتج عليهم
بما يلزمهم ذلك بقوله كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم ثم
يحييكم ثم اليه ترجعون والله اعلم قوله تعالى قل هل من شركايكم من
يهدي الى الحق يحتمل قوله يهدي الى الحق اي يدعوا الى الحق فاذا كانت
هذه الاصنام التي تعبدونها لا يملكون الدعاء الى شيء فلا يملكون النفع والضر
ومن الخلايق من لا يملك النفع والضر ويملك الدعاء الى ضر او الى نفع
فهولاء دون الخلايق جميعا اذ لا يملكون الدعاء فكيف يملكون النفع والضر
بين الله تعالى سفههم بعبادتهم الاصنام لعلمهم انهم لا يملكون نفعا ولا ضرا
ويحتمل من يهدي الى الحق اي يبين ويقيم الدلايل والحجج على استحقاق العبادة
لهم قوله تعالى قل الله يهدي للحق امره بان يخبر ان الله هو الذي يهدي
للحق ثم يحتمل الوجهين اللذين ذكرناهما هو الذي يملك الدعاء الى الحق ويملك
اقامة الدلايل والحجج على ما دعا اليه وهو المستحق العبادة له والربوبية

ويحتمل وهو الذي يوفق لاتيان الحق ويحتمل وهو الذي يخلق فعل الاهتداء
فيمن علم منه اختيار الاهتداء والله اعلم قوله تعالى افمن يهدي الى الحق
احق ان يتبع امن لا يهدي الا يهدى اي الذي يبين الحق بالبراهين والحجج
احق ان يتبع امن لا يبين ولا يدعوا الا ان يهدى اي يبين له فان قيل
ما معنى الاستثناء والصنم وان هدى لا يهتدي قيل قال بعضهم المراد من
هذا الانسان لان الصنم لا يحتمل الاهتداء وان هدى وقال بعضهم الا
ان يهدى اي الصنم لا يهتدي الطريق الى مكان يريد ان يكون فيه الا يحمل
فيوضع في ذلك المكان فاما ان يهتدي هو بنفسه فلا ولكن الجواب
الصحيح ان يقال ان هذا اصله ما تقدم من قوله ما كنتم ايانا تعبدون
ينطقهم الله تعالى يوم القيامة فليشهدون عليهم انهم لم يامروهم بالعبادة لهم ولا دعوهم
الى اشراكهم في العبادة فيكون قوله الا ان يهدى اي الا ان يجعلهم الله
بحيث يهتدون اذا هدوا ويجيبون اذا دعوا بان خلق فيهم الحيوة واذن
لهم بالنطق واقدرهم عليه والله اعلم قوله تعالى وما يتبع اكثرهم الا ظنا
قال بعضهم هذا في الائمة والرؤساء منهم حيث عبدوا الاوثان والاصنام
وقالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وقالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله
ونحو ذلك من القول ما يتبع اكثرهم في عبادتهم الاصنام بانهم يكونون لهم شفعاء
عند الله الا ظنا ظنوه وقال بعضهم هذا في الاتباع والعوام ليس في الائمة
وذلك لان الائمة قد عرفوا البراهين والحجج التي قامت عليهم والايات التي
جاء بها رسول الله لكن قالوا ان هذا الا سحر مبين وما هذا الا افك مفترى
ان هذا الا اختلاق ونحو ذلك ارادوا ان يلبسوا على العوام ويشبهوا
عليهم فاتبع العوام الائمة فيما قالوا انه كذا وانه كذا وصدقوهم فيما قالوا فاخبر تعالى
وما يتبع اكثرهم الا ظنا اي ما يتبع اكثر الاتباع الائمة في ذلك الا ظنا ظنوه
والله اعلم ويشبه ان يكون قوله وما يتبع اكثرهم في اهل مكة اي ما يتبع
اكثر اهل مكة الاوائل والاسلاف في عبادة الاصنام والاوثان الا ظنا
لانهم عبدوا الاصنام ويقولون وجدنا اباءنا لها عابدين بل وجدنا اباءنا كذلك
يفعلون والتقليد مبني على الظن ثم اخبر ان الظن لا يغني من الحق شيئا اي الظن
لا يدرك به الحق انما يدرك الحق باليقين قوله تعالى ان الله عليم بما يفعلون

هو حرف وعيد ليكونوا على حذر قوله تعالى وما كان هذا القرآن ان
يفترى من دون الله يخرج على وجهين احدهما اي ما كان هذا القرآن
بالذي يحتمل الافتراء من دون الله لخروجه عن طوق البشر ووسعهم فذلك
بالذي يحتمله كونه مفترى الجوهر اي بنفسه والثاني لما اودع فيه من الحكمة
والصدق يدل على كونه من عند الله اذ كلام غيره يحتمل السفه والكذب
ولا يحتمل التنزيه عنه الا اذا اتى من جهته وعصمه عن ذلك وهو الرسول
واختلف في نزوله فقال بعضهم هو صلة قوله قال الذين لا يرجون
لقاءنا ائت بقرآن غير هذا او بدله يقول وما كان هذا القرآن
ان يفترى من دون الله كقوله قل ما يكون لي ان ابدله من تلقاء نفسي ان
اتبع الا ما يوحى الي والله تعالى وقال بعضهم ان كفار قريش قالوا ان محمدا
افترى هذا القرآن من عند نفسه وتقوله واختلقه فقال وما كان
هذا القرآن ان يفترى من دون الله اي يضاف الى غيره او يختلق ولكن
تصديق الذي بين يديه اي تصدق هذا القرآن الكتب المتقدمة ولو
كان محمد هو الذي افتراه واختلقه من عند نفسه لكان يخرج هو وسائر
الكتب المتقدمة مختلفا اذ لم يعرف محمد سائر الكتب المتقدمة اذ كانت بغير
لسانه ولم يكن له اختلاف الى من يعرفها ولا كان قارئا للكتب كما قال
وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك ثم خرج هو اعني القرآن
مصدقا وموافقا لتلك الكتب دل انه من عند الله جاء قوله تعالى
وتفصيل الكتاب قيل في القرآن بيان الكتب التي نزلت قبله وتمام هذا
الكلام ان هذا وان كان مختلفا في اللفظ فهو في الحكمة والصدق مبين موافق
للاول ويحتمل اي مفصل من اللوح المحفوظ وقيل وتفصيل الكتاب
اي تفصيل ما كتب لهم وما عليهم ويحتمل اي الى الله تفصيل الكتاب ليس الى غيره
قوله تعالى لا ريب فيه اي لا شك فيه انه من عند رب العالمين والله اعلم
قوله تعالى ام يقولون افتراه قل فاتوا بسورة مثله يقول ان كان محمد افتراه
من عند نفسه فاتوا انتم بسورة مثله اذ لسانه ولسانكم واحد وانتم قد عرفتم
بالافتراء والكذب ومحمد لم يعرف به قط ولا اخذ عليه بكذب فانتم اولى ان تاتوا بسورة
مثله قوله تعالى وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين

اختلف فيه قالت بعضهم اي ادعوا بالهتكم التي تعبد ونها ليعينوكم علي اتيان مثله
وقالت بعضهم اي ادعوا ائمة لسانه مثل لسانكم ليعينوكم علي ذلك ويحتمل اي
استعينوا برواسة الكتب ليقدروا علي اتيان مثله ان كنتم صادقين ان محمدًا
افتراه من نفسه فدلّ تركُ اشتغالهم بذلك علي انهم قد عرفوا انه ليس بمفترٍ
وانه سماويّ قوله تعالي بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه قالت بعضهم اي انهم
لم يحفظوا نظمه ولفظه ولا نظروا وتدبروا فيه ليعلموا معناه بل كذبوا بالبديهة
والشيء انما يعرف كذبه وصدقه بالنظر فيه والتفكر والتدبر لا بالبديهة
فذلك والله اعلم تاويل قوله بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه لا لفقدٍ ام سبب احاطة
العلم في حقهم ويحتمل اي كذبوا علي علم منهم انهم كذبة فيما يقولون ويقولون
انه مفترٍ ليس بمنزل والله اعلم قوله تعالي ولما ياتهم تاويله اي ولم ياتهم
العلم بتاويله اي بتاويل القرآن ومعناه والله اعلم انهم كذبوا من غير ان حفظوا
نظمه ولفظه وتدبروا معناه ولا اتاهم العلم بعاقبته وآخره اذ قيل التاويل
ردّ كل شيء الي اوليته الامر ولهذا قالت الحكماء اخر كل فعل هو قصد في اوله
وقصد كل شيء في اوله هو آخر في فعله او نحوه واصل التاويل هو النظر
الي ما يؤول عاقبة الامر وقالت بعضهم قوله ولما ياتهم تاويله ما وعد الله
ان يكون قبل ان يكون وقالت ابن عباس تاويل القرآن منه ما يكون
في الدنيا ومنه ما يكون في الآخرة من الوعيد وقالت بعضهم تاويله ثوابه
وقيل عاقبته وقالت الواقدي اي ولما ياتهم عاقبة بيان ما وعد الله تعالي
في القرآن من الوعيد قوله تعالي كذلك كذّب الذين من قبلهم
اي كذلك كذب الامم الخالية رسولهم كما كذّب كفار مكة رسولهم قوله تعالي
فانظر كيف كان عاقبة الظالمين اي انظر كيف يعاقبون بالتكذيب ثمّ
هذا يحتمل وجهين احدهما التسلية رسوله اي لست انت باول مكذَّبٍ
بل كذّب من كان قبلك من اخوانك ليكون له التسلّي عما هو فيه من
تكذيبهم اياه وردّهم عليه انه ينزل بهم ما قد نزلت باولئك ان هم اقاموا
علي ما هم عليه والثاني ان يكون الخطاب وان كان خارجًا لرسول الله فهو راجع
الي قومه يامرهم بالنظر فيما نزلت بالامم السالفة وان يتاملوا احوالهم ليكون
ذلك سببًا لزجرهم عما هو فيه والله اعلم قوله تعالي ومنهم من يؤمن به

قيل من اهل مكة ومنهم من لا يؤمن به ثم قوله به يحتمل ان يكون كنايةً
عن الرسول ويحتمل ان يكون كناية عن القرآن ثم يحتمل قوله من يؤمن به
ومنهم من لا يؤمن به اي منهم من قد آمن به ومنهم من لم يؤمن به علي الماضي
ويحتمل علي الوعد فيما يستقبل اي من اهل مكة من يؤمن بهذا القرآن
ومنهم من لا يؤمن به وهم كذلك كانوا منهم من قد آمن به ومنهم من لم يؤمن
به فيكون آية رسالته حيث خرج علي ما اخبر وذلك لا يعلم الا من الوحي
وقالت بعضهم الآية في اليهود ليست في اهل مكة ولكن الظاهر انها في اهل
مكة وعلي ذلك قول عامة اهل التاويل كان هذا اخرج علي البشارة
ان منهم من يؤمن به ليلا ينقطع ويمنع دعاءه اياهم الي الاسلام واخبر ان منهم
من لا يؤمن به حتي لا يشتدّ حزنه علي كفر من لم يسلم منهم وعاند والله اعلم
قوله تعالي وربك اعلم بالمفسدين يشبه ان يكون معناه اي علي علم بما
كان منهم من الفساد خلقهم وانشاهم ليس عن غفلةٍ وجهل بالفساد انشاهم
ولكن عن علم بذلك لما لا يضرّه فساد مفسد ولا ينفعه صلاح مصلحٍ انما
عليهم ضرر فسادهم ولهم منفعة صلاحهم ويحتمل ان يكون علي الوعيد اي
عالم بفسادهم فيجزيهم جزاء فسادهم والله اعلم قوله تعالي وان كذبوك
فقل لي عملي ولكم عملكم انتم بريئون مما اعمل وانا بريء مما تعملون تاويله والله اعلم اي
ان كذّبت فيما اخبرتهم انه جاء من عند الله فقل لهم لي عملي اي علي وزر عملي فيما
ابلّغكم ولكم عملكم اي فعليكم جرم ما رددتم علي فيما بلّغتكم علي الله وهو كقوله
ام يقولون افتراه قل ان افتريته فعليّ اجرامي وانا بريء مما تجرمون
اي عليّ جرم افترائي ان افتريت وعليكم جرم ما رددتم علي ويحتمل ما قاله
اهل التاويل لي عملي اي لي ديني ولكم عملكم اي دينكم قوله تعالي
انتم بريئون مما اعمل وانا بريء مما تعملون تاويله والله اعلم اي انا لا اواخذ بما دنتم
انتم ولا انتم تواخذون بما دنت انا وعملت وهو كقوله ما عليك من حسابهم من
شيء وما من حسابك عليهم من شيء وقوله فان تولوا فانما عليه ما حمل وعليكم
ما حمّلتم وقوله فان توليتم فاعلموا انما علي رسولنا البلاغ المبين وقوله قل لا
تسالون عما اجرمنا ولا نسال عما تعملون قوله تعالي ومنهم من
يستمعون اليك اخبر ان منهم من يستمع اليه يعني الي محمدٍ والي ما يتلوا

من القرآن لكنه لا يؤمن اخبر ان لا كل مستمع الى شيء لينتفع بما يستمع او يعقل ما يستمع ومنهم انما ينتفع بالاستماع ويعقل على قدر المقصود والحاجة اليه فهم كانوا يستمعون اليه لمعان ومنهم من يستمع اليه ليتخذ لنفسه عنده منزلة وقدرا ويكون عنده مقبول القول لحسن استماعه القرآن ومنهم من كان يستمع ليسمع غيره كقوله سماعون للكذب سماعون لقوم آخرين ومنهم من كان يستمع ويطيعه في ذلك فاذا خرج من عنده غيره وبدله كما اخبر عنهم بقوله ويقولون طاعة فاذا برزوا من عندك بيت طائفة منهم غير الذي تقول ومنهم من كان يستمع اليه استهزاء منه وطلب الطعن فيه والعيب ثم نفى عنهم العقل والسمع والبصر بقوله افانت تسمع الصم ولو كانوا لا يعقلون ومنهم من ينظر اليك افانت تهدي العمي ولو كانوا لا يبصرون وذلك لوجهين احدهما ما ذكرنا انهم لما لم ينتفعوا باسماعهم وعقولهم وابصارهم كمن ليست له هذه الحواس فنفى عمن لم يستمع العقل حيث قال لا يعقلون ونفى عنهم الاهتداء بترك النظر والابصار فقال افانت تهدي العمي ولو كانوا لا يبصرون لان بالبصر يوصل الى اهتداء الطرق والسلوك فيها الا ترى ان البهائم قد تبصر الطرق وتسلك فيها وتتقي بها المهالك ولا تعقل لما ليس لها سمع العقل فلا تعقل لما يسمع القلب بالعقل وتبصر به وبظاهر البصر تبصر الاشياء وبظاهر السمع تسمع الالفاظ فانما نفى عن هذه الحواس ما ذكرنا لما انها جعلت لينتفع بها لا لتترك سدى لا ينتفع بها والثاني ان العقل والسمع والبصر يكون منها مكتسبا ومنها ما يكون غريزيا فنفى عنهم لما تركوا اكتساب ذلك فلا يحصل لهم ما يحوز بالكسب فاحتمل نفي هذه الحواس هذين الوجهين اللذين ذكرناهما والله اعلم قوله تعالى ان الله لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس انفسهم يظلمون يخبر ان ما حل باولئك من عذاب استيصال وعقوبة انما حل بظلمهم قوله تعالى ويوم يحشرهم كان لم يلبثوا الا ساعة من النهار عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال كان لم يلبثوا الا ساعة من النهار في قبورهم فيتعارفون اذا خرجوا من قبورهم وقال بعض اهل التاويل اي كان لم يلبثوا الا ساعة من النهار في الدنيا واصله كانهم استقلوا طول مقامهم في الدنيا وما تنعموا فيها لما عاينوا من اهوال ذلك اليوم وشدايده

او استقلوا لبثهم ومقامهم لطول مقامهم في الآخرة في العذاب وفيه وجه آخر وهو انه يذكر من شدة سفههم وغاية جهلهم ان استقلوا ما يعدهم الله تعالى من الخزي والعذاب الابد كانهم لا يلبثون فيها الا ساعة من النهار حتى لا يبالوا بما يلحقهم ذلك فلا يمتنعوا عن اكتساب ما به يستوجبون العذاب الاليم والله اعلم قوله تعالى يتعارفون بينهم اي يعرف بعضهم بعضا على قدر ما يلعن بعضهم على بعض كقوله ويلعن بعضكم بعضا وعلى قدر ما يتبرأ بعضهم من بعض ثم تفرق بينهم كقوله فزيلنا بينهم اي فرقنا بينهم قوله تعالى قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله اي خسروا ما وعدوا من النعم الدائمة في الآخرة بترك اكتسابهم اياها اذ قد اعطوا ما يكتسبون به نعم الآخرة فاكتسبوا ما به خسروا وهو كقوله فما اصبرهم على النار اي فما اصبرهم على اكتساب ما به يستوجبون النار قوله تعالى واما نرينك بعض الذي نعدهم او نتوفينك قيل في تاويل هذه الآية من وجهين احدهما ان هذا على حذف حرف الشك اعني حرف اما واضمار حرف ان كانه يقول ان اريناك انما نريك بعض ما نعدهم لا كل ما نعدهم او نتوفينك ولا نريك شيئا هذا احتمل ان يكون هذا ابتداء خطاب للنبي ويحتمل ان يكون رسول الله وعدهم ان يريهم شيئا فقال عند ذلك واما نرينك بعض الذي نعدهم او نتوفينك كانه يقول ليس اليك ما وعدتهم انما ذلك الينا كقوله ليس لك من الامر شيء والثاني من التاويل ان قوله واما نرينك بعض الذي نعدهم اي لقد نريك بعض ما نعدهم وهو كقوله ان كان وعد ربنا لمفعولا اي لقد كان فعلى هذا التاويل يريه بعض ما نعدهم ولا يريه كل ما وعدهم وعلى التاويل الاول انه ان اراه انما يريه بعض ذلك او لا يريه شيئا فان قيل اما حرف شك وكذلك او كيف يستقيم اضافته الى الله وهو عالم بما كان ويكون ويستقيم اضافته الى من جهل العواقب قيل جميع حروف الشك التي اضيفت الى الله فعلى اليقين والوجوب والوقوع نحو حرف عسى ولعل وحرف او واما حرف الاستفهام اذ هو لم يزل عالما بما كان ويكون في اوقاته وهذا لان هذه الالفاظ ان كانت موضوعة لغة كذلك لكنها تستعمل عند ارباب اللسان ايضا للوقوع والايجاب دون الشك ايضا

فمتى اضيفت الى الله يجب حملها الى ما يليق به وهو كما ذكرنا في تشبيه الفاظ
الى الله توجب التشبيه من حيث الظاهر من العين واليد والاتيان
والمجي ونحو ذلك ان كان في وضع اللغة لمعان لا تجوز على الله تعالى
ولكنها لما استعملت لمعان على المجاز يجوز الاضافة اليه وتليق بصفاته
صرفت الى ما يحتمل فهنا كذلك والله اعلم قوله تعالى فالينا مرجعهم
ثم الله شهيد على ما يفعلون هذا يحتمل ان الله شهيد لك يوم القيامة
على ما فعلوا من التكذيب بالآيات وردها وهو كقوله قل الله شهيد بيني وبينكم
واوحي الي هذا القرآن الآية ويحتمل اي عالم بما تفعلون لا يغيب عنه
شي وهو وعيد كقوله والله بصير بما تعملون وهو بكل شي عليم ونحوه والله اعلم
قوله تعالى ولكل امة رسول اي لكل امة فيما خلا رسول بعث اليهم
لست انا باول رسول بعثت اليكم وهو كقوله قل ما كنت بدعا من الرسل
وما ادري ما يفعل بي ولا بكم قوله تعالى فاذا جاء رسولهم قضي بينهم
بالقسط يحتمل هذا وجهين يحتمل فاذا جاء رسولهم قضي بينهم يوم القيامة
بالقسط اي يقضى بين الرسل وبين الامم بالعدل بما كان من الرسل من تبليغ الرسالة
اليهم والدعاء الى دين الله ومن الامم من التكذيب للرسل والرد للآيات
يقضي بينهم بالعدل وهم لا يظلمون لا يزاد على ما كان ولا ينقص والثاني يحتمل
قضي بينهما اي يهلك المكذبون منهم وينجي الرسل ومن صدق منهم كقوله
ثم ننجي رسلنا والذين آمنوا الآية قوله تعالى ويقولون متى هذا الوعد
ان كنتم صادقين وذلك انه لما اوعدهم العذاب حين قال واما نرينك
بعض الذي نعدهم اي من العذاب فقالوا متى هذا العذاب الذي توعدنا
يا محمد ان كنت صادقا بان العذاب نازل بنا في الدنيا وهو على التاويل
الثاني الذي ذكرنا العذاب نرينك بعض ما نعدهم قوله تعالى قل لا املك
لنفسي ضرا ولا نفعا الا ما شاء الله امره الله تعالى ان يجيبهم فيقول لا املك
لنفسي ضرا ادفعه عنها ولا املك جر منفعة اليها ولا اقدر على ان ادفع عن نفسي
سوءا حين ينزل بي ولا املك ان اسوق اليها خيرا البته فاذا لم املك هذا
كيف املك انزال العذاب عليكم انما ذلك الى الله هو المالك عليه والقادر
على ذلك لا يملك احد سواه وهو كقوله قل انما انا بشر مثلكم قوله تعالى

لكل امة اجل اذا جاء اجلهم فلا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون اي اذا
جاء اجلهم لا يقدرون على تاخيره ولا يقدرون تقديمه ليس على انهم
لا يطلبون تاخيره ولا تقديمه يسالون ذلك ولكن لا يوخر اذا جاء ولا يقدم
قبل اجله وفيه دلالة ان لا يهلك احد قبل انقضاء اجله فهو رد على
المعتزلة حيث قالوا من قتل اخر فانما قتله قبل اجله والله تعالى
يقول لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون وهم يقولون يستقدمون
والله الموفق يخبر الله تعالى بقوله فلا يستاخرون ساعة الآية ان عذاب الله
تعالى اذا نزل وجاء وقته لا يملك احد تقديمه ولا تاخيره ولا يحتمل ذلك
بالقدر والمنزلة كما يحتمل ذلك في الدنيا بالشفاعة والفداء ويذكر عجز
النبي في انزال العذاب عليهم في قوله قل لا املك لنفسي ضرا ولا
نفعا والله اعلم قوله تعالى قل ارايتم ان اتيكم عذابه بياتا او نهارا
ماذا يستعجل منه المجرمون يقول والله اعلم اي منفعة لكم ان اتيكم عذابه
لا منفعة لكم في ذلك بل فيه ضرركم فاستعجال ما لا منفعة فيه سفه وجهل
بسفههم في سوالهم العذاب والله اعلم قوله تعالى اثم اذا ما وقع
آمنتم به الآن وقد كنتم به تستعجلون اي العذاب اذا نزل بكم امنتم
به الان يخبر عنهم اذا نزلت بهم العذاب يومنون به ثم يحتمل قوله امنتم
به اي بالله وبرسوله كقوله تعالى فلما راوا باسنا قالوا آمنا بالله وحده
وكفرنا بما كنا به مشركين ثم اخبر ان ايمانهم لا ينفعهم عند معاينتهم العذاب
وقوله فلم يك ينفعهم ايمانهم لما راوا باسنا وقوله لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن
آمنت من قبل ويحتمل قوله امنتم به اي بالعذاب لانهم كانوا يكذبون
رسول الله فيما يدعوهم العذاب وهم يستعجلون به استهزاء وتكذيبا فاذا نزل
بهم آمنوا وصدقوا بذلك العذاب يقول آمنتم به الآن وقد كنتم به تستعجلون
تكذيبا واستهزاء انه غير نازل بكم ذلك والله اعلم قوله تعالى ثم
قيل للذين ظلموا اي قيل للذين اشركوا في الالوهية وعبادته غيره
ذوقوا عذاب الخلد الذي تخلدون فيه اي يقال لهم ذلك بعد ما ادخلوا
في النار هل تجزون الا بما كنتم تكسبون في الدنيا قوله تعالى ويستنبوك
احق هو قل اي وربي انه لحق وما انتم بمعجزين قوله ويستنبونك احق هو اي

يستخبرونك هذا الحرف اعني احق هو يحتمل ان يكون من الشاكين منهم في ذلك طلبوا من النبي ان ذلك حق ام لا او من المعاندين استعجال العذاب الذي كان يوعدهم رسول الله استهزاء به وتكذيبا له ومن المتبعين والمطيعين له التصديق والايمان به كقوله يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها والذين آمنوا مشفقون منها ويعلمون انه الحق فكانوا افرقا ثلثة فرقة آمنوا به وفرقة شكوا فيه وفرقة كذبوه ثم قوله ويستنبئونك احق هو يحتمل وجوها يحتمل يستخبرونك وينبئونك احق هو العذاب الذي كان يوعدهم انه ينزل بهم على ما قاله عامة اهل التاويل ثم قال قل اي وربي انه لحق اي قل نعم وربي انه لحق انه نازل بكم وما انتم بمعجزين الى بفائتين عنه ولا سابقين له ويحتمل احق هو ما يدعوهم اليه من التوحيد وهو كقولهم لابراهيم اجئتنا بالحق ام انت من اللاعبين قال بل ربكم رب السموات الآية فعلى ذلك قولهم احق هو ثم اخبر انه حق بقوله قل اي وربي انه لحق وما انتم بمعجزين فائتين عنه ويحتمل القرآن اهو حق ام لا قل اي وربي انه لحق ليس بهزؤ ولا لعب وهو كقوله ان الله يامركم ان تذبحوا بقرة قالوا اتتخذنا هزوا قال اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين اخبر ان ما يامرهم به ويدعوهم اليه ليس هو بهزؤ ولا لعب ولكن حق امر من الله تعالى فعلى ذلك قوله احق هو قل اي وربي انه لحق الآية قوله تعالى ولو ان لكل نفس ظلمت ما في الارض لافتدت به يخبر عنهم انهم يعيدون ويبذلون جميع ما في الارض لو قدروا عليه عند نزول العذاب بهم لشدة العذاب وان كان الذي منعهم عن الايمان هو حبهم الدنيا وبخلهم عليها وما فيها بقوله ورضوا بالحيوة الدنيا واطمانوا بها قوله تعالى واسروا الندامة لما راوا العذاب الندامة لا تكون الا سرا بالقلب فكانه قال حققوا الندامة في قلوبهم على ما كان منهم من التكذيب بالآيات والعناد في ردها وقال بعضهم اسروا الندامة اي اظهروا الندامة وهو انما يستعمل في الاخفاء والاظهار ويجوز مثل هذا كقولهم شعب اي جمع وفرق او يراد به على سبيل المجاز لانه اذا اسر في نفسه لا بد من ان يضع ذلك في آخر فذلك منه اظهار بطريق التسبيبة قوله تعالى وقضي بينهم بالقسط يحتمل قضي بينهم بالقسط اي قضي بينهم بما يوجبه الحكمة

لان الحكمة توجب تعذيب كل كافر نعمه وكل قائل في الله ما لا يليق به ويحتمل ان يكون تفسير قوله بالقسط ما ذكر على اثره وهم لا يظلمون اي بالعدل دون الظلم ويحتمل بالقسط ما ذكر اقرا كتابك كفى بنفسك اليوم حسيبا والقسط هو العدل وهم يومئذ عرفوا انه كان يقضي بالعدل في الدنيا والآخرة والله اعلم قوله تعالى الا ان لله ما في السموات والارض اي انما في السموات والارض كلهم عبيده وايماؤه وملكه لا لمن تعبدون دونه من الاصنام والاوثان فمن عند من يملك الدنيا والآخرة اطلبوا ذلك لا من عند من يعلمون انه لا يملك ذلك والله اعلم قوله تعالى الا ان وعد الله حق هذا اخبار انه في كل وعد ووعيد انه كائن لا محالة عذابا كان او رحمة قوله تعالى ولكن اكثرهم لا يعلمون اي لا ينتفعون بعلمهم ويحتمل قوله لا يعلمون اي لا يكتسبون سبب العلم وهو التامل والنظر في آياته وحججه ويحتمل نفي العلم عنه لما لم يعطوا اسباب العلم وهو العقل فلم يعلموا فان كان على هذا فيكونون معذورين وان كان على الوجهين الاولين فلا عذر لهم في ذلك ثم في قوله الا ان لله ما في السموات والارض دلالة اثبات البعث من وجهين احدهما فيما يذكر من قدرته في خلق السموات والارض وما بينهما لغلظهما وكثافتهما وشدتها وعظم خلقها على ان تلك القدرة خارجة عن وسع البشر وتوهمهم فمن قدر على ذلك فهو قادر على البعث واحياء الخلق بعد فنائهم والثاني يخبر عن حكمته في تعليق منافع الارض بالسماء على بعد ما بينهما والافضال على الخلق بانواع النعم التي يكبر الاحصاء وان كل شيء منها قد وضع موضعه فلا يحتمل من يكون هذا وصفه بالحكمة خلق الخلق شيئا عبثا وباطلا ولو كانوا للفناء لا لحيوة بعده يكون خارجا عن الحكمة فظهر انه خلقهم لامر اراد بهم والله اعلم قوله تعالى هو يحيي ويميت واليه ترجعون اي تعلمون انه هو احيا الاحياء وهو مميت الاموات ايضا وهو الذي احياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم اليه ترجعون فاذا عرفتم انه هو محيي الاحياء وهو مميت الاموات لا غير فاعلموا انه هو الذي يبعثكم واليه ترجعون الزمهم الحجة اولا بالكائن ثم اخبر عما يكون بالحجة وهو كقوله وهو الذي احياكم ثم يميتكم الآية قوله تعالى يا ايها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم اي

هذا القرآن ثم تكلموا في تفسير الموعظة قال بعضهم الموعظة النهي كقوله
يعظكم الله ان تعودوا لمثله ابدا قيل ينهيكم ان تعودوا لمثله وقال اخرون
الموعظة هي التي تدعوا الي كل مرغوب وتزجر عن كل مرهوب وقال
بعضهم العظة هي التي تلين قلب كل قاسي وتجلي قلب كل مظلم وقيل الموعظة
هي التي تلين القلوب القاسية وتدمع العيون اليابسة وتجلي الصدور المظلمة
ثم في القرآن جميع ما ذكرنا فيه النهي عن كل قبيح وفيه الدعآء الي كل مرغوب
والزجر عن كل مرهوب وهو تليين القلوب القاسية وتجلي القلوب المظلمة
اذا ما تلوا فيه ونظروا وتفكروا تفكر المسترشد وطالب الحق والله الموفق
قوله تعالي وشفآء لما في الصدور اي للذين آفات تضره وتتلفه
كما لهذه الابدان آفات وامراض تعمل في اتلفها واهلاكها ثم جعلت الآفات
الابدان والامراض ادوية تشفي بها الابدان المريضة فعلي ذلك جعل القرآن
شفآء لهذا الدين ودوآء يداوي به فيذهب بآفاته وامراضه كما يعمل الادوية
في دفع آفات الابدان وامراضها لذلك سماه شفآء للصدور والله اعلم
قوله تعالي وهدي ورحمة قيل هدي من الضلال ورحمة من عذابه
وقيل هدي يدعوا الي كل خير ويهديه اليه ورحمة لمن اتبعه فانه هدي
ورحمة لمن اتبعه وتمسك به وعمي وضلال لمن خالفه وترك اتباعه وهو ما
ذكر وهو عليهم عمي وقوله فزادتهم ايمانا وقوله فزادتهم رجسا اي زاد
للمومنين ايمانا الي ايمانهم وزاد للكافرين رجسا الي رجسهم ونحوه والله اعلم
قوله تعالي قل بفضل الله وبرحمته قال بعضهم فضل الله ورحمته
القرآن وقال بعضهم فضل الله القرآن ورحمته الايمان وفيه انه
بانزال القرآن مفضل اذ له ان لا ينزل وهذا يدلت علي ان اهل الفترة
يواخذون في حال فترتهم لانه لما كان مفضلا في انزال القرآن دل انه
قد اقام حججا عقلية قبله يتوجه التكليف بها اولا فيكون انزال القرآن امراحتما
لا يواخذون بدونه والله اعلم ثم قيل هذا امر للنبي صلي الله عليه وسلم
ان تقول مع المومنين ويخاطبهم بذلك اي قل للمومنين بفضل الله وبرحمته
فبذلك يعني بهذا الفضل والرحمة فليفرحوا يعني المومنين هو خير مما يجمعون
اي فرحهم بما ذكر خير مما يجمعون يعني مما يجمع الكفار من الاموال ونعم الدنيا

والله اعلم قوله تعالي قل ارايتم ما انزل الله لكم من رزق اضاف
انزاله الي السمآء وان كانت الارزاق انما تخرج من الارض لما كانت
اسبابها متعلقة بالسمآء من نحو المطر الذي به ينبت الارض النبات
وتخرج به جميع انواع الخارج مما يكون فيه غذآء البشر والدواب
ومن نحو الشمس التي بها نضج الانزال وينع الاعناب وجميع الثمار اضاف
ذلك الي السمآء لما ذكرنا وعلي هذا قوله وفي السمآء رزقكم وما توعدون
اي اسباب ذلك في السمآء لا ان عين ذلك في السمآء والله اعلم ويحتمل
قوله ما انزل الله لكم من رزق اي ما خلق لكم وهو كقوله وانزل لكم
من الانعام ثمانية ازواج ونحو ذلك اي خلق فعلي ذلك الاول والله اعلم
قوله تعالي فجعلتم منه حراما وحلالا قال بعضهم اي ما حرموا
من البحيرة والسايبة والوصيلة وما ذكر في سورة المايدة وقال بعضهم
اي ما حرموا للالهة التي كانوا عبدوها اي جعلوها للاصنام وهو ما ذكر
في سورة الانعام والله اعلم قوله تعالي قل الله اذن لكم ام علي الله تفترون
اي الله اذن لكم في تحريم ما حرمتم وتحليل ما حللتم ام علي الله تكذبون وذلك
ان هذه السورة نزلت في محاجة اهل مكة وهم لم يومنوا بالرسل والكتب
وانما يوصل الي معرفة المحرم والمحلل بالرسل والكتب بالخبر عن الله وهم
لم يومنوا بواحد مما ذكرنا يكون كيف جعلتم منه حراما وحلالا وانتم لا تومنون
بما يعرف به الحرام والحلال فكيف حرمتم ما احل لكم واحللتم ما حرم عليكم بخبر
عن سفههم وعنادهم وافترآيهم علي الله فاذا اجترؤا ان يفتروا علي الله فعلي
غيرهم اجرء والله اعلم قوله تعالي وما ظن الذين يفترون علي الله الكذب
يوم القيامة فيه توعيد لهم بيوم القيامة فان قيل كيف يوعدهم بيوم
القيامة وهم كانوا لا يومنون بالبعث قيل قد الزمهم الحجة بكون البعث
لما اظهر من كذبهم وافترآيهم علي الله في التحريم والتحليل فذلك مما يظهر كذبهم
بتكذيبهم البعث ويحتمل وجها آخر يقول وما ظن الذين يفترون علي الله
الكذب يوم القيامة لو خرج الامر حقا وكان صدقا علي ما اخبر رسول الله
وما قاله من البعث والجزآء لما اكتسبوا اما قد يوعد المرء بما لا يتيقن به
ويتخوف عليه ويحذر وان لم يحط علمه به فكذلك هذا علي انه قد جعل في عقولهم

ما يلزمهم الايمان بالبعث والجزآء للاعمال اذ ليس من الحكمة خلق الخلق
للغنا خاصة قوله تعالى ان الله لذو فضل على الناس هو ذو افضل
على جميع الناس من جهة وهو ما ساق الى الكل من الرزق كافرهم ومؤمنهم
وانواع النعم وما اخر عنهم من العذاب الى وقت ويحتمل ذو افضل لما بعث
اليهم الرسل والكتب من غير ان كان منهم الى الله سابقة صنع ليستوجبون
بهاذلك ومنه خصوص فضل على المومنين ليس ذلك على الكافرين
قوله تعالى ولكن اكثرهم لا يشكرون اي لفضله وما انعم عليهم قوله
تعالى وما تكون في شان وما تتلوا منه من قرآن قال بعض اهل التاويل
في شان امرك وحالك وما تتلوا منه من قرآن تبلغهم به الرسالة وقال
بعضهم وما تكون في شان اي في عبادة وما تتلوا منه من قرآن تبلغهم به
الرسالة قوله تعالى ولا تعملون من عمل الا كنا عليكم شهودا
يخاطب النبي تنبيها وايقاظا والمراد هو وغيره الا ترى انه قال ولا
تعملون من عمل عمهم جميعا في ذلك يخبر انكم في كل امر يكون بينكم وبين
ربكم وفي كل امر بينكم وبين الناس فالله لكم وعليكم شهود ينبؤهم ويوقظهم على
حدود ابد منتبهين متيقظين والله اعلم قوله تعالى اذ تفيضون فيه
قال بعضهم تفيضون تاخذون فيه وقيل تخوضون وقيل تقولون
وقيل تكثرون ثم يحتمل فيه في الحق ويحتمل في الدين ويحتمل في القرآن
ويحتمل في رسول الله يقولون انا نشاهد فيما تخوضون فيه او فيما تقولون
في القرآن او في الدين وقال ابو بكر الاصم اذ تفيضون فيه اي تنتشرون
فيه وتاويله ولا تعملون من عمل تنتشرون به الا كنا عليكم شهودا والله اعلم
قوله تعالى وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الارض ولا في السمآء
اي لا يغيب عنه ما في الارض ولا في السمآء فيما لا امر فيه ولا نهي ولا كلفة
فالذي فيه السؤال والامر والنهي والكلفة احرى ان لا يغيب عنه شي
منه قال ذلك على طريق التقرير بالشاهد انهم يراون الاهم فالاهم
والانفى حق العلم سوآء والله اعلم ثم قوله وما يعزب عن ربك من مثقال
ذرة تحذير وتخويف على طريق التمثيل دون التصريح والوعيد على وجهين
احدهما على التمثيل والاخر على التصريح قوله تعالى ولا اصغر من ذلك

ولا اكبر الا في كتاب مبين قيل ما قل وما كثر الا في كتاب مبين
اي في اللوح المحفوظ مبين ويحتمل اي في الكتب المنزلة من السمآء
والله اعلم قوله تعالى الا ان اوليآء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون
قالت المعتزلة دلت الاية على ان اصحاب الكباير ليسوا بمومنين لانهم
لو كانوا مؤمنين لكانوا اوليآء الله واذا كانوا اوليآء الله لا خوف عليهم
ولا حزن فاذا كان لا شك ان على اصحاب الكباير خوفا وحزنا دلت انهم
ليسوا بمؤمنين ولا لهم ولاية الايمان لكن التاويل عندنا والله اعلم
الا ان اوليآء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون اي في وقت دون
وقت وليس في الاية ان ليس على اوليآء الله خوف ولا حزن من اول
الامر الى آخره او في الاحوال كلها ويجوز ان يكون لاصحاب الكباير
لا خوف عليهم ولا حزن في وقت وهو وقت التوبة او حال ما يعفو الله
تعالى عنهم او في الجنة اذا ختموا على الايمان وعذبوا بالنار على قدر
ذنوبهم والمطلق يجوز تقييده بالدليل ويحتمل قوله الا ان اوليآء الله
لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ليس لاوليآء الله لا خوف ولا حزن على ما
يكون لاهل الدنيا من الخوف والحزن بسبب الاموال والاولاد انما خوفهم
وحزنهم لعاقبتهم والمراد من الاوليآء ههنا هم الخواص من المومنين على
ما استعمل هذا الاسم فيهم بحكم العرف وان كان كل مومن وليا ولاية الايمان
والعام يجوز تخصيصه بالعرف واستعمال اهل اللسان وقال بعضهم ان
اوليآء الله اسم لاهل التوحيد جملة لكن البشارة والوعد لاهل التوحيد
في الاعتقاد والوفآء جميعا لا لاهل الاعتقاد خاصة عرفنا ذلك بدلايل
وكان المراد من هذا العام هو الخاص والله اعلم ويشبه ان لا خوف
عليهم ولا هم يحزنون في الجنة لقوله الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن
وهكذا يكون اذا دخلوا الجنة يامنون عن جميع ما يبغضهم ويحزنهم والله اعلم
قوله تعالى لهم البشرى في الحيوة الدنيا هي الرؤيا الصالحة وعلى
ذلك رويت الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سيل عن هذه
الاية ففسر بالرؤيا الصالحة فان ثبت فهو الحق وقال بعضهم لا يحتمل البشرى
الرؤية الصالحة لانه ليس البشرى في الحيوة الاخرة على البشرى في الحيوة الدنيا

فقال لهم البشرى في الحيوة الدنيا وفي الآخرة ولا شك انه لا يكون في الآخرة
الرويا الصالحة ولكن ان ثبت ما ذكر من الخبر فهو المراد وان عطف البشرى
في الآخرة على البشرى في الحيوة الدنيا اذ يجوز ان يكون تلك البشارة خلاف
البشارة في الدنيا من حيث الصورة وان كان فيهما معنى البشارة فان البشارة
تكون في اشيا فثبت ان التاويل صحيح لو ثبت الحديث ويشبه ان يكون البشارة
التي ذكرها ههنا نحو قوله فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون
احسنه وقوله وبشر الذين آمنوا ان لهم قدم صدق عند ربهم وقوله ذلك الذي
يبشره الله عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات الآية وامثال ذلك لهم
البشرى في الحيوة الدنيا وفي الآخرة الجنة وقال بعضهم لهم البشرى في
الحيوة الدنيا اي بشارة الملائكة عند الموت بقولهم ان لا تخافوا ولا تحزنوا
وفي الآخرة الجنة والله اعلم قوله تعالى لا تبديل لكلمات الله يحتمل لا
تبديل لكلمات الله من وعده ووعيده اذ ذلك مما لا تبديل له ولا تحويل
واللفظ وان كان عاما لكن المراد منه الخاص لما قام الدليل على جواز النسخ
ووجوده في الاحكام ويحتمل لا تبديل لكلمات الله اي القرآن ثم هو يحتمل
وجهين اي تبديل نظمه بعد قراره وان انتسخ حكمه والثاني لا تبديل لما
فيه من الوعد والوعيد وما ثبت بالحجج العقلية اذ النسخ جايز في الاحكام
ويحتمل لا تبديل لما مضى من سننه في الاولين والآخرين من الهلاك
والاستيصال بتكذيبهم الرسل والآيات كقوله فلن تجد لسنة الله تبديلا
ولن تجد لسنة الله تحويلا وقوله فقد مضت سنة الاولين ويحتمل قوله
لا تبديل لكلمات الله اي لا تبديل للبشرى التي ذكر لهولاء الذين تقدم ذكرهم
ويحتمل لا تبديل لحجج الله وبراهينه والله اعلم قوله تعالى ذلك هو الفوز
العظيم اي ذلك البشرى هو الفوز العظيم اذ لا خوف بعده وقال بعضهم
اي لا خوف عليهم من النار ولا هم يحزنون ان يخرجوا من الجنة ابدا
والله اعلم قوله تعالى ولا يحزنك قولهم يحتمل ولا يحزنك ما قالوا
في الله ما لا يليق به من الولد والشريك ان العزة لله جميعا ويحتمل اي
ولا يحزنك قولهم الذي قالوا في القرآن انه سحر وانه مفترى ولا يحزنك قولهم
فيك انه ساحر وانه يفترى على الله كذبا ويشبه ان يكون قوله ولا يحزنك

قولهم اي مكرهم الذي مكروا فيه وكيدهم الذي كادوه يؤيد ذلك قوله ان العزة
لله جميعا اي العزة في المكر والكيد لله اي الغلبة وهو كقوله وقد مكر
الذين من قبلهم فلله المكر جميعا اي مكره ينقض مكرهم ويمنعهم وكيده ينسخ
كيدهم فيعلي ذلك قوله ان العزة لله جميعا اي ينقض جميع ما يمكرون بك
ويكيدونك والعزة القوة يقول ان العزة لله ينصرك على اعدايك ويدفع
عنك مكرهم وكيدهم الذي هموا بك قوله تعالى وهو السميع العليم اي السميع
لقولهم الذي قالوا العليم بمصالحهم وقيل السميع المجيب للدعاء العليم العالم
بما يكون منهم قوله تعالى الا ان لله من في السموات ومن في الارض اي
تعلمون ان من في السموات ومن في الارض كلهم عبيده واماوه وكيف قلتم
ان فلانا ولده وان له شريكا ولا يتخذ احدا منكم من عبيده وامايه ولدا ولا
شريكا اي كيف يتخذ ولدا وله ملك ما في السموات وما في الارض
لا حاجة تمسه فكيف ينسبه الولد اليه والشريك وما قالوا فيه مما لا يليق
به او يخبر عن غناه عما يامرهم وينهاهم ويتعبدهم اي ليس يامر وينهى ويتعبد
بانواع العبادات ويمتحنهم بانواع المحن لحاجة له او لمنفعة له في ذلك
ولكن لمنفعة لهم في ذلك وقد ذكرنا هذا فيما تقدم قوله تعالى وما
يتبع الذين يدعون من دون الله شركا ان يتبعون الا الظن اي ما يتبعون
فيما يدعون من دون الله شركا الحجج والبراهين او اليقين بكتاب او قول رسول
انما يتبعون الظن والحذر قوله تعالى وان هم الا يخرصون اي ما هم الا يكذبون
فيما يتبعون من الظن والحذر في دعايهم دون شركا لهم لانهم كانوا اهل شرك
لم يكن لهم كتاب ولا امنوا برسول فهم قد عرفوا انهم مفترون كاذبون في دعايهم
دون الله شركا لهم اذ سبيل معرفة ذلك الكتاب او الرسول ولم يكن لهم واحد
من ذلك قوله تعالى هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا
بين ههنا انه جعل الليل للسكون والراحة فيه فدل ذكر السكون في الليل
على انه جعل النهار للسعي وطلب العيش اذ هو امر لا بد منه على ما اجرى الله
تعالى البقا باسبابه وذلك مما يتوصل اليه بالكسب ولا بد من زمان السكون
والراحة فكان تعيين الله تعالى الليل للسكون تعيينا للنهار للمعاش وفي الآية
اشارة اليه بقوله والنهار مبصرا اي تبصرون فيه ما تتعيشون وقد نص

علي ذلك في آية اخرى بقوله ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه
ولتبتغوا من فضله يعني في النهار ثم قوله هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا
فيه الآية وجوه من الدلالة احدها الحث علي الشكر والنهي عن الكفران
اذ هو موضع الامتنان وتذكير النعم ليستأدي بذلك شكر ما انعم عليه وفيه
دلالة اثبات الصانع فانهما يجريان علي تقدير واحد وذلك يدل علي تدبير
مدبر وانهما لو كانا علي غير تدبير لكانا لا يجريان علي تقدير واحد ولا علي سنن
واحد ولكن يدخل فيهما الزيادة والنقصان والقلة والكثرة وفيه دلالة
ان مدبرهما واحد لانه لو كان مدبرهما عددا لكان اذا غلب احدهما دامت
غلبته عليه ولا يصير الغالب مغلوبا والمغلوب غالبا وفيه دلالة البعث
بعد الموت لان كل واحد منهما اذا جاء يتلف صاحبه تلفا لا يبقى له اثر ثم يكون مثله
بحيث لا يخالف الظاهر الحادث ولا الاول الثاني فدلت ان الذي قدر علي
انشاء ليل قد ذهب اثره واضمحل لقادر علي البعث ومن قدر علي احداث
نهار قد فني وهلك لقادر علي احداث الحي بعد الموت وفيه ان الشيء اذا
كان وجوبه بشيئين لم يجب اذا عدم احدهما لانه قال والنهار مبصرا وانما
يبصر بنور النهار ونور البصر جميعا ثم اذا فات احد النورين نور البصر
او نور النهار لم يبصر شيئا دلت ان الحكم اذا وجب بشرطين لا يجب الا
باجتماعهما ولان الشيء في النهار انما يبصر بنور البصر وكون الشيء مرئيا
في نفسه ثم الليل يستر وجوه الاشياء لا انه لا ترى بانفسها والنهار يكشف
عن وجوه الاشياء ثم اثر الليل في ان يمنع البصر عن العمل من غير اخراج
الشيء من ان يكون مرئيا في نفسه ومع ذلك يمتنع الحكم وهو الرؤية ليعلم
ان الحكم اذا كان وجوبه بشرطين يجوز ان يمنع لمانع دخل في احدهما
والله اعلم وفي الآية بيان قدرة الله حيث انشأ هذا واحدثه واتلف الآخر
فمن قدر علي هذا لا يعجزه شيء وفيه دليل السلطان له حيث يأخذهم الليل
ويستر عليهم الاشياء شاؤوا او ابوا وكذلك النهار يأتيهم ويكشف وجوه
الاشياء ويجليها من غير ان ارادوا ذلك في بعض الاوقات فدل علي جريان
سلطانه علي الخلائق والله اعلم قوله تعالى ان في ذلك لآيات لقوم
يسمعون ولم يقل يبصرون وظاهر ما سبق من الذكر يجب ان يقول

لقوم يبصرون لانه قال والنهار مبصرا لكن يحتمل قوله يسمعون اي
يعقلون وهو كقوله ومنهم من يستمعون اليك افانت تسمع الصم ولو كانوا
لا يعقلون ويحتمل ان ما ذكر من الآيات من اول السورة الي هذا
الموضع آيات لقوم يسمعون اي ينتفعون بسماعهم ويحتمل يسمعون اي
يجيبون كقوله سمع الله لمن حمده اي اجاب والله اعلم قوله تعالى
قالوا اتخذ الله ولدا سبحانه هو الغني قال بعضهم ارادوا بقولهم اتخذ الله
ولدا حقيقة اتخاذ الولد كقوله خبرا عنهم ويجعلون لله البنات وكقوله
وقالت اليهود كذا وقالت النصارى كذا نزه نفسه عما قالوا بقوله
هو الغني له ما في السموات وما في الارض تأويله والله اعلم ان من اتخذ
ولدا في الشاهد انما يتخذ لاحدى وجوه ثلثة اما لحاجة تمسه او لشهوة
تغلبه او لما يستنصر به علي آخر مما يخافه فاذا كان له ملك السموات
والارض وملك ما فيهما كلهم عبيده واماؤه فلا حاجة له تقع الي الولد ولان الولد
يكون من شكل الوالد وكل ذي شكل له ضد ومن له شكل او ضد فلا ربوبية
له ولا الوهية وبهذا انفينا الشريك لان الشريك من جنس الشريك ومثله
وفي نفي الشريك نفي الولد لان معناهما واحد وقال بعضهم لم يريدوا بقوله
اتخذ الله ولدا حقيقة الولد وانما ارادوا الغني وهو فاسد لما ذكرنا ولانه لا احد
في الشاهد يحتمل طبعه اتخاذ الولد من عبيده واماءه فاذا كان جميع الخلائق
عبيده واماءه كيف احتمل منه اتخاذ الولد منهم وقال بعضهم لم يريدوا اتخاذ
الولد ولكن ارادوا التخصيص بهذا الاسم ان له كرامة الولد ومنزلته عنده وهذا
فاسد ايضا وهو منفي عن الله لان من لا يحتمل حقيقة الولد امتنع ان يكون
لشيء عنده منزلة الولد وكرامته وان ينسب نفسه الي غيره بهذا الاسم لان
الحقيقة انما انتفت عنه لعيب يدخل فيه فاذا ثبتت له منزلة تلك الحقيقة
دخل فيه عيب الحقيقة او شبهة فيجب تنزيهه جل وعلا عن ذلك والله الموفق
قوله تعالى ان عندكم من سلطان بهذا قيل ما عندكم من حجة علي ما
تقولون له ان له ولدا لانهم كانوا اهل تقليد لآبائهم واسلافهم وكانوا لا يؤمنون
بالرسل والكتب ولم يكن عندهم حجة والله الموفق قوله تعالى اتقولون
علي الله ما لا تعلمون اي اتقولون علي الله انه اتخذ الولد وتعلمون انه لم يتخذ

قوله تعالى قل ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون هو ما
ذكرنا انهم علموا انه لم يتخذ ولدًا ولكن قالوا ذلك افترآ على الله لا يفلحون
في الاخرة لما طمعوا في الدنيا بعبادتهم من الشفاعة عند الله بقولهم ما نعبدهم
الا ليقربونا الى الله زلفا وقولهم هولاء شفعاونا عند الله اي لا يظفرون
بما طمعوا في الاخرة قوله تعالى متاع في الدنيا اي ذلك متاع في الدنيا
دون الاخرة قوله تعالى ثم الينا مرجعهم خاطب رسول الله بان يخبر
ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون ثم الينا مرجعهم ثم قوله الينا
مرجعهم يحتمل وجهين احدهما انه استند على رسول الله افتراوهم الكذب
على الله بقوله الينا مرجعهم فيذيقهم العذاب الشديد الا ما طمعوا عندنا
من الشفاعة والزلفى والله اعلم قوله تعالى واتل عليهم نبأ نوح يحتمل
وجهين احدهما اي اذكر مساءته نوح قومه وما ارادوا من الكيد والمكر
تسلية للنبي صلى الله عليه والثاني اي اتل عليهم عواقب قوم نوح وما حل بهم
من سوء معاملتهم رسولهم والثالث اي واتل عليهم نبأ نوح اي خبره وحديثه
على ما ذكر اذ قال لقومه يا قوم ان كان كبر عليكم مقامي وتذكيري بايات الله
قال بعضهم اي ان كان كبر عليكم طول مقامي ومكثي فيكم ودعاي اياكم الى
عبادة الله والطاعة له وتذكيري اياكم باياته وقال بعضهم وتذكيري بعذابه
بترككم اجابتي ودعاي ويحتمل قوله ان كان كبر عليكم مقامي بما ادعي الرسالة وتذكيري
بايات الله اي بحجج الله على ما ادعيت من الرسالة وقوله فاجمعوا امركم وشركاكم
ثم لا يكن امركم عليكم غمة قال بعضهم اي اجمعوا انتم وشركاكم ثم كيدون ولا يكون
امركم عليكم غمة اي اجعلوا ما تسرون من المكر والكيد في ظاهر اعين ملتبس
ولا مغطى وقال بعضهم فاجمعوا امركم اي اعدوا امرهم وادعوا شركاكم وكذلك
روي في حرف ابي رضي الله عنه فاجمعوا امركم وادعوا شركاكم وقال بعضهم
ثم لا يكن امركم عليكم غمة اي لا يكبر عليكم امركم وقال الكسائي هو من التغطية واللبس
اي لا تغطوه ولا تلبسوه اجعلوا كلمتكم ظاهرة واحدة وعن ابن عباس رضي الله
عنه اي لا يكن امركم اغتماما عليكم اي فرحوا عن انفسكم والله اعلم وقال ابو عوسجة
ان شيت جعلتها ظلمة فلا يبصرون امرهم يعني غمة وان شيت جعلتها شكا واشتقاق
الغمة من غم يغم غما اي غطى يغطي تقول غممت راسه اي غطيته والله اعلم

قوله تعالى ثم اقضوا الي ولا تنظرون وقال ابو عوسجة اي افعلوا
بي ما اردتم ولا تنظرون وقال بعضهم اي اقضوا اما انتم قاضون وهو
كقوله فاقض ما انت قاض وقال الكسائي هو من الانهآ والابلاغ
كقوله وقضينا الى بني اسرايل وقوله وقضينا اليه ذلك الامر اي
انهينا اليه وبلغنا وقال بعضهم اي ادعوا الي يقال فقي اي فرغ وهو
قول ابي بكر الاصم وقال بعضهم ثم اقضوا الي اي امضوا الي كقوله فراغ
الى الهتهم وقوله فراغ الى اهله ثم قول نوح لقومه فاجمعوا امركم وشركاكم
الى قوله ولا تنظرون وقول هود فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون وقول
رسولنا قل ادعوا شركاكم ثم كيدون فلا تنظرون دلالة اثبات رسالتهم
لانهم قالوا ذلك لقومهم وهم بين اظهرهم ولم يكن معهم انصار ولا اعوان
دل انهم انما قالوا ذلك اعتمادا على الله وانكالا بمعونته ونصره اياهم والله اعلم
قوله تعالى فان توليتم فما سالتكم من اجر التولي اسم لامرين للاعراض
والادبار كقوله واذا تولى سعى في الارض واسم للاقبال والقبول كقوله
ومن يتول الله ورسوله والذين امنوا الاية وههنا يحتمل الامرين جميعا
اي فان اقبلتم وقبلتم ما اعرضه عليكم وادعوكم اليه فما سالتكم من اجر ان اجري
الا على الله اي ما اجري الا على الله وان كان في الاعراض والرد فكانه
يقول كيف اعرضتم عن قبوله ولم اسالكم على ذلك اجرا فيكون لكم عذر في الاعراض
والرد كقوله ام تسالهم اجرا فهم من مغرم مثقلون اي لم اسالكم على ما اعرضه
وادعوكم اليه عن ما يحق يثقل عليكم ذلك الغرم فيمنعكم ثقل الغرم عن الاجابة
ثم في هذه الاية وامثالها دلالة منع اخذ الاجر على تعليم القرآن والعلم لانه
لو جاز اخذ الاجر على ذلك لكان لهم عذر ان لا يتبعوا ذلك ولا يتعلموا شيئا
من ذلك وفي هذا هدم شرايع الله واسقاطها والله اعلم قوله تعالى
وامرت ان اكون من المسلمين اي مسلما نفسي الى الله سالما لا اجعل لاحد
سواه فيها حقا ولا حظا او امرت ان اكون من المخلصين لله والخاضعين له هو
يحتمل ذلك كله والله اعلم قوله تعالى فكذبوه يعني نوحا كذبه قومه فيما ادعى
من الرسالة او ما اتيهم من الايات او ما اوعدهم من العذاب بتكذيبهم اياه
قوله تعالى فنجيناه يعني نوحا ومن معه في الفلك اي من ركب معه الفلك

من المؤمنين قوله تعالى وجعلناهم خلائف لحتمل خلائف خلفاء في
الارض وسكانا تخلف بعضهم بعضا ولحتمل وجعلناهم خلائف اي خلف قوم
اهلكوا واستوصلوا بالتكذيب قوله تعالى واغرقنا الذين كذبوا
باياتنا لحتمل الايات الحجج والبراهين التي اقامها على ما ادعى من الرسالة ويحتمل
قوله كذبوا باياتنا العذاب الذي اوعدهم بتكذيبهم اياه فيما وعد والله اعلم
قوله تعالى فانظر كيف كان عاقبة المنذرين كان انذار الفريقين
المومن والكافر جميعا كقوله انما تنذر من اتبع الذكر فيكون تاويل قوله
فانظر كيف كان عاقبة المنظرين اي انظر كيف كان عاقبة من اجاب ومن لم يجب
عاقبة من اجاب الثواب وعاقبة من لم يجب العذاب والله اعلم ولحتمل المنذرين
الذين لم يقبلوا الانذار ولم يجيبوا اي انظر كيف كان عاقبتهم من الهلاك والاستيصال
بالعناد والتكذيب ويكون تاويل قوله انما تنذر من اتبع الذكر انما يقبل الانذار
من اتبع الذكر او انما ينتفع بالانذار من اتبع الذكر قوله تعالى ثم بعثنا من
بعده اي من بعد نوح رسلا الى قومهم اي بعثنا الى كل قوم رسولا لا انه بعثنا
الرسل جملة الى قومهم ولكن واحدا على اثر واحد على الاكثر فجاؤهم بالبينات
لحتمل البينات الحجج والبراهين التي اقاموها على ما ادعوا من الرسالة والنبوة
ولحتمل البينات بيان ما عليهم ان ياتوا او يتقوا ويحتمل البينات ما اخبروا قومهم
بالعذاب انه نازل بهم في الدنيا والله اعلم قوله تعالى فما كانوا ليومنوا
بما كذبوا به من قبل قال بعضهم اي ما كان كفار مكة ليومنوا وليصدقوا
بالبينات كما لم يصدق بها اوايلهم وقال بعضهم بما كذبوا به من قبل اي قبل
بعث الرسل وفيه دلالة ان اهل الفترة يواخذون بالكفر في حال الفترة
ويحتمل قوله بما كذبوا به من قبل اي من قبل اتيان البينات اي ما كانوا
ليومنوا بعد ما جاؤا بالبينات قوله تعالى كذلك نطبع على قلوب المعتدين
اي هكذا انطبع على قلوب اهل مكة كما طبعنا على قلوب اوايلهم اذ علم انهم لا يقبلون
للايات ولا يومنون بها والاعتدا هو الظلم مع العناد والمجاوزة عن الحد
الذي جعل والله اعلم قوله تعالى ثم بعثنا من بعدهم موسى وهرون الى
فرعون وملايه باياتنا اي بعثنا من بعد ما ذكرنا من الرسل موسى وهارون
الى فرعون وملايه وقد بعثهما الى الملا وغير الملا لكن ذكر الملا وهم الاشراف

وذكرهم يكون ذكرا للاتباع قوله تعالى باياتنا لحتمل الوجوه التي ذكرنا
قوله تعالى فاستكبروا وفيه بيان انهم قد عرفوا ان ما جاءهم الرسل من
الايات انها ايات لكنهم عاندوا وكابروا ولم يخضعوا في قبولها قوله تعالى
وكانوا قوما مجرمين ظاهر قوله تعالى فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا
ان هذا لسحر مبين قال بعضهم اي جاءهم الحجج والايات من عندنا قالوا ان
هذا اي الحجج والايات لسحر مبين سموا الحجج والايات سحرا لما ان السحر عندهم
باطل فقالوا للحجج انها سحر تمويها على الناس وتلبيسا عليهم لئلا يظهر عندهم الحق
فيتبعونه وقال بعضهم الحق هو الاسلام والدين كقوله ان الدين عند الله
الاسلام فعلى التاويل الاول سموا حجج الدين سحرا وعلى الثاني سموا
الدين الذي جاء به ودعاهم اليه سحرا ثم قوله من عندنا اي بامرنا وكذلك
قوله ان الدين عند الله الاسلام اي الاسلام هو الدين الذي امر الله به
لا انه يفهم من العند مكان ينتقل منه الى غيره ولكن معنى العند هو الامر
وعلى هذا قوله ان الذين عند ربك يعني الملايكة لا يستكبرون عن عبادته
اي الذين بامر ربك يعبدونه لا يستكبرون عن عبادته واذا كان لا يفهم
من مجي الحق من عند الله مكان فعلى ذلك لا يجوز ان يفهم من قوله ان الذين
عند ربك المكان او قرب المكان منه ولكن التاويل ما ذكرنا ان المفهوم من
عند الله امره والله اعلم قوله تعالى قال موسى اتقولون للحق لما
جاءكم اسحر هذا الحق ما ذكرنا قوله تعالى ولا يفلح الساحرون اي لا يظفر
الساحر بالحاجة ولا يغلب لان السحر باطل ولا يغلب الباطل الحق بل الحق هو
الغالب والسحر هو المغلوب على ما غلب الحق الذي جا به موسى السحر الذي
جاء به سحرة فرعون ولحتمل لا يفلح الساحرون بسحرهم في حال سحرهم كقوله
لا يفلح الكافرون ولا يفلح الظالمون اي لا يفلحون بظلمهم في حال ظلمهم حتى اذا
تركوا الظلم وتابوا عنه فقد افلحوا فعلى ذلك السحرة اذا تركوا السحر وتابوا
عنه فقد افلحوا والله اعلم قوله تعالى قالوا اجيتنا لتلفتنا قيل لتصرفنا
وتصدنا قال القتبي لفتت فلانا عن كذا اي صرفته والالتفات منه وهو
الانصراف وكذلك قال ابو عوسجة وقوله عما وجدنا عليه اباءنا اي من
عبادة الاصنام والاوثان ولحتمل من عبادة فرعون والطاعة له قوله تعالى

ويكون لكما الكبرياء في الارض قال عامة اهل التاويل الكبرياء الملك والسلطان
والشرف اي الملك الذي كان لفرعون والسلطان يكون لكما باتباع الناس
لكما لان كل متبوع مطاع معظم مشرف ويحتمل لكما الكبرياء اي الالوهية
التي كان يدعي فرعون لنفسه لان عندهم ان كل من اطيع واتبع فقد عبد
ونصب الها قوله تعالي وما نحن لكما بمؤمنين اي بمصدقين فيما تدعوانا
اليه او ما تدعيان من الرسالة قوله تعالي وقال فرعون ائتوني
بكل ساحر عليم هذا ينقض ما ادعي فرعون من الالوهية فانه اظهر
الحاجة الي غيره ولا يجوز ان يكون المحتاج الها قوله تعالي فلما جاء
السحرة قال لهم موسي القوا ما انتم ملقون فلما القوا قال موسي ما جئتم به
السحر ان الله سيبطله اي سيبطل عمل السحر الذي قصدوا به اي يجعله
مغلوبا وقوله ان الله لا يصلح عمل المفسدين اي لا يصلح من افسد وامر
اعمالهم فيجعلهم صالحين بجعل اعمالهم الفاسدة صالحة وقال بعضهم لا يصلح
اي لا يرضي بعمل المفسدين وقال بعضهم اي لا يجعلوا المفسدين باعمالهم الفاسدة
صالحين قوله تعالي ويحق الله الحق بكلماته ولو كره المجرمون ظهر ان يحق
الحق والحق حق وان لم يحق وكذلك ذكر في الباطل ويبطل الباطل والباطل
باطل وان لم يبطل ولكن يحتمل قوله ليحق الحق ويبطل الباطل اي ليجعل
الحق في الابتداء حقا فيكون حقا ويجعل الباطل في الابتداء باطلا
فيكون باطلا اي بتحقيقه الحق يكون حقا وبابطاله الباطل يكون باطلا وهو كما
يقال هداه فاهتدي واضله فاضل اي بهدايته اهتدي وباضلاله ضل
فعلي ذلك الباطل بابطاله بطل والحق بتحقيقه حق والله الموفق وقوله
بكلماته يحتمل وجوها يحتمل اي برسله اذ بالرسل يظهر الحق وبهم يظهر بطلان
الباطل وهم حجج الله في الارض وبالحجج يظهر الحق والباطل ويحتمل ما ذكر اهل التاويل
بكلماته اي بحججه وآياته اي بآياته التي انزل علي موسي ظهر حقيقة ما اتي به
وبها ظهر بطلان ما اتي به السحرة من السحر ويحتمل كلماته ما وعد موسي قومه
من الظفر علي اعدائهم والنصر لهم وغير ذلك ما وعد من النعمة لهم كقوله
يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم انبياء وجعلكم ملوكا وآتاكم ما لم يؤت
احدا من العالمين قوله تعالي فما آمن لموسي الا ذرية من قومه يحتمل

من قومه من قوم موسي لما قيل ان موسي عليه السلام كان من اولاد اسرائيل
فهو من ذريته من هذا الوجه يقال اهل بيت فلان وان لم يكن البيت
له ويحتمل الا ذرية من قومه الاقرب بين من قرابته وقال اهل التاويل
اراد بالذرية القليل منهم اي ما آمن منهم الا القليل ويحتمل ان المراد منه
قوم فرعون اي آمن قليل من قومه ولكن لا ندري ذلك والله اعلم ٥
قوله تعالي علي خوف من فرعون وملائهم يحتمل ما آمن من آمن من
قومه الا علي خوف من فرعون اي آمنوا وان خافوا من فرعون وملائه
ويحتمل ما ترك من قومه الايمان بموسي من ترك الا علي خوف من فرعون
ان يفتنهم اي يقتلهم ويعذبهم ففيه دلالة ان الخوف لا يعذر المرء في ترك
الايمان حقيقة وان كان يعذر في ترك اظهاره لان الايمان هو التصديق
والتصديق يكون بالقلب ولا احد من الخلائق يطلع علي ذلك لذلك لم يعذر
في ترك ايمانه لانه يقدر علي اسراره الا تري الي قوله وقال رجل مؤمن
من آل فرعون يكتم ايمانه كان مؤمنا فيما بينه وبين ربه وان لم يظهر قوله
تعالي وان فرعون لعال في الارض وانه لمن المسرفين وهو كما قال ان
فرعون علا في الارض اي قهر وغلب علي اهل الارض قوله تعالي وقال
موسي يا قوم ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين في الآية دلالة ان
الايمان والاسلام واحد في الحقيقة لانه بدأ بالايمان بقوله ان كنتم آمنتم بالله
وختم بالاسلام بقوله ان كنتم مسلمين دل انهما واحد وقيل ان الايمان
اعتقاد ترك تضييع كل حق والاسلام اعتقاد تسليم كل حق وترك تضييعه وقيل
الايمان هو التصديق بكلية الاشياء فيما فيها من الشهادة لله بالربوبية والاسلام
هو جعل كلية الاشياء سالمة له والله اعلم وقوله فعليه توكلوا ان كنتم
مسلمين يحتمل هذا وجهين يحتمل ان يكون قال ذلك لما خافوا مواعيد
فرعون وعقوباته كقوله للسحرة لما آمنوا لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف
الآية فقال عند ذلك فعليه توكلوا في دفع ذلك عنكم فقالوا علي الله توكلنا
ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين يحتمل قولهم لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين
ما تقدم ذكره فما آمن لموسي الا ذرية من قومه علي خوف من فرعون وملائهم ان
يفتنهم اي يعذبهم ثم يخرج علي هذا وجهين احدهما اي لا تجعل لهم علينا الظفر

والنصمة فيظنوا انهم هدي وعلي حق ونحن علي ضلال وباطل والثاني اي لا تجعلنا
تحت ايدي الظلمة فيعذبونا فيكون ذلك فتنة لنا ومحنة علي فعل فرعون
بالسحرة لما امنوا قوله تعالي ونجنا برحمتك من القوم الكافرين فيه
دلالة ان قوله الظالمين والكافرين ههنا المعني واحد قوله تعالي واوحينا
الي موسي واخيه ان تبوءا لقومكما بمصر بيوتا واجعلوا بيوتكم قبلة الاية يحتمل
وجهين احدهما اي اتخذا لقومكما مساجد يصلون فيها واجعلوا في بيوتكم
التي اتخذتم مساجد قبلة فيكون في قوله تبوءا لقومكما بمصر بيوتا الامر
باتخاذ المساجد وفي قوله واجعلوا بيوتكم قبلة الامر باتخاذ القبلة في المساجد
التي امر بها والثاني قوله ان تبوءا لقومكما بمصر بيوتا اي اتخذا لقومكما بمصر
مساجد علي ما ذكرنا وقوله واجعلوا بيوتكم قبلة اي اجعلوا في بيوتكم لانفسكم
قبلة تتوجهون اليها ويكون فيه دلالة ان نصب الجماعة واتخاذ المساجد والقبلة
متوارثة مسنونة ليست ببديعة لنا في شريعتنا جاء ويؤيد ما ذكرنا
ان فيه الامر باتخاذ المساجد قوله تعالي واقيموا الصلاة دل الامر
باقامة الصلاة علي ان الامر بتبوء البيوت امر باتخاذ المساجد واتخاذ القبلة
فان قيل هذا في الظاهر امر باتخاذ المساجد وفي الاية التي ذكر فيها
اتخاذ المساجد وهي قوله في بيوت اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه
دلالة الاباحة حيث قال اذن الله قيل معناه في بيوت امر الله ان ترفع
ويذكر فيها اسمه الا تري انه قال ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والاصال
ولا شك ان ذكر اسم ربه والتسبيح له فيها والصلاة مامور به علي الوجوب فكذلك
المعطوف عليه واما اهل التاويل فانهم قالوا انهم كانوا يخافون فرعون وملاءه
فامروا ان يجعلوا في بيوتهم مساجد مستقبلة الكعبة يصلون فيها سرا خوفا
من فرعون وهذا يحتمل ان كان قبل هلاك فرعون وقيل ان يستولوا
علي مصر ومكره فلا فيكون حمله علي ما ذكرنا من الامر باتخاذ المساجد ونصب
القبلة واقامة الصلاة فيها بجماعة والله اعلم وقال بعض اهل التاويل معناه
وجهوا بيوتكم ومساجدكم نحو القبلة لكن هذا بعيد لانه لا يكون بيت الا ويكون
جهة من جهاته الي القبلة فلا معني له ثم يحتمل الامر لهما بتبوء البيت بمصر
وجعل البيوت قبلة وجهين آخرين احدهما الامر بالانفصال من فرعون

وقومه حتي اذا ارادوا الخروج من عندهم قدروا علي ذلك ولا يحتاجون الي
المرور عليهم وكان ذلك الانفصال انما كان من جهة القبلة والثاني
ما ذكرنا انه كان لا يتهيا لهم اقامة الصلاة في الجماعات في بيوت فرعون
فامروا بالاعتزال عنهم واتخاذ بيوت اخر ليتهيا لهم امر الصلاة علي وجه
الاشتهار والله اعلم قوله تعالي وبشر المومنين يحتمل البشارة في
الاخرة في الجنة وانواع النعمة ويحتمل ان تكون البشارة بالملك في الدنيا
والظفر علي فرعون وانواع النعم بعد ما اصابوا الشدائد من فرعون
كقوله يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم انبياء الاية قال ابو عوسجة
قوله ان تبوءا لقومكما اي هيئا لهم موضعا من التهيئة وهو كقوله ولقد بوانا
بني اسرائيل مبوا صدق اي هيانا لهم مهيا صدق قوله تعالي وقال
موسي ربنا انك اتيت فرعون وملاءه زينة واموالا في الحيوة الدنيا يحتمل
قوله زينة من انواع ما اتيهم من الانزال والنبات ونحو ذلك ويحتمل الزينة
التي كانوا يتزينون بها من المراكب والملابس وما يتحلون بها من انواع الحلي
وغيرها قوله تعالي ربنا ليضلوا عن سبيلك قالت المعتزلة تاويل قوله
ربنا انك اتيت فرعون وملاءه زينة واموالا في الحيوة الدنيا ربنا ليضلوا عن
سبيلك اي اتاهم لئلا يضلوا الناس عن سبيله ولكن هم اضلوا عن سبيله وقالوا
هذا كما يقال لم اتيتك لم تفعل كذا ولكن فعلت كذا ونحوه من الكلام ولكن عندنا
هو كما ذكر اتيهم الاموال وما ذكر ليضلوا عن سبيله لانه اذا علم منهم انهم يضلون
الناس عن سبيله اتيهم ما اتيهم ليضلوا وهو كما ذكرنا في قوله انما نملي لهم ليزدادوا
اثما وقوله نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون وامثاله فكذا هذا فيكون
حجة عليهم بظاهرها والله الموفق قوله ربنا اطمس علي اموالهم واشدد
علي قلوبهم يحتمل هذا وجهين يحتمل اي اطمس علي اموالهم واجعل في قلوبهم
قساوة وغلظة تنفر الاتباع ومن يقلدهم عن اتباعهم وتقليدهم فيكون ذلك
اهون علينا في استنقاذ الاتباع منهم وادعي لهم الي الايمان ويكون ذلك سببا
لانقادهم عن اتباعهم وتقليدهم والله اعلم والثاني اي اجعل ذلك انه يضطرهم
الي الايمان فانهم لم يؤمنوا بالايات التي ارسلتها عليهم من الطوفان والجراد
وما ذكرنا من البلايا ويكون قوله فلا يؤمنوا حتي يروا العذاب الاليم اي من

طمس الاموال وقساوة القلوب وشدتها ويحتمل ان موسي انما دعا عليهم بهذا
لما ايس من ايمانهم وعلم بالوحي انهم لا يؤمنون وهو كقول نوح رب لا تذر
علي الارض من الكافرين ديارا فعند الياس منهم فعلي ذلك موسي انما دعا لذلك

وانما يسع له هذا الدعاء لهذا فاما قبل ان يعلم بانهم لا يؤمنون وقبل ان يتحقق
له الاياس من ايمانهم فلا يسع له ان يدعو بهذا وهو انما ارسله اليهم ليدعوهم
الي الايمان والله اعلم قال ابو عوسجة الطمس هو الذهاب بها اي اذهب بها
وقال القتبي اي اهلكها وهو من قولك طمس الطريق اذا عفا ودرس وقال
غيره الطمس هو المسخ كقوله فطمسنا اعينهم اي مسخناهم وقال بعضهم الطمس
التغيير عن جوهرها والله اعلم قوله تعالي قال قد اجيبت دعوتكما
قال بعضهم ان موسي يدعو وهارون يؤمن علي دعائه فقال الله تعالي
قد اجيبت دعوتكما فسمي كلا الكلامين دعاء ولهذا قال محمد بن الحسن رحمه الله
في بعض كتبه ان الامام يدعو في قنوته في الوتر والقوم يؤمنون قوله
تعالي فاستقيما اي علي الرسالة وما امركما به قوله تعالي ولا تتبعان سبيل
الذين لا يعلمون وهو كقوله لمحمد عليه السلام ولا تتبع اهواء الذين لا يعلمون
وقوله ولا تتبع اهواء قوم قد ضلوا من قبل ونحوه وان كان العلم محيطا ان
الانبياء عليهم السلام لا يتبعون سبيل ذلك ولا اهواهم لما عصمهم الله تعالي عن
الكباير والكفر ولكن ذكر هذا والله اعلم ليعلم ان العصمة لا تزيل الامر والنهي
بل تزيد حظرا ونهيا والله اعلم قوله تعالي وجاوزنا ببني اسرائيل البحر
دلالة علي خلق افعال العباد لانه اضاف الي نفسه انه جاوز بهم وبنو
اسرائيل هم الذين جاوزوا دل انه خلق فعلهم واما قوله حتي اذا ادركه
الغرق اي حتي اذا اغرق لانه ذكر في بعض القصة ان فرعون لما انتهي الي
ساحل البحر فراي البحر منفرجا طرقا فقال انما انفرج البحر لي فلما دخل
غرق فعند ذلك قال آمنت انه لا اله الا الذي آمنت به بنو اسرائيل وانا
من المسلمين ثم ايمانه لم يقبل في ذلك لوجهين احدهما ما يحتمل ان يكون عند رؤية
الباس وخوف الهلاك فهو ايمان دفع الباس لا ايمان حقيقة وهو علي ما اخبر عن
ايمان الكفرة في الآخرة لما عاينوا العذاب فقال كقولهم ربنا اخرنا الي اجل
قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل وكقوله رب ارجعون لعلي اعمل صالحا

فيما تركت وكقوله ربنا اخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل وامثاله فيما عاينوا
من العذاب اكبر واشد فيما عاين فرعون ثم اخبر انهم لو ردوا لعادوا
لما نهوا عنه لكنهم قالوا ذلك قول دفع العذاب فعلي ذلك ايمان فرعون ايمان

دفع الباس والعذاب عن نفسه لا ايمان حقيقة واختيار والله اعلم والثاني
ان الايمان والاسلام هو تسليم النفس الي الله تعالي فاذا امن في وقت خرجت
نفسه من يده لم يصر مسلما نفسه الي الله اذ نفسه ليست في يده لذلك لم يقبل
الايمان في ذلك الوقت وقت الاشراف علي الهلاك والله اعلم ويحتمل وجها آخر
وهو ان الايمان بالله تعالي انما يكون بالاستدلال بالشاهد علي الغايب ولا
يمكن الاستدلال بالشاهد علي الغايب في ذلك الوقت اذ لا يكون ذلك الا
بالنظر والتفكر وفي ذلك الوقت لا يمكن النظر والتفكر لذلك لم يكن الذي ادعي
ايمانا حقيقة والله اعلم قوله تعالي فاليوم ننجيك ببدنك قيل فيه بوجوه
ننجيك من النجوة اي نلقيك علي النجوة وهي مكان الارتفاع والاشراف
ليراه كل احد انه هلك ليظهر لهم انه لم يكن الها علي ما ادعي واما ببدنك ان
قومه لم تلق علي النجوة ولكن بقيت في اللجة والثاني قيل ننجيك اي نخرجك
من البحر فلا نتركك فيه ليكون لمن خلفك آية والثالث ننجيك ببدنك اي
ننزع بدنك وروحك لانه ذكر في القصة لما غرقوا هو واعوانه في النار كقوله
فما حطيباتهم اغرقوا فادخلوا نارا فاخبر تعالي انه لم يهوِ جسده بروحه الي النار
ولكن اخرج بدنه من البحر وهوي روحه الي النار مع ساير قومه ليري جسده
فيظهر كذبه فلا يشتبه امره عليهم والله اعلم ثم قوله ليكون لمن خلفك آية
يحتمل وجهين يحتمل ليكون هلاكك آية فلا يدعي احد الربوبية والالوهية
كما ادعيت والثاني اي لمن شاهدك لذلك غرقتا ملقا ابه والله اعلم
قوله تعالي وان كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون قال بعض اهل
التاويل يعني اهل مكة لغافلون عن هلاك فرعون وقومه حيث قالوا ما
هذا الا سحر والا افك مفترا ونحوه يقول هم غافلون عما اصاب اولئك اذ مثل
هذا لا يفتري اعني مثل هذه القصص ويحتمل اي كثيرا منهم كانوا غافلين
عما اصابهم والله اعلم والغفلة علي وجهين احدهما غفلة اعراض وعناد بعد
العلم والمعرفة به ان ذلك حق والثاني غفلة بترك النظر والتفكر وكلا الوجهين

مذموم قوله تعالى ولقد بوانا بني اسرائيل مبوا صدق قال عامة اهل
التاويل بوانا اي انزلنا بني اسرائيل منزل صدق يعني منزلا حسنا وقال
ابو عوسجة بوانا اي هيانا لهم مهيا صدق اي حسن كقوله تبوا المومنين
مقاعد للقتال اي تهيا وقال بعضهم اي مكناهم تمكين صدق وهو كقوله
ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم ايمة ونجعلهم الوارثين
ونمكن لهم في الارض فيحتمل ما ذكر من التبواة التمكين الذي ذكر في هذه
الآية وقوله مبوا صدق اي منزل صدق اي حسن وقيل مبوا صدق
اي حسن كريم ويحتمل مبوا صدق وجهين آخرين احدهما انه وعدهم ان
يمكن لهم في الارض فانجز ذلك الوعد فهو مبوا صدق اي تمكين صدق حيث
انجز ذلك الوعد وصدق الوعد قالوا ما ذكر واورثنا القوم الذين كانوا
يستضعفون مشارق الارض ومغاربها الآية والثاني مبوا صدق اي
مبوا اهل صدق لان الشام كان لم يزل منزل اهل صدق وعلى هذا
يخرج قوله رب ادخلني مدخل صدق واخرجني مخرج صدق اي ادخلني
مدخل اهل صدق واخرجني مخرج اهل صدق والله اعلم قوله تعالى
ورزقناهم من الطيبات قال اهل التاويل يعني المن والسلوى ولكن
يمكن اجرا اللفظ على العموم فلا معنى للتقييد والطيبات هي التي طابت
بها الانفس مما حل بالشرع مما لا تبعة على اربابها فيها ما لم يعص والله اعلم
قوله تعالى فما اختلفوا حتى جاءهم العلم اي فما اختلفوا في الدين الا
من بعد ما جاءهم العلم انه حق وقيل فما اختلفوا في الدين الا من بعد
ما جاءهم العلم انه رسول وقيل فما اختلفوا في القرآن والايات التي
انزلها على رسوله الا من بعد ما جاءهم العلم انه منزل من عند الله والله اعلم
قوله تعالى ان ربك يقضي بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون يحتمل
وجهين احدهما في الجزاء والثواب والثاني في تبيين المحق من المبطل
قوله تعالى فان كنت في شك مما انزلنا اليك فسال الذين يقرون
الكتاب من قبلك اختلف فيه قال بعضهم الخطاب لرسول الله والمراد منه
غيره قال بعضهم الخطاب له والمراد به من حضره لا هو وقال بعضهم الخطاب
لرسول الله والمراد به هو فمن قال الخطاب لرسول الله والمراد به غيره فهو لما

ظهر في الناس انهم يخاطبون من هو اعظم منزلة وقدرا ويريدون به
غيره ويجب الحمل عليه وان كان خلاف ظاهر الصيغة وضعا لانه لا
يحتمل ان يكون رسول الله يشك فيما انزل اليه قط او يرتاب فيجب الصرف
الى غيره وهو كقوله اما يبلغن عندك الكبر احدهما او كلاهما فلا تقل لهما
اف الآية ومعلوم انه لم يكن ابواه رسول الله وقت هذا الخطاب حيين
لكن خاطبه والمراد به غيره فكذا هذا ومن قال الخطاب للرسول
والمراد به من حضر رسول الله يقول ان الوفود من الكفرة كانوا يقدمون
رسول الله ويسالونه عن اشيا شتى فامره الله تعالى ان يخاطب
الذي قدم منهم ويقول فان كنت في شك مما انزلنا اليك فسال الذين يقرون
الكتاب من قبلك وقد كان يحضره الوحدان والجماعة وهذا الخطاب
للواحد الذي حضره وعلى هذا التاويل قوله انزلنا اليك يكون متناولا
لذلك الرجل لان كل منزل على رسول الله منزل عليه واليه والى كل احد
قال الله تعالى اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم امرهم باتباع ما انزل اليهم
ذلك ان كل منزل على رسول الله منزل عليهم والله اعلم ويحتمل ان يخاطب
به كل شاك كقوله يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم لم يرد به انسانا
معهودا ولا جنس الانسان ايضا لانه ليس كل انسان مغرورا ولكن المراد
به كل انسان مغرور بربه وكل كافر وذلك جائز في القرآن ان يخاطب به
كلا في نفسه والله اعلم ومن قال خاطب به رسول الله واراد هو ايضا فهو
يحتمل وجهين احدهما انه في الابتدا لم يكن على يقين انه يوحى اليه ام لا اذ
كل رسول ونبي يحتاج في خاصة نفسه الى آية ومعجزة ليعرف انه رسول
مبعوث وان الذي يامره بالرسالة هو الملك دون الشيطان فيحتمل ان
يكون المراد هذا فيامره ليسال عن اهل الكتاب مما نزل عليه حتى اذا اخبروه
بذلك يتيقن ان المخبر له هو الملك او يامره بان يسال اهل الكتاب عن نعت
من هو آخر الزمان ليصفوه فيعلم به رسالة نفسه وهو كقوله وما كنت ترجوا
ان يلقى اليك الكتاب الآية وقوله ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان
فقال فان كنت في شك مما انزلنا اليك فاسال الذين يقرون الكتاب من قبلك
ليخبروك انه نزل اليك لما ذكرنا والله اعلم والثاني ما قاله ابو بكر الاصم ان تاويله

مما كنت في شك مما انزلنا اليك لكن فسئل الذين يقرؤون الكتاب الانبيآء التي
اخبرتهم وانباتهم وادعيت انها اوحيت ذلك وكذبوك في ذلك ليخبروك على
احمرهم ليزيدك تعزيرا وطمانينة وتثبتا والزيادة في التثبيت ليس مما يدل
على الشك والوهن في العلم كقوله في حق ابراهيم اولم تومن قال بلى ولكن
ليطمئن قلبي وكقوله لموسى وهارون ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون
وقال لنوح اني اعظك ان تكون من الجاهلين فعلى ذلك هذا والله اعلم
وقوله فاسال الذين يقرؤون الكتاب من قبلك قال بعضهم يعني من آمن
منهم وقيل فاسال اهل الكتاب منهم يخبر ونك لانه مكتوب عندهم كقوله
يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل قوله تعالى لقد جاءك الحق
من ربك قيل الحق القرآن جاء من ربك وقيل جاء البيان انه من عند الله
والله اعلم قوله تعالى فلا تكونن من الممترين اي من الشاكين قوله تعالى
ولا تكونن من الذين كذبوا بايات الله فتكون من الخاسرين هو ما ذكرنا
انه يريد بالخطاب غيره اذ لا يحتمل ان يكون رسول الله من الذين يكذبون
بايات الله او يكون من الخاسرين قوله تعالى ان الذين حقت
عليهم كلمة ربك لا يومنون قوله حقت عليهم كلمة ربك هي قوله لاملان
جهنم من الجنة والناس اجمعين وهذا في حق من يختم عليه بالكفر والله اعلم
والثاني يحتمل حقت عليهم كلمة ربك اي علم ربك باحوالهم اي من كان في علمه
انه لا يومن فلا يومن وقت اختياره الكفر كقوله من يضلل الله فلا هادي
له وقت اختياره الكفر وكذلك قوله والله لا يهدي القوم الظالمين وقت
اختيارهم الظلم والتاويل الاول يرجع الى الختم به والثاني الى ان من ثبت
في علمه انه لا يومن الى وقت كذا لا يومن الى ذلك الوقت ويحتمل قوله
حقت عليهم كلمة ربك لا يومنون ما ذكر في اية اخرى اولئك ينالهم نصيبهم
من الكتاب ويحتمل ايضا كلمة ربك ما ذكر ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة الاية
قوله تعالى ولو جاءتهم كل اية حتى يروا العذاب الاليم قيل في الدنيا
ايمان دفع العذاب على ما ذكرنا قوله تعالى فلولا كانت قرية امنت فنفعها
ايمانها الا قوم يونس قيل اي لم يكن قرية من القرى آمنت عند معاينة
العذاب ايمانا فنفعها ايمانها الا قوم يونس فانهم آمنوا ايمان حقيقة وعلم الله

صدقهم في ايمانهم فنفعهم ايمانهم والله اعلم وقال بعضهم فهلا كانت قرية آمنت
اذا رأت باسنا فكانت مثل قوم يونس آمنوا حين راوا العذاب ثم هذا
يخرج على وجوه احدها ان سائر القرى كان ايمانهم عند اقبال العذاب
اليهم واشراف الوقوع عليهم وهم معاينون لذلك فآمنوا دفعا للعذاب المعاين
عن انفسهم فلم يكن ايمانا حقيقة فاما قوم يونس فان ايمانهم كان لتخويف العذاب
قبل ان يعاينوا العذاب واشرف عليهم بالوقوع فيكون ايمانا حقيقة
فنفعهم والله اعلم والثاني يحتمل ان يكون نزول العذاب بقوم يونس
على طريق التخيير والتمكين ان قبلوا الايمان وآمنوا دفع العذاب عنهم
وان لم يقبلوا نزل بهم وفي حق غيرهم نزل العذاب لا على هذا الوجه لما ظهر
عنادهم وعلم الله منهم انهم لا يومنون والله اعلم والثالث يحتمل كان ايمان
سائر القرى بعد ما عاينوا انتقامهم في النار فآمنوا فيكون ايمانهم ايمان
اضطرار وقوم يونس آمنوا قبل ان يعاينوا العذاب وانما عاينوا عيش
عذاب الدنيا ويشبه ان سائر القرى آمنت بعد وقوع العذاب والباس
فلم ينفعهم ايمانهم لانهم آمنوا بعد ما خرجت انفسهم من ايديهم فان ايمان فرعون
وقومه انما كان بعد ما غرقوا فلم تقبل ايمانهم فاما قوم يونس فانهم آمنوا
اذا عاينوا العذاب قبل ان يقع بهم وانفسهم في ايديهم بعد فقبل وهو
كما ذكر واذ نتقنا الجبل فوقهم كانه ظلة وظنوا انه واقع بهم الاية آمنوا عند
ما عاينوا قبل ان يقع بهم وسائر الامم الخالية كان منهم الايمان بعد وقوع
العذاب بهم من نحو عاد وثمود وامثاله والله اعلم قوله تعالى لما آمنوا
كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحيوة الدنيا هو العذاب الفاضح والله اعلم
قوله تعالى ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم جميعا قالت
المعتزلة المراد من المشية هي مشية القهر والجبر اي لو شاء ربك مشية
القهر والجبر اي لو شاء منهم الايمان جبرا بأن اجبرهم على الايمان بأن خلق فيهم
الايمان جبرا وقهرا لآمنوا وعلموا بالله ضرورة ولكن قد شاء ان يومنوا مشية
الاختيار اي يومنون عن اختيار فلم يومنوا والدليل على ان المراد منه
مشية الجبر لا مشية الاختيار قوله افانت تكره الناس حتى يكونوا مومنين
اي ليس اليك مشية الاكراه والجبر في الايمان انما كان ذلك الي لو شئت

ذلك لآمنوا جبرًا فيقال لهم ان صرف الآية الى مشيئة الجبر فاسد
لوجوه احدها ان مشيئة الاختيار هي الظاهرة عندكم ومشيئة القهر
والجبر غائبة فاذا وجد منه مشيئة الاختيار فلم يؤمنوا ولم ينفذ مشيئته
فيهم فكيف يصدق هو في الاخبار عن المشيئة التي هي غائبة انها لو كانت
لآمنوا والثاني ان الايمان لا يتحقق مع الجبر والقهر لانه فعل العبد وفعل
العبد ما حصل بقدرة محدثة ولن يتحقق ذلك بدون الاختيار فيكون
التأويل على قولهم ولو شاء ربك ان يؤمنوا فلا يؤمنوا وهذا امتناقض
فاسد وبعد فان كل كافر مؤمن بخلقته اذ خلقه كل احد تشهد على وحدانية
الله تعالى ولو صاروا مؤمنين بمشيئة الجبر لكان ايمانهم في انه لا منفعة لهم
فيه من الثواب وذلك الايمان سوآء وكذلك في حق الشهادة على الله سوآء
الا ان في احدى الحالين الشهادة بطريق الدلالة وفي الحال الثاني بطريق
الافصاح فاما من حيث ان في الحالين الشهادة بطريق الاضطرار دون الاختيار
سوآء فاذا كانوا مؤمنين بالخلقة لم يستقم تعليق ذلك الايمان ادمثله بالمشيئة
انما يستقيم تعليق ما لم يكن حاصلًا منهم فدلّ ان الحمل على مشيئة الجبر فاسد
ولكن تأويله عندنا هو ان عند الله تعالى لطفًا لو اعطاهم لآمنوا كلهم عن اختيار
لكن اذا علم منهم انهم لا يؤمنون لم يعطهم وهو التوفيق والعصمة واذا علم انهم لم يؤمنوا
شاء ان لا يؤمنوا والله الموفق قوله تعالى افانت تكره الناس حتى يكونوا
مؤمنين والاشكال ان في هذه الآية نهيًا للرسول عن الاكراه على الايمان
وهو كقوله لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي وقال في آية اخرى
يقاتلونهم او يسلمون اي حتى يسلموا وذلك اكراه وقال عليه السلام امرت
ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله وهذا اكراه فكيف يجمع بين هذه
الآيات فنقول من وجهين احدهما ما ذكر ان هذه السورة مكية وقوله
تقاتلونهم او يسلمون مدنية فيحتمل ان النبي نهي عن الاكراه على الايمان بقوله
افانت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين اي لا تكرههم ثم امر بالقتال والحرب
والاكراه على الاسلام بعد ذلك فينسخ الحكم الاول والثاني يحتمل ان يجمع بين
الآيات فان المراد من قوله تقاتلونهم او يسلمون ونحوه الاكراه على كلمة
الاسلام اي تقاتلونهم حتى يقولوا كلمة الاسلام وتكلموا بكلمة الايمان كما نص عليه

في الحديث امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله والقول بلا
اله الا الله على غير حقيقة ذلك في القلب ليس بايمان وفي هذه الآية قال
حتى يكونوا مؤمنين وبالاكراه لا يكونون مؤمنين حقيقة لانه عمل القلب
والاكراه مما لا يعمل عليه فكان تأويل قوله افانت تكره الناس حتى يكونوا
مؤمنين اي لا تملك ان تكرههم وكان رسول الله صلى الله عليه لشدة
حرصه ورغبته في ايمانهم كاد ان يكرههم على الايمان اشفاقًا عليهم كقوله
لعلك باخع نفسك الآية ونحو ذلك قوله تعالى وما كان لنفس ان تؤمن
الا باذن الله قيل باذن الله اي بعلم الله اي وما كان لنفس في علم الله انها لا تؤمن
فتؤمن اي لا تؤمن نفس في علم الله انها لا تؤمن انما يؤمن من في علم الله انه يؤمن
واما من كان في علم الله انه لا يؤمن فلا يؤمن وقيل الا باذن الله اي بمشيئته
وارادته ومعناه لا تؤمن نفس الا بمشيئة الله اي اذا آمنت انما تؤمن بمشيئة الله
ما تفعل انما تفعل بمشيئة الله وهو كقوله وما تشاؤن الا ان يشاء الله
وقال بعضهم الا باذن الله اي بامر الله معناه اذا آمنت انما تؤمن بامره
لا تؤمن بغير امره ونهيه وهذا لان ظاهر هذا يقتضي ان يكون الامر
بالايمان من قوآين وجوده لا ينفك عنه كما لا ينفك وجود الايمان عن علم الله
ومشيئته وارادته وكم من مامور بالايمان لم يؤمن فدلّ ان الاول اقرب
واصله ما ذكرنا انه لا يحتمل ان يكون الله تعالى يعلم من خلقه اختيار عداوته
اياه والخلاف له يشاء الولاية له لانه خروج مخرج العجز لان في الشاهد من اختيار
عداوة احد والاخر يختار ولايته انه انما يختار لضعفه وعجزه وحاجته اليه
تعالى الله عن ذلك كله فلا يوصف بما يؤدي اليه والله اعلم قوله تعالى
ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون اي لا يستعملون عقولهم حتى يعقلوا
وقيل جزآء الكفر على الذين لا يعقلون اي لا ينتفعون بعقولهم والله اعلم
قوله تعالى قل انظروا ماذا في السموات والارض تأويله والله اعلم اي
انظروا الى اثار نعمه واحسانه التي في السموات والارض لكي تشكروه ويحتمل
اي انظروا الى آثار ربوبيته والوهيته في السموات والارض فتوحدوه
وتؤمنوا به او يقال انظروا الى آثار سلطانه وقدرته فتخافوا نقمته وعقابه
او انظروا الى اجناس الخلق واتساقه على تقدير واحد ليدلكم على وحدانيته

وَنحو ذلك ليس شيء في السموات والارض يقع عليه البصر الا وفيه دلالة
الربوبية حتي طرفة العين ولحظة البصر قوله تعالي وما تغني الآيات
والنذر عن قوم لا يؤمنون يحتمل وجوهًا يحتمل وما تغني الآيات والنذر
عن قوم همتهم المكابرة والمعاندة انما تغني الآيات والنذر من همته الانقياد
والقبول وهو كقوله ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة الآية ويحتمل قوله وما
تغني الآيات والنذر في الآخرة عن قوم لا يؤمنون في الدنيا انما تنفع وتغني
لقوم يؤمنون قوله تعالي فهل ينتظرون الا مثل ايام الذين خلوا
من قبلهم اي فهل ينتظرون في يومنا من الهلاك الا مثل ايام الذين خلوا
من قبلهم اي مثل ما انتظر الذين خلوا من قبلهم برسلهم من الهلاك فهو
يخرج علي التوبيخ لانتظارهم هلاك الرسل وذهاب امرهم ويحتمل اي فهل
ينتظرون من نزول العذاب بهم الا مثل ما انتظر اولئك من نزول العذاب
بهم الي هذا يذهب بعض اهل التاويل ويحتمل قوله فهل ينتظرون من
تاخير الايمان الي وقت نزول العذاب بهم الا مثل ما اخر اولئك الذين خلوا
من قبلهم الايمان الي وقت نزول العذاب بهم فهذا يخرج علي الاياس من ايمانهم
اي لا يؤمنون الي ذلك الوقت الذي لا ينفعهم ايمانهم فيه والوجه الاول
علي التوبيخ والتعيير للكفرة وهو كقوله خبرًا عنه فانتظروا اني معكم
من المنتظرين اي فانتظروا اني ذلك فاني معكم من المنتظرين ذلك والله اعلم
قوله تعالي ثم ننجي رسلنا والذين آمنوا قوله ثم ننجي رسلنا اي انجينا
الرسل والذين آمنوا الا انه لم يكن بعد رسولنا رسول حتي ينصرف الوعد الي
المستقبل ومعناه كما وعدنا ان ننجي الرسل والذين آمنوا وانجزنا الوعد
فنجيناهم فيما مضي عن ايدي الكفرة وشرهم فكذلك في المستقبل حق علينا
ان ننصر المؤمنين فننجز هذا الوعد ايضًا والله اعلم قوله تعالي قل يا
ايها الناس ان كنتم في شك من ديني اي ان كنتم في شك من ديني الذي ادين
به اي ان كنتم في شك من ديني الذي ادعوكم به فلا اعبد الذين تعبدون من
دون الله اي اذا شككتم في دين الذي ادعوكم اليه كنتم شاكين في دينكم الذي
انتم عليه فتركتم في ديني الذي انا عليه بالشك ثم تدعونني الي دينكم الذي انتم عليه
بالشك يذكر سفههم بتركهم اجابته بالشك ودعائهم اياه الي دينهم بالشك

لان الشك يوجب الوقف في الاشياء ولا يوجب الدعاء اليه انما يوجب الدعاء
اليه بطلان غيره لا الشك هذا والله اعلم محتمل وهو يخرج علي وجهين احدهما
علي الاضمار والآخر علي المنابذة اما الاضمار فما ذكرنا ان كنتم في شك من دين
الذي ادين به وادعوكم اليه فانا لا شك فيه هذا اوجه الاضمار واما المنابذة
ان كنتم في شك مما اعبد وادين به فلا تعبدون ذلك ولا تدينون به فانا لا
اعبد ما تعبدون ولا ادين ما تدينون وهو كقوله قل يا ايها الكافرون الي قوله
لكم دينكم ولي دين قوله تعالي ولكن اعبد الله الذي يتوفيكم التوفي هو
الغاية والنهاية في الاضرار وما تعبدون من الاصنام دونه لا تملكون توفيكم
ولا الاضرار بكم ان لم تعبدوها يذكر سفههم ويلزمهم الحجة ان الذي يتوفيهم
هو المستحق للعبادة دون الاصنام التي تعبدونها والله اعلم قوله تعالي
وامرت ان اكون من المؤمنين يشبه ان يكون قوله من المؤمنين من المرسلين
كقوله انهما من عبادنا المؤمنين فعلي ذلك هذا ويحتمل الايمان نفسه علي ما
نهي ان يكون من المشركين اي الشاكين فعلي ذلك امر ان يكون من المخلصين
له المسلمين انفسهم والله اعلم قوله تعالي وان اقم وجهك للدين حنيفا
اي امرت ان اقيم نفسي لله خالصًا سالمًا لا اشرك فيها غيره ولا اجعل لسواه
فيها نصيبًا ويحتمل اي امرت ان اقيم نفسي علي ما عليها شهادة خلقتها اذ خلقة
كل نفس تشهد علي وحدانية الله والوهيته ويحتمل اي اقم وجه امرك لما تهين
به وتقيم عليه والله اعلم قوله تعالي ولا تكونن من المشركين هو علي ما ذكرنا
من قوله فلا تكونن من الممترين ونحو ذلك قوله تعالي ولا تدع من دون الله
ما لا ينفعك ولا يضرك اي ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ان اطعته واجبته
ولا يضرك ان تركت اجابته وطاعته ثم قوله ولا تدع من دون الله يحتمل
وجهين احدهما اي لا تعبد من دون الله ما لا يملك جر المنفعة اليك ولا دفع المضرة
عنك والثاني يحتمل الدعاء نفسه اي لا تسم ولا تذكر من دون الله الهًا
قوله تعالي فان فعلت فانك اذًا من الظالمين ههنا ذكر الظلم ان فعل
ما ذكر والمراد منه الشرك وذكر في قصة آدم وحواء ولا تقربا هذه الشجرة
فتكونا من الظالمين وقد قرباها ولم يكونا مشركين انما استحقا اسم العصيان
ليعلم ان ليس في موافقة الاسماء الموافقة في الحقائق والمعاني انما يكون

الموافقة في الحقايق في موافقة الاسباب لذلك كان ما ذكرنا والله اعلم
قوله تعالى وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو فيه نهي عن
الرجاء والطمع الي من دونه اذا اخبر انه لا يوجد ذلك من عند غيره
قوله تعالى وان يردك بخير فلا راد لفضله اخبر انه ان اراد خيرا
وفضلا فلا راد لذلك الخير والفضل والايمان من اعظم الخيرات وافضلها
فاذا اراد الانسان كان ولا يملك احد دفع ما اراد ولا رده دلت انه اذا اراد
الايمان لاحد كان مومنا فهو نقض قول المعتزلة حيث قالوا انه اراد الايمان
للخلق كلهم لكنهم لم يومنوا اذ اخبر انه اذا اراد به خيرا فلا راد لذلك وهم يقولون
بل يملك العبد رد ما اراد له ودفعه وبالله العصمة وفيه دليل على انه ليس على الله
فعل ذلك اعني فعل الخير لانه سماه فضلا والفضل هو ما ليس عليه هو المفهوم
في الناس اي ما عليهم من الفعل لا يسمون فضلا انما يسمون الفضل ما ليس
عليهم والله اعلم قوله تعالى يصيب به من يشاء من عباده اي يصيب
به من يشاء من الفضل والخير او من الشر قوله تعالى وهو الغفور
الرحيم اي لا يعجل بالعفو به وفيه دلالة تخصيص بعض الناس على البعض
حيث قال يصيب به من يشاء من عباده قوله تعالى قل يا ايها الناس
قد جاءكم الحق من ربكم قيل الحق محمد وقيل الحق القرآن الذي انزل عليه
وامكن ان يكون الحق هو الدين الذي كان يدعوه رسول الله اليه لانه قال
يا ايها الناس ان كنتم في شك من ديني فيشبه ان يكون الحق هو الدين الذي
كان يدعوهم رسول الله اليه وشكوا فيه اي قد جاءكم ما يزيل عنكم ذلك الشك
ان لم تكابروا ويحتمل الحق محمدا على ما ذكره بعض اهل التاويل وكان رسول الله
صلى الله عليه وسلم من اول نشوه الى آخر عمره آية ويحتمل الحق القرآن على
ما ذكر بعضهم وهو ما ذكر لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه الآية
قوله تعالى فمن اهتدى فانما يهتدي لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها
اي من اهتدى فانما منفعة اهتدايه له في الدنيا والآخرة ومن ضل فانما
يرجع ضرر ضلالة اليه وحنايته عليه اي ما يامر وينهى ليس لمنفعة تحصل
له او لحاجة تمسه انما يامر وينهى لمنفعة الخلق وحاجاتهم قوله تعالى
وما انا عليكم بوكيل اي بمسلط قال بعض اهل التاويل انه منسوخ نسخته

آية القتال لكنه لا يحتمل لانه وان كان مامورا بالقتال فهو ليس بوكيل
ولا مسلط على حفظ اعمالهم انما عليه التبليغ كقوله ان عليك الا البلاغ
وكقوله فان تولوا فانما عليه ما حمل وقوله ما عليك من حسابهم من شيء
وما من حسابك عليهم من شيء قوله تعالى واتبع ما يوحى اليك يحتمل
القرآن وغيره من الوحي غير القرآن اذ هو نوعان متلو وغير متلو
قوله تعالى واصبر حتى يحكم الله اي اصبر على اذاهم لانهم كانوا
يوذونه ويقولون فيه ما لا يليق به ويحتمل اي اصبر على تبليغ الرسالة
والقيام لما امرت به يقول اصبر على اذاهم ولا تعجل عليهم بالعقوبة
حتى يحكم الله عليهم بالعقوبة وقت عقوبته وهو خير الحاكمين اي اصبر
على تكذيبهم اياك حتى يحكم الله بينك وبين مكذبيك والله اعلم

سورة هود

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى الر كتاب احكمت آياته ثم فصلت قال الحسن
احكمت آياته بالامر والنهي ثم فصلت بالوعد والوعيد وقال بعضهم
احكمت آياته بالوعد والوعيد ثم فصلت بالامر والنهي وقال بعضهم
احكمت اياته حتى لا ياتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها ثم فصلت
بينت ما يوتى ويتقى وما لهم وما عليهم وما لله عليهم وقال بعضهم احكمت
آياته بالفرايض وفصلت بالثواب والعقاب وقيل احكمت آياته عن
ان يرد عليها النقض والانتقاض وقيل احكمت آياته عن ان يرد
عليها النقض والانتقاض وقيل احكمت حتى لا يملك احد التبديل والتغيير
ويحتمل احكمت عن ان يقع فيها الاختلاف وقال بعضهم احكمت آياته فلم
تنسخ ثم فصلت بالحلال والحرام وقيل فصلت اي فرقت في الانزال
انزل شيء بعد شيء على قدر النوازل والاسباب لم ينزل جملة لانه
لو انزل جملة لاحتاجوا الى ان يعرفوا الكل سببه وشانه وخصوصه
وعمومه فاذا انزل متفرقا في اوقات مختلفة على النوازل والاسباب
عرفوا ذلك من غير بيان واعلام لها والتفصيل هو التعريف والتبيين وكلا
المعنيين محتمل ههنا والله اعلم قوله تعالى من لدن حكيم خبير

اي من عند حكيم عليم جاءت هذه الآيات في هذه الآية جواز تاخير البيان
فانه قال احكمت آياته ثم فصلت وحرف ثم للترتيب على وجه التراخي
فدلت ان تاخير البيان جايز قوله تعالى الا تعبدوا الا الله قيل
اي لا تعبدوا الا الذي في شهادة خلقتكم انه هو المستحق للعبادة
اذ في شهادة خلقته كل احد ان له خالقا منعما عليه مستحقا للشكر
والتعظيم والخدمة وقيل ان لا تعبدوا اي لا توحدوا الا الذي
في شهادة حيكم وحدانيته قوله تعالى انني لكم منه نذير وبشير
اي من الله ينذر من ينذر ويبشر من يبشر يبشر من اتبع وينذر من
خالف قوله تعالى وان استغفروا ربكم ثم توبوا اليه ان كانت
الآية في الكفار فيكون قوله استغفروا ربكم اي اسلموا ثم توبوا اليه
اي ارجعوا اليه عن كل معصية وكل ما ثم تاتونها وان كانت في المسلمين
فظاهر فيكون قوله استغفروا وتوبوا واحدا قوله تعالى يمتعكم
متاعا حسنا الى اجل مسمى اي يمتعكم في الدنيا متاعا تستحسنون ذلك
المتاع والتمتع في الآخرة واما الكفار فانهم لا يستحسنون في الآخرة ما
متعوا به في الدنيا لان تمتعهم في الدنيا للدنيا والمومن ما يتمتع في الدنيا
انما يتمتع لامر الآخرة والتزود لها والله اعلم قوله تعالى ويوت
كل ذي فضل فضله يحتمل اي ويوت كل ذي فضل في الدنيا جزاء
فضله في الآخرة ويحتمل توفي بمعنى الى معناه ان ما اتى كل ذي فضل
في الدنيا انما اتاه بفضله ويحتمل ويوت فضله في الآخرة كل ذي فضل في
الدنيا لان اهل الفضل في الدنيا هم اهل الفضل في الآخرة ويحتمل ويوت
فضله في الآخرة كل ذي فضل في دينه في الدنيا والله اعلم قوله تعالى
وان تولوا اي فلم تسلموا فاني اخاف عليكم عذاب يوم كبير فظاهر وقال
عذاب يوم عظيم في موضع آخر وهو لما يكبر ويعظم ذلك اليوم قوله
تعالى الى الله مرجعكم اي الى ما اعد لكم مرجعكم من وعد ووعيد قوله
تعالى وهو على كل شيء قدير اي وهو على ما وعد واوعد قدير قوله تعالى
الا انهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه عن عبد الله بن شداد كان احدهم
اذا مر بالنبي تغشى بثوبه وحنا صدره وقال قتادة كانوا يحنون صدورهم

لكيلا يسمعوا كتاب الله وذكره وقال بعضهم نزلت الآية في رجل يقال
له الاخنس بن شريق الثقفي كان يجالس النبي ويظهر له امرا حسنا
وكان حسن المنظر حسن الحديث وكان النبي تعجبه حديثه ويقربه
مجلسه وكان يضمر خلاف ما يظهره فانزل الله تعالى قوله الا انهم يثنون صدورهم
يقولوا يكتمون ما في صدورهم وليستترون وهو قول ابن عباس فاصل يثنه
الصدور وهو ان يطبق احد طرفي الصدر الى الطرف الآخر ليكون ما اضمر
استتر واخفى وكان اصله المثل الى غيره وهو ما قال ابو عوسجة يثنون
صدورهم اي يميلون الى غيره وكذلك قوله ثاني عطفه ويشبه ما ذكر
من ثني الصدور ان يكون كناية عن ضيق الصدر كقوله ومن يرد ان
يضله يجعل صدره ضيقا حرجا ويحتمل ان يكون عبارة عن الكبر وهو
كقوله ثاني عطفه ليضل عن سبيل الله قوله تعالى ليستخفوا
منه قال بعضهم اي من الله وقال بعضهم اي من رسول الله صلى الله
عليه وسلم لكن ان كانت الآية في المنافقين على ما ذكره بعض اهل التاويل
الاستسرار والاستتار من رسول الله لانهم كانوا يظهرون الموافقة
ويضمرون الخلاف والعداوة له وان كانت الآية في المشركين الاستسرار
والاستكبار من الله تعالى لانهم لا يبالون الخلاف لرسول الله واظهار
العداوة له وعندهم ان الله تعالى لا يطلع على ما يسرون ويضمرون في
قلوبهم فاخبر تعالى انه يعلم ما اسروا واعلنوا وفيه دلالة اثبات
الرسالة لانهم كانوا يسرون ذلك عنه ويضمرون فاخبرهم بذلك ليعلم
انه انما علم ذلك بالله تعالى قوله تعالى الا حين يستغشون ثيابهم
اي يستترون بها قال الحسن الا حين يستغشون ثيابهم في ظلمة الليل وفي
اجواف بيوتهم يعلم في تلك الساعة ما يسرون وما يعلنون واصله انهم
يعلمون ان الله هو الذي انشا هذه الصدور والقلوب والثياب هم الذين
نسجوها واكتسبوها ثم لا يملكون الاستتار بما كسبوا فلان لا يملكوا الاستتار
بما تولى الله انشاءه من غير صنع من جهتهم احق والله اعلم وقوله الا حين حرف
لتاكيد الكلام وهو قول ابي عبيد وغيره قوله تعالى انه عليم بذات الصدور
قال اهل التاويل عليم بما في الصدور ويقال نثرت المراة ذا بطنها اي ولدت

ما في بطنها من الولد لكن يشبه ان يكون قوله بذات الصدور كناية عن
صدور لها تمييز وتدبير وهم البشر قوله تعالى وما من دابة
في الارض الا على الله رزقها قال بعضهم عني بالدابة الممتحنين من الخلق
وهم البشر فاما غيرهم من الدواب فقد سخرها لهم وقال قايلون اذ كل
دابة تدب على وجه الارض من الممتحن وغيره ثم قوله الا على الله رزقها
اختلف فيه قال بعضهم اي على الله انشاء رزقها وخلقه لها الذي بها قوامها
وحيوتها وهو قوله وفي السماء رزقكم اي ينشاء ويخلق رزقكم بسبب
من السماء من المطر وغيره فعلى ذلك قوله وعلى الله رزقها اي على الله انشاء رزقها
وخلقه لها ومن الرزق ما جعله بسبب ومنه ما جعله بغير سبب وقيل
على الله رزقها اي على الله ان يبلغ اليها رزقها وما قدر لها وما به معاشها كقوله
وقدر فيها اقواتها اي عليه تبليغ رزقها وما به معاشها ثم قوله على الله قال بعضهم
اي ما جاءها من الله لم ياتها من غيره وحرف على بمعنى حرف من وذلك جايز
في اللغة كقوله اذا اكتالوا على الناس يستوفون وهو قول مجاهد ويحتمل
على الله رزقها اي على الله وفاء ما وعد وقد كان وعد ان يرزقها فعليه وفاء
عهده وانجاز وعده ويحتمل وجها آخر وهو انه لما خلقها ليبقيها الى وقت
معلوم عنده فعليه ما به يعيش الى ذلك الوقت اذا اجرى السنة ان لا
بقاء للبشر بدون الغذاء وان كان في قدرته ذلك والله اعلم قوله تعالى
ويعلم مستقرها ومستودعها اختلف فيه قال بعضهم مستقرها بالليل ومستودعها
بالنهار في معاشهم اذ الليل للسكون والقرار والنهار للانتشار وقال
بعضهم المستقر الرحم والمستودع الصلب وقال بعضهم المستقر الصلب والمستودع
الرحم وقال بعضهم المستقر مثواها في الآخرة والمستودع المتقلب في الدنيا
وهو كقوله والله يعلم متقلبكم ومثواكم اي يعلم متقلبكم في الدنيا وتحرككم في
معاشكم ومثويكم اي قراركم ومقامكم في الآخرة وقال بعضهم مستقرها في الدنيا
ومستودعها في القبر ويشبه ان يكون هذا اخبارا عن العلم بها في كل حال
في حال سكونها وفي حال حركتها لانها لا تخلوا اما ان تكون ساكنة او متحركة
اي يعلم عنها كل حالها ويشبه ان يكون صلة ما تقدم وهو قوله الا انهم
يثنون صدورهم الآية يخبر انه اذا لم يخف عليه كون كل دابة في بطن الارض

وما تغيض الارحام وما استودع الاصلاب كيف عليه اعمالكم التي فيها الثواب
والعقاب لكم وعليكم وفيها الامر والنهي والله اعلم قوله تعالى كل في
كتاب مبين في كتابه ثم يحتمل الكتاب اللوح المحفوظ ويحتمل القرآن والله اعلم
قوله تعالى وهو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام وذكر
في موضع خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام وقال في موضع
آخر قل اينكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين وقال في موضع
آخر فقضاهن سبع سموات في يومين وقال وقدر فيها اقواتها في اربعة
ايام وهذه الايات في الظاهر مختلفة لكن يجوز ان يكون المراد والله اعلم
انه جعل للارض يومين يوما لوجودها ويوما لعدمها وكذلك السماء
جعل يوما لوجودها ويوما لعدمها كقوله يوم تبدل الارض غير الارض
وقوله يوم نطوي السماء كطي السجل للكتاب وقوله يوم تشقق السماء
بالغمام وكذلك ما بينهما جعل يوما لوجوده ويوما لعدمه فهذا المحتمل وقد
ذكرنا وجوها في ذلك مما احتمل وسعنا في سورة الاعراف ويجوز
ان يكون اليوم السابع هو اليوم الذي انشاء فيه الممتحن وهو المقصود
من خلق ما ذكرنا من الاشياء اعني البشر ثم في هذه الآية دلالة
ان السماء والارض داخلتان تحت الاوقات بقوله في ستة ايام اذ الايام
عند الناس انما هو مضي الاوقات فاذا دخلتا تحت الاوقات ليستا بازليتين
على ما تقوله بعض الملحدة انهما ازليتان كانتا كذلك والله الموفق ه
قوله تعالى وكان عرشه على الماء ان كان العرش ههنا اسم الملك والسلطان
على ما قاله بعض اهل التاويل فتاويله والله اعلم كان اظهر ملكه على الماء
على معنى عن لانه بالماء ظهور كل شيء وبدؤه كقوله وجعلنا من الماء كل شيء حي
وان كان العرش ههنا هو اسم السرير على ما قاله بعض الناس فهو خلق
من خلايقه على الماء ثم اضافته الى نفسه كاضافة ساير الاشياء اليه
لكن يضاف الاشياء اليه مرة بالاجمال والكلية ومرة بالاشارة والافراد
غير ان ما اضيف بالاشارة والافراد فهو على تعظيم ذلك الشيء واظهار
قدره وشرفه كقوله ان طهرا بيتي وناقة الله وان المساجد لله وكبريايه وذكر
سلطانه كقوله له ملك السموات والارض وقوله خالق كل شيء فكان اضافة العرش

اليه الذي هو من افراد خلقه لبيان شرف ذلك وحرمته خلق العرش
وعظمه ليكرم له اوليائه وليمتحن به ملائكته للحمل والخدمة ودعلي ما
يكون لملك الارض سرير وليستخدمون خدمهم في ذلك والله اعلم
قوله تعالي ليبلوكم ايكم احسن عملا اي خلق السموات والارض
وما بينهما للممتحن فيهما لم يخلق هذه الاشياء لانفسها انما خلق للممتحن فيهما
كقوله وسخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعا منه لان خلقها لانفسها
عبث حيث قصير مخلوقه للفناء خاصة وكل مخلوق للفناء خاصة فهو عبث
لذلك كان ما ذكر والله اعلم قوله تعالي ولين قلت انكم مبعوثون
من بعد الموت ليقولن الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين خاطب
نبيه واخبره ان كان يقول الكفرة انهم مبعوثون من بعد الموت فيقولون
ان هذا الا سحر مبين وفي ظاهر الآية اشكال فانه اخبر انهم يقولون ما
يقوله سحر والسحر انما يكون في تقليب الاشياء واظهار ما فيه اعجوبة لا في مجرد
الاخبار عن البعث بعد الموت فيقول قال بعضهم لم يرد الله تعالي انك متي
قلت انهم مبعوثون من بعد الموت يقولون هذا سحر ولكن اراد انه
متي اخبرهم انهم مبعوثون من بعد الموت واقام الحجج والبراهين علي
البعث فيقولوا الحجج البعث وبراهينه ما هذا الا سحر لما ان الحجج علي
خلاف العادة نظير السحر من حيث الصورة ويحتمل انه اراد به القول
نفسه انك قلت لهم انكم مبعوثون من بعد الموت فيقولون ان هذا
الا سحر مبين لكن الله تعالي يريد بهذه الاخبار عن سفههم حيث اعتادوا
لنسبة كل شي الي السحر حتي الاشياء التي لا تحتمل السحر وهو الاخبار
يسمونه سحرا والله اعلم ويحتمل وجها اخر انهم جعلوا ذكر السحر عبارة
عن الباطل والتمويه فيكون هذا منه تكذيبا للرسول في الاخبار عن
البعث لا انهم ارادوا به حقيقة السحر والله اعلم قوله تعالي ولين
اخرنا عنهم العذاب الي امة معدودة قيل الي وقت معلومة وهو البعث
ذكر الامة واراد مدة مديدة لان الامة اسم لطايفة وجملة من القوم فعبر
ههنا عن جملة من الاوقات والله اعلم قوله تعالي ليقولن ما يحبسه
اي كان الكفار يقولون لم يحبس عنا العذاب الذي يعدنا لم يزل عادتهم

اي حجج

استعجال العذاب استهزاء بالرسل الا يوم ياتيهم ليس مصروفا عنهم اي
اذا جاء ذلك العذاب يوم جاء لا يملك احد صرفه عنهم كقوله والظالمون
ما لهم من ولي ولا نصير ونحو ذلك ما لهم من الله من واق وقيل اي لا
يصرف عنهم بشفاعة من طمعوا شفاعته كما اخبر عنهم بقوله واتخذوا من
دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا كلا اي لا تكون لهم ردا لما طمعوا ورجوا
بعبادتهم وقوله واتخذوا من دون الله آلهة لعلهم ينصرون اذ هم انما يعبدون
الاصنام رجاء ان يشفعوا بقولهم هولاء شفعاؤنا عند الله والله اعلم
قوله تعالي ولين اذقنا الانسان منا رحمة قيل سعة في المال
ونعمة قوله تعالي ثم نزعناها منه انه ليؤس كفور اي ايسه
ذهاب ذلك المال عنه ونزعه منه عن العود اليه واقنطه كفور لما راي
نزع ذلك المال والسعة منه جورا وظلما فهو كفور وعن ابن عباس رضي الله
عنهما انه قال ولين اذقنا الانسان يعني الكافر منا رحمة يقول نعمة
بالعافية وسعة في المال وما سره به ثم نزعناها منه يعني الرحمة انه ليؤس
كفور يعني قنوط آيس وهو كقوله واذا اذقنا الانسان رحمة فرحوا
بها وان تصبهم سيئة بما قدمت ايديهم اذا هم يقنطون والاياس قد يكون
كفرا كقوله انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرين ويحتمل قوله
انه ليؤس كفور اي ليؤس في حال ذهاب النعمة كفور في حال النعمة والسعة
والله اعلم قوله تعالي ولين اذقناه نعماء بعد ضراء مسته ليقولن
ذهب السيئات عني انه لفرح فخور الفرح هو الراضي كقوله وفرحوا
بالحيوة الدنيا وقيل الفرح البطر يبطر في حال الرخا والسعة كقوله ان الله
لا يحب الفرحين والفرح قد يبلغ كفرا يكون فرح كفر وقد يكون الفرح سرورا
ولا يكون كفرا والفخور الذي يفخر علي الفقير بالمال الذي اعطي او يفتخر
علي الانبياء والرسل بالتكذيب وكذلك كانت عادة رؤسايهم انهم كانوا ذوي
مال وسعة فلا يرون الرسالة تكون فيمن دونهم في المال والسعة كقولهم
لولا نزل هذا القرآن علي رجل من القريتين عظيم وكقولهم نحن اكثر اموالا
واولادا ونحوه واصله وهو انهم كانوا لا ينظرون في النعم الي من انعم عليهم
انما ينظرون الي اعين النعم وانفسها لذلك حملهم نزع ما اعطوا منهم وانعم عليهم

على الإياس والقنوط وأعطاء ذلك إياهم على الكفران والفرح والفخر ولو نظروا
في تلك النعم إلى المنعم لم يقع لهم إياس عند النزع ولا الكفران والفرح عند النيل
بل يصبرون عند النزع من أيديهم ويشكرون للمنعم عليهم في حق النيل والله أعلم
ثم استثنى فقال إلا الذين صبروا وعملوا الصالحات يعني الطاعات ويشبه
أن يكون إلا الذين صبروا أي آمنوا على ما ذكر في غير واحد من الآيات
إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات كقوله والعصر إن الإنسان لفي خسر
إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات الآية ويحتمل أن يكون قوله إلا الذين
صبروا عن المعاصي فلم يرتكبوها وعملوا الصالحات أي الطاعات والإيمان
نفسه هو اعتقاد الانتهاء عن المعاصي جميعا والانتفاء عن جميع ما يدخل نقصا
فيها وإتيان الطاعات كلها وهكذا يعتقد كل مؤمن أن ينتهي ويتقي كل معصية
ويأتي بكل طاعة ويعمل بها والله الموفق قوله تعالى أولئك لهم مغفرة
وأجر كبير يشبه أن يكون قوله لهم مغفرة لما ارتكبوا من الصغائر من الذنوب
مع الاجتناب من الكبائر منها وأجر كبير على ما أتوا وعملوا من الكبائر من
الطاعات ويحتمل لهم مغفرة أي الستر في الدنيا ستر عليهم تلك الذنوب
في الدنيا فلم يطلع عليها الخلق وأجر كبير بما أظهر منهم ما كان من الطاعات والخيرات
حتى يظن الناس إليهم بعين عظيم بما ظهر منهم من الخيرات وخفي عليهم ما ارتكبوا
من المعاصي هذا التأويل يكون في الدنيا والأول في الآخرة والله أعلم
قوله تعالى فلعلك تارك بعض ما يوحى إليك حرف لعل يحتمل على النهي
أي لا يترك بعض ما يوحى إليك وإن كان معلوما أنه لا يترك كقوله ولا تكونن
من المشركين وقوله فلا تكونن من الممترين وأمثال ذلك نهاه وإن كان لا يحتمل
أن يفعل ذلك رسول الله وهو كما يقول الرجل لآخر لعلك أن تريد تفعل كذا
هذا منه نهي له عن ذلك الفعل والثاني يقال ذلك عند القرب من الفعل والدنو
منه كقوله لقد كدت تركن إليهم شيئا قليلا يقال حرف كان عند الميل إليه والقرب
منه طمعا منه في إيمانهم وذلك فيما يحل له الترك في الجملة وذلك ما قيل من خوف سب
آلهتهم وذكر العيب فيهم ويحل له ترك سب آلهتهم وشتمها وكذلك يخرج قوله
لعلك باخع نفسك على هذين الوجهين على المنع والنهي على أن يحمل على نفسه
إشفاقا عليهم أن لا يؤمنوا ما يوجب تلفه والثاني على التخفيف كقوله ولا تحزن

عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون وقوله ولا تخافي ولا تحزني هو على التخفيف ليس على
النهي والله أعلم قوله تعالى بعض ما يوحى إليك يحتمل ما قاله أهل التأويل
من سب آلهتهم وعيبها قوله تعالى وضائق به صدرك أي بما يقولون
مما أخبر عنهم بقوله أن يقولوا لولا أنزل عليه كنز أو جاء معه ملك على طريق الاستهزاء
به وكل من استهزئ به يحق أن يضيق صدره ويحتمل أن يضيق صدره لما لا يقدروا
على إتيان ما طلبوا منه من الكنز وإنزال الملك وقد وعدوا أن يؤمنوا لو فعل
والله أعلم وفي قوله لعلك باخع نفسك وقوله فلعلك تارك بعض ما يوحى إليك
وضائق به صدرك وجه آخر وهو نهي يخرج مخرج البشارة له فإنه كان
يخاف من ضيق صدره واشتغال قلبه عند سوء معاملتهم إياه فيقع له فيه
تأخير في إبلاغ ما أمر في تبليغه فآمنه الله تعالى عن ذلك وعصمه ووجه
آخر في النهي عن ذلك وهو ما يقع له في مثله الرجاء أن قد يؤذن له في حال
من الأحوال بتأخير التبليغ فأياسه الله تعالى عن ذلك وكلفه بتبليغ ما أمر به
في جميع الأحوال والله أعلم قوله تعالى لولا أنزل عليه كنز أو جاء معه
ملك لأن للكنز والملك محلا في قلوب أولئك فقالوا لولا أنزل كنز فيعظموه
فيصدق على ما ادعى وكذلك الملك له مال عظيم عندهم إذا كان معه ملك عظموه
وصدقوه قوله تعالى إنما أنت نذير قال ذلك على إثر قولهم لولا أنزل عليه
كنز أو جاء معه ملك أي إنما أنت نذير ليس عليك إتيان ما سألوا إنما ذلك بحكم
على الله وأما أنت فعليك إبلاغ ما أنزل من الإنذار وما عندك من الحجة والله أعلم
قوله تعالى والله على كل شيء وكيل أي حفيظ لكل ما يقولون فيك ويتفوهون
به إذ هو الحفيظ والوكيل لا أنت كقوله لست عليهم بمصيطر وقوله وما أنت عليهم
بوكيل ونحو ذلك والله أعلم قوله تعالى أم يقولون افتراه أي قالوا افترى
محمد هذا القرآن من عند نفسه قل يا محمد لهم إن كان افتراه محمد كما تقولون فأتوا
أنتم بعشر سور مثله مفتريات لأنكم أقدر على الافتراء منه لأنكم قد عودتم أنفسكم
على الكذب والافتراء ولم تأخذوا عليه بكذب قط ولا ظهر منه افتراء فمن عود نفسه
على الافتراء والكذب فهو عليه أقدر ممن لم يعرف به قط فأتوا بسورة مثله وادعوا
شهداءكم أيضا من الجن والإنس من استطعتم من دون الله يعينوكم على إتيان
مثله إن كنتم صادقين أنه افتراه من عنده ثم ذكر ههنا فأتوا بعشر سور مثله

مفتريات وقال في موضع آخر فأتوا بسورة مثله قال بعضهم دعوا اولاً ان يأتوا
بعشر سور فلما عجزوا عن ذلك عند ذلك قيل لهم فأتوا بسورة مثله ويحتمل
ان محمداً افتراه جاء بسورة فيها انباء ما اسررتم وما اخفيتم مما لا سبيل الى معرفة
ذلك والاطلاع عليه الا من جهة الوحي واطلاع الله اياه فأتوا انتم بسورة مفتراة
لنبأ ما اضمرتم واسررتموه وتطلعون على سرائره ما اطلع وادعوا من استطعتم
من دون الله من الاله ان كنتم صادقين انه افتراه والله اعلم ويحتمل ان تقول
ان لسانكم مثل لسان محمد فان قدر هو على افتراء مثله من عنده فتقدرون انتم
على افتراء مثله فأتوا به وادعوا ايضاً من لسانه مثل لسانكم حتى يعينوكم
على ذلك ان كنتم صادقين انه افتراه والله اعلم فان قيل كيف ذكر فأتوا
بعشر سور مثله مفتريات قيل ان كان هذا انما احتمل الافتراء على ما
تزعمون فأتوا بمثله انتم لانكم اقدر على الافتراء من محمد هذا كما سمى الاصنام آلهة
بناء على زعمهم قوله تعالى فان لم يستجيبوا لكم اي فان لم يقدروا انتم ولم يجيبوكم
اولئك على الاعانة على اتيان مثله فاعلموا انه انما انزل بعلم الله وبامره ومن
عنده نزل ليس بمفترى وان لا اله الا الله اي لا الوهية لمن تعبدون دونه من
الاصنام والاوثان والثاني فان لم يستجيبوا لكم باصحاب محمد ولم يقدروا على اتيان
فاعلموا انتم انه انما انزل بعلم الله ومن عنده نزل على التنبيه والتذكير لهم وان كانوا
علموا انه من عنده كقوله فاعلم انه لا اله الا الله على التنبيه والتذكير ليس على انه
لا يعلم فعلى ذلك الاول قوله تعالى فهل انتم مسلمون اي خاضعون له
مخلصون وعلى التاويل الاول على حقيقة الاسلام والايمان في قوله انزل بعلم الله
نقض قول الجهمية بنفيهم العلم عن الله وفي الآية اثبات العلم له قوله تعالى
من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها الآية اختلف فيه قال بعضهم الآية في
اهل الايمان الذين عملوا الصالحات مراءاة للخلق يقول يوف اليهم اعمالهم فيها من
الذكر والشرف وما طلبوا باعمالهم في الدنيا من المباهاة وغيرها اتاه الله تعالى
في الدنيا جزاء تلك الاعمال التي عملوها وبطل ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا
يعملون لانهم عملوا لغير الله فلا يجزون باعمالهم ذلك في الآخرة الى هذا يذهب
ابن عباس وروي في بعض الاخبار ان النبي صلى الله عليه سئل ما بال العبد
المعروف بالخير يشدد عليه عند الموت والرجل المعروف بالشر يهون

عليه الموت فقال عليه السلام المؤمن يكون له ذنوب فيجازى بها عند موته
فيقضي الى الله في الآخرة ولا ذنب له والكافر يكون له الحسنات فيجازى بها
عند الموت يخفف بها عنه كرب الموت ثم يمضي الى الآخرة وليست له حسنة
او كلام نحوه وقال بعضهم الآية في اهل الكفر يعملون اعمالاً هي في الظاهر
صالحة نحو التصدق على الفقراء وعمارات الطرق واتخاذ القناطر والرباطات
يقول نوف اليهم جزاء اعمالهم التي عملوها في الدنيا لا ينقص منها شيئاً وهو ما
وسع عليهم في الدنيا ويحتمل ان يكون قوله نوف اليهم اعمالهم اي نرد اليهم اعمالهم
التي عملوها فلا نقبلها ويكون ايفاء اعمالهم هو رد تلك الاعمال عليهم وتسليمها
اليهم والله اعلم قوله تعالى وهم فيها لا يبخسون اي لا ينقصون ما قدر
لهم من الرزق الى انقضاء آجالهم بشركهم بالله تعالى قوله تعالى اولئك
الذين ليس لهم في الآخرة الا النار على هذا التاويل اذ ليس لاهل الكفر في
الآخرة الا النار وعلى التاويل الاول الذي قيل انها في اهل الايمان اي لا
يستوجبون بتلك الاعمال التي عملوها مراءاة الا النار لانه اذا راءى فيها
لم يخلصها لله وضيع امره وكل من ضيع امر الله وترك فريضته يستوجب التعذيب
عليه ولله تعالى ان يعفو عنه ان شاء وليس في الآية انه محالة يعذبهم بعملهم
المراءاة والله اعلم قوله تعالى افمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد
منه قوله افمن حرف تقتضي الجواب لكن جوابه ههنا لم يخرج في الظاهر لان
جوابه ان يقول افمن كان على بينة من ربه كمن ليس على بينة من ربه كما قال
افمن يخلق كمن لا يخلق وكقوله افمن يعلم انما انزل اليك من ربك الحق كمن هو
اعمى لا يعلم فعلى ذلك قوله افمن كان على بينة من ربه لكن الجواب عندنا على
وجوه مرة بالتصريح وهو مثل ما ذكرنا ومرة يكون بالاشارة ومرة بالكناية
على غير تصريح ثم منهم من يجعل جوابه ما تقدم وهو كقوله من كان يريد الحيوة
الدنيا وزينتها اي كانه يقول افمن كان على بينة من ربه كمن يريد الحيوة الدنيا
وزينتها اي لا يكون كذلك ومنهم من يجعل جوابه فيما تأخر وهو في قوله ومن يكفر
به من الاحزاب كانه يقول افمن كان على بينة من ربه كمن يكفر به من الاحزاب
اي لا يكون كذلك وقالوا يجوز تقديم الجواب وتاخيره هذا كقوله امن هو قانت
آناء الليل ساجداً وقائماً يحذر الآخرة ويرجوا رحمة ربه لم يخرج لهذا ايضاً

جواب التصريح واختلفوا في جوابه فقيل جوابه فيما تأخر في قوله قل هل يستوي
الذين يعلمون والذين لا يعلمون أمن هو قانت وصف الذين يعلمون فكأنه يقول
أفمن يعلم كمن لا يعلم ومنهم من جعل جوابه في قوله وإذا مس الإنسان ضر
دعا ربه منيبا إليه ثم إذا خوله نعمة منه نسي ما كان يدعو إليه من قبل وجعل
لله أندادا ليضل عن سبيله قل تمتع بكفرك قليلا إنك من أصحاب النار يقول
من جعل لله أندادا وضل عن سبيله وصار من أصحاب النار كمن هو قانت
آناء الليل ساجدا وقائما أي ليسا بسواء وقال مقاتل ليس الذي علي بيان
من ربه كالذي موعده النار والله أعلم وجائز أن يكون علي طرح الألف فمن علي
بينة من ربه ويتلوه شاهد منه علي الإخبار لا علي الاستفهام فلا يقتضي جواب
الاستفهام ولكن يقتضي خبر المبتدإ وهو قوله أولئك يؤمنون به فهو تمام
الكلام كأنه يقول فمن علي بيان من ربه أولئك يؤمنون به وقال بعضهم علي بينة
من ربه أي علي دين من ربه كأنه يقول أفمن كان علي دين من الله ويتلوه شاهد
منه أي يتلو لما هو عليه من الدين شاهد منه كمن كان علي دين الشيطان ولا
شاهد له عليه وقال بعضهم أفمن كان علي بينة من ربه أي علي برهان من ربه
ويتلوه شاهد منه علي ذلك كمن لا برهان له من ربه ولا حجة ولا شاهد له علي ذلك
ثم قوله ويتلوه شاهد منه قال بعضهم أي جبريل أو ملك غيره يتلو عليه القرآن
وقال بعضهم يتلوه شاهد يعني لسانه وقيل يتلوه شاهد منه القرآن ثم قوله
أفمن كان علي بينة من ربه يحتمل أصحاب عيسي الذين آمنوا به ومن قبله كتاب
موسي أصحاب التوراة الذين آمنوا به أولئك يؤمنون به أي هؤلاء الذين
آمنوا به هؤلاء هم الذين كانوا يؤمنون بمحمد وبما جاء به قوله تعالي ومن
قبله كتاب موسي إماما ورحمة قيل فيه بوجوه قيل أي ومن قبل القرآن
كتاب موسي جاء به جبريل إلي موسي كما جاء بهذا القرآن إماما يقتدي به
ورحمة لهم من العذاب ويحتمل قوله ومن قبله يعني قبل القرآن كتاب موسي
التوراة إماما ورحمة فيها أنباء هذا القرآن وأنباء محمد أنه رسوله كقوله يجدونه
مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل وقوله يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وأمثاله
وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال كان كتاب موسي وهو التوراة إماما
يقتدي به وكان رحمة أولئك يؤمنون به قال أصحاب الذين آمنوا به من

أهل الكتاب وغيرهم ويحتمل أولئك يؤمنون به أي مؤمنو أهل التورية
يؤمنون بالقرآن ويقتدون به كما آمنوا بالتورية واقتدوا بها
قوله تعالي ومن يكفر به أي بمحمد ويحتمل أي بالدين الذي هو
عليه ويدعوهم إليه ويحتمل بالقرآن قوله تعالي من الأحزاب
الأحزاب الفرق والأصناف قوله تعالي فالنار موعده أي النار
موعده إن مات علي ذلك فأما إذا أسلم ومات علي الإسلام فلا يكون النار
موعده قوله تعالي فلا تك في مرية منه يحتمل الوجوه الثلثة
التي ذكرنا من الدين والقرآن والنبي ثم النهي يحتمل هو نفسه ويحتمل
أن يكون الخطاب له والمراد غيره كما ذكرنا في قوله فلا تكونن من المشركين
وقوله فلا تكونن من الممترين ونحو ذلك وقد ذكرنا أن العصمة لا تزيل
الأمر والنهي لأن بالعصمة يظهر موافقة الأمر ومخالفة النهي والله أعلم
قوله تعالي إنه الحق من ربك يحتمل القرآن ويحتمل الدين الذي
هو عليه ويحتمل هو نفسه الحق من ربه قوله تعالي ولكن أكثر
الناس لا يعلمون ظاهر قوله تعالي ومن أظلم ممن افتري علي الله كذبا
هو ما ذكرنا أن أحدا أظلم علي نفسه ممن أخذ نفسه من معبوده وشغلها
في عبادة من لا يملك له نفعا إن عبده ولا ضرا إن ترك عبادته قال أهل
التأويل لا أحد أظلم ممن افتري علي الله كذبا ومعناه لا أحد أفحش ظلما ممن افتري
علي الله كذبا بعد معرفته أن جميع ما له من الله ويحتمل أي لا أحد أظلم علي نفسه
ممن ألقي نفسه الظاهرة في عذاب الله ونقمته أبدا بافترائه علي الله وبالله
العصمة والقوة قوله تعالي أولئك يعرضون علي ربهم أي أولئك الذين
يعرض أعمالهم علي أنفسهم عند ربهم فإن وافقت أعمالهم ما في شهادة خلقتهم من
التوحيد لله والعبادة له شكرا لما أنعم عليهم أدخلوا الجنة وإن خالفت أعمالهم
شهادة خلقتهم أدخلوا النار يعرض أعمالهم علي أنفسهم عند ربهم لأن الله تعالي
عالم بما كان منهم من الأعمال والأقوال ويحتمل أن يعرضوا علي أنفسهم عند
ربهم علي ما وعد ربهم في الدنيا وعلي ما أمر ونهي فإن كان عملهم خرج موافقا
لذلك يتركون الجنة وإلا فيتركون النار ثم ننجي الذين اتقوا عن الشرك والله أعلم
ويحتمل ما هو ظاهر الآخرة أي يعرضون علي ربهم من غير غيبة كان منه عن حالهم

وعن يحتمل يعرضون علي ربهم بأنفسهم لانهم انما يؤمرون وينهون ويمتحنون لانفسهم
ولمنفعة انفسهم فيكون عرضهم لهم وقوله علي ربهم وهو كقوله ولو تري اذ
وقفوا علي ربهم اي عند ربهم والله اعلم قوله تعالي ويقول الاشهاد
هولاء الذين كذبوا علي ربهم اختلف فيه قال بعضهم الاشهاد هم الرسل
والانبياء عليهم السلام وقال بعضهم الاشهاد الملائكة وقال بعضهم الاشهاد
المومنون ومن قال الانبياء والمومنون فهو كقوله لتكونوا شهداء علي الناس
ويكون الرسول عليكم شهيدا وكقوله وجينا بك علي هولاء ومن قال
هم الملائكة وهو كقوله ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد وقوله
ان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون ونحوه ومعناه والله اعلم
انه يعرض اعمالهم واقوالهم علي انفسهم فان اقروا بها بعثوا الي النار
وان انكروا يشهد عليهم ما ذكر من الشهداء فان انكروا يقال لهم اقرا كتابك
كفي بنفسك اليوم عليك حسيبا فان انكروا فعند ذلك تشهد عليهم جوارحهم
كقوله يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم الاية ويحتمل ان يكون الملائكة
ينادون في ملاء من الخلق قبل ان يدخلوا النار هولاء الذين كذبوا علي
ربهم ويحتمل ما ذكر من شهادة الذين كانوا موكلين بكتابة اعمالهم واقوالهم
يخبرون بما كتبوا من الكتب والله اعلم قوله تعالي الا لعنة الله علي
الظالمين قال بعضهم اللعنة هو العذاب وقال بعضهم هي الطرد عن جميع
المنافع والابعاد عن رحمة الله في الدنيا عن دينه وفي الاخرة عن ثوابه
قوله تعالي الذين يصدون عن سبيل الله يصدون يحتمل وجهين يحتمل
اي اعرضوا بانفسهم عن دين الله ويحتمل اي صرفوا الناس عن دين الله وانما
يتبين ذلك بالمصدر انه اراد ذا او ذا يقال في الاعراض عن نفسه صد
يصد صدودا كقوله يصدون عنك صدودا وفي صرف غيره صد يصد
صدا والله اعلم قوله تعالي ويبغونها عوجا قال بعضهم هم بغاة علي دين الله
بالجور وقال بعضهم يبغون من الناس الميل عن دين الله الي دينهم فذلك هو
بغي العوج ثم كل سبيل هو غير سبيل الله فهو عوج وبغي كانه قال يبغون سبيلا
غير سبيل الله قوله تعالي وهم بالاخرة هم كافرون اي في الدنيا والله اعلم
قوله تعالي اولئك لم يكونوا معجزين في الارض اي اولئك لم يكونوا

معجزي الله في الدنيا من ان يعذبهم وينتقم منهم ان شاء والثاني اي اولئك لم
يكونوا سابقي الله في الاخرة في دفع العذاب عن انفسهم وجائز ان يكون
الاية في الايمة منهم والجبابرة تخبر انهم غير معجزين عما يريد منهم من
التعذيب لهم قوله تعالي وما كان لهم من دون الله من اولياء
حسبوا ان اولئك الذين عبدوا دون الله يكونون لهم اولياء لانهم يقولون
هولاء شفعاونا عند الله وما نعبدهم الا ليقربونا الي الله زلفا كانوا يطمعون
في شفاعة الاصنام التي يعبدونها وان الذين اتبعوهم يكونون لهم اولياء
فاخبر الله تعالي ان ليس لهم اولياء علي ما طمعوا وحسبوا بل يكونون لهم
اعداء كقوله واذا حشر الناس كانوا لهم اعداء وكانوا بعبادتهم كافرين
وامثاله كثير ويحتمل وما كان لهم من دون الله من اولياء اي لا ينفعهم ولاية
من اتخذوا من دونه اولياء وهو كقوله فما تنفعهم شفاعة الشافعين وقوله
ويوم القيمة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم وقوله اتخذوا من دون الله
الهة ليكونوا لهم عزا كلا اي لم يكن لهم ما طمعوا وقال سيكفرون بعبادتهم
ويكونون عليهم ضدا اي ضارا ولهم اعداء والله اعلم قوله تعالي يضاعف
لهم العذاب هذا يدل علي ان قوله الذين يصدون عن سبيل الله في الايمة
الذين صرفوا الناس عن دين الله لانه اخبر انه يضاعف لهم العذاب
احدهما لما ضلوا بانفسهم والاخر لما صرفوا عن دين الله قوله تعالي ما
كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون والاية بظاهرها حجة علي المعتزلة
لان الله تعالي نفي عنهم استطاعة والبصر ولم يرد به سلامة الجوارح فانها
موجودة في حقهم دلت ان المراد به نفي استطاعة الفعل وانها تكون مع
الفعل واعترضت المعتزلة علي التعلق بالاية وقالت فيها بوجهين احدهما
انه لا حجة لكم في الاية فانهم كانوا يسمعون ويبصرون اي لا يستطيعون السمع
وما كانوا يبصرون حقيقة فيكون لهما استطاعة ذلك لكن معني قوله لا يستطيعون
السمع وما كانوا يبصرون اي ما كانوا لا يستطيعون ذلك استثقالا منهم النظر
اليهم والسماع لكلامهم وهو كما يقال الرجل ما استطيع ان انظر الي ولا استطيع
ان اسمع كلامه وهو ناظر اليه والسماع لكلامه فعلي ذلك الاول كانوا يسمعون
ويبصرون لكنهم كانوا استثقلوا النظر اليهم والسماع لكلامهم فنفي ذلك عنهم

والله اعلم والثاني اي كانهم لا يستطيعون السمع والبصر وما اخبر انهم صم بكم عمي
كانوا يتصاممون ويتعامون الحق فنقول وبالله التوفيق ما ذكروا من التاويل
لا يصح فانه لم يرد انهم ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون حقيقة
السمع والبصر كما قلتم ولكن المراد انهم كانوا لا يستطيعون السمع بسمع الرحمة
ولا النظر بعين الرحمة والقبول فانهم كانوا يسمعون كلامهم بحق السمع والقبول
ولا نظر والهم بعين الرحمة والنظر بهم من ذلك الوجه كانوا لا يستطيعون
فنفي الله لهم هذه الاستطاعة والثاني يحتمل سمع القلب وبصر القلب
كقوله فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور وهذه الاستطاعة
استطاعة الفعل لا استطاعة الاحوال لان جوارحهم سليمة صحيحة فدل ان
الاستطاعة التي يكون بها الفعل مع الفعل واصله عندنا ما كانوا يستطيعون
السمع والمكتسب والبصر المكتسب وما ذكر المراد منه السمع المكتسب والبصر
المكتسب فان البصر في الآخرة والسمع في الآخرة انما يكون بسبب السمع
والبصر في الدنيا اي باستعمال ذلك قال الله تعالى ومن كان في هذه اعمى
فهو في الآخرة اعمى وكذلك الحيوة الدايمة في الآخرة بسبب الحيوة في الدنيا
ان استعمل على وجهها يكتسب بها الحيوة الآخرة فانها وضعت لاكتساب تلك
الحيوة وكذلك السمع والبصر خلقا في الدنيا ليكتسب بهما السمع والبصر في
الآخرة والله اعلم وعن الحسن انه سئل عن قوله ما كانوا يستطيعون السمع
وما كانوا يبصرون قال هو كقوله الذين كانت اعينهم في غطاء عن ذكري
وكانوا لا يستطيعون سمعا اذا سمعوا الوحي تقنعوا في شانهم فلم يستطيعوا ذلك
لمانع حتى منعهم عن ذلك وفي حرف بن مسعود رضي الله عنه يضاعف لهم العذاب
بما كانوا يستطيعون السمع وفي حرف حفصة رضي الله عنها وما كانوا يستطيعون
السمع بالواو وحرف ابن مسعود ظاهر تاويله اي يضاعف لهم العذاب بما
كانوا يستطيعون السمع فلم يسمعوا عنادا وابطارا والله اعلم قوله تعالى
اولئك الذين خسروا انفسهم اي في الدنيا والآخرة اما في الدنيا فعبادتهم غير معبودهم
الذي منه كان جميع النعم والمنافع وما لحقهم بذلك من الذل والصغار واما في الآخرة
فالعذاب والهوان الدايم بدلا عن النعم الدايمة قوله تعالى وضل عنهم ما
كانوا يفترون اي بطل عنهم ما كانوا يفترون هؤلاء شفعاؤنا عند الله وما

نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وامثاله والله اعلم قوله تعالى
لا جرم انهم في الآخرة هم الاخسرون وقال ابو عوسجة لا جرم واجب
من الكلام اي لحق انهم في الآخرة هم الاخسرون وقال الفراء قوله لا
جرم اي لا بد لكن الناس اكثر واستعماله فصار في متعارفهم حقا ولكن
نقول ان القولين يرجعان الى واحد لان ما كان لا بد منه فهو حق ٥
قوله تعالى ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات واخبتوا الى ربهم اولئك
اصحاب الجنة هم فيها خالدون تاويله والله اعلم ان الذين آمنوا بالله وجميع ما
انزل على رسله وعملوا الصالحات ولزموا ذلك حتى صاروا الى الله اولئك
اصحاب الجنة اذ مطلق الوعد في هؤلاء لا في مطلق المومنين وهو كقوله
الا من تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى اي من الشرك وآمن بالله وعمل
الصالحات ثم اهتدى اي لزم ذلك حتى صار الى الله تعالى هكذا فعلى ذلك
الاول ويحتمل ثم اهتدى سنن الذين اولئك كذا ثم اختلف في تاويل واخبتوا
الى ربهم قال بعضهم الاخبات التخشع والتواضع اي تخشعوا وتواضعوا
فر تامنهم وقال بعضهم اخبتوا اي اطمانوا على ذلك وقال ابن عباس اخبتوا
خافوا من ربهم وقال القتبي اخبتوا اي تواضعوا لربهم وقال الاخبات
التواضع وقال ابو عوسجة الاخبات التوبة والانابة والمخبت التايب
وبعض هذا قريب من بعض والله اعلم ومن الاخبات هو التواضع والخشوع
معناه اي تواضعوا وخشعوا بالاجابة الى ما دعاهم اليه ربهم وندبهم والله اعلم
قوله تعالى مثل الفريقين كالاعمى والاصم والبصير والسميع هل يستويان
مثلا اي مثل الصنفين الذين سبق ذكرهما ووصفهما وهو قوله من كان يريد
الحيوة الدنيا وزينتها الآية فهو وصف الكافر والفريق الآخر قوله افمن كان
على بينة من ربه الى آخر ما ذكر وهو وصف المومن ويحتمل ان يكون وصف الكافر
ما ذكر في قوله ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا اولئك يعرضون على ربهم
الى قوله اولئك الذين خسروا انفسهم والفريق الآخر ما ذكر ان الذين آمنوا
وعملوا الصالحات واخبتوا الى ربهم الآية هذا والله اعلم الفريقان ضرب
مثلهما بالاعمى والاصم والبصير والسميع ثم وجه ضرب مثل الكافر بالاعمى والاصم
والمومن بالسميع والبصير هو والله اعلم ان الكافر اعمى القلب واصم السمع لم يبصر

ما غاب عنه من الموعود ولم يسمع ما غاب عنه من الموعود انما ابصر ظواهر
الامر وكذلك انما سمع ظواهر الامر لم ينظر الى الغايب من الموعود ولا سمع
ذلك وهو لم يخلق لمعرفة ذلك خاصة انما خلق لما وعد واوعد في الغايب
والمومن ابصر ذلك الغايب وسمع ما غاب من الموعود فكانه يقول كما لم
يستو عندكم في الظاهر البصير والاعمى والسميع والاصم لم يستو من كان اعمى
القلب بما غاب بصير القلب بذلك عندنا وكذلك لم يستوا ايضا من هو اصم بمن كان
سميعا بذلك والله اعلم قوله تعالى افلا تذكرون اي افلا تتذكرون انهما
لا يستويان او نقول افلا تذكرون اي افلا تتعظون بما نزل من القرآن وتنتهون
عما تنهون عنه ثم في قوله مثل الفريقين الآية وجوه من الاسولة احدها
ان يقال كيف والثاني يقولون ان لنا بصرا وسمعا ليس بنا صمم ولا عمى
بل انتم العميان والصم والثالث كيف ذكر المثل وهم لا يتفكرون ولا ينظرون
في المثل ولا يلتفتون اليه فاي فايدة لضرب المثل والجواب عن الاول
من وجهين احدهما ان يقال انه انما احتج عليهم لانهم تركوا اكتساب بصر
الآخرة واكتساب سمع الآخرة فنفى عنهم السمع والبصر والحيوة لانه بالبصر
الذي خلق لهم مما يكتسب صاحبه به بصرا في الدين وسمعا في امر الدين وحيوة
الدين فيكون بذلك مكتسبا الحيوة الدايمة والبصر الدايم فيكونون في الآخرة
بصرا سمعا احياء كقوله استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم والثاني
انما نفى عنهم هذه الحواس لانهم لم ينتفعوا بها لان هذه الحواس انما انشيت لهم
وخلقت لينتفعوا بها انتفاعا اريد بانشايها فاذا تركوا الانتفاع بها جعل كانه
ليست لهم والله اعلم واما الجواب عن الثاني وقولهم انا بصرا سمعا
وانتم العميان والصم ان يقال لهم ان اهل الاسلام اذا سمعوا ذلك فقد
اشتغلوا بالكفر فيما قرع اسماعهم من الآيات والنظر فيها وانتم لا بل انتم تعاميتم
عنها وتصاممتم فدلت تفكرهم ونظرهم فيها على انهم بصرا سمعا احياء وانتم
يا اهل الكفر العمي والصم الاموات والثاني من الجواب ان هذه الآيات انما نزلت
في محاجة اهل مكة وهم قد علموا ان اباهم لم يكونوا حلماء ولا علماء وهم كانوا يقلدون
آباءهم فيما هم عليه فلم يكونوا بصراء ولا سمعاء ولا احياء كما ادعوا فصاروا صما
عميا امواتا واما الجواب عن الثالث انه ذكر المثل لهم على علم منهم

انهم لا يقبلون المثل ولا ينظرون من وجوه احدها ان ما ذكر هذا لاهل
الاسلام وهم ينظرون اليه ويتفكرون فيتعظون به والثاني ان ذكر
المثل ربما يبعثهم على النظر فيه والتفكر والثالث فيه دلالة البعث وذلك
لان احد الفريقين كما ذكر نحن اوهم وقد استووا بما ذكر في هذه الدنيا وفي
العقل والحكمة التفريق بينهما فيدلك ذلك على وجود دار اخرى يفترق
بينهما والله الموفق قوله تعالى ولقد ارسلنا نوحا الى قومه اخبر
انه ارسله الى قومه ثم لم يفهم منه الارسال من مكان الى مكان وكذلك
قال في حق رسولنا لقد جاءكم رسول من انفسكم ولم يكن مجيئه من مكان
الى مكان فهذا يدلك على انه لم يفهم من ذلك المجيء الانتقال من مكان الى
مكان فبطل بهذا تعلق المجسمة بالآيات التي فيها ذكر المجيء والاتيان مضافا
الى الله ان لا يراد بالمجيء الانتقال من مكان الى مكان لا محالة والله الموفق
قوله تعالى اني لكم نذير مبين اي نذير لمن عصى بالنار وبعقابه بين
الانذار قوله تعالى ان لا تعبدوا الا الله اي لا تجعلوا عبادتكم الا
لمعبود هو معبود بشهادة خلقتكم لان خلقتهم تدلك وتشهد على ان المستحق
للعبادة هو الذي خلقهم دون من يعبدون من الاصنام ويحتمل قوله ان لا
تعبدوا الا الله اي وحدوا الله ولا تشركوا معه غيره ولا تصرفوا الالوهية
والعبادة الى غيره قوله تعالى اني اخاف عليكم عذاب يوم اليم
جعل الاليم نعتا لليوم لا نعتا للعذاب حيث اعربه باعراب اليوم دون اعراب
العذاب فكيف يكون اليوم اليما ولا مولما لكنه والله اعلم انما اضاف اليه لما فيه
يولم وهو كقوله وجعل الليل سكنا والليل لا يسكن ولا يوصف به لكن يسكن فيه
وكذا قال والنهار مبصرا والنهار لا يبصر ولكن يبصر فيه فعلى ذلك الاول
والله اعلم ثم قوله اني اخاف عليكم بين انه يخاف عليهم وخوف المرء في غيره لا يكون
خوفا على الحقيقة وكذلك الرجاء في غيره لا يكون في الحقيقة رجاء وانما يكون
في حق نفسه خوفا ورجاء على الحقيقة لما يلحقه ضرر في نفسه ان حل به ذلك
ويلحقه نفع في الرجاء واما في غيره لا يلحقه ضرر ان حل ذلك بغيره ولا يناله النفع
من الرجاء ان نال ذلك الغير واذا كان كذلك كيف يكون مثل هذا من الانبياء
لكن يخرج هذا على وجهين احدهما ان المراد من الخوف ههنا هو العلم اي اني

اَعلَم انه ينزل بكم العذاب اذا لم تومنوا وهو كقوله ان خفتم شقاق اي علمتم
وقوله فان خفتم الا يقيما حدود الله اي فان علمتم ان يضيعا حدود الله ٥
والثاني نخاف عليهم العذاب اشفاقا منه لان الخلق جبلوا على التالم بما يحل
٤٢٧
من الالم لغيرهم حتى لا يكون في وسع بعض ان يروا ذلك في غيره والله اعلم
فان قيل في الخوف رجا وفي الرجا خوف لان الخوف اذا لم يكن فيه رجا فهو
اياس والرجا اذا لم يكن فيه خوف فهو امن فقد قال ان لا تعبدوا الا الله
اني اخاف عليكم عذاب يوم اليم اي ان لم تومنوا والعذاب في حق الكفرة
متيقن الثبوت ليس فيه رجا العفو فكيف ذكر بلفظة الخوف قيل عن هذا
من وجهين احدهما ما ذكرنا ان المراد منه العلم والثاني انما قال في وقت
لم يكن ايس من ايمانهم بل على رجا الايمان منهم ومع رجا الايمان منهم لم يثبت
القول بالعذاب في حق من خاطبهم بقوله اني لكم منه نذير مبين ان لا
تعبدوا الا الله والله اعلم قوله تعالى فقال الملا الذين كفروا من قومه
قيل الملا اشراف قومه وائمتهم وقوله ما نراك الا بشرا مثلنا
وهكذا قال كل قوم لرسلهم الذين بعثوا اليهم ما انتم الا بشر مثلنا وهذا
كان احتجاجا منهم في رد الرسالات يحتجون على الرسل فيقولون
ان الرسل في الشاهد انما يجيئون من عند المرسل وانتم نشاتم بين
اظهرنا لم تاتونا من عند احد في الظاهر والرسول هو الذي ياتي من
عند غيره وكذا يكون للرسول خصوصية عند المرسل ولا نرى لكم خصوصية
لا في الخلقة ولا في القدرة ولا في المال وغيرها فكيف بعثتم الينا رسلا
دون ان نبعث اليكم رسلا اذ نحن وانتم في الخلقة وفي الامور الظاهرة
سوا ونحو هذا من الكلام هذا كله ما ذكر ان نحن الا بشر مثلكم ولكن الله
يمن على من يشا من عباده وما قال لهم نوح يا قوم ارايتم ان كنت على
بينة من ربي واتاني رحمة من عنده اي في على بينة وبرهان على ما
اتاني رحمة من عنده بمثل هذا احتج عليهم فيقال لهم انكم لا تنكرون
فضل الله وتخصيصه بعضا على بعض لما جعلكم ايمة ورؤسا في امور
الدنيا على غيركم فكيف تنكرون فضل الله وتخصيص بعض على البعض بفضل
الدين والرسالة لكن من عادة الكفرة انه متى لزمتهم الحجة واقيم عليهم البرهان

بحيث لا يمكنهم دفع ذلك نسبوا الرسل الى السحر فقالوا انهم بشر
مثلنا على طريق العناد والمكابرة والله الهادي وقوله وما نراك
اتبعك الا الذين هم اراذلنا بادي الراي احتجوا ايضا في رد الرسالة
٤٢٨
فقالوا ان الاراذل هم اتباع لكل من دعاهم واهل طاعة لكل متبوع
فليس في اتباع الاراذل والضعفا اياك دلالة ثبوت رسالتك اذهم
يتبعون بلا دليل وحجة وهم فروع واتباع للاغنيا ولم يتبعك احد
من الاصول وكذلك قالوا انما اتبعك من كان بادي الراي اي
خفيف الراي ظاهر الراي لم يعرفوا حقايق الامور ولكن يقال
لهم ان هولا الاراذل لما اتبعوا الرسل ولم يتبعوا الايمة والرؤسا
الذين معهم الدنيا والاموال ولم يكن في ايد الرسل ذلك ثم تركوا اتباع
اوليك وفي ايديهم ما يدعوهم اليه واتبعوا الرسل دل انهم انما اتبعوا
الرسل بالحجة والبرهان التي اقاموها عليهم والله اعلم والاراذل
قيل هم السفلة والضعفا وقال القتبي اراذلنا اشرارنا وقوله
بادي الراي قال بعضهم ظاهر الراي اي خفيف الراي لا يعرفون حقايق
الامور انما يعرفون ظواهرها هذا افترآه من قرا بغير همز من بدا
يبدو اي ظهر وقري بادي الراي بالهمز وهو من البداية والابتدا
اي في اول الراي وابتدايه لا ينظر في عواقب الامور وقوله وما نرى
لكم علينا من فضل يحتمل هذا اي فضلا في الخلقة او في ملك او في مال
ولا في شي ولكن جواب هذا ما ذكر في قوله واتاني رحمة من عنده
على ما ذكرنا تقدير وقوله بل نظنكم كاذبين هكذا عادة الكفرة يردون
دلالات الرسل والحجج بالظن قوله تعالى قال يا قوم ارايتم ان كنت
على بينة من ربي واتاني رحمة من عنده اي على بينة من ربي او على
حجة من ربي وبرهان فيما اتاني رحمة اي النبوة لانهم كانوا ينكرون
رسالته لانه بشر مثلهم فكيف هو خص بها دوننا وهو مثلنا فقال واتاني
رحمة اي النبوة واتاني ايضا على ذلك بينة وحجة ولو اتاكم وجعلكم موضعا
للرسالة فله ذلك ويحتمل الدين الذي امر بان يدعوهم اليه ويحتمل
حقيقة الرحمة اي واتاني النبوة من عنده فضلا ورحمة كما قال ولكن الله

يمن على من يشاء من عباده فعميت عليكم قرئ بالتشديد والتخفيف فمن قرأ
بالتشديد فعميت يرجع الى الاتباع والسفلة اي عميت عليهم القادة والرؤساء
ولبست ومن قرأ بالتخفيف يرجع الى القادة اي عمي والتبس على القادة
والرؤساء وقوله تعالى انلزمكموها اي انوجبها عليكم وهي التي ذكر انه
آتاها اياكم من النبوة او النبوة والدين الذي كان يدعوهم اي لا نوجبها عليكم
ولا نلزمكموها وانتم كارهون لها بلا حجة وبرهان شئتم ام ابيتم ولكن ندعوكم اليه
بالحجة والبرهان والله اعلم قوله تعالى ويا قوم لا اسألكم عليه مالا اي
على تبليغ الرسالة او على اقامة الحجة على ما ادعي من الرسالة او على
الدين الذي ادعوكم اليه اي لا اسألكم على ذلك احدا فلماذا تعرضون عما
ادعوكم اليه واثمه عليكم ليكون لكم الاحتجاج او على الاعتذار وان لم يكن ذلك
حجة وهو كقوله ام تسألهم اجرا فهم من مغرم مثقلون اي لا نسألكم اجرا
على ما نبلغه اليكم و يدعوكم اليه فيمنعكم ثقل ذلك الغرم عن اجابتكم اياه
فعلى ذلك الاول ذكر هذا لان ما يلحق الانسان من الضرر بما يمنعه
عن الاذعان للحق والاقبال عليه والقيام بوفائه او يمنعه عن التامل فيه
فلا يتبين له الحق والثاني ان لا اسألكم على ما ادعوكم رغبة فيما في ايديكم من
الاموال او لمنفعة نفسي بل انما ادعوكم الى ما ادعوكم اليه لمنفعة انفسكم لئلا
يكون لكم الاحتجاج والاعتذار عند الله وان لم يكن حجة وهو كقوله لئلا يكون
للناس على الله حجة بعد الرسل ليس على انه اذا سألهم على ذلك اجرا يكون لهم عذر
في رد ذلك وترك الاجابة له اذ لله تعالى ان يكلفهم بالاجابة والطاعة له
بالمال وبغير المال قوله تعالى ان اجري الا على الله اي ما اجري الا على الله
في ذلك ليس عليكم قوله تعالى وما انا بطارد الذين آمنوا الآية فيها دلالة
انهم كانوا اذا سألوا رسولهم ان يتخذ لهم مجلسا على حدة ونفرد لهم ذلك دون
الارذال والضعفاء الذين اتبعوه وتطرد الضعفاء وهو كقوله في حق رسولنا
ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي الآية وقال اهل التاويل في
قوله وما انا بطارد الذين آمنوا اي ما انا بالذي لا اقبل الايمان من الارذال
والضعفاء عندكم بقولهم ما نريك اتبعك الارذال ظاهرا واما في الباطن
فليسوا على ذلك ولذلك قال للذين تزدري اعينكم لن يؤتيهم خيرا الله اعلم

بما في انفسهم يعني بما في قلوب السفلة فيقول عليه السلام ما انا بطارد الذين
آمنوا الله اعلم بما في قلوبهم قوله تعالى انهم ملاقوا ربهم يحتمل وجهين احدهما
اي انهم ملاقوا ربهم فيشكون مني اليه في رد ايمانهم ويخاصمونني في ذلك
ويطلبونني في طردي اياهم والثاني انهم ملاقوا ربهم بايمانهم ظاهرا
كان او باطنا في اي حال كانوا ايلاقون ربهم فيجزيهم بما هم عليه كقوله
ان حسابهم الا على ربي لو تشعرون قوله ولكني اراكم قوما تجهلون
يحتمل تجهلون ما ادعوكم اليه او تجهلون في قولكم انهم انما آمنوا واتبعوا ظاهرا
لا حقيقة اذ لا وقوف على السرائر الا الله تعالى وتجهلون ما يلحقني في طردهم
قوله تعالى يا قوم من ينصرني من الله ان طردتهم اي من يمنعني من عذاب
الله ان انا طردتهم على ما تدعونني اليه ويحتمل اي من يمنعني من عذاب الله
ان لم اقبل منهم الايمان قوله افلا تذكرون اي افلا تذكرون انه لا
يسع لي ما تدعونني اليه من طرد هؤلاء او رد ايمانهم ويحتمل افلا تذكرون
فتؤمنوا والله اعلم وقوله ولا اقول لكم عندي خزائن الله والسعة فانزل
لكم لتؤمنوا رغبة في المال والسعة والثاني ليس عندي سعة فيقع عندكم
انما ادعوكم الى ما ادعوكم امتعالا رغبة في المال على ما يفعل المتعلون للرغبة
في المال ولكن ليعلموا ان المكلف بذلك مامور به والثالث يحتمل انه انما قال
ذلك بناء على اسولة كانت منهم في اتيان الخزائن والاموال ونحو ذلك فقال
لا اقول لكم عندي خزائن الله قوله تعالى ولا اعلم الغيب ولا اقول
اني ملك هذا القول منه لهم يحتمل وجوها احدها انه قال ذلك لهم على
اثر امور واسولة كانت منهم من نحو قولهم لرسول الله لولا انزل عليه كنز
او جاء معه ملك وقولهم لرسول الله لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا
او تكون لك جنة وقولهم او يكون لك بيت من زخرف وامثال ما اخبر الله
عنهم فيقول لهم ليس عندي وبيدي ما يطلبون مني وتسالون انما ذلك عند الله
وبيده وكذلك قوله لا اعلم الغيب يحتمل ان يكون سالوه ان يخبرهم عن امور
يستقبلهم قبل ان يستقبلهم حتى اذا كان سوءا اتقوه والا في دفعه وان كان
منافع فليستقبلوا لها ويتاهبوا فيقول لهم ذا غيب وانا لا اعلم الغيب انما العلم
في ذلك الى الله وانا اخبركم بما اوحي الي وامرت بالتبليغ اليكم وقوله ولا اقول

إني ملك أي لا أقول إني ملك أعلم أخبار السماء والأمور التي فيها إنما أنا
بشر مثلكم وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال ولا أقول لكم عندي خزائن الله
مفاتيح الله في الرزق فهذا كأنهم سألوه السعة حتى يتبعوه فيقول ليس عندي
ذلك ويحتمل أن يكون قال لهم هذا لدفع الشبهة عنهم في ذلك لأن من
الكفار من اتخذ الرسول إلها فعبده وبعد ما عاينوا أنه من البشر ومنهم
من قال إنه ابن الله كما أخبر الله تعالى عن اليهود والنصارى ومنهم من
قال إنه ملك وكانوا يعبدون الملائكة وكان الرسل يخبرونهم عن أشياء
غابت عنهم فظنوا أنه إنما علم ذلك لأنه إله فقال لهم هذه التي ذكرنا دفعا
لهذه الشبهة عنهم متبرئا عن مثل ما يزعمون من أمثاله ولذلك قال عيسى
إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا وجعلني مباركا وهو عليه السلام
كان يعلم في نفسه أنه عبد الله ولكن قال لهم لئلا ينسبوه إلى الألوهية
مقرا بالعبودية لله تعالى إرشادا لهم وتبريا عن مثل ما زعم بعض الجهال
في أمثاله فهذا أمثله والله أعلم بذلك وقال بعض أهل التأويل لا أقول
لكم عندي خزائن الله أي مفاتيح الله بأنه يهدي السفلة دونهم ولا أعلم الغيب أي لا
أقول لكم إن عندي غيب ذلك أن الله يهديهم وهم مؤمنون بالسر حقيقة
وهو كقوله وما علمي بما كانوا يعملون وقوله ولا أقول لكم إني ملك أي أنا
بشر مثلكم لقولهم ما نراك إلا بشرا مثلنا إلى آخر الآية ثم قال ولا أقول
للذين تزدري أعينكم لن يؤتيهم الله خيرا ولا أقول للذين حقرتموهم
يعني السفلة والأتباع وقال ابن عباس رضي الله عنهما الذين لم تأخذهم
أعينكم لن يؤتيهم الله خيرا أي إيمانا وقوله الله أعلم بما في أنفسهم من الصدق
وقوله إني إذا لمن الظالمين أي إن لم أقبل منهم الإيمان أو أطردهم إذا
لمن الظالمين لهم والله أعلم قوله تعالى قالوا يا نوح قد جادلتنا فأكثرت
جدالنا قالوا ذلك له لأنه قد كان طال عمره وهو بين أظهرهم يدعوهم إلى
الإيمان فأكثر حجاجه ومجادلته إياهم فقالوا فأكثرت جدالنا فأتنا بما
تعدنا إن كنت من الصادقين وكان يعدهم العذاب إن لم يؤمنوا لقوله
إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم وما كان وعدهم في غير آية من القرآن
إن لم يجيبوه فقالوا ائتنا بما تعدنا من العذاب فقال إنما يأتيكم به الله إن

شاء أي ليس إلي إتيان ذلك إنما ذلك إلى الله إن شاء عجل وإن شاء أخر
إلى ما بعد الموت وهو كقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لقومه لو أن
عندي ما تستعجلون به لقضي الأمر بيني وبينكم قوله تعالى وما أنتم
بمعجزين أي لا تعجزون الله عن تعذيبكم فتفوتون عنه وقيل وما أنتم بسابقي الله
بأعمالكم الخبيثة حتى يجزيكم بها والله أعلم وقوله تعالى ولا ينفعكم نصحي إن
أردت أن أنصح لكم إن كان الله يريد أن يغويكم تأويله والله أعلم لا ينفعكم
دعائي إلى ما به نجاتكم إن كان الله يريد إغواءكم ثم اختلف في وقت ذلك
قال بعضهم لا ينفعكم نصحي عند إقبال العذاب إليكم إن كان من حكم
الله أن تكونوا من الغاوين في ذلك الوقت وقال بعضهم أي لا ينفعكم
نصحي إن كان الله يريد أن يغويكم في نار جهنم أي يعذبكم ويقول الغي العذاب
كقوله فسوف يلقون غيا أي عذاب جهنم ونحوه من الكلام وفي قوله
لا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم إن كان الله يريد أن يغويكم دلالة
تعليق الشرط على الشرط وأما عندنا فهو على ما أخبر أن كان الله يريد
إغواء قوم أبدا في الغواية أبدا وإضلاله لأن الله تعالى أراد غواية من في
علمه أنه يختار الضلال لأن من في علمه أنه يختار الغواية والضلال
اختار عداوته ولا يجوز أن يريد هو هداية من يعلم أنه يختار عداوته
ولا يجوز أن يريد هو هداية من يعلم أنه يختار عداوته
بربه لأن ذلك يكون من الضعف أن يختار المرء ولاية من يختار
هو عداوته فدلت أنه لم يرد الهداية لمن علم منه أنه اختار الغواية والضلال
ثم إضافة الإغواء والإغواء والإضلال إلى الله تخرج على وجهين أحدهما
أنه يغشى ذلك الفعل منهم غيا وزيغا وضلالا لأن فعلهم فعل غواية وزيغ
والثاني أنه خذلهم ولم يوفقهم ولم يرشدهم ولم يعصمهم ولم يسددهم
ومن ذا الوجه ليس فعله فعل الذم حتى يتحرج بالإضافة إليه ومن الوجه
الذي يضاف إلى الخلق يكون على الذم لأن فعلهم نفسه فعل غواية وضلال
فاستوجبوا الذم والله أعلم ثم الإغواء من الخلق هو الدعاء إلى ذلك والأمر
به وهو مذموم يذمون على ذلك وليس من الله تعالى من هذا الوجه
ولكن على الوجهين اللذين ذكرناهما قوله تعالى أم يقولون افتراه

قل ان افتريته فعلي اجرامي وانا بريء مما تجرمون اي بل يقولون افتراه
من عند نفسه ثم اختلف اهل التاويل فيه قال بعضهم قال قوم نوح لنوح
افترى على الله انه رسول اليهم من الله على ما سبق من دعائه قومه الى دين الله
فقالوا له انه افتراه وهو مجادلة قومه اياه في ذلك وقال بعضهم هذا
قول قوم محمد له قالوا افترى هذا القرآن من عند نفسه ليس هو
من الله على ما اخبر الله عنهم في صدر السورة بقوله ام يقولون افتراه
قل فاتوا بعشر سور مثله مفتريات الى آخر الآية فعلى ذلك هذا فقال
تعالى له قل ان افتريته فعلي اجرامي اي ان افتريته فعلي جرم افترائي
وجزاؤه وانا بريء مما تجرمون معناه والله لا تواخذون انتم بجرم افترائه
ان افتريته وانا لا اواخذ باجرامكم كقوله فان تولوا فانما عليه ما حمل
وعليكم ما حملتم وقوله ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم
من شيء فعلى ذلك هذا والله اعلم فامكن ان يكون هذا القول لهم لما
آيس من ايمانهم كقوله لا حجة بيننا وبينكم لما ايس عن ايمانهم وانقطع
طمعه ورجاؤه عنهم بالاسلام فقال لهم ذلك اي لا محاجة بيننا وبينكم بعد
هذا والله اعلم قوله تعالى واوحي الى نوح انه لن يومن من قومك
الا من قد آمن قال بعضهم ان نوحا لم يدع قومهم بالهلاك ما دام يرجو
ويطمع من قومه الايمان فلما ايس وانقطع رجاؤه وطمعه بخبره دعا
عليهم بالهلاك كقوله رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا اي احدا
اي انك ان تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا الا فاجرا كفارا وعرف
الاياس عن ايمانهم بظاهر الاية حيث قال واوحي الى نوح انه لن يومن
من قومك الا من قد آمن وكذلك سائر الانبياء والرسل عليهم السلام لن
يوذن لهم بالدعاء على قومهم بالاهلاك والخروج من بين اظهرهم ما
داموا يرجون ويطمعون منهم الايمان والاجابة لهم فاذا آيسوا وانقطع
رجاؤهم وطمعهم عن ذلك فعند ذلك اذن لهم بالدعاء عليهم بالاهلاك
والخروج من بين اظهرهم وعلى ذلك عوتب يونس عليه السلام بالخروج
من بين اظهر قومه قبل ان يوذن له بالخروج من بينهم ثم في قوله
لن يومن من قومك الا من قد آمن دلالة على ان للايمان حكم التجدد

والابتداء في كل وقت وكل حال لانه اخبر ان الذي آمن قد يومن في
حادث الوقت وعلى ذلك يخرج الزيادات التي ذكرت في الايمان
بقوله زادتهم ايمانا الآية قوله تعالى فلا تبتئس بما كانوا
يفعلون قال ابو عوسجة فلا تبتئس من الحزن فقال ابتأس
يبتئس ابتئاسا اي حزن وقال الكسائي ايضا فلا تبتئس اي لا
تحزن فهو من البائس يقال لا تبتئس بهذا الامر ثم هذا يحتمل وجهين
احدهما اي لا تحزن بكفرهم بالله وتكذيبهم اياك ليس على النهي عن الحزن
في ذلك اذ الحزن فعل ضروري طبيعي لا يدخل تحت النهي ولكن
على التسلي ورفع الحزن عنه اي ليس هذا موضع الحزن وهو ان
يحزن لكفر قوم علم الله انهم لا يومنون وكان الانبياء يحزنون لكفر قومهم
بالله ويجعلون انفسهم اعلاء له كقوله لرسولنا لعلك باخع نفسك الا
يكونوا مومنين وقوله فلا تذهب نفسك عليهم حسرات وامثاله
وكان الانبياء اشد حزنا بكفر قومهم بالله وتكذيبهم اياه واشد رغبة
في ايمانهم وكان حزنهم لم يكن على اهلاكهم الا ترى ان نوحا عليه السلام
دعا عليهم بالهلاك فقال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا وكذلك
سائر الانبياء دل ان حزنهم كان لمكان كفرهم بالله وتكذيبهم اياه
لا لمكان هلاكهم اشفاقا على انفسهم والله اعلم والثاني يحتمل انهم كانوا
هموا قتله والمكر به فقال لا تحزن بما كانوا يسعون في هلاكك اي
ليس هذا موضع الحزن فاني كافيهم وعاصمك عنهم والله اعلم
قوله تعالى واصنع الفلك باعيننا ووحينا قال بعض اهل
التاويل اي بامرنا ووحينا وقال بعضهم اي بمنظر منا وامرنا لنا ولكن
عندنا يحتمل وجهين احدهما قوله باعيننا اي بحفظنا ورعايتنا يقال
عين الله عليك اي حفظه عليك لا يفهم من قوله باعيننا نفس العين على
ما يفهم من قوله ذلك بما قدمت ايديكم وكسبت ايديكم نفس الايدي ولكن
ذكر الايدي لما في الشاهد انما يقدم باليد ويكتسب باليد فعلى ذلك ذكر العين
لما بالعين يحفظ في الشاهد والله اعلم والثاني قوله باعيننا اي باعلامنا
اياك لانه لولا تعليم الله اياه اتخاذ السفينة ونحوها لم يكن ليعرف

ان كيف يتخذ وكيف تنجر انما عرف ذلك بتعليم الله تعالى اياه والله اعلم
قوله تعالى ولا تخاطبني بالذين ظلموا انهم مغرقون هذا احتمل وجهين
احدهما اي لا تشفع الي في نجاة الذين ظلموا فانهم مغرقون في حكم الله والثاني
لا تخاطبني في هداية الذين هم في حكم الله انهم يموتون ظلمة اي لا تسال
ايمان من في علم الله انه لا يومن وفيه نهي السوال عما في علم الله انه لا يكون
لانه اذا اخبر انه لا يكون اولا يفعل فاذا سال له كانه يسال له ان يكذب
خبره الذي اخبر انه لا يكون وفيه ان من اراد الله تعالى ايمان احد آمن
ومن لم يرد ايمانه لا يومن والله الموفق قوله تعالى ويصنع الفلك وكلما
مر عليه ملا من قومه سخروا منه الملا اشراف قومه والرؤساء من
قومه هم الذين سخروا منه قال بعضهم سخريتهم منه لما راوه يتخذ
الفلك قالوا صار نجارا بعد ما ادعى لنفسه الرسالة وقال بعضهم سخريتهم
منه لما راوهم يتخذوا الفلك ولم يكن هنالك بحر ولا اواد ولا المياه
الجارية انما هي ابارهم فقالوا يتخذ السفينة ليسيرها بالبراري
ونحو ذلك من الكلام قوله تعالى قال ان تسخروا منا فانا
نسخر منكم قالوا سخريته نوح وقومه منهم اذا ركبوا الفلك وهم يغرقون
قالوا كنتم على حق وهذا فكيف لا ينجيكم من تعبدونه من الغرق ونحوه
من الكلام لكن هذا لا نعلم لعدم قيام دليل موجب للعلم ولا حاجة لنا
الى معرفة سخريتهم ان كيف كانت سوى ان فيه انهم سخروا منه ويحتمل
قوله فانا نسخر منكم اي نجزيهم جزاء سخريتهم وقوله فسوف تعلمون
هو وعيد اي سوف تعلمون ان حاصل سخريتكم يرجع اليكم كقوله وما
يخدعون الا انفسهم اي سوف تعلمون اذا حق ما نخبر وعرفتم انتم والله اعلم
قوله تعالى من ياتيه عذاب يخزيه اي عذاب يفضحه ويهلكه وهو
الغرق ويحل عليه عذاب مقيم اي عذاب يدوم وقال بعضهم عذاب
مقيم اي عذاب الآخرة والله اعلم واما قول اهل التاويل ان سفينة
نوح كان طولها كذا او عرضها كذا او قامتها كذا فلا يعلم ذلك الا بعلم ولا حاجة لنا
الى معرفة ذلك فان صح فهو كما قالوا وكذا قولهم كان لها ثلاثة ابواب وثلثة
اطباق فذلك ايضا لا نعرفه والله اعلم قوله تعالى حتى اذا جاء امرنا

وفار التنور قوله جاء امرنا اي جاء وقت امرنا بالعذاب الذي
استعجلوه بقولهم فاتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين وسمي اراب
امر الله لما لا صنع لاحد فيه وكذلك الموت سمي امر الله لما لا صنع لاحد
من الخلائق فيه وكذلك الصلاة سميت امرا لما يامر بقيام الصلاة
قوله تعالى وفار التنور قال ابو عوسجة يقال فار التنور الماء
اذا خرج ويقال فار يفور فورا اي غلى كما تغلي القدر وتصديقه قوله
وهي تفور تكاد تميز من الغيظ اي خرج وظهر ثم اختلف في التنور قال
بعضهم التنور هو وجه الارض قالوا له اذا رايت الماء خرج وظهر على وجه
الارض فاركب وقال بعضهم التنور هو تنور الخابزة الذي يخبز فيه
قالوا اذا رايت الماء نبع من تنورك فاركب قالوا وكان الماء ينزل من
السماء وينبع من الارض كقوله ففتحنا ابواب السماء بماء منهمر وفجرنا
الارض عيونا لكن جعل علامة وقت ركوبه هي خروج الماء من الارض ونبعه
منها قوله تعالى قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين يحتمل هذا
وجهين يحتمل ان كنا قلنا له اذا فار التنور احمل فيها من كل زوجين اثنين
ويحتمل ان كنا قلنا له وقت فور الماء من التنور احمل فيها من كل زوجين
اثنين ثم قوله من كل زوجين اثنين اي من ذكر وانثى والزوج اسم لفرد
ذي شفع فيقال عند الاجتماع زوجان وانه ليس باسم للشفع ثم يحتمل
زوجين من ذوي الازواج التي يكون لهم النسل لئلا ينقطع نسلهم ويحتمل
ذوي الارواح وغيرها والله اعلم قوله تعالى واهلك الا من سبق
عليه القول ومن آمن قال بعضهم قوله واهلك اراد به اقربائه وازواجه
وجميع المومنين به فان المومنين من جملة اهل الانبياء على ما روي عن النبي
عليه السلام انه سئل من آلك قال كل مومن تقي كانه يقول احمل فيها من كل
زوجين اثنين واحمل اهلك ايضا الاقارب والازواج والمومنين الا من
سبق عليه القول اي الا من سبق في علم الله انه لا يومن اذ الا من كان في
علم الله انه كان من اهلها لكن من اهلك وقوله ومن آمن عطف قوله واهلك وانه
عطف الشي على نفسه لما ذكرنا ان اسم الاهل يقع على المومنين من غير قرابته
ولكن عطف الشي على نفسه جائز لغة على ما تقدم ذكره والله اعلم وقال بعضهم

قوله واهلك اراد اهله خاصة دون المومنين من امته الا ترى انه عطف
قوله ومن آمن على قوله واهلك والشي يعطف على غيره هو الاصل في اللغة
وقد يعطف على نفسه لضرورة على خلاف الاصل ثم استثنى من سبق عليه
القول من اهله وهو ابنه وزوجته فمعناه احمل اهلك والذين آمنوا
معك الا من سبق عليه القول انه لا يومن اهلك فيكون الاستثناء خاصا
في الاهل فتبين ان المراد من المستثنى منه هم الاهل الذين آمنوا والله اعلم
وهذا يدل على ان في اهله من كان ظالما كافرا حيث استثنى من اهله.
والله اعلم قوله تعالى وما آمن معه الا قليل يذكر هذا والله اعلم
تذكيرا لرسول الله منه ونعمه الذي انعمها عليه لان نوحا مع طول
مكثه بين اظهر قومه وكثرة دعايه قومه الى دين الله ومواعظه لم يومن
من قومه الا القليل منهم ورسول الله مع قلة مكثه وقصر عمره آمن من قومه
الكثير ليعرف نعمه عليه وفيه دلالة قول من يقول ان المواعظ انما
ينفع الموعظ على قدر استعمال الواعظ ليس هكذا ولكن على قدر قبول الموعظ
اياها وقدر الاقبال عليها لان نوحا عليه السلام كان اشد الناس استعمالا
للمواعظ واكثرهم دعاء ثم لم يومن قومه الا القليل دل انه ليس كما فهموا
واما ما ذكر اهل التاويل انه حمل في السفينة حبات العنب فاخذها
ابليس ولم يعطه الا ان اعطى له الشركة في العنب فهذا شيء لا علم لنا به
فان ثبت ذلك فيكون فيه دلالة ان ليس له في ساير الانبذة والاشربة
نصيب انما يكون له فيما يخرج من عصير العنب وتقدير الثلث والثلثين انما
يكون في عصير العنب خاصة ليس في غيره فيكون حجة ابي حنيفة رحمه الله
في المثلث والله اعلم قوله تعالى وقال اركبوا فيها بسم الله مجريها
ومرسيها يحتمل قوله بسم الله مجريها ومرسيها انه لما قال لهم نوح اركبوا
فيها قال لهم قولوا بسم الله مجريها ومرسيها وهو قول الناس بسم الله من
اوله الى اخره وكما يذكر اسم الله ويقال في افتتاح كل امر وكل عمل من ركوب
او نزول او غيره ويحتمل قوله بسم الله اي بالله مجريها ومرساها اي به
تجري الفلك وبه ترسوا واسم صلة زايدة ليست كساير السفن التي باهلها
تجري وبهم تقف وهم الذين يتكلفون ويتولون اجراها ووقفها فاما

سفينة نوح كانت جريتها بالله وبه رسوها لا صنع لهم في ذلك والله اعلم
وقوله ان ربي لغفور رحيم اي غفور لمن آمن به وصدق رسوله
رحيم ينجيه من الغرق والهلاك قوله تعالى وهي تجري بهم في موج
كالجبال هذا يدل على ما ذكرنا انها كانت بالله تجري وبه ترسوا حيث لم
يخافوا الغرق من تلك الامواج واما ساير سفن فان اهلها خافوا من
امواجها لما كانوا هم الذين يتولون ويتكلفون اجراها ووقفها والله اعلم
وهذا يدل ايضا على ان سفينة نوح كانت آية لرسالته لان الامواج
تمنع عن جريان السفينة وسيرها فاذا اخبر انها لم تمنع هذه عن جريانها
دلت انه اراد ان تكون آية لهم لزيادة توكيد والله اعلم وقال القتبي
مرسيها اي حيث تقف وقيل مرسيها رسوها قوله تعالى
ونادى نوح ابنه وكان في معزل يحتمل قوله وكان في معزل اي
بمعزل من نوح ويحتمل انه كان بمعزل من السفينة او ما كان والله اعلم
قوله تعالى يا بني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين يحتمل لا تكن مع
الكافرين فتغرق يحتمل وتكن مع الكافرين لعلم الله سبحانه وتعالى
اذ هو لا يعلم حقيقة حال ابنه انه من الكافرين لانه كان يظهر الايمان
معه قوله تعالى قال ساوي الى جبل يعصمني من الماء اي سانضم
الى الجبل لتمنعني من الماء ظن المسكين ان هذا الماء كغيره من المياه التي
يسلم منها بالالتجاء الى الجبال فاخبر وقال لا عاصم اليوم من امر الله
اي لا مانع اليوم من امر الله اي من عذاب الله وقال القتبي اي
لا معصوم اليوم من امر الله اي من عذاب الله كقوله تعالى خلق
من ماء دافق اي مدفوق واصله لا عاصم اي لا شيء يمنع القوم من
نزول عذاب الله عليهم ولا دافع لهم منه ثم سمي عذابا امرا لانه يحصل
بامر التكوين وهو ايقاع العذاب عليهم ولا دافع لهم كقوله انما قولنا لشيء
اذا اردناه ان نقول له كن فيكون ولان التعذيب هو النهاية في الاحتجاج
والامر بالايمان فسمي باسمه كما سمي البعث لقاء الله لانه هو النهاية في
الاحتجاج على منكري البعث قوله تعالى الا من رحم اي رحم عليه بهدايته
اياه او الا من سبقت له الرحمة من الله بالهداية له والنجاة قوله تعالى

وحال بينهما الموج يحتمل قوله بينهما اي بين نوح وابنه ويحتمل بينه وبين
السفينه قوله تعالى وكان من المغرقين يحتمل اي صار من المغرقين
ويحتمل كان في علم الله انه يغرق في وقت كذا وهذا يدلك علي ان قوله
في ابليس لعنة الله وكان من الكافرين انه يخرج علي هذين الوجهين
اي كان في علم الله انه يكفر او صار من الكافرين كما ذكرهنا فكان من المغرقين
ولم يكن من المغرقين في الازل والله اعلم قوله تعالى وقيل يا
ارض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي قال بعضهم عاد كل ماء الي حيث
خرج منه ما ارسل من السماء عاد اليها وما خرج من الارض عاد
الي الارض وغاب فيها وقال بعضهم لا ولكن امسك السماء من ارساله
وامسكت الارض من نبعه وقيل في قوله يا ارض ابلعي ليس علي
القول بهم ذلك ولكن الله تعالى امسكها من ارساله وسعه ويكون امر تكوين
علي ما ذكرنا ويحتمل علي القول منه لهم بالطلب جعل فيهم ما يفهم به امر من
الحيوة وغيرها والله اعلم قوله تعالى وغيض الماء اي غار الماء في
الارض قوله تعالى وقضي الامر اي بهلاك قوم نوح قوله تعالى
واستوت اي استقرت علي الجودي وهو جبل وقوله تعالى وقيل
بعدا للقوم الظالمين اي هلاكا وقيل بعدا من رحمة الله قوله تعالى
ونادي نوح ربه فقال رب ان ابني من اهلي وان وعدك الحق وانت
احكم الحاكمين قال يا نوح انه ليس من اهلك هذا والله اعلم كان عند نوح
ان ابنه كان علي دينه لما لعله يظهر الموافقة له والا لا يحتمل ان يقول
ان ابني ويسال له نجاة وقد سبق منه النهي في سواله مثله حيث قال ولا
تخاطبني في الذين ظلموا انهم مغرقون ولا يحتمل ان يكون يعلم انه ليس علي
دينه ثم يسال له النجاة بعد ما نهيه عن المخاطبة في الذين ظلموا وقوله انه ليس
من اهلك اي في الباطن والسر والا خرج هذا القول مخرج التكذيب
لرسول الله لكن الوجه فيه ما ذكرنا انه كان في الظاهر عند نوح انه كان علي
دينه لما كان يظهر له الموافقه لا يعرف ما يضمر فسأله علي الظاهر الذي عنده
وكذلك اهل النفاق يظهرون الموافقة لرسول الله واصحابه ويضمرون
الخلاف له وكانوا لا يعرفون نفاقهم الا بعد اطلاع الله تعالى اياه واطلاعه

اياهم فعلي ذلك نوح كان لا يعرف ما يضمر ابنه لذلك خرج سواله فقال
تعالى انه ليس من اهلك الذي وعدت النجاة لهم وهم المومنون حقيقة
في السر والظاهر قوله تعالى انه عمل غير صالح روي عن رسول الله
صلي الله عليه وسلم انه كان يقرا عمل غير صالح بغير تنوين وعن ابن مسعود
رضي الله عنه انه قرا انه عمل غير صالح بالتنوين فمن قرا بالنصب عمل
غير صالح ومن قرا بالتنوين يكون معناه والله اعلم ان سوالك هذا عمل
غير صالح ويجوز ان يصرف كلا القراءتين الي ابنه اي انه عمل غير صالح وهو
عمل الكفر وعمل غير صالح اي الذي كان هو عليه عمل غير صالح والله اعلم
قوله تعالى وان وعدك الحق يحتمل وان وعدك باغراق الظلمة
حق ويحتمل ان وعدك بنجاة المومنين حق والله اعلم قوله تعالى
فلا تسالن ما ليس به علم يحتمل هذا نهيا عن سوال ما لم يوذن له من
بعد لان الانبياء عليهم السلام كانوا لا يسالون شيئا الا بعد الاذن لهم
في السوال وان كان يسع لهم السوال ويحتمل ان يكون عتابا لما سبق
والانبياء كانوا معاتبين في اشياء تحل لهم ذلك نحو قوله لرسوله
عفا الله عنك لم اذنت لهم حتي يتبين لك الذين صدقوا وكان منه
الامر بالقعود والنهي عن الخروج بقوله لن تخرجوا معي ابدا ونحوه
قوله تعالى اني اعظك ان تكون من الجاهلين هو كما نهي رسول الله
فلا تكونن من الجاهلين ولا تكونن من المشركين وامثاله وان كان يعلم
انه لا يكون من الجاهلين قوله تعالى قال رب اني اعوذ بك
ان اسالك ما ليس لي به علم اي اني اعوذ بك ان اعود الي سوال
لا علم بالاذن والسوال هذا يحتمل قوله تعالى والا تغفر لي
وترحمني اكن من الخاسرين اي ان لم ترحمني بالعصمة عن العود الي مثله
اكن من الخاسرين هذا يشبه ان يكون هو ما ذكرنا ان العصمة لا تمنع
عن الشي بل بالنهي يظهر العصمة ويحتمل ان يكون ذكر هذا لما لا يستوجبون
المغفرة والرحمة الا برحمة الله وفضله وهو علي ما روي عن رسول الله
صلي الله عليه وسلم انه قال لن يدخل الجنة احد الا برحمة الله قيل ولا انت
يا رسول الله قال ولا انا الا ان يتغمدني الله برحمته والله اعلم

وفي قوله والا تغفر لي وترحمني اكن من الخاسرين وهو طلب المغفرة
بالكناية وهو اكد وابلغ من قوله اللهم اغفر لي لان في قوله والا تغفر لي وترحمني
قطع رجاء المغفرة من غيره واخبار ان لا يملك احد ذلك وليس في قوله
اغفر لي قطع كون ذلك من غيره لذلك كان ابلغ من هذا وكذلك سؤال
آدم عليه السلام المغفرة بهذا الطريق حيث قال ربنا ظلمنا انفسنا وان
لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين هو سؤال بالكناية وهو ابلغ بالسؤال
والله الموفق قوله تعالى قيل يا نوح اهبط قال بعضهم اي انزل
واقم على المقام وامكث في المكان ليس على الهبوط من المكان المرتفع الى المكان
المنخفض وقوله تعالى بسلام منا وبركات عليك السلام هو ان يسلم من
الشرور والآفات والبركة هو نيل كل خير وبر على غير تبعة ثم هما في التحصيل
واحد لانه اذا سلم عن كل شر نال كل خير وبر واذا نال كل خير وبر سلم
عن كل شر وآفة فهما في الحقيقة واحد ولكن في العبارة مختلفان وهو نظير
البر والتقوى من العبد البر هو كسب كل خير والتقوى هو اتقاء كل
شر ومعصية هما في الحقيقة واحد وفي العبارة مختلفان لانه اذا اتقى كل
شر عمل كل خير وبر واذا عمل كل خيرا اتقى كل شر عمل كل خير وبر واذا
عمل كل خيرا اتقى كل شر وعلى ذلك يخرج الشكر والصبر الصبر هو كف النفس
عن كل مأثم والشكر هو استعمال النفس في كل طاعة هما ايضا في العبارة
مختلفان وفي الحقيقة واحد لانه اذا كف النفس عن كل مأثم فقد استعملها
في كل طاعة واذا استعملها في الطاعة كفها عن كل معصية ومأثم وعلى ذلك يخرج
الاسلام والايمان الاسلام هو تسليم النفس لله خالصا سالما لا يجعل لغيره
فيها حقا والايمان هو ان يصدق الله تعالى بالربوبية في نفسه وفي كل شيء وهما
في الحقيقة واحد وفي العبارة مختلفان لانه اذا جعل نفسه وكل شيء لله سالما
اقر بالربوبية له في نفسه وفي كل شيء واذا صدقه واقر له بالربوبية في نفسه
وكل شيء جعلها لله تعالى وكل شيء له هذه اشياء في العبادة مختلفة وفي التحصيل
واحد ثم قوله اهبط بسلام منا جائز ان يكون جواب قوله والا تغفر لي وترحمني
آمنه عما خاف وطلب منه المغفرة والرحمة والثاني السلام منه له هو الثناء الحسن
كقول جبريل عليه السلام سلام على نوح في العالمين وقوله وبركات عليك يحتمل

ان يكون جواب قوله رب انزلني منزلا مباركا والبركة اسم لكل خير لا انقطاع
له او اسم كل شيء لا تبعة عليه فيه قوله تعالى وعلى امم ممن معك اشرك
من معه من المؤمنين في ذلك السلام والبركات ثم اختلف فيه قال بعضهم
ذلك السلام وتلك البركات في الدنيا السلام ما سلموا من الغرق والبركات
ما نالوا في الدنيا من الخيرات والمنافع وعلى قول بعضهم السلام والبركات جميعا في
الآخرة والاشكال انه قال وعلى امم ممن معك ولم يكن مع نوح يومئذ امم انما
كان معه نفر لكنه اراد والله اعلم الامم التي كانوا من بعده كانه قال وعلى
امم يكونون بعدك على دينك ويكونون معك دينا فهذا يدل على ان دين الانبياء
والرسل جميعا دين واحد وان اختلفت شرائعهم لان تلك الامم لم يكونوا
بانفسهم مع نوح دلت انهم كانوا جميعا على دينه وهو واحد وعلى هذا يخرج
دعاؤه رب اغفر لي ولوالدي ولمن دخل بيتي مؤمنا وللمؤمنين والمؤمنات
دعا بالمغفرة لكل مؤمن ومؤمنة يكون بعده وكذلك يلحق على كل كافر دعاؤه
ولا تزد الظالمين الا تبارا قوله تعالى وامم سنمتعهم ثم يمسهم منا عذاب
اليم اخبر انه يمتعهم ثم يمسهم عذاب اليم ويمتع المؤمن ايضا في هذه الدنيا
بانواع المنافع ثم اخبر ان العاقبة للمتقين جعل العاقبة للمتقين بان ما
جعل لهم عذابا اليما وهذا لان الله تعالى جعل المؤمن والكافر مشتركين
في منافع الدنيا وبركاتها وجعل منافع الآخرة وبركاتها للمؤمنين خاصة بقوله
والعاقبة للمتقين وقوله قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات
من الرزق ثم قال قل هي للذين آمنوا في الحيوة الدنيا خالصة يوم القيامة والله اعلم
وقال بعض اهل التاويل في قوله اهبط بسلام منا من السفينة بسلامة
منا فسلمه الله ومن معه من المؤمنين من الغرق وبركات عليك وعلى امم ممن
معك يعني بالبركة انهم توالدوا وكثروا بعد ما خرجوا من السفينة وعن ابن
عباس رضي الله عنهما في قوله وبركات عليك وعلى امم ممن معك اي من سبق
له في علم الله البركات والسعادة من النبيين وغيرهم والله اعلم قوله تعالى
تلك من انباء الغيب نوحيها اليك يحتمل تلك اي قصة نوح من انباء الغيب غابت
عنك لم تشهدها ولم تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا فان كان المراد من قوله
تلك من انباء الغيب قصة نوح خاصة وانباؤه كان يحتمل ان يقول هذه من انباء الغيب

نوحيها اليك لان قوله تلك انما يستعمل في البعيد الذي لم يذكر وهو في ذكر
هذه القصة فيجي من حيث الكلام ان نقول هذه من انباء الغيب ولكن نقول
والله اعلم كانه على الاضمار اي هذه الانباء هي تلك الانباء التي ذكرت في كتبهم وان
كان المراد هذه وغيرها من الانباء يصير كانه قال هذه من تلك الانباء
ويحتمل ان يكون المراد بقوله من انباء الغيب اي القصص كلها قصة نوح
وغيره من انباء الغيب غابت عنكم لم تشهدها ولا تعلمها انت ولا قومك خص
قومه لان غيره من الاقوام قد كانوا اعرفوا تلك الانباء بكتبهم وفيه دلالة اثبات
رسالة محمد صلى الله عليه لانه اخبرهم على ما اخبر اولئك الذين عرفوا تلك الانباء بكتبهم
مع انهم عرفوا انه لم يختلف الى احد منهم ليعلم انه انما عرف ذلك بالله تعالى والله اعلم
قوله تعالى فاصبر يحتمل على تكذيبهم اياك وعلى اذاهم او اصبر على ما امرت
ونهيت او اصبر على ما اصبر اخوانك من قبل كقوله فاصبر كما صبر اولوا العزم
من الرسل قوله تعالى ان العاقبة للمتقين يشبه ان يكون قوله المتقين
الذين اتقوا الشرك ويمكن ان يكون المراد الذين اتقوا الشرك والمعاصي
كلها والاشبه ان يكون المراد منه اتقاء الشرك لانه ذكر بادء قوله وامم
سنمتعهم ثم يمسهم منا عذاب اليم فهو في العقد اشبه والله اعلم قوله تعالى
والى عاد اخاهم هودا هذا والله اعلم صلة قوله ولقد ارسلنا نوحا الى قومه
فنقول ولقد ارسلنا هودا الى عاد اخاهم ثم يحتمل قوله اخاهم وجهين من
حيث الجنس والنسب لان الاخوة على وجوه اخوة جنس يقال هذا اخو هذا
نحو مصراعي الباب وزوجي الخف وامثال ذلك واخوة في النسب واخوة
في الدين قال الله تعالى انما المومنون اخوة وهو لا يحتمل ان يكون اخا
لهم في الدين لاختلاف دينهم ولكن يحتمل انه اراد اخاهم في الجنس ويحتمل
في النسب ايضا لان الناس كلهم ينتسبون الى آدم عليه السلام فيقال
بنو آدم مع بعد ما بينه وبينهم فعلى ذلك يكون بعضهم اخوة لبعض مع
بعد النسب الذي بينهم والله اعلم قوله تعالى قال يا قوم اعبدوا الله
ما لكم من اله غيره اي ما لكم من اله غيره يستحق العبادة لان الذي تعبدونه
ليس باله على الحقيقة يستحق العبادة لان الذي تعبدونه ليس باله انما الاله
الذي يستحق العبادة الله الذي خلقكم وخلق لكم الاشياء التي تحتاجون اليها

وقوله تعالى ان انتم الا مفترون اي ما انتم الا مفترون لا يحتمل ان يكون
هود قال لهم هذا في اول ما دعاهم الى التوحيد وفي اول ما ردوا اجابته
وكذبوه لانه امر باللين القول لهم وتذكير النعم عليهم كقوله لموسى وهارون
حيث بعثهما الى فرعون فقولا له قولا لينا لعله يتذكر او يخشى ولكن كانه
قال لهم ذلك بعد ما سبق منه اليهم دعاء غير مرة واقام عليهم الحجج والبراهين
فردوها فعند ذلك قال لهم هذا حيث قالوا يا هود ما جئتنا ببينة الاية
ثم قوله ان انتم الا مفترون يحتمل وجوها يحتمل مفترون في تسميتهم
الاصنام التي عبدوها آلهة ويحتمل انتم مفترون فيما اضفتم الامر بالشرك
والفاحشة الى الله اي فقلتم الله امرنا بذلك فقال ان انتم الا مفترون في
ذلك ويحتمل ان انتم الا مفترون في انكاركم البعث او الرسالة وقوله
تعالى يا قوم لا اسالكم عليه اجرا ان اجري الا على الذي فطرني افلا تعقلون
قد ذكرنا في غير موضع اي لا اسالكم على ما ادعوكم اليه اجرا يمنعكم عن الاجابة
والنظر فيما ادعوكم وقوله افلا تعقلون اي رسول اليكم بالحجج والآيات
حيث بها افلا تعقلون انها آيات وحجج او افلا تعقلون ان الله واحد وانه
رب كل شيء وخالق كل شيء ومنشئه وقوله تعالى ويا قوم استغفروا
ربكم ثم توبوا اليه يحتمل ان يكون قوله استغفروا ربكم ثم توبوا اليه
واحدا ويحتمل على التقديم والتاخير توبوا اليه ثم استغفروا اما كان منكم
من المساوي او اقبلوا الى طاعة الله وتوبوا عن افعالكم ثم لا يحتمل ان يريد
هود بقوله استغفروا ان يقولوا استغفر الله ولكن امرهم ان يسالوا سبب
المغفرة وهو التوحيد كانه قال وحدوا ربكم وآمنوا به ثم توبوا اليه اذ هذا
امر اياهم بالانتهاء عن الكفر كقوله ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف والله اعلم
قوله تعالى يرسل السماء عليكم مدرارا ويزدكم قوة الى قوتكم قال
بعض اهل التاويل انه قد كان انقطع عنهم المطر وانقطع نسلهم فاخبر
انكم ان تبتم الى الله واستغفرتم ربكم يرسل السماء عليكم مدرارا ويزدكم
قوة الى قوتكم حتى تتناسلوا وتتوالدوا ويحتمل قوله ويزدكم قوة اي يزدكم
قوة افعالكم بالخيرات الى قوة ابدانكم لانهم كانوا اهل قوة وبطش كقوله وقالوا
من اشد منا قوة ويحتمل على الابتداء يرسل السماء عليكم مدرارا ويزدكم قوة

الى قوتكم وقوله ولا تتولوا مجرمين اي ولا تتولوا عما ادعوكم اليه
فتكونوا مجرمين قال ابو بكر المجرم الواثب في الاثم وقيل المجرم هو المكتسب
قوله تعالى يا هود ما جئتنا ببينة اي ما جئتنا ببينة على ما تدعونا
اليه او على ما تدعي من الرسالة فعند ذلك قال لهم هود ان انتم الا مفترون
وقوله وما نحن بتاركي الهتنا عن قولك اي بقولك كان لا يدعوهم
هود الى ترك عبادة الهتهم بمجرد القول خاصة ولكن قد دعاهم واقام
على ذلك الحجج والبراهين لكنهم قالوا ذلك متعنتين مكابرين قوله تعالى
وما نحن لك بمؤمنين اي بمصدقين فيما تدعونا اليه وتنهانا عن ان نعبد
ما يعبد آباؤنا وقوله ان نقول الا اعتراك بعض الهتنا بسوء قيل
كان هود عليه السلام يسب الهتهم ويذكرهم بالعيب فقولون انه يعتريك
بعض آلهتنا بسوء من خبل او جنون ولا نحب ان يصيبك منها فاجتنبها سالما
فذلك يخرج منهم مخرج الامتنان اي انا انما نهاك عن سب الهتنا وذكر العيب
فيها اشفاقا عليك لئلا يصيبك منها شيء كانوا يخوفونه ان يصيبه الهتهم
بسوء بتركه عبادتها على ما يرجون بعبادتهم اياها شفاعتها لهم والله اعلم
وقال ابن عباس رضي الله عنهما قالوا شتمت الهتنا فخبلتك واصابتك
بجنون معناه انك انما تدعونا الى ما تدعونا اليه وتدعي ما تدعي لما
اصابتك الهتنا بسوء واعترتك بجنون والله اعلم قال ابو عوسجة الاعتراء
الاخذ يقال اعترته الحمى اي اخذته وقال القتبي الاعتراء الاصابة
يقال اعتريت اي اصبت تقول الا اعتراك بعض الهتنا اي الا اصابك
بعض الهتنا بسوء قوله تعالى قال اني اشهد الله واشهدوا اني بريء
مما تشركون من دونه اي اني اشهد الله اني بريء مما تشركون به وتعبدونه
من الالهة واشهد وانتم ايضا اني بريء من ذلك وقوله فكيدوني جميعا ثم
لا تنظرون اي فكيدون جميعا انتم والهتكم فيما توعدوني من الهلاك او السوء
ثم لا تنظرون اي لا تمهلون في ذلك ويحتمل قوله فكيدون جميعا اي اعملوا
انتم والهتكم جميعا التي تزعمون انها خبلتني وجننتني ثم لا تنظرون
في ذلك ولا تمهلون وهذا من اشد آيات النبوة لانه يقول لهم ذلك
وهو بين اظهرهم وحيدا فلولا انه يقول لهم ذلك بقوة من الله والاعتماد عليه

والانتصار به والا ما اجترأ احد ان يقول هذا بين اعدائه علم انه
قال ذلك بالله تعالى وكذلك قال الله تعالى خبرا عن رسولنا حيث
قال بامره قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون فلا تنظرون وقول نوح ثم اقضوا
الي ولا تنظرون وقول شعيب يا قوم اعملوا على مكانتكم اني عامل الاية
وامثاله قالوا عليهم السلام بين اظهر الاعداء ولم يكن معهم انصار ولا اعوان
دل انهم انما قالوا ذلك بالله تعالى فيكون من آيات النبوة لهم وقوله اني توكلت
على الله ربي وربكم اي فوضت امري اليه او وكلت جميع عملي اليه او وثقت
به واعتمدت عليه فيما توعد وتنهى من الهلاك او توكلت عليه في دفع ما
اوعدتموني وقوله ربي وربكم اي كيف توعدوني بالهتكم التي تعبدون ولا
تخافون الذي تعلمون انه هو ربي وربكم وهو كما قال ابراهيم وكيف
اخاف ما اشركتم ولا تخافون انكم اشركتم بالله وقوله ما من دابة
الا هو آخذ بناصيتها قيل اي يميتها متى شاء وقيل اي ما من دابة
الا وهو في ملكه وسلطانه وتحت قدرته وتصرفه يقال فلان آخذ بحلقوم
فلان وفلان في قبضة فلان ليس انه في قبضته بنفسه ولكن يراد انه
في سلطانه وملكه وقوله ان ربي على صراط مستقيم اي على الدين الذي
امرني ربي ودعاني اليه ويحتمل ان ربي على صراط مستقيم اي ان الذي
امرني ربي ودعاني اليه هو صراط مستقيم كقوله ان ربك لبالمرصاد
قوله تعالى فان تولوا فقد ابلغتكم ما ارسلت به اليكم يحتمل على الاضمار
اي ان تولوا عن اجابتك وطاعتك فقل قد ابلغتكم خطاب وامكن ان
يكونا جميعا على الخطاب كانه يقول فان توليتم عن اجابتي فيما ادعوكم اليه
فقد ابلغتكم ما ارسلت به اليكم وليس علي الا التبليغ كقوله ما على الرسول
الا البلاغ وقوله ان عليك الا البلاغ يقول انما علي ابلاغ رسالته اليكم
ليس علي جرم توليكم عن اجابتي كقوله فان تولوا فانما عليه ما حمل وعليكم
ما حملتم ونحو ذلك والله اعلم قوله تعالى ويستخلف ربي قوما غيركم فيه
وجهان احدهما الخبر عن هلاكهم لانه اخبر انه يستخلف قوما غيركم وما لم
يهلك هؤلاء لا يكون غيرهم خلفهم وانما قال ذلك والله اعلم لانهم كانوا يقولون
من اشد منا قوة فيقول ان قوة ابدانكم وبطشكم لا يعجز الله عن اهلاككم

ووجه آخر فيه اخبار ان عادا ليس هم النهاية في العالم ويقوم بهم الساعة
بل يكون بعدهم غيرهم والله اعلم وقوله ولا تضرونه شيئا اي لا تضرونه
بتوليكم واعراضكم عن اجابته وردكم رسالة الله اليكم ليس كملوك الارض
اذا تولى عنهم خدمهم وحشمهم ضره ذلك والثاني لا تضرونه شيئا كما يضر
ملوك الارض بالقتال والحرب بعضهم بعضا والثالث لا تضرونه لانه
لا منفعة له فيما يدعوكم اليه حتى يضره ضد ذلك اذ ليس يدعوكم الى ما يدعو الحاجة
نفسه ولا المنفعة له انما يامركم ويدعوكم لحاجة انفسكم والمنفعة لكم ويحتمل ان
يكون ولا تضرونه شيئا جواب قوله فكيدوني جميعا الآية وقوله ان ربي
على كل شيء حفيظ اي لا يخفى عليه شيء وان لطف فكيف يخفى عليه اعمالكم واقوالكم
مع ظهورها وبدوها ويحتمل اي لا يذهب عنه شيء ولا يفوته فيجزيكم عليه
والله اعلم قوله تعالى ولما جاء امرنا نجينا هودا والذين آمنوا معه
برحمة منا اي امر تكوين وقوله جاء اي ظهر اثره الساعة وهو التكوين
لا نفس الامر فانه ازلي وهو كقوله انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له
كن فيكون فعلى ذلك هذا والمراد منه العذاب ثم هذا يدل ان من
نجى انما نجى برحمة الله لا بعمله وليس على ما يقوله المعتزلة ان من نجى انما
ينجو بعمله لا برحمته وفضله فتكون الآية حجة عليهم وعلى ذلك الحديث عن
رسول الله صلى الله عليه انه قال لا يدخل احد الجنة الا برحمة الله قيل ولا
انت يا رسول الله قال ولا انا الا ان يتغمدني الله برحمته ثم قوله برحمة منا
يحتمل وجوها احدها الرحمة ههنا يحتمل ان يراد بها هود اي رحمهم به
حيث بعث اليهم رسولا فنجى من اتبعه فان كانت تاويل هذا ففيه دليل على
ان اهل الفطرة معاقبون في حال فترتهم لانه اخبر ان من نجى انما نجى بهود
فدلت انهم معاقبون قبل بعث الرسل والله اعلم ويحتمل قوله برحمة منا
اي بتوفيق منا اياهم نجى من نجا منهم باتيان سبب النجاة وهو الايمان ويحتمل
برحمة منا اي بفضل منا لا بعملهم قوله تعالى ونجيناهم من عذاب
غليظ قال بعضهم اي نجيناهم من العذاب الذي اهلك هؤلاء ويحتمل ان يكون
على الوعد اي ننجيهم في الآخرة من عذاب غليظ والله اعلم قوله تعالى
وتلك عاد جحدوا بآيات ربهم وعصوا رسله اخبر انهم كفروا بآياته وعصوا

رسله اخبر انهم كفروا بآياته وعصوا رسله وهم من حيث الظاهر عصوا
رسولا واحدا وهو هود المبعوث اليهم ولكن الكفر بآيات الله كفر
بجميع الرسل وكذا الكفر بواحد من الرسل كفر بالرسل جميعا وبالله
لان كل واحد من الرسل يدعو الى الايمان بالله وبجميع الرسل والآيات
والكفر بواحد في هذا كفر بالله وبجميع الرسل وانما كان الكفر بآيات الله
كفرا بالله تعالى لان الله تعالى انما يعرف من جهة الآيات فيكون الكفر
بالآيات كفرا به والله الموفق قوله تعالى واتبعوا امر كل جبار
عنيد اخبر انهم اتبعوا امر الجبابرة واطاعوهم وتركوا اتباع الرسل وطاعتهم
الجبار قيل هو الذي يتجبر على الرسل ويتكبر عليهم لان الرؤساء منهم كانوا
يتجبرون على الرسل ويتكبرون ثم الاتباع الرؤساء في عملهم وقال ابو عوسجة
الجبار هو المتجبر والعنيد هو المعاند المخالف وقال القتبي العنود والعنيد
والمعاند المعارض لك بالخلاف عليك وقال ابو عبيدة العنيد والعنود والعاند
الجائر قوله تعالى واتبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيمة قال بعضهم
اللعن هو العذاب اي اتبعوا في الدنيا والآخرة بالعذاب كقوله الا لعنة الله
على الظالمين اي واتبعوا اي الحقوا وقيل ان اللعن هو الطرد طردوا عن رحمة الله
حتى لا ينالوها لا في الدنيا ولا في الآخرة قوله تعالى الا ان عادا كفروا ربهم
الا بعدا لعاد قوم هود اي الا بعدا لهم عن رحمة الله قوله تعالى والى
ثمود اخاهم صالحا وقد ذكرنا تاويل الاخوة قوله تعالى قال يا قوم اعبدوا الله
ما لكم من اله غيره ان الرسل اول ما دعوا قومهم انما دعوا الى توحيد الله
وجعل العبادة له لان غيره من العبادات انما يقوم بالتوحيد وكان اول دعائهم
قومهم الى التوحيد وجعل العبادة له وقوله هو انشاكم من الارض قيل اي
خلق اصلكم وانشاه من الارض وهو آدم فاضاف وانشانا الى ما انشا منه اصلنا
والله اعلم وهو كقوله هو الذي خلقكم من نفس واحدة اخبر ان الله خلقنا من نفس
آدم وان لم يكن انفسنا منه فعلى ذلك اضافة خلقه ايانا من الارض وان لم
يخلق انفسنا منها والله اعلم ويشبه ان يكون قوله هو انشاكم من الارض اي جعل
نشا الخلائق كلها ونماهم وحيوتهم وقوامهم من الارض وقوله واستعمركم فيها
قال بعضهم اي اسكنكم فيها وقال بعضهم استخلفكم فيها وقال بعضهم جعلكم

عُمّار الأرض تعمرونها بمعاشكم ومعادكم وقال بعضهم واستعمركم اي
جعل عمركم طويلاً وقوله فاستغفروه ثم توبوا اليه هكذا قد ذكرنا فيما تقدم
اي كونوا على حال يغفر لكم كانه قال انتهوا عن الكفر يغفر لكم وقوله ان
ربي قريب مجيب قريب بحفظ الخلائق اي قريب بمن انعم عليهم او قريب الى كل
من يفزع اليه وقوله مجيب اي مجيب لدعوة كل داع كقوله واذا سألك
عبادي عني فاني قريب اجيب دعوة الداع اذا دعان الآية قوله تعالى
قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا أتنهانا ان نعبد ما يعبد آباؤنا قال
بعضهم قد كنت فينا مرجوا اي كنت ترحم الضعفاء وتعود المرضى ونحو ذلك من الكلام
فالساعة صرت على خلاف ذلك وقال بعضهم كنت فينا مرجوا اي كنا نرجوا
ان ترجع الى ديننا قبل هذا الذي تدعونا اليه فالساعة صرت تشتم آلهتنا
وتذكرها بعيب أتنهانا ان نعبد ما يعبد آباؤنا اي ما كنا نعرف ان آباءنا عندك
سفهاء من قبل هذا فالساعة صيرت تسفه احلامهم في عبادتهم الاصنام ٥
وقوله وانا لفي شك مما تدعونا اليه مريب كانوا يذكرون هذا له احتجاجا
لهم عليه فيما دعاهم الى توحيد الله وعبادتهم اياه فقالوا انا على يقين ان آباءنا قد عبدوا
هذه الاصنام وانا على شك مما تدعونا اليه مريب اي يريبنا امرك ودعاؤك لنا
الى هذا الدين هذا ما قاله اهل التاويل في قوله قد كنت فينا مرجوا قبل هذا
ولكنا لا نعلم ما كانوا يرجون فيه وما المعنى الذي قالوا له قد كنت فينا مرجوا سوى
انا نعلم انه كان مرجوا فيهم بالعقل والدين والعلم والبصيرة ونحوها فكانوا يرجون
فيهم بهذه الاشياء ونحوها والله اعلم قوله تعالى قال يا قوم ارأيتم ان كنت
على بينة من ربي اي ان كنت على حجة وبرهان وبيان من رب فيما ادعوكم
الى توحيد الله وصرف العبادة اليه قوله وآتاني منه رحمة يحتمل اي آتاني
هدى ونبوة من عنده فمن ينصرني من الله اي من يمنعني من عذاب الله ان
عصيته ورجعت الى دينكم اي لا احد ينصرني لو اجبتكم الى ما تدعونني اليه
ثم الذي تدعوه اليه يحتمل ترك تبليغ الرسالة اليهم او دعوه الى عبادة الاصنام
التي عبدوها وقوله فما تزيدونني غير تخسير قيل فيه بوجوه قيل فما
تزيدونني بمجادلتكم اياي فيما تجادلونني الا خسرانا وقال بعضهم فما تزدادون
بمعصيتكم اياي الا خسرانا لا نفسكم وقال القتبي غير تخسير اي غير نقصان.

وقال ابو عوسجة هو من الخسران يقال اي الزمته الخسران وقوله
ويا قوم هذه ناقة الله لكم آية فقال لهم هذا حين سألوه منه الآية فقال
هذه ناقة الله لكم آية على صدق صالح فيما ادعى من الرسالة او هذه ناقة الله
لكم آية اي لكم آية التي سألتموها على الرسالة ثم قوله هذه ناقة الله اضاف
الناقة الى نفسه لخصوصية كان فيها نحن لا نعرف تلك ليست تلك الخصوصية
في غيرها من النوق لما جعلها آية لرسالته خارجة عما غابوا من النوق وشاهدوها
وهكذا كانت الرسل خارجة عن وسع البشر وطوقهم وعلى خلاف ما اعتادوا
ليعلم انها سماوية ثم لا نعرف آية خصوصية كانت لها اعظم جسمها وغلظ بدنها
حيث قسم الشرب بينهم وبينها حتى جعل يوما لها ويوما لهم بقوله لها شرب
ولكم شرب يوم معلوم او غير ذلك ولم يقسم مراعيها بينها وبينهم بقوله فذروها
تأكل في ارض الله واما ما قاله بعض الناس انها خرجت من صخرة كذا وانها كانت
تحلب في كل يوم كذا واشياء اخر ذكروها فانا لا نعرف ذلك ولا نقطع القول
في ذلك سوى انا نعرف ان لها كانت خصوصية ليست تلك الخصوصية لغيرها
من النوق ولو كان لنا الى تلك الخصوصية حاجة لبينها الله تعالى واصله
ما ذكرنا ان اضافة جزئية الاشياء الى الله لتعظيم تلك الجزئيات الاضافة اليه
واضافة كلية الاشياء اليه لبيان عظمة الله وجلاله وارادة التعظيم والتبجيل
له نحو قوله لله ملك السموات والارض وقوله وله كل شيء ونحو ذلك
والله الموفق قوله تعالى ولا تمسوها بسوء نهاهم ان يمسوها بسوء ولم يبين
ما ذلك السوء فيحتمل ان يكون ذلك شيئا عرفوه فنهاهم عن ذلك وقال
بعضهم لا تمسوها بسوء اي لا تعقلوها وقوله فيأخذكم عذاب قريب
هو قريب لما كان ذلك على اثر عقرهم الناقة بثلاثة ايام حيث قال فعقروها
فقال تمتعوا في داركم ثلاثة ايام ذلك وعد غير مكذوب وقيل قريب اي
سريع لا تمهلون حتى تعذبوا وما ذكران وجوههم اصفرت في اليوم
الاول ثم احمرت في الثاني ثم اسودت في الثالث ثم نزل بهم العذاب في اليوم
الرابع فذلك مما لا نعرفه قطعا والله اعلم وقوله ذلك وعد غير مكذوب
اي ليس فيه كذب وكان عذابهم انما نزل على اثر سؤال الآية سألوا ذلك
فلما اتاهم بها كذبوها فنزل بهم العذاب وهكذا السنة في الامم الماضية انهم

إذا سألوا الآية فجاءتهم فلم يؤمنوا فنزل بهم العذاب وهو قوله وما منعنا أن نرسل
بالآيات إلا أن كذب بها الأولون وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها الآية
والله أعلم قوله تعالى فلما جاء أمرنا أي جاء ما أمر به كما يقال جاء وعد
ربنا أي موعود ربنا لأن وعده وأمره لا يجيء ولأنه أزلي ولكن جاء ما أمر به ووعد
وهو العذاب وقيل جاء أمرنا أي وقت وقوع ما أمر به ووعد وهو العذاب
الذي دعوا به قوله تعالى نجينا صالحا والذين آمنوا معه برحمة منا قد تقدم
ذكره قوله تعالى ومن خزي يومئذ قيل الخزي العذاب الذي يفضحهم
وقيل كل عذاب خزي أي نجاهم من عذاب ذلك اليوم قوله تعالى
إن ربك هو القوي العزيز وقيل القوي هو الذي لا يعجزه شيء والعزيز هو الذي
يذل له من دونه وقيل القوي المنتقم المنتصر لأوليائه من أعدائه والعزيز هو
المنيع في ملكه وسلطانه والله الموفق قوله تعالى وأخذ الذين ظلموا الصيحة
قيل عذابهم كان صيحة صاح بهم جبريل عليه السلام وقيل الصيحة الصاعقة وقيل
كل عذاب هو صيحة لكن لا ندري كيف كان ويحتمل أن يكون عذابهم قدر صيحة
لسرعة وقوعه بهم ويحتمل سمي ذلك العذاب صيحة لما رأوا ما يصيحون
فيما بينهم والله أعلم قوله تعالى فأصبحوا في ديارهم جاثمين وههنا قال ديارهم
وذكر في سورة الأعراف دارهم والقصة واحدة وقال بعضهم دارهم قرارهم
وديارهم منازلهم ولكن هو واحد أصبحوا جاثمين في دارهم ومنازلهم ثم قوله
جاثمين قيل خامدين موتى وأصل قوله جاثمين أي منكبين على وجوههم
يقال جثم الطائر إذا انكب على وجهه مخافة الصيد والله أعلم قوله تعالى
كأن لم يغنوا فيها أي كأن لم يعيشوا فيها وقيل كأن لم يسكنوا فيها وقيل كأن لم يعمروا فيها
وهو واحد وأصله أنهم صاروا كأن لم يكونوا ولا الأخبار والآثار فإنهم وإن ماتت
أبدانهم وصارت كأن لم تكن ففي الذكر كأنهم أحياء يذكرون بعد موتهم والله أعلم
قوله تعالى ألا إن ثمود كفروا ربهم أي كفروا بآيات ربهم وذلك كفر بالله
قوله تعالى ألا بعدا لثمود أي من رحمة الله قوله تعالى ولقد جاءت رسلنا
إبرهيم بالبشرى اختلفوا في هذه البشارة قال بعضهم جاءوا ببشارة إسحاق وحافده
وهو قوله فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب وقال بعضهم جاءوا
ببشارة إهلاك قوم لوط وإنجاء لوط وأهله قيل إن لوطا عليه السلام كان ابن أخي

إبراهيم وكان فزع إلى الله تعالى لسوء عمل قومه وصنيعهم ودعا بالنجاة منهم
وهو قوله إني لعملكم من القالين رب نجني وأهلي مما يعملون حتى ذكر في بعض القصة
أن سارة قالت لإبرهيم ضم ابن أخيك إلى نفسك فإن قومه يعذبون كأنها عرفت
أنه يتركهم على ما هم عليه لسوء عملهم والله أعلم قوله تعالى قالوا سلاما قال سلام
هذا يدل على أن السلام هو سنة الأنبياء والرسل والملائكة عليهم السلام
في الدنيا والآخرة لم يخص هذه به بل كانت سنة الرسل الماضية والأمم السالفة
وكذلك هو تحية أهل الجنة بقوله سلام عليكم طبتم ونحوه ثم انتصاف قومه
سلاما وارتفاع الثاني سلام أما الانتصاف فلوقوع القول عليه حيث قال
قالوا سلاما كقولك قالت قولا وأما ارتفاع الثاني فعلى الحكاية لقوله سلام لأن
الحكاية تعرب على ما كان يقول الرجل رأيت زيدا يقال له من زيدا فعلى ذلك
قال إبراهيم جوابا للسلام الملائكة سلام عليكم ولو ذكر الأول على وجه الحكاية
كان جائزا ولو نصب الثاني لاعتبار وقوع الفعل عليه كان مستقيما والله أعلم
قوله تعالى فما لبث أن جاء بعجل حنيذ يحتمل وجهين أي ما لبث عندهم
حتى اشتغل بتقديم الشيء إليهم وبإقامة أسباب ذلك أي لم يلبث عندهم
في المؤانسة والحديث معهم على ما يفعل بالأضياف لا أن المراد به أنه لم
يلبث حتى جاء بعجل حنيذ أي بعجل حنيذ من غير لبث لأن في ذبح العجل
وشيه لبثا لا محالة إلا أن يكون العجل مشويا عنده فيأتي به من غير لبث
وهو التأويل الثاني فيحتمل الآية وجهين على اعتبار الحالين فإن كان العجل
مشويا عنده فما لبث ينصرف إلى إتيان العجل ولو لم يكن مشويا عنده ينصرف
إلى أنه لم يلبث عندهم حتى اشتغل بتهيئة أسباب الذبح والله أعلم وفي الآية
دلالة على أن الأدب في صاحب الضيافة إذا نزل به ضيف أن لا يشتغل
بالسؤال عن أحوالهم من أين إلى أين وما حاجتهم ولكن يشتغل بغداهم
وإن الله حاجتهم لأن إبرهيم عليه السلام اشتغل بقراهم ولم يشتغل بالسؤال
عن أحوالهم فإنه لو سأل عن أحوالهم أولا لعرف أنهم من الملائكة وقد
عرف أن الملائكة لا يأكلون شيئا من الطعام فلا يشتغل بغداهم فدل أن الأدب
هذا والله أعلم ثم اختلف الحنيذ قال بعضهم الحنيذ السمين الذي أنه
ذكر في موضع آخر فجاء بعجل سمين وقال بعضهم الحنيذ المشوي الذي يشتوى بالنار

وتسيل منه الناري قال ابن عباس رضي الله عنهما الحنيذ النضيج وقال بعضهم
الحنيذ المشوي الذي خد له في الارض خدا فيحمي فشوي بالحجر المحمي وقيل
هو الذي يلقي علي الجمر فشوي والله اعلم قوله تعالي فلما رآ ايديهم لا تصل
اليه نكرهم قال بعضهم نكرهم وانكرهم واستنكرهم واحد وهو من الانكار معناه
ان ابراهيم لم يعرفهم فظن انهم لصوص لان اللصوص من عادتهم انهم كانوا
اذا ارادوا السرقة من قوم لم يتناولوا من طعامهم ولم ياكلوا شيئا عندهم فهم اذا لم ياكلوا
مما قدم اليهم من العجل فظنهم لصوصا وقيل لما لم ياكلوا عنده الطعام نكرهم انهم من البشر
قوله تعالي واوجس منهم خيفة قيل اي اضمر منهم قال بعضهم خاف
لما ظن انهم سراق حيث لم يتناولوا شيئا مما قدم اليهم وقال بعضهم خيفة
اي وحشة اي اضمروا وحشة حيث لم يتناولوا شيئا مما قرب اليهم وصاحب الضيافة
تلحقه الوحشة بما يتناول الضيف الطعام وقال بعضهم ان منزل ابراهيم كان
نائيا من البلد لم ينزل به احد من البشر الا وقد احتاج الي البشر فلما لم يتناولوا
علم انهم ليسوا من البشر فما جاوا الا لامر عظيم لتعذيب قوم وهلاكهم فخاف لذلك
فعند ذلك قالوا له لا تخف فما اخبر عز وجل بقوله قالوا لا تخف انا ارسلنا الي
قوم لوط وقال في موضع آخر لا تخف وبشروه بغلام حليم وقال فما خطبكم ايها
المرسلون قالوا انا ارسلنا الي قوم مجرمين ذكر في هذه السورة انا ارسلنا الي قوم
لوط من غير ان ذكر سوال ابراهيم اياهم وذكر في تلك السورة ان ذلك علي اثر
السوال من ابراهيم بقوله فما خطبكم ايها المرسلون والمعني والله اعلم ان ذلك كان
علي اثر سوال ابراهيم لكن جمع ذلك في هذه السورة في الحكاية عن قولهم ولم
يذكر السوال وان كان مفصولا عنه وفي تلك السورة ذكر السوال والجواب فخرجت
الحكاية علي ما كان في الحقيقة وذلك مستقيم في كلام العرب شايع في الاستعمال
والله اعلم قوله تعالي وامراته قايمة قال بعضهم قايمة علي رووس الاضياف
لانها كانت عجوزة ولا باس للعجوز ذلك الا تري انه قال والقواعد من النساء
اللاتي لا يرجون نكاحا فليس عليهن جناح ان يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة
الاية وقال بعضهم قايمة من ورا الباب داخل البيت لكن لسنا ندري اي ذلك
كان وقوله تعالي فضحكت قال بعضهم ضحكت تعجبا من خوف ابراهيم انهم لصوص
وهم كانوا ثلاثة او اربعة دون عشر وكان خدم ابراهيم عليه السلام يبلغ عددهم

٤٦٧

ثلثماية نفر علي ما ذكر في القصة فضحكت تعجبا كيف خاف من نفر عدده دون عشر
وعنده من الخدم ما يبلغ عددهم ما ذكرنا والله اعلم وقال بعضهم ضحكت تعجبا
مما بشروها بالولد وقد بلغ سنها ما بلغ من الكبر وهو كذلك وقالت احق ان الد
وقد كبرت من السن كذا وقال بعضهم ضحكت اي حاضت من قولهم ضحكت
الارنب اذا حاضت غير مسموع ولا معروف وعلي تاويل من قال انها ضحكت تعجبا
مما بشرت بالولد فهو علي التقديم والتاخير كانه وبشرناها باسحاق ومن ورا
اسحاق يعقوب فضحكت وقال بعضهم ضحكت سرورا بالامن منهم لانها جميعا خافا
منهم قوله تعالي ومن ورا اسحاق يعقوب ظاهر هذا ايضا انها بشرت
باسحاق ومن ورا اسحاق يعقوب ولدا لها بعد اسحاق ولكن لم يكن يعقوب ولد من
ابراهيم انما ولد من اسحاق فيكون نافلة لها فتاويله فبشرناها باسحاق ومن ورا
اسحاق يعقوب نافلة وهو كما ذكر ووهبنا له اسحاق ويعقوب نافلة والله اعلم
قوله تعالي قالت يا ويلتا االد وانا عجوز وهذا بعلي شيخا ان هذا لشي عجيب
والاشكال انها كيف تتعجب من ذلك وهو في مقدور الله تعالي فنقول هي لم تتعجب
من قدرة الله اذ هي تعلم انه قادر علي ان يهب الولد في كل وقت ولكنها تعجبت لما
را العادة في النسا والرجال انهم اذا بلغوا المبلغ الذي كانا بلغاه لم يلدوا فتعجبها
انها تلد في الحال التي هما عليها او يردان الي حال الشباب فعند ذلك يولد لهما
وكلاهما عجيب بحيث الخروج علي خلاف العادة لا بحيث قدرة الله تعالي ثم قال في
هذه السورة وامراته قايمة فضحكت وقال في موضع آخر فاقبلت امراته في صرة
فصكت وجهها وانما يذكر الاقبال اذا لم تكن حاضرة فكيف وجه الجمع بين الاثنين
فنقول ان كان التاويل علي ما قالوا انها كانت قايمة ورا الباب داخل البيت
فيكون اقبالها خروجها اليهم اعني الاضياف وان كان التاويل انها قايمة علي رووسهم
فيكون معني الاقبال في صرف وجهها وصكها ليس ذلك علي القدوم لكن علي الاقبال
بفعل ما اخبر عنها من لطم الوجه اي اقدمت علي صك الوجه فاقبلت عليه والله اعلم
ونظير تعجبها سارة الولد ما ذكرنا من قول زكريا انا يكون لي ولد وقد بلغني الكبر وامراتي
عاقر وفي موضع آخر وقد بلغت من الكبر عتيا معناه اني يكون لي ولد في الحال التي انا
عليها او يرد الي الشباب فعلي ذلك قولها االد وانا عجوز وهذا بعلي شيخا ان هذا
لشي عجيب قوله تعالي قالوا اتعجبين من امر الله قال اهل التاويل اتعجبين

٤٦٨

من قدرة الله هذه الكنه لا يحتمل ان تعجب من قدرة الله ولكن تعجبها مما ذكرنا
من نقض العادة الجارية معناه لا تعجبين من امر الله هذا من نقض العادة الجارية
على طريق الآية وكثيرا ما رايت امثال ذلك في اهل بيتك وذلك قوله رحمة الله وبركاته
عليكم اهل البيت ويشبه ان يكون قوله رحمت الله وبركاته عليكم اهل البيت
صلة قوله قالوا سلاما لانه معلوم انهم لم يقولوا سلام فحسب حيث لم يزيدوا عليه
بل زادوا عليه فكانهم قالوا سلام عليكم ورحمت الله وبركاته اهل البيت ثم قوله اهل
البيت بالنصب يعني يا اهل البيت على حذف حرف النداء وهو كقوله عليه السلام
تركت بعدي الثقلين كتاب الله وعترتي اهل بيتي اي يا اهل بيتي قوله انه
حميد مجيد يحتمل الحميد الذي يقبل اليسير ويعطي الجزيل كالشكور والمجيد
من المجد والشرف وقيل الحميد المحمود والمجيد الماجد وهو الكريم والله اعلم
قوله تعالى فلما ذهب عن ابراهيم الروع قيل الروع هو الفرق والفزع الذي
دخل فيه لمجي الملائكة قوله تعالى وجاءته البشرى بالولد والحافد ونجاه لوط
واهله قوله تعالى يجادلنا في قوم لوط قال بعض اهل التاويل مجادلته
اياهم في قوم لوط ما ذكر في القصة انه قال لهما ارايتم ان كان فيهم من المومنين اتعذبونهم
قالوا لا ونحوه من الكلام ويحتمل مجادلته اياهم واستبقاء قوم لوط شفقة عليهم ورحمة
لعلهم يومنون ويقبلون ما يدعون لئلا ينزل بهم ما اوعد وايتشفع اليهم ليسالوا
ربهم ان يبقيهم والله اعلم فان ثبت هذا والا لا نعلم مجادلته اياهم وامكن ان يكون مجادلته
في دفع العذاب عنهم او تاخيره دليله قوله يا ابراهيم اعرض عن هذا انه قد جاء
امر ربك وانهم اتيهم عذاب غير مردود قوله تعالى ان ابراهيم لحليم اواه
منيب قيل الحليم هو الذي لا يكافي من ظلمه ولا يجازيه به ويحتمل اي حليم عن
سفه كل سفيه وقوله اواه قيل الاواه الموقن بلغة الحبش وقيل الاواه المتاوه
وهو الدعاء اي كثير الدعاء وقيل الاواه التقي الذي لا يفتر لسانه عن ذكره وقيل
الاواه الحزين فيما بينه وبين ربه وقوله منيب قيل المنيب المخلص لله وقيل
المقبل الى الله بقلبه وبدنه وقد ذكرنا هذا في سورة التوبة جمع في هذه
الاحرف جميع انواع الخير والطاعة ما كان فيما بينه وبين ربه وما كان بينه وبين
الخلق يذكر انه اواه حليم منيب قوله تعالى يا ابراهيم اعرض عن هذا يعني عن هذه
المجادلة التي كانت بينهم وقوله انه قد جاء امر ربك اي جاءنا امر ربك وجاء

موعود ربك قوله وانهم اتيهم عذاب غير مردود اي غير مدفوع لا يحتمل الرد
بالشفاعة ويحتمل يا ابراهيم اعرض عن هذا اي عن المجادلة لانه قد جاء امر
ربك بالانصراف والرجوع عنك ويحتمل جاء امر ربك بالذي امر بانزال العذاب بهم
قوله تعالى ولما جاءت رسلنا لوطا سيء بهم قيل اي ساءه مجيئهم ومكانهم
ويهمهم لصنيع قومه بالغرباء مخافة ان يلحقهم سوء من قبل قومه قوله تعالى
وضاق بهم ذرعا اي لم يدر كيف يصنع بهم وكيف يحتال ليدفع عنهم سوء قومه
والذرع قيل هو المقدرة والقوة ويحتمل قوله سيء بهم وضاق بهم ذرعا لذلك
وقوله تعالى هذا يوم عصيب قيل قطيع شديد لانه يوم يهتك الاستار
ويفضح الرجال وفيه دليل جواز الاجتهاد لانه قال يوم عصيب وبعد لم يظهر له
شدته بالوحي وانما قاله اجتهادا والله اعلم قوله تعالى وجاءه قومه يهرعون
اليه قال بعضهم يسرعون اليه وقال بعضهم يهرولون اليه والهرولة
سير بين السعي والمشي بين مشيين وقال بعضهم يهرعون اليه اي يروعون
اليه من الروع اي فزعين اليه والله اعلم قوله تعالى ومن قبل كانوا يعملون
السيئات هذا يحتمل وجهين احدهما اي من قبل ان يبعث لوط رسولا اليهم
كانوا يعملون السيئات والثاني يحتمل اي من قبل نزول الاضياف بلوط كانوا
يعملون السيئات والسيئات الشرك وغيره من الفواحش التي كانوا يرتكبونها
والله اعلم قوله تعالى قال يا قوم هؤلاء بناتي هن اطهر لكم قال بعضهم اراد
بنات قومه لان الانبياء كانوا كالاباء لاولاد قومهم ينتسبون اليهم الا ترى الى قوله
النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم وازواجه امهاتهم وفي حرف ابن مسعود رضي الله
عنه وازواجه امهاتهم وهو اب لهم سمي ازواجه امهاتهم والنبي اباهم فعلى ذلك
يحتمل قول لوط هؤلاء بناتي اراد بنات قومه ونسبهن الى نفسه لما ذكرنا ثم يحتمل
معنى جعل النبي لاولاد قومه كالاب وازواجه كالام وجهين احدهما نسبوا اليه
للشفقة هو اشفق بهم من الاب والام او بحق التربية وتعليم الدين كالاب لهم
فهو اولى بهم من انفسهم لهذين الوجهين والله اعلم وقال عامتهم اراد بنات
نفسه ثم اختلف في معناه قال بعضهم كان ذلك منه تعريضا لهم للنكاح اي
ان هؤلاء بناتي هن اطهر لكم نكاحا ان كنتم قابلين للايمان وقال بعضهم هو
تعريض منه لما هو زنا عندهم لا انه عرض كذلك عند نفسه وهذا كما يقولون

ان من اكره على ان يشتم محمدا صلى الله عليه وسلم فلا باس بان يشتم ويقصد
بشتمه محمدا آخر وان كان عنده المكره انه يشتم رسول الله بعد ان اخطر الشاتم
بقلبه غيره وكذلك اذا اكره على ان يشتم الاله فيقصد بالشتم شتم الهتهم وان
كان عندهم انه انما يشتم الهه الذي يعبده فعلى ذلك يحتمل قوم لوط هولاء بناتي
هن اطهر لكم تعريض بنا عندهم وان كان عنده ان ليس لذلك يقصد وقال
قايلون انما قال هذا ليهديهم قبح الفعل الذي قصدوا باضيافه لان الزنا كان عندهم
محرما فعرض عليهم بناته ليعرفوا قبح ذلك الفعل حيث احتمل قلبه في بناته
ولا يحتمل في اضيافه ليمتنعوا عن ذلك ويحتمل ان يكون قال ذلك وان كانا
حرامين لكن احدهما ايسر واهون ويجوز الجمع بين الشرين ويقال هذا خير
من ذاك اذا كان اهون وكذلك يجوز ان يجمع بين حرامين فيقال هذا احل واطهر
من هذا فالزنا وان كان حراما فذلك مما يحل بالنكاح وادبار الرجال مما لا يحل
بحال وقال بعضهم انهم كانوا يخطبون بناته وكان ابى ان يزوجهن منهم لما لم
يكونوا اكفاء لهن ثم عرض عليهم في ذلك الوقت ليعلموا قبح ذلك الفعل الذي قصدوا
باضيافه او كلام نحو هذا والله اعلم قوله تعالى فاتقوا الله ولا تخزون في
ضيفي وقال في موضع آخر ان هولاء ضيفي فلا تفضحون ليعلم ان الاخزاء
هو الفضيحة هذا يدل على ان الخزي هو الذي يفضح من نزل به وقوله
اليس منكم رجل رشيد على النهي فيمنعهم عما يريدون باضيافي وقال بعضهم ان
يزوج بعض بناته من يصدر عن رايه فيمنعهم عن اضيافه كانه يقول اليس
منكم من يرشد ويصدر عن رايه قوله تعالى قالوا لقد علمت ما لنا في
بناتك من حق قال عامة اهل التاويل من حق اي حاجة وانك لتعلم ما نريد
يعنون الاضياف ثم يحتمل الحق على التاويلين اللذين ذكرناهما لقوله هولاء بناتي
هن اطهر لكم وجهين احدهما حق النكاح والثاني حق الاستمتاع اي ليس في بناتك
من حق لا حق النكاح ولا حق الاستمتاع ويحتمل اي انك تعلم ان ليس في بناتك
من حق كما ليس لنا في ضيفك من حق فكيف تمنعنا عنهم وتعرض علينا بناتك
وهن مما ليس لنا فيهن من كا ولئك والله اعلم قوله تعالى قال لو ان لي
بكم قوة او آوي الى ركن شديد قيل الركن الشديد عند العرب العشيرة اي لو كان
لي قوة في نفسي او عشيرة يعينونني فيه لقاتلتكم فيه وفي قوله لو ان لي بكم قوة او آوي

الى ركن شديد دليل على انهم قد هموا لوطا واوعدوه حتى قال ما قال الا ترى
ان الملائكة قالوا له انهم لن يصلوا اليك والله اعلم قوله تعالى قالوا يا لوط
انا رسل ربك لن يصلوا اليك قيل قالوا ذلك للوط اعني قوله انا رسل
ربك لن يصلوا اليك لما طمسوا اعينهم وهو قوله ولقد راودوه عن ضيفه
فطمسنا اعينهم فذوقوا عذابي ونذر وقال قايلون قالوا ذلك لما او عدوا
لوطا حين طمست اعينهم ان ضيفك سحرة والابصار فاستعلم غدا ما تلقى انت
واهلك فقالوا عند ذلك لن يصلوا اليك بسوء غدا انهم يهلكون والله اعلم
قوله تعالى فاسر باهلك بقطع من الليل قيل قطع الليل آخره وهو
وقت السحر وقيل ثلث الليل او ربعه من آخره قوله ولا يلتفت احد
الا امراتك يحتمل النهي عن الالتفات كانه يقول لا يلتفت احد ويحتمل الخبر كانه
يقول ولا يلتفت منكم احد الا امراتك وهو وجهه وذلك علامة خلافها
له ثم قوله ولا يلتفت منكم احد الا امراتك قيل لا يتخلف احد منكم الا امراتك
فانها تتخلف ويصيبها ما اصاب اولئك وقال بعضهم لا يلتفت من الالتفات
والنظر وقيل لا يترك احد منكم منا بعتك الا امراتك فانها لا تتبعك فيصيبها
ما اصاب اولئك والله اعلم وقوله ان موعدهم الصبح اليس الصبح بقريب كان
لوطا عليه السلام استبطا الصبح لعذابهم فقالوا اليس الصبح بقريب وهذا
من لوط لا يحتمل ان يكون قال ذلك وهو بين اظهرهم ويعلم ان قراه يقلب
اعلاها واسفلها اعلاها ولكن انما قال ذلك والله اعلم بعد ما اخرجوه من
بين اظهرهم فعند ذلك قال ما قال واستبطا وقت نزول العذاب
بهم فقالوا عند ذلك اليس الصبح بقريب والله اعلم قوله تعالى فلما امرنا
جعلنا عاليها سافلها يحتمل اي جاء المراد بامرنا وامره هو جعله عاليها سافلها
وهو امر تكوين اي جاء وقت صيرورة قرى قوم لوط عاليها سافلها اذ التكوين
ازلي وانما المراد هو المكون الذي هو اثر التكوين السابق والله الموفق قيل
ادخل جبريل عليه السلام جناحه تحت قريات لوط فرفعها الى السماء ثم قلبها
فجعل ما هو اعلاها اسفلها فهوت الى الارض وذلك قوله والموتفكة
اهوى قيل اي اهوى بها جبريل من السماء الى الارض ويحتمل ان يكون
اذا اهلكهم جعلهم تحت الارض فذلك جعل اعلاها اسفلها لكن اهل التاويل

٤٦٩

جملوا ما ذكرنا واجمعوا عليه والله اعلم قوله تعالى وامطرنا عليهم
حجارة من سجيل قال بعضهم اي امطرنا بالحجارة على اهل تلك القريات
بعد ما جعلنا عاليها سافلها فيصيب كل واحد منهم حجارة من طين وقال
بعضهم قلبت القرى وجعلت اعلاها اسفلها وارسلت الحجارة على من كان
غايبا عن القريات فيكون على كل حجارة مكتوبا اسم صاحبها فتصيبه وتقتله
وقال بعضهم بان الحجارة تصيب الكل للغايب والحاضر جميعا والله اعلم
ثم قوله من سجيل قال بعضهم السجيل هو اسم المكان الذي منه رفع الحجر الذي
امطر وقال بعضهم هو طين مطبوخ كالاجر وعن ابن عباس رضي الله عنهما
قال   قوله تعالى منضود اي نضد الحجر بالطين والصق بعضه
بعضا قوله تعالى مسومة عند ربك اي معلمة مخططا بسواد وحمرة
في بياض من عند ربك اي جاءت من عندك ربك وقال بعضهم مسومة
مكتوب عليها اسم صاحبها قوله تعالى وما هي من الظالمين ببعيد قال
بعضهم وما هي من ظلمة قوم لوط ببعيد وقال بعضهم وما هي من ظالمي اهل
مكة وحواليها ببعيد اي عذاب الله ليس ببعيد منهم يعذبهم ان شاء في الدنيا
ويحتمل قوله وما هي من الظالمين ببعيد اي تلك القرى والامكنة التي
اهلك اهلها ليست ببعيدة من مشركي مكة وهو ما ذكر وانكم لتمرون عليهم
مصبحين وبالليل افلا تعقلون وفي هذه الاية تذكير منه على هذه الامة
حيث لم يجعل عذابهم عذاب استيصال لكن جعل عذابهم الجهاد بقتالون
حتى يسلموا ويعادوا للحق والله اعلم قوله تعالى والى مدين اخاهم
شعيبا اي والى مدين ارسلنا شعيبا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله
غيره هذا قد ذكرنا فيما تقدم ثم في قوله اخاهم شعيبا وما ذكر في غيره
من الاخوة دلالة على ان الرسل من قبل كانوا من البشر من جنسهم
لا من جنس الملايكة ومعلوم انهم لم يكونوا اخوة لهم في الدين فيكون المراد
الاخوة من حيث الجنس او النسب وفي الاية دلالة ايضا ان الاخوة
لا توجب فضيلة المواخاة له لانه ذكر ان الرسل اخوة لتلك الاقوام وهم
كفرة وذلك يرد قول الروافض في تفضيل علي على ابي بكر رضي الله عنهما
بالمواخاة التي كانت بين رسول الله وبين علي اذ المواخاة لا تدل على

الفضيلة

٤٧٠

الفضيلة فاما الخلة فانها توجب الفضيلة وقد جاء عنه عليه السلام انه
قال لو اتخذت سوى ربي خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا قوله تعالى
ولا تنقصوا المكيال والميزان ذكر انهم كانوا ينقصوا المكيال والميزان
لا يوفون الناس حقوقهم فنهاهم عن ذلك ثم معنى النهي وجهان احدهما
انما نهوا لحق الربوا لان النقصان اذا كان برضا من صاحبه يجوز وانما
لا يجوز مع الرضا اذا كان لحق الربوا والكيل والوزن من اموال الربا
فدلت ان الربوا كان حراما في شريعة من قبلنا والثاني النهي
يرجع الى التصرف في المبيع قبل القبض وذلك منهي مع البايع وغيره
لان الذي انتقص من حقه برضاه يكون هبة المبيع من البايع قبل
قبضه مع قيام البيع بينهما فدل ان التصرف والتقلب في المبيع قبل القبض
منهي مع البايع وغيره والله اعلم قوله تعالى اني اريكم بخير اي في سعة
المال وقيل في رخص من السعر وانما يحمل المرء على النقصان
والظلم على آخر عند عزة الشي وضيق الحال فكيف تنقصون انتم
في حال السعة ورخص السعر ويحتمل اي اني اريكم بخير في غير
هذا اي مقدمين على السخاوة والاعطاء فلا تظلموا الناس في هذا
ولا تمنعوا حقوقهم قوله تعالى واني اخاف عليكم عذاب يوم محيط
هذا احتمل وجهين احدهما ان يكون الاحاطة مضافة الى اليوم
معناه اخاف عليكم عذاب يوم محيط بالناس اجمع وهو صفة يوم
القيمة فانه هو اليوم المحيط بجميع الخلايق ويحتمل ان يكون الاحاطة
مضافة الى العذاب اي يحيط العذاب بهم في ذلك اليوم حتى لم يبق
جارحة من الكافر ظاهرة وباطنة الا وقد يحيط بها العذاب ويصيبها
لكنه اضيف الى اليوم لان العذاب يحيط بهم فيه كقوله والنهار مبصرا
اي يبصر فيه فيصير تقدير الاية واني اخاف عليكم عذابا يوم يحيط
فيه العذاب بكم فعلى التاويل الاول فاليوم يحيط بالكافرين والمومنين
جميعا وعلى الثاني فهو محيط بالكفرة خاصة لان العذاب يحيط بالكفرة
فيه لا غير والله اعلم قوله تعالى ويا قوم اوفوا المكيال والميزان
بالقسط ولا تبخسوا الناس اشياءهم خص المكيال والميزان والله اعلم

لما كانوا يطففون المكيال وينقصون الميزان رغبة فيهما وفيهما يجري الربوا لما ذكرنا ثم النهي اياهم بتخصيص المكيال والميزان لا يدل على انه لم يكن فيهم من المآثم والاجرام سوى ذلك لكن انما خص هذا لما كان الظاهر فيهم نقصان الكيل والوزن وهو الغالب من اجرامهم وهو كما خص قوم لوط بقوله اتاتون الذكران من العالمين وقال انكم لتاتون الفاحشة ما سبقكم بها من احد من العالمين ليس فيه انهم لم يكونوا ياتون من الفواحش غيرها لكن خص هذا لانه الظاهر والغالب منهم فعلى ذلك هذا والله اعلم وفي قوله ولا تبخسوا الناس اشياءهم دلالة ان المشتري يملك المبيع قبل ان يقبضه لانه قال ولا تبخسوا الناس اشياءهم ولو كان لا يملك بنفس الشرا لم يكن اشيا الناس انما كان اشيا البايع فانما نقص ما لهلا مال الناس والله اعلم قوله ولا تعثوا في الارض مفسدين وهو كما ذكر في موضع آخر ولا تفسدوا في الارض بعد اصلاحها وقوله بقيت الله خير لكم ان كنتم مؤمنين قال بعضهم اي ما ابقي لكم من ثوابه في الآخرة خير لكم ان امنتم به واطعتموه مما تجمعون من الاموال وقال بعضهم بقيت الله خير لكم اي ما جعل الله لكم مما احل خير لكم مما حرم عليكم من نقصان الكيل والوزن ان كنتم مؤمنين بالحلال والحرام او بالآخرة وقال بعضهم طاعة الله فيما امركم به ويدعوكم اليه خير مما تعملون وقال الحسن رزق الله خير لكم من بخسكم الناس حقوقهم وهذا يرجع الى ما ذكرنا وقوله وما انا عليكم بحفيظ اي لست اشهد بياعاتكم حتى اعلم بخسكم الناس المكيال والميزان لكن انما اعرف ذلك بالله وفيه دلالة اثبات رسالته ويحتمل وما انا عليكم بحفيظ اي بمسلط عليكم انما ابلغ اليكم قوله تعالى قالوا يا شعيب اصلواتك يامرك ان نترك ما يعبد آباونا او ان نفعل في اموالنا ما نشآء ويقرا اصلوتك قال بعض اهل التاويل اصلوتك اي قرآنك تامرك هذا وقال ابن عباس رضي الله عنهما قالوا له ذلك لان شعيبا كان يكثر الصلاة كانه يخرج على الاضمار يقولون اصلواتك تامرك ان تامرنا بترك عبادة ما عبدا اباونا ثم قوله اصلوتك وصلواتك يحتمل ان يكون له صلوات معروفة يفعلها فيقولون اصلوتك التي تفعلها تامرك ان نترك كذا او صلاة واحدة تكثرها تامرك ان نترك كذا

وتخصيص الصلاة بالذكر من بين غيرها من الطاعات لما لعلها كانت من اظهر طاعاته عندهم فقالوا له هذا اما لا يدل على نفي غيرها من الطاعات عنه فيبطل قول من يقول بان التخصيص بالذكر يدل على نفي ما عداه ثم يحتمل ما قالوا وجهين احدهما كانهم قالوا اصلوتك تامرك ان نترك ما يعبد آباونا او ان نفعل في اموالنا ما نشآء على التسفية له والتجهيل لمن يوبخ آخر او يسفهه يقول اعلمك يامرك بذلك او دينك وايمانك يامرك بهذا وهو كقوله قل بيس ما يامركم به ايمانكم ونحو ذلك من الكلام يخرج على التسفيه والتجهيل للمخاطب والثاني ان قالوا ذلك على سبيل الانكار يقول الرجل لآخر ايمانك يامرك بذاك او علمك يامرك بهذا على الانكار اي لا يامرك بذلك فعلى ذلك قوله اصلوتك تامرك بهذا اي لا تامرك بذلك هذا اذا كانت الصلاة التي ذكروها مرضية عندهم حتى يستقيم ذلك منهم على الانكار ان الصلاة لا تامر بهذا وان لم تكن مرضية عندهم فالتاويل هو الاول انهم قالوا ذلك على الاستهزآء والله اعلم ثم قوله اصلوتك تامرك ان نترك ما يعبد آباونا يدلت على انه حبب اليهم تقليد آبايهم في عبادة الاصنام واتباعهم اياهم والاموال التي كانت لهم فيمنعهم هذان عن النظر في الحجج والايات لحبهم تقليد الابآء والاموال وهكذا جميع الكفرة انما منعهم عن النظر في آيات الله والتامل في حججه واتباع رسله احد الوجوه التي ذكرنا اما تقليد الابآء وحب اللذات والميل الى الشهوات ودوام الرياسات ظنوا انهم لو اتبعوا الرسل واجابوهم الى ما دعوهم اليه لذهب عنهم ذلك والله اعلم وقوله او ان نفعل في اموالنا ما نشآء يحتمل قضآء جميع الشهوات ويحتمل ما ذكر من نقصان المكيال والميزان يقولون اموالنا لنا ليس لاحد فيها حق نفعل فيها ما نشآء وقال بعضهم او ان نفعل الالف صلة وتقديره ان نفعل في اموالنا ما نشآء وقوله انك لانت الحليم الرشيد قال اهل التاويل قالوا له ذلك استهزآء به وسخرية كنوا بالحليم عن السفيه وبالرشيد عن الضال او انت السفيه حيث سفهت آباءنا في عبادة الاصنام وانت الضال حيث تركت ملتهم ومذهبهم وقال بعضهم قالوا ذلك على النفي والانكار اي ما انت الحليم الرشيد ويشبه ان يكون على حقيقة الوصف له بالحلم والرشد

لأنهم لم يأخذوا عليه كذبا قط ولا داروه علي خلاف ولا علي سفاهة قط فقالوا انك لانت الحكيم الرشيد اي كنت هكذا فكيف تركت ذلك بادعايك الرسالة ومنعنا عن دين الاباء او امتناعك عنه وهو كما قالت قوم صالح لصالح يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا اتنهينا ما نعبد ما يعبد اباونا من قبل قوله تعالي قال يا قوم ارايتم ان كنت علي بينة من ربي ورزقني منه رزقا حسنا يحتمل هذا منه ما قالت اوليك الانبياء واتاني رحمة من عنده فكان كما ذكرنا في قوله واتاني منه رحمة وقوله ورزقني منه رزقا حسنا يحتمل انه رزقني الدين والهدي والنبوة ويحتمل ان يكون الرزق الحسن هو الاموال الحلال الطيبة التي لا تبعة عليها فقال ذلك وما رزق اوليك الكفرة عليهم تبعة في ذلك لانهم اكتسبوها من غير وجه الحل قوله وما اريد ان اخالفكم الي ما انهيكم عنه من الناس من قال انما قال لهم شعيب هذا بازا ما قالوا له علي ما ذكر في سورة الاعراف لنخرجنك يا شعيب والذين امنوا معك من قريتنا او لتعودن في ملتنا يقول ادعوكم الي الايمان بالله والتوحيد له وانهيكم عن الكفر به ثم ارتكب ما انهيكم عنه واترك ما ادعوكم اليه وقال قتادة لم اكن لانهيكم عن امر وارتكبه وهو واحد ويحتمل اي وما اريد فيما انهيكم عنه ان اظهر لكم المخالفة فيه انما اريد بذلك الاصلاح والنفع لكم فليس المراد عين المخالفة انما المراد ان يصل النفع اليكم بقبول ما ادعوكم اليه وذلك قوله ان اريد الا الاصلاح ما استطعت اي ما اريد الا الاصلاح ما دمتم مستطيعا وفي الاية دلالة علي ان الاستطاعة تكون مع الفعل لانه لا يخلو اما ان اراد استطاعة الارادة او استطاعة الفعل وكيف ما كان فقد اخبر انه يريد لهم من الصلاح ما استطاع وهو ينقض قول المعتزلة لانهم يقولون ان الاستطاعة تتقدم الفعل وهي لا تبقي وقتين فاذا علي قولهم كانه اراد لهم الصلاح في حال ما لا يستطيع وانه خلاف ظاهر الاية والله الموفق قوله تعالي وما توفيقي الا بالله قال بعضهم التوفيق هو صفة كل مطيع والخذلان هو صفة كل عاص وقال بعضهم التوفيق هو ما يوفق في الطاعة بين قوله وفعله والخذلان ما يفرق في المعصية بين قوله وفعله معناه ان كل مومن معتقد اتيان ما امر به بقلبه ويلتزمه بلسانه وكذلك الاجتناب عما نهي عنه فما يرزقه من اللطف الذي به يحقق قوله بفعله ويجمع بينهما ويوفي ما امر به فهو التوفيق وفي المعصية منع عنه ذلك اللطف بين قوله وفعله ولا يحقق قوله بفعله وقال الحسين النجار

التوفيق هو قدرة كل خير وطاعة والخذلان هو قدرة كل شر ومعصية وعنده التوفيق هو ان يوفق بين عمل الخير والاستطاعة والخذلان هو ان يفرق بين عمل الخير والاستطاعة او يقول هو ان يفرق بين عمل الشر والاستطاعة وهما واحد قوله تعالي عليه توكلت واليه انيب اي عليه اعتمدت في جميع اموري واليه ارجع او يقول اليه اقبل بالطاعة قوله تعالي ويا قوم لا يجرمنكم شقاقي ان يصيبكم مثل ما اصاب قوم نوح او قوم هود او قوم صالح اي مثل ما اصاب قوم نوح بالغرق وقوم هود بالريح الصرصر وقوم صالح بالصيحة علي ما ذكر وقوله تعالي لا يجرمنكم شقاقي قال بعضهم لا يحملنكم شقاقي قيل خلافي ان يصيبكم مثل ما اصاب اوليك وقيل لا يكسبنكم واصل الجرم الكسب والاثم وقال الحسن شقاقي ضراري ولكن كله يرجع الي معني واحد لانه اذا ثبت العداوة ثبت المخالفة والبغض والضرر ثم يخرج انذاره اياهم ممن هلك من الامم علي وجهين احدهما ان قوم شعيب قوم لا يومنون بالبعث والقيامة فانذرهم بمن هلك من الامم السالفة لانه لو كان ينذرهم بالبعث لكان ان يجمع منهم لانهم لا يومنون به والثاني انذرهم باوليك لانهم كانوا يقلدون اباءهم في عبادة الاصنام ويتبعونهم فيقول انكم تقلدون اباءكم في عبادة الاصنام والاوثان فاتبعوهم ايضا فيما بلغوا اليكم من هلاك اوليك بعبادتهم الاوثان وتكذيبهم الرسل فاذا قلدتموهم في ذلك فهلا تقلدونهم فيما اصابهم والله اعلم او انكم تقلدون اباءكم الذين عبدوا الاوثان وكذا تفعلوا فهلا تقلدون من لم يعبدها منهم وكان قد عرفتم ان من هلك منهم ثم هلك ومن نجا منهم ثم نجا والله اعلم وقوله وما قوم لوط منكم ببعيد اي نسيتم من مضي منهم فلا تنسوا ما نزل بقوم لوط وهم ليسوا ببعيد منكم قوله تعالي واستغفروا ربكم ثم توبوا اليه اي اطلبوا من ربكم المغفرة ثم توبوا اليه اي ارجعوا اليه رجوعا لا تعودوا الي مثل صنيعكم ابدا قوله تعالي ان ربي غفور ودود رحيم من تاب اليه اي اطلبوا السبب الذي يقع لكم المغفرة من ربكم وهو التوحيد وقوله ودود يحتمل الوجهين احدهما اي حق ان يود اذ منه كل شي وكل احسان والناس جبلوا علي حب من احسن اليهم والثاني ودود لمن توسل اليه وتقرب قوله تعالي قالوا يا شعيب ما نفقه كثيرا مما تقول يحتمل ما نفهم وما نعقل كثيرا مما تقول كانما يقولون ذلك علي الاستهزاء كانهم نسبوه الي الجنون

يقولون لا نفقه مما تقول لان كلامك كلام المجانين وهذه هي كانت عادة القوم انهم كانوا
ينسبون الرسل الى الجنون ويحتمل ما نفقه ما نقبل كثيرا مما تقولون فان كان
على الفهم فهو كقوله خبرا عنهم لو كنا نسمع او نعقل ما كنا في اصحاب السعير وهم كانوا
فريقين فريق كانوا يقولون ان قلوبنا اوعية للعلم فان كان تقول حقا نفهم ونعقل
كما نعقل غيره وفريق كانوا يقولون قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وفي آذاننا وقر كانوا
يقولون انهم لا يفقهون لان قلوبهم في اكنة وفي آذانهم وقر والفريق الاول يقولون
ان قلوبنا اوعية للعلم فلو كان حقا ما تقول لكنا نعقل كما عقلنا غيره فهؤلاء كانوا يصرفون
العيب الى الرسول واولئك الى انفسهم فعلى ذلك قوم شعيب يحتمل ان يكونوا كذلك
والله اعلم قوله تعالى وانا لنراك فينا ضعيفا يحتمل هذا وجهين احدهما اي انك
لست من كبرائنا واجلتنا انما انت من اوساطنا فعلى ذلك الانبياء انما بعثوا من اوساط
الناس لا من كبرائهم في امر الدنيا فالقوي والعزيز عند اولئك القوم من عنده الدنيا
والمال واما من لم يكن عنده المال فهو عندهم ضعيف ذليل لانهم لا يعرفون الدين ولا
يؤمنون بالآخرة لذلك قالوا ما قالوا والله اعلم والثاني اي لست انت بذي قوة
وبطش في نفسك وقد ذكر في القصة انه كان ضعيفا في بصره ونفسه فيحتمل وصفه
بالضعف لهذين الوجهين والله اعلم قوله تعالى ولولا رهطك لرجمناك
اي قبيلتك وقبيل عشيرتك والرجم يحتمل القتل ويحتمل الشتم واللعن ثم قوله
ولولا رهطك لرجمناك يحتمل وجهين احدهما اي لولا حرمة رهطك والا لرجمناك
كانوا كانهم يحترمون رهطه لموافقة رهطه اياهم في عبادة الاصنام وما هم عليه
والثاني اي لولا الخوف من رهطك لرجمناك لما ذكر انه كان كثير العشيرة والقبيلة
وكانوا يخافون عشيرته فلم يؤذوه والله اعلم قوله تعالى وما انت علينا
بعزيز اي ما انت من اجلتنا وكبرائنا انما انت من اوساطنا ويحتمل وما انت علينا
بعزيز لان العزيز عندهم من كان عنده المال والدنيا لا يعرفون العز في غير
ذلك ويحتمل وما انت علينا بعزيز اي انت ذليل عندنا لست بعزيز فيكون صلة
قوله وانا لنراك فينا ضعيفا والله اعلم قوله تعالى يا قوم ارهطي اعز عليكم من الله
هذا يحتمل على وجهين احدهما يحتمل يا قوم ارهطي اعظم عليكم من الله واكثر حرمة
حتى تركتم ما اوعدتموني من النقمة لحقهم وحرمتهم ولا يمنعكم حرمة الله حيث اوعدتموني
بها والله اعلم والثاني اي ارهطي اشد خوفا عليكم واكبر نكاية من الله تعالى وهذا

لما ذكرنا ان قوله ولولا رهطك لرجمناك انه يخرج على وجهين احدهما على الاحترام
لرهطه لموافقتهم اياهم في جميع ما هم عليه والمساعدة لهم والثاني على الخوف
والنكاية لقوتهم وكثرتهم وفضل بطشهم تركوا ما اوعدوا له خوفا من رهطه
فقال خوفكم من رهطي اشد عليكم واكثر من الخوف من الله وقد بلغكم من نكاية الله
ونقمته فيما حل بالامم الماضية او حرمة رهطي عندكم وحقهم اعظم من حق الله
وحرمته وقد تعلمون احسانه اليكم وانعامه عليكم والله اعلم قوله تعالى
واتخذتموه وراءكم ظهريا قال بعضهم حملتموه على ظهوركم وحملهم اياه على ظهورهم
استخفافهم اياه تقول العرب فلان حمل الناس على ظهره اي استخفهم على نفسه
ولكن لا ندري ايقال هذا ام لا فان قيل فهو محتمل وهو قول ابي بكر الاصم
وقال غيره من اهل التاويل اي نبذتم الله وراء ظهوركم وهذا على التمثيل اي
جعلوا امر الله ودينه الذي دعوا اليه كالمنبوذ وراء ظهوره لا ينظرون اليه ولا
يكترثون وهو ما ذكر في قوله نكص على عقبيه وقوله انقلبتم على اعقابكم على
التمثيل اي الذي انتم عليه في القبح كالانقلاب على الاعقاب قوله تعالى ان
ربي بما تعملون محيط يخرج على وجهين احدهما اي ربي بما تعملون من الاعمال الخبيثة
محيط فيجزيكم بها او يقول ان ربي بما تعملون من الكيد برسول الله والمكر به محيط
فينصره عليكم وقوله ويا قومي اعملوا على مكانتكم اني عامل هذا يخرج على وجهين
احدهما اي كونوا على دينكم الذي انتم عليه وانا اكون على ديني الذي انا عليه لابي سعيد
قالوا لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا او لتعودن في ملتنا فقال
لهم عند ذلك وهذا ايضا يقال عند الاياس عن ايمانهم والثاني قوله اعملوا على مكانتكم
اني عامل اي اعملوا في كيدي والمكر بي هلاكي اني عامل ذلك بكم قوله تعالى سوف
تعلمون اي ستعلمون في العاقبة خرج على الوعيد وقوله من ياتيه عذاب يخزيه اي
سوف تعلمون في العاقبة من ياتي عذاب يخزيه نحن ام انتم وقوله تعالى ومن هو
كاذب وتعلمون في العاقبة من الكاذب منا لان كل واحد من الفريقين يدعي على
الفريق الآخر الكذب والافتراء على الله فيقول سوف تعلمون في العاقبة من الكاذب
منا والمفتري على الله والصادق عليه قوله تعالى وارتقبوا اني معكم رقيب اي
ارتقبوا هلاكي فاني ارتقب هلاككم اي ارتقبوا العاقبة منا فاني معكم رقيب والله اعلم
قوله تعالى ولما جاء امرنا نجينا شعيبا والذين آمنوا برحمة منا واخذت الذين

ظلموا الصيحة اي هلكوا بالصيحة صيحة جبريل وقال بعضهم الصيحة اسم كل عذاب وكذلك
الرجفة سمي العذاب باسماء مختلفة مرة صاعقة ومرة صيحة ومرة رجفة
قوله تعالى فاصبحوا في ديارهم جاثمين كان لم يغنوا فيها قد ذكرنا فيما تقدم
قوله تعالى الا بعدا لمدين كما بعدت ثمود هذا ايضا قد ذكرنا وقال بعض اهل
التاويل الا بعدا لمدين في الهلاك كما بعدت ثمود كما هلكت ثمود لان كل واحد منها هلك
بالصيحة فمن ثم اختص ذكر ثمود من بين الامم وقيل في قوله الا بعدا لمدين اي
الا بعدا لمدين من رحمة الله كما بعدت ثمود من رحمة الله وعن ابن عباس رضي الله
عنهما قال لم يعذب بعذاب واحد الا قوم شعيب وصالح فاما قوم صالح اخذتهم الصيحة
من تحتهم وقوم شعيب من فوقهم قال نشات لهم سحابة فيها عذابهم فلم يعلموا الهيئة
الظلة فيها ريح فلما راوها اتوها يستظلون تحتها من حر الشمس فسال عليهم
العذاب من فوقهم وذلك قوله فاخذهم عذاب يوم الظلة الاية والله اعلم
قوله تعالى ولقد ارسلنا موسى باياتنا وسلطان مبين يحتمل قوله باياتنا
وسلطان واحد على التكرار وهي الحجج ويحتمل ان يكون الايات هي الاوامر والنواهي
وما يؤتى وما يتقي وقوله وسلطان مبين الحجج والبراهين والله اعلم قوله تعالى
الى فرعون وملايه قد ذكرنا ان الملا اسم لشيئين اسم الجماعة واسم الاشراف
وهو كان مبعوثا الى الاشراف من قومه والى العامة ايضا لكن خص بعثه الى فرعون
وملايه وان كان مبعوثا الى الكل لما العرف في الملوك انهم انما يخاطبون الكبراء منهم
والاشراف وان كان المقصود من الخطاب الكل قوله تعالى فاتبعوا امر فرعون
وما امر فرعون برشيد قال بعضهم هو ما ذكر في حم المومن حيث قال لهم ما
اريكم الا ما ارى وما اهديكم الا سبيل الرشاد فاطاعوا فرعون في قوله يقول الله
وما امر فرعون برشيد اي بهدي ولكن عندنا انهم اطاعوا فرعون جميع
امره ونهيه في عبادة الاصنام وغيرها وهو ما ذكر فاستخف قومه فاطاعوه
ويحتمل ما الامر الذي ما عليه فرعون برشيد بل هو ضلال اي امره ليس بمرشد
ويهدي بل كان امره ضلالا حيث كان هو مضلا ضالا قوله تعالى يقدم
قومه يوم القيمة قال بعضهم اي صار قدامهم وقال بعضهم يقدم قومه اي يقود
قومه الى النار حتى يوردهم النار ويحتمل يقدم قومه اي يكون اماما لهم في الاخرة
يتبعون اثره كما كان امامهم في الدنيا فاتبعوه كقوله يوم ندعوا كل اناس بامامهم

وقال وجعلناهم ايمة يدعون الى النار اخبر انهم يكونون ايمة لهم في الاخرة
ويشبه ان يكون قوله فاوردهم اي دعاهم في الدنيا وامرهم بامور توردهم
النار تلك الاعمال وهو كقوله فما اصبرهم على النار اي ما اصبرهم على عمل
اهل النار وقال بعضهم يتبعونه حتى يدخلهم النار والله اعلم قوله تعالى
وبيس الورد المورود قال بعضهم بيس المدخل والورد الدخول والمورود
المدخول سمي الجزاء باسم سببه قال ابن عباس رضي الله عنهما ما ذكر في
القران من الورد فهو دخول منه قوله بيس الورد المورود وقوله وان
منكم الا واردها وقوله وانتم لها واردون وقوله ونسوق المجرمين الى جهنم
وردا فقال والله ليردنها كل بر وفاجر ثم ينجي الذين اتقوا الاية قوله تعالى
واتبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيمة يحتمل اللعنة في الدنيا العذاب الذي
نزل بهم ويحتمل لعن الخلايق حيث يلعنهم من ذكرهم وفي الاخرة يحتمل وجهين
ايضا احدهما اي يعذبون في الاخرة كما عذبوا في الدنيا والثاني يحتمل لعن
الخلايق ايضا من راهم يلعنهم في الاخرة واللعن هو الطرد في اللغة اي طردوا
عن رحمة الله ولم يرحموا في عذاب الدنيا ولا يرحمون في عذاب الاخرة والله اعلم
قوله تعالى بيس الرفد المرفود عن ابن عباس رضي الله عنهما يقول
لعنة الدنيا والاخرة وقال قتادة اي ترادفت عليهم لعنتان من الله لعنة الدنيا
ولعنة الاخرة ولكن على زعمه يجي ان يقال المرفد من الترادف وقال القتبي
الرفد العطية والعون والمرفود والمعطي يقال رفدته اذا اعطيته واعنته كانه
يقول بيس العطاء المعطي وكذلك قال ابو عوسجة بيس ما اعطوا واعينوا
وبيس المعطي والله اعلم قوله تعالى ذلك من انباء القرى نقصه عليك
منها قايم وحصيد قوله ذلك من انباء القرى ذلك ما سبق من ذكر القرى
والقرون في هذه السورة من انباء الغيب نقصه عليك لتعلم بها رسالتك
وتكون اية لنبوتك لانك لم تشاهدها ولا اختلفت الى احد منهم فتعلمت منهم وكانت
الكتب بلسانك فيقولوا نظرت فيها فاخذت ذلك منها ثم انبات على ما كان وقصصت
عليهم لتعلم انك انما عرفتها بالله تعالى وقوله منها قايم وحصيد قال بعض اهل
التاويل اي ان تلك القرى منها قايم يرى مكانها وتنظر اليها ومنها حصيد لا يرى
لها اثر ولا مكانا وقال بعضهم قايم اي خاوية على عروشها وحصيد مستاصلة

وعن الحسن قال منها قائم وما حصد الله اكثر اي وما اهلك الله من القرى اكثر
واصله عندنا منها قائم مثل قرى عاد وثمود ومدين اهلك اهلها وبقيت القرى
لاهل الاسلام لانه يقول في قرى عاد فاصبحوا لا يرى الا مساكنهم ومنها حصيد
ما اهلك اهلها والقرى جميعا نحو قوم نوح وقوم لوط اهلكوا ببنيانهم فذلك تاويل
قوله منها حصيد فيه وجوه ثلاثة احدها انه الرسالة على ما ذكرنا والثاني وهو ما
ذكر في آخره ان في ذلك لآية لمن خاف عذاب الآخرة اي عبرة والثالث زجر
لاهل الشرك والكفر لانهم يذكرون ما نزل باوليك فينزجرون عن صنيعهم والله اعلم
قوله تعالى وما ظلمناهم ولكن ظلموا انفسهم وفي قوله ظلمناهم وجهان احدهما
اي لم نظلمهم لانهم وبنيانهم ملك الله وكل ذي ملك له ان يهلك ملكه ولا يوصف بالظلم
من اتلف ملكه وهم ظلموا انفسهم اذ انفسهم ليست لهم وكذلك بنيانهم ومن اتلف
ملك غيره فهو ظالم والثاني ان الظلم هو وضع الشيء في غير موضعه يقول وما ظلمناهم
بالعذاب اذ هم يستوجبون ذلك بما ارتكبوا فلم نضع العذاب في غير موضعه بل هم الذين
وضعوا انفسهم في غير موضعها حيث صرفوها الى غير مالكها عبدوا غيره فهو ظلم
هذا التاويل في انفسهم واما البنيان فانه انما جعلها لهم فاذا اهلكوا انما جعل
لهم انما ابقى لهم ما داموا فاما اذا بادوهم فلا معنى لابقاء البنيان لاجلهم وما ذكر من ظلمهم
انفسهم يحتمل وجوها احدها ظلموا انفسهم بعبادتهم غير الله والثاني بصرفهم الناس
وصدهم عن عبادة الله وتوحيده الى عبادة غير الله والثالث بسؤالهم العذاب
قوله تعالى فما اغنت عنهم الهتهم التي يدعون من دون الله من شيء لما جاء امر ربك
في هذا وجهان احدهما ما اغنت عنهم عبادة الهتهم التي عبدوها من دون الله لما
جاء امر ربك اي عذاب ربك كقولهم ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى اخبر
ان عبادتهم الاصنام لم تنفعهم المنفعة التي طمعوا والثاني فما اغنت عنهم انفس الهتهم
في دفع العذاب عنهم في احوج حال اليها لعجزهم وضعفهم في انفسهم لقولهم
هؤلاء شفعاؤنا عند الله فاذا لم يملكوا ذلك في وقت الحاجة فكيف يملكون في غيره
من الحال والله اعلم قوله تعالى وما زادوهم غير تتبيب واختلف في التتبيب
قال عامة اهل التاويل هو التخسير وقال ابو عوسجة اي غير فساد والتتبيب
الفساد وكذلك قوله وما كيد فرعون الا في تباب اي فساد وقال غيره الا
في خسار وقال غيره في تخسير وكذلك قالوا في قوله تبت يدا ابي لهب وتب

اي خسرت وقال ابو عبيدة غير تتبيب اي غير تدمير واهلاك وكذلك في قوله
تبت يدا ابي لهب وتب وكذلك قالوا في قول الناس تبا لك وقال بعضهم غير تتبيب
غير شر والتتبيب والتب الشر والخسران وبعضه قريب من بعض وقوله
تعالى وكذلك اخذ ربك اذا اخذ القرى اي هكذا اخذ كفار هذه الامة كما اخذ
اوليك وكما عذب الامم الخالية والله اعلم قوله تعالى وهي ظالمة اي مشركة
كافرة اي كذلك يعذب هذه الامة لكن اخر عن هذه الامة رحمة منه عليهم والله اعلم
قوله تعالى ان اخذه اليم شديد اي ان اخذه بالعذاب شديد لان الاخذ
نفسه يوصف بالشدة ولكن لا يوصف بالالم لكن العذاب يوصف بالالم يقال عذاب
اليم فلما وصف الاخذ بالالم والشدة فدلت ان المراد من الاخذ اخذ عذاب
اي اخذه للعذاب شديد وعذابه اليم والله اعلم قوله تعالى ان في ذلك
لآية لمن خاف عذاب الآخرة اي في ذلك عبرة لاهل التقوى على ما تقدم ذكره
قوله تعالى ذلك يوم مجموع له الناس خص الناس بالذكر وان كان الجمع لهم
ولغيرهم من الجن والشياطين والحيوانات كلها قال تعالى واذا الوحوش
حشرت وانما كان لوجهين احدهما لانه ذكر عقيب قوله ان في ذلك لآية لمن
خاف عذاب الآخرة والآية التي ذكر تكون للناس والثاني ان الناس هم المقصودون
بالجمع وبذلك اليوم والله اعلم وقيل الجمع فيه الاولون والآخرون قوله
تعالى وذلك يوم مشهود قال بعضهم اي يشهده اهل السماء واهل الارض للعرض
والحساب والله اعلم قوله تعالى وما نؤخره الا لاجل معدود اي ما يؤخر العذاب
عن هذه الامة الا لاجل معدود وذكر هذا والله اعلم جواب ما استعجلوا من العذاب
بقولهم اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء
او ائتنا بعذاب اليم ونحوه فقال وما نؤخره الا لاجل معدود اي الا لوقت موقوت
ثم قوله الا لاجل معدود اي معدود عند الله ولو كان ما روي عن ابن عباس
رضي الله عنهما انه سبعة الاف فيكون اجلا معدودا عند الناس ويكون وقت
القيامة معلوما لهم وقد اخبر تعالى انه لا يجليها لوقتها الا هو والله الموفق قوله تعالى
يوم يات لا تكلم نفس الا باذنه اي لا تكلم نفس بالشفاعة لاحد الا باذنه كقوله لا يشفعون
الا لمن ارتضى ويحتمل اي لا تكلم نفس لاهوال ذلك اليوم ولفزعهم منه كقوله مهطعين
مقنعي رؤوسهم لا يرتد اليهم طرفهم وافئدتهم هواء وقوله لا يتكلمون الا من اذن

له الرحمن الآية والله اعلم قوله تعالى فمنهم شقي وسعيد اي فمنهم شقي باعمالهم
الخبيثة التي اذا اختارها وعملها ادخلته النار ومنهم سعيد بما اكرم من الطاعات
والخيرات التي اذا عملها واختارها ادخلته الجنة كل عمل يعمل فيدخله الجنة
فهو سعيد به وكل عمل يعمل فيدخله النار فهو شقي به وروي في ذلك خبر عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم روي عن عمر رضي الله عنه انه قال لما نزلت هذه الآية فمنهم
شقي وسعيد سالت رسول الله صلى الله عليه فقلت يا نبي الله فعلى من نعمل على شيء
قد فرغ منه او شيء لم يفرغ منه قال بل على شيء قد فرض منه وجرت به الاقلام
يا عمر لكن كل ميسر لما خلق له فان ثبت هذا فهو دليل لما ذكرنا والله اعلم
قوله تعالى فاما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق قال
بعضهم الزفير هو كزفير الحمار في الصدر وهو اول ما ينهق والشهيق هو
كشهيق الحمار في الحلق وهو آخر ما يفرغ من نهيقه وقال بعضهم الزفير ما لا
يفهم منه شيء انما هو كالانين والجزع من شيء يصيبه لا يتبين منه والشهيق ما
يرتفع منه الصوت ويحتمل ما ذكر من الزفير والشهيق انهم يصيرون بعد كثرة
دعائهم وندائهم حتى يكون من كل واحد منهم الزفير والشهيق لا يفهم منه كصوت
الدواب اذا اصابها الم قوله تعالى خالدين فيها ما دامت السموات والارض
عن الحسن قال في قوله ما دامت السموات والارض تبدل سماء غير هذه السماء
وارض غير هذه الارض لان الله تعالى اخبر ان هذه تنشق وتطوي وتبدل
بقوله يوم تشقق السماء بالغمام وقوله يوم نطوي السماء وقوله يوم تبدل الارض
غير الارض ونحو ذلك فكان المراد خالدين فيها ما دامت تلك السماء والارض وهي
باقية لا تفنى ابدا فكذا يكون عذاب الكفرة على الابد وقال بعضهم اي يدوم لهم
العذاب على الابد كما دامت السماء والارض لاهل الدنيا ما داموا فيها لانهما انما تفنيان
بعد فناء اهلهما وبعد احياء الاهل والبعث فاخبر ان العذاب يدوم لهم كما يدوم
لاهل الدنيا السماء والارض والله اعلم وقال بعضهم خالدين فيها ما دامت السموات
والارض اي ما دامت سماء الجنة وارضها وسماء النار وارضها لكن ذكر هذا لئلا
يتوهم اهل الجنة الهلاك قبل هلاك سمائها وارضها على ما يتوهم هلاك اهل الدنيا
قبل هلاك سمائها وارضها والله اعلم وقال بعضهم خالدين فيها ما دامت السموات
والارض اي ما دامت السماء سماء والارض ارضا يتكلمون على ما بعد عن اوهامهم

فناؤه ويريدون الابد فخرج هذا على عادة العرب لارادة الابد ويحتمل
قوله ما دامت السموات والارض خرج على الصلة لقوله خالدين فيها
وقد يتكلم بمثل هذا على الصلة يقول الرجل لآخر لا اكلمك ما دام الليل والنهار
اي ابدا والله اعلم قوله تعالى الا ما شاء ربك قال بعضهم ان ناسا
من اهل التوحيد يعذبون في النار على قدر ذنوبهم وخطاياهم ثم يخرجون
منها ويصير تقدير الآية كانه قال فاما الذين شقوا ففي النار الا ما شاء ربك فانهم
لم يشقوا شقاء من يخلد في النار فلا يخلدون فاما الذين سعدوا ففي الجنة الا ما
شاء ربك فانهم لم ينالوا من السعادة ما نال اهل الجنة الذين لم يدخلوا النار
فلا يدخلون الجنة قبل دخول النار فلا يكون للمسلم العاصي الذي دخل النار
خلود في النار حيث يخرج منه ولا يكون له ايضا خلود في الجنة بمقابلة من لم
يدخل النار لانه لم يدخل الجنة من الابتداء فهو معنى الاستثناء في الخلود والله اعلم
وقد روى صاحب هذا التاويل آثارا روي عن ابي سعيد الخدري وعن ابي هريرة
رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الاستثناء في الآيتين كلتيهما
لاهل الجنة ومعناه ما ذكرنا انه لم يكن خلود في حق المسلم الذي دخل النار حيث
يخرج من النار ويدخل الجنة ولا يكون دخول الجنة في الوقت الذي دخله الذي
لا ذنب له فلا يكون في مقابلة ذلك دوام خلود وقد روي في بعضها انه قال
اما من يريد الله اخراجه منها فانهم يموتون فيها اماتة وقال في خبر آخر اما من يريد الله
به الخلود فلا يخرجون منها وامثال هذا من الاخبار فان ثبتت الاخبار فهذا هو
المعتمد وقال بعضهم الا ما شاء ربك اي قد شاء ربك لاهل النار الابد والخلود
وشاء لاهل الجنة عطاء غير مجذوذ واصل هذا ما ذكر ابو عبيد قال الاستثناء
الذي هو في اهل السعادة هو المشكل لانه يقال كيف يستثني وقد وعدهم خلود
الابد في الجنة وقال في ذلك اقوالا لا ادري الى من يسندها الا ان لها مخارج
في كلام العرب وشواهد الاثار وانما تكلم الناس في هذا على معاني العربية
والله اعلم بما اراد من الوجوه ولا نقطع على واحد منها بكونه مراد الله تعالى فاحد
هذه الوجوه في الاستثناء فيما يقال كالرجل يوجب على نفسه الشيء ليفعلنه
او يعد عدة ثم يقول ان شاء الله وعزمه صحيح مع استثنائه انه فاعل لا يريد غيره
ومما يقوي هذا المذهب قوله تعالى لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين

استثني وقد علم الله تعالى انهم ذا اخلوه البته ومنه قوله تعالى لنبيه ولا تقولن
لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله والوعد من النبي واجب ومنه
ما روي في حديث مكة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ولا تحل لقطتها
الا لمنشد قيل انه استثنى المنشد واللقطة لا تحل كما لا تحل لغيره والوجه
الثاني ان يكون الا بمعنى سوى وغير فان العرب تفعل ذلك تقول لي عليك
الف درهم من قبل كذا وكذا الا الالف التي قبل ذلك اي سوى الالف التي قبل
ذلك وغيرها فيكون المعنى على هذا انه وعدهم خلود الابد سوى ما اعد
لهم من الزيادة في الكرامة والمنزلة التي لم يذكرها لهم ومما يقوي هذا التاويل
ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال قال الله تعالى اعددت لعبادي
الصالحين ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر بله ما اطلعتهم
عليه ثم قرا فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين افلا ترى ان ههنا من الزيادة
ما لم يطلعهم عليه والوجه الثالث ان يكون استثنى من خلودهم في الجنة احتباسهم
عنها ما بين البعث والحساب وقد قيل ما بين البعث والموت وهو البرزخ الذي
ذكر الى ان يصيروا الى الجنة ثم هو خلود الابد فلم يغيبوا من الجنة الا قدر اقامتهم
للحساب ومما يقوي هذا التاويل قوله تعالى ومن ورائهم برزخ الى يوم
يبعثون قيل ما بين الموت والبعث والله اعلم ثم اختلف القراء في قراءة
قوله فاما الذين سعدوا فقراه حمزة والكسائي بضم السين سعدوا واما
ابو عمرو واهل المدينة وغيرهم من القراء فقروا بفتح السين سعدوا وعلى
قياس سعدوا قال ابو عوسجة لا اعرف سعدوا بالضم السين انما اعرف بالفتح
قوله تعالى فلا تك في مرية مما يعبد هولاء ما يعبدون الا كما يعبد اباوهم
من قبل تاويله والله اعلم لا تكن يا محمد في شك بان هولاء قد بلغوا في عبادتهم
الاصنام الحد الذي بلغ اباؤهم في عبادة الاصنام ثم هم اهلكوا اذا بلغوا ذلك الحد
فهولاء ايضا قد بلغوا ذلك المبلغ اي مبلغ الهلاك لكن الله عز وجل برحمته وفضله
اخر عنهم الى وقت والله اعلم ويحتمل ان يقال ان هولاء قد بلغوا في عبادة
غير الله بعد نزول القران والحجة المبلغ الذي كان بلغ اباؤهم قبل نزول الحجة
والبرهان في عبادة غير الله ويحتمل انه كان في قوم قد اظهروا الموافقة لهم فكانوا
يعبدون الاصنام في السر على ما يعبد اباؤهم فقال هولاء وان اظهروا الموافقة

لك فقد بلغوا الصنيع في السر مبلغ ابائهم وهذا يحتمل وجهين احدهما اخبار
عن قوم خاص انه لا يؤمن احد منهم ليجعل شغله بغيرهم والثاني اخبار ان
لا يؤمن من جميع قومك كما لم يؤمن قوم موسى باجمعهم بل قد امن منهم فريق
ولم يؤمن فريق فعلى ذلك يكون قومك والله اعلم قوله تعالى وانا لموفوهم
نصيبهم غير منقوص ان كان التاويل في قوله فلا تك في مرية مما يعبد هولاء
في الاياس من قوم علم الله انهم لا يؤمنون فيكون تاويله ما ذكر في اية اخرى من
كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها نوف اليهم اعمالهم وان كان الثاني فالتاويل
ما ذكر في اية اخرى من كان يريد حرث الاخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد
حرث الدنيا نؤته منها وما له في الاخرة من نصيب مكان المعنى على التاويل الاول
وانا لموفوهم نصيبهم غير منقوص اي نوفيهم نصيبهم في الدنيا من الارزاق وما قدر
لهم من النعيم غير منقوص لا ينقص ما قدر لهم اي لا يهلكون حتى يوفيهم
الرزق وقال قايلون وانا لموفوهم باعمالهم غير منقوص اي لا ينقصون
من اعمالهم شيئا ولا يزادون عليها ان كان حسنا فحسن وان كان سوءا
فسوء على الجزاء وقيل اي انما نوفر حظهم من العذاب في الاخرة غير منقوص
عنهم ذلك العذاب والله اعلم قوله تعالى ولقد اتينا موسى الكتاب
فاختلف فيه اي اتينا موسى التورية فاختلف فيها والاختلاف يحتمل وجوها
ثلاثة احدها الاختلاف في الايمان بالكتاب والكفر به منهم من امن به ومنهم
من كفر والثاني اختلفوا في الزيادة والنقصان فيه والتبديل والتحريف كقوله
وان منهم لفريقا يلوون السنتهم بالكتاب الاية وقوله فويل للذين يكتبون الكتاب
بايديهم ثم يقولون هذا من عند الله وقوله يحرفون الكلم عن مواضعه وامثاله
من الايات والوجه الثالث اختلفوا في تاويله ومعناه بعد ما امنوا به وقبلوه
والاختلاف في التاويل مما احتمله كتابنا فاما التبديل والتحريف والزيادة والنقصان
فانه لا يحتمل لان الله تعالى ضمن حفظ هذا الكلام بقوله انا نحن نزلنا الذكر
وانا له لحافظون وقال لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه الاية وجعله
ميسرا على السن الناس وقلوبهم حتى من زاد او نقص او بدل او حرف شيئا
او قدم او اخر عرف ذلك والله اعلم لما لم يحتمل احكام هذا نسخها ولا شرايعه
تبديلها واما الكتب السالفة انما جعل حفظها اليهم بقوله بما استحفظوا من

كتاب الله وهو والله اعلم لما احتمل سنن آيها نسخها وتبديلها لذلك كان الامر
علي ما قلنا والله اعلم ثم قوله ولقد آتينا موسي الكتاب ذكر هذا لرسول الله
تصبيراً له علي ما اختلف قومه في الكتاب الذي أنزل عليه تقول وقد اختلف
فيما أنزل علي من قبلك كما اختلف فيما انزل عليك والله اعلم قوله تعالي
ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم يحتمل الكلمة التي ذكرانها سبقت في
قوم موسي وهي انه لا يهلكم بعد الغرق اهلاك استيصال واستيعاب
والتورية انما أنزلت من بعد وقد آمن من قومه قوم وهو ما قال الله تعالي
ومن قوم موسي أمة يهدون بالحق ويحتمل قوله ولولا كلمة سبقت من ربك
اي لولا ما سبق من حكمه ان ختم الرسالة بمحمد وان جعله من خاتم النبيين
وامته آخر الامم بهم تقوم الساعة والا لقضي بينهم بالهلاك اهلاك استيصال
واستيعاب والله اعلم ويحتمل وجها آخر وهو ان كان من حكم الله وسننه انهم إذا
اختلفوا في الكتاب والدين وصاروا بحيث لا يهتدون الي شيء ولا يجدون سبيلاً
الي الدين ويندرس آثار الشريعة التي كانت ان يبعث رسولاً آخر يبين لهم
الدين ويدعوهم الي الهدي الي قيام الساعة لولا هذا الحكم الذي سبق والا لقضي
بينهم بالهلاك والله اعلم ويحتمل لولا سبق من حكمه ان يوخر العذاب عن هذه
الامة الي وقت والا لقضي بينهم بالهلاك والله اعلم قوله تعالي وانهم لفي شك
منه مريب يحتمل لفي شك منه في الدين مريب وقال بعضهم لفي شك منه
يعني بالعذاب مريب وقد ذكرنا الفرق بين الشك والريب فيما تقدم قوله تعالي
وان كلا لما ليوفينهم ربك اعمالهم قرئ لما مخففا وقرئ مشدداً فمن قرأ مخففا
قيل لما ههنا صلة فيكون معناه وان كلا ليوفينهم ربك جزاء اعمالهم في الآخرة
ان كان شراً فشر وان كان حسنا فحسن وقال الفراء جعل ما اسما للناس
يعني من كما قال تعالي فانكحوا ما طاب لكم من النساء ثم جعل اللام التي فيها جوابا
لان جعل اللام التي في قوله ليوفينهم لام دخلت علي نية القسم فيما بينها وبين
صلتها كقوله وان منكم لمن ليبطئن وان معناه وان منكم لمن والله ليبطئن فعلي
ذلك معناه ههنا وان كلا لمن والله ليوفينهم اي وان كل الناس والله ليوفينهم
ربك اعمالهم واما القراءة بالتشديد اختلف فيه قال الفراء اراد والله اعلم
وان كلا لما ليوفينهم اصله لمن ما فاجتمعت الميمات الثلاث حذفت واحدة فبقيت

ثنتان وأدغمت واحدة في الاخري كما قال الشاعر واني لما اصدر الامر
وجهه اذا هو اعيا بالسبيل مصادره وعن الفراء ايضا وجه آخر ان لما
بمعني الا وهي لغة هذلية قال الله تعالي ان كل نفس لما عليها حافظ معناه
ان كل نفس الا عليها حافظ وكذا حكي عن سيبويه وجميع البصريين ان لما بمعني
الا فمعناه ههنا وان كلا الا ليوفينهم ربك اعمالهم وذكر الكسائي عن العرب انه
كان يقول لما بمعني وان كلا جميعا ليوفينهم كقوله وتاكلون التراث اكلا
لما وفي حرف ابن مسعود رضي الله عنه وان كل الا ليوفينهم ربك اعمالهم والله اعلم
قوله تعالي انه بما يعملون خبير هو وعيد قوله تعالي فاستقم كما امرت
ومن تاب معك وقال في موضع آخر فلذلك فادع واستقم كما امرت قيل الاستقامة
هي التوحيد اي استقم عليه حتي تاتي به ربك وهو كقوله ان الذين قالوا
ربنا الله ثم استقاموا ان تفسير قوله ثم استقاموا لما تضمن قوله ربنا الله
وهو اقراره بالربوبية فيجعل في نفسه وجميع اموره الربوبية لله ويجعل
في نفسه العبودية له وهذا هو تفسير التوحيد وقال بعضهم الاستقامة
هي ان يجعل في نفسه وجميع اموره الالوهية والربوبية لله ويأتي ما يحب
ان يوتي وينتهي عما يجب ان ينتهي عنه ويتبع جميع اوامره ونواهيه ثم قوله
فاستقم خطاب لرسولنا وانه يحتمل وجهين احدهما اي استقم بها علي ما امرت
انت ومن آمن معك ايضا يستقيموا علي ما امروا والثاني يقول امض الي
ما امرت بحروف كما تخرج علي هذين الوجهين اعني علي ما امرت والي ما امرت وقوله
ومن تاب معك اي عن الشرك ادعوهم علي ان يستقيموا علي ما امروا وادوا بلسانهم
قوله تعالي ولا تطغوا قال بعضهم الطغيان هو المجاوزة عن الحد الذي
جعل لهم معناه ولا تطغوا اشكروا نعمة الله بالتواضع له عند انعامه وافضاله
عليكم وكان هذا انما ذكر لانه ذكر الامم التي قبله انهم اختلفوا في التورية وكفروا
بعد ما انعم الله عليهم بالبيان فيه وقد انعم عليكم بالقرآن ولا تتعدوا ما امرتم
به ولا تطغوا بكفر هذه النعمة فتجاوزوا ما امر الله فيه كما فعل من قبلكم قوله تعالي
انه بما تعملون بصير هذا وعيد قوله تعالي ولا تركنوا الي الذين ظلموا فتمسكم
النار قال الحسن هو صلة قوله فاستقم كما امرت ومن تاب معك الي قوله
ولا تركنوا الي الذين ظلموا فتمسكم النار وقال الحسن بينهما دين الله اي بين الطغيان

في النعمة وبين الركون الى الظلمة وان كانت الآية في اهل الشرك فهي فيهم وفي
غيرهم من الظلمة حتى ان كل من ركن الى الظلمة يطيعه او يوده فهو يخاف
ان يكون في وعيد هذه الآية قوله تعالى وما لكم من دون الله من اولياء
اي في دفع العذاب عنهم او جر النفع اليهم قوله تعالى ثم لا تنصرون
اي لا ناصر لكم دونه ولا مانع والله اعلم وقال بعضهم ان الآية وهي قوله
ولا تركنوا نزلت في رسول الله صلى الله عليه وسلم حين دعاه اهل الشرك الى
ملة آبائه يقول ولا تميل الى اهل الشرك ولا تلحقوا بهم ثم قوله ولا تركنوا
الى الذين ظلموا وان خرج مخرج العموم فهو خاص لانه لا كل ظالم يركن اليه
تمسه النار فكان هذا خطاب لاتباع الكفرة اي لا تركنوا الى القادة والكبار
في ظلمهم وفيما يدعونكم اليه فتمسكم النار والله اعلم قوله تعالى واقم الصلاة
طرفي النهار وزلفا من الليل ظاهر الآية ان يكون المراد ثلاث صلوات صلوة
الفجر في الطرف الاول وصلوة العصر في الآخر وزلفا من الليل صلوة المغرب
لانه ذكر زلفا من الليل وهو جمع زلفة وهي القربة ومنه الزلفى القربة
ومنه قوله وازلفت الجنة للمتقين فيكون قوله وزلفا من الليل اي قربا
من الليل في الطرف الآخر من النهار وذلك هو صلوة المغرب ويكون ذكر
صلوة الظهر والعشاء في قوله اقم الصلاة لدلوك الشمس الى غسق الليل
دلوك الشمس زوالها وغسق الليل العشاء وكذلك في قوله فسبحان الله
حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد في السموات والارض وعشيا
وحين تظهرون حين تمسون صلوة العصر وحين تصبحون صلوة الفجر
وعشيا صلوة العشاء وحين تظهرون صلوة الظهر وليس لصلوة المغرب
ذكر في هذه الآية لكنها ذكرت في قوله وزلفا من الليل وقال بعضهم في
قوله واقم الصلاة طرفي النهار ذكر اربع صلوات طرفي النهار الصبح والعصر
وزلفا من الليل المغرب والعشاء وقال بعضهم من اهل التاويل في الآية ذكر
الصلوات الخمس قالوا طرفي النهار صلوة الصبح والظهر والعصر
وزلفا من الليل صلوة المغرب والعشاء وعلى ذلك جاءت الآثار في قوله
ان الحسنات يذهبن السيئات هي الصلوات الخمس روي عن ابن مسعود
ومعاذ وابي امامة رضي الله عنهم ان رجلا اصاب من امراة كل شيء الا الجماع

فندم على ذلك فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقص عليه القصة فقال ما
ادري ما ارد عليك حتى ياتيني فيك شيء من الله تعالى فبينا هم كذلك اذ حضرت
الصلوة فلما فرغ من صلوته نزل جبريل بتوبته وقال واقم الصلاة طرفي
النهار غدوة وعشية الغداة والظهر والعصر وزلفا من الليل صلوة المغرب
والعشاء ان الحسنات يعني الصلوات الخمس يذهبن السيئات ذلك يعني
الصلوات الخمس ذكرى للذاكرين قال توبة للتائبين فقال عمر يا
رسول الله اخاص له ام عام قال لا بل عام للناس كلهم فان ثبت هذا فهو
الاصل في ذلك وعن عثمان رضي الله عنه في بعض الاخبار انه سمع النبي صلى الله
عليه وسلم يقول الصلوات الخمس الحسنات يذهبن السيئات فقالوا له
فما الباقيات الصالحات يا عثمان فقال لا اله الا الله وسبحان الله والحمد لله
ولا اله الا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله وعن ابي هريرة رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلوات كفارات الخطايا واقرؤا
ان شئتم ان الحسنات يذهبن السيئات وعن ابن عباس رضي الله عنهما
قال في قوله ان الحسنات يذهبن السيئات هي الصلوات الخمس وعن جابر
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل الصلوات الخمس كمثل نهر جار
على باب احدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات والاخبار في الباب كثيرة
قال ابو عوسجة زلفا من الليل ساعات الليل وقال الزلفة المرحلة
والزلفة القربة وقال ابو عبيدة الزلف جمع زلفة وهي الساعة وقوله
ان الحسنات يذهبن السيئات قال بعضهم فعل الصلوات بعينها وهو ما
ذكرنا من الاخبار ان ثبت وقال بعضهم نفس الصلوات لا تكفر ولكن تذكر ما
ارتكب من الذنوب فيندم عليها فذلك يكفر وهو كقوله ان الصلاة تنهى عن الفحشاء
والمنكر الآية اخبر ان الصلاة تنهى ولا تنهى الا بعد ان يذكر ذلك ويحتمل قوله
ان الحسنات يذهبن السيئات الصلوات وغيرها من الحسنات فيه اخبار
ان الحسنات تكفر شيئا من السيئات والله اعلم قوله تعالى ذلك ذكرى
للذاكرين اي ذلك الذي سبق ذكره عظة للمتعظين قوله تعالى واصبر
فان الله لا يضيع اجر المحسنين ظاهر ما ذكر من الكلام ان يقول واصبر فان الله
لا يضيع اجر الصابرين لانه ذكر الصبر بقوله واصبر او يقول واصبر على اداء

ما كلفت من الطاعات او تبليغ ما كلفت من التبليغ اليهم لكنه يحتمل واصبر على الشرور
كلها واحسن فان الله لا يضيع اجر المحسنين بل يجزيهم جزاء احسانهم ويحتمل وجها
آخر واصبر على اذاهم ولا تكافيهم فانك اذا لم تكافيهم فقد احسنت اليهم فان الله
لا يضيع اجر المحسنين ويحتمل ان يكون موصولة بقوله ان الحسنات يذهبن
السيئات والله اعلم قوله تعالى فلولا كان من القرون من قبلكم اولوا بقية
ينهون عن الفساد في الارض الا قليلا ممن انجينا منهم والاشكال ان الآية تخرج
للمعاتبة او التذكير والتنبيه لانه يقول فلولا كان من القرون اي لم لا كانوا
كذا اي هلا كانوا كذا وليس ثمة من اوليك من يعاتب او ينبه ويذكر لنا نقول
تخرج مخرج الذم لاوليك والتذكير والعظة لغيرهم فيما يستقبل وانه على وجهين
احدهما اي فهلا كانوا اولي بقية ينهون عن الفساد في الارض ومعناه
والله اعلم هلا كثر اهل الاسلام فيهم حتى قدروا على النهي عن الفساد في الارض
لانهم اذا كانوا قليلا لم يقدروا نحو لوط واهله كانوا عددا قليلا وكنوح ايضا
كان معه نفر يقل عددهم فلم يقدروا على منع قومهم عن الفساد ونحوه فاذا
كان ما ذكرنا فكانه يقول هلا كثر اهل الاسلام والوا بقية ينهون عن الفساد
في الارض فيكون الحاقا للذم بهم في امتناعهم عن الاسلام والامتناع عن النهي
عن الفساد في الارض والثاني اي قد كان منهم اولوا بقية لكنهم لم ينهوا عن
الفساد في الارض فاهلكوا جميعا الا قليلا ممن انجينا منهم وذلك القليل قد
نهوا عن الفساد في الارض فنجوا من اوليك فحاصل هذا الخروج على الوجهين
اللذين ذكرناهما احدهما لم يكن معهم اولوا بقية ينهون عن الفساد في الارض
على ما قاله بعض اهل التاويل والذم في الامتناع عن الاسلام حتى لا يصيروا
اولي بقية ينهون والثاني كان فيهم اولوا بقية لكنهم لم ينهوهم عن الفساد الا قليلا
منهم فانهم قد نهوهم عن ذلك والله اعلم قوله تعالى واتبع الذين ظلموا
ما اترفوا فيه يخرج على وجهين يحتمل واتبع الاتباع والسفلة الذين ظلموا ما
اترفوا فيه من الاموال اي وسع عليهم وهم الاجلة والايمة منهم اي اتبعوا
اتباع الاجلة والايمة الذين اترفوا فيه على اتباع الرسل والانبياء والثاني واتبع
الذين ظلموا وهم الايمة والاجلة منهم ما اترفوا فيه اي ما اعطوا من الاموال
اي اثروا الدنيا وما فيها على اتباع الرسل والانبياء احد التاويلين يرجع الى

السفلة والاتباع وهو الاول والثاني الى الاجلة والايمة هم اثروا اتباع
الدنيا على اتباع الرسل ثم يتبعهم الاتباع والسفلة في ذلك والله اعلم قوله
تعالى وما كان ربك ليهلك القرى بظلم واهلها مصلحون اي ما كان ربك
ليهلك القرى بظلم اهلاك استيصال وانتقام واهلها كلهم مصلحون او اكثر
اهلها مصلحون انما يهلك القرى اذا كان اهلها كلها مفسدين او عامة اهلها
مفسدين وهذا يدل على ان الحكم في دار الاسلام ودار الكفر بغلبة اهلها
ان كان اكثر اهلها اهل الاسلام فالحكم حكم الاسلام وان كان عامة اهلها
اهل الحرب والكفر فالحكم حكمهم الا ترى انه قال في قوم لوط انا منزلون
على اهل هذه القرية رجزا من السماء سماهم اهل قرية وان كان فيها
لوط واهله مصلحين غير داخلين في الوعيد اعتبارا للاكثر والله اعلم
ثم قوله وما كان ربك ليهلك القرى بظلم اي لا يكون في اهلاكهم ظالما ثم
هو يخرج على وجهين احدهما ان الخلق له فهو باهلاكه اياهم لا يكون ظالما
لانه اهلك ما له والثاني انما يهلكهم بظلم كان منهم بما اكتسبوا من الكفر وغيره
فهم بما اكتسبوا ظلموا انفسهم وهو كقوله وما ظلمناهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون
قوله تعالى ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة قالت المعتزلة هذه
المشية مشية قسر وقهر وذلك مما يرفع المحنة ويزول لانه المثوبة والعقوبة
وكذلك في قوله ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم جميعا واما عندنا
فهو لو شاء لجعلهم امة واحدة مشية لا يزول معها المحنة فصاروا كلهم مومنين
عن اختيار لا جبرا كما قالوا والذي يدل على ما قلنا خصال احدها ان الله
تعالى قد عرفنا الايمان والدين الذي يقع به اجتماع وفيه الاختلاف بما ركب
فينا من العقول التي بها نعرف حقايق الاشياء ومجازاتها ومحاسن الامور
ومقابحها بالتامل فيما يحسن من الامور وبالسمع وذلك انما يكون بالاختيار
اما بالاستدلال العقلي او بالتعلم ممن اكرم به اذ معرفة ما لا يحس بصفاته
والدين الذي هو طاعة له وعبادة انما يكون بالاستدلال وطريقة الاجتهاد
او التعلم عن اختيار وما يحصل من المعرفة جبرا لا اختيار فيه للمومن ولا
طاعة فيه ولا فعل يكون غير الذي امر به وطلب منه فكانه قال ولو شاء
ان يكون منهم الايمان لا يكون اذ الايمان الذي هو طاعة من العبد هو الايمان

الذي هو طاعة من العبد هو الايمان الذي هو في حال الاختيار فاما في حال
القهر والاضطرار لا يكون ايمانا هو طاعة الله اذ المضطر والمجبور لا فعل له
والله الموفق على ان صرف الاية الى مشية القهر لا يستقيم منهم ودعوى مشية
القهر من الله على موجب مذهبهم غير مقبولة وهو منذ كان الخلق بين ان شا كان
من افعال الخلق فلم تكن ولم يشا فكان على زعمهم فانه على زعمهم شا ايمان
الخلق كلهم ولم يكن ولم يشا كفر الكافر وكان ومن ظهر عجزه كل هذا
العجز على قبلهم كيف يقبل منه دعوى قهر كل الخلق لو شا لمن ظهر عجزه
بجميع ادلة العجز ثم سين ان له قدرة بها يقهر من شا فذلك كمن لا يقوم
ولا يقدر على الانتصاب والنهوض فيدعي انه يقدر على الصعود او من لا يقدر
امساك مثل ذره يدعي انه يمسك السموات والارض على انه لو كان كما قالوا
ان له قدرة ان يخلق فيهم الايمان جبرا ينبغي ان يكون يقدر على خلق فعل السفه
والكفر والكذب فيهم جبرا اذ من يقدر على فعل شي ولا يقدر على فعل ضده
عندهم ليس ذلك بقدرة ثم لو كان له قدرة ذلك بلا غير ليصير فعلا له بنا على
وجود اختياره يكون في الحقيقة الخالق له سفيها كذوبا كافرا اذ عندهم الفاعل
من يوجد الفعل ومن ذلك وصفه فهو غير رب ولا حكيم ومن ربوبيته
تحت قدرة غيره او حكمته تحتمل المضادة فهو مسؤل عما يفعل مطالب بالحجة
فاني يكون لمن ذلك وصفه ربوبية جل الله تعالى عن ذلك والله الموفق ووجه
اخر ان الذي يكون بالقسر والجبر يكون امر الخلقة لا امر فعل العبد وذلك
في الحقيقة لله لا للبشر وما هو له من جهة الخلقة موجود لان نفس كل احد
بالخلقة مؤمن وقد شا الله تلك المشية فالقول فلو شا لا معنى له بل قد شا
فكان ولا قوة الا بالله ووجه اخر وهو ان الله تعالى وعد انه لو شا لجعلهم امة
واحدة لو كان المراد مشية الجبر فهو لو فعل حتى صاروا مؤمنين جبرا لكان
يجعل من قد آمن منهم في الحقيقة مؤمنا في المجاز كافرا في الحقيقة لان كثيرا
منهم كانوا مؤمنين حقيقة بالاختيار ولا يصيرون امة واحدة الا بعد ان
يبطل الايمان الاختياري فيمن كان ويثبت الايمان الجبري الضروري لان الايمان
الاختياري مخالف للايمان الضروري فلا يكونوا امة واحدة فلا يتحقق معنى
التمدح ببيان القدرة على جعلهم امة واحدة لو شا فيكون الحمل على مشية

الجبر يتضمن ابطال الايمان الاختياري وتبديله بالايمان الضروري اذ لا
يتحقق معنى التمدح لجعلهم امة واحدة وعلى ما قلنا من المشية بطريق
الاختيار لا يؤدي الى هذا لانه قد آمن البعض عن اختيار فيؤمن الباقي
عن اختيار لو شا فصاروا امة واحدة فوجب الحمل على ما قلنا والله الموفق
ثم الاصل ان الله تعالى قد جعل ادلة كل موعود في الحس ظاهرا وكل مقدور
عليه بالوعد والدعوى له مما جعل عليه امرا بينا وهذا النوع من المشية
عندهم والدعوى بما جعل جميع ما شا ان يكون كاينا كذلك فيصير بالذي
به ادعى لنفسه من القدرة مكذبا بما جعل لمنع مثله الادلة ومن ذلك
وصفه فهو غير حكيم جل الله عن هذا على ان المتامل بما اخبر لجد حقيقته
دون ان يحتاج الى دليل يوضح قدرته على ما ادعى على بقا المحنة سبيلا
سهلا الحمد لله لا يحتاج الى ما ذكروا من المكابرة وهو ما قال ولولا ان
يكون الناس امة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن الاية ومعلوم انهم لو كفروا
جميعا بما ذكر من جعل بيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون لكانوا
مختارين والى ما جاوا به غير مضطرين فاذا استقام كونهم على دين الكفر
مختارين كذلك يستقيم كونهم على دين الاسلام ايضا مختارين ثم لا يحتمل ان
يوجب ذلك نفيا عن الايمان لو كانوا كذلك فيقدر على قولهم ان يجعلهم كفارا
بالمحنة لا يقدر ان يجعلهم مؤمنين بها وان ذلك وصف العجز عندهم وان كان
لا يكون كذلك عندنا لانه مستقيم القول بالقدرة على احداث غيره ومحال
القول على جعل غيره قديما او على احواج غيره اليه لا يحتمل الوصف بالقدرة
على اغنا غيره عنه وعليهم اوضح اذ اجازوا له القدرة على كل حركة للعبد وسكون
بالاضطرار ولم يجوزوا ذلك بالاختيار اللهم الا ان يقولوا لا يجوز ان يكون
العبد غير كامل القدرة وهي القدرة على مضادات الاشيا والله يجوز له الوصف
بالقدرة الناقصة فيكون قريبا مما جعلوا للعبد قدرة على ما لا يجعل الرب وجعله
كاذبا فيما اخبر على بقا الربوبية له والله لا يقدر على ابقا مثله في العبد على بقا
الربوبية له والله لا يقدر على ابقا مثله في العبد على بقا العبودية له بالمحنة
او ما اقدروا العبد على اهلاك من وعد الله فيه الابقا ويبوء بذلك وذلك
فعله وعده مع ذلك ان يعطيه كذا في معا نه فيقتله ويمنع الرب عن

ايجاد وعده وعن سلطان ابقائه جل الرب تعالى جده عن هذا وذلك في قولهم
فيما يضرب الله تعالى لنبي او صديق اجلا يوعد به مصلحة عباده ليقدر الكافر
على قتله قبل مضي ذلك الاجل وابطال جميع ما وعد والانقاء بما هو صنعه
من انقاذ الحشو فيه ولا يقدر الله تعالى على ايجاز ما وعد وابقائه على ما اراد
والعبد يحاله الا ان يعجزه او يميته او يجعله زمنا والله المستعان ثم الاصل
ان كل مريد يفعله فيما فعله امرا لا يكون ذلك وهو لم يكن فعله الا لذلك
يوجب احد امرين اما جهلا بالعواقب وخطاء في الفعل كمن يفعل فعلا يعزب
عليه او يلحقه به مكروه فهو لا يفعله له يظهر عند فاعله انه عن جهل فعل وعلى
الخطاء خرج فعله وعلى ذلك معنى التحذير في الخلق والتنبيه كقولهم لدوا
للموت وابنوا للخراب وسرق ليقطع وبارز ليقتل من حيث كان الثاني
متصلا بالاول ينبهه عن الغفلة على ارادة التحذير انه اليه يؤول امر
فعله وعلى ذلك قوله فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا او يقال
ذلك على انه كذلك في فعله عند الله وان جهل هو او يوجب السفه في الفعل
والعبث اذ هو يقصد بفعله ما يعلم انه لا يكون او يدبر ما يتيقن انه لا
يبلغ واذا كان كذلك فاعطاء الله تعالى القدرة ليؤمن او خلقه ليعبد واراد
انه يفعل ذلك واختيار ذلك الفعل ولم يكن ذلك وعلم انه لا يكون ذلك لذلك
يوجب احد ذينك الوجهين جل الله عنهما وتعالى وقد ثبت ان الله تعالى
عالم بالعواقب متعال عن العبث ثبت انه خلق من خلق واعطى ما اعطى
لما علم انه يكون وقد علم ما يكون على هذه النقدير يخرج الامر في قوله ولقد ذرانا
لجهنم الآية ولا تعجيل امو الهم الآية قوله تعالى ولا يزالون مختلفين
الا من رحم ولذلك خلقهم وقالت المعتزلة ولذلك ولذلك خلقهم اي للرحمة
خلقهم وقال بعض متكلمي اصحابنا ان يذكر الرحمة بالتانيث وهو انما ذكر بالتذكير
حيث قال ولذلك خلقهم ولم يقل ولتلك خلقهم دلت انه ليس على ما يقولون
وقال قايلون اي للاختلاف خلقهم الا من رحم ربك وقال بعضهم هو صلة قوله
وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وعندنا انه خلقهم للذي علم انهم يصيرون اليه
من اختلاف او اتفاق او عداوة او ولاية لا خلقهم لغير الذي علم انهم يصيرون
اليه ويعلم ما يكون منهم وما لا يكون ولو كان كيف يكون قوله تعالى وكلا نقص

عليك من انباء الرسل ما نثبت به فؤادك تاويله والله اعلم كل الذي نقص
عليك او قصصنا عليك من انباء الرسل نبا بعد نبا وبينا على اثني ما نثبت
به فؤادك ثم قوله نثبت به فؤادك يحتمل وجوها احدها لما يحتمل
ان نفسه كانت تنازعه وتناقشه بان الذي انزل اليه ياتي به ملك
من عند الله او كان ذلك من القاء الشيطان والقائه عليه ووساوسه
فقص عليه من انباء الرسل واخبارهم ليكون له آية بينه وبين ربه
ليعلم ان ما انزل اليه وحيه والذي ياتي به ملك جاء من الله تعالى
دفع به نوازع نفسه وخطراته اذ لا سبيل للشيطان الى معرفة تلك
الانبياء ولا وسعه القاؤها عليه وان كل نبي يحتاج لمعرفة انه نبي الى آية
ومعجزة في حق نفسه والى معجزة في حق قومه ويحتمل ان هذا بعد
ما عرف نبوته بدليل آخر لكن ربما يخطر بباله من نوازع نفسه فقص
عليه ما ذكر ليكون بذلك زيادة طمانينة لقلبه وهو كقول ابراهيم
ربي ارني كيف تحيي الموتى قال اولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمين
قلبي كان نفس ابراهيم تنازعه في كيفية احياء الموتى فسال ربه ليريه
ذلك ليطمين بذلك قلبه وان كان يعلم انه يحيي الموتى وانه على كل شيء قدير
ويحتمل انه قص عليه انباء الرسل واحد بعد واحد ليثبت به فؤاده
ليعلم كيفية معاملتهم قومهم وكيف صبروا على اذيهم ليصير هو على
ما صبر اوليك وليعامل هو قومه بمثل معاملتهم وليشبه ان يكون قوله
ما نثبت به فؤادك نبا بعد نبا لننظر ونتفكر في كل نبا وخبر ولنعرف
ما فيه فيكون اثبت في قلبه وهو كقوله وقال الذين كفروا لولا نزل
عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك بانزال الآية واحدة
بعد واحدة وسورة بعد سورة وذلك اثبت في فؤاده من انزاله جملة
لانه يزدحم في مسامعه وفؤاده واذا كان بالتفاريق نظر وتفكر
فهو اثبت في قلبه وفؤاده والله اعلم قوله تعالى وجاءك في هذه
الحق قال بعضهم جاءك في هذه اي في هذه الانباء التي قصصنا عليك
وقال بعضهم في هذه اي في هذه السورة الحق وهو ما ذكر من الانباء نبا بعد
نبا وهو كالاول وقال بعضهم في هذه الحق اي في هذه الدنيا الحق اي الحج

وَالآيات وَالبراهين لرسالته وَدينه قوله تعالي وموعظة وذكري للمومنين اي جاءك ما تعظ به قومك وتذكر للمومنين وخص المومنين بذلك لما يكون منفعة الموعظة والذكري للمومنين وَالا هو موعظة وذكري للكل قوله تعالي وقل للذين لا يومنون اعملوا علي مكانتكم المكانة هي المنزلة وَالقدرة يقول اعملوا انتم علي مكانتكم ومنزلتكم التي لكم عند اتباعكم كانه خاطب به الاشراف منهم ويحتمل الكل اي اعملوا علي ما انتم عليه وَانه يخرج علي وجهين احدهما علي التوبيخ والتخويف عند ما بالغ في الحجاج فلم ينجع فيهم وَهو كقوله لكم دينكم وَلي دين ونحوه وَالثاني علي الاعجاز بما ارادوا به من المكر وَالكيد يقول اعملوا ما تريدون في وَانا اعمل فذلك قوله انا عاملون اي عاملون علي المكان والمنزلة لنا عند الله فينظر انّا ارجح نحن ام انتم وَاينا احسن نحن او انتم قوله تعالي وَانتظروا اي وَانتظروا انتم بنا ذلك انا منتظرون بكم ذلك هذا ما كان يوعدونه ويخوفونه من انواع الوعيد فيقول انتظروا بنا ما تخوفون انتم انا منتظرون بكم ما نخوفكم نحن وَالله اعلم قوله تعالي ولله غيب السموات وَالارض قال بعض اهل التاويل وَلله غيب نزول العذاب وَغيب ما في الارض كانه خرج جواب ما سالوا من العذاب كقوله ويستعجلونك بالعذاب ولولا اجل مسمي لجاءهم العذاب وقوله ويقولون متي هذا الوعد ان كنتم صادقين وقوله ايتنا بعذاب الله ان كنت من الصادقين وقال ولله غيب السموات والارض اي علم ذلك عند الله وكقوله لو ان عندي ما تستعجلون به لقضي الامر بيني وبينكم وَامثاله وَالله اعلم ويشبه ان يكون جواب ما تحكموا علي الله من انزال القرآن جملة وجعل الرسالة في غيره كقولهم لولا نزل هذا القرآن جملة وجعل الرسالة في غيره كقولهم لولا نزل هذا القرآن علي رجل من القريتين عظيم وقوله لولا نزل عليه القرآن جملة وَاحدة فقال اهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم الآية وقال الله اعلم حيث يجعل رسالته فعلي ذلك قوله وَلله غيب السموات والارض لا الي الخلق فعلي ذلك وَالله اعلم قوله تعالي وَاليه يرجع الامر كله اي اليه يرجع امر الخلق كله وتدبيرهم قوله تعالي فاعبده اي اعبده في خاص نفسك قوله تعالي وتوكل عليه اي اعتمد عليه في تبليغ الرسالة ولا تخاف منهم

فان الله يحفظك من كيدهم وَمكرهم بل كقوله وَالله يعصمك من الناس قوله تعالي وَما ربك بغافل عما تعملون هذا يويد ما ذكرنا اي ما ربك بغافل عما يريدون بك من كيدهم وَمكرهم بل يعلم ذلك ويبصرك وينتصر منهم وهو كقوله لموسي وهارون فقولا له قولا لينا لعله يتذكر او يخشي قالا ربنا اننا نخاف ان يفرط علينا او ان يطغي قال لا تخافا انني معكما اسمع وَاري اي اسمع قوله وجوابه اياكما وَاري ما يفعل اي الضر كما فلا تخافا فعلي ذلك الاول وَالله اعلم تمت

سورة يوسف

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالي الر تلك آيات الكتاب المبين ذكر تلك وَهي كلمة اشارة الي شي سبق ذكره ولم يتقدم ههنا ذكر شي يشار اليه وكذلك ذكر آيات ايضا وليس هنالك ذكر آيات او شي يكون آية في الظاهر لكن يشبه ان يكون قوله تلك آيات بمعني هذه السورة آيات الكتاب المبين ويجوز استعمال تلك بمعني هذه علي ما جوز ذكر قوله ذلك مكان هذا كقوله الم ذلك الكتاب اي هذا الكتاب ويحتمل ان يكون قوله تلك اشارة الي ما في السماء في ايدي البررة اي الذي في السماء آيات الكتاب ويحتمل تلك اشارة الي ما في اللوح المحفوظ ويحتمل ان يكون اشارة الي ما في الكتب المتقدمة اي تلك الكتاب المبين وهو كقوله وَانه لفي زبر الاولين ويحتمل تلك اشارة الي الحروف المقطعة المعجمة فقال تلك الحروف المقطعة اذا جمعت كانت آيات الكتاب ثم قوله تلك آيات الكتاب يخرج علي وجهين احدهما ان يكون اهل الكتاب سالوا رسول الله عن قصة يوسف وصيرورة بني اسرائيل بمصر وقد كانوا من قبل بالشام فقال تلك آيات الكتاب المبين اي تلك الانباء والقصص تجعلها آيات هذه السورة التي هي من الكتاب المبين ويحتمل اي تلك الانباء آيات وحجج لرسالة محمد اذ هي من انباء الغيب عنهم وعلم الغيب بالله تعالي ويحتمل ان يكون الله اراد امرا لا يعلم ما اراد فيقول تلك آيات الكتاب اي الذي اراد هو آيات الكتاب وَالله اعلم بما اراد ثم قوله المبين يحتمل انها آيات الرسالة او مبين انها من عند الله ويحتمل انه مبين الحلال من الحرام وما يوتي وما يتقي وهو كقوله وَنزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شي وقيل بين بركته

وهداه ورشده وقيل بين فيه الحق من الباطل والعدل من الجور والكتاب
هو اسم ما يكتب وقيل لما اخذ عن كاتب وهو اللوح المحفوظ قوله تعالى
انا انزلناه قرآنا عربيا قوله انزلناه الهاء كناية عن الكتاب الذي تقدم
ذكره وقوله قرآنا سمي قرآنا لما يقرأ وقيل سمي قرآنا لما قرئ
على رسول الله وقوله عربيا اي انزلته بلسان العرب ولا ندري باي لسان
كان في اللوح المحفوظ لانه لم يذكر في القرآن وانما ثبت بخبر الواحد انه
بلسان العرب وانه لا يوجب العلم وفي القرآن انه انزله بلسان العرب
وهكذا كل كتاب انزل انما انزل بلسان العرب وهكذا كل كتاب انزل انما
انزل بلسان المنزل عليهم لم ينزل بغير لسانهم كما قال وما ارسلنا من رسول
الا بلسان قومه ليبين لهم وليس في اللوح بهذه الالفاظ كلها فلم يكن الانزال
عربيا دليلا على انه كان عربيا في اللوح المحفوظ والله اعلم قوله تعالى
لعلكم تعقلون اي لعلكم تعقلون ما لكم وما عليكم وما تاتون وما تتقون او تعقلون
ان هذه الانباء التي خبركم بها محمد تخبركم من الله لانها كانت في كتبهم بغير
لسانه فاخبر على ما كانت في كتبهم من غير اختلاف الى احد يعلمه فدل انه
انما عرف بالله ويحتمل لعلكم تعقلون اي ليلزمكم العلم بما يبلغكم فان كانت تاويل
ليلزمكم لكون الخطاب عاما وان كان لتعقلوا فيكون المراد منه الخاص وهم
الذين عقلوا لا في العموم والله اعلم وقيل لعلكم تعقلون آيات فيه شرفكم لانكم
تصيرون متبوعين لما يحتاج الناس الى معرفة ما فيه ولا يوصل الى ذلك الا بكم
تكونون متبوعين والناس اتباع لكم وهو كقوله لقد انزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم
قال اهل التاويل اي فيه شرفكم والله تعالى اعلم قوله تعالى نحن نقص
عليك احسن القصص قال بعضهم نحن نقص عليك احسن القصص اي نبين
لك احسن البيان بما اوحينا اليك هذا القرآن بالقصص مصدر قص يقص
وهو البيان وقال بعضهم نقص عليك احسن القصص اي نخبرك احسن ما
في كتبهم من الانباء والاحاديث ثم قال بعضهم احسن القصص اي اصدقه
فان كان المراد هو البيان فكتاب الله تعالى هو اصدق البيان واصدق الكلام
وهو كقوله الله نزل احسن الحديث كتابا اي اصدقه وان كان المراد الانباء
والاحاديث اي نخبرك اصدق الانباء والاحاديث التي يخبر الناس لما يدخل

ذلك الكذب والغلط وهذا الاول وقال ابن عباس رضي الله عنهما احسن القصص كلام
الرحمن وقال مجاهد في قوله الله نزل احسن الحديث انه كلام رب العالمين
وقيل احسن لجري على ظاهر الحسن فان كان المراد من القصص هو
البيان فالقرآن احسن الكتب نظما وبيانا ولهذا كان معجزا وان كان المراد
هو الانباء فالانباء المذكورة في القرآن احسنها والله اعلم قوله تعالى
وان كنت من قبله لمن الغافلين اي وقد كنت من قبل ان نقص عليك لمن
الغافلين عن احسن القصص وهو القرآن او هذه الانباء والقصص المذكورة
في القرآن وفي الآية دلالة ان الايمان بالرسل والكتب على الاجمال
ايمان وان لم يعرف انفس الرسل واساميهم لانه تعالى اخبر انه كان غافلا
عن انباء الرسل وقصصهم ولا شك انه كان مومنا بالله مخلصا ولا ايمان بدون
الايمان بالانبياء والرسول عليهم السلام وهو لم يكن عارفا قبل الاعلام
بهم دلت انه ليس بشرط وبالله العصمة قوله تعالى اذ قال يوسف لابيه
يا ابت اني رايت احد عشر كوكبا والشمس والقمر رايتهم لي ساجدين ذلك
قوله اني رايت احد عشر كوكبا على ان اخوة يوسف كانوا اعلاما وعيون الارض
نجوما يقتدى بهم ويهتدى اذ بالنجوم يقتدي من في الارض وبها يهتدون الطرق
والمسالك ودل قوله والشمس والقمر حيث خرج على ابويه انه كان
بهما جميعا منافع الخلق كما بالابوين للولد اذ بهما صلاح جميع الاغذية في الارض ونضج
جميع الفواكه والانزال وجميع المنافع التي ما بالناس حاجة الى ذلك والله اعلم
ودلت قوله اني رايت احد عشر كوكبا والشمس والقمر غيرها وهو الاخوة
والابوان من حيث المعنى وذكر السجود وخرج على عين السجود وحقيقته
وذلك مثل ما راى ابراهيم في المنام انه ذبح ولده خرج الذبح على حقيقة
الذبح وهو ذبح الكبش وراى ابنه وكان المراد منه الكبش وهذا في حق الانبياء
امر لازم لا بد ان يكون لخروج عنه او معناه ولا يكون رؤياهم من الاضغاث والاحلام
فاما رؤيا غيرهم قد يخرج عليه وقد يخرج تاويله وقد يكون من الاضغاث والله اعلم
وهذا اصل لنا ان الخطاب يخرج والمراد به عين ذلك الخطاب وقد يخرج
لمعنى فيه فاذا اتصل ذلك بغير وجب ذلك الحكم فيه لوجود المعنى اذ رؤيا الانبياء
بمنزلة الخطاب من الله ثم هو يخرج على عينه مرة وعلى ما هو في معناه اخرى

فكذلك الخطاب في حق غيرهم ففيه دليل جواز الاجتهاد وطلب المعنى في
المخاطبات وكذلك ما ظهر في الناس من تعبير الرؤيا على الاجتهاد يدل
على جواز العمل بالاجتهاد والله اعلم وقال اهل التاويل ان يوسف لما
قص رؤياه على ابيه بين يدي اخوته قال له هذه رؤيا النهار وليس لشيء
ثم قال ليوسف في السر اذا رايت رؤيا بعد هذه فلا تقصص على اخوتك
لكن هذا ليس بصحيح لان هكذا كذب وهو ان تقول له ان رؤياك هذا
ليس لشيء ثم يعبر له في السر ولا يتوهم شيء من الكذب على الرسل والانبياء
عليهم السلام فلا يجوز ان يكذب يعقوب دل ان ما قالوه فاسد قوله
تعالى قال يا بني لا تقصص رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك كيدا دل انه
لا تقصص رؤياك على اخوتك على ان ما راى يوسف من سجود الكواكب
له وسجود الشمس والقمر يكون في المنام وان قال اني رايت احد عشر
كوكبا والشمس والقمر رايتهم لي ساجدين ولم يذكر المنام ومطلق قوله
رايت ورايتهم ينصرف الى الرؤية في حال التيقظ ويدلت عليه ما ذكر
في آخره ايضا خبرا عن يوسف قال يا ابت هذا تاويل رؤياي من قبل وفي
قوله لا تقصص رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك كيدا دليل على ان يعقوب
عرف انهم يكيدون له كيدا بالوحي حيث قطع القول فقال فيكيدوا لك كيدا
ولم يستثن في ذلك ولم يقل ربما يكيدون لك كيدا دلت انه علم بالوحي ذلك
والا ترى انهم فعلوا به ما قال وفيه دلالة ان اخوة يوسف كانوا يعرفون
تعبير الرؤيا وكانوا علماء حكماء حيث قال يا بني لا تقصص رؤياك على اخوتك
لانهم لو كانوا لا يعرفون تاويلها ولا علموا تعبيرها لم يكن لنهيه عن ان يقص على
اخوته لانه اذا قصها او لم يقصها اذا لم يعلموا سواء وفيه دلالة على ان الاخ
لا يتهم في اخيه والابوين يتهمان في حق الولد والولد يتهم في والديه ولا يكون
من بعض الى بعض جناية ويكون من الاخ الى اخيه جناية الا ترى ان يعقوب
نهى ولده يوسف ان يقص رؤياه على اخوته واخبر انه اذا علموا بذلك كادوه
وحسدوه ولم ينهه عن مثله في امه دلت ان الامر ما ذكرنا وهذا دليل
لقول اصحابنا ان شهادة الوالد لولده لا تقبل وشهادة الولد لوالديه لا تقبل
وشهادة الاخ لاخيه تقبل لما ينتفع الولد بمال ابويه والابوان بمال ولدهما

ولا ينتفع الاخ بمال اخيه وكل من انتفع بمال آخر اتهم في شهادته له ولم تقبل شهادته
وكل من لم ينتفع به قبلت والله اعلم قال ابو عوسجة الكيد والمكر سواء
وقال القتبي الكيد هو الاحتيال والاغتيال واصل الكيد هو ان يطلب ايصال
الشر بغيره على غير علم منه وكذلك المكر والله اعلم قوله تعالى ان الشيطان
للانسان عدو مبين اي عدو ظاهر العداوة وقال موسى حين قتل
ذلك الرجل هذا من عمل الشيطان انه عدو مضل مبين بدا كل شر من
الشيطان يقذف في القلوب ويخطر به في الصدور ثم تكون العزيمة على ذلك
الفعل والفعل من العبد وهو ما قال تعالى واما ينزغنك من الشيطان
نزغ فاستعذ بالله وقال ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان
تذكروا الاية والطائف والنزغ هو القذف والوسوسة فاذا ذكر الله تعالى
ذهب والله اعلم قوله تعالى وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تاويل الاحاديث
ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب كما اتمها على ابويك من قبل ابراهيم واسحاق
تاويله والله اعلم اي كما اجتبى ربك ابويك بالرسالة والنبوة واصطفيهم بانواع
الخيرات واتم نعمته عليهم كذلك يجتبيك ربك ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب
ويحتمل قوله وكذلك يجتبيك ربك اي كما اجتباك ربك بالرؤيا التي اراك
يفعل ذلك بك قوله تعالى ويعلمك من تاويل الاحاديث قيل ويعلمك
تاويل الرؤيا وقيل ويعلمك تاويل الصحف التي كانت ابراهيم وغيره من الانبياء
عليهم السلام قبله اراد بالاحاديث الصحف المتقدمة قوله تعالى ويتم نعمته
عليك وعلى آل يعقوب كما اتمها على ابويك من قبل ابرهيم واسحاق قال
بعضهم اي كما اتمها على ابويك من قبل ابراهيم واسحاق حين اراد ابرهيم ذبح
ابنه اسحاق فجعل مكانه كبشا فعلى ذلك يتم عليك ويسجد لك اخويك وابويك
ثم من الناس من استدل بهذا على الذبيح كان اسحاق لانه ذكر اتمام نعمته على
ابراهيم واسحاق وفي قوله وعلى آل يعقوب دليل على ان الله تعالى قد اجتبى
اولاد يعقوب بالنبوة من بعد ذلك لان ولده من آله لانه اخبر انه يتم نعمته عليه
وعليهم كما فعل بابويه ابرهيم واسحاق وكذلك روي عن الحسن انه قال في
اخوة يوسف انهم نبئوا بعد ما صنعوا بيوسف ما صنعوا اي صاروا رسلا
وانبياء وكان يوسف اعبر الناس قوله تعالى ان ربك عليم حكيم اي عليم

بما صنع به اخوته اي عليم بما ذكر من المنام حكيم وضع كل شيء موضعه والله اعلم
قوله تعالى لقد كان في يوسف واخوته آيات للسايلين الآية اية
للسايل اذا كان مسترشدا وكذلك القرآن كله هو آية وحجة للمسترشد
واما المتعنت فهو آية وحجة عليه ثم يحتمل قوله آيات للسايلين السايلين
الذين سالوا على ما ذكر في بعض القصة ان اليهود سالوا النبي صلى الله عليه
عن امر يوسف ونبايه فاخبرهم بالحق في ذلك على ما كان فهو المراد بقوله
آيات للسايلين اذ الخبر عن الغيب آية ان ثبت ذلك والله اعلم ويحتمل
قوله آيات للسايلين السايلين الذين يسالون الى احد الدهر كل من
سال عن نبايه وخبره فهو آية له ثم وجه كونها ايات من وجهين احدهما
جعل قصة يوسف ونباه سورة وتلك السورة هي آيات الكتاب على ما
ذكر الر تلك ايات الكتاب المبين جعل قصة يوسف ونباه سورة وتلك
السورة هي آيات الكتاب المبين جعل قصة يوسف ونباه آيات من الكتاب
والكتاب حجة لكل من سال عن الرسالة والله اعلم ويحتمل ايضا انه
جعل اية حجة لنبوة رسول الله ورسالته لان قصة يوسف ونباه كان
في كتبهم بغير لسانه ثم اخبرهم من غير ترجمة احد منهم ولا تعليم على ما كان
في كتبهم من غير زيادة ولا نقصان دلت انه انما علم ذلك بالله تعالى وهو
ما ذكر في القصة ان اليهود سمعوا رسول الله يقرا سورة يوسف فقالوا
يا محمد من علمكها قال الله عز وجل علمنيها فعجبوا من قراته اياها على ما كانت
في كتبهم دلت انه انما عرفها بالله ثم يحتمل قوله آيات للسايلين اي كان هذه
القصة آية لمن سال عن حجة رسالته ويحتمل انها آية لرسول الله لمن سال
عن الحجة على رسالته والله اعلم قوله تعالى اذ قالوا ليوسف واخوه
احب الى ابينا منا ونحن عصبة في الآية دلالة ان لا باس للرجل ان يخص بعض
ولده بالعطف عليه والميل اليه اذا كان فيه معنى ليس ذلك في غيره ولهذا
قال اصحابنا رحمهم الله ان لا باس للرجل ان يخص بعض ولده بالهبة له
او الصدقة عليه اذا لم يقصد الجور على غيرهم من الاولاد ثم يحتمل تخصيص يعقوب
يوسف واخاه بالحب لهما والميل اليهما وجوه احدها لما راى فيهما من الضعف
في انفسهما والعجز في ابدانهما لما قيل ان غيرهما من اولاده كانوا في قوة

من البدن وضخامة في الانفس فازدادت شفقته لهما وعطفه عليهما وهذا
ما يكون فيما بين الخلق ان يرق كل احد للضعيف ويظهر الشفقة في حقه
ويحتمل كان ذلك منه لهما لصغرهما وهذا ايضا معروف في الناس ان
الصغار من الاولاد تكون عندهم احب وقلوبهم اليهم اميل وعليهم ارحم من
الكبار منهم والله اعلم ويحتمل انه خصهما بذلك لفضل خصوصية كان لهما
اما من جهة الدين او العلم وغيرهما امر الله يعقوب ان يخصهما بذلك لذلك
من دون غيرهما ويحتمل ذلك لما بشر يعقوب بنبوة يوسف ورسالته
ولم يبشر بعد بنبوة ساير اولاده او بشر بنبوة الكل لكن اخبر ان ليوسف
زيادة فضيلة وخصوصية ودرجة ليست لهم فلذلك كان يفضله على ساير
اولاده ويوثره عليهم والله اعلم ثم انما قالوا ليوسف واخوه احب الى ابينا
منا ونحن عصبة باثار ودلالات تظهر عندهم والا حقيقة المحبة لا تعرف
والله اعلم قوله تعالى ونحن عصبة قال بعضهم الجماعة وقال بعضهم
العصبة من عشرة الى اربعين ولكن الاشبه ان العصبة الجماعة التي لهم منعة
يعني قولهم ونحن عصبة اي نحن جماعة ولنا منعة ولهذا قال بعض العلماء ان
التسعة مع الامام تكون منعة يستوجبون ما يستوجب السرية ان دخلت
الدار يعني دار الحرب فغنمت غنايم تخمس منها واذا كانوا اناسا دون ذلك لهم حكم
التلصص لا يخمس ما اصابوا استدلالا بهذه الآية ان اخوة يوسف الذين
فعلوا به ما فعلوا عشرة وسموا انفسهم عصبة وذا منعة قوله تعالى ان ابانا
لفي ضلال مبين لم يعنوا ضلال الدين انما عنوا اي هو في حيرة وجهالة وانما
قالوا ذلك والله اعلم اي انا جماعة نقدر على دفع من يروم الشر وبه يقصد قصد
الشر بنفسه وماله ونحن اولو قوة نقوم باسباب معاشه فكيف يوثرهما علينا
فانما نفعل عن الجهل والحيرة ولا نعرف الذي ينفعه من الذي لا يصلح كذلك ويحتمل
قالوا ذلك لما كانت له منافع من انفسهم لم تكن تلك المنافع من يوسف واخيه
وابدا انما يوثر المرء حب من له منه منافع من قبله لا حب من لا منفعة له منه
منافع والله اعلم قوله تعالى اقتلوا يوسف او اطرحوه ارضا يخل لكم وجه ابيكم
لا يحتمل ان يكون عزموا على قتله ولكن قال ذلك واحد على المشاورة بينهم
ذا نفعل او ذا كقوله واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك

وتحون ذلك ليس على العزيمة على واحد ولكن على المشاورة فيما بينهم يدل
على ذلك قوله يخل لكم وجه ابيكم ان عزمهم ومرادهم بذلك ان يخلو لهم
وجه ابيهم لا قتله وذلك يحصل لهم بتغييبه عن ابيه وذلك يحصل بغير
القتل والله اعلم ثم قوله يخل لكم وجه ابيكم من الخلو اي يخلو لهم وجه
الاب بسبب غيبة الذي كان يميل اليه وقال بعضهم يخل لكم وجه ابيكم
اي يقبل عليكم ابوكم بوجهه وقال بعضهم اي يفرغ لكم من الشغل بيوسف
قوله تعالى ويكونوا من بعده قوما صالحين قال بعضهم اي تائبين فعزموا
على التوبة قبل ان يزلوا او عصوا وقال بعضهم اي ويكونوا قوما صالحين
عندا في من بعد اي في الآخرة يوصي عنكم وقال بعضهم اي يصلح امركم وحالكم
عند ابيكم بعد ذهاب يوسف قوله تعالى قال قايل منهم لا تقتلوا يوسف
والقوه في غيابت الجب قال ابو عوسجة يعني في قعر البير والغيابة
ما يغيبه ويواريه والجب البير والجباب جميع وقال ابو عبيدة الغيابة كل
شي غيب عنك شيا وقيل الجب الركية التي تطوى بالحجارة فاذا اطويت فليست
بجب قوله تعالى يلتقطه بعض السيارة ان كنتم فاعلين قوله يلتقطه
اي يرفعه ولذلك يقال للطاير يلقط الحب ويلقط اي يرفع وقال ابو عوسجة
اصل السيارة من السير وهي القافلة يعني العير وقوله ان كنتم فاعلين
اي فالقوه في غيابة الجب ان كنتم لا بد فاعلين ان تغيبوه عنه ليلتقطه بعض
السيارة والله اعلم وقول اهل التاويل ان قوله لا تقتلوا يوسف قاله
فلان او فلان فذلك مما لا نعرفه وليس لنا الى معرفة ذلك حاجة والله اعلم
قوله تعالى قالوا يا ابانا ما لك لا تامنا على يوسف دل قولهم ما لك لا تامنا
على يوسف على انهم قد طلبوا اخراجه من ابيهم غير مرة لان مثل هذا الكلام لا يتكلم
به على الابتدا من غير سابقة شي من امثاله فدل انهم قد استاذنوه في
الاخراج غير مرة قوله تعالى وانا له لناصحون الناصح هو الدال على ما
به نجاته او الدال على كل خير والله اعلم قوله تعالى ارسله معنا غدا يرتع
ويلعب وانا له لحافظون وقري بالنون نرتع ونلعب قال بعضهم يرتع ياكل
ويلعب كانه خرج جوابا لقوله اني ليحزنني ان تذهبوا به فقالوا له لا تحزن عليه
فانه يرتع ويلعب على التقديم والتاخير وقال بعضهم يرتع ينشط ويلعب بتلة

وقال القتبي يرتع ياكل يقال رتعت الابل اذا رعت وارتعتها اذا تركتها
ترعى ويقرا ايضا نرتع بالنون وكسر العين من الارتعا والمراد منه
يتحارس ويرعى بعضنا بعضا اي يحفظ من الرعاية ومنه يقال رعاك الله
اي حفظك الله ثم تاويل الآية كان يعقوب عليه السلام خاف على نفسه من
يوسف الضياع بتركهم حفظه فامنوه على ذلك بقوله وانا له لحافظون وخاف
عليه الضياع من جهة الجوع بتركهم حفظ اوقات الاكل بقوله نرتع اي ناكل وخاف
عليه ان يكلفوه امرا يشق عليه ويشتد فامنوه على ذلك ايضا بقوله ونلعب
لانه ليس في اللعب مشقة ولا شدة فخاف عليه الضياع من هذه الوجوه
فامنوه عن تلك الوجوه كلها حتى استنقذوه من يديه فان قيل اللعب حرام
وقد قالوا بين يدي يعقوب نرتع ونلعب فهلا رد عليهم وانكر قيل انهم ارادوا
بقولهم نلعب فيما يحل ويسع من نحو الاستباق وغيره وهو ما ذكروا انا ذهبنا
نستبق واللعب في مثل هذا لا باس وقد روي في الخبر انه قال لا يحل اللعب
الا في ثلاث وفيه معالجة الرجل فرسه وقوسه قوله تعالى اني ليحزنني
ان تذهبوا به واخاف ان ياكله الذيب الحزن يستعمل في الواقع للحال والخوف
على ما سيقع فقال ليحزنني ان تذهبوا ذكر الحزن لما فات عنه النعمة العظيمة
وهو حضرة يوسف لما كان له عليه زيادة ميل وعطف وذكر الخوف لما خاف
وقوع مكروه به في وقت ثاني وبهذا يفسر قوله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون
لان النعمة موجودة عندهم غير فانية لا خوف عليهم اي لا يخافون فوتها لا خوف
فوت النعمة ينقص النعمة على صاحبها فامنهم على ذلك هذا والله اعلم ثم قوله
واخاف ان ياكله الذيب قال بعض اهل التاويل كان يعقوب راى في المنام
ان يوسف اخذه الذيب فمن ثم قال واخاف ان ياكله الذيب لكن هذا لا يحتمل
لان رؤيا الانبيا حق وصدق تخرج اكثرها عين ما راوا والبعض على المعنى
والتاويل فلا يحتمل ان راى ذلك ثم يقول اني اخاف ان ياكله الذيب وذلك
انما يقال في موضع الظن او لا يحتمل ان يدعه يذهب معهم اذا كان عالما بذلك
او عنده بطريق غالب الظن فدل ان هذا لا يصح لكنه انما قال واخاف ان ياكله
الذيب لانه خاف عليه اكل الذيب على ما يخاف على الصبيان في المفاوض والبراري
لان الخوف على الصبيان في المفاوض والضياع عليهم يكون بالذيب اكثر من وجه

آخر لانه خافوا ان يفترسه سبع من السباع عند مناوصة اخوته واشتغالهم بما
ذكر من الاستباق لا لاحتمال الضياع من الناس باخذ واحد من بين نفر
والله اعلم قوله تعالى لئن اكله الذيب ونحن عصبة انا اذا لخاسرون اي
لئن اكله الذيب ونحن عصبة اي جماعة واولوا قوة انا اذاً لخاسرون اي كنا
نحن سلمناه الى الذيب وعرضناه للضياع هذا والله اعلم معنى الخسران الذي ذكروه
والا لم يلحقهم الخسران ان اذا اكله الذيب وهذا لانه اذا كان بهم قوة المنع فلم يمنعوه
فكانهم ضيعوه وقالت بعضهم واخاف ان ياكله الذيب كناية عن وصول نكبة
اليه من جهتهم اي اخاف ان تضيعوه وتهلكوه قوله تعالى فلما ذهبوا به
واجمعوا ان يجعلوه في غيابة الجب ما ذكرناه قوله تعالى واوحينا اليهم
لتنبئنهم بامرهم هذا وهم لا يشعرون يحتمل قوله واوحينا اليه اي الى يوسف
وحي نبوة او وحي بشارة النجاة من ذلك الجب او وحي بشارة الملك والعز
ثم قوله لتنبئنهم بامرهم هذا وهم لا يشعرون قال بعضهم هو قول
يوسف قال انا يوسف وهذا اخي اخبر تعالى بقوله هل علمتم ما فعلتم
بيوسف واخيه اذ انتم جاهلون قالوا اءنك لانت يوسف قال انا يوسف
وهذا اخي هذا الذي نبأهم يوسف وهم لا يشعرون بذلك والله اعلم
ويشبه ان يكون قوله واوحينا اليه اي الى يعقوب لتنبئنهم بامرهم
هذا وهم لا يشعرون ثم قوله لتنبئنهم بامرهم هذا هو ما قال لهم يعقوب
يا بني اذهبوا وتحسسوا من يوسف واخيه ولا تيأسوا من روح الله امرهم
ان يطلبوه ويتحسسوا من امره كان علم انه حي بقوله واوحينا اليه لتنبئنهم
بامرهم هذا وهم لا يشعرون انه حي الا ترى انه قال اني لاجد ريح يوسف
ولذلك قال حين القى الثوب على وجهه فارتد بصيرا اني اعلم من الله ما لا تعلمون
والله اعلم قوله تعالى وجاؤوا اباهم عشاء يبكون قالوا يا ابانا انا ذهبنا نستبق
وتركنا يوسف عند متاعنا فاكله الذيب في الآية دلائل احدها ان من ارتكب
صغيرة فانه يخاف عليه التعذيب ولا يصير كافرا ومن ارتكب كبيرة لم يخرج
من الايمان لان اخوة يوسف هموا بقتل يوسف او طرحه في الجب والتغييب
عن وجه ابيه واخلائه عنه وذلك لا يخلوا منهم اما ان يكون صغيرة او كبيرة
فقد استغفروا عليها بقوله يا ابانا استغفر لنا ذنوبنا الآية دلت انهم استغفروا

لما خافوا العذاب عليها وان كبيرة فلم يخرجوا من الايمان حيث صاروا
انبياء من بعد وصاروا قوما صالحين دلت ما ذكرنا على قول بعض المعتزلة
في صاحب الصغيرة بان لا تعذيب عليه وصاحب الكبيرة انه يخرج من الايمان
وبعض قول الخوارج ان من ارتكب كبيرة او صغيرة صار كافرا مشركا
وفي الآية دلالة بعض قول من قال بان من كذب متعمدا او وعد فاخلف
او اوتمن فخان يصير منافقا لان اخوة يوسف اوتمنوا فخانوا ووعدوا فاخلفوا
وحدثوا فكذبوا ولم يصيروا منافقين فانهم قالوا اكله الذيب ولم ياكله فهو كذب
واوتمنوا على يوسف فخانوا حيث القوه في غيابت الجب ووعدوا ان يحفظوه
بقولهم وانا له لحافظون ثم لم يحفظوه بل ضيعوه فان قيل اليس انه روي عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه قال ثلاث من علامات النفاق من اذا حدث كذب
واذا اوتمن خان واذا وعد اخلف فكيف نوفق بين الآية والخبر اذ هو لا يحتمل النسخ
لانه خبر والخبر لا يحتمل النسخ قيل يشبه ان يكون هذا في قوم خاص من الكفرة
اوتمنوا بما اودع في التورية من نعت محمد صلى الله عليه وسلم فغيروه ووعدوا ان
يبينوه فكذبوا ويحتمل ان يصير منافقا بما ذكر اذا كان ذلك في امر الدين لما فيه
من دعوة الناس الى غير الحق فاما في غيره فانه لا يصير به منافقا ولا يكون ذلك
من اعلام النفاق والله الموفق قوله تعالى وما انت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين
هذا القول منهم له في الظاهر عظيم لانهم قالوا ليعقوب وما انت بمؤمن لنا اي
بمصدق لنا ولو كنا صادقين ولا يحتمل ان يكونوا عنده صدقة ثم يكذبهم انه لا يظن بنبي
من الانبياء ان يعلم صدق انسان ولا يصدقه بل يكذبه هذا بعيد لكن نقول
يحتمل قولهم وما انت بمؤمن لنا في هذا ولو كنا صادقين عندك من قبل هذا في غير
هذا ويحتمل قوله وما انت بمؤمن لنا اي انك تتهمنا ولا تصدقنا لانه كان اتهمهم حيث
قال اني ليحزنني ان تذهبوا به واخاف ان ياكله الذيب فاعترضت له التهمة
وليس في الاتهام تكذيب بل فيه الوقف لان من ائتمن آخر في شيء ثم اتهمه فيه لا يكون
في اتهامه تكذيبه فعلى ذلك قولهم وما انت بمؤمن لنا اي تتهمنا لما سبقت من التهمة
ولو كنا صادقين ومثل هذا متعارف فيما بين الخلق ان يقال في موضع التهمة انك لا
تصدقني وان كنت صادقا اي تتهمني فعلى هذين الوجهين يخرج تاويل الآية والا لم
يجز ان يكون نبي من الانبياء يكذب من يعلم انه صادق في خبره وقوله والله اعلم

فان قيل كيف قال يعقوب واخاف ان ياكله الذيب وكيف خاف ذلك وقد قال
ليوسف وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تاويل الاحاديث ويتم نعمته عليك وعلى
ال يعقوب الاية اخباره ان الله تعالى يجتبيه ويعلمه من تاويل الاحاديث ويتم
نعمته عليه فكيف خاف عليه اكل الذيب والضياع ولا يحتمل ما اخبره من الاجتباء
واتمام النعمة عليه الا بتعليم من الله والوحي اليه قيل عن هذا من وجوه احدها
يحتمل ان يكون ما ذكر من الاجتباء وتعليم الاحاديث واتمام النعمة عليه معلقا بشرط
ما ذكر من الخوف عليه من اكل الذيب واذا كان معلقا به لا بد من وجوده لوجود
ذلك وقد علم الله تعالى ان ذلك الشرط يوجد لا محالة والمشروط وهذا كما ذكر في غير
موضع ان صلة الرحم تزيد في العمران زيادة العمر في حق البعض بشرط صلة
الرحم ويوجد ذلك الشرط والمشروط وهذا لان حكم الله تعالى قد يكون بسبب وقد
يكون بغير سبب والله اعلم والثاني يحتمل انه خاف ذلك مع علمه بان الله لا يكون يحكم
الوعد لما ان بالوعد لا يخرج ذلك الفعل من ان يكون متصورا الوجود في نفسه
ولا يدخل في حد الامتناع على ما خاف الانبياء جميعا على ما هم عليه من الدين وان عصموا
عما خافوا عليه حيث قال ابرهيم واجنبني وبني ان نعبد الاصنام ومعلوم له انه
لا يعبد الاصنام وقال يوسف توفني مسلما والحقني بالصالحين وامثال ذلك وهذا
لما ذكرنا في غير موضع ان العصمة لا تزيل المحنة ولا تزيل الخوف لما لا يخرج المعصوم
عن قدرة ارتكاب المضادات لذلك وعلى ذلك الاخيار والابرار كان خوفهم واشفاقهم
على دينهم اكثر من غيرهم والله اعلم والثالث انما قال ذلك حثا لاولاده على حفظه
وتحريضا لهم على ذلك وان كان يعلم ان ذلك لا يكون ولكن يحتمل غير ذلك من اسباب
الصدر فيكون ذلك عبارة عن الاستقصاء في الامر بالحفظ له والله اعلم ثم قوله
يا ابانا انا ذهبنا نستبق قال بعضهم اي نشتد على الصيد وقال ابو عوسجة
نستبق من السباق اي نعدو نجري سطرا بهم نسبق اي يتقدم على صاحبه ويغلبه
في العدو وقال القتبي نستبق اي ننتضل وتسابق بعضنا بعضا في الذي يقال
سابقته فسبقته والله اعلم قوله تعالى وجاءوا على قميصه بدم كذب الدم لا يكون
كذبا ولكن معناه والله اعلم اي جاءوا على قميصه بدم قد كذبوا فيه انه دم يوسف وان
الذيب اكله فانه لم يكن ذلك ثم قال بل سولت لكم انفسكم امرا اي زينت لكم انفسكم
والتسويل هو التزيين في اللغة وتاويله اي زينت لكم انفسكم ودعتكم الى امر تفعلون

وتفرقون بيني وبين ابني لكنا لا نعلم ما ذلك الامر الذي زينت لهم انفسهم ذلك
والله اعلم قوله تعالى فصبر جميل يحتمل وجهين احدهما يحتمل فصبرا اي
لا جزع فيه جميل اي نرضا بما ابتلينا به لان الصبر هو كف النفس عن الجزع
والثاني فصبرا اي كف النفس عن الجزع جميل اي لا مكافاة فيه لانهم بما فعلوا بيوسف
كانوا مستوجبين المكافاة والجزاء فقال فصبر جميل اخبر بقوله فصبر انه يمنع
النفس عن الجزع بما فات عليه من الولد وبقوله جميل اخبر انه لا يكافيهم
على سوء صنيعهم والله اعلم قوله تعالى والله المستعان على ما تصفون
اي وبالله استعين على ما تقولون من الكذب حيث تزعمون ان الذيب اكله
ونحو ذلك والله اعلم قوله تعالى وجاءت سيارة فارسلوا واردهم فادلى
دلوه السيارة هي جماعة السايرين اي المسافرون والوارد هو طالب الماء ومستقيه
اي ارسل السيارة الواردة وبعثوه لطلب الماء فاتى ذلك الجب وادلى دلوه اي
ارسل دلوه في البير قوله تعالى قال يا بشرى هذا غلام قال بعضهم
بشرى هو اسم رجل كان مع الذي يدلي الدلو في البير فلما ان راى يوسف في الدلو
لما نزحوا الدلو من البير قال له يا بشرى هذا غلام كما يقال يا فلان هذا غلام
وقال بعضهم هو من البشارة اي كانه قال له ابشر بهذا الغلام وفي بعض القراءة
يا بشراي على الاضافة الى نفسه كانه بشر نفسه اي البشرى بهذا الغلام لما اني
وجدته فيكون لي ويشبه ان يكون هذا كناية كلام كان هنالك لكنه لم يبين لنا ذلك
وهو كقوله وقاسمهما اني لكما لمن الناصحين اخبر انه اقسم ولم يبين ما ذلك القسم
فعلى ذلك هذا والله اعلم قوله تعالى واسروه بضاعة قال بعضهم الاسرار
هو اسم الاخفاء والاظهار جميعا على الاشتراك كقوله واسروا الندامة لما راوا
العذاب اي اظهروا الندامة فان كان على ما ذكر انه اسم يحتملهما جميعا فكانه قال
واظهروه بضاعة وان كان على حقيقة الاخفاء فهو على الاضمار كانه قال واسروا ما
كان حقيقته الاسر واظهروا انه بضاعة لئلا يطلب اصحابهم في ذلك شركة ونصيبا
قوله تعالى والله عليم بما يعملون يحتمل عليم بما عمل اخوة يوسف بيوسف ويحتمل
عليم بما عمل السيارة من الاسرار والاظهار والله اعلم قوله تعالى وشروه
بثمن بخس دراهم معدودة قال بعضهم البخس هو النقصان اي باعوه بثمن لا يباع مثله
بمثله وقال بعضهم البخس هو الظلم اي باعوه ظلما واخذ والثمن ظلما لانهم باعوه حرا وبيع الحر

حرام واحد منه حرام لان ثمن الحر حرام وقال بعضهم بثمن بخس دراهم معدودة
اي بنهرجة وزيف وقول اهل التاويل انه بيع بعشرين درهما او عشرين ونيفا
ذلك مما لا يعلم الا بالخبر متواترا وليس في القرآن سوي انه بيع بالثمن الدون
الناقص وهو قوله وشروه بثمن بخس والبخس هو النقصان تقال بخسته
اي نقصته قال تعالي ولا تبخسوا الناس اشياءهم اي لا تنقصوا وهو كما قال
ولا تنقصوا المكيال والميزان والله اعلم ثم قوله وشروه بثمن بخس دراهم معدودة
وكانوا فيه من الزاهدين اي السيارة باعوه بثمن بخس لما كانوا في يوسف من
الزاهدين اي غير راغبين خشية ان يجيئهم طالب فيستنقذه من ايديهم لما علموا
ان مثل هذا لو كان مملوكا لا يترك هكذا الا يطلب فباعوه بادني ثمن لا يباع مثله
بمثل ذلك ليصل اليهم شيء وهذا كما يبيع الرجل ملكه علي رغبة له فيه مخافة
الطلب والاستنقاذ من يده والله اعلم وقالت عامة اهل التاويل في قوله
وشروه بثمن بخس ان اخوة يوسف هم الذين باعوه من السيارة بثمن بخس دراهم
معدودة وكانوا فيه من الزاهدين اي كان اخوته لم يعرفوا منزلته ومكانه
والاول اشبه والله اعلم وقال بعضهم وشروه بثمن بخس اي الذين اتوه من
البئر او السيارة من بعض اهل مصر وكانوا في شرايه من الزاهدين لما خافوا
ذهاب الثمن ان كان مسروقا او حرا قوله تعالي وقال الذي اشتريه
من مصر لامراته اكرمي مثواه اي مقامه ومنزلته والمثوي هو الموضع الذي يثوي
فيه والثواء المقام والثاوي المقيم قوله تعالي عسي ان ينفعنا او نتخذه ولدا
اي عسي ان ينفعنا ان صدق التجار انه بضاعة او نتخذه ولدا ان ظهر انه مسروق
وانه حر لما كان وقع عنده ان البضاعة لا تباع بمثل ذلك الثمن الذي باعوه والله اعلم
قوله تعالي وكذلك مكنا ليوسف في الارض تاويله والله اعلم كما مكنا ليوسف
عند العزيز وامراته كذلك مكنه عند اهل الارض ولكن ذكر مكناه علي الخبر لانه
كان مكنا في ذلك اليوم عند العزيز والملك ويشبه ان يكون قوله مكنا اي كذلك
جعلنا ليوسف مكانا ومنزلة عند الناس وفي قلوبهم مكان ما خذله اخوته ولم يعرفوا
مكانه ومنزلته وبعد ما كان شبه المملوك عند اوليك والله اعلم قوله تعالي
ولنعلمه من تاويل الاحاديث هذا قد ذكرناه فيما تقدم قوله تعالي والله
غالب علي امره اي لا مرد لقضايه اذا قضي امرا كان وهو كقوله لا معقب لحكمه

قوله تعالي ولكن اكثر الناس لا يعلمون ظاهر قوله تعالي ولما بلغ اشده
الاشد هو اشداد كل شيء ونهاية كل نوع من الكمال ويحتمل اشده انتهاء بلوغه
او انتهاء شبابه او انتهاء عقله في التمام لا يخلو من هذه الاوجه الثلاثة وقول
اهل التاويل من ثماني عشرة الي اربعين لانه قد يتم ويكمل كل نوع من ذلك الي هذه
المدة والله اعلم قوله تعالي اتيناه حكما وعلما يحتمل قوله حكما الحكم بين
الناس والعلم في الحكم ويحتمل قوله حكما اي اعطيناه النبوة وعلمناه علم تاويل الاحاديث
او قوله حكما وعلما اي اذا اعطاه الحكم اعطاه العلم واذا اعطاه العلم اعطاه الحكم والله اعلم
قوله تعالي وكذلك نجزي المحسنين يحتمل المحسنين وجوها ثلاثة احدها
الاحسان في الاعمال وهم الذين عملوا اعمالا حسنة صالحة والثاني يحتمل
الاحسان الي الناس وهم الذين احسنوا الي الناس بانواع البر والاحسان
من حيث المال والجاه والعمل ونحو ذلك ويحتمل الاحسان الي نفسه ثم قوله
وكذلك نجزي المحسنين اي كذلك نجزي من احسن صحبة نعم الله واحسانه وقام
بشكر ذلك اي مثل جزاء يوسف لا يريد انه يجزي غيره عين ما جزي به يوسف
ولكن يجزيه مثل ذلك والله اعلم قوله تعالي وراودته التي هو في بيتها عن نفسه
دلت قوله في بيتها علي ان البيت قد يجوز ان يضاف الي المراة وان كان البيت
في الحقيقة لزوجها حيث اضاف الله تعالي بيت زوجها اليها اذ الظاهر ان البيت
للازواج ثم قوله وراودته اي دعته الي نفسها والمراودة هي الدعوة والطلب وقال
اهل التاويل راودته اي ارادته قوله تعالي وغلقت الابواب وقالت هيت
لك قيل ان هذه كلمة اخذت من الكتب المتقدمة ليست بعربية ونحن لا نعرف ما
ارادت بها لكن اهل التاويل تكلموا فيه قال بعضهم هيت لك اي هلم لك اي هلم فانا
لك اي تعال فانا لك وقري هيت لك بمعني هيئت لك تقول العرب هيت لك امري
كذا وكذا علي معني هيئت لك وفي بعض القراءات هيئت لك بالهمز ومعناه ما ذكر تهيات
لك ويشبه ان يكون قوله هيت لك اي ها انا لك قوله تعالي قال معاذ الله اي
اعوذ بالله والجا اليه واتحصن به قوله تعالي انه ربي احسن مثواي قال اهل التاويل
ربي اي سيدي الذي اشتراه احسن مثواي اي اكرم مقامي ومكاني دليله قوله
لزوجته اكرمي مثواه وقوله احسن مثواي يدل علي ان المراد من قوله اكرمي مثواه
احسني مثواه ولكن يشبه ان يكون اراد يوسف بقوله ربي ربه الذي خلقه اي ان

ربي الذي خلقني وخلق كل شيء اكرم مثواي ورزقني النبوة وعلم التاويل واتم علي النعمة
حظر علي ما تدعوني اليه ونهاني عنه فكيف اعصيه فاكون ظالما وانه لا يفلح الظالمون
ثم قوله انه لا يفلح الظالمون اي وقت ظلمهم بظلمهم اذا اصروا علي الظلم فاما اذا اقلعوا عنه
وتابوا فقد افلحوا والله اعلم قوله تعالي ولقد همت به وهم بها لولا ان راى برهان
ربه اما ما قال بعض اهل التاويل همت به اي انها استلقت له وهم بها اي حل
سراويله وامثال هذا من الخرافات فهذا كله مما لا يحل ان يقال فيه شيء من ذلك
والدليل علي فساد ذلك من وجوه احدها قوله هي راودتني عن نفسي ولو كان
المراد منه الارادة والمراودة لم يكن ليقول ذلك لها ويبرأ نفسه من ذلك والثاني
قوله كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء ولو كان شيء مما ذكروا من حل السراويل والجلوس
بين رجليها لم يكن السوء مصروفا عنه فيكون فيه خلاف كتاب الله تعالي والثالث قوله
ذلك ليعلم اني لم اخنه بالغيب اخبر يوسف انه لم يخن زوجها بالغيب ولو كان منه ما ذكروا
لقد خانه بالغيب فيكون كاذبا في قوله ولا يجوز الكذب علي الانبياء عليهم السلام والرابع
قولها ما علمنا عليه من سوء وقولها الان حصحص الحق انا راودته عن نفسه هذا
كله يدل علي ان ما قاله اهل التاويل فاسد لا يحل ان يتكلم فيه بشيء من ذلك وليس
في ظاهر الاية شيء مما قالوا من قليل ولا كثير اذ ليس في الاية سوى ان همت به وهم بها
ثم الاية تحتمل وجوها عندنا احدها همت به هم عزم وهم بها هم خطر ولا صنع للعبد
فيما يخطر بالقلب ولا مواخذة عليه انما المواخذة اذا صار الخطر عزما وارادة وهو
قول الحسن والثاني همت به هم الارادة والقصد وهم بها هم دفع اي هم ان يدفعها عن
نفسه لكن يدخل علي هذا التاويل قوله لولا ان راى برهان ربه فانه اذا كان هم بها ان
يدفعها عن نفسه لم يكن كقوله لولا ان راى برهان ربه معنى اذا راه برهان لئلا يقدم
علي ما يدعى اليه ويدفع ذلك فلا معنى لارادة البرهان ولان تقدير الكلام وهم بها هم
دفع لولا ان راى برهان ربه اي لما راى برهان ربه لم يهم بها هم دفع وهذا فاسد والثالث
ان يكون هم بها هم قتلها لما عنده انه لم يمكنه دفعها عن نفسه بدون قتلها فاذا كان هم بقتلها
فراى برهان ربه ان اترك قتلها وادفعها بدون القتل ودفعها فترك القتل لما علم بالبرهان
انه يمكنه دفعها بدونه فلا يحل له قتلها والله اعلم والرابع اي وهم بها لولا ان راى برهان ربه
علي الشرط اي كان يهم بها ان لم ير برهان ربه فاذا راه لم يهم وهو كقوله ولولا ان ثبتناك
لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا اي لولا ما كان من تثبيتنا اياك والا لركنت اليهم شيئا

قليلا فاذا ثبتناك لم تركن وعلي هذا المخرج قول ابراهيم بل فعله كبيرهم هذا فاسالوهم
ان كانوا ينطقون اي لو كان هو بالذي ينطق كفعل هو علق فعل الصنم بشرط
كونه ناطقا فاذا لم يكن ينطق لم يفعل والتعليق بشرط لا يكون حقيقة او عادة تكون
اعداما كذلك الفعل به فلم يكن ذلك منه اخبارا عنه بالفعل وان كان ظاهره انه
اراد انه فعل كبيرهم حقيقة حتى تركوه فعلي ذلك هذا والله اعلم ثم اختلف في قوله
لولا ان راى برهان ربه قال بعض اهل التاويل انه راى يعقوب عاضا علي سفتيه
اي اترك وامتنع وقال بعضهم مثل له يعقوب وصور فراه عاضا علي اصبعه
وقال بعضهم راى اية من كتاب الله تعالي ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة لكن هذا
كله لا ندري ولا نقطع به واصل البرهان الحجة اي لولا ما راى من حجة الله تعالي والا
كان يهم بها ولكن لا ندري ما تلك الحجة والله اعلم قوله تعالي لنصرف عنه السوء
والفحشاء انه من عبادنا المخلصين اي نصرف عنه ذلك باراءة البرهان قوله
تعالي واستبقا الباب قال بعضهم استبقت هي لتغلق الباب واستبق هو ليخرج
ويفر لكن قوله لتغلق لا يحتمل لان الابواب كانت مغلقة لقوله وغلقت الابواب
ولكن استبقت هي لتحبسه وتمنعه واستبق هو ليخرج ويفر قال ابو عوسجة
قدت قميصه اي شقت ومزقت ومقدود اي مشقوق من دبر اي من خلف
وقدت قميصه من دبر لما جرته لتحبسه قوله تعالي والفيا سيدها لدى الباب
اي وجدا سيدها هذا يدل ان قوله انه ربي احسن مثواي لم يرد به العزيز
الذي اشتراه ولكن اراد به العزيز الذي خلقه لانه قال سيدها ولم يقل سيدهما
قوله تعالي لدى الباب اي عند الباب قوله تعالي ما جزاء من اراد باهلك
سوءا الا ان يسجن او عذاب اليم هذا يدل علي ان الارادة تكون مع الفعل لانها
كانت لا تعلم ارادة ضميره وانما اخبرت عما عرفت من الميل واظهار الفعل وكذلك
قول اخوة يوسف اذ قالوا ليوسف واخوه احب الي ابينا منا وكانوا لا يعرفون
ما في ضميره من الحب سوى ما ظهر لهم من الميل اليه وابدار الشفقة له فعلي ذلك
الارادة والله اعلم قوله تعالي قال هي راودتني عن نفسي اي هي دعتني عن نفسي
وقد ذكرنا ان المراودة هي الدعوة وهو كقوله سنراود عنه اباه اي سندعوا منه
ونطلب فان قيل كيف هتك سترها بقوله هي راودتني عن نفسي قيل ليس فيه
قصد هتك الستر عليها بل فيه نفي العيب والطعن عن نفسه فالواجب علي المرء

ان ينفي العيب وما يشينه عن نفسه علي ما فعل يوسف والله اعلم قوله تعالي
وشهد شاهد من اهلها ان كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين
وان كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين من دبر اي من خلف
ومن قبل اي من قدام وهو ماخوذ من قبل ومنه قبل المراة واختلف اهل
التاويل في الشاهد قال بعضهم ذلك الشاهد هو ابن عمها رجل حليم وقال بعضهم
صبي في المهد وقال بعضهم شق القميص من دبر هو الشاهد وامثال ذلك
قالوا لكن لا نعلم من كان ذلك الشاهد وليس لنا الي معرفته حاجة والله اعلم
ثم قوله ان كان قميصه قد من قبل فصدقت الاية وانما كان الامر علي ما ذكر
الشاهد لان القميص اذا كان منقدا من قبل فهو انما انقد من دفعها اياه عن نفسها
واذا كان منقدا من دبر فهو انما انقد من جرها اياه الي نفسها لان من دفعها
اياه عن نفسها لذلك قال ذلك الشاهد ان كان قميصه قد من كذا فهو كذا وان قد
من كذا فهو كذا فقوله تعالي فلما راي قميصه قد من دبر قال انه من كيدكن ان
كيدكن عظيم استدل علي انه انما تمزق من جرها اياه لا من دفعها اياه من نفسها
وفيه دلالة جواز العمل بالاجتهاد لان القميص في الغالب لا يتمزق من دبر
الا عن جر من وراء ولا من قبل الا عن قدام وان كان يجوز في الحقيقة علي غير
ذلك لكن نظر الي الغالب فدل ان الحكم بعلم الغالب واجب والله اعلم وعنه
دليل لاصحابنا رحمهم الله في مسايل انه بني الحكم علي ظاهر الحال وغالب الامر
من ذلك قولهم في حانوت في يدي اثنين فيه لولو واهاب احدهما لولوي والاخر
دباغ فتنازعا فيما فيه من اللولو والاهاب فانه يقضي لكل واحد منها للولوي باللولو
وللدباغ بالاهاب لظاهر اليد علي ما قضي الشاهد بالمراودة بتمزيق القميص من دبر
ومن قبل وعلي ذلك قالوا في الزوجين يختلفان في متاع البيت ان ما كان من متاع
الرجال فهو في يد الرجل وما كان من متاع النساء فهو في يد المراة وامثال هذه
مسايل كثيرة يقضي فيها بالدلايل الغالبة والاحوال الظاهرة وان كان يجوز
الحقيقة علي خلاف الظاهر والغالب والله اعلم قوله انه من كيدكن ان كيدكن
عظيم يشبه ان يكون كيدها انها لما راودته من نفسه وامتنع عن اظهار ذلك وافشايه
عليه وافشت عليه ذلك حيث ابي اجابتها اظهارا للبراءة نفسها عن ذلك فقالت
ما جزاء من اراد باهلك سوءا ذلك القول منها من كيدهن واصل الكيد والمكر

هو علي الاخذ علي الامن والله اعلم قوله تعالي يوسف اعرض عن هذا احتمل
قوله يوسف اعرض عن هذا اي عن قولها هي راودتني عن نفسي ويشبه
ان يكون قوله اعرض عن هذا اي عن جميع ما يشينها اي استر عليها ولا تهتك سترها
قوله تعالي واستغفري لذنبك ذلك القايل الذي قال ليوسف اعرض عن
هذا قال لها واستغفري لذنبك انك كنت من الخاطيين لما ظهر عنده انها هي التي
راودته عن نفسها ودعته الي نفسها ثم اختلف في تاويل هذا القول قال بعضهم
هو زوجها قال ليوسف اعرض عن هذا ولا تهتك سترها وقال لها استغفري
لذنبك علم الذنب منها وامرها بالاستغفار لكنهم قالوا انه كان قليل الغيرة في النساء
فلذلك قال ما قال وسهل الامر وما شدد عليها والله اعلم وقال بعضهم ذلك
القايل هو رجل آخر هو ابن عمها الذي قال بعض اهل التاويل هو الذي
ذكره الله تعالي بقوله وشهد شاهد من اهلها فيكون هو مع زوجته زوجها
لدي الباب فيكون القايل هو دون زوجها والله اعلم وهذا اشبه ثم قوله
واستغفري لذنبك قال بعضهم انما قال لها ذلك وامرها بالاستغفار لانهم
وان كانوا يعبدون الاصنام فانما يعبدونها ليقربوهم الي الله زلفا وقال
بعض اهل التاويل واستغفري لذنبك اي لزوجك حيث خنته فان كانت
تاويل هذا فهذا يدل علي ان القايل لذلك رجل آخر لا زوجها وان كان الاول
فانه يحتمل كليهما ايهما كان والله اعلم قوله تعالي وقال نسوة في المدينة
امراة العزيز تراود فتيها عن نفسه يشبه ان يكون استكتمت سرها عند نسوة
في المدينة فافشين سرها عند اهل المدينة ليبلغ ذلك الخبر الملك ويحتمل انها
لم تكن اعلمت تلك النسوة ولكن لا بد من ان يعلم بعض خدمها فالخادم اعلنت سرها
وافشت عند نسبه من اهل المدينة فقلن عند ذلك تراود فتاها عن نفسه اي
تدعو عبدها الي نفسها قوله تعالي قد شغفها حبا قال بعضهم الشغاف هو
حجاب القلب وغلافه قد شغفها حبا اي حبها اياه الشغاف وقال ابو عوسجة شغفها
حبا اي دخل الحب في شغاف القلب وهو غطاؤه وقري بالعين شعفها اي ذهب
عقلها وعشقها والمشغوف المحب وقيل المشعوف هو المجنون حبا وقال الحسن الشغف
ان يكون قد بطن لها حبه والشعف ان يكون مشعوفا به وهو من العشق وقال
عامة اهل الادب ان الشعف بالعين اشد من الشغف لكن هذا قول اوليك النسوة

فلا ندري ما ارادن بذلك وانما هذا خبرا اخبر عن قولهن قلنه والله اعلم ٥
قوله تعالى انا لنريها في ضلال مبين حيث خانت زوجها وقيل اي في حيرة
من حبها اياه قوله تعالى فلما سمعت بمكرهن اي بقولهن والمكر هو الاخذ
في حال الامن وهو الخيانة فيما اوتمن واستكتم فكانها استكتمت سرها وهو حبها
ليوسف عليه السلام عن الناس وافشت ذلك للنسوة في المدينة على ان يستكتمن
على الناس فافشين عليها ذلك فذلك المكر الذي سمعت الي هذا ذهبت بعض اهل
التاويل والله اعلم وامكن ان تكون المراة لم تفش سرها اليها ولكن بعض خدمها
التي اطلعت على ذلك هي التي افشت اليهن فافشين هن ذلك فلما سمعت ذلك
منهن ارسلت اليهن انما تتوليا ودعاهن للضيافة واما استزاره يزورنها فذلك قوله
فلما سمعت بمكرهن ارسلت اليهن واما قول اهل التاويل ان النسوة كانت امراة
الخباز والساقي فذلك لا نعلمه وليس لنا الي ذلك حاجة والله اعلم قوله تعالى
واعتدت لهن متكا القراءة المعروفة متكا مثقل من قولك اتكات وهو الوسايد
وما يتكا عليه وقال الكسايي المجالس يتكون عليها في الطعام وقال ابو عوسجة
واعتدت لهن متكا مجزوم التاء وهو الاترج والطعام فبلغنا وعن الضحاك كل شيء
يحز بالسكين فهو متك وكذلك قال القتبي قال ونقال الزما وردوا على ذلك
قال الحسن واعتدت لهن متكا اي طعاما وشرابا والله اعلم قوله تعالى
واتت كل واحدة منهن سكينا اي كل واحدة منهن سكينا قوله تعالى وقالت اخرج
عليهن وههنا كلام واشكال ان كيف اطاعها يوسف بالخروج على النساء بقولها اياه
اخرج عليهن وفي ذلك خلوة بهن وذلك مما لا يحل لكن الخروج على وجوه احدها انه انما
يكره الدخول عليهن والخلوة بهن واما الخروج عليهن فليس بمكروه اذ فيه الخروج منهن
لانه اذا خرج عليهن كان يقدر ان يخرج منهن فكانه عليه السلام لما اذنت له بالخروج
عليهن خرج رغبة في الخروج من عندهن وعلى هذا العزم خرج لا للعزم على الخروج
عليهن اذا لم يكن يقدر ان يخرج من البيت عليهن بغير اذن منها فالامر بالخروج عليهن
افاد به الاذن بالخروج من البيت ولا سبيل له الي الخروج منه بلا اذن له فخرج عليهن
ثم من عندهن الي غيره من المكان وذلك مما لا يكره اذا كان مما لا سبيل له الي ما سواه
والله اعلم ففيه دلالة ان مشتري يوسف كان منع يوسف عن ان يخرج الي البلد
والسوق وعن ان يخالط الناس وامر امراته ان تحفظه وتقوم بامره اما اشفاقا

على نفسه لئلا يطلع احد على نفس يوسف لما وقع عنده انه مسروق او لئلا يفتتن به
النساء فكيف ما كان ففيه دليل على المسرور ان تحفظ ولده او عبده اشفاقا عليه
والله اعلم وليشبه ان يكون منها الامر بالخروج فحسب ولم يقل عليهن فلم يعلم يوسف
انها انما تامر بالخروج على النساء فخرج لكن الله تعالى اخبر عن مقصودها وكان
مقصودها من الامر بالخروج مطلقا المقيد وهو الخروج عليهن فاخبر تعالى عن
مقصودها بقوله وقالت اخرج عليهن وذلك جايز في اللغة ويكون مثل هذا
في الكلام واستعمال اهل اللسان والله اعلم ويحتمل وجها آخر ان يكون قوله
اخرج عليهن اي عنهن فذكرت اخرج عليهن ظاهرا ليراه منها النساء بانه يطيعها
فيما تامره وتريد من حيث الاشارة والدلالة ان غرضها ان يخرج من بين النساء
ومن عندهن لما اتخذت لهن ضيافة لكن ذكرت عليهن على الكناية عن عنهن على ما
هو جار مستعمل في اللغة فانه يستعمل كلمة على مكان عن كقوله اذا اكتالوا على الناس
اي عن الناس وامثاله كثير والله اعلم قوله تعالى فلما رأينه اكبرنه
وقطعن ايديهن قوله اكبرنه اي اعظمنه من حسنه ان يكون مثل هذا من البشر
الا ترى انهن قلن حاش لله ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم وقوله وقطعن
ايديهن اي لصيرورتهن مغلوبات من حسنه قطعن ايديهن حزا جزا بالسكين
قوله تعالى وقلن حاش لله قال اهل التاويل اي معاذ الله وقال بعضهم
حاش لله كلمة تنزيه من القبيح ويقرا ايضا حاشا لله وفي مصحف حاشا الله كلها لغات
معناها واحد معاذ الله ودلت هذا القول منهن انهن مقرات بالله حيث قلن
معاذ الله ما هذا بشرا ثم قوله ما هذا بشرا قراءة العامة على معنى ما هذا ببشر
والعرب تقول ما عبد الله قايما على معنى بقايم وفي مصحف ما هذا ببشر فيكون دليلا
للقراءة العامة وفي حرف ابن مسعود رضي الله عنه ما هذا البشر والعرب تقول
ايضا ما عبد الله قايم والله اعلم قوله تعالى ان هذا الا ملك كريم كان الملك عند
الكفرة حسن وان لم يروه ينسبون كل حسن الي الملايكة والشيطان قبيح عندهم
ينسبون كل قبيح اليه قوله تعالى قالت فذلكن الذي لمتنني فيه لقولهن امراة
العزيز تراود فتاها عن نفسه اي انكن لمتنني اني اراوده عن نفسه وانتن قطعتن
ايديكن اذا رايتن وانكرتن ان يكون هو بشرا فذلك اعظم قوله تعالى ولقد
راودته عن نفسه اي اي دعوته الي نفسي فاستعصم قيل امتنع لقوله لا عاصم اليوم

اي لا مانع ويشبه قوله فاستعصم اي استعصم بالله او بدينه ونبوته او بعقله والله اعلم
قوله تعالى ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن وليكونا من الصاغرين قالت ذلك
امراة العزيز يشبه ان يكون قولها ليسجنن وليكونن في السجن من الصاغرين اي
الصغار بسبب السجن لا صغار آخر مع السجن ويحتمل ليسجنن وليكونا من الصاغرين
من الدليلين لان الصاغر هو الذليل لانه قال العزيز لامراته اكرمي مثواه
فكان مكرما عندها معظما فلما ابى ما راودته فقالت ليسجنن وليكونا من الصاغرين
خوفته بالسجن والاذلال ليجيبها الى ما تدعوه اليه السجن والاذلال آخر وراء
الحاصل بالسجن قوله تعالى رب السجن احب الي مما تدعونني اليه فيه دلالة
انه قد كان منهن من المراودة والدعاء ما كان من امراة العزيز من المراودة
والدعاء الى نفسها حيث قال رب السجن احب الي مما يدعونني اليه الا ترى انه
قال في موضع آخر ما خطبكن اذ راودتن يوسف عن نفسه ولذلك قالت امراة
العزيز فذلكن الذي لمتنني فيه اي كنتن تلمنني اني راودته عن نفسه وانتن قد
راودتنه عن نفسه ويحتمل انهن امرنه بالاجابة لدعائها الى نفسها على سبيل الشفاعة
والاعانة لها لذلك قال مما تدعونني اليه ثم قول يوسف رب السجن احب الي
مما تدعونني اليه اي ذلك الذل والصغار احب الي اي آثر عندي واخير في الدين
مما يدعونني اليه وكان ما يدعونه اليه يهوى نفسه وتميل اليه وتحبه حب طبيعة
لكن اخبر ان السجن احب اليه اي آثر اليه واحب في الدين اذ النفس تكره السجن
وتنفر عنه الا ترى انه قال والا تصرف عني كيدهن اصب اليهن واكن من الجاهلين
فهذا يدل على انه انما اراد بقوله رب السجن احب الي محبة الاختيار والايثار
في الدين لا محبة النفس واختيارها بل كانت النفس تحب وتهوى ما يدعونه اليه
حيث قال اصب اليهن واكن من الجاهلين ثم ليس الدعاء في قوله رب السجن احب
الي مما يدعونني اليه كما قاله بعض الناس انه ولذلك قالوا انه انما وقع في السجن لانه سال
السجن بالدعاء من الله فاستجيب دعاؤه في ذلك ولكن الدعاء في قوله والا تصرف
عني كيدهن وقوله رب السجن احب الي مما يدعونني اليه اخبار اخبر وهو كقول آدم
وحواء ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين ليس الدعاء
في قولهما ربنا ظلمنا انفسنا بل اخبار وانما كان منهما الدعاء في قولهما وان لم تغفر
لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين وكذلك قول نوح قال رب اني اعوذ بك ان اسالك

ما ليس لي به علم والا تغفر لي وترحمني فكذلك قوله والا تصرف عني كيدهن اذ معناه
لا احد يملك صرف كيدهن عني لو لم تصرفه انت وكذلك قوله وان لم تغفر لنا وترحمنا
وقوله والا تغفر لي وترحمني وهو اجمع في الدعاء من قوله اللهم اصرف عني كيدهن
ومن قوله اللهم اغفر وارحم والله اعلم ثم في قوله والا تصرف عني كيدهن اصب اليهن
دلالة ان عند الله تعالى لطفا لم يكن اعطى يوسف ذلك فسأله ليعطيه فينصرف بذلك
عنه كيدهن اذ لو كان اعطاه ذلك لكان كيدهن وشرهن مصروفا عنه لم يكن لسؤاله
والا تصرف عني كيدهن معنى فهذا ينقض على المعتزلة قولهم ان الله تعالى قد اعطى
كل مكلف قدرة كل طاعة وقوة كل خير وقوة دفع كل شر والله الموفق ثم قوله
اصب اليهن اي اميل اليهن صبا يصبوا اي مال يميل وقيل اصب اليهن اتابعهن
اي لو لم تصرف عني كيدهن لتابعتهن ويقال الصبو هو الخروج من الامر الذي هو فيه
يقال كل من خرج من دينه انه صبا ولذلك كان المشركون يسمون النبي صابيا
اي خرج مما عليه من دين آبائه بزعمهم وقال ابو بكر الاصم الصبو هو الامر المعجب
وقوله واكن من الجاهلين اي اكون فعلي فعل الجهال لا فعل العلماء والحكماء
ان لم تصرف عني كيدهن قوله تعالى فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن اي
اجاب له ربه فصرف عنه كيدهن هذا يدل على ان الدعاء كان في قوله والا تصرف
عني كيدهن ليس في قوله رب السجن احب الي مما يدعونني اليه حيث اخبر انه
اجاب له ربه فصرف عنه كيدهن دل ان الدعاء في قوله والا تصرف عني كيدهن
ثم في قوله والا تصرف عني كيدهن دلالة انهن كن يدعونه الى ذلك على وجه كان
يخفى عليه ولا يشعر بذلك اذ المكر والكيد هذا هو فالتجا الى الله في صرف ذلك
عنه والله اعلم قوله تعالى انه هو السميع العليم اي السميع لكل قول وكلام خفيا
كان على الخلق او ظاهرا العليم الذي لا يخفى عليه شيء قوله تعالى ثم بدا لهم
من بعد ما راوا الايات ليسجننه حتى حين اراد والله اعلم النسوة مع زوجها
لذلك قال راوا بلفظة التذكير تغليبا للتذكير على التانيث عند الاجتماع على ما
ذكر في بعض القصة انها قالت لزوجها ما زال يوسف يراودني عن نفسي فابيت عليه
فصدقها الزوج فحبسه في السجن وقيل حبسوه لينفوا عن المراة ما رميت به
ولينقطع ذلك عن الناس ويموت ذلك الخبر ويذهب ثم قوله من بعد ما راوا الايات
قال اهل التاويل هو قد القميص من دبر وخمش الوجه وغير ذلك ولكن يشبه

ان يكون الايات هي آيات نبوته و رسالته فيه انهم حبسوه بعد ما راوا ايات
عصمته و برائته عما اتهموه وانهم ظلمة في حبسه والله اعلم قوله تعالى ودخل معه
السجن فتيان قيل الفتيان كانا عبدي الملك غضب عليهما الملك قوله تعالى
قال احدهما اني اراني اعصر خمرا اي عنبا قال بعضهم العنب اسم للخمر بلغة قوم
وقيل سمي العنب خمرا باسم اصله وجايز في اللغة تسمية الشي باسم سببه
وباسم اصله قوله تعالى وقال الاخر اني اراني احمل فوق راسي خبزا
تاكل الطير منه قيل كان احدهما خباز الملك والاخر ساقيه قوله نبئنا
بتاويله انا نراك من المحسنين قال بعضهم احسانه في السجن لما كانوا راوه في السجن
يداوي مرضى ويعزي حزينهم ويجتهد في نفسه في العبادة لربه ويحتمل انا نريك
من المحسنين لما راوه احسن الى اهل السجن بما يكون له من الطعام ونحوه ويحتمل
الاحسان ههنا العلم انا نراك من العلماء ويحتمل انه كان يبر اهل السجن ويصلهم
ويجتهد في العبادة لله تعالى من الصلاة والصوم وانواع العبادة التي يكون فيما بينه
وبين ربه فسماه محسنا لذلك ويشبه ان يكون قالوا انا نراك من المحسنين لما
راوا به سيماء الخير واثاره وكان يدعوهم الى توحيد الله والعبادة له وخلعهم
عن عبادة الاصنام والاوثان فسماه محسنا لذلك والله اعلم ثم قوله نبئنا بتاويله
اي بتغييره سمي التعبير تاويلا لان التاويل هو الاخبار عن العواقب ثم خرج
تاويل الذي راى انه كان يعصر الخمر على العود الى ما كان من امره من السقي
للملك فانه كان ساقيا له على ما ذكر في بعض القصة فلما راى انه دام على امره اول
له بالعود الى امره الذي كان فيه والاخر كان خبازا على ما ذكر وهو انما كان يخبز
للناس فلما راى انه حمل الخبز على راسه وان الطير تاكل منه علم انه يخرج من
الامر الذي كان فيه وخروجه عن الامر الذي كان فيه هلاك له لما فيه انتهاء امره
الذي هو سبب معاشه ولانه كان من قبل يخبز للناس فصار ما خبز لغيرهم
اعني الطيور وكان ما الخبز سبب معاش الناس والآن صار سبب معاش الطير
والخبز ليس سبب قوام الطير لانها لا تاكل فعبر بما يتصل به وسبب لوجود الخبز
وهو الخباز فان الطير مما تاكل من الادمي الميت فعبر انه يصلب وتاكل الطير
من راسه لما راى انه حمل الخبز على الراس والطير تاكل منه وهو مجاور لراسه وانما
عبر انه يصلب لانه قائما منتصبا والميت الذي يكون منتصبا هو المصلوب فاول على

ذلك لهذا والله اعلم قوله تعالى قال لا ياتيكما طعام ترزقانه الا نباتكما
بتاويله قبل ان ياتيكما يحتمل هذا وجهين احدهما اي لا ياتيكما طعام رايتما
اثار ذلك في المنام الا نباتكما بتاويل ذلك قبل ان ياتي ذلك والله اعلم
والثاني يحتمل قوله لا ياتيكما طعام ترزقانه الا نباتكما بتاويله قبل ان ياتيكما
هذا منه دعوى آية النبوة وهو الاخبار عن الغيب الذي لا يكون الا بالله ولا
يطلع اليه الا رسوله كما قال عيسى وانبيكم بما تاكلون وما تدخرون في بيوتكم
وانما قال لهم هذا ليعلمهم انه اذا كان عنده علم ما لا يحتاج اليه فعلم ما يحتاج
اليه احرى ان يكون عنده فهذا منه والله اعلم احتيال لينزعهم عما هم فيه من
عبادة الاصنام ويدعيهم في توحيد الله وصرف العبادة اليه حتى اذا راوا مثلهم
في الخلقة والجوهر واختص هو بما لا يشاركه فيه غيره من الاخبار عن الغيب
وذلك لا يكون الا معجزة للانبياء اسرعوا الى الاجابة اذا دعاهم الى التوحيد
تقدم المعجزة قبل الدعوة ولذلك قال حين راى تعجبهما من ذلك القول ذلكما
مما علمني ربي اي علمني بطريق اللطف اما بواسطة تعليم الملائكة او لقاء ذلك في قلبه
بالالهام وذلك لطف من الله تعالى والله اعلم قوله تعالى اني تركت ملة
قوم لا يومنون بالله وهم بالاخرة هم كافرون قوله اني تركت ملة قوم لا يومنون
بالله ليس انه كان فيه ثم تركه ولكن تركه ابتداء اما لو لم يكن تركه كان اخذ بضده
وهو كقوله الله الذي رفع السموات ليس انها كانت موضوعة فرفعها ولكن رفعها
اول ما خلقها وكذلك قوله والارض وضعها للانام ليس انها كانت مرفوعة ثم
وضعها لكن انشاها مرفوعة وموضوعة وهو كقوله يخرجهم من الظلمات الى النور
ولكن عصمهم عن الظلمات حتى لم يدخلوها فعلى ذلك الاول والله اعلم ثم في قوله
اني تركت ملة قوم لا يومنون بالله واخبر انهم كافرون بالله واليوم الاخر دلالة
من وجوه احدها فيه ان من لم يومن بالله فهو كافر وهذا ينقض قول المعتزلة
حيث جعلوا بين الكفر والايمان رتبة ثالثة والثاني فيه دلالة ان الكفر كله ملة
واحدة حيث اخبر انه ترك ملة قوم لا يومنون بالله على اختلاف مذاهبهم وفيه
دلالة على ابطال قولهم في صاحب الكبيرة من وجه آخر فانه اعتقد يوسف ان من
لم يومن بالله فهو كافر وهم يقولون صاحب الكبيرة غير مومن بالله وهو ليس بكافر
فيصير وا مكذبين رسولا في خبره مخطئين اياه في اعتقاده والله الموفق ثم اخبر

انه اتبع ملة اباۤيه بقوله واتبعت ملة آباۤء ابراهيم واسحاق ويعقوب ثم اخبر عن ملة
اباۤيه فقال ما كان لنا ان نشرك بالله من شيء عرفهم ملة آباۤيه ودينهم وهو ترك
الاشراك بالله لا من حيث الذات ولا من حيث الصفات ولا في استحقاق العبادة
وفي الآية دليل على ان الملة ليست الا ملتين ملة الكفر وملة الاسلام واخبر
ان من لم يكن في ملة الاسلام كان في ملة الكفر ثم انما خص بذكر هولاۤء ابراهيم
واسحاق ويعقوب لان هولاۤء كانوا مكرمين عند الناس كافة وكل اهل الدين
يدعون انهم على دين اولۤيك فاخبر عليه السلام انهم على دين الاسلام الحنيف المخلص
ليس على ما يزعمون انتم ولهذا قال تعالى ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا
ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين قوله تعالى ذلك من فضل الله
علينا وعلى الناس اي ذلك الزمن والملة انا عليها وآباۤي من فضل الله علينا
وعلى الناس لانه عز وجل فطر الناس على فطرة يعرفون وحدانية الله تعالى
وربوبيته بعقول ركب فيهم ولكن اكثر الناس لا يشكرون اي يتركون ذلك الدين
أارباب متفرقون خير ام الله الواحد القهار لما سيل يوسف عن تاويل الرويا
دعاهم الى توحيد الله ودلهم على ذلك فقال ذلكما مما علمني ربي ان الغيب لا يعلمه
الا الله يطلعه من شاۤء من عبيده ولا يطلع على ذلك من هو كاذب في ادعاۤء الرسالة
عليه وقال ايضا يا صاحبي السجن أارباب متفرقون خير ام الله الواحد القهار
اي عبادة رب واحد وارضاوه خير ام عبادة عدد وارضاۤيهم وارضاۤء نفر لانه
اذا اجتهد في عبادة بعض وارضاۤيهم اسخط الباقين ولا سبيل له الى الوصول الى مقصوده
والظفر بحاجته الا بارضاۤء الكل ولا يقدر على ارضاۤيهم جميعا وان اجتهد فاما الواحد
فانه يقدر على ارضاۤيه بان لا يزال يكون في عبادته وارضاۤيه فيصل الى حاجته
والظفر بمقصوده والله الموفق والثاني يخبر ان الواحد القهار يقهر غيره من الارباب
ومن تعبدون فعبادة الواحد القهار خير من عبادة عدد مقهور دين قوله تعالى
ما تعبدون من دونه الا اسماۤء سميتموها انتم وآباوكم اي ما تعبدون من دون الله
من الاوثان والاصنام الا اسماۤء سميتموها الهة انتم وآباوكم وهم لا يستحقون العبادة
ولا التسمية بالالهة انما المستحق لذلك الذي خلقكم وخلق السموات والارض
قوله تعالى ما انزل الله بها من سلطان اي ما انزل الله على ما عبدتموهم
وسميتموهم انتم وآباوكم الهة من حجة ولا برهان قوله تعالى ان الحكم الا لله اي

ما الحكم في تسمية الالوهية والعبادة الا الله تعالى ليس كما تقولون ما نعبدهم الا ليقربونا
الى الله زلفا وقوله هولاۤء شفعاۤونا عند الله اي ما الحكم في الشفاعة والالوهية
الا لله تعالى ويحتمل ما الحكم في الخلق والامر الا لله تعالى كقوله له الخلق والامر
اي له الخلق وله الامر في الخلق وقوله امر ان لا تعبدوا الا اياه حكمه هذا ان لا
تعبدوا الا اياه قوله تعالى ذلك الدين القيم اي عبادة الله وتوحيده هو الدين
القيم لانه دين قايم عليه الحجة والبرهان فاما ساۤير الاديان فليست بقيمة اذ لا حجة
قامت عليها ولا برهان والقيم هو القايم الذي قام بحجة وبرهان وقال اهل التاويل
القيم المستقيم قوله تعالى ولكن اكثر الناس لا يعلمون يحتمل لا يعلمون لما لم
يتفكروا فيه ولم ينظروا ولو نظروا فيه وتفكروا لعلموا وهذا يدل على ان العقوبة
تلزم وان جهل المرء اذا امكن له العلم بذلك ولا عذر له في الجهل ويحتمل انهم علموا
ولكن لما لم ينتفعوا بعلمهم فكانهم لم يعلموا فنفى عنهم العلم لذلك والله اعلم وقال ابو بكر
الاصم يا صاحبي السجن سماها اصحاب السجن لانهم كانوا في السجن كما يقال اصحاب النار
واصحاب الجنة ونحو ذلك لكن هذا لا يصح لانه لو كان كما ذكر لقال يا صاحبا السجن
بالالف فلما لم يقل دل انه اضافه الى نفسه كانه قال يا صاحبي في السجن لانهما كانا
معه في السجن وكان هذا الرد وقع غلطا من الكاتب الذي تلقفه لان النداۤء المضاف
منصوب فقال يا صاحبي الدار ولكن الرد من وجه آخر فان التسمية بصاحب السجن
من باب التحقير وغرضه تعظيمهما في اضافتهما الى نفسه اي يا صاحبي في السجن والله اعلم
قوله تعالى يا صاحبي السجن اما احدكما فيسقي ربه خمرا واما الآخر فيصلب
فتاكل الطير من راسه اما تاويل رويا الساقي ما ذكر لانه عبرها على العوالي ما كان
يعمل من قبل لما راى انه كان يعمل على ما كان يعمل من قبل وعبر رويا الخباز بالهلاك
لما راى انه حمل الخبز على الراس والخباز اذا خبز الخبز لا يحمل ذلك على راسه فراى
انه قد انتهى امره اذ اراه عمل على خلاف ما كان يعمل من قبل وعبر انه يصلب وتاكل
الطير من راسه لما راى انه حمل الخبز على الراس وتاكل الطير من ذلك الخبز في حال
قيامه وانتصابه والهلاك الذي في حال الانتصاب هو بالصلب يكون او لما كان خبز
للناس ويكون خبزه سبب قوام الطير والخبز لا ياكل الطير فعبر الاكل من الخباز
الذي هو عامل الخبز فياكل من راسه الذي عليه الخبز والله اعلم قوله تعالى
قضي الامر الذي فيه تستفتيان قال بعض اهل التاويل انهما عبر لهما روياهما

قالا لم نر شيئا انما كنا نلعب فقال يوسف قضي الامر الذي فيه تستفتيان اي فرغ
وانتهي لكن هذا لا نعلم افالا ذلك ام لم يقولا وليس في القرآن سوي انه عبر
رؤياهما وكان كما عبر لهما وقد علم ذلك بتعليم الله اياه بقوله ذلكما مما علمني ربي وقوله
نبي لي وقال للذي ظن انه ناج منهما اختلف في قوله ظن انه فعل من قال بعضهم
ان الظن فعل يوسف معناه قال يوسف للرجل الذي كان عند يوسف انه ناج
منهما وظن انه نجي اذكرني عند ربك وقال بعضهم ان الظن هو فعل ذلك الرجل الذي
عبر رؤياه بالنجاة تقديره قال يوسف للرجل الذي ظن ان يوسف صدق فيما
عبر رؤياه وانه ناج فان كان الظان هو ذلك الرجل فكان الظن في موضع الظن اذ
لا حقيقة عند ذلك الرجل سوي تعبير رؤياه ولم يثبت رسالته عند ذلك الرجل ليعرف
صدق قوله فكان الظن مستعملا لحقيقته وان كان الظان هو يوسف فالمراد من
الظن هو العلم واليقين اي علم وايقن انه ناج منهما لانه لا يحتمل ان يشك فيما يعلم وقد
علمه الله تعالي تاويل الاحاديث لقوله ونعلمك من تاويل الاحاديث وقال ذلكما مما
علمني ربي والله اعلم ويحتمل ان يخرج علي حقيقة الظن من يوسف ولكن لا ينصرف
الظن الي تعبير الرؤيا من النجاة وصيرورته ساقيا ربه ولكن ينصرف الظن الي ان
ذلك الرجل يذكره عند ربه علي التقديم والتاخير في الآية كانه قال وقال للذي
ناج منهما وظن انه يذكره عند ربه اذكرني عند ربك والله اعلم وقوله اذكرني عند
ربك والله اعلم وقوله اذكرني عند ربك قال بعض اهل التاويل ان يوسف لما فزع
الي غير الله وطلب اخراجه من السجن من الملك انساه الله تعالي سنين وافره
فيه عقوبة عليه حيث نجي النجاة من غيره لكن هذا بعيد لا يحتمل ان يوسف يفزع
الي غير الله ويرفع قلبه علي الله ويشغله بمن دونه لكنه راي والله اعلم ان الله تعالي
جعل سبب نجاته علي يديه وانه بقي فيه منسيا لما علم انه لم يكن منه سبب يستحق
السجن بذلك السبب سوي الاعتداد والاعتلال الي الناس علي نفي ما قرفت
به زوجته او ليقطع ذلك الخبر عن السن الناس ويبعد عن اوهامهم فراي انه
اذا ذكره لعله اخرج من ذلك لما راي انه جعل سبب نجاته علي يديه لا انه راي
منه ذلك ورفع قلبه عن الله وهكذا جعل الله تعالي امور الدنيا كلها باسباب وعلي
ذلك تعبد عباده باستعمال الاسباب مع اعتقاد القلب العدد رفيه من الله تعالي نحوما
جعل الانزال والزرع باسباب يكتسبونها ونحو الاسلحة التي اتخذت للحرب والقتال بها

وانما يحاربون بالله وبه يقاتلون ومن عنده ينصرون وقد امر بذلك كله وبتلك
الاسباب قال الله تعالي واعدوا لهم ما استطعتم من قوة وليس كل من فعل هذا
كان فزع الي غير الله او راي النجاة والنصر من ذلك الشي والسبب بل راي ذلك
من الله تعالي ومن عنده فعلي ذلك يوسف لا يجوز ان يتوهم انه فزع الي مخلوق
مثله وراي نجاته من عنده ولكن الوجه فيه ما ذكرنا والله اعلم قوله تعالي
اذكرني عند ربك يحتمل وجهين احدهما قال اذكرني عند ربك يحتمل لما لعل عنده
اني حبست بلا علم منه وبغير امره لان تلك المراة هي التي اوعدت له بسجن فوقع عنده
انها هي التي احتالت في حبسه فقال له لك ما قال والله اعلم والثاني يقول
اذكرني بالذي رايت مني وسمعت لانه صلي الله عليه وسلم دعاهما في السجن الي
التوحيد والي عبادة ربه حيث قال ارباب متفرقون خير ام الله الواحد القهار
قوله تعالي فانساه الشيطان ذكر ربه قال بعض اهل التاويل انسي الشيطان
ليوسف دعاء ربه الذي خلقه فلم يدع ربه لينجيه من السجن ولكن طلب من ذلك
الرجل ليذكره عند الملك فينجو من السجن ولكن هذا بعيد لانه ان عني به انه لم يدع الله
تعالي النجاة في ذلك الوقت الذي قال اذكرني عند ربك وانما راي النجاة من الملك
فقد ذكرنا انه كان راه سبب نجاته وكان يري النجاة من الله تعالي في الحقيقة وان عني
ان الشيطان انساه ذكر ربه حتي لا يدعوا مدة في السجن فهذا لا يحتمل فانه كان
يدعوا الناس في السجن الي الله تعالي وكان يصوم ويصلي ويجتهد في العبادة ولكن يشبه
ما قالوا فانساه الشيطان ذكر ربه اي انسي الشيطان ذلك الرجل الذي قال
يوسف اذكرني عند ربك ذكر ربه سنين كثيرة وهذا هو الاشبه الا تري ان الله
تعالي قال في اخره وادكر بعد امة اي تذكر ذلك الرجل بعد حين ذلك انه انما انساه
الشيطان علي ذلك فلم يذكره حينا والله اعلم ثم فايدة النسيان هي والله اعلم ان الله تعالي
اراد ان يظهر له رسالته وحجة نبوته بكونه في السجن وظهور براءته في شان تلك
المراة بشهادة اوليك النسوان وذلك من علم الاحاديث والرؤيا التي عبرها والله اعلم
وقال بعضهم لم ينسه الشيطان ولكن تركه عمدا مخافة انه لو ذكره يحتاج الي ذكر
السجن وانه راي في السجن رجلا عادته كذا او حبس ظلما ونحو ذلك لعل يتذكر الملك ما
تقدم من المقال فيه اعني هذا الثاني فيزداد عليه غضبا فتركه عمدا الي ان جاء وقته
والله اعلم ثم قوله تعالي فانساه الشيطان اضاف الانساء الي الشيطان وكذلك قال

موسى وما انشاءه الشيطان فهو والله اعلم لان بداء كل شيء يكون من الشيطان لانه
يخطره ببال المرء ويقذف في قلبه ويوسوسه ثم يكون من العبد العزيمة على ذلك
والفعل والله اعلم قوله تعالى فلبث في السجن بضع سنين قال بعضهم خمس
سنين وقال بعضهم سبع سنين ونحو ذلك ولكن لا نعلم ذلك وليس لنا الى معرفة
ذلك حاجة سوى ما ذكر فيه انه لبث فيه حينا قوله تعالى وقال الملك اني
ارى سبع بقرات سمان الآية ذكر في الآية انه راى وليس فيها انه راى في المنام
ولكن ذكر في اخره الرؤيا بقوله ان كنتم للرؤيا تعبرون دلت انه راى في المنام
قوله يا ايها الملأ افتوني في رؤياي ان كنتم للرؤيا تعبرون خاطب الاشراف
من قومه والعلماء بقوله يا ايها الملأ على ما ذكرنا فيما تقدم ان الملأ هو اسم الاشراف
والرؤساء منهم والقادة وكذلك العادة في الملوك انهم اذا خاطبوا انما يخاطبون
اعقلهم واعظمهم منزلة عندهم واكرمهم مثواهم ثم دلت قوله افتوني في رؤياي
ان كنتم للرؤيا تعبرون كانه نهاهم ان يتكلفوا التعبير للرؤيا التي راها اذا لم يكن لهم
بها علم وكذا الواجب على كل من سئل عن شيء ان لا يشتغل به ولا يتكلف جوابه
اذا لم يكن له به علم حيث قال الملك افتوني في رؤياي ان كنتم للرؤيا تعبرون والله اعلم
قوله تعالى قالوا اضغاث احلام وما نحن بتاويل الاحلام بعالمين اختلف
في قوله اضغاث احلام قال بعضهم اباطيل احلام كاذبة وقال بعضهم اي
اخلاط احلام مثل اضغاث النبات تجمع فيكون فيها ضروب مختلفة وهو كما قيل
في قوله وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث اي جماعة من اغصان الشجر
وقال بعضهم اضغاث احلام ما لا يكون لها تاويل ويقال لنوع من الكلام ضغث
وهو الخلفاء اشبه البردي وقيل ان الاضغاث والاحلام اسمان لشيء لا معنى له ولا
تاويل وهما واحد واصل الاحلام يخرج من وجهين احدهما العقول دليله
قوله ام تامرهم احلامهم بهذا اي عقولهم ام هم قوم طاغون والثاني جمع
الحلم كقوله واذا بلغ الاطفال منكم الحلم ومنه الاحتلام ويشبه ان يخرج تسمية النوم
الذي لا تاويل له اضغاث احلام لان الصبي ما لم يعقل لا يلعب به الشيطان ولذلك
لا يحتلم لان الاحتلام هو من لعب الشيطان به فسمي الرؤيا الباطلة احلاما لانها من
لعب الشيطان بذلك الذي كما سمي احتلام الصبي حلما لانه اذا بلغ العقل لعب الشيطان
به والله اعلم قوله تعالى وما نحن بتاويل الاحلام بعالمين يحتمل اي وما نحن بعالمين

لما لا تاويل لها ولا تعبير كقوله ولا يشفعون الا لمن ارتضى وقوله فما تنفعهم شفاعة
الشافعين اي لا شفيع لهم ويحتمل وما نحن بتاويل الاحلام بعالمين اي لها تاويل
ولكن ما نحن بعالمين بتاويلها ولا نعلمها والله اعلم وفي الآية دليل على ان من الرؤيا
ما هو حق ولها حقيقة ومنها باطلة لا حقيقة لها لانه قال يا ايها الملأ افتوني في رؤياي
ان كنتم للرؤيا تعبرون قالوا اضغاث احلام وكان الرؤيا حقا ولها حقيقة يتامل
عواقبها واضغاث احلام لا حقيقة لها والله اعلم قوله تعالى وقال الذي
نجا منهما اي من الهلاك وهو الساقي الذي ذكر قوله تعالى وادكر بعد امة اي تذكر
بعد امة ثم اختلف في الامة قال بعضهم الامة ههنا الحين اي تذكر بعد حين ووقت
كقوله ولئن اخرنا عنهم العذاب الى امة معدودة قيل حين ووقت محدود وقال
الحسن وادكر بعد امة اي تذكر بعد امة من الناس ويقرأ بعد امه وقال ابو عوسجة
الامه النسيان والسهو اي تذكر بعد نسيان وسهو لقوله فانساه الشيطان
ذكر ربه يقال في الكلام امه يامه امها فهو امه اي نسي والامة الجماعة والجمع امم
وهم القرون الماضية كقوله تلك امة قد خلت والامة النعمة والامة ايضا الدين
والسنة كقوله انا وجدنا اباءنا على امة اي على دين وسنة ويقال الامة
ايضا القامة يقال فلان ذو امة اي ذو قامة ويقال فلان حسن الامة اي القامة
ويقال الامم القريب وما ذكر في الآية يحتمل الوجهين اللذين ذكرناهما اي ذكر بعد
حين ووقت او بعد نسيان من فزاره بالنصب والله اعلم قوله تعالى انا انبئكم
بتاويله فارسلون معناه انا انبئكم ببيان تاويلها الا انه كان هو ينبئهم بنفسه
ويحتمل اي انا انبئكم بتاويله اي انا اتعلم منه فانبئكم بتاويله الا ترى انه قال فارسلون
يوسف فيه اضمار كانه قال فارسلون الى يوسف والله اعلم قوله تعالى
يوسف ايها الصديق ليس في التلاوة في الآية انه ارسل الى يوسف ولا انه اتى ولكن ...
فيها انه سال ان يرسله اليه ولكن فيه دلالة على انه ارسل واتاه حيث قال
يوسف ايها الصديق فانما يخاطبه بالسؤال ونادى يوسف ايها الصديق بعد الحضور
الى يوسف ثم قيل الصديق هو كبير الصدق كما يقال شريب وفسيق وسكير
اذا اكثر منه ذلك وقيل الصديق هو الذي لم يوخذ عليه كذب قط ويحتمل سماه صديقا
لما انه عبر رؤياه وخرج كما اخبر لم يخالف رؤياه تعبيره فتبين عنده انه صادق
عالم بذلك فلذلك سماه صديقا قوله تعالى افتنا في سبع بقرات سمان يا كلهن

سبع عجاف وسبع سنبلات خضر واخر يابسات فافتاها له وعبر بها عليه وهو
وهو ما قال تزرعون سبع سنين دابا الي آخر ما ذكر اما البقرات هي السنون
والسمان هي المخصبات الواسعات ياكلهن سبع عجاف العجاف هي المجدبات وسبع
سنبلات خضر السنبلات سنبلات وخضر عبارة عما الحصد واخر يابسات
عبارة عما لا حصد اي لا يكون فيها ما الحصد فذلك قوله ثم ياتي من بعد ذلك سبع
شداد ياكلن ما قدمتم لهن الا قليلا مما تحصنون وفي الآية دلالة علي ان في الرؤيا
ما يكون مصرحا مشارا اليه يعلم بالبديهة ويخرج عينها ومنها ما يكون كنايه مبهما.
غير مفسر لا يعلم الا في النظر فيها والتفكر والتامل لانه قال اري سبع بقرات
سمان وسبع هو سبع لا غير وبقرات هو كناية عن السنين وسمان كناية عن
الخصب والسعة قوله تعالي ياكلهن علي حقيقة الاكل لا غير وكذلك سبع
عجاف السبع هو سبع والعجاف كناية عن الشدة والجدب وسبع سنبلات هي
عين السنبلات وخضرهن كناية عما الحصد ويابسات كناية عما لا يكون
فيه ما الحصد ففيه دليل ان من الخطاب ما يكون مصرحا مبينا مشارا اليه
يفهم المراد منه بالبديهة وقت قرع الخطاب السمع ومنه ما يكون مبهما غير
مفسر وهو علي وجهين منه ما يفهم بالنظر فيه والتفكر والثاني لا يفهم لا
بالبديهة ولا بالنظر والتامل فيه والتفكر الا ببيان يقترن به سوي ذلك
علي هذا المخرج المخاطبات فيما بين الله وبين الخلق والله اعلم قوله تعالي
لعلي ارجع الي الناس لعلهم يعلمون هذا يحتمل وجوها احدها يحتمل يعلمون
ان هذه الرؤيا حق ولها حقيقه ليس كما قال اوليك اضغاث احلام والثاني
اي يعلمون فضلك علي غيرهم من الناس والثالث اي يعلمون انك تصلح لحاجاتهم
التي تقع في حال يقظتهم فيما تفعونها اليك كما صلحت لما كان لهم في حال نومهم والله اعلم
ثم علمهم الزراعة وجمع الطعام والادخار ان كيف يدخر حتي يبقي الي ذلك الوقت
فقال تزرعون سبع سنين دابا قال بعضهم اي دائما اي يداومون الزراعة
فيها وقال ابو عوسجة دابا من الدوب وهو الجد والتعب وقال القتبي دابا
اي جدا في الزراعة ومتابعة وكله واحد قوله تعالي فما حصدتم فذروه في سنبله
لا تنقوه لان ذلك ابقي له من اذا انقي وهميز الا قليلا مما تاكلون فنقوه ان شيتم
اي قدر ما تاكلون قوله تعالي ثم ياتي من بعد ذلك سبع شداد فيلك

مجدبات من الشدة ياكلن ما قدمتم لهن اي ما ادخرتم لهن الا قليلا مما تحصنون
قال بعضهم تدخرون وقال بعضهم تحرزون وقال ابو عوسجة احصنته
اي ادخرته قوله تعالي ثم ياتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون
قال بعضهم هو من الغيث وهو المطر اي يمطرون وقيل يغاثون بالمطر
وهو من الغوث والاغاثة وقوله وفيه يعصرون قال بعضهم هو من عصر الاعناب
والدهن والزيت وغير ذلك وهو عبارة عن الخصب والسعة وقال بعضهم
يعصرون اي ينجون من شدة الزمان ويلجاون ويعتصمون بالخصب وهو من
العصرة والعصر يعني الملجا اي يلجون الي الغيث وهو قول ابي عبيدة واما قول
غيره من اهل الادب والتاويل فهو من عصر العنب قوله تعالي وقال
الملك ايتوني به يعني بيوسف قوله تعالي فلما جاءه الرسول قال ارجع الي
ربك فسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن ايديهن فيه دلالة ان قول يوسف
للرجل اذكرني عند ربك انما طلب بذلك براءة نفسه فيما اتهم به ليس كما قال
اهل التاويل لانه لو كان غير ذلك لكان لا يرد الرسول اليه ولكن يخرج والله اعلم
قوله تعالي فسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن ايديهن يحتمل هذا وجهين
احدهما اهن علي كيدهن بعد ام راجعن عن ذلك والثاني ليعلم الملك براءته مما
قذف به والتهم ليظهر عنده انه كان بريا مما قذف به قوله تعالي ان ربي بكيدهن
عليم اي عليم انهن كذبن قوله تعالي قال ما خطبكن اذ راودتن يوسف عن نفسه
اي قال لهن الملك ما خطبكن اي ما شانكن وامركن والخطب الشان والامر
وقيل ما بالكن اذ راودتن وقد ذكرنا المراودة وفي هذا دليل علي ان الملك
قد علم انهن راودن يوسف عن نفسه لانه قال ما خطبكن اذ راودتن ولم يقل
لهن اراودتن ام لا ولكن قطع القول بذلك اذ راودتن قوله تعالي قلن حاش
لله ما علمنا عليه من سوء بدا انهن حتي اقررن انه كان بريا مما قذف وانهن ثم
اقرت امراة العزيز بعد ذلك لما اقرت النسوة فقالت الآن حصحص الحق
وهو ما قالت امرات العزيز الآن حصحص الحق مثل الآن تبين الحق وتحقق
انا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين في قوله هي راودتني عن نفسي ثم قوله
قلن حاش لله اي معاذ الله علي ما ذكرنا قوله تعالي ما علمنا عليه من سوء
قال اهل التاويل السوء الزنا ولكن عندنا قولهن ما علمنا عليه من سوء

هو السوء التي قالت ما جزاء من اراد باهلك سوءا قالت اراد بها فقلن ما علمنا عليه
من ذلك وفيه دلالة انه لم يكن منه ما قالت اهل التاويل من حل السراويل
وغيره لانه لو كان ذلك لكن قد علمن منه السوء قوله تعالى ذلك ليعلم
اني لم اخنه بالغيب قوله ذلك اي الرد الذي كان منه لرسول الملك وترك
الاجابة له حيث قال ائتوني به ليعلم الملك اني لم اخنه في اهله اذ غاب عني ردا
لقولها ما جزاء من اراد باهلك سوءا وتصديقا له لقوله حيث قال هي راودتني
عن نفسي وقال بعض اهل التاويل ذلك ليعلم الله اني لم اخنه يعني الزوج
بالغيب لكن هذا بعيد اذ قد علم يوسف ان الله تعالى قد علم انه لم يخنه بالغيب وفي
قوله ذلك ليعلم اني لم اخنه بالغيب دليل على انه لم يكن منه ما قال اهل التاويل
من حل السراويل وغيره لانه لو كان منه ذلك لقد علم منه الخيانة قوله
تعالى وان الله لا يهدي كيد الخائنين اي لا يجعل فعل الكيد والخيانة هدى ورشدا
انما يجعل فعل الكيد والخيانة ضلالا وغواية والله اعلم قوله تعالى وما
ابرئ نفسي ان النفس لامارة بالسوء قال اهل التاويل ايضا لما قال يوسف
ذلك ليعلم اني لم اخنه بالغيب قال له جبريل ولا حين هممت بما هممت فقال
وما ابرئ نفسي ان النفس لامارة بالسوء لكن هذا مما لا نعلمه وقد ذكرنا التاويل
في قوله ولقد همت به وهم بها ما لا يحل ولا يسع ان يتكلم فيه وفساد قول اهل
التاويل من الوجوه التي ذكرناه ثم معنى قوله وما ابرئ نفسي ان النفس لامارة
بالسوء الا ما رحم ربي اي عصم ربي والله اعلم انه قال ذلك ليعلم اني لم اخنه
بالغيب لما عصمني الله عن ذلك ولو لم يكن عصمني لكنت اخنته ان النفس لامارة
بالسوء الا ما رحم ربي اي ما عصم ربي لان النفس جبلت وطبعت على الميل الى
الشهوات واللذات والهوى فيها والرغبة والنفور عن المكروهات والشدايد
الا ترى انه قال واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة
هي الماوى فاما من طغى وآثر الحيوة الدنيا فان الجحيم هي الماوى اثبت للنفس
الهوى وايثار الحيوة الدنيا وسواتها وهذا يدل على ان قوله رب السجن احب
الي مما يدعونني اليه هو محبة الاختيار والايثار في الدين لا ما يختار النفس وتوثر
اذ النفس ما هو مختار وتوثر ما هو الذ واشهى وتنفر عن الشدايد والمكروهات
وعلى هذا طبعت وجبلت والله اعلم قوله تعالى وقال الملك ائتوني

به استخلصه لنفسي اي اجعله لنفسي خالصا لحوائجي ويحتمل ان يكون قوله
استخلصه لنفسي اي اصدر عن رايه واطيع امره ففي هذا يقع استخلاصه
اياي ولذلك قال انك اليوم لدينا مكين امين ليوسف الا ان يجعله خالصا
لحاجة نفسه دون الناس لا يشركه فيه غيره دليل ذلك ما ذكر في حرف
حفصة انك اليوم لدينا مطاع امين قوله تعالى فلما كلمه قال انك
اليوم لدينا مكين امين ولم يذكر في القرآن انه اتى به ولكن لما قال فلما
كلمه دل انه قد اتى به وقيل المكين الوجيه وقيل المكين الامين المرضي
وقيل الامين على ما ائتمناك قوله تعالى قال اجعلني على خزائن
الارض سال هذا لما علم انه ليس في وسعهم القيام باصلاح ذلك الطعام علم
انه لو ولي الخزائن لم نعرف انزال الناس منازلهم في تقديم من يجب
تقديمه والقيام لحاجة الاحوج من غيره وعلم انه اليه يرجع ويقع حوائج
اكثر الناس وبه قوام ابدانهم فسال له ليقوم بذلك كله وعلى يديه يجري
ولذلك قال اني حفيظ عليم قال بعضهم حفيظ بما وليت عليم بامره
وقيل حفيظ اي حاسب عليم بالالسن كلها وقيل حفيظ لما في الارض من
غلة عليم اي عالم بها وعن ابن عباس رضي الله عنهما حفيظ لما تحت يدي عليم
بالناس وقيل حفيظ اي بصير بتقديره عليم بساعات الجوع حين يقع وقيل
حفيظ لما استحفظت فيه عليم بتقديم الاحوج والله اعلم قوله تعالى وكذلك
مكنا ليوسف في الارض يقول والله اعلم مما بوانا يوسف مما قوت به واظهرنا
بدانه منه مكانه في الارض حين احتاج اهل نواحي مصر واهل الافاق له
ويحتمل اي كما حفظناه والجيناه عما قصد به اخوته من الاهلاك وغيره مكن له
في الارض ايضا على اهلها والله اعلم قوله تعالى يتبوأ منها حيث يشاء
قوله تعالى نصيب برحمتنا من نشاء يحتمل قوله برحمتنا سعة الدنيا
ونعيمها كقوله ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها الآية ويحتمل نصيب
برحمتنا من نشاء امر الدين من النبوة والعصمة وهو على المعتزلة لانهم يقولون
ليس لله تعالى ان يختص احدا بالرحمة وان رحمته لا تصيب انسانا دون انسان
بل على قولهم لم يكن من الله تعالى الى رسوله من الرحمة الا وكان الى ابليس مثله
قوله تعالى ولا نضيع اجر المحسنين اي لا نضيع اجر من احسن صحبته

أولياء الله في الدنيا والآخرة أي نجزيه جزاء إحسانه في الدارين قوله تعالى
ولأجر الآخرة خير للذين آمنوا أي ثواب الآخرة وأجرها خير لهم من ثواب
الدنيا وأجرها قوله تعالى آمنوا أي صدقوا وكانوا يتقون الشرك ويحتمل
وكانوا يتقون الفواحش والمعاصي والله أعلم قوله تعالى وجاء إخوة يوسف
فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون أي لا يعرفونه كقوله قوم منكرون أي غير
معروفين عند إبراهيم والمنكر هو الذي لا يعرف في الشرع ولا في العقل
والله أعلم قوله تعالى ولما جهزهم بجهازهم أي أعطاهم الطعام الذي طلبوا
منه قال أبو عوسجة الجهاز المتاع ويقال الجهاز أيضا متاع المرأة الذي
تجهز به ولا يقال جهاز بخفض الجيم وقال أهل التأويل إن يوسف قال لهم
حين دخلوا عليه أنتم عيون بعثكم ملككم تنظرون إلى أهل مصر ثم تأتونه بالخبر
وتأتوننا بكذا هذا إنا لا نعرفه ولا يحتمل أن قال لهم ذلك لأنه كذب وغير ذلك
من الكلمات التي قالوا إنه قال لهم كذا وقالوا له كذا نحن كذا كذا رجلا هلك منا
كذا ولنا أب كذا مثل هذا لا يكون كلام الأنبياء إنما هو كلام بعض العوام الغوغاء
والله أعلم قوله تعالى قال ائتوني بأخ لكم من أبيكم ألا ترون أني أوفي الكيل
وأنا خير المنزلين مثل هذا لا يحتمل أن يقوله يوسف ابتداء على غير سبب
أو كلام كان هنالك لكنه لم يذكر الذي كان ونحن لا نعرف ما الذي كان هنالك
جرى فيما بينهم وكذلك قوله فإن لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون
وأما أهل التأويل فإنهم قالوا إنما قال لهم ائتوني بأخ لكم من أبيكم إلى آخر ما
ذكر لأنه لما قال لهم إنكم جئتم عيونا لملككم فأمر بحبسهم فقالوا نحن
بنو يعقوب النبي وكنا اثني عشر رجلا فهلك منا رجل في الغنم ووجدنا على قميصه
دما فأتينا أبانا فقلنا كذا وقد خلفنا عند أبينا أخا له من قبل أمه فعند ذلك قال
لهم ائتوني بأخ لكم من أبيكم ليظهر صدق قولكم عندي لكن هذا لا يكون جوابا
لقوله فإنه قال ألا ترون أني أوفي الكيل وأنا خير المنزلين وقد جهزهم
الطعام وأنزلهم دار الضيافة فلا يليق هذا بالحبس وطلب الذاه(?) منهم بإتيان
الأخ لأبيه فدل أن ما قالوه لا يكون جوابا لقوله وقد ذكرنا أن هذا الكلام
لا يصح مبتدأ لكنا نعلم بالعقل أنه كان هناك سبب ومعنى أمر يوسف بذلك
وأن يقول لهم ذلك وكذا لا يحتمل أن يقول لهم يوسف فإن لم تأتوني به فلا كيل لكم

عندي ولا تقربون وهو كان يعلم أن أباه يعقوب يحتاج إلى الطعام ويعرف
حاجتهم في ذلك هذا لا يبتع إلا بسبب كان لهم ومعنى والله أعلم ثم قوله
ألا ترون أني أوفي الكيل يحتمل وجهين أحدهما قال لهم ذلك أني أوفي لهم الكيل
لأن أهل ذلك المكان كانوا ينقصون ويخسرون الكيل في الضيق فقال هو
ألا ترون أني أوفي الكيل ولا أخسر والثاني ألا ترون أني أوفي الكيل أي
أوفي الكيل لكم على غير المخاصمة وكان يجعل لغيرهم على المخاصمة أي إنا أوفي على
قدر الحاجة وكان هذا منه امتنانا عليهم وإظهار الشفقة وكذا قال وأنا
خير المنزلين في الإحسان إليكم والتوسع عليكم لأن أهل ذلك المكان لا يحسنون
إلى النازلين بهم ولا يوسعون لضيق الطعام فكان قوله ألا ترون أني أوفي
الكيل وأنا خير المنزلين مؤخر عن قوله فإن لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي ولا
تقربون كأنه قال ائتوني بأخ لكم من أبيكم فإن لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي
ولا تقربون فعند ذلك قال ألا ترون أني أوفي الكيل والله أعلم قوله
تعالى فلا كيل لكم عندي فيما نستقبل ولا تقربون أي لا تأتوني به قوله تعالى
قالوا سنراود عنه أباه وإنا له لفاعلون هذا الكلام في الظاهر ليس هو جواب
قول يوسف حيث قال ائتوني بأخ لكم من أبيكم بل جوابه أن يقولوا له
نأتي أو لا نأتي فأما أن يجعل قولهم سنراود عنه أباه وإنا له لفاعلون جوابا له
فلا يحتمل معا إن في قولهم سنراود عنه أباه اضطراب أنهم يملكون أو لا يملكون
وقولهم وإنا لفاعلون على القطع فكيف يجمعون بين الاضطراب والقطع لكن
يشبه أن يخرج على وجهين أحدهما على الإضمار معناه سنراود عنه أباه
فإن أذن لنا بذلك فإنا لفاعلون ذلك والله أعلم ويحتمل على التقديم والتأخير
ويكون جواب قوله ائتوني بأخ لكم من أبيكم في قولهم وإنا لفاعلون كأنه
لما قال لهم يوسف ائتوني بأخ لكم من أبيكم قالوا إنا لفاعلون ثم قالوا فيما بينهم
سنراود عنه أباه على هذين الوجهين يشبه أن يخرج والله أعلم ثم قوله
سنراود عنه أباه قال أبو عوسجة المراودة الممارسة وهي المعالجة التي فيها
شبه المخادعة وقيل سنراود أي سنجتهد قوله تعالى وقال لفتيانه
اجعلوا بضاعتهم في رحالهم قرئ لفتيانه ولفتيته الفتية الخدم والفتيان المماليك
وقوله اجعلوا بضاعتهم في رحالهم أي دراهمهم في أوعيتهم فيه دلالة على أن الهبة

فقد تصح وان لم يصرح بها اذا وقع في يد الموهوب له وقبضه وان يعلم هو بذلك
وقت ما جعل له لان يوسف جعل بضاعتهم في رحالهم وذلك هبة منه
بضاعتهم لهم وهم لم يعلموا بذلك وقت ما جعل يوسف ذلك ملكا لهم ولهذا
قال اصحابنا ان من وضع ماله في طريق من طرق المسلمين ليكون ذلك
ملكا لمن رفعه جاز ما فعل والله اعلم قوله تعالى لعلهم يعرفونها اذا انقلبوا
الي اهلهم لعلهم يرجعون هذا الحتمل وجهين احدهما يرجعون مخافة ان
يتهمون بالسرقة لما عسي يقع عندهم ان واحدا منا جعل هذا في متاعنا
واعيننا سرا منهم ففعل يوسف ما فعل من جعل بضاعتهم في رحالهم ليرجعوا
مخافة ان يعرفوا بالسرقة اظهارا لبراءة انفسهم عنده وعند الناس ان لو
ظهر والثاني ما قاله اهل التاويل وهو انه خاف يوسف ان لا يكون
عند ابيه من الورق ما يرجعون به مرة اخري فجعل دراهمهم في اوعيتهم
ليرجعوا اليه ولا يحبسه عنه ابوهم لعدم الثمن من الدراهم لانهم كانوا
اهل ماشية والله اعلم قوله تعالى فلما رجعوا الي ابيهم قالوا يا ابانا
منع منا الكيل اي فيما يستقبل ويستانف بقوله فان لم تاتوني به فلا كيل
لكم عندي ولا تقربون فارسل معنا اخانا نكتل وانا له لحافظون قوله
نكتل بقوي بالياء وبالنون اقرب لانهم قالوا منع منا الكيل فارسل معنا اخانا
نكتل ويشبه ويحتمل بالياء هو يكتل ان ارسلته وقوله وانا له لحافظون لا يحتمل
ان نقول له هذا من غير سبب كان هنالك من امر خان عليه ابوهم من ناحيتهم
وتهمة اتهمهم لانه كان اخاهم من ابيهم خاف عليه ان يضيعوه لقلة الشفقة
اي ان استقبله امر لا يعينونه او امر كان لم يذكر ولسنا ندري ما ذلك
المعني والله اعلم قوله تعالى قال هل آمنكم عليه الا كما امنتكم علي اخيه
من قبل وفي حرف ابن مسعود رضي الله عنه هل احفظونه الا كما حفظتم
اخاه يوسف من قبل وفي هذه الآية دلالة على ان من ظهرت منه
تهمة في امر يجوز ان يتهم فيما لم يظهر منه شي حيث اتهمهم يعقوب في بنيامين
لخيانة كانت منهم في يوسف وان لم يظهر له منهم في بنيامين شي فهو حجة لاصحابنا
رحمهم الله في ان من ظهر فسقه في شي او كذبه في امر صار مجروح الشهادة
في غيره والله اعلم قوله تعالى فالله خير حفظا وحافظا وهو ارحم الراحمين

اي ان ارسله فانما اعتمد علي حفظ الله واليه اكل في حفظه لست اعتمد علي
حفظكم وهو ارحم الراحمين اي هو بكل مكروب وملهوف ارحم من كل راحم
لان كل من يرحم انما يرحم برحمة نالها منه والله اعلم قوله تعالى ولما
فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت اليهم هذا قد ذكرنا قوله تعالى قالوا
يا ابانا ما نبغي هذه بضاعتنا ردت الينا قوله ما نبغي هذا الحتمل وجهين
لحتمل ما نبغي سوي الثمن ما نطلب سوي الثمن لنرجع ثانيا الي الطعام
وهذه بضاعتنا ردت الينا اي قدرنا علي الثمن بسبب بضاعتنا التي ردت
الينا والله اعلم ويحتمل ما نبغي هذا كيو شي انما نبغي ثمن بعير واحد
وثمن طعام بعير واحد يسير لانه قد ردت بضاعتنا وهي ثمن عشرة ابعرة
ونمير اهلنا ونحفظ اخانا ونزداد كيل بعير لانه يذكر ان يوسف عليه
السلام كان لا يعطي كل رجل الا حمل بعير لا يعطي اكثر من ذلك فقال فنزداد
كيل بعير بسبب اخينا ابن يامين ومن اجله قوله تعالى ذلك كيل يسير
قال بعضهم ذلك كيل يسير اي سريع الوجود لا حبس فيه وقال بعضهم
ذلك كيل يسير اي تيسر علينا الكيل ولا تحبس عنا الطعام ولا يشغل عليه
ذلك بقوله الا ترون اني اوفي الكيل وانا خير المنزلين فان لم تاتوني به
فلا كيل لنا وقد حبسنا عنه والله اعلم ويشبه ان يكون فيه وجوه احد
اقرب مما قالوا وهو ان قوله ذلك كيل يسير اي طلب ثمن كيل بعير
يسير لانه قد ردت عليهم بضاعتهم وهي ثمن كيل عشرة اقفزة فانما احتاجوا
الي ثمن كيل بعير واحد فقالوا طلب ثمن كيل بعير واحد يسير وتكلفه سهل
وهو ثمن كيل بعير بن يامين والله اعلم قوله تعالى قال لن ارسله معكم
حتى تؤتون موثقا من الله اي حتى تاتون بمواثيق من الله وبعهود منه لتاتونني
به فيه دلالة على انه وان قال فالله خير حافظا واعتمد في الحفظ علي
الله ورأي الحفظ منه لم يرسله معهم الا بالمواثيق والعهود من الله وهذا امور
ظاهر بين الناس انهم وان كان اعتمادهم علي الله واليه يكلون في جميع
امورهم في الاموال والانفس ومنه يرون الحفظ فانه ياخذ بعضهم
من بعض المواثيق والعهود فعلي ذلك يعقوب انه وان اخبر ان اعتماده
وتوكله في حفظ ولده علي الله لم يرسله معهم الا بعد اخذه منهم المواثيق والعهود

فيكون دلالة على جواز ذلك وان هذا مما لا يخل في الاعتماد والحفظ على الله
لان هذا سبب الحفظ والله اعلم قوله تعالى الا ان يحاط بكم اخبر انه
لن يرسله معهم حتى ما توا بمواثيق على انهم ياتون به اليه الا ان يحاط بهم جميعا
امر يعجزون عن الاتيان به وقيل الا ان يحاط بكم اي الا ان يجمعكم امر
ويعمكم ويحيط بكم الهلاك فعند ذلك يكون معذورين فاما ان يخص به امر
فلا ويحتمل الا ان يجي بكم امر يمنعكم عن الرد الي كانه خاف عليه من الملك
حيث طلب منهم ان ياتوه به قوله تعالى فلما اتوه موثقهم قال يعقوب
الله على ما نقول وكيل اي الله على المواثيق والعهود التي اخذ بها منكم شهيد
او يقول الله له حفيظ كما قال فالله خير حافظا والله اعلم قوله تعالى يا بني
لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقة قال بعض اهل
التاويل ان يعقوب خاف عليهم العين لانهم كانوا ذوا صور وجمال وبهاء
فخشي عليهم العين لذلك امرهم ان يدخلوا متفرقين وقال بعضهم خشي عليهم
البيات والهلاك لانهم كانوا اهل قوة ومنعة فيخافهم اهل البلد ويتقون
منهم السرقة فامرهم بذلك وهو قول ابن عباس فاذا كانوا متفرقين فلا
يخافون منهم فلم يتعرضوا للهلاك اولا يهلكون الكل بما يهلك البعض وينجو
البعض اذ لا يدري ما اراد بهذا والله اعلم وقال بعضهم علم يعقوب
انهم لا يهلكون لما راى يوسف من الرؤيا ان يسجد له اخوته ولكن خاف عليهم
ان يصيبهم النكبة لذلك امرهم ان يدخلوا من ابواب متفرقة ومن سكك
متفرقة او من طرق متفرقة او ما قالوا والله اعلم ويحتمل ان امرهم بالتفرق
من الابواب محنة امتحن هو بذلك وامر امرهم به لمعنى غاب عنا لا نحتاج
اليه والله اعلم فان قيل لو كان امره بالتفرق لخوف العين او خوف ما ذكر
ابن عباس انه جاز بهم اهل البلد اذا راوهم مجتمعين انهم لصوص واتهم به كيف لم
يامرهم بذلك في المرة الاولى وخوف العين وخوف السرقة والاغارة قائم
نقول جائز ان يكون في المرة الاولى لم يحسن ذلك لما قد يقع الاجتماع
في امثال ذلك من الرفقاء والصحابة ولم يكن كل احد يتهيا للنظر اليهم
لما لم يروا اعجبا ولم يعرف كل احد بالخبر من قبل ان هولاء الرفقة الذين يحزرون
افنادا الناس وعيونهم ليستعدوا النظر اليهم فكان يقع عليهم عين بعض دون

بعض وفي مثل ذلك لا يقع خوف العين ولا خوف ما ذكر ابن عباس فاما
في المرة الثانية اذا عادوا وقد سمع بعض من بعض ما لهم من حسن
الصور والقوة والشجاعة فيتهيا والنظر اليهم وفي جملة ذلك يقع خوف العين
وخوف ما ذكر والله اعلم قوله تعالى وما اغني عنكم من الله من شي اي لا
عنكم من الله من شي ان اصابتكم نكبة او عين وان تفرقتم ان الحكم الا لله
هذا صلة قوله وما اغني عنكم من الله من شي ان اصابتكم اي لا ادفع عنكم
من احتال ما قدر الله تعالى وقضاه ان يصيبكم لا محالة وينزل بكم الحكم في ذلك
ما في حكمه وقضائه ان يصيبكم يصبكم والله اعلم قوله تعالى عليه توكلت
وعليه فليتوكل المتوكلون هذا اصل كل امر يخاف المرء ان ياخذ بالحذر
ثم يتوكل على الله في ذلك والحذر العادة عن الخلق والتوكل تفويض الامر الى الله
والاعتماد عليه والله اعلم قوله تعالى ولما دخلوا من حيث امرهم
ابوهم اي لما دخلوا من حيث امرهم ابوهم من ابواب متفرقة ما كان يغني
عنهم من الله من شي اي ما كان يدفع ذلك عنهم ما حكم الله عليهم ان يصيبهم ٥
قوله تعالى الا حاجة في نفس يعقوب قضيها الحاجة في نفس يعقوب
قضاها يحتمل احد شيئين اما الرغبة واما الرهبة بقوله ولا تجدون في
صدورهم حاجة فعلى ذلك حاجة يعقوب اما ان تكون رغبة في تفرقهم
او رهبة عن اجتماعهم فقضى تلك الحاجة قوله تعالى وانه لذو علم لما
علمناه يشبه ان يكون اصله ما قال يعقوب لبنيه لا تدخلوا من باب واحد
وادخلوا من ابواب متفرقة اي وانه لذو علم بما امرهم بالدخول على التفرق
ونهاهم عن الاجتماع ولكن اكثر الناس لا يعلمون ما اراد بقوله لا تدخلوا من
باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقة وعن ابن عباس رضي الله عنهما ولما
دخلوا من حيث امرهم ابوهم من السكك المتفرقة ما كان يغني عنهم من قضاء الله
شيا الا حاجة في نفس يعقوب قضاها يقول ابداها فتكلم بها وانه لذو علم لما
علمناه يقول حافظا لما علمناه وقيل حافظا له عالما به ويحتمل ان يكون قوله
وانه لذو علم لما علمناه اي ما اصابه من الحزن بذهاب يوسف واخيه وما
اصابه من الشدة والنكبة لم يوثر ذلك في علمه لما علمناه بعد ما اصابه ما اصابه
كهو ما كان قبل ذلك والله اعلم اي لم يعمل فيه ولم يوثر وقيل لذو علم لما

علمنا ه اي عمل لجميع ما علم وانتفع به ولكن الناس لم ينتفعوا بما علموا والله اعلم ويحتمل
وانه لذو علم بقصة يوسف من اولها الي آخرها لما اخبرناه ولكن اكثر الناس
لا يعلمون وعن الحسن فيما اظن في قول يعقوب لبنيه لا تدخلوا من باب واحد
وادخلوا من ابواب متفرقة قال اما والله ما كانت به طيره تطيربها ولكن قد
علم او ظن ان يوسف يتلقاه اخاه فيقول انا اخوك واكثر اهل التاويل قالوا
في قوله الا حاجة في نفس يعقوب قضاها اي خيفة العين علي بنيه لجمالهم
وبهايهم وحسن صورهم اولما يكون لواحد كذا كذا عددا من النبيين فيقصدون
قصدهم بالنكاية عليهم علي ما ذكرنا او ما اراد بذلك والله اعلم قوله تعالي
فلما دخلوا علي يوسف آوي اليه اخاه هذا الحتمل وجهين احدهما انهم لما دخلوا
البلد الذي فيه يوسف امر بان ينزل اخوته في منازل وآوي اخاه بن يامين
منزل نفسه ودعاه وضمه اليه ويحتمل انهم دخلوا جميعا علي يوسف فضم اخاه
الي نفسه واكرمه بذلك لما سالهم ان ياتوا به كما هو المعتاد في من دعا غيره الي
منزله يكرمه ويضمه الي نفسه فاما ساير اخوته فقد دخلوا عليه قبل ذلك
فخص الذي دخل عليه اول مرة بزيادة كرامة وهي الضم الي نفسه وهو الاعتناق
والله اعلم قوله تعالي قال اني انا اخوك فان كان المراد من الايواء هو تخصيصه
بالانزال في منزله فكان يقوله في الوقت الذي دخل عليه اني انا اخوك بحيث لا
يشعر احد غيرهما وان كان المراد هو تخصيصه بالاعتناق في حال دخولهم جملة
عليه فحين اعتنقه قال له اني انا اخوك علي الاخفاء بحيث لا يسمعه غيره
ان كان اراد به الاخوة بالنسبة حتي لا يشعر اخوته بذلك وقال بعض
اهل التاويل لم يقل انا اخوك بالنسب ولكن قال انا اخوك مكان اخيك
الهالك فان هذا فيقول ذلك علي الجهد به لما سمع من اخوته انه كان له اخ
من قبل امه وهلك في الغنم فقال انا اخوك مكان اخيك الهالك اظهارا
للشفقة في حقه وزيادة اكرام وانعام في حقه والله اعلم قوله تعالي
فلا تبتئس بما كانوا يعملون قيل اي لا تحزن وقيل من البوس وقيل
هذا الحتمل وجهين احدهما اي لا تبتئس بما كان عمل اخوتك كانه دعاه
الي منزله وضمه الي نفسه شكا بعض اخوته فقال له عند ذلك فلا تبتئس
بما تعمل بك هولاء من خدمي وعمالي كانه اخبر بما كان يريد ان يكيد بهم من جعل

الصاع في رحله فقال فلا تبتئس بما كانوا يعملون بك لانه لا يجوز ان يجعل
اخاه متهما من غير ان ظهر منه شي وقد اخبر انه اخوه والله اعلم فذلك
انه اراد ان يعلمه بما يريد ان يكيد بهم ليكون هو علي علم بذلك ثم يحتمل ضم يوسف
اخاه وجهين احدهما المكان سوآله اياه ان ياتوا به اولمكان فضله ومنزلته
ليعلموا ان ما كان ليوسف واخيه عند ابيهم من فضل المحبة والمنزلة من الله
اذ جعل ذلك عند الملك وغيره والله اعلم قوله تعالي فلما جهزهم بجهازهم
الجهاز هو ما يهيا للخروج ولذلك يقال لمتاع المراة جهاز وقوله جعل
السقاية في رحل اخيه قيل السقاية هي الاناء الذي كان يشرب فيه
الملك وقيل هي الصاع الذي كان يكال به الطعام ولكن لا نعلم ما كان ذلك
سوي ان السقاية كانت ذات قيمة وثمن الا تري ان ذلك الرسول قال ولمن
جاء به حمل بعير وانا به زعيم فلولا انها كانت ذات قيمة وثمن والا لم يعط
من جاء به حمل بعير طعام وكان قيمة الطعام عندهم في ذلك المكان ما كان
والله اعلم قوله تعالي ثم اذن مؤذن ايتها العير انكم لسارقون اي نادي
مناد انكم لسارقون مخاطبا لاهل العير والاشكال ان يوسف كيف امر
رسوله ومناديه ان سماهم سارقين وقد علم انهم ليسوا بسارقين فنقول
لا يحتمل ان يكون يوسف امر رسوله ان يقول لهم انكم لسارقون
وقد علم انهم ليسوا كذلك ولكن يحتمل انه قال ذلك المنادي الذي نادي
بناء علي ظاهر الحال انكم لسارقون من نفسه من غير علم له بحقيقة الحال
لما كان يفعل ذلك يوسف علي سبيل الاخفاء او ان كان علم ذلك رسوله
لكنه هو بعض من يتولي كيل الطعام علي الناس وامثاله مما لا يبالون عن الكذب
ويحتمل ان قال لهم ذلك قوم حضرتهم لا رسول يوسف ايتها العير انكم لسارقون
ويحتمل ان يكون علي الاستفهام اينكم لسارقون فان كان هذا فهو مما يحتمل
ان يكون من يوسف يامر رسوله حتي يقول ذلك بطريق الاستفهام علي حذف
حرف الاستفهام فاما علي غير هذا الوجه فانه كذب والله الموفق قوله
تعالي قالوا واقبلوا عليهم ماذا تفقدون قالوا نفقد صواع الملك اي اناء الملك
سماه مرة صاعا ومرة صواعا ومرة سقاية والصاع والصواع واحد
فيحتمل انه انما سماه بهذين الاسمين لانه يستعمل في الامرين جميعا في الاستقاء

والكيل جميعا ثم قولهم لمناديه ماذا تفقدون قال ابو عوسجة تفقدون اي
تعدمون وتضيعون ويقال فقدته افقده وافتقدته اذا افتقدته وقوله ولمن
جاء به حمل بعير وانا به زعيم قيل اي ضمين لذلك الطعام وكفيل به والزعيم
كانه ايضا اسم لرئيس القوم قوله تعالى قالوا تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الارض
وما كنا سارقين هذا يحتمل وجوها يحتمل انهم قالوا ذلك اي انكم تعلمون انكم رددتم
الينا الدراهم وجعلتم في اوعيتنا ثم رددنا عليكم مخافة ان تتهمونا بالسرقة والفساد
في الارض فكيف تتهموننا بهذا ويحتمل قوله لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الارض
لما رأوهم دخلوا من ابواب متفرقة ولو كانوا سراقا لدخلوا مجموعين لان
عادة السراق الاجتماع لا التفرق ويحتمل اي انكم تعلمون انا ابناء النبي والرسول
والانبياء لا يكون منهم السرقة ولا الفساد في الارض ومثل هذا لم يظهر في اهل بيتنا
قط ولا قرفنا به فكيف قرفتمونا بهذا والله اعلم ويحتمل اي انكم تعرفوننا صوامين
قوامين ومن كان هذا فعله ودابه فانه لا يتهم بالسرقة والله اعلم قوله تعالى
قالوا فما جزاؤه ان كنتم كاذبين اي ان كان فيكم من يكذب ويظهر ذلك منه فما جزاؤه
قالوا جزاؤه من وجد في رحله فهو جزاؤه هذا يحتمل وجهين يحتمل قولهم
فهو جزاؤه اي يصير رقيقا مملوكا له ويحتمل اي يصير محبوسا بها عنده ثم
قولهم فهو جزاؤه هذا منهم بيان ان الحكم فيما بينهم حكم يعقوب لا حكم غيره
وان حكم يعقوب هذا وحكم يعقوب حكم بالوحي من السماء والله الموفق قوله
تعالى فبدأ باوعيتهم قبل وعاء اخيه ظاهر هذا الكلام هو الذي فتش اوعيتهم
وطلب ذلك فيها حيث نسب ذلك اليه بقوله قبل وعاء اخيه لكن نقول انما
نسب اليه لانه بامره فتش اذ الملوك لا يتولون مثل ذلك الفعل بانفسهم
وفيه انه قد فصل بين سائر الاخوة وبين ابن يامين حيث سماه اخا له ولم
يسم اولئك بقوله فبدأ باوعيتهم قبل وعاء اخيه وهو يخرج على وجهين
احدهما انه قد ذكر له بهذا انه اخوه حيث قال له اني انا اخوك ولم يذكر لاولئك
الاخوة فسمى هذا اخا له ونسب اليه بالاخوة لما كان ذكر له وسماه بالاخ
ولم يسم اولئك لما لم يذكر لهم انه اخوهم والله اعلم والثاني انه لم يكن لهذا اعني
ابن يامين سوء صنيع في حق يوسف ولا شر بل هو على الاخوة والصداقة التي
كانت بينه وبينه فاما سائر الاخوة فقد كان منهم اليه ما كان من سوء صنيعهم

وقبح افعالهم فيخرج ذلك مخرج التبري من الاخوة بسبب ما كان منهم اليه
وهو كقوله لنوح حين قال ان ابني من اهلي انه ليس من اهلك انه عمل
غير صالح نفى ان يكون من اهله بسوء عمله وفعله فعلى ذلك الاول يشبه
ان يكون على هذا والله اعلم قوله تعالى ثم استخرجها من وعاء اخيه ذلك
ظاهر الاية انه قد كان منه ايضا التفتيش والطلب في وعاء اخيه كما ذكر فبدأ
باوعيتهم قبل وعاء اخيه ثم استخرجها من وعاء اخيه وذلك على الامر بذلك
لا انه فعل بنفسه فنسب اليه فكذا قوله ثم استخرجها من وعاء اخيه والله اعلم
قوله تعالى كذلك كدنا ليوسف هذا يحتمل وجهين احدهما كذلك كدنا
اي كذلك علمنا يوسف من اول الامر الى اخره ما يكيد ويحتال في امساك اخيه
عنده ومنعه عنهم ليغضب عليهم ابوهم ويشتد عليهم فلا يخلو لهم وجه ابيهم جزاء
ما طلبوا ان يخلو لهم وجه ابيهم بتغييب يوسف عن ابيهم لان اباهم قال
لهم لن ارسله معكم حتى تؤتون موثقا من الله لتأتنني به الا ان يحاط بكم ولذلك
لما بلغه ذلك الخبر تولى عنهم واعرض فذلك قوله وتولى عنهم وقال يا اسفا
على يوسف الاية والله اعلم هذا يشبه ان يكون والثاني كدنا ليوسف اي علمناه
ان كيف يفتش اوعيتهم لئلا يشعروا انه عن علم استخرجها من وعاء اخيه
لا عن جهل وظن فعلمناه البداية في التفتيش باوعيتهم لئلا يقع عندهم انه عن علم
ويقين ما اخذه والله اعلم ويحتمل كدنا ليوسف ما قال بعضهم اي امرنا يوسف
بالكيد بهم جزاء ما عملوا به لانه لما اهتموا بامساك اخيهم والله اعلم قوله تعالى
ما كان ليأخذ اخاه في دين الملك اي في حكم الملك ذكر ان حكم اخوة يوسف
وقضاءهم ان من سرق يكون عبدا بسرقته ويستعبد بسرقته ومن حكم الملك
ان يغرم السارق ضعفي ما سرق ثم يخلى عنه لكنا لا نعلم ما حكم الملك في السرقة
سوى انه اخبر ان ليس له ان يأخذ اخاه بحكم الملك قوله تعالى الا ان
يشاء الله يحتمل وجوها يحتمل اي ما كان له ان يأخذ اخاه في حكم الملك الا ان
يشاء الله ان يجعل ذلك الحكم حكم الملك ويحتمل اي يجعل له حق الاخذ والحبس
وان لم يكن ذلك في حكمه ويحتمل ان يقول الا ان يكون في علم الله مني زلة
فاستوجب عند ذلك الكون في دين الملك اي بحكم الملك فيشاء ما علم مني
وذلك كقول ابراهيم ولا اخاف ما تشركون به الا ان يشاء ربي شيئا

اي لا اخاف ما تشركون به الا ان يكون مني ما استوجب ذلك نزله فيشا الله
ذلك مني والله اعلم ويحتمل انه قال الا ان يشا الله على ما قال ابراهيم الا ان
يشا ربي شيئا وكان الانبيا عليهم السلام يذكرون الثنيا على حقيقة المشية معناه
ولا اخاف ما تشركون به لما شا الله اي لا اخاف وان كان بلفظة الثنيا فعلى ذلك
قوله ما كان لياخذ اخاه في دين الملك لما شا الله ان لا ياخذ اخاه في حكم
الملك والله اعلم قوله تعالى نرفع درجات من نشا الدرجات الفضايل اي
نرفع بعضهم فوق بعض بالنبوة وفي كل شي والله اعلم قوله تعالى وفوق كل
ذي علم عليم اذ كل ذي علم يستفيد العلم منه وهو عالم بذاته وعلمه ذاتي ازلي والله اعلم
ومن يقول انه عالم لا بعلم احتج بظاهر هذه الاية حيث قال وفوق كل ذي
علم عليم اي الله تعالى فوق كل ذي علم عليما ثبت لغيره العلم ولم يذكر لنفسه بان
قال عليم ولانه قال وفوق كل ذي علم عليم ولو كان هو ذا علم لكان فوقه عليم
وانه غير محتمل ولكن نقول بانه اذا قال عليم فقد اثبت العلم ولانه اذا قال
فوق كل العلما عليم يكون كذلك لا فرق بين العبارتين والله الموفق قوله
تعالى قالوا ان يسرق فقد سرق اخ له من قبل قال بعض اهل التاويل كانت
سرقته انه كان صنما من ذهب لجده ابي امه يعبده فسرق ذلك منه ليلا يعبد
دون الله ولكنا لا نعلم ذلك ونعلم انهم كذبوا في قولهم فقد سرق اخ له من قبل وارادوا
بهذا القول ان يتبراوا من ابن يامين وينفوه عن انفسهم ليعلم انه ليس منهم فانه
ليس اخاهم من قبل امهم قوله تعالى فاسرها يوسف في نفسه ولم
يبدها لهم قال انتم شر مكانا اي شر مكانا عند الله قيل ان يوسف اسر هذه
الكلمة في نفسه ولم يظهرها لهم ويحتمل اي استر ما اتهموه بالسرقة والله اعلم
قوله تعالى والله اعلم بما تصفون اي اعلم بما تصفون من الكذب انه سرق
اخ له من قبل وقيل انهم خاطبوا ابن يامين ان سرقت فقد سرق اخ لك من قبل
فيما بينهم دون ان يعلم يوسف بذلك وقال بعضهم انتم شر مكانا اي انتم شر
صنعا بيوسف قوله تعالى قالوا يا ايها العزيز ان له ابا شيخا كبيرا فخذ
احدنا مكانه ارادوا بذلك والله اعلم ان يرقق قلبه اخبروا ان له ابا شيخا كبيرا
لما ان يكون قلب الشيخ بولده الصغير اميل وهو عند ابيه اكبر منزلة منا فخذ
احدنا مكانه انا نريك من المحسنين لما احسن اليهم في الكيل والانزال في المنزل

والضيافة والعفو قد راوه وعلموه محسنا والله اعلم قوله تعالى قال
معاذ الله ان ناخذ الا من وجدنا متاعنا عنده قيل هذا قول يوسف
معاذ الله اي اعوذ بالله ان ناخذ ونحبس بالسرقة الا من وجدنا متاعنا
عنده فان قيل كيف تعوذ على ترك اخذه واخذ غيره مكانه ولم يكن وجب
له حق الاخذ اذ لم يكن سرقه وانما يتعوذ على ترك ما لا يسع تركه قيل انه
لم يتعوذ على ترك اخذ اخيه انما تعوذ على اخذ غير من وجد المتاع عنده
وقوله انا اذا لظالمون اي لو اخذنا غير من وجدنا متاعنا عنده اذا لظالمون
عندكم اذ في حكمهم اخذ من سرق بسبب السرقة والحبس بها والله اعلم ه
قوله تعالى فلما استياسوا منه خلصوا نجيا قيل اي ايسوا ان يرد عليهم
اخوهم خلصوا نجيا اي خلوا من الناس وتناجوا فيما بينهم في امر اخيهم وفي
الانصراف الى ابيهم او في المقام فيه قوله تعالى قال كبيرهم قال
اهل التاويل اي كبيرهم في العقل دون السن وهو فلان وقال بعضهم هو
يهوذا وقال بعضهم هو شمعون ولكن لا نعلم من كان قايل هذا لهم ولا نحتاج
الى معرفة ذلك سوى ان فيه قال كبيرهم اما ان كان كبيرهم في العقل
او في السن قوله تعالى الم تعلموا ان اباكم الم تعلموا والم تزوا حرفان يستعملان
في احد امرين في موضع الامر اي اعلموا كذا او في موضع التقدير والتنبيه
اي قد علمتم وههنا كانه قال ذلك على التقدير والتنبيه اي قد علمتم ان اباكم
قد اخذ عليكم موثقا من الله ومن قبل ما فرطتم في يوسف فلن ابرح الارض في
هذا دلالة على ان التاويل في قوله الا ان يحاط بكم هو الا ان يعمكم امر ويجمعكم
فتهلكوا فيه جميعا وليس كما قال بعضهم الا ان تغلبوا فتعجزوا عن ذلك ويجي ما
يمنعكم عن رده لانه قد جا ما منعهم عن رده ثم مع هذا ابى اكثرهم الرجوع الى ابيه
دل ان التاويل هذا هو والله اعلم ومن يقول ان التاويل في قوله
الا ان يحاط بكم الا ان يجي ما يمنعكم عن الرد استدل بقوله ارجعوا الى ابيكم
فقولوا يا ابانا ان ابنك سرق ولو كان على ما يعمهم ويجمعهم لم يكن ليامرهم بالرجوع
الى ابيهم دل انه ما ذكر واما اهل التاويل الاول يقولون ان قوله ارجعوا الى
ابيكم فقولوا ان ابنك سرق وكذلك احتج قوله واسال القرية التي كنا فيها
والعير التي اقبلنا فيها ليس على الامر ولكن معناه لو سالت اهل القرية

واهل العير لاخبروك انه كما قلنا فعلى ذلك قوله ارجعوا وقوله ومن
قبل ما فرطتم بيوسف اي من قبل ما ضيعتم امر ابيكم في يوسف او ضيعتم
امر الله ووعده في يوسف وقوله فلن ابرح الارض حتى ياذن لي ابي
يحتمل حتى ياذن لي ابي بالرجوع اليه اذا ظهر عنده عذرنا وصدقنا في امر
ابنه ويحتمل حتى ياذن لي ابي بالمنازعة في القتال مع الملك حتى استنقذ
اخي منه واستخلصه منه وقوله او يحكم الله لي وهو خير الحاكمين اي
يحكم الله لي باظهار عذرنا وصدقنا عند ابينا وهو خير الحاكمين في اظهار العذر
لانه اذا حكم باظهار العذر ظهر ذلك في الخلق جميعا ولا كذلك حكم غيره ويحتمل
او يحكم الله لي في الرجوع الى الاب او في القتال معه وهو خير الحاكمين وهو كقوله
وهو ارحم الراحمين لان من رحم الخلق فانما يرحم برحمته فهو ارحم الراحمين والله اعلم
قوله تعالى ارجعوا الى ابيكم يحتمل على الامر على ما هو في الظاهر ويحتمل
ما ذكرنا اي لو رجعتم اليه فقولوا يا ابانا ان ابنك سرق يحتمل ان يكون هذا
منه تعريضا لابيهم في التخطئة على ما كان يوثره على غيرهم من الاولاد بعد
يوسف اي ان الذي كنت توثره علينا بالمحبة وميل القلب اليه قد سرق
والله اعلم ويشبه ان يكون على الاخبار على ما ظهر عندهم من ظاهر الامر
انهم وجدوا السقاية في رحله ليس على التعويض بما بدلت عليه ما ذكروا
على اثره وما شهدنا الا بما علمنا اي بما اخرج المتاع من وعايه قوله تعالى
وما كنا للغيب حافظين على التاويل الذي قيل في قوله الا ان يحاط بكم
اي يعمكم ويجمعكم اي ما كنا نعلم في وقت اعطاء العهد والميثاق انه يسرق
والا لم يعطك العهد على ذلك ويحتمل وما كنا للغيب حافظين وقت ما اخرج
المتاع من وعايه والتهم انه سرق او لم يسرق اي ما كنا نعلم في الابتداء
ان الامر يؤول الى هذا والا لم يخرجه معنا قوله تعالى واسال
القرية التي كنا فيها والعير التي اقبلنا فيها اي لو سالت اهل القرية
واهل العير اخبروك انه على ما نقول وانا لصادقون على ذلك على ما ظهر
لنا من استخراج الاناء من وعايه لا على حقيقة الامر والله اعلم ٥
قوله تعالى قال بل سولت لكم انفسكم امرا فان قيل كيف قال لهم
بل سولت لكم انفسكم امرا وجعل ما اخبروه من تسويل انفسهم وتزيينها

ولم يخالفوه فيما امرهم في امر ابن يامين في شيء ولا تركوا شيئا مما امرهم به
وليس هذا كما قال لهم في امر يوسف بل سولت لكم انفسكم امرا لانه قد كان
منهم خلاف لما امرهم به والسعي على اهلاكه فكان ما ذكر من تسويل انفسهم
وتزيينها في موضع التسويل والتزيين فاما ههنا فلم يات منهم خلاف ولا ترك
لامره فكيف قال بل سولت لكم انفسكم امرا قيل يشبه ان يكون قال لهم لانهم
اتهموا جميعا بالسرقة فقيل انكم لسارقون قالوا لقد علمتم ما جئنا لنفسد
في الارض وما كنا سارقين فقطعوا القول بانهم لم يكونوا سارقين فهو كان
منهم ومن ابيهم فكيف قطعتم القول بالسرقة ان ابنك سرق بنفس وجود متاعهم
في رحله مع احتمال ان غيره وضع فيه لغرض لهم في ذلك هلا تفحصتم في تلك
الحال ولكن سولت انفسكم امرا من البغض والعداوة له فسولت لكم انفسكم
لبغضكم وعداوتكم حيث تركتم التفحص عن حاله وامره وكل من وجد في رحله
شيء يكون هو واضع ذلك بل قد يضع غيره فيه على غير علم منه كما وضعت بضاعتهم
في رحالهم بغير علم منهم ولم يدل ذلك على كذبهم سارقين ثم تفحصوا عن تلك
الحال فبرءوا انفسهم عن تهمة السرقة هلا فعلوا كذلك في حق اخيهم
لذلك قال بل سولت لكم انفسكم امرا والله اعلم قوله تعالى فصبر
جميل قد ذكرناه قوله تعالى عسى الله ان ياتيني بهم جميعا قال اهل التاويل
قال ان ياتيني بهم جميعا لانهم صاروا جماعة يوسف وابن يامين اخوه
ويهوذا وشمعون قد تخلفا بسبب حبس يوسف اخاه وقال بعض اهل
التاويل ان جبريل عليه السلام اتى يعقوب على احسن صورة فساله
عن يوسف انه في الاحياء ام في الاموات فقال لا بل هو في الاحياء فقال عند
ذلك عسى الله ان ياتيني بهم جميعا لكن عندنا ان يعقوب كان عالما بان يوسف في
الاحياء وانه غير هالك لما راى يوسف من الرؤيا من سجود الكواكب والشمس
والقمر له وعلم تاويله فلا يشكل عليه انه لا يهلك الا بعد خروج رؤياه ولكن كان
لا يعلم اين هو فقال ذلك لهذا قوله تعالى انه هو العليم الحكيم اي هو العليم
بحقيقة حال يوسف ومكانه الحكيم اي له حكمة في اخفاء ذلك علي الى ان يظهر وقته
والله اعلم قوله تعالى وتولى عنهم وقال يا اسفى على يوسف قوله وتولى عنهم
اي اعرض عنهم وعاتبهم حين اخبروه ان ابنك سرق وقوله يا اسفى على يوسف

وقيل يا حزنا على يوسف وقيل يا جزعا على يوسف ثم قوله يحتمل ان يكون لا على
اظهار القول منه باللسان ولكن الله اخبر عما في ضميره وذلك جائز كقوله
انما نطعمكم لوجه الله اخبر عما في قلوبهم لا ان قالوا ذلك باللسان ويحتمل القول
باللسان على غير قصد منه على ما يجري العادة في مثله وقال القتبي الاسف
اشد الحسرة واصله عندنا ان الاسف كانه النهاية في الحزن ان الحزن اذا بلغ
غايته ونهايته يقال اسف وهو النهاية في الغضب ايضا كقوله فلما اسفونا
انتقمنا منهم اي اغضبونا قوله تعالى وابيضت عيناه من الحزن وهو كظيم
الكظم وهو كف النفس عن الجزع وترديد الحزن في الجوف على غير اظهار في
افعاله ويحتمل ان يكون الكظيم هو الذي يمسك الحزن في قلبه والجزع هو ما
يظهر في افعاله والذي يهيج الحزن هو الذي يهيج الغضب الا ان الحزن
يكون على من فوقه والغضب على من تحته وان كان سبب هيجانهما واحدا والغم
كانه هو الذي يستر ويغطي القلب اذا حل به من الغمام والهم دونه وهو ما
يبعثه على القصد من مباشرة سببه ماخوذ من الهم وهو القصد وقيل ان
الهم فوق الغم لان الغم اخذ من الغمام وهو ما يستر القلب والهم ماخوذ
من قولهم شيخ هم اذا كان فانيا ضعيفا مهزولا وقيل الحزن ما يوثر
بالتغير في الخلقة ولا يظهر في الافعال والجزع ما يظهر في الافعال
ولا تغير الخلقة عن حالها لذلك عمل في ضعف نفس يعقوب وعمل في اهلاك
بعضه حيث ذهبت عيناه وابيضت من الحزن والكظيم ما ذكرنا هو الذي
يردد الحزن في جوفه ولا يظهره ويكف عن الجزع قوله تعالى قالوا
تالله تفتؤا تذكر يوسف حتى تكون حرضا او تكون من الهالكين قوله
تالله هو يمينهم مكان والله وبالله وكذلك قال ابراهيم تالله لاكيدن اصنامكم
وقوله تفتؤا تذكر يوسف اي لا تزال تذكر يوسف ولا تنسى ذكره حتى تسلوا
من حزنه كانهم دعوه الى السلوة من حزنه لانه بالذكر يتجدد الحزن ويحدث
فقالوا له لا تزال تذكر يوسف حتى تكون حرضا قيل دنفا وقيل حرضا اي
هرما واصل الحرض الضعف وقوله او تكون من الهالكين اي تصير من الهالكين
وكذلك حال يعقوب انه ضعف في بدنه من الحزن وصار بعض من بدنه
من الهالكين حيث ابيضت وذهبت عيناه من الحزن وقال بعضهم الحرض الذي

قد ذهب عقله من الكبر او تكون من الهالكين فتموت وما ذكر اهل التاويل
ان يعقوب قال كذا من النياح على يوسف والجزع عليه لا يحتمل لانه قال
حين اخبروه فصبر جميل وما ذكر وهم منه ليس هو بصبر فضلا ان يكون جميلا
قوله تعالى قال انما اشكوا بثي وحزني الى الله قال القتبي البث
اشد الحزن لان صاحبه لا يصبر عليه حتى يبثه ويشكوه وكذا روي في الخبر
من بث فلم يصبر اي شكا وما ذكر من الشكاية الى الله ليس هو على اظهار ذلك
باللسان ولكن بالقلب وقال الحسن اشكوا بثي اي حاجتي وحزني الى الله
ويشبه ان يكون البث والحزن واحدا ذكر على سبيل التكرار والله اعلم ٥
قوله تعالى واعلم من الله ما لا تعلمون قال بعض اهل التاويل واعلم
من الله من تحقيق رؤيا يوسف انه كائن ما لا تعلمون انتم وانا سنسجد له ويحتمل
انه علم من الله شيئا ما لا تعلمون هم ذلك لكنه لم يبين ما ذلك وهو كما قال ابراهيم
لابيه يا ابت اني قد جاءني من العلم ما لم ياتك وقال ابن عباس رضي الله
عنهما واعلم من الله ما لا تعلمون انه حي لم يمت ويشبه ان يكون قوله واعلم
من الله ما لا تعلمون اي انتفع بعلمي من الله ما لا تنتفعون انتم بذلك والله اعلم
واصله ان اخوة يوسف لو علموا ان امر يوسف يبلغ ما بلغ من الملك والعز ما
قصدوا قصد تغييبه عن والده ولا سعوا ما سعوا من افساد امره ولكنهم لم يعلموا
والله اعلم قوله تعالى يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف واخيه قال
اهل التاويل تحسسوا اي اطلبوا واستخبروا عنه وعن اخيه لكن غير هذا
كانه اقرب وهو من وقوع الحس عليه كانه قال اذهبوا فانظروا اليه والى
اخيه لانهم ان لم يكن لهم علم بان يوسف اين هو فلقد كانوا يعلمون حال اخيه
ابن يامين انه اين هو فلو كان على الطلب والبحث والاستخبار على ما قاله
اهل التاويل ان احتمل في يوسف لا يحتمل في اخيه اذ هم كانوا يعلمون مكانه
واين هو وان كانوا لا يعلمون مكان يوسف وهو انما امرهم لن يتحسسوا عنهما جميعا
فدل ان التحسس ماخوذ من الحس وهو امرهم بان ينظروا الى يوسف
واخيه فكانه علم بالوحي انه هنالك واخوه معه لكنه لم يخبر بنيه انه هنالك لما علم انهم
يتكاسلون ويتثاقلون عن الذهاب اليه فامرهم بذلك امر تعريض لا امر تصريح
ويحتمل ان يكون على الاضمار اي تحسسوا من يوسف واسالوا منه رد اخيه

لما علم ان اخاه يكون معه والله اعلم وقال عامة اهل التاويل انما قال لهم
هذا وعلم انه في الاحيا لما راي ملك الموت فقال له هل قبضت روح يوسف
فيما قبضت من الارواح قال لا وقال بعضهم راي في المنام ملك الموت
فقال له ما ذكرنا فعند ذلك قال هذا القول لكنا نقول انه كان عالما
انه في الاحيا ليس بهالك لما راي من الرويا وغيره فعلم انه لا يهلك الا بعد
خروج روياه على الصدق والحق لكن لم يعلم اين هو من قبل ثم علم من بعد بالوحي
مكانه وحاله فامر بنيه ان ياتوه فينظر اليه والي اخيه والله اعلم واصل هذا
ان ما حل بيعقوب من فوت يوسف وغيبته عنه محنة امتحنه الله بها
وبليته بما يبتلى به الاخيار الا ترى ان يوسف لو اراد ان يخبر اباه ويعلم ان حاله
ومكانه لقدر عليه لانه كان يعلم مكان ابيه وان كان لا يعلم يعقوب بمكان يوسف
فلم يعلم الا بعد الامر بالاعلام والله اعلم قوله تعالى ولا تياسوا من روح الله
قيل من رحمة الله انه لا يياس من روح الله الا القوم الكافرون اخبر انه
لا يياس من رحمة الله الا الكفرة لان من آمن يعلم انه متقلب في رحمة الله
ونعمته فلا يياس من رحمته واما الكافر فانه لا يعرف رحمة الله ولا تقلبه
في رحمته فيياس من رحمته والاية ترد على المعتزلة قولهم ان صاحب الكبيرة
يخلد في النار وانه ليس بكافر وهو آيس من روح الله على قولهم وقد اخبر انه
لا يياس من روح الله الا القوم الكافرون وهم يقولون ان صاحب الكبيرة
آيس من رحمة الله وهو ليس بكافر ثم انما نهاهم عن الاياس لما كان عندهم ان
يوسف كان هالكا حيث قالوا انك لفي ضلالك القديم لما قال لهم اني لاجد
ريح يوسف واخوه كان محبوسا بالسرقة والمحبوس لا يرد في حكمهم ويحتمل
انه نهاهم وان لم يكونوا آيسين ثم اخبر عن خبر الله بقوله انه لا يياس من
روح الله الا القوم الكافرون وهذا كما بشر ابراهيم بالولد حيث قال
بشرناك بالحق فلا تكن من القانطين نهوه عن القنوط ولا يحتمل ان يكون ابراهيم
قانطا من رحمة الله ولكن نهوه ثم اخبروا ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون والله اعلم
قوله تعالى فلما دخلوا عليه اي على يوسف قالوا يا ايها العزيز مسنا واهلنا
الضر سموه عزيزا لما العلم يسمون كل ملك عزيزا او سموه عزيزا لما كان عند الملك
عزيزا بقوله اكرمي مثواه او لما كان بالناس اليه حاجة في الطعام الذي في يديه

وهو كان غنيا عما في ايديهم والله اعلم وقولهم مسنا واهلنا الضر قال اهل
التاويل اصابتنا الشدة والبلا من الجوع وجئنا ببضاعة مزجاة قيل دراهم
زيوف نبهرجة لا تنفق في الطعام فاسدة لانه كان فيه عيب وسخ في عينه وقال
ابو عوسجة بضاعة بضاعة مزجاة اي قليلة وهو قول القتبي وقال ابن عباس رضي الله
عنهما هي الورق الردية التي لا تنفق حتى يوضع منها وقال ابو عبيد الزجاج في كلام
العرب الدفع والسوق وهو كقوله الم تر ان الله يزجي سحابا اي تسوق وتدفع
وقال بعضهم ناقصة وقال بعضهم جاوا بسمن وصوف وقيل جاوا بالصنوبر وحبة
خضرا قالوا ويشبه ان تكون مزجات من التزجية كما يقال نزجي يوما بيوم وهو
النقد الادون الذي يستعمل في النفقات دون ما يشترى بها الاشيا النفيسة
ويقوم بها التجارات والله اعلم قوله تعالى فاوف لنا الكيل قال بعضهم
اي اوف لنا الكيل طلبوا ان ياخذ منهم الفضاية ويكيل لهم الطعام بسعر الجياد
لكن نقول فاوف لنا الكيل في الحقيقة اي سلم لنا الكيل تاما لان الايفا هو
التسليم على الوفا والتمام كقوله فاوفوا الكيل والميزان وقوله وتصدق
علينا اي تصدق علينا بفضل ما بين الثمنين في الوزن وقيل تصدق بفضل
ما بين الكيلين وقال بعضهم وتصدق علينا اي زد لنا شيئا يكون ذلك صدقة
لنا منك لكن يشبه على ما قالوا وطلبوا منه الصدقة لا تحل للانبيا واولادهم
ويجوز الحط لهم وكذلك نبي الله كان يجوز له الشرا باقل من ثمن المثل ولا تحل
الصدقة اذ الحط لا يجري مجرى الصدقة ولذلك قال للوزان زن وارجح
ولذلك يجوز حط من لا يجوز منه الصدقة نحو العبد الماذون له في التجارة ونحو
والله اعلم ويحتمل ان يكون قوله مسنا واهلنا الضر اي بذهاب بصر ابيه
منتهم بذلك واهلهم الضر وتصدق علينا اي رد علينا ابن يامين لعل الله يرد
بصره عليه ان الله يجزي المتصدقين قال اهل التاويل ان الله يجزي المتصدقين
ان كانوا على دين الاسلام ولو انهم ظنوا انه مسلم لقالوا ان الله يجزيك بالصدقة
قوله تعالى قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه والاشكال ان ما فعلوا
باخيه شيئا ظاهرا كما معنى هذا الكلام قال اهل التاويل انما قال ذلك لما انهم
قالوا لابن يامين انه سرق ولكن هذا ضعيف لانهم لم يقولوا الا قدر ما ظهر عندهم
من الامر الظاهر فلا يلحقهم بذلك القول فضل تعيير ولكن يشبه ان يكونوا هم

آذوه بأنواع الأذى ولا شك انهم كانوا يبغضون يوسف واخاه حيث قالوا ليوسف
واخوه احب الى ابينا منا ونحن عصبة لذلك قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه
ثم الله تعالى لبس يوسف وامره على ابيه واخوته واخفى ذكره ووجهه
امتحانا منه لهم فلم يعرفوه ولم يشعروا مكانه الى ان انقضى وقت المحنة والبلاء
فاذا انقضى وقته فعند ذلك امره ان يظهره لهم وان يعلمهم انه يوسف وقيل
ايضا في قوله هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه قد كانوا اعلموا ما فعلوا بيوسف
لكنه كانه قال هل تذكرون ما فعلتم بيوسف اذ انتم جاهلون ذلك تأسون
كانه يقول لهم اذكروا ما فعلتم بيوسف واخيه وتوبوا الى الله ولا تكونوا جاهلين
عن ذلك او يقول لهم هل رجعتم وتبتم عن ذلك او انتم بعد فيه قوله تعالى
اذ انتم جاهلون قال بعض اهل التأويل بل اذ انتم مذنبون ولكن عندنا اذ انتم
جاهلون قدر يوسف ومنزلته لانهم لو علموا ما قدر يوسف عند الله وما
منزلته ما قالوا ليوسف واخوه احب الى ابينا منا ونحن عصبة وما خطأ
اباهم في حبه اياهم بقولهم ان ابانا لفي ضلال مبين وما فعلوا به ما فعلوا
والله اعلم قوله تعالى قالوا ائنك لانت يوسف كانهم عرفوا انه يوسف
بما يقول لهم هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه ويحتمل انهم عرفوا بقول ابيهم اياهم
حيث قال لهم يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف واخيه لما ذكر اخاه
ورأوه معه عرفوا انه يوسف لذلك قالوا والله اعلم قوله تعالى قال
انا يوسف وهذا اخي قد من الله علينا انه من يتق ويصبر يحتمل من يتق
معاصيه ويصبر على بلاياه ويحتمل من اتقى مناهيه وصبر على اداء اوامره
ومن اتقى وصبر فقد احسن فان الله لا يضيع اجر المحسنين او يقول من يتق الخطأ
ويصبر على البلاء فقد احسن فان الله لا يضيع اجر المحسنين قوله تعالى قالوا
تالله لقد آثرك الله علينا قوله تالله قسم قد اعتادوه في مجرى كلامهم على غير
ارادة يمين بذلك هكذا كانت عادة العرب والا لعلم يوسف ان الله قد آثره عليهم
ويشبه ان يخرج القسم ههنا على تأكيد معرفتهم فضله ومنزلته اي لم تزل
كنت مؤثرا مفضلا علينا وان كنا لخاطئين اي وقد كنا خاطئين فيما كان منا
اليك من الصنيع ويحتمل ان يكون قولهم لقد آثرك الله علينا فيما تقدم ليوسف
واخوه احب الى ابينا منا اي لما كان يؤثرهما عليهم فقالوا كنت مؤثرا علينا

على ما كان ابونا يؤثرك علينا وقد كنا لخاطئين فقال يوسف لا تثريب
عليكم اليوم وقال القتبي اي لا تعيير عليكم بعد هذا اليوم بما صنعتم قال
واصل التثريب الافساد يقال ثرب علينا الامر اي افسد وقال
ابو عوسجة التثريب الملامة تقول لا لوم عليكم في صنيعكم وقال ابن عباس رضي الله
عنهما لا تثريب عليكم اي لا اعيركم بعد اليوم بها ابدا ولا اعيب عليكم وقال
بعضهم لا تثريب عليكم اي لا تنغيص عليكم ثم الاصل عندنا وجهان احدهما
لا تعيير عليكم ولا ملامة عليكم اي ليس في العقل عليكم تعيير ولا ملامة اذ انتم
واقررتم بالخطأ وهكذا كل من اذنب ذنبا او ارتكب كبيرة ثم انتزع منها
وتاب عنها انه لا يعير هو عليها ولا يلام ولذلك قيل في قوله ولا تنابزوا
بالالقاب ذكر انهم كانوا يعيرون اهل الكفر بكفرهم وينابزونهم ثم اسلموا
فنهوا عن ان ينابزوهم ويصنعوا بهم مثل صنيعهم في حال كفرهم ولو وجب
التعيير والملامة بعد الانتزاع منه والتوبة او يجوز ذلك لكان اصحاب محمد
معيرين ملامين لانهم كانوا اهل الكفر في الابتداء وهذا مما لا يحل في العقل
وحرم الشرع ذلك والله الموفق والثاني قوله لا تثريب عليكم اليوم اي
لا اذكر مما كان منكم الينا امنهم عن ان يذكر شيئا مما كان منهم اليه ولذلك
قال من بعد ان نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي ذكر ان الشيطان
هو الذي فعل ما كان بينه وبين اخوته والله اعلم وقوله يغفر الله لكم
يحتمل انه يخرج على الدعاء لهم بالمغفرة ويحتمل على الاخبار بالوحي انه يغفر لهم
او قد غفر لهم ويحتمل اي استغفروا الذي كان منن الله وبينكم يغفر لكم وقطع
القول فيه بالمغفرة لهم حين اقروا بالخطأ وتابوا عما فعلوا وهكذا كل من
تاب عن ذنب ارتكبه ونزع عنها انه يقطع القول فيه بالمغفرة والرحمة
والله اعلم قوله تعالى وهو ارحم الراحمين لان كل من يرحم من الخلائق
انما يرحم برحمة منه اليه فهو ارحم الراحمين وهو كما قلنا في قوله خير الحاكمين
واحكم الحاكمين لان من يحكم بين الخلائق يحكم بجود فانما يحكم بما له منه والله اعلم
قوله تعالى اذهبوا بقميصي هذا فالقوه على وجه ابي يأت بصيرا ذلك
هذا من يوسف حيث قطع القول فيه انه يصير بصيرا انه عن وحي
قال لا عن رأي منه واجتهاد اذ قطع فيه القول انه اذا القي على وجهه

يصير بصيرا الخروج على وجهين احدهما يصير بصيرا على ما ذكرنا والثاني يأت
بصيرا اي يأتيني بصيرا وقوله وأتوني بأهلكم اجمعين اراد والله اعلم
حيث امرهم ان يأتوا باهليهم اجمعين ان يبرهم ويكرمهم حين تابوا عما
فعلوا به واقروا له بالخطاء في امره. قوله تعالى ولما فصلت العير
قيل خرجت وفصلت وانفصلت واحد فصل فصلا متعدي وفصل فصولا
لازم قوله تعالى قال ابوهم اني لاجد ريح يوسف قال
اهل التاويل كان بينهما ثمانون فرسخا يعني بين مصر وبين كنعان مكان
يعقوب وقيل مسيره ثمانية ايام قدر ما بين الكوفة والبصرة ولا حاجة بنا
الى معرفة ذلك سوى ان نعلم انه كان بينهما مسيرة ايام ثم وجد يعقوب
ريح يوسف من ذلك المكان ولم يجد غيره ممن كان معه فذلك آية من آيات الله
حيث وجد ريحه من مكان بعيد لم يجد ذلك غيره وذلك من آثار البشارة
والسرور الذي يدخل فيه بقدومه هذا يحتمل ويحتمل ان يكون ذلك ريح
قميص من قمصه على ما قال اهل التاويل ان ذلك القميص من كسوة
الجنة كان الله تعالى كساه ابراهيم وكساه ابراهيم اسحاق وكساه اسحاق
يعقوب وكساه يعقوب يوسف لذلك وجد ريحه لانه كان من ثياب
الجنة فهذا ان ثبت على ما قالوا فهو ايضا آية له عليه حيث وجد هو ذلك
الريح ولم يجد غيره وكذا هؤلاء لم يجدوا ايضا ذلك الريح قبل فصول العير وكان
ذلك القميص مع يوسف فدل ان ذلك من باب الآية له والله اعلم
قوله تعالى لولا ان تفندون قيل تخوفوني وقيل تهرفون وقيل
تكذبون وقيل تضعفون وقيل تعجزون وقيل تجهلون وقيل تحمقون
وقيل تسفهون وقيل لولا ان تقولوا ذهب عقلك ثم قالوا ان حرف لولا
اذا كان في الابتداء فهو على النهي كقوله هاهنا لولا ان تفندون اي لا
تفندون واذا كان على الخبر فهو على النفي كقوله فلولا كانت قرية آمنت
فنفعها ايمانها اي لم ينفع والمفند معروف عند الناس وهو الذي بلغ في الكبر
غايته مثل الذي اخبر في قوله ومنكم من يرد الى ارذل العمر والله اعلم
قوله تعالى قالوا تالله انك لفي ضلالك القديم قيل في حب يوسف
وذكره القديم كان عندهم بانه هالك لذلك انكروا عليه وخطاه فيما

يجد من ريحه وعنده انه في الاحياء لذلك كان ما ذكروه والله اعلم
قوله تعالى فلما جاء البشير القيه على وجهه فارتد بصيرا اي رجع
بصيرا على ما كان قال اهل التاويل البشير كان يهوذا وقيل البريد ولا
ندري من كان وليس بنا الى معرفة ذلك حاجة سوى ان المدفوع اليه
الثوب كان واحدا لانه قال جاء البشير القيه على وجهه وان قال
في الابتداء اذهبوا بقميصي هذا فالقوه على وجه ابي وقوله تعالى
قال الم اقل لكم اني اعلم من الله ما لا تعلمون قال بعض اهل التاويل
وذلك ان يعقوب قال لهم قبل ذلك انما اشكو بثي وحزني الى الله
واعلم من الله ما لا تعلمون انتم من تصديق رؤيا يوسف وانه حي وكان
يعلم هو من الله اشياء ما لا يعلمون هم قوله تعالى قالوا يا ابانا استغفر لنا
ذنوبنا انا كنا خاطئين قال يعقوب سوف استغفر لكم ربي طلبوا من ابيهم
ان يستغفر لذنوبهم فاخر استغفارهم الى وقت وطلبوا من يوسف العفو
واقروا له بالخطاء والذنب فعفى عنهم وقت سؤالهم العفو فمن الناس
من يقول انما اخر يعقوب الاستغفار وعفى عنهم يوسف لان قلب الشاب
يكون الين وارق من قلب الشيخ لذلك كان ما كان لكن هذا ليس بشيء
انما يكون هذا في عوام الناس فاما الانبياء كلما مضى وقت فيزداد قلوبهم
لينا ورقة وخشوعا لكن يحتمل ان يعقوب انما اخر الاستغفار لان الذنب
في ذلك كان بينهم وبين ربهم فاخر الى ان يجيء الاذن من الله تعالى لان
الانبياء والملائكة كانوا لا يستغفرون ولا يشفعون لاحد الا باذن من الله
قال الله تعالى من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه وقال ولا يشفعون
الا لمن ارتضى فاما الذنب فيما بينهم وبين يوسف فعفى عنهم من ساعته
لذلك افترق الامران والله اعلم ويحتمل اي سوف استغفر لكم ربي ان
استغفر ثم انتم او قال اسوف استغفر لكم اذا جاء وقته وهو ما قال
ابن عباس انه اخره الى وقت السحر ويحتمل انه اخره الى ان يقدم شيئا
بين يدي الاستغفار والشفاعة من الصدقة او عبادة ليكون اسرع
الى الاجابة ومنهم من يقول انما كان كذلك لان وجد يعقوب كان
اكثر من وجد يوسف لذلك كان اجابهم يوسف وقت سؤالهم بالعفو

واخر يعقوب الى وقت والله اعلم لكن الوجه فيه عندنا والله اعلم انهم انما
سالوا يعقوب وطلبوا منه الاستغفار من الله ليكون لهم شفيعا فاخر
ذلك الى وقت الاستغفار والشفاعة اذ ليس كل الاوقات يكون وقتا
للاستغفار وطلبوا من يوسف العفو فعفى عنهم وقت طلبهم منه العفو
فيحتمل ان لخرج على هذا والله اعلم قوله تعالى فلما دخلوا على يوسف
آوى اليه وقالوا ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين ظاهر هذا ان يكون
يوسف كان تلقيهم خارجا من المصر فقال ادخلوا مصر ان شاء الله
آمنين ثم لما دخلوا مصر آوى الى نفسه ابويه اي ضمهما اليه ويشبه
ان يكون قال لهم هذا القول وقت ما قال لهم وأتوني باهلكم اجمعين
ادخلوا مصر ان شاء الله امنين ثم لما جاءوه ودخلوا مصر آوى الى نفسه
ابويه وضمهما ثم انما قال ادخلوا مصر ان شاء الله امنين والله اعلم لان مصر
كان اهله اهل كفر فكانهم خافوا الملك الذي كان فيه فذكر لهم الامن
لذلك وذكر الثنيا فيه لان هذا وعد منه وعدهم والانبياء عليهم السلام
كانوا لا يعدون شيئا الا وليستثنون في آخره كقوله ولا تقولن لشيء
اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله وانما ذكر الثنيا في الامن ولم يذكر الثنيا
في الدخول لان ما ذكر من الدخول فهو امر وما ذكر من الامن وعد حيث
قال ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين امرهم بالدخول ووعدهم
بالامان حيث وصفهم بالامن حالة الدخول ووعدهم فيكون الاستثناء
في الوعد دون الدخول والله اعلم قوله تعالى ورفع ابويه على العرش
يشبه ان يكون قوله آوى اليه ابويه هو ما ذكر من رفعه ابويه على العرش
وخص بذكر ابويه بالرفع على العرش فيحتمل ان يكون رفع ابويه والاخوة
جميعا لانه لولم يرفع وقد كان عفى عنهم لما اقروا له بالخطاء وقال لا تثريب
عليكم اليوم لكان يقع عندهم انه قد بقي شيء مما كان منهم اليهم لكن خص ابويه
بالذكر لشرفهما وتمجيدهما على ما يخص الاشراف والاعاظم بالخطاب وارسال
الرسل اليهم وان كان ذلك الى الكل كقوله ولقد ارسلنا موسى باياتنا
الى فرعون وملايه ونحو ذلك فعلى ذلك هذا والله اعلم ويحتمل ان يكون
ذلك لتعظيم الابوين وفي الشرع والعقل والعادة كذلك انه لا ينبغي ان

يسوى بين الابوين والاولاد في المجلس بل يجب عليهم ذلك والله اعلم ثم
دلت قوله ورفع ابويه على العرش على ان اتخاذ العرش والجلوس
عليه لا باس به اذ لو كان لا يحل ولا يباح ذلك لكان يوسف لا يتخذه ولا كان
يعقوب يجلس عليه دلت ان ذلك مباح لا باس به قوله تعالى
وخروا له سجدا قال بعض اهل التاويل كانت تحيتهم يومئذ فيما
بينهم السجود ليسجد بعضهم لبعض مكان ما يسلم بعضنا على بعض فاما اليوم
فهو غير مباح وانما التحية في السلام لكن نقول ان السجود لدون الله تعالى
ليس نكره لنفس السجود انما يكره وينهى عما في السجود وهو العبادة ولا يحل
لاحد ان يجعل العبادة لدون الله واما نفس السجود فانه كالقيام والقعود وغيرهما
من الاحوال يكون المرء فيها والله اعلم وقال بعضهم وخروا له سجدا اي
خروا لله سجدا شكرا له بما جمع بينهم وبينه ورفع ما كان بينهم وهو قول ابن عباس
ويحتمل قوله وخروا له سجدا اي خروا له خاضعين والسجود يعبر به
عن الخضوع لا ان يسجدوا على ما هو السجود المتعارف والله اعلم قوله تعالى
وقال يا ابت هذا تاويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقا اي حقق
تلك الرؤيا التي من قبل وجعلها صدقا الى يوسف رؤيا فخرجت
رؤياه بعد حين ووقت وزمان طويل فهذا ابدلت على ان الخطاب اذا
قرع السمع يجوز ان ياتي بيانه من بعد حين وزمان يجوز ان يكون مقرونا
به وليس في تاخير البيان تلبيس قال ما قال بعض الناس قوله
تعالى وقد احسن بي اذ اخرجني من السجن ذكر احسانه ومننه ولم يذكر
محنه على التصريح وانما ذكر على التعريض حيث قال اذ اخرجني من السجن
ولم يقل سجنت وحبست وامثال ما كان ابتلاه به على طريق حسن الادب
ان يذكر الانعام والاحسان دون الشدة والبلاء فذكر الاخراج من السجن دون
الاشجان وهو كما قال ابرهيم والذي هو يطعمني ويسقين واذا مرضت فهو
يشفين والله اعلم قوله تعالى وجاء بكم من البدو قيل من البادية
لانهم كانوا اهل بادية اصحاب المواشي قوله تعالى من بعد ان نزغ
الشيطان بيني وبين اخوتي قال بعضهم نزغ اي فرق معناه من بعد
ما فرق الشيطان بيني وبين اخوتي وكان النزغ هو الافساد على ما ذكره

آهل التاويل اي بعد ما افسد الشيطان بيني و بين اخوتي و اضاف ذلك الي
الشيطان لما كان قال لهم لا تثريب عليكم اليوم حين اقروا له بالخطاء في فعلهم
وقوله تعالي ان ربي لطيف لما يشاء اللطيف يذكر في اسماء الله بمعنيين احدهما
اي العاطف علي خلقه والبر العطف يقال فلان بار اي عاطف و الثاني اللطيف
بمعني العالم يقال لطيف اي عالم بما يلطف من الاشياء و لصغر كما يعلم بما يعظم
ويجسم او يقال لطيف او يعلم المستور من الامور و الخفيه علي الخلق كما يعلم
الظاهرة منها و البادية لا يخفي عليه شي يعلم السر و اخفي ثم ذلك لتسمية الله
باللطيف و العظيم معا ليعلم ان ليس يفهم من عظمته ما يفهم من عظم الخلق و لا
يفهم من لطافته ما يفهم من الخلق اذ لا يجوز في الخلق ان يكون عظيما لطيفا
معا و يجوز في الله تعالي ذلك ان ما يفهم من هذا غير ما يفهم من ذلك
و الله اعلم قوله تعالي انه هو العليم الحكيم اي العليم بما كان و يكون و ما
ظهر و بطن و ما يسر و يعلن او يقال عالم بعواقب الامور و بدايتها الحكيم
الذي حكم بعلم و وضع كل شي موضعه لم يحكم بجهل و لا غفلة و لا سفه علي ما يحكم
بعض الخلق تعالي الله عن ذلك علوا كبيرا قوله تعالي رب قد آتيتني من
الملك قال ابو بكر الاصم ذكر من الملك لانه لم يؤته كل الملك اذ فوقه ملك اكبر
منه لكن نقول لا لهذا ذكر حرف من اذ معلوم انه لم يؤت لاحد كل الملك الدنيا
قال الله تعالي تؤتي الملك من تشاء و يكون في وقت واحد ملوك و قال
مقاتل من صلة كانه قال رب قد آتيتني الملك لكن الوجه ما ذكرنا و الله اعلم
قوله تعالي و علمتني من تاويل الاحاديث قال اهل التاويل المراد
علم تاويل الرؤيا و عندنا ان الاحاديث هي الانباء و التاويل هو علم العاقبة و علم
ما يؤول اليه الامر فكانه قال علمتني مستقر الانباء و عواقب الامور
و نهايتها و هو كقوله لكل نبإ مستقر و سوف تعلمون قوله تعالي فاطر
السموات و الارض لذلك انتصب قوله تعالي انت ولي في الدنيا و الاخرة
يشبه ان يكون تاويله انت ولي نعمتي في الدنيا و الاخرة كما يقال فلان ولي نعمة
فلان و يحتمل انت اولي بي في الدنيا و الاخرة و يحتمل انت ربي و سيدي في الدنيا
و الاخرة ثم قوله رب قد آتيتني من الملك الي قوله توفني مسلما ذكر الحمد
و الثناء لله تعالي و بيان احسانه و محامده و صنايعه عليه و قوله توفني مسلما

سؤال و دعاء من الله تعالي التوفي علي الاسلام و ما ذكر قدم يوسف دعاءه
و سؤاله ربه ما سال احسانه اليه و محامده و صنايعه ليكون ذلك وصيلة
له الي ربه في الاجابة فيكون تعليما لكل موحد مخلص ان يقدم قبل الدعاء
الحمد و الثناء علي الله و ذكر احسانه و منه ليكون اسرع الي القبول و الاجابة
و الله اعلم و في الآية دلالة نقض قول المعتزلة من وجوه احدها يقولون
ان كل احد سفيعه عمله و يوسف لم يذكر ما كان منه الحسنات اي فعلت كذا
فافعل بي كذا و لكن ذكر نعمة الله و احسانه اليه و الثاني من قولهم انه لا يعطي
احدا ملكا و لا نبوة الا بعد الاستحقاق له و لا يكون من الله الي احد نعمة
و احسان الا بعد الاستحقاق لذلك و ما كان هذا سبيله فلا يستحق الحمد
و الثناء علي من اعطاه ذلك و لا معني لذكر ذلك اذ ليس فيه كبير محمدة اذ لو لم
يعط علي مذهبهم يصير ظالما جايرا و الله الموفق و الثالث من قولهم ان كل احد
هو المتعلم باختياره لا ان الله تعالي يعلم احدا و قد اضاف يوسف التعليم الي الله
حيث قال و علمتني من تاويل الاحاديث و هم يقولون لم يعلمه و لكنه تعلم
بنفسه فينسبونه الي الكذب في القول فنسال الله تعالي العصمة و النجاة و الله اعلم
قوله تعالي توفني مسلما و الحقني بالصالحين سال يوسف و دعا ربه التوفي
علي الاسلام و الالحاق بالصالحين فهو و الله اعلم ان الله تعالي قد اتاه النهاية
في الشرف و المجد في الدنيا دينا و دنيا لان نهاية الشرف في الدين هي النبوة
و الرسالة و نهاية الشرف في الدنيا الملك فاحب صلوات الله عليه ان يكون له
في الآخرة مثله فقال توفني مسلما و الحقني بالصالحين ثم يحتمل سؤاله ان يلحقه
بالصالحين بكل صالح و يحتمل انه سال له ان يلحقه بالصالحين من آبايه و اجداده
و بجميع الانبياء و الرسل ثم قوله توفني مسلما و الحقني بالصالحين بكل صالح
و يحتمل انه سال له ان يلحقه بالصالحين مما ينقض علي المعتزلة قولهم فان من
قولهم ان ليس لله تعالي ان لا يتوفاه مسلما لما بالترك يصير ظالما جايرا فيكون
هو في دعايه عابثا علي قولهم و الثاني علي قولهم لا يملك ان يتوفاه مسلما لان من
قولهم انه اعطي كل احد ما به يكون مومنا حتي لم يبق عنده شي و من سال آخر
شيئا يعلم انه ليس عنده فسؤاله يكون هزا به او يكون كتمان النعمة و هذا لا يظن
بالانبياء و الرسل قوله تعالي ذلك من انباء الغيب نوحيه اليك اي خبر

يوسف واخوته وقصصهم التي قصصنا عليك واخبرناك من اوله الي آخره من انباء
الغيب لم تشهدها انت ولم تحضرها كقوله ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل
هذا ليعلم انك انما علمتها وعرفتها بالله وحيا ليدلهم علي رسالتك ونبوتك اذ لا وقوف
علي الغيب الا به والله اعلم قوله تعالي وما كنت لديهم اذ اجمعوا امرهم اي ما
كنت لديهم ولا حضرتهم ثم اشار علي ما كان ليدل علي ما ذكرنا من الرسالة والله اعلم
قوله تعالي وهم يمكرون اي اخوة يوسف يمكرون بابيهم واخيهم اما مكرهم
بابيهم حيث قالوا ارسله معنا غدا يرتع ويلعب وانا له لحافظون ضمنوا له حفظ
يوسف ولم يحفظوه واما مكرهم باخيهم حيث قالوا ما لك لا تامنا علي يوسف وانا
له لناصحون اخبروه انهم له ناصحون فخانوه مكروا بهما جميعا والمكر هو الاحتيال
في اللغة والاخذ علي جهة الامن وقد فعلوا ذلك بابيهم واخيهم والله الموفق
قوله تعالي وما اكثر الناس ولو حرصت بالمومنين اي ما اكثر الناس
بمومنين ولو حرصت يا محمد ان يكونوا مومنين كقوله انك لا تهدي من احببت
ولكن الله يهدي من يشاء كان بلغ من شفقته ورحمته علي الخلق ورغبته في
ايمانهم حتي كادت نفسه تهلك في ذلك حيث قال لعلك باخع نفسك الاية وقال
فلا تذهب نفسك عليهم حسرات وقال ولا تحزن عليهم كان حرصه علي ايمانهم
بلغ ما ذكر حتي خفف عليه بهذه الايات وقال بعض اهل التاويل قوله وما
اكثر الناس يعني اهل مكة ولو حرصت مومنين وهم كذلك كانوا كان اكثرهم غير
مومنين واهل مكة وغيرهم سواء كلهم كذلك كانوا والله اعلم قوله تعالي
وما تسالهم عليه من اجر اي علي ما تبلغ اليهم وتدعوهم الي طاعة الله وجعل
العبادة له وتوجيه الشكر اليه لا تسالهم علي ذلك اجرا فما الذي يمنعهم عن الاجابة
لك فيما تدعوهم والايتمار بامرك وفيه دلالة علي انه لا يجوز اخذ الاجر علي الطاعات
والعبادات وعلي تعليم القرآن والعلم ونحو ذلك حيث نهي واخبر انه لا يسالهم
علي ما يبلغ اليهم اجرا وهو لم يتولي تبليغ ما امر بتبليغه الي الخلق كافة لقوله
وما ارسلناك الا كافة للناس بنفسه ولكنه تولي التبليغ الي البعض بنفسه وولي
بعضه غيره بقوله الا فليبلغ الشاهد الغائب فاذا لم يجز له اخذ الاجر فيما يبلغ
هو فالذي كان مامورا ان يبلغ عنه لا يجوز ايضا ان ياخذ الاجر علي ما يبلغ والله اعلم
ثم في قوله وما تسالهم عليه من اجر وجهان احدهما انه ليس يسالهم علي الذي

يبلغ اليهم ويدعوهم اليه اجرا حتي يمنعهم ذلك عن الاجابة والثاني
اخبار ان ليس له ان ياخذ وان يجمع من الدنيا شيئا كقوله ولا تمدن عينيك
الي ما متعنا به ازواجا منهم الاية ومعلوم انه لا يمد عينيه الي ما لا يحل ثبت
ان النهي انصرف الي اخذ المباح والله اعلم قوله تعالي ان هو الا ذكر
للعالمين اي هذا القرآن الذي تبلغهم ليس الا ذكري وعظة للعالمين اي
نفسه ذكري وعظة وآية لمن اتعظ به من العالمين وقيل اي شرف وذكر
لمن اتبعه وقام به وهو ما ذكر في آية اخري ان في ذلك لذكري لمن كان له قلب
والله اعلم قوله تعالي وكاين من آية في السموات والارض يمرون
عليها وهم عنها معرضون قال بعض اهل التاويل الايات التي في السماء من نحو
الشمس والقمر والنجوم والسحاب وامثال ذلك والايات التي في الارض من
نحو الجبال والانهار والبحار والمدائن ونحوها لكن السماء نفسها والارض
نفسها انه وما تخرج منها من النبات ايه يمرون عليها وهم عنها معرضون اي
هم معرضون عما جعلت هن آيات لانهن انما جعلن آيات بوحدانية الله تعالي
اذ ليس في السموات والارض شيء وان لطف الا وفيه دلالة وحدانية الله
وآية الوهيته فهم عما جعلتهن آيات معرضون وبالله الهداية ثم يحتمل الاعراض
وجهين احدهما اعرضوا اي لم ينظروا فيها ولم يتفكروا ليدلهم علي وحدانية الله
والوهيته فهو اعراض عنها والثاني نظروا وعرفوا انها آيات لكنهم اعرضوا
عنها مكابرين معاندين والله اعلم وقال بعضهم آيات السماء ما ذكرنا من نحو
الشمس والقمر والكواكب وآيات الارض مثل آثار الامم الذين اهلكوا
من قبل من نحو قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وغيرهم ممن قد اهلكوا يمرون
عليها ويرونها ولا يتعظون بهم والوجه فيه ما ذكرنا انهم معرضون عما جعلت تلك
الايات وانما جعلت آيات الوحدانية له والوهيته او معرضون عن التفكر فيها
اعراض مكابرة ومعاندة قوله تعالي وما يومن اكثرهم بالله الا وهم مشركون
وهذا يحتمل وجوها احدها الاشراك في الالوهية اي وما يومن اكثرهم بانه
اله الا وهم مشركون الاصنام والاوثان في الالوهية وتسميتها الهة كقوله قل لو
كان معه الهة كما تقولون والثاني الاشراك في الفعل اي وما يومن اكثرهم بالله
الا وهم مشركون غيره في عبادته من الاصنام والاوثان وغيرها وقيل

اي وما يؤمن اكثرهم بالله بلسانهم الا وهم مشركون بقلوبهم ويحتمل وما يؤمن اكثرهم بالله
في النعمة انها من الله الا وهم مشركون في الشكر له اذ المنعم في الحقيقة هو الله فيجب
ان يوجه الشكر ويشكر لمن وصل اليه على يده شكر التوصل لا شكر الانعام فمتى
شكر له شكر الانعام صار مشركا لله غيره في الانعام فان فعل عن اعتقاد يكون
كفرا والا فيكون معصية وهو الذي يدعي الشرك الخفي ونحو ذلك والله اعلم
قوله تعالى افامنوا ان تاتيهم غاشية من عذاب الله او تاتيهم الساعة بغتة
وهم لا يشعرون اي كيف امنوا ان تاتيهم غاشية من عذاب الله او تاتيهم الساعة
بغتة فقد سمعوا اتيان العذاب ممن قبلهم وهلاكهم وقد جاء ما يخوفهم
اتيان الساعة وان لم يعلموا ذلك حقيقة لما تركوا العلم بها نزك معاندة لا ترك
من لم يبين له ولم يات التخويف والاعلام به وصار ممنوعا عن دركه بفوات
آلة الدرك والله اعلم ثم يجب ان يكون اهل الاسلام معتبرين بقوله وكاين
من آية في السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون وكذلك بقوله
افامنوا ان تاتيهم غاشية من عذاب الله الآية وان كانت الايات نزلتا في
اهل الكفر لان المسلمين يمرون على هذه الايات فيجب ان يعتبروا بها في ترك
ما امروا والتفريط في ذلك لما عسى ياتيهم الساعة وهم في التفريط بعد ولم
يوفقوا للتوبة والله اعلم قال ابو عوسجة غاشية من عذاب الله اي يجللهم
تغشاهم ومنه قوله هل اتاك حديث الغاشية وهو ما ياتيهم العذاب
من فوقهم وقال غيره غاشية من عذاب الله اي عذاب من عذاب الله وهو
كقوله ولئن مستهم نفحة من عذاب ربك والله اعلم قوله تعالى قل هذه
سبيلي ادعو الى الله على بصيرة انا ومن اتبعني اي قل يا محمد سبيلي هذه التي انا عليها
ويحتمل هذه سبيلي التي ادعوكم اليه انما ادعوكم على بصيرة انا ومن اتبعني اي على
علم وبيان وحجة قاطعة وبرهان بين ليس كسائر الاديان التي يدعى اليها
على الهوى والشهوة بغير حجة وبرهان قوله تعالى ومن اتبعني اي ومن
اتبعني ايضا فانما يدعوكم ايضا على حجة وبرهان ويحتمل ومن اتبعني اي ومن
يحيى فانما يحيى على بصيرة وبيان وحجة قوله تعالى وسبحان الله وما انا
من المشركين قيل كان هذا صلة قوله وما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون
سبحان الله تنزيها لما قالوا وتبرية عما قالوا في الله ما لا يليق به وما انا مشركين

في الوهيته وربوبيته غيره او في عبادته والله اعلم قوله تعالى وما
ارسلنا من قبلك الا رجالا يوحي اليهم ذكر رجالا لوجهين احدهما اي لم نبعث
رسولا من قبل الا بشرا لم نبعث ملكا ولا جنا فكيف انكرتم رسالة محمد بعلة انه
بشر ولم تروا رسولا من قبل ولم تسمعوا الا من البشر وهو كقوله ابعث الله
بشرا رسولا اي ما بعث قوله تعالى ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا فصار
تقدير الآية وما ارسلنا من قبلك الا رجالا مثلك بشرا لا ملكا ولا جنا والله اعلم
ويحتمل ذكر رجالا اي لم نبعث رسولا الا رجالا لا امراة والله اعلم
قوله تعالى من اهل القرى اي انما ارسل الرسل جملة من اهل
الامصار والمدن ولم يبعثوا من اهل البوادي والبراري وانما اراد بالقرى
الامصار والبنيان قال الله تعالى وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة
الآية قيل هي مكة وقيل ان جميع ما ذكر في القرآن من القرية والقرى
يراد بذلك الامصار والمدن ثم انما بعث الرسل والانبياء من الامصار دون اهل
البوادي لوجوه احدها ان لاهل الامصار والمدن اختلاطا باصناف الناس
وانواع البهائم والله اعلم والثاني ان الرسل يكون لهما اسباب واعلام بتقديم
عن وقت الرسالة يجب ان يظهر ذلك للخلق ليكون ذلك لهما اشرع الى الاجابة
وادعى وانفذ الى القبول فاذا كانوا من اهل البواد لا يظهر للخلق والله اعلم
والثالث انه يراد من الرسالة اظهارها في الخلق في الافاق والاطراف
ثم الامصار والمدن هي التي ينتاب الناس اليها في التجارات وانواع الحوائج
من الافاق والاطراف فيظهر ذلك في النواحي وفي اهل الافاق فاما
البوادي ليس يدخلها ولا ينتاب اليها الا الشاذة من الناس ولا يقضى فيها
الحوائج فلا يظهر في الخلق الرسالة والله اعلم قوله تعالى افلم يسيروا
في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم اي لم ينظروا ولم يتفكروا
فيمن هلك من قبلهم من الامم بتكذيبهم الرسل ان كيف كان عاقبتهم بالتكذيب
في الدنيا ليمتنعوا عن تكذيب رسلهم ولدار الاخرة خير للذين اتقوا الشرك
او خلاف الله ورسوله افلا تعقلون ان ذلك افضل وخير من دار الدنيا ثم قوله
افلم يسيروا في الارض يخرج على وجهين احدهما اي قد ساروا ونظروا كيف كان
عاقبة المكذبين لكنهم عاندوا فلم يعتبروا والثاني على الامر اي سيروا في الارض

وَانظروا الكن ليس علي نفس السير لكن علي السوال عما توك باولئك المكذبين قوله تعالي
حتي اذا استياس الرسل وظنوا انهم كذبوا اي ايس الرسل عن ايمان قومهم
وتصديقهم اياهم ثم لحتمل استياسهم عن ايمانهم وجهين احدهما المرادُ منهم
من كثرة العناد بآيات الله وافراطهم في ردها قنطوا عن ايمانهم والثاني لحتمل
ان تكون اياسهم بالخبر عن الله انهم لايومنون كقوله واوحي الي نوح انه لن
يومن من قومك الامن آمن وامثاله وقوله وظنوا انهم قد كذبوا قري بالتشديد
والتخفيف فمن خفف صرف الظن الي الكفرة معناه حتي اذا استياس الرسل
عن ايمان قومهم وظن قومهم ان الرسل قد كذبوا فيما اوعدوا من العذاب
انه نازل بهم لما ابطا عليهم العذاب وصاروا مكذ وبين فيما اوعدا جاهم
نصرنا وقيل اي ظن قومهم ان رسولهم قد كذبوا في خبر السما جاهم نصرنا
وعلي هذه القراة لايجوز صرف الظن الي الرسل لانه لالحتمل ان يظنوا انهم
صاروا مكذوبين فيما اخبرهم جبريل عن الله وان كانت القراة بالتشديد والظن
ينصرف الي الرسل ان الرسل ظنوا انهم قد كذبوا من جهة قومهم لكن هذا لحتمل
وجهين احدهما ما قال بعضهم ان الرسل آيسوا عن ايمان الكفرة وظنوا ان
اتباعهم الضعفه قد كذبوه ايضا لكبره ما اصابهم من الشدايد وطال عليهم البلا
واستاخر عليهم النصر فان كان هذا فالمراد بالظن حقيقته دون اليقين
وهو كقوله والذين آمنوا معه متي نصر الله الا ان نصر الله قريب والثاني لحتمل
من الاعدا فيكون المراد من الظن اليقين اذ الرسل استيقنوا انه قد كذبوهم
فان كان هذا في الاعدا فقد جا الرسل نصر الله وروي عن عروة بن الزبير
انه قالت سالت عايشة فقلت ارايت قوله تعالي حتي اذا استياس الرسل
وظنوا انهم قد كذبوا او كذبوا فقالت بل كذبهم قومهم فقلت والله لقد
استيقنوا ان قومهم قد كذبوهم وما هو بالظن فقالت يا عروة لقد استيقنوا بذلك
فقلت فلعلهم ظنوا ان قد كذبوا قالت معاذ الله لم يكن الرسل لتظن ذلك
بربها قلت وما هذه الاية قالت هي اتباع الرسل الذين آمنوا بربهم وصدقوهم
وطال عليهم البلا واستاخر عليهم النصر حتي اذا استياست الرسل ممن كذبهم
من قومهم وظنوا ان اتباعهم قد كذبوهم جاهم نصر الله عند ذلك والله اعلم
قوله تعالي فنجي من نشا اي من المومنين فهو في ظاهره خبر علي المستقبل

انه ينجي من يشا من هولا المومنين ويشبه ان يكون علي الخبر علي اولئك المومنين
فان كان علي هذا فمعناه فنجينا ما نشا منهم واهلكنا من نشا منهم ويجوز مثل هذا
في اللغة ولحتمل ان تكون ينجي من يشا في الاخرة قوله تعالي ولا يرد
بأسنا عن القوم المجرمين اي لا يرد عذابنا اذا نزل عن المجرمين قوله تعالي
لقد كان في قصصهم عبرة لاولي الالباب ولحتمل قصصهم قصص ساير
الرسل والانبيا المتقدمة والامم السالفة جميعا عبرة لاولي الالباب
اذ الاعتبار انما يكون لاولي الالباب والعقول الذين ينتفعون بالبابهم
وعقولهم قوله تعالي ما كان حديثا يفتري لحتمل اي ما حدث
محمد وما اخبر من القصص واخبار الرسل الماضية والامم السالفة بالذي
افتري انما اخبر ما كان من الكتب السالفة علي غير تعلم من احد ولا دراسة
من كتاب ولحتمل ما كان هذا القرآن بالذي تقدر ان يفتري قوله
تعالي ولكن تصديق الذي بين يديه اي هذا القرآن الذي نزل علي
رسول الله تصديق للكتب التي كانت من قبل قوله تعالي وتفصيل
كل شي اي تفصيل ما بالناس اليه حاجة قوله تعالي وهدي
ورحمة للمومنين وفيما ذكر من قصة يوسف واخوته علي رسول الله دلالة
التصبير له علي اذي قريش كانه يقول ان اخوة يوسف مع موافقتهم اياه
في الدين والنسب والموالاة عملوا بيوسف ما عملوا من الكيد له والمكر
به فقومك مع مخالفتهم اياك في الدين كيف لا يقدمون علي الكيد بك والقصد
اليك بالاذي ثم هو قد صبر علي اذاهم والصبر عن ذلك اشد فانت احري بالصبر
علي قومك والله اعلم

سورة الرعد ذكر انها مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

المر تلك آيات الكتاب يحتمل ان يكون قوله المر كناية عن جميع الحروف
المقطعة المعجمة فيكون قوله تلك آيات الكتاب اشارة الي الحروف المقطعة اذ منها
تأتلف آيات الكتاب هذا هو الظاهر ان يقال في كل الحروف المقطعة المعجمة ان
يكون ما ذكر من بعدها علي اثرها كان تفسيرا لها وعبارة عنها والثاني يشبه
ان يكون قوله المر كناية عن الحجج والبراهين وساير الكتب جعلناها آيات القرآن

وحجه وقد ذكرنا القول في الحروف المقطعة على الاستقصاء فيما تقدم والله اعلم
ثم اختلف في قوله تلك آيات الكتاب والذي انزل اليك من ربك الحق قال
بعضهم تلك آيات الكتاب التورية والانجيل وسائر الكتب المتقدمة والله اعلم
قوله تعالى والذي انزل اليك من ربك ايضا هو القرآن لكن بقوله
والذي انزل اليك من ربك ايضا اخبر انه منزل من ربه وقوله الحق يحتمل
هو الحق اي منزل من الله ليس كما قالت اوليك الكفرة انه ليس من الله انما يقوله
محمد من تلقاء نفسه ويحتمل الحق اي لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه
قوله تعالى ولكن اكثر الناس لا يؤمنون انه آيات الله وحجه والله اعلم
قوله تعالى الله الذي رفع السموات قوله رفع السموات اي انشاها
مرفوعة لانها كانت موضوعة فرفعها ولكن جعلها في الابتداء مرفوعة وهو كقوله
والارض وضعها للانام وقوله وهو الذي مد الارض وقوله والجبال ارسيها
ونحو ذلك اي انشاها موضعة ممدودة لا انها كانت مرفوعة فوضعها او كانت
مقبوضة فبسطها ولكن انشاها كذلك قوله تعالى بغير عمد ترونها
وقال بعضهم هي بعمد لكن لا ترونها اي ترونها بغير عمد وان كانت هي بعمد
وقال بعضهم هي بغير عمد على ما اخبر ودلت عليه ظاهر اللفظ ولكن نحن
نقول اللطف والاعجوبة فيما مسكها بعمد لا ترى كاللطف والاعجوبة فيما مسكها
بغير عمد لان في الشاهد لم يعرف ولا قدر على رفع سقف فيه سعة وبعد بغير
عمد لا ترى لكن ما يرفع انما يرفع بعمد ترى واللطف في هذا كاللطف في الاخر
وفيه دلالة قدرته على البعث لانه ذكر هذا ثم قال في آخر الآية لعلكم بلقاء
ربكم توقنون اي من قدر على رفع السماء مع سعتها وبعدها بلا عمد لقادر على
اعادة الخلق وبعثهم واحيايهم بعد الموت بل رفع السماء مع سعتها وبعدها
بلا عمد اكبر من اعادة الشيء بعد فنائه اذ في الشاهد من قدر يقدر على اعادة
اشياء بعد فنائها ولا يقدر على رفع سقف ذي سعة وبعد بغير عمد من ذا الوجه
يمكن ان يحتج والله اعلم قوله تعالى ثم استوى على العرش تعلقت الكرامية
بهذه الآية في اثبات المكان والمشبهة في جواز التشبيه لكن لا حجة لهم فيها فان
الاستواء المضاف الى الله لا يفهم منه ما يفهم من الاستوى المضاف الى الخلق وهو
الاستقرار وان كان استواهم لا ينفك عن الاستقرار هذا كما ان الله تعالى يوصف

بانه سميع بصير عليم مدبر ولا يفهم منه مثل ما يفهم من الخلق من الآلات
والجوارح وان كانت لا ينفك عنها في الشاهد فكذا لا يجوز ان يفهم من استوائه
ما يفهم من استواء الخلق والله الموفق وبعد فان في الشاهد اذا قيل فلان
استولى على بلد كذا او استوى على بلد كذا لم يفهم منه المكان بل فهم منه نفاذ الامر
والمشية والسلطان فعلى ذلك لم يجز ان يفهم من الله اذا اضيف اليه الاستواء
على المكان واصله ما ذكرنا فيما تقدم انه ليس كمثله شيء فيدل على انه لا يشبه
الخلق في كل شيء وكل وجه اذ الخلق في الشاهد ليس يشبه بعضهم بعضا من جميع
الجهات انما يشبه بعضهم بعضا بجهة ثم صاروا جميعا اشكالا واشباها بتلك
الجهة التي يقع بها بينهم التشابه فاذا الله تعالى لما اخبر انه ليس كمثله شيء
دلت انه انما نفى عنه الجهات التي يقع بها التشابه وانه يخالف الخلق من جميع
الوجوه فلو كان متمكنا بالمكان كسائر الخلق ليثبت التشابه من هذا الوجه وانه
مخالف للنص القاطع والله الموفق وهذه المسئلة مذكورة فيما تقدم ثم اختلف
في العرش المذكور ههنا قال بعضهم العرش اريد به الممتحنون من الخلق
اي استوى تدبير انشاء غيرهم من العالم بهم اي تم ذلك بهم لانهم هم المقصودون
في انشاء ذلك كله وقال بعضهم اريد بالعرش البعث به استوى تدبير
انشاء الخلايق اي بالبعث ثم انشاء العالم حكمة ما لولا البعث يكون انشاؤه اياهم
عبثا باطلا كقوله افحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون اخبر انه
لولا الرجوع لكان انشاء الخلق عبثا فجعل عدم الرجوع اليه علما على انشاء الخلق عبثا
تعالى الله عن ذلك وقال بعضهم العرش هو الملك وبه تم ما ذكر وقيل العرش
هو سرير الملك قوله تعالى وسخر الشمس والقمر كل يجري لاجل مسمى
تقدم ذكره قوله تعالى يدبر الامر اي يدبر الامر على ما في العقل انه عن تدبير
مدبر خرج وعن علم وحكمة وضع ليس على الجزاف بلا تدبير وبلا علم قوله تعالى
يفصل الآيات يحتمل يبين الحجج والبراهين ويحتمل يفصل الآيات اي آيات
القرآن اي انزلها بالتفاريق لا مجموعة قوله تعالى لعلكم بلقاء ربكم توقنون
هو ما ذكرنا ان فيما ذكر من الآيات والتدبير ورفع السماء بلا عمد دلالة البعث
والاحياء بعد الموت والله اعلم وقوله بلقاء ربكم توقنون هو ما ذكرنا في قوله اليه
مرجعكم جميعا وقوله يومهم بارزون وقوله واليه المصير وامثاله والله اعلم

قوله تعالى وهو الذي مد الارض وقال في آية اخرى والارض بعد
ذلك دحاها وقال في موضع والى الارض كيف سطحت وقال الذي جعل
لكم الارض فراشا وقال الذي جعل لكم الارض مهادا يذكرهم عز وجل نعمه ٥٦٥
التي انعمها عليهم بمد الارض وبسطها ثم قوله مد الارض اي انشاها ممدودة
لا انها كانت مجموعة في مكان فبسطها وهو كما ذكر من رفع السماء ونحوه قوله تعالى
وجعل فيها رواسي ذكر اهل التاويل ان الارض بسطت على الماء فكانت تكفأ
باهلها وتضطرب كما تكفأ السفينة فارساها بالجبال الثقال فاستقرت
وثبتت وذكر ايضا انها مدت وبسطت على الهواء ثم اثبتها بما ذكرت من الجبال
ولكن الامر لو كان على ما ذكر لكان يجيء ان لا يكون بالجبال ثباتها واستقرارها
لان الارض والجبال من طبعها التسفل والانحدار في الماء والهواء فكلما زيد
من ذلك النوع كان التسفل والانحدار اكثر وازيد فلا يكون بها الثبات والاستقرار
بل انما يكون الاستقرار والثبات بشيء من طبعه العلو والارتفاع فيمنع ذلك
الشيء الذي طبعه العلو عن التسفل والانحدار الا ان يقال انها كانت لا تتسفل
ولا تترسب ولكن تضطرب وتميد باهلها على ما ذكره وجعلنا في الارض رواسي
ان تميد بهم فان كان على هذا فيكون في الجبال ثباتها واستقرارها ومنعها عن
الاضطراب والميلان ويحتمل انه انما ذكر هذا ليعلم لطفه وقدرته حيث امسكها
عن التسفل والانحدار بشيء من طبعه التسفل والانحدار وقضيته الطباع
سرعة الانحدار لا الامساك والاستقرار ليعلم قدرة الله ولطفه في كل شيء وليعلم
بطلان قول اهل الطبع والله اعلم قوله تعالى وانهارا اخبر انه مد الارض
وبسطها وجعلها مستقرا بالله ليقروهم عليها ثم اخبر انه جعل فيها انهارا لينتفعوا بها
من جميع انواع المنافع قوله تعالى ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين
اخبر انه جعل في الارض من كل الثمرات زوجين قال بعض اهل التاويل
زوجين اثنين اي جعلها ذا لونين وقال بعضهم ذا طعمين لكن هذا ضعيف فان
الثمار يكون منها الوان كثيرة اكثر من اثنين احمر وابيض واصفر واسود واخضر
ونحو ذلك وكذلك الطعم لها اكثر من اثنين فمنها حامض وحلو ومر ومز الا
ان يقال زوجين اثنين الطيب والخبيث حتى يتناول الكل فانه ليس بين الخبث
والطيب واسطة اخرى ولا ثالث لهما والله اعلم وقال بعضهم زوجين اثنين

الذكر والانثى ولكن هذا انما يصح اذا اراد الاصول والاشجار التي تخرج منها
الثمار فاما نفس الثمرات لا تكون ذكرا وانثى فانما يصح هذا في الاشجار ايضا
فان منها ما يثمر ومنها ما لا يثمر فالذي يثمر هو انثى والذي لا يثمر هو ذكر واما ٥٦٦
على غير هذا لا يصح والاصل في هذا ان الزوج من له المقابل اما من الاشكال
او الاضداد من نحو الليل والنهار والذكر والانثى فهو في حق المنافع كشيء واحد
وفي حق انفسهم كالاضداد فالزوجان يكون اسماء للاشكال والامثال
واسماء للاضداد ايضا والله اعلم وعلى جعل قوله جعل فيها زوجين اثنين منقطعا
عن قوله ومن كل الثمرات وعلى التاويل الاول اراد بالزوجين في الثمرات
والله اعلم قوله تعالى يغشي الليل النهار اي يذهب ظلمة الليل بضوء
النهار وضوء النهار بظلمة الليل او يلبس احدهما صاحبه او يغطي بالليل ما هو بالنهار
باديا ظاهرا للخلق وبالنهار ما هو مستور خفي على الخلق والله اعلم قوله
تعالى ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون ذكر ان الآيات انما تكون آيات لهم
بالتفكر والنظر فيها لا ان تصير آيات بالبديهة والله اعلم او نقول ان منفعة
الآيات تكون لمن تفكر فيها لا لمن ترك التفكر والتامل وان كانت
بانفسها آيات والله اعلم ثم فيما ذكر من اول السورة من رفع السموات بغير عمد
وتسخير الشمس والقمر ومد الارض وجعل الجبال رواسي ونحو ذلك
دلالة البعث والاحياء ودلالة التدبير والعلم والحكمة ودلالة الوحدانية لقوم
يتفكرون في آياته وحجج لا لقوم يعاندون آياته ويكابرون ثم فيما ذكر في مد الارض
وبسطها واثباتها بالرواسي التي ذكر وجعل الانهار فيها ليصلوا الى الانتفاع وجهان
احدهما ذكر على طريق بيان النعم حيث انعم عليهم بمد الارض وبسطها
واثباتها بالرواسي وجعل الانهار فيها والثمرات لينتفعوا بها فيستأدي بذلك
شكرا والثاني يذكر بحق الاخبار عن قدرته وسلطانه لانه جعل الارض بحيث لا تدخل
فيها شيء على خلاف الماء وسائر المائعات ثم اخبر انه ادخل فيها الجبال مع كثافتها
وعظمها بقوله وجعل فيها رواسي والله اعلم قوله تعالى وفي الارض قطع
متجاورات وجنات من اعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان ذلك قوله
قطع متجاورات ان التجاور انما يذكر ويطلق اذا كانت الارض قطعا كل قطعة
متميزة عن الاخرى بعلامة فاما اذا كانت الارض ارضا واحدة فانه لا يقال فيها

التجاور ولا يستعمل هذا الاسم وان كانت اجناسها على الحقيقة متجاورة
لان الله تعالى انبتت في الارض قطعا متجاورة ولم يجعل كل الارض متجاورة فهذا
يبطل قول من يقول ان التجاور يذكر فيما فيه الشركة فيجب الشفعة فيما
فيه الشرك ويحمل الاحاديث الواردة في الجار على الشريك وهذه الآية تدل
على ان التجاور والجوار انما يكون عند كون الاراضي قطعا وذلك لا يكون حال
الشركة والله اعلم ثم قوله قطع متجاورات وجنات من اعناب القطع
المتجاورات هي الارضون الصواهي الذي تصلح للزروع وقوله وجنات
من اعناب اي جنات متجاورات ايضا وهي الارض المحفوفة بالاشجار التي فيها
الوان الثمار والكرم والنخيل وهي التي تسمى البساتين ثم قوله صنوان وغير
صنوان قيل الصنوان هي النخلات في اصل واحد وغير صنوان النخيل
المتفرقة وقيل الصنوان ما كان اصله واحدا اذ هو متفرق وغير صنوان
التي نبتت وحدها وقيل الصنوان هي النخلة تخرج فاذا خرجت انشعبت
بعد خروج الاصل ولهذا قيل عم الرجل صنو ابيه هو مذكور ثم قوله يسقى
بماء واحد اي يسقى ما ذكر من النخل والزرع والاعناب والجنات
قوله تعالى ونفضل بعضها على بعض في الاكل يذكر هذا والله اعلم ان جوهر
الارض كلها واحد وهي قطع متجاورة بعضها ببعض ثم هي مختلفة في حق الثمار
والفواكه وكذلك الاشجار والنخيل كلها من جوهر واحد ومن جنس واحد
والارض في جوهرها واحدة ويسقى كلها بماء واحد ثم تخرج مختلفة في الوانها
وطعومها وخبثها ومناظرها ليعلم انها لم تكن بنفسها ولا بالاسباب التي جعلت لها
ولكن بلطف واحد مدبر عليم حكيم لانها لو كانت بانفسها وطباعها او بالاسباب
لكانت كلها واحدة متفقة في طيبها وخبثها والوانها وطعومها فلما لم يكن لون واحد
ولا طعم واحد ولا منظر واحد دل انه كان بتدبير مدبر واحد عليم لطيف
فيبطل به قول الثنوية واهل الطبع والله الموفق ثم اختلف في تاويل قوله
ونفضل بعضها على بعض في الاكل قال بعضهم نفضل بعضها على بعض الحمل يكون
بعضها اكثر من بعض حملا وبعضها تحمل وبعضها لا تحمل ولكن عندنا ما ذكرنا
انه نفضل بعضه على بعض في الطيب والخبث والطعم واللون والمنظر والله اعلم
قوله تعالى ان في ذلك لآيات اي دلالات على وحدانيته وتدبيره

وعلمه وحكمته قوله تعالى لقوم يعقلون اي لقوم همتهم العقل والفهم
والنظر والتفكر في الآيات لا لقوم همتهم العناد والمكابرة او لقوم ينتفعون بعقلهم
وعلمهم والله اعلم قال الحسن هذا مثل ضربه الله عز وجل لقلوب بني آدم
كانت الارض في الاصل طينة واحدة فسطحها الرحمن جل وعلى ثم قطعها فصارت
الارض قطعا متجاورة فينزل عليها من السماء ماء فتخرج هذه زهرتها وثمرتها
وشجرها وتخرج نباتها وتحيي مواتها وتخرج هذه سبخها ملحها وخبثها وكلتاهما تسقى
بماء واحد وكذلك الناس خلقوا من آدم فينزل عليهم من السماء تذكرة فترق
قلوبا فتخشع وتخضع وتقسو قلوبا فتلهو وتسهو وتجفو ثم قال الحسن والله
ما جالس القرآن احد الا قام من عنده بزيادة او نقصان ثم تلى قوله تعالى
وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا
قوله تعالى وان تعجب فعجب قولهم قال الحسن وان تعجب يا محمد من تكذيبهم
اياك في الرسالة فعجب قولهم حيث قالوا اذا كنا ترابا أإنا لفي خلق جديد
وقال بعضهم في قوله وان تعجب فعجب قولهم اي ان تعجب يا محمد فيما اوحينا
اليك من القرآن كقوله في الصافات بل عجبت ويسخرون فعجب قولهم اي فاعجب
قولهم اي ليكن قولهم اعجب عندك حين قالوا اذا كنا ترابا أإنا لفي خلق جديد
تكذيبا للبعث واصله والله اعلم وان تعجب لانكارهم رسالتك وتكذيبهم اياك
ولم يكن منك اليهم حقيقة الهداية والنعم والآيات والحجج وانما كان منك البيان
والدعاء فاعجب قولهم في انكارهم قدرة الله تعالى على البعث وقولهم في الله سبحانه
وتعالى ما قالوا اما لا يليق به بعد معرفتهم حقيقة ذلك كله بالله اليهم والله اعلم
او يقال والله اعلم يقول انك ان عجبت قولهم في تكذيبهم اياك في الرسالة ولم تكن
رسولا من قبل فقولهم وانكارهم قدرة الله على البعث والاحياء بعد الموت اعجب
اذ قد راءوا وشاهدوا من قدرة الله وآياته ما لو تفكروا وتاملوا ولم يعاندوا لعرفوا
انه قادر على ذلك كله او يقال وصفهم الله تعالى بالعجز وقولهم انه لا يقدر على البعث
والاحياء بعد الهلاك اعجب من تكذيبهم اياك في الرسالة ولم يكن سبق منك اليهم ما يوجب
رسالتك وتصديقك وقد سبق من الله اليهم ما يعرفهم قدرته على ذلك كله وعلى
اكثر منه والله اعلم قوله تعالى اولئك الذين كفروا بربهم يشبه ان يكونوا
لما كفروا بالبعث كان كفرهم بالبعث كفرا بالله تعالى لانهم عرفوه عاجزا حيث قالوا

لا يقدر على بعث الخلق ومن عرف ربه عاجزا فهم لم يعرفوا الرب الحقيقة والاله
الحقيقة قوله تعالى واولئك الاغلال في اعناقهم قال بعضهم اي صار
الكفر في اعناقهم اغلالا حيث انكروا الرسالة في البشر ثم جعلوا الاصنام والاوثان
معبودهم يعكفون بها ويخضعون فلم يستحيوا ان يكون من البشر رسول قال
آمرهم الى ان اعتقدوا ان يكون من هو دون البشر آلهة وهم الاوثان والاصنام
فذلك صيرورة الاغلال في اعناقهم وقال بعضهم اي اولئك الاغلال في اعناقهم
في الآخرة كقوله خذوه فغلوه قوله تعالى واولئك اصحاب النار هم فيها
خالدون ظاهر قوله تعالى ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة الاستعجال
على وجهين يستعمل عند اهل اللسان احدهما لطلب الفعل والثاني في نفس
الفعل اما الاول فظاهر واما الثاني كقوله ادعوني استجب لكم اي اجب
لكم وقوله فليستجيبوا لي اي فليجيبوا لي وقوله ويستعجلونك فان كان على طلب
الفعل فهو ما سألوا رسول الله العذاب كقوله سأل سائل بعذاب واقع وقوله
ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء الآية فبدءوا
بسؤالهم الهلاك قبل سؤالهم بتاخير العذاب وامهاله وتاخير
العذاب عنهم وامهاله من الحسنة فاستعجلوا بهذا قبل هذا وان كان
على نفس الفعل فقوله يستعجلونك اي تعجلونك يا محمد بالسيئة اليك قبل ان يكون
منهم اليك حسنة حيث يكذبونك في الرسالة ويؤذونك في نفسك ولم يكن منهم
اليك احسان من قبل والله اعلم ثم سؤالهم السيئة والعذاب يكون لجهلهم بانه
رسول وانه صادق فيما يخبر لانهم لو علموا انه رسول وانه صادق فيما يخبر ويوعد
من العذاب كانوا لا يسألون العذاب لانهم يعلمون ان الله تعالى يقدر على ان
ينزل بهم العذاب لكن سألوا ذلك لجهلهم بانه رسول سؤال استهزاء وسخرية
فان كان على هذا سؤالهم كان فيه دلالة ان العقوبة والعذاب قد تلزم من جهل
الامر اذا كان بسبيل من العلم به بالنظر والتفكر وهؤلاء جهلوا انه رسول
لتركهم النظر والاستدلال والله اعلم قوله تعالى وقد خلت من قبلهم المثلات
قال بعضهم اي العقوبات اي قد كان في الامم الخالية العقوبات بسؤالهم العذاب
والمعاندة في الآيات اذا جاءت كانه والله اعلم يصبر رسوله على سفه قومه بسؤالهم
العذاب والآيات المقترحة ثم المعاندة فيها مع انهم علموا ان في الامم الماضية كانوا

اذا سألوا من الرسل العذاب والآيات ثم عاندوا في قبولها ينزل بهم العقوبات
فعلى ذلك بهم والله اعلم وقال بعضهم المثلات الامثال والاشباه وكذلك
ذكر في حرف حفصة رضي الله عنها وقد خلت من قبلهم الامثال وتاويله
اي وقد مضت قبلهم الامثال ما لو اعتبروا بها كان مثلا لهم ولكن لا يعتبرون
ليمنعهم عن امثال ذلك والله اعلم قوله تعالى وان ربك لذو مغفرة
للناس على ظلمهم قال بعضهم اي لذو ستر على ظلمهم وتاخير العذاب الى
وقت كقوله انما نؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار وقوله وما نؤخره الا لاجل
معدود وان ربك لشديد العقاب اذا عاقب ويحتمل وان ربك لذو
مغفرة للناس على ظلمهم اذا تابوا وان ربك لشديد العقاب اذا لم يتوبوا عن
ظلمهم اي الكفر اي وان ربك لذو مغفرة للمؤمنين على ظلمهم وان ربك لشديد
العقاب للكافر قوله تعالى ويقول الذين كفروا لولا انزل عليه
آية من ربه انما انت منذر ولكل قوم هاد وقال في موضع آخر فليأتنا
بآية كما ارسل الاولون وقال في آية اخرى لن نؤمن لك حتى تفجر لنا
من الارض ينبوعا الآية فيحتمل سؤالهم الآيات كما ارسل الاولون عين
تلك الآيات التي اتت بها الرسل وليس عليه ان يأتي بعين تلك الآيات
انما عليه ان يأتي بانه يخرج عن وسعهم وطباعهم اذ الرسل جميعا لم يأتوا بآية
سوى ما جاء به الآخر فقال تعالى للنبي ليس عليك ذلك انما انت منذر
ويحتمل ان يقول انما انت منذر ليس اليك انشاء الآيات واختراعها
ولا تملك اتيانها كما قال قل انما الآيات عند الله وقال قل لو ان عندي
ما تستعجلون به لقضي الامر بيني وبينكم ويحتمل ذلك او سألوا الآيات
سؤال عناد لديها هلاكهم على ما فعل الاولون فقال انما انت منذر وقد عفي
هذه الامة عن احصاد الآيات وانزالها لديها هلاكهم وهم في سؤالهم الآيات
كانوا معاندين لانه قد جاءتهم على اثبات رسالتهم واظهارها ما كفتهم لكنهم
يعاندون والله اعلم قوله تعالى ولكل قوم هاد اي داع يدعو الى توحيد الله
ودينه كقوله وان من امة الا خلا فيها نذير ثم اختلفوا في ذلك الداعي قال
بعضهم هو الله وقال بعضهم كل نبي من الانبياء وقال بعضهم هو داع ودليل
سوى النبي وقالت الباطنية هو امام يكون معصوما مثل النبي ليلا يزيغ عن الحق

ولكن عندنا معصوما كان او لم يكن فان في القرآن ما يمنع من الزيغ ويعرف به من
زاغ عن الحق او زل فلا حاجة الى امام معصوم والله الموفق قوله تعالى
الله يعلم ما تحمل كل انثى قيل انها حملت انثى او ذكرا مستويا او غير مستو فان
قيل لو قالت الملحدة هذا دعوى ما الذي يعلمنا انه يعلم ذلك قيل اتساق تدبيره
فيه ولطفه يدل على علم ذلك فيه حيث رباه فيه وانشاه مستويا سليما عن
الآفات على استواء الجوارح كلها لا يكون بعضها اكبر واعظم وبعضها انقص وبعضها
اتم نحو العينين تراهما مستويتين لا زيادة في احديهما دون الاخرى ثم سوى
الكل على الاستواء من غير زيادة ونقصان وكذلك اليدان والرجلان والاذنان
وامثالها فدل ذلك على علم المنشئ لها والتدبير وانه لا يخفى عليه شيء والله اعلم
قوله تعالى وما تغيض الارحام وما تزداد اي ويعلم ما تغيض الارحام
وما تزداد ثم اختلف في تاويل ذلك قال عامة اهل التاويل ما تغيض الارحام
اي ما تنقص عن التسعة الاشهر وما تزداد على التسعة الاشهر وقال
الحسن غيضوضة الرحم ان تضع لستة اشهر او ثمانية اشهر واما الزيادة فما
زاد على تسعة اشهر وفي حرف ابي رضي الله عنه الله يعلم ما تحمل كل انثى وما
تضع ثم عندنا يحتمل قوله وما تغيض الارحام وما تزداد وجوها احدها اي ما
لا يحتمل شيئا وهي التي تكون عقيما لا تلد والغيضوضة تكون ذهاب الشيء
قال الله تعالى وغيض الماء اي ذهب وما تزداد اي ما تحمل والثاني
يحتمل وما تغيض الارحام تلد بدون الوقت الذي تلد النساء وما تزداد
على الوقت الذي تلد النساء والثالث يحتمل وما تغيض الارحام وما تزداد
يرجع الى زيادة عدد الاولاد ونقصانهم ما يحتمل واحدا او اكثر من واحد
ويحتمل ان يكون في زيادة قدر نفس الولد ونقصانه لان من الولد ما يصيبه
في البطن آفة فلا يزال يزداد له نقصان ومنه ما ينمو ويزداد نماؤه
والله اعلم قوله تعالى وكل شيء عنده بمقدار اي كل شيء عنده مقدر بالتقدير
ليس على الجزاف على ما يكون عند الخلق ولكنه بتقدير وتدبير والله اعلم
قوله تعالى عالم الغيب والشهادة قال بعضهم اي لا يغيب عنه شيء
ولكن هو عالم بالذي يغيب عن الخلق ويشهده الخلق اي ما يغيب عن الخلق
وما يشهدونه عنده بمحل واحد في العلم به وقال بعضهم عالم الغيب والشهادة

اي عالم ما غاب بنفسه وما شهد بنفسه فالغائب بنفسه هو ما لم يوجد
بعد ولم يكن والشاهد ما قد وجد وكان يعلم ما لم يوجد بعد انه يوجد
او لا يوجد واذا اوجد كيف يوجد ومتى يوجد وفي اي وقت يوجد
وما وجد وشهد يعلمه شاهدا موجودا على هذين الوجهين يجوز ان يخرج
الآية والله اعلم قوله تعالى الكبير المتعال اي المتعالي عن جميع ما
يحتمله الخلق يقال في الشاهد هذا عظيم القوم وكبيرهم وهذا واحد
زمانه ولا يعنون به عظم النفس وكبره او توحده من حيث العدد
ولكن من حيث نفاذ الامر له والمشيئة فيهم والعز والسلطان وذلة
الخلق والخضوع له فعلى ذلك لا يفهم ما وصف هو به من الكبر والعظم ما
يفهم من الخلق من عظم الجسم وكبر النفس وعلى هذا انه وصف باشياء
لا يحتمل ذلك من الخلق يقال في اوصافه انه اول وآخر وظاهر وباطن
وعظيم ولطيف ومثل هذا مما لا يوصف من الخلق اذ من قيل له في الشاهد
انه عظيم لم يقل انه لطيف ومن قيل انه اول لم يقل انه آخر وكذلك
الظاهر والباطن اذا وصف باحدهما انتفى عنه الآخر ليعلم انه لا يفهم
مما وصف الفهم والله الموفق قوله تعالى سواء منكم من اسر القول
ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار قال بعضهم اي
سواء منكم من اسر القول في نفسه في حال انفراده ومن جهر به لغيره
ومن هو مستخف بالليل اي مستتر في ظلمة الليل وسارب بالنهار ظاهر
بالنهار وقال بعضهم مستخف بالليل اي ساكن بالليل في مقره وسارب
بالنهار اي متصرف ومتقلب بالنهار في حوائجه وقال بعضهم في قوله وسارب
بالنهار اي من يكون في السرب بالنهار وهو الغار ثم هذه الآية صلة ما تقدم
وهو قوله الله يعلم ما تحمل كل انثى وما تغيض الارحام ويعلم ايضا ما
تزداد وما ذكر انه عالم الغيب والشهادة يقول ايضا ويعلم من اسر القول
ومن جهر به ومن كان مستخفيا بالليل وساربا بالنهار اي يعلم كل شيء لا يخفى
عليه شيء من عمل سرا من الخلق او عمل ظاهرا منهم يذكر هذا ليكونوا على
حذر من المعاصي لان من علم ان عليه رقيبا حفيظا يكون احذر واخوف
ممن يعلم انه ليس عليه ذلك والله اعلم وقال مقاتل اي سواء منكم عند الله

من اسر القول ومن جهر به وسواء منكم من هو مستخف بالليل وسارب
بالنهار اي هو مستخف بالمعصية في ظلمة الليل او هو منتشر بتلك المعصية
في النهار معلن بها فعلم ذلك كله عند الله سواء قوله تعالى له معقبات
من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من امر الله اختلف في تاويل قوله له معقبات
قال بعضهم هم الامراء والشرط الذين يحفظونه في ظواهر من امره
حتى اذا علموا منه بشي مما هو مزجور الشرع يعاقبونه على ذلك ويعذبونه
اخبر تعالى انه كما هو محفوظ عليه الظواهر من امره فهو محفوظ عليه الخفيات
من امره حيث قال سواء منكم من اسر القول ومن جهر به الاية اخبر
انه يعلم ذلك كله ومحفوظ عليه الظواهر من امره تاكيدا للحضر عن المعاصي
المختفية عن الناس وقال بعضهم معقبات الملائكة الذين يحفظونه وعلى ذلك
روي في الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يجتمعون فيكم عند صلوة
الصبح وعند صلوة العصر قوله من بين يديه ومن خلفه يحتمل وجوها
قيل اي الملائكة يحفظونه من بين يديه ومن خلفه مثل قوله عن اليمين وعن
الشمال قعيد وقال بعضهم بين يديه يحتمل الخيرات والحسنات ومن خلفه
الشرور والسيات ويحتمل بين يديه ما قدم من الاعمال ومن خلفه ما
اخر كقوله علمت نفس ما قدمت واخرت ويحتمل بين يديه ما مضى من الوقت
ومن خلفه ما بقي وقوله يحفظونه من امر الله اي يحفظون نفسه من البلايا
والنكبات التي تنزل على بني آدم فان كان المراد حفظه نفسه فقوله من امر الله
اي من عذاب الله وبلاياه ويحتمل يحفظونه من امر الله اي يحفظون
اعماله بامر الله وفي ذلك تذكير احد امرين احدهما يذكر نعمة التي انعمها عليهم
من اول حالها الى آخر ما ينتهون اليه ليتادي بذلك الشكر منهم ليستديموا
تلك النعم بذلك ابدا ما كانوا والثاني يذكرهم علمه بجميع احوالهم وافعالهم
ليكونوا ابدا على حضر من معاصيه والخلاف له اما نعمة فما ذكر له معقبات
من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من امر الله واما علمه هو ما ذكر الله يعلم ما
تحمل كل انثى الاية والله اعلم قال ابو عوسجة المعقبات الحفظة الذين يحفظونه
بامر الله فقال عقبته اي حفظته وقوله لا معقب لحكمه اي لا راد لحكمه قال
ويقال في غير هذا اعقب فلان فلانا اي ذهب هو وجاء هذا او يقال عقبت

اي رجعت وما خذهما من العقب ويقال رجع على عقبيه اي من حيث جاء
وقال القتبي معقبات ملائكة يعقب بعضهم بعضا في الليل والنهار
اذا مضى فريق خلفه فريق اخر يحفظونه من امر الله اي بامر الله والله اعلم
قوله تعالى ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم يشبه ان
يكون هذه النعمة نعمة الدين رسول او قرآن او ما كان من امر الدين لا يغير
ذلك عليهم الا بتغيير يكون منهم من تفريط وتقصير ونحو ذلك كقوله
ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم وقوله فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم ويحتمل ان
يكون ذلك في النعمة الدنياوية من الصحة والسلامة والمال لا يغير عليهم
الا بتغيير ذلك من انفسهم فان قيل ان الانبياء عليهم السلام قد كانوا ابتلوا
بشدايد وبلايا ولا يحتمل ان يكون منهم البداية في التغيير قيل ابدل لهم
مكان النعمة خير منها فيكون ذلك في المعنى استدامة تلك المعنى تقديرا مع
حصول الزيادة لان ذلك تغيير النعمة حتى يقال كيف يتغير بلا تغيير
منهم والله اعلم ثم النعم التي لها حق الحدوث والتجدد من الطاعات وافعال
الخير يكون التغيير عليهم حال اختيارهم اضداد ذلك فيبعث عليهم تلك النعم
لمنع التوفيق والعصمة واعطاء الخذلان وما كان من النعم مما له بقاء من
الاموال والاعيان او ما له حكم الدوام بتجدد امثالها بحيث لا ينقطع مثل
السلامة والذهن والفهم ونحو ذلك يكون التغيير من الله من وجود التغيير
منهم بصرف تلك النعم في غير مواضعها وبالامتناع عن قضاء حق الشكر لها
والله اعلم قوله تعالى واذا اراد الله بقوم سوءا فلا مرد له الاية
ترد على المعتزلة قولهم لانهم يقولون ان الله تعالى لا يريد الا ما هو الاصلح
لهم في الدين وقد اخبر انه اذا اراد بهم سوءا فلا مرد له دل انه قد يريد بهم
السوء اذا عندوهم ما انعم الله عليهم بتغيير ذلك عليهم والمعتزلة يقولون يملك
الخلق دفع سوء اراده الله عنهم واذا اراد الخير فلا يملكون رد ذلك فلا راد لفضله
واذا اراد الله بقوم سوءا فلا مرد له والله اعلم قوله تعالى وما لهم من دونه
من وال اي ليس لهم من دفع العذاب الذي اراد بهم ولن يدفع عنهم او نصير
ينصرهم كقوله وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير وقوله وال
بمعنى ولي مثل نادر وقدير وحافظ وحفيظ وقوله هو الذي يريكم البرق

خوفا وطمعا اي مخوفا ومطمعا او يخافون ويطمعون قال اهل التاويل
خوفا للمسافر وطمعا للمقيم وقيل خوفا لاهل البنيان وطمعا لاهل الانزال
وعندنا يطمعون ويخافون قوم واحد يطمعون نفعه في وقت المنفعة ويخافون
ضرره في وقت نزوله والله اعلم ويحتمل وجها آخر اي يريكم خوفا
موعودا وطمعا موعودا لان في البرق نورا ونارا فالنور يطمع النور الموعود
في الموعود في الجنة والنار يخوف النار الموعودة في الآخرة لان فيها نارا
الا ترى انه اذا اشتد احرق من اصابه والله اعلم قوله تعالى وينشئ
السحاب الثقال اي يرفع السحاب الثقال التي فيها المطر والماء وقال ابو عوسجة
نشات السماء اذا ارتفعت الغيم فيها ونشا الغيم نشوا ويقال نشا ارتفع
والنشا اي رفع ويقال انشا الله اي اخترعه ويقال انشا الله الخلق اي
خلقهم قوله تعالى ويسبح الرعد بحمده اختلف في الرعد والبرق قال
بعضهم الرعد هو اسم ملك من الملائكة موكل بالسحاب صوته تسبيحه وعلى
ذلك روي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال اقبل اليهود الى النبي فقالوا
يا ابا القاسم اخبرنا عن الرعد ما هو قال ملك من الملائكة موكل بالسحاب
معه مخاريق من نار يسوق بها السحاب حيث شاء الله عز وجل فقالوا فما
هذا الصوت الذي يسمع قال زجره السحاب اذا زجره حتى ينتهي الى حيث
امر فقالوا صدقت فان ثبت هذا فهو هو وعن علي رضي الله عنه انه سئل عن الرعد
والبرق فقال الرعد الملك والبرق ضربه السحاب بمخراق من حديد
وقيل الرعد ملك على ما ذكرنا يزجر السحاب بتسبيحه ويسوق فاذا شذت
سحابة ضمها فاذا اشتد غضبه طارت من فيه النار فهي الصواعق وقال بعضهم
الرعد هو الريح التي تسوق السحاب فاذا تراكم السحاب فلم تجد منفذا صوت
فذلك صوته وقال بعض الفلاسفة الرعد اصطكاك الاجرام فيحدث
بذلك هذا الصوت كالحجر يصك الحجر وقال بعض الفلاسفة انما هو ريح
يختنق تحت السحاب فتصدعه وتشقه فذلك الصوت منه وعن ابي سعيد الخدري
رضي الله عنه قال الرعد ملك والبرق سوطه الذي يزجي السحاب وقيل
امثال هذا كثير والله اعلم بذلك وليس بنا الى معرفة ذلك حاجة سوى انه هول
هائل يهول الخلق ويذكرهم سلطانه وعظمته ولولا ان الخلق اعتاد واذلك

والا لم يتم انفسهم لسماع ذلك والله اعلم ثم تكلموا في كيفية تسبيح الرعد فان كان
الرعد هو الملك فكان تسبيحه مثل تسبيح الملائكة وان كان غير الملك فتسبيحه
هو تذكرة الناس عظمة الله وسلطانه فيسبحونه وينزهونه عما يليق بذاته
وصفاته ونقول نحن ان الرعد اي شي كان الملك او الريح او نحوهما فالتسبيح
يحتمل من كل شي على ما اخبر الله تعالى حيث قال وان من شي الا يسبح
بحمده ثم يحتمل التسبيح وجهين احدهما تسبيح فانه جعل في خلقته كل شي وبراءة
منشية عن كل ما وصفته الملحدة به ودلالة الوهيته وربوبيته وتوحيده
ويحتمل التسبيح بالقول ايضا فانه جعل في سوته كل شي تسبيحه وتنزيهه
بحيث لا يفهمه الخلق ولا يسمع والله اعلم قوله تعالى والملائكة من خيفته
اي الملائكة يسبح من خيفة الرعد ثم خوف الملائكة يخرج على وجهين احدهما
اي خوفا من عقوبته اياهم ولانه قد جاء فيهم الوعيد اذا ذكروا كقوله
ومن يقل منهم اني اله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين
والثاني خوف هيبة وجلال لا خوف عقوبة ونكال لان الله تعالى وصفهم
بالطاعة والاستسلام بقوله لا يعصون الله ما امرهم ولانه وقوله يسبحون
الليل والنهار لا يفترون ونحو ذلك ثم خوف الهيبة والجلال لا يزول في
الآخرة وخوف العقوبة يزول والله اعلم قوله تعالى ويرسل
الصواعق فيصيب بها من يشاء قيل الصاعقة التي بها يموت البعض ويذهب
عقل البعض كقوله فصعق من في السموات ومن في الارض وقيل هي اسم
العذاب وقد ذكرنا في موضع آخر وذكر في بعض الاخبار ان رجلا اتى النبي
عليه السلام فسأله عن شي من امر الرب تعالى فجاءت صاعقة فاحرقته
فنزل ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون في الله اي في
توحيد الله لان اهل الكفر كلهم كانت مجادلتهم في توحيد الله والوهيته
قوله تعالى وهو شديد المحال قال بعضهم اي شديد الانتقام والعقوبة
وقيل شديد القوة وقيل شديد الاخذ وقال القتبي المحال من الكيد
والمكر واصل المحال الحيلة لكن سمي باسم الاول لانه جزاء الحيلة فيكون
كتسمية جزاء السيئة سيئة وجزاء الاعتداء اعتداء والكيد والمكر هو ما ذكرنا
الاخذ من حيث الامن من حيث لا يشعرون وقال ابو عوسجة المحال عندي

من المكر والله اعلم قوله تعالى له دعوة الحق يحتمل وجهين يحتمل له
عبادة الحق وليس لمن دونه العبادة بحق اي هو المستحق للعبادة ليس ممن
يعبد دونه بالذي يستحق العبادة فعبادة الحق له ليس لمن دونه والثاني له
دعوة الحق اي له اجابة دعوة الحق ليس يملك من دونه اجابة من دعا
بالحق فعلى التاويل الاول الدعوة العبادة وعلى التاويل الثاني الدعوة
الاجابة اي له اجابة دعوة الحق وهو يملك ذلك فاما من دونه فلا يملكون يدل
على ذلك قوله على اثره والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء
اي والذين يدعون من دونه لا يملكون الاجابة ويحتمل لا يملكون ما يأملون من
عبادتهم الاصنام فيكون مثلهم ما ذكر الا كباسط كفيه الى الماء فيدعوا الماء
فما لا يجيبه الماء وان دعاه فعلى ذلك من يدعوا الاصنام لا يملكون اجابته
والله اعلم ويحتمل ان يكون وجه ضرب هذا المثل ان من عبد دون الله او دعا
من دونه ليس الا كباسط كفيه الى الماء وهو على بعد منه فما لا يصل هو الى
الماء لا يصل من عبد دون الله الى ما يأمل ويطمع ويحتمل وجها آخر وهو
ان الماء لم يغترف اذا انقبض الكف ولا سبيل الى الاغتراف اذا بسطه فعلى
ذلك من عبد دون الله والله اعلم قوله تعالى وما دعاء الكافرين الا
في ضلال اي دعاؤهم وعبادتهم لم تعقب لهم الا الخسار في الآخرة بل يضل
ذلك كله عنهم لا يصلون الى ما يأملون بالدعاء والعبادة كقوله وضل عنهم
ما كانوا يفترون قوله تعالى ولله يسجد من في السموات والارض
طوعا وكرها يحتمل قوله يسجد على حقيقة السجود فانه يسجد له المؤمن
والكافر جميعا اما المؤمن فانه يسجد له بالاختيار والطوع والكافر يسجد
في حالة الضرورة كرها في حال الشدة والضيق ويحتمل ان المؤمنين
يسجدون له طوعا طوع عقل لا طوع كره ويكرهون سجوده كراهة الطبع
لا كراهة العقل اذ النفس والطبع يأبى كل ما فيه مشقة والله اعلم ويحتمل
ان يكون سجود الكفار لله تعالى اختيارا وطوعا حيث قالوا ما نعبدهم الا ليقربونا
الى الله زلفى وقالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله انهم وان عبدوا الاصنام
فيرون العبادة والسجود لله تعالى لكنه لم يقبل ذلك منهم لاشراكهم غيره
في عبادته ثم يحتمل ما ذكر من السجود وجوها احدها حقيقة السجود فان كان

هذا هو التاويل فهو في الممتحنين المكلفين خاصة والثاني يحتمل سجود الخلقة
فان كان المراد هذا فهو في جميع الخلائق اذ جعل الله تعالى في خلقه كل شيء
دلالة وحدانيته والوهيته والثالث يحتمل سجود الاحوال فهو في المؤمن
والكافر جميعا اما المؤمن فهو يسجد له على كل حال واما الكافر فانه يسجد له ويخضع
في حال الشدة والضيق والله اعلم قوله تعالى وظلالهم بالغدو
والآصال يحتمل اي يسجد ظلالهم بالغدو والآصال ايضا ينتقل ظل كل
احد بانتقال نفسه ويحتمل سجود خلقه وهو الخضوع يخضع له من في
السموات والارض طوعا وكرها وفي هذا الخلائق كلهم سواء من البشر
وغير البشر ذي الروح وغير ذي الروح ومعنى قوله وظلالهم بالغدو
والآصال اي ظلالهم تخضع ايضا وتعظم وفي كل شيء دلالة وحدانيته وعظمته
فان قيل فما معنى التخصيص بالغدو والآصال قيل لوجهين احدهما يرجع
الى الضلال اي انها تسجد بالغدو والآصال لان الضلال تظهر بالغدو
والآصال والثاني يرجع الى جميع من ذكر وذكر الغدو والآصال ليس على
مراد الوقت ولكن يراد به الابد والدوام اي يسجد له من في السموات
والارض في الاوقات كلها والله اعلم قوله تعالى قل من رب السموات
والارض قل الله امره تعالى ان يسال الكفرة ويقول لهم من رب السموات
والارض ثم امره ان يجيب لهم فيقول رب السموات والارض هو الله
والاشكال ان هذا في الظاهر دعوى فكيف يكون جوابا لهم لان هذا وان
كان في الظاهر دعوى لكن معترون بالحجاج على ما ذكر لا يملكون لانفسهم نفعا
ولا ضرا وقوله خلقوا كخلقه ونحو ذلك لانهم يقرون بهذا انهم لا يخلقون
كخلقه ولا يملكون دفع وجر النفع والله اعلم ثم قوله قل من رب السموات
والارض امره ان يسالهم من رب السموات والارض ولم يقل من ربكم فما معنى
هذا فنقول انما امره ان يسالهم بما لا يتجاسرون ان يقولوا الاصنام التي
يعبدونها هي ارباب السموات والارض فلا بد ان يقروا الله رب السموات
والارض يدخل ما في السموات والارض في ربوبيته اذ السموات والارض
انما خلقتا لاهلهما فاذا كان هو رب السموات والارض كان رب ما فيهما فكان
قوله قل من رب السموات والارض في المعنى قل من ربكم على هذا التدرج

والحكمة في ذكر ذلك ما ذكرنا والله اعلم وقال بعضهم في قوله قل من رب
السموات والارض قل الله امره ان ينبئهم بذلك وامره ايضا ان يسبقهم
بالجواب لانه هو السابق بكل خير فانهم مجيبون انه رب السموات والارض
دليله حرف ابي وابن مسعود وحفصة رضي الله عنهم حيث قروا قل من
رب السموات والارض قالوا الله وهو كقوله ولين سالتهم من خلقهم
ليقولن الله فدلت انه امره ان يسبقهم بالاجابة حتى يكون هو السابق على كل
خير والله اعلم قوله تعالى قل افاتخذتم من دونه اوليا يقول والله اعلم
اذا اقررتم ان رب السموات والارض هو الله وهو الاله فكيف اتخذتم
من دونه الاصنام الهة وارباباً وعبدتموها او جعلتم من ليس هو برب
السموات والارض اولى بالعبادة له ممن اقررتم انه ربهما والله اعلم
قوله تعالى لا يملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا اي اذ لا يملكون نفعا لانفسهم
ولا دفع الضر عنها فكيف يملكون نفع غيره او دفع الضر عن غيره وعرفتم
انهم لا يملكون ذلك وان الله تعالى هو المالك لذلك فكيف تركتم عبادة من
يملك ذلك واقدمتم على عبادة من لا يملك تخرج تاويل الآية على وجهين
يقول لهم لا يملكون بانفسهم نفعا ولا ضرا فكيف اتخذتموهم آلهة دون الله
والثاني لا يملكون نفعا ولا ضرا مع وجود الحاجة فيهما فكيف تعبدون على
رجاء النفع لكم بقولكم هولاء شفعاونا عند الله والله الهادي قوله
تعالى قل هل يستوي الاعمى والبصير ام هل تستوي الظلمات والنور
اي تعلمون ان الاصنام التي تعبدونها عمي لا تبصر شيئا والله هو البصير
فكيف تركتم عبادة من يبصر وعبدتم من لا يبصر هل يستوي الاعمى والبصير
اي لا يستوي ذلك او يقول لهم انكم بعبادتكم الاصنام طمعتم شفاعتهم
عند الله وهم عمي وانتم بصراء فهل رايتم اعمى يقود بصيرا في الشاهد وهل
رايتم من لا يبصر يكون دليلا لبصير فاذا لم تروا فكيف طمعتم من الاصنام ذلك
وقال اهل التاويل هل يستوي الاعمى والبصير الاعمى الكافر والبصير
المومن وكذلك قالوا في قوله هل تستوي الظلمات والنور الظلمات الكفر
والنور الايمان ووجه قولهم في تشبيه الكفر والنور الايمان ووجه قولهم
في تشبيه الكفر بالظلمات والايمان بالنور لان الظلمة تحجب وتستر كل شي والنور

يرفع ذلك الحجاب وذلك الستر فالايمان له دلايل وحجج ترفع تلك الحجب والستور
فتنور له كل شي والكفر ليس له حجج ودلايل ترفع ذلك فهو ظلمة لم تضي له
شيئا والايمان له نور حيث نور له كل شي بالدلايل والحجج فصار الكافر كالاعمى
لا يبصر شيئا لانه في الظلمة والمومن كالبصير لان معه دلايل يبصر بها
كل شي والله اعلم قوله تعالى ام جعلوا لله شركا خلقوا كخلقه فتشابه
الخلق عليهم اي خلق هولاء الاصنام التي عبدوها واشركوها في الالوهية
لخلق الله فتشابه عليهم خلقه من خلق الاصنام اي عرفوا انها لم تخلق شيئا
كما خلق الله فكيف اشركوا هذه الاصنام في عبادة الله والوهيته وهم اقروا
ان الله خالق كل شي وهذا ينقض على المعتزلة قولهم حيث قالوا ان الله
تعالى لم يخلق افعال العباد ولا يقدر على خلق افعالهم وهم خلقوها على زعمهم
فيكون موضع تشابه الخلق عليهم على قولهم فدلت على فساد قولهم والله اعلم
قوله تعالى قل الله خالق كل شي وهو الواحد القهار اي كل شي دونه
تحت قهره وسلطانه والاصنام التي تعبدونها مقهورة مغلوبة والله اعلم
قوله تعالى انزل من السماء ماء فسالت اودية بقدرها فاحتمل
السيل زبدا رابيا الى آخر ما ذكر من الامثال الى قوله كذلك يضرب الله الحق
والباطل فاما الزبد فيذهب جفاء واما ما ينفع الناس فيمكث في الارض وقال
بعضهم هذا مثل ضربه الله تعالى للمتقين والشك فاحتملت منه القلوب
على قدر يقينها وشكوكها فاما الشك فلا ينفع منه عمل واما اليقين فينفع الله
به اهله وهو قوله فاما الزبد فيذهب جفاء وهو الشك واما ما ينفع الناس
فيمكث في الارض وهو اليقين وكما يجعل الذهب في النار فيوخذ خالصه ويترك
خبثه في النار كذلك يتقبل الله اليقين ويترك الشك وهو قول ابن عباس
وقال قتادة قوله انزل من السماء ماء فسالت اودية بقدرها الصغير
بصغره والكبير بكبره اي الواد الصغير والكبير فاحتمل السيل زبدا رابيا اي عاليا
ومما توقدون عليه في النار ابتغاء حلية او متاع زبد مثله كذلك يضرب الله الحق
والباطل فاما الزبد فيذهب جفاء والجفاء ما يتعلق بالشجر من الزبد واما ما
ينفع الناس فيمكث في الارض ضرب المثل للحق والباطل يقول والله اعلم
كما اضمحل هذا الزبد الذي ظهر على فوق الماء فصار جفاء لا ينتفع به ولا يرجا

بركته كذلك يضمحل الباطل عن اهله كما اضمحل هذا الزبد وكما مكث هذا
الماء في الارض وقرّ قدارها فامرعت له ونجت بركته واخرجت الارض
له نباتها كذلك يبقى الحق لاهله كما بقي هذا الماء في الارض ومما توقدون
عليه في النار ابتغاء حلية تقول كما يبقى خالص هذا الذهب والفضة حين ادخل
في النار وذهب خبثه كذلك يبقى الحق لاهله وقوله او متاع زبد مثله
يعني بالمتاع الحديد والصفر والشبه ونحوها التي ينتفع بها وفيها منافع تقول
كما بقي خالص هذا الحديد وهذا الصفر حين ادخل النار وذهب خبثه كذلك
يبقى الحق لاهله كما بقي خالصهما والله اعلم قال الكلبي قوله انزل من السماء
ماء وهو القرآن فاحتمله القلوب باهوائها ذو اليقين على قدر يقينه وذو الشك
على قدر شكه فاحتملت الاهواء باطلا كثيرا وجفاء فالماء هو الحق والاودية
هي القلوب والسيل الاهواء والزبد الباطل وكذلك المتاع والحلية
هو الحق قال كذلك يضرب الله الحق والباطل واما الزبد فيذهب جفاء
واما ما ينفع الناس فيمكث في الارض فالزبد وخبث الحلية وخبث المتاع
هو الباطل من اصاب من هذا شيئا لم ينتفع به فكذلك الباطل يوم القيمة
لا ينتفع به واما الماء والحلية والمتاع فهو الحق من اصاب شيئا منه ينتفع به
فكذلك صاحب الحق يوم القيمة ينتفع به والله اعلم وقال الحسن وهو قول
مقاتل ضرب الله مثل الايمان والكفر ومثل الحق والباطل فقال انزل
من السماء ماء فسالت اودية بقدرها سال الوادي الكبير على قدر كبره والوادي
الصغير على قدر صغره فاحتمل السيل زبدا رابيا اي عاليا ثم قال ومما توقدون
عليه في النار ابتغاء حلية اي حلية الذهب والفضة ثم قال او متاع اي الشبه
والحديد والصفر والرصاص وقوله زبد مثله اي للذهب والفضة والشبه
والحديد خبث وزبد مثل زبد الماء اذا ادخل النار وذلك الزبد والخبث
مما لا ينفعه اهله في الدنيا وانما ينفع الماء والحلي والمتاع فكما لا ينفع الزبد وخبث
الحلي وخبث المتاع اهله في الدنيا فكذلك الباطل لا ينفع اهله في الآخرة فكذلك
يضرب الله الحق والباطل اي هكذا يضرب الله اي يبين الله ما ذكر من مثل
الحق والباطل وقوله فاما الزبد فيذهب جفاء قال يعني يابسا لا ينتفع به
واما ما ينفع الناس من الماء فيمكث في الارض فيسقون ويزرعون به وينتفعون

فهذه ثلثة امثال ضربها الله تعالى في مثل واحد وذلك قوله كذلك
يضرب الله الامثال للذين استجابوا لربهم الحسنى تقول هكذا يبين الله
تعالى الامثال والاشباه للذين استجابوا لربهم الحسنى اي اجابوا لربهم
في الدنيا بالايمان والتوحيد الحسنى لهم وهي الجنة في الآخرة ضرب الله تعالى
مثل الايمان والحق ووصفهما بالثبات والقرار والطيب بالارض الطيبة
مرة وبالشجرة الطيبة ثابتا وضرب مثل الكفر والباطل بالارض الخبيثة
والشجرة الخبيثة ووصفهما بالخبث والذهاب فقال مثل كلمة طيبة
كشجرة طيبة اصلها ثابت وفرعها في السماء الآية وقال ومثل كلمة خبيثة
كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الارض ما لها من قرار وقال والبلد الطيب
يخرج نباته باذن ربه والذي خبث لا يخرج الا نكدا وضرب مثل المؤمن مرة
بالبصير والسميع ومثل الكافر بالاعمى والاصم فقال مثل الفريقين كالاعمى
والاصم والبصير والسميع هل يستويان مثلا وضرب مثل الكفر مرة بالظلمات
ومرة بالزمان والموت ومثل الايمان بالنور والضياء والحيوة ونحوه فهذه
الامثال التي ضرب الله تخرج كلها مخرج الدعوى في الظاهر اذ ليس فيها
بيان الحق من الباطل وبيان المحق من غير المحق سوى ان فيها هل يستوي
ذا وذا او هل يستوي الطيب الخبيث او البصير الاعمى او الميت الحي او الظلمات
النور وامثاله هذا كله غير مستو وكل اهل الاديان وان اختلفت
مذاهبهم تقول كل انا الذي عليه هو الحق والذي عليه غيري هو الباطل
وينفي كل عن نفسه العمى والصم وكونه في ظلمة ويدعي كونه في النور ونحوه
فليس في نفس الامثال التي ضربت بيان الحق من الباطل والمحق من غيره
ولكن يعرف بغيرها بالدلائل والحجج والبراهين وهو ما ذكر وتلك الامثال
نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون فبالدلائل والحجج والبراهين يعرف
الحق من الباطل والمحق من غير المحق وللايمان والحق حجج ودلائل تعرف
ذو العقول بالعقول حسنه وطيبه وما يعقب من ثمرته وبين قبح الكفر
والباطل وما يعقب لاهله من ثمرته والله اعلم وقال القتبي زبدا رابيا
اي عاليا على الماء ابتغاء حلية اي حلي او متاع آنية من فلز الارض وجواهرها
مثل الرصاص والحديد ونحوهما من الذهب والفضة ولها خبث يعلوها

اذا اذيبت مثل زبد الماء والجفاء ما رمى به الوادي الى جنباته يقال
اجفأت القدر بزبدها اذا القت زبدها عنها وقال ابو عوسجة رابيا
اي مرتفعا فوق ظهر الماء وهو واحد ويقال زبد الماء اذا صار له
زبد وقوله ابتغاء حلية من الذهب والفضة مما يتحلى به وقوله
فيذهب جفاء اي باطلا لا ينتفع به وقال الجفاء الغثاء ويقال قد اجفأ
الوادي اذا علاه ذلك ثم جري به الماء واما الجفاء فهو اظهار التهاون في الانسان
وقلة الاكتراث له والاستخفاف به وقال ابو عبيد الجفاء الجمود يذهب
الى ان الزبد يجمد ويجتمع على الماء ثم يذهب بحايها وقال العرا فيذهب جفاء
اي يذهب سريعا كما جاء قال الشيخ رحمه الله ويشبه ان يكون المثل
الذي ضرب بالماء هو للدين وهو ان الدين الحق الذي انزل من السماء
واحد لكن الناس اتخذوا اديانا متفرقة ومذاهب مختلفة كقوله
وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل والدين الذي امر
باتباعه وسلوكه واحد وهو كالماء الذي انزل واحد صاف وهو الاصل لحدث
منه اشياء لا يعبا بها ولا يكترث فعلى ذلك السبيل الحق واحد والله اعلم
وان يكون وجه ضرب مثله بالماء وهو ان الماء اذا انزل من السماء انزل
طيبا عذبا لكن اختلف الوانه وطعومه باختلاف الارض بعضه خرج مالحا
اجاجا وبعضه مرا وبعضه عذبا فالذي ينتفع به واحد وهو العذب فعلى
ذلك الدين الذي ينتفع به واحد والبواقي لا ينتفع بها كالمياه المرة والمالحة
والله اعلم او ان يكون غير هذا ونحن لا نعرفه والله اعلم قوله تعالى كذلك
يضرب الله الامثال للذين استجابوا لربهم الحسنى اي اجابوا ربهم فيما دعاهم
وانما دعاهم الى دار الاسلام بقوله والله يدعوا الى دار السلام ويهدي من
يشاء الى صراط مستقيم دعاهم الى دار السلام ومكن لهم في الاجابة والرد
فمن اجابه فيما دعاه كان له دار السلام والحسنى الذي ذكر ومن رد دعاه كان
له النار ودار الهوان فايهما اختار فله الموعود الذي وعد ان اختار اجابته
الى ما دعاه فله النعيم الدايم الذي وعد ودار السلام وان اختار الرد وترك
الاجابة فله ما وعد من العذاب الدايم والهوان والامثال التي ذكرها للذين
استجابوا لربهم هو هكذا للمومنين لانهم هم المنتفعون بها وكذلك ما ذكر من القرآن

انه هدى ورحمة وشفاء ونحوه اي هدى ورحمة للمومنين فاما على اهل الكفر
فهي عمى وضلال قال الله تعالى ويشفي صدور قوم مومنين ويذهب
غيظ قلوبهم واما قلوب الكفار فكما ذكر في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا
وقال واما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا الى رجسهم وامثال ذلك
والله اعلم قوله تعالى والذين لم يستجيبوا له لو ان لهم ما في الارض جميعا
ومثله معه لافتدوا به يذكر هذا والله اعلم ان الذي كان يمنعهم عن الاجابة
الى ما دعاهم رغبتهم في هذه الدنيا وميلهم اليها يتمنون بما يحل بهم من العذاب
والشدايد ان يكون لهم ما في الارض جميعا ومثله معه حتى يفتدوا بها
لو قبل منهم والله اعلم قوله تعالى اوليك لهم سوء الحساب اي
يحاسبون حسابا يسوهم لان حسناتهم التي عملوها وطمعوا الانتفاع بها
لم تنفعهم بل صارت كالسراب الذي ذكر الله كسراب بقيعة يحسبه الظمان
ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا ولم يتجاوز عن سيئاتهم قوله تعالى وماويهم
جهنم وبيس المهاد اي الذي ياوون اليه هو جهنم وبيس المهاد لما يسوهم ذلك
والله اعلم قوله تعالى افمن يعلم انما انزل اليك من ربك الحق كمن هو اعمى
اي من يعلم الحق حقا كمن هو يعمى عنه ولا يعلم او من يعلم الحق انه حق كمن يعلمه
باطلا ليس بسواء وهو كقوله هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون
قوله تعالى انما يتذكر اولوا الالباب اي انما يتذكر بالتذكير لاولي الالباب
واولوا العقول الذين ينتفعون بعقولهم والبابهم ثم بين من هم فقال الذين
يوفون بعهد الله يحتمل عهد الله عهد خلقته يوفون ما في خلقتهم من العهد اذ
في خلقته كل احد دلالة وحدانية الله وشهادة الوهيته وحكمته فوفاه ذلك
العهد ويحتمل عهد الله ما جرى على السن الرسل وقد ذكرنا هذا فيما تقدم وهو ما
ذكر في اية اخرى واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما اتيتكم من كتاب وحكمة
الاية وقال واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب الاية قوله
تعالى ولا ينقضون الميثاق والعهد واحد وسمي العهد ميثاقا لانه يوثق
المرء ويمنعه عن الاشتغال بغيره والله اعلم قوله تعالى والذين يصلون
ما امر الله به ان يوصل الصلاة التي امر الله تعالى بها ان توصل على جهات
ومراتب اما بينه وبين المسلمين ان لا يحبهم الا ما يحب لنفسه ولا يصحبهم

الا بما يجب ان يصحب واما فيما بينه وبين محارمه ان يؤدي ويحفظ الحقوق
التي جعل الله لبعضهم على بعض ولا يضيعها واما فيما بينه وبين الرسل فهو ان
من حقهم ان يوصل الايمان بالنبيين جميعا والكتب كلها فهذه الصلات التي امر الله ٥٨٥
ان يوصل بها والله اعلم قوله تعالى ويخشون ربهم اما بالتقصير فيما امر
ان يوصل واما بالتفريط ذلك وترك الصلاة اصلا قوله تعالى ويخافون
سوء الحساب اي شدة الحساب حتى لا ينفعهم حسناتهم ولا يتجاوز عن سيئاتهم
فذلك يسوءهم قوله تعالى والذين صبروا وقد ذكرنا فيما تقدم ان الصبر
هو كف النفس وحبسها عما تهواه وحملها على ما تكره ويثقل عليها ثم يحتمل كفها
وحبسها عن الجزع في المصائب وعلى اداء ما افترض الله عليهم وامرهم بها ويحتمل
اي كفوا انفسهم وحبسوها عن المعاصي فيكون الصبر على هذه الوجوه الثلاثة
التي ذكرنا والله اعلم قوله تعالى ابتغاء وجه ربهم يحتمل وجهين يحتمل
ابتغاء رضوان الله ويحتمل ابتغاء وجه يكون لهم عند الله وهو المنزلة والرفعة
وكذلك يسمى الرفيع وذو المنزلة وجيها قال الله تعالى وجيها في الدنيا
والاخرة اي ذا منزلة ورفعة في الدنيا والاخرة وعلى هذا خرج قوله فاينما
تولوا فثم وجه الله اي ثمة الجهة التي امر الله تعالى بان يتوجه اليها وقيل
ثمة رضا الله فعلى ذلك قالوا في قوله ابتغاء وجه ربهم اي ابتغاء المنزلة
والرفعة التي تكون لهم عند ربهم او ابتغاء رضوان ربهم ومرضاته والله اعلم ٥
قوله تعالى واقاموا الصلاة اي داموا الى اقامتها وعلى ذلك قوله
اقيموا الصلاة اي داوموا الى اقامتها وعلى ذلك قوله اقيموا الصلاة اي داوموا
على اقامتها ويحتمل واقاموا الصلاة اي جعلوها قائمة ابدا قوله تعالى
وانفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية يحتمل كل نفقة الصدقة والزكاة وما ينفق
على عياله وولده سرا وعلانية اي ينفق في كل وقت سرا من الناس وعلانية
منهم اي ينفقون على كل حال لا يمنعهم علم الناس بذلك عن الانفاق بعد
ان يكون لابتغاء وجه ربهم قوله تعالى ويدرءون بالحسنة السيئة اي يدفعون
بالحسنة السيئة ثم يحتمل وجهين احدهما يدفعون بالاحسان اليهم العداوة
التي كانت بينهم كقوله ادفع بالتي هي احسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة
كانه ولي حميم والثاني اي يدرءون الاساءة التي كانت اليهم بالخير اليهم والمعروف

ولا يكافؤن بالشيء السيء ولكن يدفعونه بالخير وقال بعضهم في قوله
ويدرءون بالحسنة السيئة اي اذا سفه عليهم حلموا فالسفه سيئة والحلم
حسنة قوله تعالى اولئك لهم عقبى الدار اي عقبى اولئك الذين اتوا بما ٥٨٦
ذكر من وفاء العهد ووصلوا التي امروا بها ان يوصل وصبروا على اداء ما
امروا به وافترض عليهم وانتهوا عما نهوا عنه الدار التي دعاهم الله اليها بقوله
والله يدعوا الى دار السلام والثاني اولئك لهم عقبى الدار اي عقبى حسناتهم
دار الجنة او اولئك لهم عقبى هذه الدار الجنة او عاقبتهم دار الجنة ثم نعت تلك
الدار فقال جنات عدن يدخلونها قال اهل التاويل العدن هي بطنان
الجنة وهي وسطها وقال بعضهم العدن هو الاقامة اي جنات يقيمون
لها يقال عدن بمكان اي اقام قوله تعالى ومن صلح من آبائهم وازواجهم
وذرياتهم فان قيل خص بذكر الاباء والازواج والذرية وهم دخلوا في
قوله الذين يوفون بعهد الله وفي قوله والذين يصلون ما امر الله به ان
يوصل وقوله والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم فما معنى تخصيصهم بالذكر
نقول هذا يحتمل وجوها احدها يحتمل انه يكون فيمن اسلموا فاخترموا
كما اسلموا ولم يكن لهم مما ذكر من الخيرات والحسنات التي بها نالوا جنات
عدن اذ اصل الايمان ينال به الجنة اما الدرجات بالطاعات والعبادات
فاخبر ان هؤلاء يدخلونها ايضا ويلحقون باولئك تبعا لهم والثاني لم يبلغوا
الدرجة التي بلغ اولئك فاخبر تعالى انه يبلغهم درجة اولئك ويلحقهم به كقوله
والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان الحقنا بهم ذريتهم الاية يضم بعضهم الى بعض
في الاخرة كما كانوا في الدنيا ويضم كل قرين في الدنيا الى قرينه في الاخرة ايضا
ثم في قوله ومن صلح من آبائهم وما ذكر دلالة ان صلاح غيره وان قرب
منه لا ينفعه حتى يكون في نفسه صلاح حيث قال ومن صلح من آبائهم وهو
ما قال لنوح انه ليس من اهلك انه عمل غير صالح دلت هذا على ان صلاح والد
او قريبه لا يجري له نفعا اذا لم يكن له صلاح نفسه والله اعلم قوله تعالى
والملائكة يدخلون عليهم من كل باب هذا يحتمل وجهين يحتمل ان يكون لمقامهم
ومنازلهم ابواب فيدخل عليهم من كل باب ملك ويحتمل ان ياتي كل ملك بتحفة غير
التحفة التي اتى بها الاخر على اختلاف خيراتهم وقدر اعمالهم من كل باب اي من كل

نوع من التحف وفي الآية وجهان من الدلالة احدهما ان الملائكة يكونون
خدم اهل الجنة وفي ذلك تفضيل البشر عليهم والثاني ان يكونوا على حق
المصاحبة لما اخبر وا اهل الخير من البشر في الدنيا الخير هم فجعل الله تعالى
بينهم الرفعة والصحبة في الآخرة والله اعلم قوله تعالى سلام عليكم
بما صبرتم كقوله تحيتهم فيها سلام وقوله فنعم عقبى الدار هو ما
ذكرنا في قوله اولئك لهم عقبى الدار قوله تعالى والذين ينقضون
عهد الله من بعد ميثاقه العهد قد ذكرنا في غير موضع وكذلك النقض والله اعلم
قوله تعالى ويقطعون ما امر الله به ان يوصل ويفسدون في الارض
كل حرف من هذه الاحرف يقتضي معنى الحرف الآخر اذا نقضوا العهد والميثاق
فقد قطعوا ما امر الله به ان يوصل ان كان الذي امر الله به يوصل صلة
الايمان بالنبيين والكتب جميعا ان كان صلة الارحام فهو فعل والسعي في
الارض بالفساد فعل ايضا من زنا او سرقة او قطع الطريق وغير ذلك من
المعاصي ما كان فهو الافساد في الارض والله اعلم ثم قوله ويقطعون ما
امر الله به ان يوصل يحتمل وجوها يحتمل ما امر الله به ان يوصل ما ذكرنا
من وصل الايمان ببعض الرسل بالكل وبجميع الكتب ويحتمل صلة الارحام
التي فرض الله عليهم صلتهم قطعوا ذلك او امرهم ان يصلوا اعمالهم بما
اعتقدوا والله اعلم قوله تعالى اولئك لهم اللعنة اللعنة هي الطرد
والابعاد في اللغة كانهم طردوا وابعدوا عن رحمة الله في الآخرة اي
طردوا وابعدوا من هداية الله وارشاده في الدنيا قوله تعالى
ولهم سوء الدار قد ذكرنا انهم دعوا الى دار وحذروا عن دار دعوا الى دار
السلام فان اجابوا فلهم الحسنى على ما ذكر وحذروا عن دار الهوان فان لم يحذروا
فلهم دار السوء والهوان والله اعلم ويحتمل انه ذكر لاهل النار سوء الدار
مقابل ما ذكر لاهل الجنة حسنى المآب وحسن الثواب والحسنى ويحتمل سماها
سوء الدار لما يسوء مقامهم فيها والله اعلم قوله تعالى الله يبسط الرزق
لمن يشاء ويقدر يرغبهم فيما عنده ويوئسهم عما في ايدي الخلق ويقطع رجاهم عن ذلك
لان الذي كان يمنعهم عن الايمان به ويحملهم على تكذيب الرسل وترك الاجابة
لهم هذه الاموال التي كانت في ايدي اولئك وبها رادوا دوام الرياسة

والعز والشرف لهم في هذه الدار فقال الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر
اخبر انه هو الباسط لذلك والمقتر والقادر له لا اولئك يوسع على من يشاء
ويقتر على من يشاء ليس ذلك الى الخلق والله اعلم وذكر انه يبسط الرزق
لمن يشاء من اوليائه واعدائه ويقتر على من يشاء من اوليائه واعدائه
ليعلم ان التوسيع في الدنيا والبسط لا يدلك على الولاية ولا التقتير والتضييق
يدلك على العداوة وليس كما يكون في الشاهد يوسع على الاولياء ويضيق
على الاعداء لان التوسيع في الدنيا والتضييق بحق المحنة وفي الآخرة بحق
الجزاء وليستوي في المحنة بين الولي والعدو ويجمع بينهما في ذلك ويفرق
بينهما في الجزاء والله اعلم قوله تعالى وفرحوا بالحياة الدنيا يحتمل
قوله وفرحوا بالحياة الدنيا صلة ما تقدم وهو قوله والذين ينقضون
عهد الله الى قوله ويقطعون ما امر الله به ان يوصل ويفسدون في الارض
ويفرحون بالحياة الدنيا ثم الفرح يحتمل وجهين احدهما يحتمل فرحوا
بالحياة الدنيا اي رضوا بها كقوله ورضوا بالحياة الدنيا واطمانوا بها
وفرحوا سروا بها فان قيل ان المومن ربما يسر بالحيوة الدنيا قيل
بلى ان المومن قد يسر لكن لا يبلغ سروره بها وفرحه عليها على الآخرة ولا
يغفل عن الطاعات بذلك فاما الكافر فانه لشدة سروره بها وفرحه
عليها يلهوا عن الآخرة وعن جميع الطاعات وهكذا العرف في الناس انه
اذا اشتد بالمرء السرور بالشيء يلهوا عن غيره او يغفل عنه والثاني
يحتمل ان يكون قوله فرحوا اي اشروا وبطروا كقوله اذ قال له قومه
لا تفرح ان الله لا يحب الفرحين اي الاشرين البطرين قوله تعالى
وما الحيوة الدنيا في الآخرة الا متاع تاويله والله اعلم اي ما الحيوة الدنيا
مع طول تمتعهم بمقابلة تمتع الآخرة الا كمتاع ساعة اوكمتاع شيء يسير وهو كقوله
لم يلبثوا الا عشية او ضحيها وقوله لم يلبثوا الا ساعة من نهار يظنون مع
طول ما متعوا في هذه الدنيا عند متاع الآخرة كانهم ما متعوا الا ساعة
فعلى ذلك قوله وما الحيوة الدنيا في الآخرة الا متاع وهو كما ذكر في قوله فما متاع
الحيوة الدنيا في الآخرة الا قليل اي عند متاع الآخرة لان متاع الآخرة ونعيمها
دايم متصل غير منقطع لا يشوبه آفة ولا حزن ولا خوف لذلك كان عد قليلا

عند متاع الآخرة ونعيمها والله اعلم وقال بعض اهل التأويل وما الحيوة
الدنيا في الآخرة الا متاع اي الا لهو وباطل لكن الوجه فيه ما ذكرنا والله اعلم
بذلك قوله تعالى ويقول الذين كفروا لولا انزل عليه آية من ربه
يحتمل سؤالهم الآيات انفس الآيات التي اتت بها الرسل من قبل قومهم
او سألوا آيات سموها كقوله وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من
الارض ينبوعا الى آخر ما ذكر من الآيات سألوها منه ويحتمل سألوا آيات
تضطرهم وتقهرهم على الايمان كقوله ان نشأ ننزل عليهم من السماء
آية فظلت اعناقهم لها خاضعين وفي الآية دلالة على انه لو شاء لانزل آية
آمنوا كلهم بها واهتدوا وان عنده اشياء لو اعطاهم لكان ذلك سبب اهتدائهم
وتوحيدهم وكذلك عنده اشياء لو اعطى لكان ذلك سبب كفرهم جميعا كقوله
ولولا ان يكون الناس امة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا
من فضة ومعارج عليها يظهرون لكنه لا ينزل الآية على شهواتهم واما نيهم
ولكن ينزل اشياء تكون عند التأمل والنظر حجة فمن تأمل فيها وتفكر
اهتدى وآمن بالاختيار ومن اعرض عنها ولم يتفكر ضل وزاغ بالاختيار
ويحتمل قوله ان نشأ ننزل عليهم من السماء آية اي ان نشأ ايمانهم
واهتداهم ننزل عليهم آية واصله ان الله تعالى شاء اهتداء من علم انه
يختار الاهتداء والايمان وشاء ضلال من علم انه يختار فعل الضلال والزيغ
فشاء لكل ما علم منه انه يختار ذلك وذلك تأويل قوله على اثر سؤالهم
قل ان الله يضل من يشاء ويهدي اليه من اناب اي ينزل من الآيات
ما يهتدي بها المنيب اليها والمقبل ويضل المعرض عنها والصاد بالاختيار
ويكون اهتداؤهم باختيارهم وضلالهم باختيارهم لا بالاضطرار والقهر الا ترى
انه قال الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله وهو القرآن الذي انزله على
رسوله فهو وصف المقبل المنيب الى ذكر الله لتسكن وتطمئن قلوبهم بالتأمل
والتفكر فيها الا بذكر الله تطمئن القلوب وتسكن اليه وقال بعض اهل
التأويل هو في الحلف في الخصومات اي الا بالحلف بالله تطمئن وتسكن قلوب
الذين آمنوا لا تطمئن بالحلف بغير الله وقال بعضهم اي بالقرآن وبما في
القرآن من الثواب يسكن قلوب الذين آمنوا والله اعلم ويشبه ان يكون قوله

الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله اي تفرح وتستبشر قلوب الذين آمنوا
بذكر الله الا بذكر الله تستبشر وتفرح قلوب الذين آمنوا ذكر بالكافر
الفرح بالحيوة وهو قوله وفرحوا بالحيوة الدنيا واطمأنوا بها وذكر
في المؤمن الاستبشار والفرح بذكر الله وفي اوليك ذكر ان قلوبهم تشمئز
بذكر الرحمن وتستبشر بذكر من دونه لقوله واذا ذكر الله وحده اشمأزت
قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة واذا ذكر الذين من دونه اذا هم يستبشرون
اخبر ان قلوب المؤمنين تستبشر وتفرح بذكر الله وقلوب اوليك
تشمئز بذكر الله وتستبشر بذكر من دونه والله اعلم ثم يحتمل قوله الذين
آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله وجهين ايضا احدهما تطمئن قلوبهم بذكر الله
لهم وذكر الله لهم التوفيق والتسديد والعصمة ونحو ذلك والثاني تطمئن
قلوبهم بذكر الله وذكرهم الله احسانه ونعمه وعظمته وجلاله ونحو ذلك
قوله تعالى الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن مآب
قيل خير لهم وغبطه وقيل حسنى لهم ونعمى لهم وقيل طوبى لك اي اصبت
خيرا وقيل طوبى اسم الجنة بلسان الحبشة وقيل بالهندية وقيل اسم
شجرة في الجنة اصلها في دار رسول الله واغصانها في دور اهل الجنة فان كان
هذا هو اسم شجرة فذلك لا يستقيم الا على سبب ومقدمة كان اهل الكتاب
ادعوها لانفسهم فاخبر انها للذين آمنوا لا لهم كقولهم لن يدخل الجنة
الا من كان هودا او نصارى ثم قال بلى من اسلم وجهه لله وهو محسن ادعوا
الجنة لانفسهم فاخبر انها ليست لهم لكن للذي اسلم واخلص وجهه لله فعلى
ذلك يشبه ان يكونوا ادعوا طوبى لانفسهم فاخبر انها ليست لهم ولكن للذين
آمنوا وان كان في مشركي العرب فهم ينكرون البعث والجنة والنار فيشبه
ان يكونوا قالوا ان كان بعث على ما قالوا او كان بعث على ما يقولون وجنة وطوبى
فهي لنا كقوله لاجدن خيرا منها منقلبا وقال بعضهم طوبى كلمة مدح الله
تعالى بها ثوابهم ومآبهم وقال بعضهم طوبى كرامة اعدها الله تعالى لاوليائه
وهي مذكورة في الكتب والله اعلم قوله تعالى كذلك ارسلناك في امة
قد خلت من قبلها امم اي كما ارسلنا الى امم من قبلك رسلا وهم يكفرون
بالرحمن وقال كل واحد من الرسل لا اله الا هو عليه توكلت واليه متاب

أي كل رسول كان أرسل قبلك أمر أن يقول ما ذكر كذلك أرسلناك
إلى قومك رسولاً وإن كانوا يكفرون بالرحمن فقل أنت ما قال أولئك
الرسل هو ربي لا إله إلا هو عليه توكلت وإليه متاب لم تخل أمة عن
رسول كقوله وإن من أمة إلا خلا فيها نذير والله أعلم ويشبه أن يكون
هذه الآية صلة قوله ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه
يقول أرسلناك لتتلو عليهم الذي أوحينا إليك أنباء الرسل والأمم الذين
كانوا من قبلك عليهم لتكون آية لرسالتك ليعلموا أنك إنما علمت تلك الأنباء
بالله تعالى والله أعلم قوله تعالى وهم يكفرون بالرحمن يقول والله أعلم
وهم يكفرون بالرحمن وفي كل الخلائق آية توحيد الرحمن وألوهيته ولأن في
كل الخلائق آية لرسالتك وهم مع هذا يكفرون بالرحمن فعلى ذلك يكفرون
برسالتك يصبّر النبي على تكذيب الكفرة إياه والله أعلم وقال بعضهم الرحمن
اسم من أسماء الله تعالى في الكتب الأول وإن النبي عليه السلام كتب في
كتابه إلى بعض الكفرة بسم الله الرحمن الرحيم فأبوا أن يقروا به وقالوا
وما الرحمن إنا لا نعرفه فنزلت قوله وهم يكفرون بالرحمن والله أعلم
وقال أبو بكر الأصم قوله وهم يكفرون بالرحمن صلة قوله ويقول الذين
كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه كأنه يقول أرسلناك إليهم لتتلو
عليهم الذي أوحينا إليك وإن كانوا يكفرون بالرحمن ويقولون لولا
أنزل عليه آية من ربه تعنتا فإنهم من أهل التعنت والعناد فلا
تنظر إلى عنادهم واتل عليهم ما أوحي إليك ألا ترى أنه قال على إثر
ذلك ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض الآية فقال
لو حملتهم بقرآن سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى يقول
لو حببت بذلك كله كان أمرهم وعلمهم التكذيب والعناد وهو كقوله ولو أننا
نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ما كانوا ليؤمنوا إلا
أن يشاء الله وقوله ولو فتحنا عليهم بابا من السماء الآية يخبر عن عنادهم
أنهم لا يؤمنون بالآية وإن عظمت إلا أن يشاء الله وقال ههنا بل لله الأمر
جميعا أي الأمر لله من شاء أن يؤمن يؤمن ومن شاء أن لا يؤمن فلا يؤمن والله أعلم
وقال بعضهم قوله وهم يكفرون بالرحمن أي يكفرون باسم الرحمن لأنهم قالوا إن محمدا

كان يدعونا إلى عبادة الله فالساعة يدعونا إلى عبادة الرحمن وألوهيته فذلك
منه دعاء إلى عبادة اثنين وكان ينهانا عن ذلك فقال وهم يكفرون بالرحمن
قل هو ربي لا إله إلا هو أي دعاء إلى عبادة الرحمن وألوهيته هو دعاء إلى
عبادة الله هو واحد ليس باثنين ولا عدد كقوله قل ادعوا الله أو ادعوا
الرحمن أيا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى أي عدد الأسماء لا يوجب عدد الذات
إذ يكون في الشاهد لشيء واحد أسماء مختلفة فعلى ذلك في الله تعالى ٥
قوله تعالى عليه توكلت قد ذكرنا قوله تعالى وإليه متاب
أي إليه المرجع والله الموفق قوله تعالى ولو أن قرآنا سيرت
به الجبال إلى آخر ما ذكر قال بعض أهل التأويل أي ولو أن قرآنا
ما غير قرآنك سيرت به الجبال من أماكنها أو قطعت به الأرض أو كلم
به الموتى لفعلناه بقرآنك أيضا ولكن لم نفعل بكتاب من كتب أنزلها
على الرسل الذين من قبلك ولكن شيء أعطيته أنبيائي ورسلي بل لله
الأمر جميعا يقول بل جميع ذلك الأمر كان من الله لا من القرآن أي
لو فعل بالقرآن ذلك كان جميع ذلك من الله بل لله الأمر جميعا إن شاء
فعل ما سألتم وإن شاء لم يفعل والله أعلم ويحتمل أي ولو أن قرآنا
ما عمل ما ذكر لكان هذا القرآن تعظيما لهذا القرآن والأول أقرب
وهذا محتمل ويشبه أن يكون غير هذا أقرب وهو أن يكون هذا
صلة ما تقدم من سؤالهم الآيات وهو قوله ويقول الذين كفروا
لولا أنزل عليه آية من ربه فيقول ولو أن قرآنا كالذي تقترحه
عليهم لو سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى لما آمنوا بك
ولما صدقوك على رسالتك على ما لا يؤمنون بالرحمن وكل الخلائق له آية
لوحدانيته وألوهيته يخبر عن شدة تعنتهم وتمردهم في تكذيبهم رسول الله
ليعلم رسول الله أن سؤالهم الآية سؤال تعنت وتمرد وليس سؤال
استرشاد واستهداء والله أعلم قوله تعالى أفلم ييأس الذين
آمنوا قال بعضهم هو صلة قوله وهم يكفرون بالرحمن وقوله ولو أن
قرآنا سيرت به الجبال الآية يقول أفلم ييأس الذين آمنوا عن إيمان
هؤلاء مع ما ذكرنا من الإياس عن ذلك بما ذكرنا وضعهم وتمام هذا كأن

المؤمنين سألوا لهم الايات التي سألوها من رسول الله صلى الله عليه وسلم
ليؤمنوا فيقول افلم ييأس الذين آمنوا عن ايمان هؤلاء كما قال عز وجل
واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها قل انما الايات عند الله
وما يشعركم انها اذا جاءت لا يؤمنون كان المؤمنين سألوا لهم الايات ليؤمنوا
فقال وما يشعركم ايها المؤمنون انها اذا جاءت لا يؤمنون على طرح حرف
لا اي يؤمنون على هذا التأويل فعلى ذلك هذا والله اعلم وقال بعضهم
افلم ييأس الذين آمنوا انهم لا يؤمنون لكثرة ما رأوا منهم من العناد والمكابرة
وقال بعضهم افلم ييأس الذين آمنوا اي افلم يعلم الذين آمنوا ان لو
شاء منهم الهداية لهدى الناس جميعا فسروا الاياس بالعلم واليقين لان
الاياس اذا غلب يعمل عمل العلم كالخوف والظن جعلوه يقينا وعلما للغلبة
لانه اذا غلب يعمل عمل اليقين فيذكر على ارادة ذلك فكذلك ههنا يذكر
الاياس على ارادة العلم وعن عائشة رضي الله عنها في قوله افلم ييأس
الذين آمنوا ان قوله افلم ييأس خطأ من الكاتب انما هو افلم يتبين للذين
آمنوا وقال بعضهم افلم ييأس الذين آمنوا افلم يعلم الذين آمنوا اي قد
علم الذين آمنوا لو شاء ايمان الناس واهتداهم لآمنوا وقال صاحب
هذا التأويل جائز في اللغة ييأس بمعنى يعلم وذكر انها لغة لخم وغيرها
والله اعلم وقال بعضهم قوله افلم ييأس الذين آمنوا منقطع من قوله ان لو يشاء الله
موصول بما تقدم من قبله ويقول الذين كفروا لولا انزل عليه
آية من ربه قال هذا جوابا لما قالوا كانه قال لو شاء الله لهدى الناس
جميعا ولكن يضل من يشاء ويهدي من يشاء اي من علم منه انه يختار الضلال
ويؤثره يشاء ذلك له ومن علم منه انه يختار الهدى يشاء ذلك له ويكون قوله
افلم ييأس الذين آمنوا مقطوعا عنه لا جوابا له وجوابه كانه قال افلم
ييأس الذين آمنوا عن ايمانهم لكثرة ما رأوا منهم من العناد والمكابرة بعد
رؤيتهم الايات والحجج كان اهل الايمان سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
الايات التي سألوهم رغبة في اسلامهم واشفاقا عليهم فنقول والله اعلم
افلم ييأس الذين آمنوا الم يأن للذين آمنوا الاياس من ايمانهم اي قد
آن للذين آمنوا أن ييأسوا من ايمانهم وهو كقوله ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة

الآية فعلى ذلك هذا يقول آن للذين آمنوا ان ييأسوا من ايمانهم ولو شاء الله
لهدى الناس جميعا وهو كقوله ما كانوا ليؤمنوا الا ان يشاء الله والله اعلم
قوله تعالى ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة
او تحل قريبا من دارهم حتى يأتي وعد الله اي ولا يزال الذين كفروا
جادبوا رسول الله تصيبهم بما صنعوا قارعة القارعة هي ما تقرع القلوب
وتكسرها ثم قرعهم تكون بعذاب وقتل وهزيمة وبسبي ذراريهم
وباغتنام المسلمين اموالهم ويحتمل ما ذكر من اصابة القارعة الجوع
والشدائد التي اصابتهم ويحتمل القتال الذي كان بينه وبينهم وقوله
او تحل قريبا من دارهم هو نزول السرايا بقريب من دارهم او تحل
انت قريبا من دارهم وقال بعضهم اي القارعة تحل بالذين اقرب
منكم ديارهم وقال بعضهم لا يزال سريه من سرايا رسول الله صلى الله
عليه وسلم تحل ببعضهم اذ ينزل هو قريب منهم وقوله حتى يأتي وعد الله
يحتمل فتح مكة اي تحل قريبا من دارهم حتى يكون ما وعد الله من فتح مكة
عليك او يكون وعد الله وهو البعث والله اعلم ثم قوله حتى يأتي وعد الله
يخرج على وجهين احدهما ان يظفر بهم جميعا وان يورث المؤمنين ارضهم
وديارهم واموالهم والثاني يكون وعد الله وفتح الله قوله واخرى لم
تقدروا عليها قد احاط الله بها قوله تعالى ان الله لا يخلف الميعاد
اي لا يخلف ما وعد رسوله من الفتح والنصر وغير ذلك قوله تعالى
ولقد استهزئ برسل من قبلك يقول وقد استهزئ برسل من قبلك
قومهم كما استهزأ بك قومك يعزي النبي عليه السلام ليصبر على تكذيبهم
وقال ابو بكر الاصم ولقد استهزئ برسل اي ولقد استهزأ من تقدم
من الرسل سألهم قومهم الايات والعذاب وبين ان ما سألوه الآية
أرادوا الهزء وهو صلة ما تقدم ويقول الذين كفروا لولا انزل
عليه آية من ربه قوله تعالى فأمليت للذين كفروا يقول امهلتهم
في كفرهم وهزئهم قوله تعالى ثم اخذتهم فكيف كان عقاب هذا
يدلك على ان تاخير العذاب عنهم لا يؤمنهم ثم اخذهم وهم آمنون
فكيف كان عقاب يقول احللت بهم جزاء ما يهزؤن منه وقال بعضهم

فكيف كان عقاب الله اي شديد عقابه وهو كقوله وكأين من قرية
امليت لها وهي ظالمة ثم اخذتها والي المصير وقيل فكيف رأيت عذابي
لهم اليس وجد وه سديدًا ويحتمل فكيف كان عقاب اليس ما اوعد
الرسل من العذاب كان حقا صدقا والله اعلم قوله تعالى أفمن
هو قايم علي كل نفس بما كسبت قال أبو بكر الاصم يقول من الذي هو قايم
علي كل نفس بما كسبت الله ام شركاؤكم والقايم هو المدبر الحافظ لكل
ما فيه الخلق ويشبه ان يكون تأويله أفمن هو قايم اي حافظ وعالم
او بالرزق لهم والدفع عنهم علي كل نفس بما كسبت كمن هو اعمي عن ذلك
ليسا بسواء كقوله افمن يعلم أن ما أنزل اليك من ربك الحق كمن هو
أعمي أو يقول أفمن هو قايم علي كل نفس بما كسبت كمن هو غير قايم
عليه ليسا بسواء والله اعلم وقال مقاتل افمن هو قايم علي كل نفس بما
كسبت علي رزقهم وطعامهم ثم قالوا وجعلوا لله شركاء اي وصفوا الله شركاء
وعبدوها والله احق ان يعبد من غيره يقول الله انا القايم علي كل نفس
ارزقهم واطعمهم افاكون انا وشركاء الذين لا يفعلون ذلك سواء والوجه ما وصفنا
اي افمن هو قايم علي نفس بما كسبت اي يرزق ويبصر ويعلم ما تعمل وتكتسب
ويحفظ عن انواع البلاء كمن هو اعمي جاهل عاجز عن ذلك كله اي ليس هذا
كذلك يسفههم في اشراكهم الاصنام الذي عبدوها في الالوهية والعبادة
وهي بالوصف الذي ذكر اعمي جاير جاهل والله اعلم ويحتمل افمن هو قايم
علي نفس فيما قدرها وقواها او في الجزاء يجزي علي ما تكتسب وجعلوا لله
شركاء في العبادة او في تسميتهم آلهة لا يعلمون ما كسبت لها ولا يملكون جزاء
ما كسبوا لها ايضا سفههم في جعلهم الاصنام شركاء لله في العبادة وتسميتهم
آلهة مع علمهم انهم لا يقدرون ولا يملكون من ذلك شيئا قوله تعالى قل
سموهم قال بعض اهل التأويل قل سموهم بذلك الاسم ولو سموهم سموهم
بكذب وباطل وعندنا قل سموهم اي لو سميتموها آلهة واتخذتموها معبودًا
فسموها ايضا بأسماء سميتموها لله من نحو الخالق والرازق والرحمن والرحيم
ونحو ذلك يقول والله اعلم اذ سميتم هذه الاصنام الهة ومعبودًا فسموهم
أيضا خالقا ورازقا ورحمن ورحيما وانتم تعلمون انها ليست كذلك والله اعلم

قوله تعالى ام تنبؤنه بما لا يعلم في الارض اي ام تنبؤن الله وهو عالم
بما في السموات وما في الارض وعالم بكل شيء وهو لا يعلم ما تقولون في الارض
من آلهة وما تصفونه بالشركاء وكذلك يخرج قوله قل اتنبؤن الله بما
لا يعلم في السموات ولا في الارض سبحانه وتعالي عما يشركون ويحتمل
ام تنبؤنه بما ليس في الارض شيء مما يقولون وتصفون قوله تعالى
ام بظاهر من القول قال اهل التأويل اي بل بباطل من القول
وزور ويشبه ان يكون بظاهر من القول اي تضعف من القول يسمون
الشيء الذي لا حقيقة له ولا ثبات ظاهرًا باديًا كقوله الا الذين هم
أراذلنا بادي الرأي ضعيف الرأي وحقيقة لا حقيقة له ولا قرار ويحتمل
انه بظاهر من القول في الخلق والاسلام اي لم تضر ما تقول وتصفون
اشراك هذه الاصنام وتسميتها آلهة ومعبودًا فيكون ام في موضع حقيقته
ويقين علي هذا التأويل قوله تعالى بل زين للذين كفروا مكرهم
قال بعض أهل التأويل مكرهم قولهم الذي قالوه من الكذب والزور
انها آلهة وانها شركاء لله ولكن يشبه ان يكون قوله مكرهم اي مكرهم
برسول الله حيث احتالوا حيلًا ليقتلوه لئلا يظهر هذا الدين في الارض
وليطفئوا هذا النور لبقاء عزهم وشرفهم في هذه الدنيا وهو كقوله
واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك الآية والمكر هو
الاحتيال والاخذ من حيث الامن والله اعلم قوله تعالى وصدوا
عن السبيل اي بما عمل من مكرهم واختيارهم ما اختاروا والسبيل المطلق
هو سبيل الله والا كان جميع الاديان والمذاهب يسمي سبيلًا لقوله ولا
تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله لكن ما ذكرنا ان السبيل المطلق
ينصرف الي سبيل الله والكتاب المطلق كتاب الله والدين
المطلق دين الله قوله تعالى ومن يضلل الله فما له من هاد
اي من اضله الله فلا يملك احد هدايته ومن هداه الله فلا يملك
احد اضلاله قوله تعالى لهم عذاب في الحيوة الدنيا يحتمل القتل
والقتال والجوع والخوف وانواع البلايا كقوله وضرب الله مثلا
قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدًا من كل مكان فكفرت بأنعم الله

فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون قوله تعالى ولعذاب
الآخرة اشق اي اشد قوله تعالى وما لهم من الله من واق
اي ما لهم من عذاب الله من واق يقيهم من عذابه قوله تعالى
مثل الجنة التي وعد المتقون اي اشبه الجنة التي وعد المتقون كشبه النار
التي وعد الكافرون اي ليسا بشبيهين ولا مثلين ولا تكون هذه مثل هذه
ولا تشبهها وهو كقوله مثل الجنة التي وعد المتقون فيها انهار من ماء
غير آسن الى قوله كمن هو خالد في النار وسقوا ماء حميما فقطع
امعاءهم تقول والله اعلم الذي وصفه كذا من النعم الدائمة كالذي
يكون عذابه ووصفه كذا اي لا يكون فعلى ذلك الاول قوله تعالى
تجري من تحتها الانهار اكلها دائم اي ثمارها دائمة لا تزول ولا
تنقطع ليست كثمار الدنيا ونعيمها اي ليست ثمرة من ثمرات الدنيا
الا وهي تزول وتنقطع في وقت اخبر ان ثمار الآخرة وما فيها من
النعم غير زائلة ولا منقطعة وكذلك عذابها دائم لا يزول والله اعلم
قوله تعالى وظلها اخبر ان ظل الجنة لا يزول ولا ينقطع لا تكون
فيها شمس يزول ظلها بوجودها وصف ما في الجنة بالدوام والمنفعة
الظل لا اذى فيه وفيه منافع والشمس فيها اذى ومنافع وكذلك
جميع ما يكون في الدنيا من الاشياء يكون فيها منافع ومضار وانها تزول
وتنقطع فاخبر ان ظل الآخرة وما فيها من النعم باقية دائمة غير زائلة
ولا منقطعة ولا مضرة فيها ليس كنعيم الدنيا وظلها والله اعلم
قوله تعالى تلك عقبى الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار
ظاهر هذا ان يكون المراد بقوله الذين اتقوا اتقاء الشرك لانه ذكر
مقابلة وعقبى الكافرين النار ومعناه تلك الجنة التي ذكرنا وصفها جزاء
الذين اتقوا الشرك وعقبى الكافرين النار اي جزاء الكافرين النار
او يقال عقبى الذين اتقوا هذه الدنيا الجنة وعقبى اولئك النار وقال
بعضهم تلك عاقبة الذين اتقوا اي عاقبة اعمالهم وحسناتهم الجنة
وعاقبة اعمال الذين كفروا بتوحيد الله النار قوله تعالى
والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما انزل اليك تأويله والله اعلم

كأنه قال والذين آتيناهم منافع الكتاب اولئك يفرحون بما انزل
اليك وهو ما قال في آية اخرى الذين آتيناهم الكتاب يتلونه
حق تلاوته لان اكثرهم لا يفرحون بما انزل على محمد ويحتمل ان يكون
الآية صلة قوله وهم يكفرون بالرحمن فاخبر ان الذين آتيناهم الكتاب
يفرحون بما انزل اليك بذكر الرحمن ثم اختلف في قوله الذين آتيناهم
الكتاب قال بعضهم هم اصحاب محمد فرحوا بما انزل
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بعضهم الذين آتيناهم
الكتاب اهل التورية يفرحون بما انزل اليك ذكر ههنا
انهم يفرحون بما انزل الى رسول الله وذكر في موضع آخر
ما يود الذين كفروا من اهل الكتاب ولا المشركين ان ينزل
عليكم من خير من ربكم وقال في موضع آخر الذين آتيناهم الكتاب
يتلونه حق تلاوته اولئك يؤمنون به فمن تلى منهم الكتاب حق تلاوته
ولم يبدله ولم يغيره فهو يؤمن به ويفرح بما انزل على محمد ومن غيره
وبدله فهو لم يفرح بما انزل اليه والله اعلم قوله تعالى ومن
الاحزاب من ينكر بعضه يحتمل ان اهل الكتاب كانوا ينكرون
بعض ما انزل اليه ولا ينكرون كل ما انزل الله انما ينكرون
نعته وصفته لانهم كانوا اكتموا نعته وصفته التي في كتبهم ويحتمل ومن
الاحزاب من ينكر بعضه من مشركي العرب فانهم ايضا انكروا
بعض ما انزل اليه وهو ما ذكر وهم يكفرون بالرحمن والله اعلم
قوله تعالى اجعل الالهة الها واحدا ونحوه لم ينكروا كله فانهم سمعوا
كثيرا من الانبياء المتقدمة التي جاء بها القرآن فلم ينكروها والله اعلم
قوله تعالى قل انما امرت ان اعبد الله ولا اشرك به اليه ادعوا
واليه مآب كأن هذا قاله على اثر قول كان منهم كانهم دعوه
الى ان يشاركهم في عبادة الاصنام او دعوه ان يكون على ما كان آباؤهم
فقال قل انما امرت ان اعبد الله وامرت ان لا اشرك به ويحتمل
قوله ولا اشرك به قال ذلك من نفسه لا انه قال وامرت
ان لا اشرك به معطوفا على قوله قل انما امرت ان اعبد الله فقال لا

أشرك به اليه أدعوا تقول الي توحيد الله أدعوا غيري ثم أخالف وأعبد
غيره واليه مآب اي اليه مرجعي قوله تعالي وكذلك أنزلناه
حكما عربيا ثم قوله حكما عربيا يحتمل وجهين احدهما ما قيل
حكمة عربية وكانت العرب لا تفهم الحكمة ويحتمل اي انزلنا
عليك ما فيه حكم قوله تعالي ولئن اتبعت اهواءهم بعد ما جاءك
من العلم هذا يدل علي انهم كانوا يدعونه الي ان يشاركهم في بعض ما هم
فيه قوله تعالي ما لك من الله من ولي ولا واق اي لك
من الله من ولي ينصرك ويمنعك من عذاب الله ولا واق
يقي العذاب وقيل تفسير قوله وكذلك انزلناه حكما عربيا ما
ذكر في آية اخري وهي قوله وكذلك انزلناه قرآنا عربيا سمي القرآن
حكما لانه للحكم أنزل والله اعلم قوله تعالي ولقد ارسلنا رسلا
من قبلك وجعلنا لهم ازواجا وذرية قال بعض اهل التأويل
انما نزلت الآية لان اليهود عيروا رسول الله وطعنوا فيه في
كثرة النساء والاولاد وقالوا لو كان نبيا كما يزعم لكان لا يتمتع بالنساء
ولا يطلب الاولاد كما يفعله غيره من الناس وكانت النبوة تشغله
عن ذلك فانزل الله تعالي قوله ولقد ارسلنا رسلا
من قبلك وجعلنا لهم ازواجا وذرية اي الاستمتاع بالنساء واستكثاره
منهن لم يمنع عن الاختصاص بالنبوة والرسالة علي ما لم يمنع غيره
من الرسل الذين من قبل والله اعلم قوله تعالي وما كان
لرسول أن يأتي بآية الا باذن الله اي لا يملكون انزال الآيات من
انفسهم انما ينزل الله انزالها اذا شاء ذلك وهو كقول عيسي
وابرئ الاكمه والابرص واحي الموتي باذن الله واخبر ان ما يأتي
من الآيات انما يأتي باذن الله وبأمره لا بنفسه والله اعلم ويحتمل
ان يكون هذا جواب ما ذكر اهل التأويل من الطعن بكثرة
النكاح وجواب عن ذلك ايضا وهو طعنهم الرسل بالاكل والشرب
والمشي في الاسواق وسؤالهم الآيات التي سألوهم وجواب
انكارهم الرسل من البشر يقول لست انت باول رسول

طعنت بما طعنك به قومك ولكن كان قبلك رسول طعنهم قومهم بما طعن
به قومك وسألوهم الآيات ما سألك به قومك فلم يكن ذلك
لهم عذرا في رد ما ردوا وترك ما تركوا بل نزل بهم العذاب
فعلي ذلك قومك والله اعلم قوله تعالي لكل اجل كتاب
اختلف فيه قال قائلون لكل كتاب اجل وهي الكتب
التي انزلت علي الرسل يعمل بها الي وقت ثم تنسخ او يترك العمل بها
وقال قائلون هو ما قال لكل اجل كتاب اي كل ذي اجل
اجله الي وقت انقضائه وليس يراد به الكتابة باليد ولكن أريد
به الاثبات كقوله اولئك كتب في قلوبهم الايمان اي اثبت
ليس كتب هنالك باليد فعلي ذلك قوله لكل اجل كتاب اي اثبات
الي وقت والله اعلم ويحتمل قوله لكل اجل كتاب اي لكل ما
كتب به الاجل وجعل له الوقت من العذاب ينزل بالمعاندين
وهلاكهم والنصر للرسل فانه لا يكون قبل ذلك الوقت ولا يتأخر
عنه وهو قوله فاذا جاء اجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون
ونحوه قوله تعالي يمحو الله ما يشاء ويثبت قال قائلون
قوله يمحو الله ما يشاء اي انشاه في الابتداء ممحوا ليس ان كان مثبتا
فمحاه ولكن انشاه هكذا ممحوا وهو كقوله فمحونا آية الليل ليس انه
كان منشأ كذا ثم محاه ولكن انشاه في الابتداء ممحوا وقوله الله
الذي رفع السموات ليس انها موضوعة ثم رفعها ولكن انشاها مرتفعة
كما هي فعلي ذلك هذا ثم الذي انشاه ممحوا من الابتداء يحتمل الاعمال
التي كانت مغفورة في الاصل نحو اعمال الصبيان والاعمال التي لا جزاء
عليها من المباحات ونحوها وقال قائلون قوله يمحو الله علي احداث
محو بعد الاثبات ثم يحتمل ذلك وجوه يحتمل يمحو الله ما ينسخ من الاحكام فهو
علي محو الحكم به والعمل به ليس علي محو نفس المتلو وقوله يثبت ما لا ينسخ
ولا يترك العمل به والحكم ويحتمل المحو محو الاحوال وهو ما ينقل ويحول
من حال الي حال من حال النطفة الي حال العلقة ومن حال العلقة
الي حال المضغة يحوله وينقله من حال الي حال اخري ويعدم الحال الاولي

ويثبت الثانية فذلك هو المحو والاثبات والله اعلم ويحتمل المحو ايضا
هو ما يختم به العمر على السعادة او على الشقاوة اذا كان كافرا
ثم اسلم في آخر عمره محيت الاعمال التي كانت له في حال كفره
وابدلت حسنات واذا كان يختم بالكفر محيت اعماله التي كانت
من الصالحات فلم ينتفعوا بها والله اعلم ويحتمل ان يكون ما
ذكر من المحو والاثبات هو ما يكتب الحفظة من الاعمال والافعال
يمحى منها ما لا جزاء له ولا ثواب ويبقى ما له الجزاء والثواب
ويترك مكتوبا كما هو والله اعلم ويحتمل وجها آخر وهو ان يكون للخلق
مقاصد في افعالهم والحفظة لا يطلعون على مقاصدهم فيكتبون لهم ما
هو في الحقيقة حسنة لقصده سيئة على ظاهر ما عمل او حسنة في
الظاهر وهو في الحقيقة سيئة فيغير ذلك فيجعل ما هو في الحقيقة
شر وفي الظاهر خير لشرا بالقصد وما هو في الحقيقة خير وفي
الظاهر شر خيرا بالقصد فذلك هو المحو والاثبات والله اعلم
ويحتمل ان يكون في كتابة الحفظة من وجه آخر وهو ان الحفظة
يكتبون الاعمال ثم يعارض ذلك بما في اللوح المحفوظ فيمحى من كتابة
الحفظة من الزيادة ويثبت فيها ما كان فيه من النقصان والله اعلم
قوله تعالى وعنده ام الكتاب يحتمل وعنده ام الكتاب الذي
يعارض به كتب الملائكة وهو اللوح المحفوظ ويحتمل وعنده ام الكتاب
الذي يستنسخ منه الكتب التي انزلت على الانبياء والرسل وهو اللوح
المحفوظ وفي هذا دلالة ان اختلاف الالسن لا يوجب تغير المعنى لانه
لا يدري ان تلك الكتب في اللوح باي لسان هو ثم انزل منه كل كتاب
على لسان الرسول الذي ينزل عليه وكذلك الملائكة الذين يكتبون
اعمال بني ادم لا يحتمل ان يكتبوا بلسان الخلق لانه يظهر لو كانوا يكتبون
بلسان هؤلاء فدلت انهم يكتبون بلسان انفسهم فهذا كله يدلك على
ان اختلاف اللسان لا يوجب اختلاف المعنى والله اعلم قوله تعالى
واما نرينك بعض الذي نعدهم او نتوفينك فانما عليك البلاغ
وعلينا الحساب كان النبي صلى الله عليه وسلم طمع او يسال ان يريه

جميع ما وعد من انزال العذاب عليهم وانواع ما وعد فقال ان شئنا
نريك بعض ما وعدناهم وان شئنا نتوفينك ولم نرك فانما عليك البلاغ
اي ليس لك من الامر شيء انما عليك البلاغ فيخرج مخرج العتاب والتوبيخ
ليس مخرج الوعد والعدة اذ قوله ذا او ذا حرف شك ولا يجوز ان
يضاف اليه ذلك ثم قوله واما نرينك بعض الذي نعدهم او نتوفينك هذا
في الظاهر حرف شك وهو يخرج على الوعد او على النهي فكانه نهاه ان يسال
انزال العذاب عليهم يقول ان شئنا انزلنا وان شئنا لم ننزل وان
كان على الوعد نريه بعض ما وعدنا ولا نريه كله والله اعلم قوله تعالى
وعلينا الحساب يحتمل حساب ما وعد وجزاءه ويحتمل الحساب المعروف
الذي يحاسبهم به يوم القيمة ويحتمل اي لا يتركهم هملا وسدا والله اعلم
قوله تعالى اولم يروا قد ذكرنا فيما تقدم انه حرف تعجب وتنبيه
وهو يخرج على وجهين احدهما على الخبر اي قد راوا ذلك والثاني
على الامر اي روا ما فعلنا ذلك وهو كما ذكر من قوله او لم يسيروا في
الارض اي قد ساروا في الارض او سيروا في الارض ثم اختلف
في تاويل نقصان الارض قال بعضهم هو ما جعل من ارض الكفرة
للمسلمين بالفتح لهم والنصر على اوليك والاخراج من سلطان اوليك
وادخالها في ايدي المسلمين فذلك النقصان والله اعلم لما وعد الله تعالى
لرسوله ان يريه بعض ما وعدهم فقالت الكفرة عند ذلك اين ما
وعد ربك ان يريك فقال عند ذلك او لم يروا انا ناتي الارض ننقصها
من اطرافها اي الم يروا انه جعل ما كان لكم من الارضين للمسلمين فاذا
قدر على جعل البعض لهم لهولاء لقادر ان يجعل الكل لهم افلا يعتبرون
هذا والله اعلم بما اراد من ذكر النقصان وقال قايلون نقصان الارض
موت فقهايها وعلمايها ووجه هذا وهو ان الفقهاء والعلماء هم عمار الارض
واهلها وبهم صلاح الارض فوصف الارض بالنقصان بذهاب اهلها
وهو كما وصف الارض بالفساد وهو قوله ظهر الفساد في البر والبحر
وقوله لفسدت الارض والارض لا تفسد بنفسها ولكن وصفت بالفساد
لفساد اهلها فعلى ذلك لا تنقص هي بنفسها ولكن وصفت بالنقصان

لذهاب اهلها وعمادها وعمارها فقهاوها وعلماوها والله اعلم ثم يحتمل
ذهاب العلماء المتقدمين الذين تقدموا رسول الله صلى الله عليه وسلم
في الامم السالفة وهم علماء اهل الكتاب فنقول الا تعتبرون
باوليك الذين قبضوا وتفانوا من علمايهم فلا بد من رسول يعلمهم
الاداب والعلوم ويجدد لهم ما درس من الرسوم وذهب من الاثار
فكيف انكروا رسالته هذا الحتمل لان المراد به زمن الرسول
فان ذلك وقت حدوث العلماء وزمانه لا وقت ذهابهم وفنايهم
والله اعلم وان كان اراد العلماء المتاخرين وفقهاهم فيخرج ذلك مخرج
التعزية له اي يصير الارض بحال توصف بالنقصان بذهاب
العلماء والفقهاء والله اعلم قوله تعالى والله يحكم لا معقب لحكمه قيل
لا راد لحكمه وحكمه يحتمل العذاب الذي حكم على الكفرة يقول لا راد للعذاب
الذي حكم عليهم وهو كقوله رب احكم بالحق اي بالعذاب الذي حكمت
عليهم ويحتمل قوله لا معقب لحكمه اي لا يتعقب احد حكمه ولا يعقب احد
سلطانه كما يكون في حكم الخلايق يتعقب بعض على بعض وهو كما ذكر في الحفظة
له معقبات من بين يديه اي الحفظة يتعقب بعض بعضا فيما سلطوا عليه
والله اعلم قوله تعالى وهو سريع الحساب قد ذكرناه في غير موضع
قوله تعالى وقد مكر الذين من قبلهم فلله المكر جميعا قيل اي مكر
الذين من قبلهم برسلهم كمكر هولاء بك فيصبر رسول الله صلى الله عليه وسلم
على اذاهم به ثم يحتمل المكر به وجهين احدهما مكروا به بنفسه اي هموا
قتله واهلاكه والثاني مكروا به اي بدينه الذي دعاهم اليه واراد
اظهاره فهموا اطفاء ذلك وابطاله وكذلك مكر الذين من قبلهم برسلهم
يخرج على هذا والله اعلم وقوله فلله المكر جميعا يجزي كلا بمكره والثاني
اي لله حقيقة المكر ياخذهم جميعا بالحق من حيث لا يشعرون واما هم
فانما ياخذون ما ياخذون لا بالحق ولكن بالباطل ولا يقدرون
على الاخذ من حيث لا يشعرون الا قليلا من ذلك فحقيقة المكر الذي
هو مكر بالحق في الحقيقة لله لا لهم والله اعلم ويحتمل فلله المكر جميعا اي
لله تدبير المكر جميعا ان شاء امضاه وان شاء منعه اليه ذلك لا اليهم

أي لله حقيقة المكر يغلب مكرهم وان شاء منع والله اعلم قوله تعالى
يعلم ما تكسب كل نفس من خير او شر وسيعلم الكفار لمن عقبى
الدار يشبه أن يكون عقبى الدار معروفا عندهم وهي الجنة
فيكون صلة قوله لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى
والله اعلم اي وسيعلمون هم لمن عقبى الدار أو ان يكون جوابا
لقوله ولين رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى انهم لما رأوا انفسهم
مفضلين في امر الدنيا وسع عليهم الدنيا ظنوا انهم في الاخرة
كذلك فقال ذلك جوابا لهم امهو لهم ام هو للمومنين والله اعلم
قوله تعالى ويقول الذين كفروا لست مرسلا اي قال
الذين كفروا لست مرسلا اي لم يبعثك الله رسولا وهم كذلك يقولون
له فامره الله تعالى أن يقول لهم قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم
اني نبي ورسول اليكم بالايات التي اتي بها او كان قال لهم هذا
لما بالغ في الحجاج والبراهين في اثبات الرسالة والنبوة فلم يقبلوا
ذلك وايس من تصديقهم فعند ذلك قال قل كفى بالله شهيدا
بيني وبينكم قوله تعالى ومن عنده علم الكتاب اي من كان
عنده علم الكتاب يعني التورية والانجيل فيشهد ايضا اني رسول ونبي
اي يعلم من كان عنده علم الكتاب اني على حق واني رسول الله وهو كقوله
او لم يكن لهم اية أن يعلمه علماء بني اسرائيل والله اعلم ويقرا بخفض الميم
والدال ومن عنده علم الكتاب فتاويله والله اعلم اي من عند الله جاء علم
هذا الكتاب والله اعلم واما عامة القراء فانهم يختارون بالنصب ومن عنده
علم الكتاب على التاويل الذي ذكرنا وقال ابو عبيد وقرا بعضهم ومن
عنده علم الكتاب بخفض الميم والدال ورفع العين ولكن هذا لا ادري عمن
هو وروي عن عبد الله بن سلام انه قال في نزلت قوله قل كفى بالله
شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب ان ثبت هذا يويد قول
اهل التاويل حيث قالوا ومن عنده علم الكتاب عبد الله بن سلام واصحابه
رضي الله عنهم والله اعلم تم بحمد الله وعونه وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله واصحابه
اجمعين والحمد لله رب العالمين وحسبنا الله ونعم الوكيل